

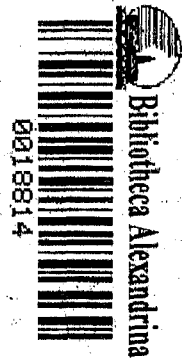
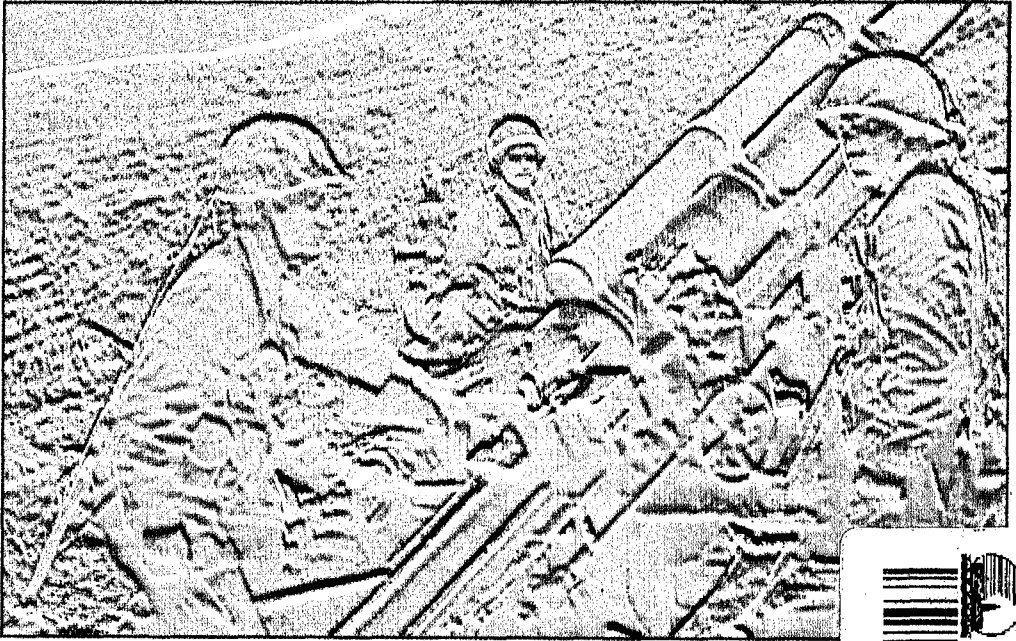
مذكرات ومطالعات اللواء الركن المتقاعد

صادق الشرع

حروبنا مع اسرائيل

١٩٤٧-١٩٧٣

معارك خاسرة وانتصارات ضائعة



حروبنا مع إسرائيل

١٩٤٧ - ١٩٧٣

معارك خاسرة وانتصارات ضائعة

حروبنا مع إسرائيل

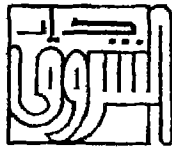
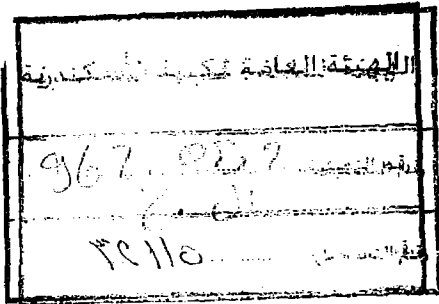
١٩٤٧ - ١٩٧٣

معارك خاسرة وانتصارات ضائعة

مذكرات ومطالعات

اللواء الركن المتقاعد

صادق الشرع



١٩٩٧

■ اللواء الركن المتقاعد صادق الشرع (حروبنا مع إسرائيل ١٩٤٧-١٩٧٣).

■ الطبعة العربية الأولى :

الاصدار الأول ١٩٩٧

■ جميع الحقوق محفوظة .

■ الناشر :



دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف : ٦١٨١٩٠ / ٦١٨١٩١ / ٦٢٤٣٢١ فاكس : ٦١٠٠٦٥

ص.ب : ٩٢٦٤٦٣ الرمز البريدي : ١١١١٠

عمان - الاردن

■ التوزيع في فلسطين :

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله - المنارة - الشارع الرئيسي

هاتف : ٩٩٨٥٩٧٨

■ التضييد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان والأفلام :

الشروق للدعاية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات : ٢٧٨ / ٣ / ١٩٩٦

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٦ / ٣ / ٣٨٣)

رقم التـصنيف : ٩٥٦,٠٩٣

المؤلف ومن هو في حكمه : صادق الشرع

عنوان الكتـاب : حروبنا مع إسرائيل ١٩٤٧-١٩٧٣

الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ والجغرافيا

٢- النزاع العربي الإسرائيلي

رقم الإيداع : (١٩٩٦ / ٦ / ٣٨٣)

بيانات النشر : عمان : دار الشروق

* تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



اللواء الركن صادق الشرع

الإهداء

إلى الشهيد العربي
الذي فقد أهله، وخذله قومه،
وخلّده التاريخ.

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

أما وقد ردت السيوف الى أغمارها وعادت الجيوش الى ثكناتها وتحولت الدول العربية الى مرحلة التصالح مع إسرائيل آملة تحقيق السلام العادل والدائم في المنطقة فقد رأيت أن الوقت قد حان لكي انشر ما لدي من معلومات عن وقائع حروبنا الماضية مع إسرائيل وذلك لخدمة التاريخ ومنفعة أجيالنا القادمة .

وفي التحضير لهذا الكتاب فإنني قد اعتمدت على خبراتي الشخصية ومعلوماتي المباشرة عن الوقائع التي اشتركت فيها عملياً وعلى مطالعاتي ودراساتي للكثير من المصادر التي نشرت حول هذا الموضوع .

ومن هذا المنطلق فإن علاقتي بهذه الحروب ومجال اشتراكي فيها تنبثق اصلاً من خلال خدمتي في الجيش العربي الأردني الذي تشرفت بالإنتماء اليه منذ مطلع عقد الأربعينات عندما بدأت عملية تحويله من قوة صغيرة للأمن الداخلي الى جيش مقاتل متوازن أبان الحرب العالمية الثانية وما بعدها. ثم تدرجت في الرتب والمراكز المختلفة وتقلدت الوظائف الهامة واضطلعت بالمسؤوليات الحساسة على مر السنين. كما ساهمت مساهمة أساسية في تنظيم وتدريب وحدات هذا الجيش وتشكيلاته واشتركت معها في الحربين الأولى والثانية. وأما الحربين الثالثة والرابعة فقد كانت لي علاقة غير مباشرة بهما بشكل أو بآخر كما جاء في شرح وقائعها .

وسيجد القارئ في تفصيلات وقائع المعارك المختلفة الكثير من الشروحات المعتمدة على معلوماتي المباشرة ومذكراتي من خلال المراكز التي شغلتها في مختلف القيادات في الجيش العربي بالنسبة لعمليات وحداته وعلى المعلومات التي كانت تتوفر لدي من طبيعة علاقاتي الرسمية مع الجيوش العربية الشقيقة واتصالاتي المباشرة معها ضمن واجباتي في المراكز التي توليتها ولاسيما عندما اصبحنا جزءاً من القيادة العربية المشتركة .

وبالإضافة الى خبراتي ومعلوماتي المباشرة فقد درست الكثير من الكتب والمراجع التي

نشرت عن هذه الحروب وأعتمدت عليها في بيان مطالعاتي التي ابديتها بنتيجة استعراض وقائعها متوخياً الدقة التامة والحياد والنقد البناء حيثما ورد النقد وذلك لكي يكون وصف الأحداث حقيقياً كما حصلت فعلاً بدون تشويش أو مبالغة أو غموض وليصبح تأريخها صحيحاً ومفيداً وموثوقاً .

وأما ما ابديته من آراء أو تعليقات عن مختلف الوقائع والأحداث فإنها لا تعدو كونها آرائي الشخصية التي حاولت جهدي أن تكون هادفة وبعيدة عن الغرض فإن اصبحت في ابدائها فقد حققت الغاية المقصودة من ابدائها وحصلت الفائدة المتوخاة منها. وان اخطأت فإن لي عذر المجتهد الذي حاول استنباط الحقيقة وجانبه الحظ وفي كلتا الحالتين فقد حاولت جهدي ان اقدم كتاباً مفيداً آملاً أن لا يكون القارئ قد أضاع وقته في الإطلاع عليه .

وختاماً فأني أرجو الله سبحانه أن يوفقنا لما فيه خير الوطن ويهدينا إلى سبل الرشاد إنه سميع مجيب .

المؤلف



توطئة تاريخية

إن الحروب العربية الإسرائيلية التي سوف استعرض أحداثها في هذا الكتاب قد وقعت أساساً بسبب قضية فلسطين. كما أن ما أعقب هذه الحروب أو واكبها من أحداث جسام في مختلف اقطار العالم العربي كانت تتصل بصورة مباشرة أو غير مباشرة بهذه القضية .

أما لماذا وجدت قضية فلسطين وتطورت مع الأيام والسنين حتى أصبحت في واقعها كارثة الأمة العربية ومأساتها المزمنة فهذا ما سوف نلمس بعض أبعاده من متابعة تفصيلات أحداث هذه الحروب في الفصول القادمة . ولكنني سوف أحاول هنا ان اعرض في هذه التوطئة لمحة موجزة عن بدايات وتطورات هذه المشكلة لكي اعطي للقارئ خلفية ذهنية قبل ان يتقدم في قراءة تفصيلات الاحداث التي سوف يتضمنها هذا الكتاب ولتكون مدخلا معقولا لفهم أسباب حدوثها بهذا الشكل الذي حدثت فيه والمصير الذي آلت إليه .

إن معظم الكوارث التي حلت بوطننا العربي وعلى الأخص خلال الخمسين سنة الماضية كانت تدور حول قضية فلسطين او تتصل بها. فلو استعرضنا ما حدث في مختلف الأقطار العربية من إنقلابات عسكرية أو حروب اهلية أو مشاكل داخلية أو حروب ضد القوات الإسرائيلية على أرض فلسطين أو غيرها من الأقطار العربية لوجدنا أنها تتصل بهذه القضية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. كما ان المقاومة العربية بمختلف مراحلها وحركات التحرير في جميع أنحاء الوطن العربي الواسع ليست إلا مؤشراً هاماً لمحاولات امتنا الماجدة على مدى الأجيال والعصور في مقاومة الهجمات الشرسة التي ما فتى الاستعمار يشنها على وطننا بهدف احتلاله واستعباد امتنا ونهب خيراتها .

ولكن ماهي قضية فلسطين ولماذا أصبحت بالنسبة لنا وللعالم (قضية) وهي لم تكن كذلك قبل مطلع هذا القرن ؟ هذا هو السؤال الذي سأحاول الإجابة عليه في سياق حديثي بهذه التوطئة. ولكنني لست معنياً هنا بالدخول في تفصيلات علاقة اليهود بفلسطين في العصور القديمة وما يدعونه من حقوق لهم فيها لأن جميع وقائعها مثبتة في بطون الكتب

وليس هنا مجالها . ولكنني سوف أوجز لمحة عن الوقائع الهامة المتعلقة بهذه القضية والتي حدثت منذ نهاية القرن التاسع عشر والتي آلت بفلسطين الى ما هي عليه الآن وذلك لأن هناك بداية المأساة ومصدر الكوارث ومحور الصراع .

قلو أمعنا النظر في تسلسل أحداث التاريخ لوجدنا أن أصول هذه القضية قد بدأت تتكون مع بدايات ظهور الحركة الصهيونية ودعوتها لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين رغم انها لم تكن أرضاً خلاء بلا سكان لكي يؤسسوا فيها وطناً لأقوام ليسوا بلا أوطان بل هم مواطنون من مختلف بلدان العالم ومن أصول جنسياتها ارادوا جلبهم إلى فلسطين ليستوطنوا فيها رغم انها بلد عربي مليء بسكانه الأصليين الذين هم الشعب العربي الفلسطيني .

ولقد كان معهم أقلية من اليهود عاشوا بهذا البلد حياتهم الطبيعية كباقي سكانه يتمتعون بكامل حقوقهم وواجباتهم الوطنية ولم يعترض على وجودهم أحد. كما عاشت اقليات يهودية أخرى في مختلف الاقطار العربية كمواطنون يحملون جنسياتها ويتمتعون بكامل حقوق المواطنة فيها. ولا عجب فاليهودية هي إحدى الديانات السماوية الثلاثة التي انزلها الله سبحانه وتعالى لهداية البشر بمختلف اجناسهم واللوانهم واعتنقها الكثيرون من شعوب الأرض المختلفة .

أما المؤسس الفعلي لهذه الحركة فهو رجل نمساوي اسمه الدكتور ثيودور هيرزل (Dr. Theodore Herzil). وقد بدأ دعوته في كتاب نشره عام ١٨٩٥م واسماه (الدولة اليهودية) وقال فيه أن الحل الجذري للمسألة اليهودية يكمن في إنشاء دولة لهؤلاء الذين اصبح وضعهم لا يطاق في البلاد التي يضطهدون فيها وكان يشير بذلك إلى المذابح التي تعرض لها اليهود في بولندا ورومانيا وروسيا. والتي بلغت ذروتها في عام ١٨٨٢م. وقد دعى هيرزل الى إنشاء وكالة يهودية تتولى الشؤون التنظيمية والسياسية. وإلى تأسيس شركة يهودية تتولى مسألة التنظيم المالي والإقتصادي. وعلى أثر ذلك انعقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بال) في سويسرا عام ١٨٩٧م ووضع هذا المؤتمر برنامج الحركة واوصى بأن تكون الدولة اليهودية المقترحة في فلسطين والتي أسماها (أرض اسرائيل). كما قرر تأسيس شركة يهودية تكون مهمتها شراء الأراضي وإقامة المستوطنات عليها في فلسطين.

ولكن لماذا تعرض اليهود الى هذه المذابح في مختلف البلدان الأوروبية مع أنهم من سلالات شعوبها. فمثلاً كان اليهودي البولندي يذبحه بولندي آخر لكنه مسيحي. وكذلك الحال بالنسبة لليهودي الألماني والإسباني والروماني والروسي وهكذا. وعلى هذا الأساس

فإن هذه المذابح كانت تتفد على خلفية دينية وليس على أساس عرقي أو قومي. أي أن اليهودي البولندي مثلاً كان يذبحه ابن جلدته ومواطنه البولندي المسيحي لأنه يهودي فقط وليس لأنه بولندي. وهكذا الحال بالنسبة لباقي البلدان التي جرت فيها مذابح ضد اليهود .

ولكن أحداً لم يتطرق الى حقيقة ان اليهود لم يتعرضوا أبداً لأي نوع من المذابح أو الاضطهاد في أي بلد عربي أو إسلامي عبر عصور التاريخ رغم أنهم عاشوا في هذه الديار مئات السنين وكانوا يحظون بكامل حقوق المواطنة والحرية التامة ورغد العيش ويجمعون الثروات الطائلة من مختلف الاعمال التي كانوا يمارسونها بكل حرية وبدون أية قيود او شروط أو تمييز. حياتهم مأمونه وكرامتهم مصانة في جميع الظروف والأحوال .

فلماذا إذن يدفع الفلسطينيون والعرب الآخرون ثمن ظلم الألمان والروس والبولنديين والإسبان وغيرهم من الشعوب الأوروبية لمواطنيهم وبني قومهم من الذين يعتنقون الديانة اليهودية ؟ لا أحد في هذا العالم يحاول الإجابة .

وفي عام ١٩٠١م قابل الدكتور هيرزل السلطان عبد الحميد الثاني في اسطنبول وعرض عليه أن يمنح اليهود حق إقامة المستعمرات في فلسطين مقابل قرض مالي يقدمه البنك الصهيوني إلى الحكومة التركية. ولكن السلطان رفض هذا العرض .

وبهذه الأثناء نشط زعماء الصهيونية باتصالاتهم مع الحكومة البريطانية التي عرضت عليهم إقامة وطن لليهود في (أوغندا) بإفريقيا أو في منطقة العريش وسيناء. ولكن المؤتمر الصهيوني رفض هذين الاقتراحين وأصر على أن يكون الوطن المطلوب لليهود في فلسطين .

وفي عام ١٩٠٨م بدأت الخطوات العملية عندما قرر المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في (لاهاي) في بلجيكا إقامة شركة أراضي فلسطين ومنحها قرضاً ضخماً من البنك القومي اليهودي لبناء منطقة سكنية للمهاجرين اليهود بجوار مدينة يافا. وكان هذا المشروع هو نواة مدينة تل أبيب .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى تقدم أحد زعماء الصهيونية واسمه (هربرت صموئيل) بمذكرة الى الحكومة البريطانية وبعض اعضاء البرلمان تتضمن خطة لتأسيس دولة يهودية في فلسطين تستوعب من ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودي. وقال في مذكرته (سوف تؤسس بجوار قناة السويس دولة يهودية مخصصة لبريطانيا) .

وليس من قبيل الصدفة أن يصبح (هربرت صموئيل) أول مندوب سامي تعينه الحكومة البريطانية لفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى .

أما على صعيد الدول الإستعمارية وفي طليعتها بريطانيا وفرنسا فقد كان نشاط زعماء اليهود فيها على أشده خلال هذه الحقبة من الزمن وعلى جميع الأصعدة للحصول على تأييد عملي لحركتهم وأخذ موافقة رسمية على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

ولقد كان أكبر حافز لبريطانيا وفرنسا لمساعدة اليهود في تحقيق اهدافهم هو أنهما كانتا تعرفان مدى العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة بين المانيا وتركيا حيث بدأت المانيا بتحديث القوات المسلحة التركية منذ عام ١٨٨٣ م. وكانت العلاقات بينهما قد ازدادت توثقاً بعد سيطرة ضباط الاتحاد والترقي على الحكم وأصبح واضحاً ان تركيا سوف تدخل الحرب عند نشوبها الى جانب المانيا. كما ان بريطانيا وفرنسا كانتا تعرفان عمق الخلاف بين الأحرار العرب والحكام الأتراك من رجال الاتحاد والترقي بسبب إصرار هؤلاء على طمس الهوية العربية وصهرها في بوتقة التتريك. كما كانتا تعرفان مدى جدية الدعوة إلى تحرير الاقطار العربية واستقلالها وادركتا بنفس الوقت مدى خطورة هذه الحركة حيث أنها لو نجحت في توحيد الولايات العربية الشاسعة واستقلت في دولة عربية واحدة فإنها سوف تصبح قوة هائلة بفضل مركزها الاستراتيجي الهام ومواردها الطبيعية الضخمة وكثافة سكانها. وعندئذ فإنها سوف تصبح خطراً حقيقياً يهدد مصالح الدول الاستعمارية في هذه الرقعة من العالم. فبريطانيا كانت تحتل مصر وتسيطر على قناة السويس وهي تريد ان تبقى طرق مواصلاتها البحرية والبرية مع الهند والشرق الأقصى مفتوحة وتحت سيطرتها. ولتحقيق ذلك لا بد لها من أن تضمن بسط سيطرتها وتثبيتها على بلدان المشرق العربي بعد ان تنهزم المانيا وتركيا في الحرب. ولذلك فإن بريطانيا وفرنسا قررتا ان تحولا دون تحقيق وحدة هذه البلدان العربية ودون نيل استقلالها بأي ثمن لكي تضمنتا تحقيق اهدافهما الاستراتيجية. ومن هنا فقد توافقت مصالحهما مع مصالح الحركة الصهيونية. فهذه الحركة تريد تحقيق حلمها الأزلي بتأسيس دولة يهودية في فلسطين وهذا لن يتحقق الا بمنع قيام الوحدة العربية من جهة وبضمان استمرار دعم ومساندة الدول العظمى لدعوتها من جهة ثانية. وبنفس الوقت فإن هذه الدول العظمى تريد ضمان مصالحها الرئيسية في العالم العربي وهذا يتطلب منها ان تحول دون تحقيق الوحدة العربية لأن في تحقيقها تهديد خطير ومباشر لتلك المصالح. وفي هذا المجال فإن تلك الدول العظمى تستطيع الاستفادة من القوى الصهيونية في مختلف انحاء العالم ومن وجود دولة يهودية في فلسطين حيث ستصبح المستقبل سيفاً مسلطاً على رقاب العرب. ولذلك فقد اصبح التعاون بينهم أمراً حتمياً. واخذ يتنامى على مختلف الأصعدة العلمية والاقتصادية والعسكرية. واخذت الحركة الصهيونية

تقدم لبريطانيا وحلفائها كل ما يطلبونه من عون ومساعدة. والثن هو ان تجعل من فلسطين وطناً قومياً لليهود بعد انتصارها في الحرب. ولتنفيذ هذا المطلب اصدرت بريطانيا بتاريخ ٢ تشرين ثانى عام ١٩١٧م وعد بلفور الذي وعدت بموجبه أن تعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وبعد نهاية الحرب وقعت بريطانيا مع فرنسا معاهدة (سان ريمو) بتاريخ ٢٥ نيسان عام ١٩٢٠م التي بموجبها قررتا تنفيذ معاهدة (سايكس بيكو) التي سبق أن وقعتاها اثناء الحرب وتقاسمتا بموجبها مناطق النفوذ وقررتا بناء على ذلك تقسيم الوطن العربي الى دويلات تخضع لنفوذهما. فاستعمرت فرنسا سوريا ولبنان واستعمرت بريطانيا فلسطين ووضعت العراق وشرق الأردن تحت حكمها بما عرف باسم الانتداب. وهو نوع من التسمية النمقة للإستعمار. وهكذا تحقق لهذه الدول الاستعمارية جميع أهدافها التي وضعتها منذ البداية وهي منع وحدة الأمة العربية وتكريس تجزئتها الى دويلات تقع جميعها تحت نير الاستعمار الفرنسي والبريطاني .

ولتحقيق تأسيس دولة يهودية في فلسطين فتحت بريطانيا الأبواب لهجرة اليهود اليها من جميع انحاء العالم حيث بدأوا بإستعمارها تدريجياً بإشراف ودعم قوات الاحتلال البريطاني .

وهكذا أصبحت فلسطين قضية ومشكلة اخذت تتطور على أرض الواقع من سيء الى أسوأ عبر السنين رغم المقاومة غير المتكافئة التي كان يبديها اهلها ومن ينضم اليهم من أبناء الاقطار العربية في النضال ضد المستعمرين الإنجليز وضد اليهود الذين ما لبثوا أن اسسوا كافة تنظيماتهم السياسية والاقتصادية والإدارية والعسكرية اللازمة لبناء أطر دولة إسرائيل تحت بصر حكومة الانتداب وسمعتها. كما أخذوا يبنون مستعمراتهم في مختلف أرجاء فلسطين على الأراضي التي كانوا يحصلون عليها أما من املاك الدولة التي ورثتها الحكومة البريطانية المستعمرة عن الدولة العثمانية المنكسرة رغم انها جميعها اراض عربية ولا علاقة للأتراك أو الإنجليز بها لكي يستولوا عليها ويتوارثوها من مستعمر الى آخر ثم يمنحوها لليهود القادمين من مختلف بلدان العالم كمهاجرين .

وأما من الأراضي التي كانوا يشترونها من مالكيها في غفلة من الزمن بسبب فقرهم وحاجتهم لأثمانها بنتيجة سياسة الضغط البريطانية ولكن مهما اختلفت الأسباب والأساليب فالنتيجة واحدة وهي أن اليهود كانوا يحصلون على الأرض ويببنون عليها عشرات

المستعمرات الاستيطانية بسرعة مذهلة. مما مكنهم بالنهاية من إستيعاب مئات الألوف من المهاجرين الذين بنوا دولة اسرائيل على أنقاض الشعب العربي الفلسطيني.

ومع مرور الزمن كان اليهود يزدادون قوة ومنعه وتتضاعف اعدادهم وتنتشر مستعمراتهم لتملأ معظم مساحات فلسطين. ولإظهار زخم هذا التسارع باستقدام اليهود إلى فلسطين يكفي ان نعرف أن عدد السكان اليهود في فلسطين عند صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م كان لا يتجاوز ثمانين ألف نسمة وأصبح عند صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧م ستمائة الف أي أن عددهم تضاعف أكثر من سبعة أضعاف خلال ثلاثين عاماً .

وبالمقابل كان العرب يزدادون ضعفاً وتشتتاً وتفرقاً. وتتحول أراضيهم الخصبة الى بوار وتتحول قراهم الى خرائب بعد أن هجرها أهلها وتشرذوا في بلاد الله الواسعة .

ومع مرور الزمن تحولت فلسطين القضية الى فلسطين النكبة. وأخيراً وقعت الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م وكانت هي نقطة التحول الكبرى في تاريخ الأمة العربية حيث دخلت بعدها في مرحلة رهيبة من التمزق والضياع والتفرقة والخلافات المستديمة .

وفي هذا الجو المحموم من التناحر والتنابد استغل الاستعمار تلك الفرصة النادرة المتاحة وأخذ يستخدم مختلف الأساليب لتكريس الخلافات بين الدول العربية وتعميقها وتحويلها الى عداوات مريره وصلت في بعض الأحيان إلى الصدامات المسلحة. فانصرفت انظار الأمة العربية عن عدوها الحقيقي وتحولت جهودها الى محاربة بعضها بعضاً وهي تعرف أنها بذلك تهدر طاقاتها وتستهلك مواردها بدون جدوى وكأنها تسعى إلى تدمير ذاتها .

وبالمقابل أخذت اسرائيل تبني قدراتها العسكرية وتطور صناعاتها الحيوية رغم اعتمادها الكامل في مستلزماتها المالية على مصادر خارجية، حتى وصلت إلى مستوى الدول الكبرى في قدرة قواتها المسلحة. بينما استمرت الأمة العربية في خلافاتها وهدر طاقاتها الهائلة على مذبح التناحر والعناد وما زالت تتدهور الى مستويات متفاوتة من الفرقة والضعف رغم توفر كل أسباب القدرة والمنعه لديها من مواردها الطبيعية الضخمة وطاقاتها البشرية الهائلة وعلى الرغم من هذه الأوضاع المتردية التي سادت جميع ارجاء الوطن العربي فقد جرت عدة محاولات على طريق تحقيق الوحدة العربية. منها محاولات سياسية استهدفت توحيد قطرين عربيين أو أكثر. ومنها انقلابات عسكرية اعلن القائمون عليها ان هدفهم تحقيق الوحدة العربية على اعتبار ان من سبقوهم في الحكم كانوا عقبة في سبيل تحقيقها. إلا أنه لم

يكتب لهذه المحاولات جميعها أن تعمر طويلاً وما لبثت حتى انفرط عقدها وعاد كل قطر الى استقلاليتها .

أما لماذا آلت حال الأمة العربية الى هذا الوضع المأساوي المتخاذل فإنني أرى أن الأسباب في معظمها ترجع إلى العوامل الأساسية الآتية :

أولاً : لقد عمد الاستعمار الى تقسيم البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى إلى كيانات متعددة ورسم لها حدوداً تتناسب مع مصالحه. وقد كرست الدول الغربية المستحدثة هذا التقسيم واعتادت عليه مع الزمن ضمن إطار قومية قطرية كرسوها وأصبحوا يعتقدون أن هذه هي قوميتهم .

ثانياً : بما أن هذه الدول المختلفة قد نالت استقلالها بعد مرحلة حكم الاستعمار وأصبحت دولاً ذات سيادة وارتبطت مصالحها وأسباب معيشتها مع ذلك الكيان المستحدث فإنها أصبحت ترى ان قيام الوحدة العربية يهدده من اساسه. ولذلك فإنه يتوجب عليها أن تدافع عنه وتحميه من أخطار قيام الوحدة العربية كلما لاح هذا الاحتمال في الأفق. وهكذا فقد أصبحت الأمة العربية تتكون من العديد من الدول المستقلة التي تختلف كل واحدة منها عن الاخرى اختلافاً جذرياً. وأصبحت علاقاتها مبنية على أساس المصالح القطرية المحدودة قبل كل شيء. وبالنتيجة فإنها اخذت تتصرف وكأنها قومية منفصلة وجنسية قائمة بذاتها تختلف عن جنسيات اشقائها في الاقطار الأخرى .

ثالثاً : ان مصالح الدول الاستعمارية غربية كانت أم شرقية تستلزم أن لا تصبح للأمة العربية دولة واحدة موحدة أو دولة اتحادية أو حتى على الأقل مجموعة اتحادات بين دولها المستقلة. لأنها بهذه الحالة قد تصبح قوة ضخمة تهدد مصالح الاستعمار المتمثلة باستغلاله لمصادر النفط العربي وغيره من المعادن والخامات الطبيعية ومراكزه الاستراتيجية الهامة .

فهي لذلك قاومت وسوف تستمر في مقاومة كل محاولة تهدف الى تحقيق أي نوع من أنواع الوحدة أو الاتحاد بين أي من الأقطار العربية مهما كان نوع نظام الحكم فيها .

ولقد نجحت حتى الآن وسوف تنجح مستقبلاً في تحقيق غاياتها أن بقيت الأمة العربية على ما هي عليه من العقلية الفردية والنزعة الانعزالية .

رابعاً : لقد استطاعت إسرائيل أن تبني قوات مسلحة ضخمة وإن تمتلك قدرة نووية لا يستهان بها. وأصبح بإمكانها أن تضرب أي مكان في العالم العربي مهما بعد عنها دون أن تحسب أي حساب لباقي الأقطار العربية الأخرى التي اعتادت أن تقف موقف المتفرج على ما يجري. وإن صدر عنها أي رد فعل فهو لا يتعدى التصريحات والبيانات المتعاطفة مع البلد الضحية واللجوء إلى هيئة الأمم المتحدة لكي تعيد لنا بعض حقوقنا المسلوبة .

ومن المؤلم حقاً أن هذه الأمة العربية العظيمة صاحبة التاريخ المجيد والامكانيات الضخمة والموارد الهائلة لا تستطيع أن تعي جدية هذا الخطر الذي يهدد كيانه من أساسه، فتتنادى شعوبها لتلم شملها وتوحد كلمتها وتكرس طاقاتها لبناء قدراتها الاقتصادية والعسكرية لتصل إلى المستوى الذي يمكنها من التصدي لهذا الخطر الماحق بفعالية واقتدار. بل إنه لمن المحزن حقاً أن نرى أننا بدلاً من ذلك ننصرف إلى المزيد من المهاترات والمناكفات ونترك الساحة خالية لمن يريد أن يستغلها .

ولقد قلت أن الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م كانت نقطة تحول خطيرة في تاريخ الأمة العربية. ولكن ماذا بعدها. وكيف تطورت الأحداث. وهل أصبح حالنا الآن أفضل مما كان عليه. وهل نحن سائرون نحو الأفضل أم إلى الأسوأ. جميع هذه التساؤلات قد تتضارب حولها بعض الآراء رغم أن تدهور أحوالنا واضح. ولكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن الأمة العربية الماجدة التي رسخت جذورها في التاريخ قروناً طويلة واستطاعت أن تتخطى المحن والنكبات عبر العصور الماضية لقادرة على الصمود أمام هذه الأخطار المعاصرة وقادرة على الذوذ عن حياضها وحماية كيانه واستعادة أمجادها وصيانة عزتها وكرامتها. ولكن كيف ؟ ومتى ؟ هذا ما يجب أن نحاول البحث عن الإجابة عليه .

وفي هذا السبيل فإنني سأعرض في صفحات هذا الكتاب ما عرفته من تفصيلات وقائع هذه الحروب العربية الإسرائيلية لعل القارئ يجد فيها بعض العبر والاستنتاجات التي قد توصله إلى قناعات معينة ترشده إلى الإجابة عن بعض تلك التساؤلات .

المؤلف

الفصل الأول

الحرب غير النظامية في فلسطين

تمهيد :

من المعروف أن المقاومة الفلسطينية ضد الاستعمار البريطاني والاستيطان الصهيوني في فلسطين قد بدأت منذ عقد العشرينات عندما تولت بريطانيا حكم فلسطين كدولة منتدبة من قبل عصبة الأمم بموجب قرارها الذي أصدرته في عام ١٩٢٢م. وعندئذ عينت الحكومة البريطانية مندوباً سامياً يتولى حكم البلاد نيابة عنها ومعتمداً على قوة الجيش البريطاني الذي احتلها بنهاية الحرب العالمية الأولى من الجيش التركي. وكانت أولى مهام المندوب السامي تطبيق وعد بلفور الذي سبق أن منحه لليهود بتاريخ ٢/١١/١٩١٧م والذي ينص على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين .

وقد كانت هذه المقاومة الفلسطينية في البداية تأخذ شكل المظاهرات والإضرابات ثم تطورت الى المقاومة المسلحة كثورات يقوم عناصرها بعمليات محدودة ضد مراكز البوليس الإنجليزي والمستعمرات اليهودية ومصادمات مع دوريات الجيش البريطاني بمختلف المناسبات. ثم ما لبث الجيش حتى يتغلب على الثوار بالنهاية ويفرض سيطرته على البلاد بالقوة إلى حين. وقد كانت آخر هذه الثورات العربية الفلسطينية تلك التي بدأت في عام ١٩٣٦م وانتهت في عام ١٩٣٩م قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية عندما أصدرت الحكومة البريطانية (الكتاب الأبيض) الذي وعدت بموجبه منح عرب فلسطين الاستقلال بعد نهاية الحرب فألقى الثوار سلاحهم بانتظار تحقيق ذلك الوعد .

وسوف لا أدخل هنا في تفاصيل أحداث هذه الثورات لأن موضوع هذا الكتاب سوف يقتصر على البحث في الحروب العربية الإسرائيلية التي اشتركت فيها الدول العربية بجيوشها النظامية. ولكنني على أي حال سأدخل في هذا البحث تلك الحركات الحربية غير النظامية التي وقعت بين العرب واليهود في فلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . لأن هذه العمليات كانت تأخذ طابع الحرب الشاملة التي اشتركت فيها القوات الإسرائيلية بشكل علني وعلى نطاق واسع وتمكنت من احتلال العديد من المدن والقرى الفلسطينية مما أدى في نهاية المطاف الى اشتراك الجيوش العربية النظامية في الحرب ضد إسرائيل كما أن تلك العمليات

تطورت الى المصادمات المستمرة بين القوات الإسرائيلية والجيش البريطاني وأصبحت باهضة التكاليف فأتخذت الحكومة البريطانية قراراً بتاريخ ٨ شباط عام ١٩٤٧م بأن تنسحب من فلسطين وتعيد مهمة الانتداب الى هيئة الأمم المتحدة وقد نفذت هذا الانسحاب بتاريخ ١٤/٥/١٩٤٨م تاركة البلاد في حالة من الفوضى المسلحة لا مثيل لها .

لقد بدأت خبرتي بالحركات في فلسطين عندما نقلت الى سرية المشاة الثانية التي كانت تقوم بحراسة القاعدة الجوية البريطانية في عاقر بجنوب فلسطين بتاريخ ١/٣/١٩٤٣ وخلال مدة خدمتي هناك اتاحت لي الفرصة أن أقوم بزيارات عديدة إلى القرى العربية المحيطة بتلك المنطقة وأتعرّف على سكانها. كما كان وجهاء هذه القرى يزوروننا في معسكرنا ويعربون عن مشاعرهم الأخوية حيث كانوا يعتبرون أن الجيش العربي هو جيشهم لاسيما وأنه لم يكن لدى العرب الفلسطينيين جيش يدافع عنهم حتى ولو كان بشكل سري كما كان لليهود .

وقد كنا نعرف معاناة عرب فلسطين بسبب ضغط حكومة الانتداب البريطاني عليهم وشدة مقاومتها لأية امكانية لحصولهم على السلاح منذ بداية عهد الانتداب حيث كان يكفي ان يكون بحوزة الفلسطيني مسدساً أو حتى طلقة عتاد لكي يحكم عليه بالسجن المؤبد أو الإعدام وأما الأسلحة القليلة التي كانوا يحصلون عليها اثناء نشوب الثورات التي كانوا ينفذونها بمختلف الأوقات فقد كانوا يهربونها عبر الحدود من بعض البلدان العربية ويجازفون بحياتهم في سبيل الحصول عليها وإيصالها ليد الثوار، وعلى الرغم من تلك الصعوبات والمشاق التي كانوا يواجهونها للحصول على تلك الأسلحة فإنها لم تكن أكثر من اسلحة خفيفة كالبنادق والمسدسات والرشاشات الخفيفة وبكميات محدودة لا تكاد تكفي لتسليح بعض الفصائل من الثوار يستعملونها في عملياتهم في حرب العصابات التي كنا نشاهدها في جبال فلسطين .

وأما اليهود فقد كانوا يستطيعون بواسطة شبكات منظمة من العملاء والوسطاء من يهود العالم اسسوها في مختلف البلدان لهذه الغاية ولا سيما في أوروبا ان يحصلوا على كميات هائلة من مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة ويهربونها الى داخل فلسطين ويخفونها في مخابئ سرية بداخل مستعمراتهم التي كانت منتشرة في جميع انحاء البلاد .

وقد كنا نعتقد في تلك الأيام أن الجيش البريطاني والبوليس الفلسطيني يقومون بمطاردة اليهود بشكل جدي لمنعهم من تهريب الأسلحة كما كانوا يطاردون العرب. ولذلك فقد كنا نستغرب عندما نرى أنهم كانوا يفتشون مستعمرة من المستعمرات اليهودية بحثاً عن

الأسلحة ولا يعثرون على أي شيء في جميع تفتيشاتهم. ولو صدف انهم وجدوا بعض الأسلحة القليلة فإنهم كانوا يكتفون بمصادرتها ولكننا لم نسمع أبداً أن حكومة الانتداب البريطاني قامت بإعدام يهودي واحد بتهمة حيازة الأسلحة طيلة مدة حكمها مثلما كانت تعدم العرب بكل سهولة .

ولم أكن في تلك الأيام استطيع فهم سبب هذه المواقف التي كنت أشاهدها في فلسطين. حيث كنت أثناء تنقلي في مختلف أرجاء البلاد ومروري من قرب بعض المستعمرات ألاحظ وجود بعض اليهود يحملون البنادق ويحرسون المستعمرة في وضع النهار، بل كنت ألاحظ بعض المزارعين اليهود الذين يحرثون الأرض يحملون الأسلحة عندما كانوا يسوقون التراكاتورات والآلات الزراعية دون أن تتعرض لهم قوات الجيش البريطاني أو البوليس .

ولقد كنت أستغرب هذه الظاهرة طالما أن حكومة الانتداب كانت تدعي أنها تحكم البلاد بشكل حيادي والجميع عندها سواء أمام القانون .

ولكن مع مرور الزمن اخذت اعرف أشياء كثيرة بعد انتقالني الى معسكر صرندد وازدياد اختلاطي بوحدات وقيادات الجيش البريطاني بحكم عملي آنذاك، ومن خلال اختلاطي بسكان القرى العربية اخذت أعرف أن هؤلاء الناس المغلوبين على أمرهم كانوا يشترون الأسلحة من أي مصدر يستطيعون الوصول إليه بأسعار خيالية ويضعونها في مخابئ سرية في قراهم. ولكن هذه العمليات كانت فردية وغير منظمة، لاسيما وأن الزعامات الفلسطينية نفسها لم تكن موحدة كما لم تكن لديها القدرة التنظيمية التي كانت لدى اليهود. فعلى أثر ثورة عام ١٩٣٦م كانت الزعامة الفلسطينية موزعة حسب تقسيمات العائلات التقليدية الرئيسية. وهذه العائلات كانت متناحرة ولم تستطع أن توحد صفوفها وتتفق على تكوين قيادة موحدة لها بحيث يمكنها أن تقود المقاومة بفعالية وكفاءة وتنظم قوة فلسطينية شاملة تضم تحت لوائها جميع فئات الشعب. أو على الأقل توحيد توجهها ضمن نطاق جهد قومي شامل. كما أن مفتي فلسطين سماحة الحاج أمين الحسيني الذي تصدر قيادة شعب فلسطين خلال السنين السابقة لم يتمكن هو الآخر من تأسيس قيادة قومية يمكنها أن تستقطب جميع الاتجاهات والطبقات التي تتكون منها شرائح الشعب الفلسطيني. وفي النهاية اضطر تحت ضغط السلطات البريطانية وملاحقتها له ان يغادر فلسطين ويعيش في المنفى ليروج لقضية فلسطين سياسياً من الخارج. وأما الذين كانوا يتولون الأمر نيابة عنه أو بإسمه فقد كان سلوكهم عائلياً كذلك وبنفس الأسلوب الذي اتبعته كافة الزعامات الفلسطينية عبر السنين

الماضية. وبالنتيجة أنقسمت ولاءات الشعب الفلسطيني بين مختلف العائلات وأصبح تائهاً لا يستطيع أن يكون قوة واحدة لها فعالية معقولة في مقاومة الصهيونية والإستعمار .

وقد كانت هذه المواقف المتباينة السبب الأساسي في بقاء الشعب الفلسطيني منقسماً على نفسه وشبه اعزل من السلاح وبدون قيادة مركزية فعالة تستطيع حمل المسؤولية في ساحة القتال عندما حانت ساعة الحسم في معركة فلسطين عام ١٩٤٨م. وبالنتيجة فقد بقي الشعب الفلسطيني على هامش الأحداث في معركة مصيره، وترك هذه المسؤولية للدول العربية التي لم تكن هي أيضاً في مستوى الأحداث لاسباب كثيرة سيأتى شرحها في مكان لاحق .

وللإنصاف فأنى أود أن أسجل هنا حقيقة أنه لايجوز أن يتحمل الشعب الفلسطيني كامل المسؤولية عن هذا الإهمال والتمزق الذي هيمن عليه طيلة سنوات الإنتداب البريطانى بسبب خلافات زعمائه التقليديين وعجزهم عن إبراز قيادة قومية واحدة تتولى قيادة هذا الشعب المناضل بفعالية واقتدار. لأنه لا بد لنا في هذا المجال من أن نبرز الدور الذي قام به الاستعمار في تكريس هذه الخلافات بأساليبه الخبيثة الملتوية. وظروف القهر والاستبداد التي مارسها هؤلاء المستعمرون على كافة طبقات هذا الشعب وزعاماته بمختلف اتجاهاتها. رغم أن هذه الظروف لا تعطي زعماء الشعب كامل العذر في عدم تجاوز خلافاتهم للتوصل إلى الاتفاق على تكوين قيادة فعالة واحدة تضاهي القيادة التي كانت لدى اليهود بكامل مؤسساتها التي كانت تتولى جميع شئون مخططات الصهيونية وتنفيذها. فعجز العرب بالنتيجة عن مواجهة هذا الخطر الذي يهدد كيانهم وتركوا الساحة خالية لليهود الذين تمكنوا بمساعدة سلطات الاستعمار البريطانى ان يستولوا على مساحات شاسعة من أرض فلسطين ملأوها بالمستعمرات الزراعية ومن ثم اخذوا يبنون القرى والمدن في مختلف انحاء البلاد وبسرعة مذهلة كما أنهم بنفس الوقت قاموا بتشكيل جيش نظامي سري وسلحوه أفضل تسليح ووزعوه على مستعمراتهم ليستمر بالتدريب استعداداً ليوم المعركة التي لا بد انها قادمة لكي يستولوا على فلسطين بكاملها .

وهكذا فقد استطاع اليهود (بسبب تفرق العرب وعجزهم عن توحيد طاقاتهم وقدراتهم) أن يبنوا قوتهم الذاتية بفعالية واتقان يدعمهم جبروت الاستعمار البريطانى وقدرات الصهيونية العالمية وأصبح الشعب الفلسطيني هو الضحية في هذا المعترك المحموم رغم ما كان يبذله من تضحيات جسام من خلال الثورات التي كان يقوم بها بامكانياته المحدودة التي كانت تقمعها القوات البريطانية بكل شراسة وعنف. أو عن طريق الانتفاضات الشعبية والإضرابات التي كان بعضها يدوم عدة أشهر ويسقط خلالها العديد من الضحايا من شباب

فلسطين ويذهب العديد من رجالاتها الى غياهب سجون الاستعمار البريطاني عنوة وقهراً . ولكن ويا للأسف فقد ذهبت كل هذه التضحيات هباء لعدم وجود القيادة الفلسطينية الواحدة المؤهلة القادرة على توحيد صفوف الشعب واستقطاب جهوده وتحقيق امانيه القومية . حيث بقي مشتتاً بين قيادات اسمية متناحرة وموزعة حسب انتماءاتها العائلية المختلفة بعيدة عن محور الخطر القادم بزخم شرس وبالتالي فإنها لم تكن مؤهلة لتكوين قيادة مركزية فعالة ومنظمة بحيث يقترب مستواها من مستوى القيادة المركزية ذات السلطة والفعالية والتنظيم التي كانت تضمنها الوكالة اليهودية لشعبها . لكي يكون للقيادة الفلسطينية أمل بكسب المعركة، وهكذا فإن الشعب الفلسطيني قد ابطلت فعاليته كشعب مناضل وحرر من امكانية الاستعداد الصحيح لحماية نفسه أمام الغزوة الصهيونية التي قدمت إلى فلسطين مسلحة بوعده بلفور وحراب الجيش البريطاني لتقتلع شعبها من دياره ووطنه وتنزعه من مكانه . وقد استغل اليهود هذا التشرذم الفلسطيني والاهمال الرهيب من قبل قادته التقليديين وانهمكوا بتكوين جيش نظامي ضخم تحت ستار السرية التامة التي كانوا يصفونها على حركاتهم ظاهرياً . ولكن حقيقة الأمر هي ان بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين كانت على علم تام بجميع نشاطات اليهود في هذا السبيل . وأهم دليل على ذلك أن الجنرال الانجليزي أورد وينجيت (Ord Wingate) كان المشرف الرئيسي على بناء الجيش اليهودي وتدريبه . ولا يمكن أن يقوم بهذا العمل بدون علم حكومته وهو ضابط نظامي في الجيش البريطاني . كما ان الانجليز أسسوا مدرسة تدريب للجيش اليهودي لتدريب الضباط على غرار المدارس المستعملة في الجيش البريطاني . وفي وقت لاحق وافقت الحكومة البريطانية على تشكيل لواء مشاه يهودي وارسلته بعد إتمام تدريبه للقتال في جبهة ايطاليا وأدخلته ضمن تشكيلات الجيش الثامن البريطاني وبعد انتهاء الحرب العالمية تم تسريح هذا اللواء من الجيش البريطاني وعاد الى فلسطين لينضم جميع افراده الى الجيش اليهودي حيث أصبح بمثابة العمود الفقري لهذا الجيش بما لديه من ضباط وما اكتسبه من تدريب وخبرة عملية وتمرس في فنون القتال في الحرب الفعلية .

وعندما نقلت من مطار عاقر الى معسكر صرفند الذي كان عبارة عن قاعدة ضخمة للقوات البريطانية بتاريخ ١١ آذار عام ١٩٤٤م حاولت خلال فترة وجودي بهذا المعسكر التي دامت حوالي سنتين ان أبحث في كل ما كان يدور حولي من مظاهر تغلغل اليهود بإعداد كبيرة في مختلف الإدارات للجيش البريطاني .

وحيث كنا قد أسسنا بهذا المعسكر مدرسة تدريب للجيش العربي ويتضمن نشاطها

تدريب سرايا المشاة التي تشكلت منها الحامية الأولى في فلسطين والحامية الثانية في العراق وكانت واجباتها تنحصر في حراسة القواعد البريطانية ونقاط التكديس وخطوط المواصلات لهذه القوات بموجب المعاهدة الأردنية البريطانية ولما كنت أشغل وظيفة أركان حرب لمدرسة التدريب هذه فقد كانت طبيعة عملي تقتضي ان اتصل مع قيادات القوات البريطانية من مختلف مستوياتها فيما يتعلق بواجبات سرايا الجيش العربي ومستلزماتها الإدارية. وقد كان هذا يتطلب أن أقوم بمراجعة الضباط والإداريين في تلك القيادات البريطانية. وعن هذا الطريق كنت أستطيع الحصول على الكثير من المعلومات .

وقد كان معسكر صرفند يعج بالألوف من اليهود المجندين في الجيش البريطاني رجالاً ونساءً حيث كانت الحكومة البريطانية تسمح بتجنيد اليهود في الجيش البريطاني ولقد كنت أرى ضباطاً من مختلف الرتب من اليهود يعملون في غالبيتهم في الإدارة والاستخبارات وسلاح الصيانة والهندسة والمستودعات. وأما النساء فيخدمن في أعمال السكرتارية في معظم المكاتب وفي أقسام التمريض في المستشفيات وفي النوادي وخلافها وبعضهن يعملن في سواقة السيارات الصغيرة التابعة للقيادة .

كانت هذه الصورة مفاجئة لي في البداية حيث لم أكن اعرف أن اليهود في فلسطين يجندون في الجيش البريطاني مثلهم مثل الإنجليز بل كنت اعتقد أنهم يستخدمون كمدينين فقط بوظائف مختلفة. ولكن هذه المفاجأة ما لبثت أن زالت بعدما اخذت الأمور تتضح أمامي مع مرور الوقت وبعد ان ازداد اختلاطي مع الضباط الإنجليز من مختلف المستويات واخذت اعرف المزيد من المعلومات عن هذا الموضوع .

ورغم أننا كنا نشعر بخطورة بناء القوة اليهودية التي كانت الوكالة اليهودية لا تألوا جهداً في تسليحها وتدريبها على الأسس العسكرية الحديثة ورغم ما كنا نلاحظه من تغاضي الإنجليز عن تحركات اليهود في هذا الاتجاه فإننا لم نكن نقدر في ذلك الوقت أننا بعد مرور أربعة سنين فقط سنقاتل هذه القوات اليهودية في معركة حربية سياسية غريبة في عام ١٩٤٨م كما سيأتي شرحه في مكان لاحق .

بدأت اسمع عن العصابات اليهودية بعد انتقالي الى معسكر صرفند ولم أكن قد عرفت الشيء الكثير عن اسمائها أو نشاطاتها .

وكانت أول مناسبة سمعنا عنها عندما قامت مجموعة من المسلحين بالهجوم على مستودع للأسلحة في منطقة معسكرات صرفند وقد تمكنت من سلب عدد من البنادق

والرشاشات. وكانت الحراسة على هذا المستودع من الجنود الانجليز. وكان واضحاً من هذا الحادث أنه لا يمكن أن يتم بدون تواطؤ المسؤولين عن المستودع لأنه أثناء هذا الهجوم المزعوم لم تطلق النار من قبل الحراس بشكل جدي لأنه لم يصب أحد من المهاجمين .

بعد ذلك اخذنا نسمع الكثير عن حوادث تهريب الأسلحة من الخارج وعن قيام البوليس بتطويق بعض المستعمرات وتفتيشها بحثاً عن الأسلحة المهربة ولم يعثروا على شيء. وقد شاهدت بنفسى بعض هذه العمليات عندما كنت أمر صدفة من قرب المستعمرات أكثر من مرة والاحظ قوة من البوليس تطوقها لهذه الغاية .

لقد كان اليهود في هذه الفترة يعملون ليلاً ونهاراً على استقدام المهاجرين الى فلسطين بمختلف الوسائل والأساليب لاسيما من الذين سبق لهم خدمة عسكرية في مختلف جيوش العالم وخصوصاً من الضباط والفنيين. كما كانوا يعملون بكل نشاط وهمه بواسطة تنظيمااتهم السرية في مختلف البلدان الأوروبية والأمريكية لتهريب الأسلحة والذخائر وتخزينها في مستودعات سرية بداخل مستعمراتهم المنتشرة في جميع انحاء فلسطين .

ومع مرور الزمن اخذت تتضح أمامى معالم بناء القوة العسكرية اليهودية التي كانت في ذلك الوقت تعتبر من قبل حكومة الانتداب البريطانى ظاهرياً أنها ممنوعة وغير قانونية. ولكن في الحقيقة والواقع ان الانجليز كانوا يساعدون اليهود على بناء قواتهم العسكرية تحت ستار من مختلف التبريرات والاعذار المفضوحة. فمثلاً كنا نلاحظ وجود حراس من اليهود يرتدون ملابس البوليس ويقومون بحراسة المستعمرات والمزارعين عندما يخرجون للعمل في الحقول. وقد عرفنا فيما بعد أن هؤلاء الحراس ينتمون الى قوة شكلتها حكومة الانتداب من اليهود وسلحتها للدفاع عن المستعمرات وسمتها البوليس الإضافى. ولكن هذه القوة كانت فعلياً تابعة للمستعمرات وليس لقيادة البوليس. بحجة أن قوة البوليس الرسمى لا تكفى لحماية المستعمرات. وقد بدأت حكومة الانتداب بتشكيل هذه القوة أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م. ومن الطبيعى أن تتخذ حكومة الانتداب مثل هذه الإجراءات المتحيزة التي تنطبق على سياستها الثابتة التي تهدف الى تحقيق قيام دولة صهيونية في فلسطين على حساب مصر سكانها العرب. وليس صحيحاً أن حكومة الانتداب البريطانى كانت تلتزم الحياد والعدالة كما كانت تدعى. أو حتى إنها كانت تطبق صك الإنتداب ووعده بلفور الذي أصبح جزءاً منه رغم كل مساوئهما. بل تعدت ذلك بكثير وكurst كل طاقاتها وقدراتها لتنفيذ مطالب اليهود فقط بصرف النظر عن حقوق العرب. حيث ان وعد بلفور رغم كل ما انطوى عليه من ظلم واجحاف بحقوق العرب أهل البلاد الاصليين فهو على الأقل

كان ينص على أن الإجراءات التي ستتخذ لتحقيق تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين يجب أن تأخذ بعين الاعتبار حقوق السكان الأصليين من غير اليهود. ولكن ما كنا نلاحظه من إجراءات تقوم بها حكومة الانتداب قد تجاوزت هذا بكثير وكانت لمصلحة اليهود فقط. فها هم يسلمون حرس المستعمرات بأعداد لا يستهان بها ويسمونهم بوليس إضافي بداعي أن قوات البوليس النظامي غير كافية لحماية المستعمرات من العرب الذين هم أصلاً غير مسلحين ومن المستحيل عليهم في ظل الظروف التي وضعهم الانجليز فيها أن يحصلوا على السلاح بأعداد وأنواع تضاهي ما لدى اليهود. ومهما كانت حجتهم فإن هذا الإدعاء لا يعدو كونه عذر أقبح من ذنب. لأنه لو كان صحيحاً أن البوليس النظامي غير كاف لحماية المستعمرات فإن الحل المنطقي يكمن بزيادة عدده وليس بتسليح اليهود تحت شعار البوليس الإضافي ومنع تسليح العرب .

والأهم من هذا كله هو الجيش الإسرائيلي الذي كانوا يسمونه (الهأغاناه) أي جيش الدفاع. وكان في البداية عبارة عن قوة صغيرة تسليحها وتديرها الوكالة اليهودية منذ عام ١٩٢٩م وأصبحت فيما بعد بفضل سياسة حكومة الانتداب سرايا مسلحة أفضل تسليح وتعمل في جميع أنحاء فلسطين. وقد كانت حكومة الانتداب تدعي أنها قوة غير قانونية. رغم أن الحكومة البريطانية نفسها هي التي كانت تدعم تنظيم وتدريب الجيش اليهودي . وقد اعارت الى الهاغاناة ضابطاً من الجيش البريطاني وهو صهيوني متعصب اسمه اورد وينجيت (Ord Wingate) ليقوم بتدريب جيش الهاغاناة .

وقد كان التدريب يتم في الخفاء بداخل المستعمرات اليهودية أو ضمن نطاقها وأما المناورات فكانت تتم خارجها. وقد كنا نلاحظ الكثير من هذه المناورات التي كانت تخرج فيها مجموعات من الشباب اليهود إلى الأرياف ومعهم الخرائط والبوصلات ويطبقون مختلف المناورات المحدودة. وكانوا يحملون العصي بدل البنادق لكي يظهروا كأنهم فرق كشافات. وكانت هذه الحركات تتم على مرأى من رجال البوليس وقوات الجيش البريطاني. وما داموا لا يحملون اسلحتهم خارج نطاق المستعمرات فإن حكومة الانتداب لا تمنعهم من ممارسة هذه النشاطات. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن (وينجيت) كان يصر على التركيز على أن يتقن الجنود اليهود أثناء تدريبهم جميع عمليات القتال الليلي بمختلف أنواعها وأهم ما فيها تحمل مشاق السير الطويل عبر المسالك الجبلية والمنحدرات الوعره وكان يقول لهم أن هذا النوع من القتال هو الذي سوف يضطرون لاستعماله بكثرة في معظم عملياتهم في المستقبل لتحقيق النصر على الجنود العرب. وهو يقصد هنا جنود الجيوش العربية. وأما

الناحية الثانية التي كان يركز عليها فهي عمل المغاوير (الكوماندوز) خلف خطوط العدو وأعمال النفس والتدمير بمختلف أشكالها. وكان هو أول من أسس هذه الوحدات في الجيش الإسرائيلي. وسنرى في المستقبل مدى ما أثبتت تدريباته هذه نجاعتها بالنسبة للجيش الإسرائيلي في قتاله ضد الجيوش العربية بمختلف الحروب .

لقد حاولت أثناء فترة وجودي في صرند أن أبحث في كل ما كان يدور حولي من مظاهر تغلغل اليهود بأعداد كبيرة في صفوف الجيش البريطاني بمختلف الإدارات، كما كنت أحاول فهم الأسباب التي جعلت اليهود يستطيعون بناء قوة عسكرية لا يستهان بها وبشكل سري خلال مدة وجود حكومة الانتداب. بينما لم يتمكن العرب الفلسطينيون من عمل أي شيء سوى ما كان يقع بين الحين والآخر من الثورات المحدودة تقوم بها فصائل من المجاهدين الذين يقتصر تسليحهم على بعض البنادق التي كانوا يهربونها بصعوبة إلى فلسطين من سوريا وشرق الأردن. ثم ما تلبث الثورة حتى تسحقها قوات الجيش البريطاني أو توقفها بنتيجة إجراءات سياسية معينة كما حدث لثورة عام ١٩٣٦م. بينما كان اليهود يستطيعون تكديس الأسلحة وتدريب الوحدات العسكرية بداخل مستعمراتهم دون أن تعترضهم قوات الجيش البريطاني بجدية وفعالية .

أما لماذا كان ذلك كله يحصل فقد كنت أحتار في الإجابة على هذه التساؤلات في البداية ولكني مع ذلك استطعت أن أجد بعض التفسيرات التي تبدو منطقية وأوجزها بما يلي:

أولاً : لقد سبق أن قامت الحكومة البريطانية بتجنيد كتيبه يهودية في فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى وضمته إلى جيش الجنرال تشيتر (Chaytor's Force) التي تركزت في غور الأردن واشتركت في عمليات احتلال منطقة جسر دامية من قوات الجيش التركي المنسحبة ثم تقدمت لاحتلال مدينتي السلط وعمان^(١) .

وهذا معناه أن تعاون الجيش البريطاني مع اليهود في المجال العسكري ليس جديداً .

ثانياً : أعلنت الحكومة البريطانية وعد بلفور بتاريخ ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧م. وأخذت على عاتقها تسهيل تطبيقه وتنفيذ جميع أهدافه. ومن أهم ركائز هذه المهمة تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وحمايتهم وتسليحهم وتأهيلهم لكي يصبح لهم دولة يتولون هم شؤونها وجيش يتولون قيادته .

(انظر نص وعد بلفور وصك الانتداب في الملحق رقم ١) .

(١) انظر الصفحة (٢٢) من كتاب حملات فلسطين للماريشال ويفل

The Palestine Campaigns Page (22) By. Field Marshal Earl Wavell.

ثالثاً : منذ أن بدأت الثورات العربية في فلسطين في مطلع العشرينات ضد الاحتلال البريطاني انتهجت حكومة الانتداب سياسة البطش والتنكيل ضد العرب ومنعتهم من حيازة أي نوع من السلاح. وبنفس الوقت كانت تقوم بتأمين حماية اليهود وتسهيل تسليحهم بمختلف الأساليب .

رابعاً : كانت الوكالة اليهودية تقوم منذ بداية الانتداب بدور حكومة يهودية بداخل حكومة الانتداب. ومن مهامها الاتصال بالجاليات اليهودية في جميع انحاء العالم وخصوصاً في امريكا لتأمين هجرة اليهود إلى فلسطين وبشكل خاص العلماء والفنيين والشباب. وجمع الأموال لشراء الأراضي في فلسطين على نطاق واسع وبناء المستعمرات في جميع انحاء البلاد وشراء الأسلحة بكافة انواعها وبمختلف الأساليب وتخزينها في مخابىء داخل هذه المستعمرات. وكل هذه الأنشطة كانت تتم تحت سمع حكومة الانتداب وبصرها .

خامساً : أما العرب الذين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من سكان فلسطين فقد كانوا يتعرضون لمختلف أساليب الضغط الخبيثة من الترغيب والاغراء الى البطش والترهيب لتسهيل مهمة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين. وما دام أن هذا الوطن القومي سيكون أصلاً على الأراضي العربية لأن اليهود لم يكونوا يملكون شيئاً يذكر منها فإن جهود حكومة الانتداب تركزت على ثلاث اتجاهات رئيسية وهي كما يلي :

١ - وضع العرب في حالة نفسية واقتصادية تجعلهم يضطرون لبيع اراضيهم الى اليهود أما بسبب فقرهم وحاجتهم الى ثمنها وأما بإغرائهم بأثمان خيالية لا يستطيعون رفضها بسبب جهلهم في تلك الأيام وعدم تقديرهم لخطورة تغلغل أساليب الصهيونية في جسم أمتهم بوسائل شتى من الخداع والغش .

٢ - تجريد العرب من السلاح ومنعهم من اقتنائه بواسطة البطش والإرهاب. بحيث إذا وجد بحوزة العربي أي سلاح كان يحكم عليه بالسجن المؤبد وإذا استعمل هذا السلاح فيحكم عليه بالإعدام وكان هذا الحكم ينفذ في معظم الحالات .

٣ - الحيلولة دون تشكيل أي تنظيم سياسي فعال يكون مسؤولاً عن السكان العرب وإدارة شؤونهم وتوجهاتهم مثلما كانت الوكالة اليهودية بالنسبة لليهود .

وقد استعملت حكومة الانتداب مختلف الأساليب لتكريس التفرقة وتعميق الخلافات بين

العائلات الرئيسية لكي تضمن استمرار تناحرها وتشاخصها فتسهل بذلك مهمة حكومة الانتداب في تنفيذ سياساتها الموضوعة لتحقيق اهداف الصهيونية، كما مارست الضغط والاضطهاد على الهيئة العربية العليا التي كانت تحاول (ولو بأساليب بدائية) أن تجعل من نفسها محوراً تجتمع حوله جميع الهيئات الوطنية الفلسطينية : وتمكنت من الغاء فعاليتها وكرست خلافاتها. وبالنتيجة الغت جميع هذه الهيئات تأثير بعضها وأخلت الساحة أمام حكومة الانتداب والمتعاونين معها لتطبيق سياساتها بدون معارضة مهمة .

وبعد استعراض هذه الصورة التاريخية يتضح أن ما كنت أشاهده من كثرة المجندين اليهود في جميع الوحدات والمرافق البريطانية في معسكر صرقند ما هو إلا استمرار للسياسة البريطانية في تطبيق وعد بلفور الذي يهدف أساساً الى انشاء الدولة اليهودية الصهيونية في فلسطين وتزويدها بجميع وسائل القوة والمنعه لكي تستطيع السيطرة على المنطقة بكاملها وتتغلب على أي قوة عسكرية قد تتوفر لدى العرب في المستقبل. والدليل على ذلك أن بريطانيا سبق أن قامت بتجنيد كتيبة يهودية في جيشها أثناء الحرب العالمية الأولى كدليل على دعمها لليهود ورغبتها في التعاون مع الصهيونية لتنفيذ مخططاتها. وها هي أثناء الحرب العالمية الثانية تقوم بتجنيد لواء مسلح كامل من اليهود وترسله إلى جبهات القتال في ايطاليا وتعتبره كوحدة من وحدات الجيش البريطاني المقاتل هناك كما جندت الوفاً غيره في مختلف القطاعات العسكرية العاملة في الشرق الأوسط. علاوة على تجنيد اعداد أخرى كثيرة من اليهود الإنجليز كضباط وفنيين وضباط صف وجنود في الجيش البريطاني بحكم جنسيتهم .

هذا وقد بلغ اهتمام الحكومة البريطانية بتسليح اليهود في فلسطين ذروته عندما اندحرت القوات البريطانية أمام الجيش الألماني بقيادة الجنرال روميل في شمال افريقيا حيث وصل الى الحدود المصرية في شهر أيار عام ١٩٤١م وأصبح يشكل تهديداً مباشراً لفلسطين. وعندئذ بدأت القيادة البريطانية العليا للشرق الأوسط بوضع الخطط اللازمة للإنسحاب من مصر وفلسطين، وباشرت ببناء خط دفاعي من الاستحكامات والعوائق المختلفة يمتد من مدينة حيفا عبر شمال فلسطين وشرق الأردن ثم يمتد شرقاً على طول الحدود السورية الأردنية حتى الحدود العراقية . واطلقت عليه اسم (خط ايدن) نسبة إلى السيد انتوني ايدن الذي كان وزيراً للحربية. وكان من المفروض أن تتمركز بهذا الخط جميع القوات التي سوف تنسحب من مصر لكي تتصدى لتقدم القوات الألمانية من تركيا عبر سوريا حيث كانت بهذه الأثناء تتقدم بداخل روسيا نحو جبال القفقاس. وكانت خطة القوات الألمانية ترمي الى التقدم من شمال افريقيا عبر مصر وفلسطين لكي تلتقي مع قواتها المتقدمة من روسيا باتجاه العراق

وايران لعزل الهند عن بريطانيا وبالتالي الالتقاء مع القوات اليابانية التي كانت تتقدم عبر جنوب شرق آسيا .

أما خطة بريطانيا فقد كانت تنطوي على الانسحاب شرقاً والوقوف في الدفاع على طول خط ايدن لمواجهة الزحف الألماني من تركيا عبر سوريا لايقافه قبل أن يتمكن من اجتياح العراق وايران .

وكان من ضمن هذه الخطة تسليح العناصر اليهودية لكي تقوم بعمليات المقاومة بداخل فلسطين في حال احتلالها من قبل القوات الألمانية. وكان الدافع لهذا القرار الذي اتخذه المستر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا هو انهم كانوا بحاجة لنقل جميع قواتهم المتواجدة في فلسطين والتي كانت تقوم باعمال الأمن الداخلي وحماية خطوط المواصلات لمختلف جبهات القتال. وقد كان تشرشل يضغط على قيادة الشرق الأوسط لكي تنقل هذه القوات بأسرع ما يمكن لتشارك في القتال الدائر في شمال افريقيا والاستعاضة عنها بتسليح اليهود ليقوموا بوظائف الأمن الداخلي في فلسطين وحماية انفسهم بنفس الوقت. وقد كان يقول لهم بصراحة «أريد أن أسلح اليهود في تل أبيب لأنهم سوف يستطيعون التصدي لأي مهاجم»^(١).

ولكن تشرشل لم يفترض أن العرب اصحاب البلد الأصليين والذين ما زالوا يشكلون غالبية سكان فلسطين رغم جميع الهجرات اليهودية التي فرضت عليهم ورغم كافة الأساليب القمعية التي استخدمت ضدهم لضمان تنفيذ وعد بلفور على أرض الواقع، هم الذين أصبحوا بأمر الحاجة لحماية انفسهم من اليهود الذين أمر الآن بتسليحهم بحجة ضرورة سحب القوات النظامية البريطانية من فلسطين إلى جبهات القتال بينما ترك العرب عزلاً من السلاح. ولم يفكر للحظة واحدة كيف سيكون حال هؤلاء العرب بعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين وترك البلاد في فراغ من السلطة والقانون بينما يمتلك اليهود فيها مختلف انواع الأسلحة التي زودتهم بها حكومة الانتداب للبوليس الإضافي وغيره. أو من الجيش البريطاني للواء اليهودي والوحدات المتصلة به من الهاغاناه أو الأسلحة التي تمكن اليهود أنفسهم من شرائها من مختلف انحاء العالم وتهريبها الى داخل فلسطين بفضل تواطؤ سلطات الانتداب أو تغاضيها أو تساهلها معهم .

(١) انظر الصفحة (٣٢٢) من كتاب الحرب العالمية الثانية المجلد رقم ٢. تأليف ونستون تشرشل

The Second World War. Valum Two Page 322. By Winston. S. Churchill.

ومع ذلك فقد كانت السلطات البريطانية تدعي انها كانت تقوم بحماية هذه الأمانة التي وضعتها عصبة الأمم بعهدتها بحياد وتجرد وبعدالة تامة بين جميع الاطراف .

وبعد فهذه أمثلة على كثير من الأنشطة التي كان اليهود يقومون بها للحصول على السلاح في تلك الأيام وكانت معروفة لدى العرب في فلسطين. ولكنهم كانوا مشغولين بخلافاتهم ومشاحناتهم وقد تركوا الساحة خالية لليهود يبذلون كافة جهودهم ويكرسون جميع طاقاتهم في مجال الاستعداد والتأهب ليوم النزال القادم .

فبعد توقف آخر ثوراتهم وصدر الكتاب الأبيض عن الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩م توقف نشاط العرب نهائياً ولم يعودوا يهتمون كثيراً بما يجري حولهم. وأصبح سلاحهم الوحيد هو القيام بالأضرابات العامة في المناسبات فقط. أما تحصين القرى العربية مقابل تحصين المستعمرات الذي كان اليهود ينفذونه بكل اتقان وجدية. أو تشكيل قوات عسكرية عربية بشكل سري وتنظيم القيادات اللازمة لها كما كان يفعل اليهود فلم يكن لدى العرب استعداد للبحث فيها الا بعد فوات الأوان .

وعلى الرغم من كل تلك المساعدات التي كان الانجليز يقدمونها لليهود والرعاية التي اضعفوها على قضيتهم. والاخلاص الذي كان يبيده ساسة بريطانيا وزعمائها وفي طليعتهم المستر ونستون تشرشل لقضية الصهيونية والعمل على تحقيق اهدافها في فلسطين على حساب مستقبل العرب وأجيالهم القادمة. فقد قلب اليهود للانجليز ظهر المجن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، فكافئوهم على تعاونهم بتدريب جيش الهاغاناة وتسليحه وتشكيل لواء مسلح يهودي وتدريبه وإرساله للقتال في الجبهات الإيطالية كجزء من الجيش البريطاني بحيث أصبح بعد الحرب يشكل العمود الفقري للقوات المسلحة الإسرائيلية. كافئوهم عن كل هذا بمهاجمة معسكراتهم في فلسطين ونسف مراكز قياداتهم وقتل جنودهم والتمثيل بهم .

وأما حالة عرب فلسطين في تلك الأيام فقد كانت تبعث على الأسى والقلق ورغم انهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى من السكان ولا تنقصهم الرجولة ولا الشجاعة ولكن كان ينقصهم بالدرجة الأولى القيادة الواحدة القادرة على السيطرة والتنظيم والتدريب والتسليح .

وقد أتاحت لي الفرصة أن اتجول كثيراً في المدن والقرى العربية وإن اتعرف على الكثيرين من الوجهاء وغيرهم من عامة الشعب . وكنت ألاحظ عمق التمزق والتشرذم بين القيادات الشعبية. حيث كانت العائلات الرئيسية التي تظهر على الساحة (ومعظم ابنائها من المثقفين والمتعلمين حملة الشهادات الجامعية العليا) منقسمة على بعضها وتهمين عليها الخلافات

الشخصية وحب السيطرة. وكانت زعامات هذه العائلات تستقطب سكان القرى حسب مناطق نفوذها. وكانت كل منطقة بالنتيجة تعتبر المنطقة الاخرى منافئة لها. فكنت تسمع مثلاً أن سكان بعض القرى مجلسيون وآخرون معارضون. وهؤلاء من جماعة المفتي وغيرهم من جماعة النشاشيبي أو عبد الهادي وهكذا . والحصلة النهائية أنهم جميعاً كانوا مشغولين بمناوأة بعضهم بعضاً . وكأنه لا يوجد في البلاد يهود يتسلحون وينظمون جيشاً ضخماً سوف يبتلع فلسطين بكاملها ان طال الزمان أو قصر . والمعركة الحاسمة لاشك قادمة .

أما حكومة الاستعمار البريطاني فقد كانت تشجع هذا التشاحن والتناحر والتشرذم بين العرب بكل ما لديها من وسائل. والعرب يرقصون على انغام مزامير الاستعمار. واليهود مشغولون عن هؤلاء واولئك بالتسليح والتدريب وبناء المستعمرات وتوسيع الاستيطان بكل انحاء فلسطين، وهذا بلاء ما بعده بلاء .

ولكي نعرف علاقة الجيش العربي بهذه الحرب غير النظامية في فلسطين والتي كانت تجري احداثها قبل وقوع الحرب العربية الاسرائيلية الاولى لابد من اعطاء لمحة موجزة عن قوات الجيش العربي في تلك الاثناء والتي كانت تقوم بواجبات الأمن الداخلي وحماية القواعد والمستودعات التابعة للجيش البريطاني في فلسطين والعراق بموجب شروط المعاهدة الأردنية البريطانية طيلة مدة الحرب العالمية الثانية .

لقد كانت قوات الجيش العربي تتكون من لواء مشاة واحد بكتائبه الثلاثة وكان يطلق عليه اسم اللواء المسلح وهو القوة المقاتلة للجيش بالإضافة الى ستة عشر سرية مشاة مستقلة. نصفها من منظمة تحت قيادة الحامية الاولى في فلسطين ونصفها تحت قيادة الحامية الثانية في العراق. وكان مجموع قوات الجيش العربي هذه جميعها حوالي ثمانية آلاف فرد من جميع الرتب، ولم يكن لدى اللواء المسلح أية أسلحة اسنادية كالمدفعية والدبابات والهندسة وخلافها كما لم يكن لديه خدمات ادارية أو فنية أو طبية متكاملة حسب الاصول العسكرية المعروفة حيث كان يعتمد أساساً على مؤسسات الجيش البريطاني.

وبتاريخ ١ تشرين ثاني ١٩٤٥م نقلت الى قيادة هذا اللواء كضابط ركن مساعداً للركن العسكري اللواء حيث كانت مسؤولياتي تشتمل على العمليات الحربية والتدريب .

وقد كانت قيادة هذا اللواء تعسكر في منطقة (خو) شرقي مدينة الزرقاء. بينما كانت إحدى كتائبه تعمل في فلسطين وتقوم بواجبات الأمن الداخلي ويتم تبديلها دورياً وفي بعض الأحيان كنا نرسل كتيبتين الى فلسطين حسب تطور الأوضاع هناك .

وفي عام ١٩٤٧ م تم نقل قيادة اللواء إلى معسكر المفرق حيث بدأنا بمرحلة إعادة التنظيم وتحويل اللواء الى فرقة مشاة كما سيأتي الشرح بمكان لاحق .

وبهذه الاثناء كذلك الغيت قيادة الحامية الثانية الموجودة في العراق لانتهاء مهمتها مع الجيش البريطاني ونقلت سراياها الى فلسطين. وقد أصبح مجموع سرايا الحاميتين تسعة عشر سرية موزعة في جميع انحاء فلسطين. وفي أواخر عام ١٩٤٧ م تم نقل قيادة الحاميتين إلى مدينة رام الله بعد صدور قرار تقسيم فلسطين عن هيئة الأمم المتحدة وأصبح واضحاً أن الانجليز سوف يرحلون عن فلسطين قريباً. ثم بدأت عملية نقل بعض سرايا هذه الحاميات الى شرق الأردن .

وقائع الأحداث :

عندما اقتربت الحرب العالمية الثانية من نهايتها في مطلع عام ١٩٤٥ م نجح حزب العمال البريطاني بالانتخابات العامة وتسلم زمام الحكم برئاسة السيد كليمانت أتلي. ثم قررت حكومة العمال هذه احياء السياسة التي كان قد تضمنها الكتاب الأبيض الذي سبق ان اصدرته حكومة المحافظين عام ١٩٣٩ م بالنسبة لقضية فلسطين .

وعلى هذا الأساس حددت هجرة اليهود الى فلسطين بمعدل (١٥٠٠) ألف وخمسمائه مهاجر شهرياً وقد رفضت الوكالة اليهودية هذا التحديد وقررت تحدي الحصار الذي فرضته السلطات البريطانية وحاولت اختراق الطوق البحري ببواخر تحمل المهاجرين اليهود من معسكرات تجمعهم في أوروبا . ولكن القوات البريطانية ردت على هذا التحدي بمهاجمة هذه البواخر واعتقال المهاجرين ونقلهم الى جزيرة قبرص. وعلى أثر هذا الحادث تصاعدت حدة التوتر بينهما وبدأت العصابات اليهودية بتنفيذ موجة واسعة من عمليات التفجير في المرافق العامة والاعتداءات المسلحة على القوات البريطانية ومعسكراتها .

ولما كانت سرايا الحامية الأولى من الجيش العربي الأردني ما زالت منتشرة في فلسطين وتقوم بواجبات الحراسة لهذه المرافق العامة. ولما كانت إحدى كتائب اللواء المسلح تعسكر في مدينة صفد في شمال فلسطين وتقوم بمهام الأمن والحماية. فقد أصبحت قواتنا هذه معرضة للصدام مع اليهود بشكل او بآخر. وبما أنها كانت تقوم بأعمال الدورية على الطرق الرئيسية كجزء من واجباتها فقد كانت دورياتها كثيراً ما تعترض دوريات اليهود وقوافلهم المسلحة وتتصادم معها .

ولمتابعة تطور المصادمات بين العصابات اليهودية والقوات البريطانية منذ البداية ولمعرفة تحولها الى الاعتداءات المختلفة على القرى والمراقق الحيوية العربية في مراحل لاحقة لابد من الإشارة الى بعض العمليات الهامة التي نفذتها تلك العصابات اليهودية بمختلف المراحل .

وعلى الرغم من ان عام ١٩٤٦م يعتبر مميزاً بكثرة هذا النوع من العمليات إلا أن عصابة الارغون كانت قد بدأت نشاطها ضد القوات البريطانية في وقت مبكر وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية. وعلى الرغم من أن مجمل عمليات العصابات الصهيونية خلال مدة الحرب كانت تتركز على التخريب ونهب الاسلحة والذخائر من مستودعات الجيش البريطاني ومهاجمة دورياته الا أن هذه العصابات كانت تقوم كذلك بعمليات نسف المرافق العامة والجسور وخلافها . ومن أهم الأمثلة على ذلك أنها وضعت المتفجرات في مكاتب الهجرة في القدس وتل أبيب وحيفا في شهر شباط عام ١٩٤٤م. كما زرعت المتفجرات في مكاتب دائرة التحقيقات الجنائية (CID) في حيفا ويافا في شهر آذار عام ١٩٤٤م. وفي شهر نيسان عام ١٩٤٤م هاجمت محطة الإذاعة .

وبعد نهاية الحرب العالمية اخذت جميع المنظمات اليهودية بما فيها قوة الهاغاناة التي كانت بمثابة الجيش النظامي تشارك في اعمال المقاومة ضد القوات البريطانية ولقد بدأت هذه العمليات على نطاق واسع بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٤٦م عندما نفذت قوات الهاغاناة بالاشتراك مع عصابة الارغون عشرة عمليات تفجير على جسور الطرق وسكك الحديد بمختلف انحاء فلسطين .

وبتاريخ ٢٢ تموز عام ١٩٤٦م قامت الهاغاناة بالتعاون مع الارغون بنسف فندق الملك داوود بالقدس حيث كان يستعمل مقراً لقيادة القوات البريطانية العاملة في فلسطين. وقد ذهب ضحية هذه العملية خمسة وتسعون قتيلاً معظمهم من الضباط والجنود الانجليز. وبعد ذلك توالى الحوادث على مختلف الأصعدة . مثل مهاجمة المعسكرات وخطف الجنود والاعتداء على القوافل العسكرية. ومن أشهر حوادث الخطف تلك التي نفذتها عصابة شتيرن حيث خطفت اثنين من ضباط الصف البريطانيين. وبعد أن قام افرادها بجلدهما وتعذيبهما شنقوهما على فروع الأشجار في إحدى البيارات ثم ربطوا بجسميهما الغاماً موقوتة لكي تنفجر عند انزال جثتيهما .

لقد كانت تصلنا المعلومات عن كل هذه الحوادث بعد وقوعها مباشرة الى قيادة اللواء المسلح عن طريق وحداتنا المرابطة في فلسطين. وكذلك كنا نستخلصها من الملاحظات

الاستخبارية التي كانت تزودنا بها قيادة الجيش كما كنت اشاهد بعضها عند حدوثها أثناء زياراتي المتكررة الى وحداتنا المتواجدة في فلسطين والتي كانت تشترك في بعضها .

من تطور مجريات الأحداث يمكن القول بأن الحرب الفعلية بين العرب واليهود في فلسطين قد بدأت عملياً على نطاق واسع بعد صدور قرار التقسيم عن هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ٢٩ تشرين أول عام ١٩٤٧م. حيث كانت الثورات الفلسطينية السابقة تستمر لفترة محدودة ثم تتوقف .

وللدلالة على نوع هذه الحرب الحالية أرى من المناسب ان أشير إلى بعض العمليات الهامة التي نفذها كل من الطرفين بأواخر عام ١٩٤٧م ومطلع عام ١٩٤٨م. وكانت على النحو التالي:

١ - بتاريخ ٤ كانون أول عام ١٩٤٧م هاجم المسلحون العرب بعض القوافل اليهودية التي كانت تنقل الامدادات من تل أبيب الى القدس وأوقعوا بها خسائر جسيمة .

٢ - بتاريخ ٤ كانون ثاني عام ١٩٤٨م قام اليهود بوضع سيارة محملة بالمتفجرات في شارع بمدينة يافا وفجروها فاحدثت اضراراً كبيرة وسقط عدد من القتلى والجرحى من العرب.

٣ - بتاريخ ١ شباط ١٩٤٨م نسف العرب مبنى جريدة البالستين بوست (Palestine Post) واحدثوا فيه دماراً كبيراً وسقط عدد من القتلى والجرحى من اليهود .

٤ - بتاريخ ١٨ شباط ١٩٤٨م فجر اليهود سيارة ملغومة في سوق الرملة وسقط عدد من القتلى والجرحى العرب بالإضافة الى الاضرار المادية الكبيرة .

٥ - بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٤٨م اوقع العرب تفجيرات ضخمة في عدة أبنية في شارع (بن يهوذا) في القدس. وهو مركز تجاري رئيسي. وقد سقط فيه أكثر من خمسين قتيلاً وسبعين جريحاً من اليهود .

٦ - بتاريخ ١ آذار ١٩٤٨م فجر اليهود بناية ضخمة يملكها العرب في مدينة حيفا ونتج عن هذا التفجير أضرار بالغة في البناية كما قتل عدد من العرب .

٧ - بتاريخ ١١ آذار ١٩٤٨م قام العرب بنسف مبنى الوكالة اليهودية. وقد كانت هذه العملية جريئة للغاية. حيث اقتحم سائق السيارة التي كانت تعود لإحدى السفارات الأجنبية (وقد حملها العرب بالمتفجرات) مبنى الوكالة ولم يشتبه به أحد من اليهود ودخل الى ساحة المبنى وأشعل فتيل المتفجر وخرج قبيل حدوث الانفجار .

وقد قتل بهذا الحادث عشرة اشخاص وجرح حوالي تسعين شخصاً جميعهم من اليهود. ويلاحظ هنا انى ذكرت هذه الحوادث بحسب تواريخ وقوعها وهي تظهر وكأنها رتبت بشكل يبين حادثاً نفذه العرب ويلييه حادث نفذه اليهود كجواب عليه . ولم يكن هذا الأمر مقصوداً أن يرد بهذا الشكل ولا يعطي الصورة الحقيقية الكاملة. لأن هذه الحوادث التي ذكرتها لم تكن سوى امثلة قصدت من ذكرها هنا ان ابرز نوعية حوادث العنف التي كانت سائدة في تلك الأيام. وهناك عشرات الحوادث الأخرى التي كانت تقع يومياً. ولم أشر إليها لأن شرحها يطول وليس هذا ما ذهبت اليه .

وقد استمرت هذه الحوادث بمختلف أنحاء فلسطين خلال الاشهر الأولى من عام ١٩٤٨م. على هذا النحو المتفرق وعلى الرغم من خطورتها فقد كان الفرق واضحاً بين موقف القوات العربية الفلسطينية غير النظامية. وبين موقف القوات اليهودية. حيث أن القوات الفلسطينية لم تكن لها خطة رئيسية واضحة المعالم لمهاجمة المواقع الحيوية الأساسية اليهودية بقصد احتلالها للسيطرة على المناطق الاستراتيجية الهامة بل كان كل هدفها التمرکز بمواقع مرتفعه ومسيطره على الطرق الرئيسية التي تمر منها قوافل اليهود في طريقها الى المستعمرات والمدن الرئيسية .

وهذه المراكز المسيطرة غالباً ما تكون بداخل المناطق العربية على أمل انهم بهذا النوع من الحصار سيتمكنون من خنق المستعمرات وتجويعها ومن ثم فإنها ستسقط بسهولة. والأخطر من هذا انه لم تكن تتوفر لعرب فلسطين قيادة فعالة بالمفهوم العسكري الدقيق قيادة على وضع الخطط التعبوية والسوقية الصحيحة وتأمين التزويد الكافي والمستمر لقواتهم المقاتلة في مواقعها بشكل سليم. كما لم تكن لديهم الآليات اللازمة لنقل مقاتليهم الى مختلف المواقع بالسرعة الكافية حسب متطلبات المعركة. كما كانوا يعانون من شح الأسلحة وتعدد أنواعها وضآلة كميات الذخيرة لهذه الأسلحة المتيسرة لديهم .

وقد كانت الغالبية العظمى من هذه القوات تتألف من شباب مدنيين مسلحين يفتقرون إلى التدريب والانضباط، ولكنه كان بينهم اعداد قليلة من الجنود وافراد الشرطة السابقين وهؤلاء كان تدريبهم جيداً ولذلك فإن وجودهم كان يساعد على تحسين الموقف إلى حد ما . وقد كانت هذه القوات تتلقى تعليماتها من رئيس الهيئة العربية العليا المفتي الحاج أمين الحسيني الذي كان مقره في دمشق بعيداً عن ساحة القتال. وينوب عنه قائد آخز يتولى قيادة العمليات في الميدان مثل السيد عبد القادر الحسيني، وهذا بالنسبة لقوات الجهاد المقدس أما بالنسبة لفئات المناضلين الأخرى التي هي اصغر حجماً في مختلف المناطق فكانت تأتمر

بأمره قادتها المحليين بشكل مستقل. وقد بدأ سماحة المفتي اهتماماته الجدية عندما عمل على تشكيل عدد كبير من اللجان القومية المحلية في القرى والمدن وأصبحت مسؤولة عن الدفاع المحلي في مواقعها. وقد عملت هذه اللجان على تجنيد أفراد الحرس المحلي وبدأت بتسليحهم وتدريبهم. ولم تكن النتائج مرضية لأن هذا الإجراء جاء متأخراً جداً. كما لم يكن متوفراً لهم القادة المحليين المدربين عسكرياً لكي يتمكنوا من تنظيم هؤلاء المسلحين وتدريبهم وتحويلهم إلى وحدات مقاتلة فعالة يمكنها ان تسيطر على الموقف وتأخذ زمام المبادرة. أو على الأقل تستطيع تنظيم الدفاع المحكم وتحصين القرى العربية بشكل يضاوي الدفاعات الحصينة المتوفرة في المستعمرات اليهودية. أما القوات المتحركة فلم تكن منظمة بشكل وحدات عسكرية بالمفهوم الصحيح. بل كانت عبارة عن مجموعات مسلحة من المدنيين يقودها قادة فصائل ينقصهم التدريب والخبرة هم انفسهم فكيف بجنودهم .

وأما في الطرف المقابل فقد كان واضحاً منذ البداية ان قوات الهاغاناة كانت جيشاً نظامياً مسلحاً ومدرباً بمستوى جيد يعمل بشكل غير علني .

ورغم أن السلطات البريطانية كانت تعتبرها غير قانونية إلا أنها لم تكن جادة في منع تكوينها، بل بالعكس فإنها قد اشتركت في تدريبها من قبل مدربين من الجيش البريطاني اثناء اشتداد أزمة الحرب العالمية الثانية. هذا بالإضافة الى حرس المستعمرات والبوليس الإضافي الذي كان عبارة عن قوات رسمية شبه نظامية جندتها حكومة الانتداب فأصبحت فيما بعد جزءاً من قوات البالماخ التي كانت القوة الضاربة للهاغاناة (جيش الدفاع الإسرائيلي) .

ولابد أن نشير هنا إلى أن اللواء اليهودي الذي جندته القوات البريطانية في فلسطين واشترك في المعارك التي دارت في الجبهة الإيطالية كجزء من الجيش الثامن البريطاني قد تم تسريحه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وانضم بكامله إلى قوات الهاغاناه التي أصبحت هي الجيش الاسرائيلي فيما بعد.

ولقد أدرك القادة اليهود منذ البداية أهمية التنظيم العسكري الصحيح والتدريب والتخطيط والإدارة والتزويد. ولذلك فقد أنشأوا أثناء حكم الانتداب مدرسة حربية للهاغاناة في (نشانيا) على غرار المدارس الحربية في الجيش البريطاني. كما بدأوا بتنظيم قواتهم بوححدات عسكرية نظامية على مستوى الكتائب. ثم نظموها فيما بعد على مستوى تشكيلات ألوية. وقد ساعدهم بذلك ما كان متوفراً لديهم من الاعداد الكبيرة من الضباط ذوي الخبرة العالية بفنون القيادة والأركان التي اكتسبوها اثناء خدمتهم في اللواء اليهودي أو أولئك الذين كانوا

أصلاً من منتسبي الجيش البريطاني أو الأمريكي وغيرهما من جيوش العالم الأخرى أثناء الحرب. ولقد كان واضحاً أن هذه القوات الضخمة التي كان العرب يسمونها (عصابات يهودية) لم تكن في الواقع سوى جيش نظامي مدرب على أكمل وجه ومسلحاً خير تسليح. والفرق بينه وبين القطعات النظامية الرسمية هو أنهم كانوا يخرجون بشكل غير رسمي ولا يحملون الرتب والإشارات العسكرية والاعلام، وينتقلون بسيارات مدينة بعضها كان عبارة عن مصفحات من صنع محلي ويحملون الأسلحة الشخصية ويقومون بأعمال الدورية وحراسة قوافل المؤن للمستعمرات. أو يخرجون بدوريات صغيرة وكماثن تتعرض لدوريات الجيش البريطاني ومعسكراته ولدوريات الجيش العربي أحياناً. والاعتداء على القرى العربية أحياناً أخرى .

وإلى جانب قوات الهاغاناه هذه بقيت عصابات الارغون وشتيرن منفصلة بقياداتها المستقلة تقوم بأعمال التدمير التي سبق ذكر بعض أمثلة منها بالتعاون والتنسيق مع الهاغاناه .

ولقد كانت للهاغاناه قيادة عامة منظمة بحسب التنظيم العسكري الصحيح وبملاك متكامل من ضباط الأركان وقادة الأسلحة والخدمات المختلفة. كما كان للوحدات والتشكيلات قياداتها وقاداتها وضباط أركانها حسب الأصول. وعلى الرغم من أن السلطات البريطانية كانت تعتبر قوات الهاغاناه غير قانونية كما كانت تدعي. إلا أنها ما أن أعلنت حكومة الانتداب بتاريخ ١٥ كانون أول عام ١٩٤٧م أن مهمة الأمن الداخلي والنظام العام سوف تسلم الى اليهود في منطقة (تل أبيب - بتاح تيكفا) وإلى العرب في منطقة يافا. حتى أخذت قوات الهاغاناه تتحرك علناً بقوافلها المسلحة وتستخدم المصفحات لحماية القوافل التي تنقل المؤن والذخائر للمستعمرات .

ورغم تقدير القيادة اليهودية لأهمية الطرق الرئيسية في تزويد المستعمرات المتباعدة فلم يكن أمامها خيار سوى إستعمال أسلوب التحرك بقوافل محروسة لنقل المؤن والذخائر إليها. وقد كانت هذه القوافل معرضة بإستمرار للاعتداء عليها من قبل المسلحين العرب الذين كانوا يسيطرون على الكثير من المواقع المشرفة على هذه الطرق، خصوصاً خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٤٨م .

وقد كانت خسائر اليهود بهذه العمليات بالأرواح والمعدات ضخمة ولا تقل عن ثلاثمائة قتيل شهرياً .

هكذا كانت وضعية المصادمات بين القوات اليهودية المختلفة وبين القوات البريطانية من جهة وبينها وبين القوات العربية غير النظامية من جهة أخرى .

والآن لابد من وصف تصاعد العمليات الحربية وتطورها خلال الأشهر الستة التي سبقت دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بعد إنتهاء الإنتداب وجلاء القوات البريطانية عن فلسطين وأوجزها بما يلي :

١ - بتاريخ ٢٩ تشرين أول عام ١٩٤٧ م. صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مشروع قرار التقسيم. وقد أيدته ٣٣ دولة ورفضته ١٣ دولة وامتنعت ١٠ دول عن التصويت. ومن بين الدول التي أيدت هذا القرار الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، وعلى أثر هذا التصويت أعلنت بريطانيا عن عزمها على الانسحاب نهائياً من فلسطين بتاريخ ١٥ أيار عام ١٩٤٨ م .

٢ - بتاريخ ٧ تشرين ثاني عام ١٩٤٧ م عقد مجلس الجامعة العربية أول اجتماع له في مدينة عالية في لبنان . وكانت الدول التي اشتركت بهذا الاجتماع هي : (مصر، سوريا، لبنان، العراق، الأردن، السعودية، اليمن) وقد قرر المجتمعون مساندة عرب فلسطين لكي يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم وبلادهم. كما قرروا تأليف لجنة عسكرية للإشراف على امداد الفلسطينيين بالأسلحة ودعم نضالهم بالمتطوعين. واختير اللواء اسماعيل صفوت (من العراق) رئيساً لهذه اللجنة. وانضم اليه المشير طه الهاشمي (من العراق) مفتشاً عاماً للمتطوعين .

٣ - بتاريخ ٨ كانون أول عام ١٩٤٧ م عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعاً في القاهرة وقرر عدم الموافقة على قرار التقسيم. كما قرر تزويد اللجنة العسكرية بثلاثة آلاف متطوع وعشرة آلاف بندقية ومبلغ مليون جنيه. وقد اختير السيد فوزي القاوقجي قائداً للمتطوعين في الميدان. وتم اختيار معسكرات في سوريا لتجميع وتدريب هؤلاء المتطوعين الذين تألف منهم جيش الإنقاذ .

٤ - بتاريخ ٢٠ شباط عام ١٩٤٨ م بدأت أفواج جيش الإنقاذ بالعبور إلى فلسطين من مختلف الطرق. حيث عبر فوج اليرموك الأول من شرق الأردن عن طريق المفرق - عمان - جسر دامايا وتمركز في منطقة نابلس .

كما عبر فوج اليرموك الثاني من نفس الطريق وتمركز في منطقة صفد. وكان مرور هذه الأفواج من أمام معسكرنا في المفرق وقد كلفتني قيادة الجيش بالإشراف على مرور تلك

القوافل عبر معسكراتنا في المفرق والزرقاء لتسهيل مرورها بالتنسيق مع قادة تلك الأفواج. وقد تمت هذه العملية بانتظام، وبهذه الأثناء عبرت باقي أفواج جيش الإنقاذ من طرق أخرى عبر سوريا ولبنان إلى فلسطين. وأصبح مجموع أفواج جيش الإنقاذ حوالي خمسة آلاف متطوع .

وضع فوزي القاوقجي قيادته في قرية طوباس وقسم منطقة عملياته الى اربعة قيادات كما يلي :

أولاً : القيادة الشمالية : ويشرف عليها القاوقجي بنفسه مباشرة وتشمل القسم الأكبر من قواته، وتوزعت في مثلث جنين - طولكرم - نابلس .

ثانياً : القيادة الشرقية : وتمركزت حول منطقة القدس. وقوامها حوالي (١٢٠٠) مناضل واتبعت الى قيادة عبد القادر الحسيني الذي كان يقود قوات الجهاد المقدس التابعة للهيئة العربية العليا .

ثالثاً : القيادة الغربية : في منطقة يافا، وقوامها حوالي (٨٠٠) مناضل عراقي ومنها مجموعة صغيرة في مدينة رام الله .

رابعاً : القيادة الجنوبية : وقوامها (٦٠٠) مناضل تمركزت في منطقة جوليس .

وهكذا فقد تحملت قوات جيش الإنقاذ مسؤولية القسم الأعظم من القتال ضد اليهود بالتعاون مع المناضلين الفلسطينيين وقوات الجهاد المقدس خلال هذه الفترة الحرجة في مطلع عام ١٩٤٨م، وبهذه الأثناء كانت الدول العربية لا تزال لم تقرر بعد بأنها سوف تدخل فلسطين بجيوشها النظامية. حيث كانت تعتقد أنها عملت مافيه الكفاية بتأليفها لجيش الإنقاذ وان هذا الجيش سوف يكون بمقدوره حماية جميع المناطق التي خصصت للعرب بموجب قرار التقسيم .

وعلى اثر ذلك اخذت العمليات الحربية بين اليهود والعرب تتطور بشكل متسارع وخطير. حيث بدأ اليهود يوسعون نطاق عملياتهم ضد القرى العربية بعد ان قبلوا قرار التقسيم. واخذوا يتجاوزون حدود تلك المناطق باحتلال بعض القرى العربية خارج نطاقها ليضموها لدولتهم المنتظر اعلان قيامها بعد انتهاء الانتداب وخروج القوات البريطانية من فلسطين .

ولكي ألقى الضوء على الوضع العام للحركات الحربية التي جرت خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٤٨م والنتائج الأليمة التي اسفرت عنها والتي كانت تصلنا المعلومات عنها في

قيادة الفرقة تبعاً وبانتظام من مختلف المصادر سوف استعرض هذه الحوادث بحسب تسلسل تواريخ وقوعها في كل منطقة كما يلي :

١ - لقد بدأ القاقوجي أولى عملياته بعد اكمال تمرکز قواته في فلسطين ضد مستعمرة الزراعة (طيرة زفي) الواقعة جنوب بيسان بتاريخ ١٢ شباط ١٩٤٨ م. وكان ينوي بعد احتلال هذه المستعمرة أن يوسع من نطاق عملياته باتجاه حيفا ويحتل عدداً من المستعمرات الأخرى أثناء تقدمه. ولكن هجومه هذا قد فشل على الرغم من تفوقه عددياً على اليهود المدافعين عنها بنسبة كبيرة. وعلى الرغم من أن الهجوم قد بدأ أثناء هطول الأمطار الغزيرة التي احوالت منطقة التقدم الى اوحال. إلا أنه لو استمر بالضغط على المستعمرة ومواصلة الهجوم بزخم وقوة لكان من الممكن أن ينجح باحتلالها. لكن سيطرته على المناضلين كانت ضعيفة لأنه كان ينقصهم الانضباط والتدريب العسكري الصحيح بحيث أنه عندما صمد اليهود في مواقعهم ونجحوا في ايقاف الاندفاع الأول للهجوم مؤقتاً توقف المناضلون عن القتال فجأة وبدون سبب معروف وبدأوا يتقهقرون الى الخلف. ولهذا السبب تكبدوا الكثير من الإصابات من القتل والجرحى وخسروا كميات من الأسلحة فانسحب القاقوجي الى قيادته لإعادة التنظيم .

٢ - احتلال مدينة طبريا :

في مطلع شهر نيسان ١٩٤٨ م تحرك القاقوجي من منطقة نابلس على رأس قوة من جيش الإنقاذ قوامها حوالي (١٠٠٠) ألف مقاتل تساندهم بطارية مدفعية ميدان قاصداً احتلال مستعمرة (مشار هاعايك) واحتل التلال المسيطرة عليها وأحكم تطويقها وأخذ يمحورها بقذائف المدفعية لمدة طويلة. وعلى الرغم من أن اليهود المدافعين عنها لم يكن لديهم سوى الأسلحة الخفيفة فإنهم تمكنوا من الصمود حتى وصلتهم النجدة من قوات الهاغاناه لأن القاقوجي لم يقيم بهجوم مركز صحيح ليقترح المستعمرة بسرعة قبل وصول النجدة اليها .

وكانت النتيجة ان قوة النجدة هذه تمكنت من صد هجوم جيش الإنقاذ الذي استمر في تطويق المنطقة من مواقعه المسيطرة على المستعمرة والتي تمرکز فيها منذ وصوله، كما استمر بقصف المستعمرة بالمدفعية دون محاولة اقتحامها من جديد. وبعد ستة أيام من الحصار بدأ القاقوجي بالانسحاب فجأة. وعندئذ تحولت قوات الهاغاناه على الفور من الدفاع إلى الهجوم ولاحقت قوات جيش الإنقاذ المنسحبة وأخذت تحتل جميع القرى العربية التي في طريقها. ولقد كانت هذه المعركة ضربة قاسية لسمعة القاقوجي ولمعنويات جنوده وبتنفيذها انهارت معنويات سكان القرى العربية في تلك المنطقة وأخذوا ينزحون عن قراهم بأعداد كبيرة .

كان اليهود بهذه الأثناء يخططون لفتح الطرق المؤدية من الساحل الى الجليل الشمالي والشرقي واهمها طريق طبريا الى روشبينا لكي يعزلوا مدينة صفد ويحتلوها حيث كانت مدينتي صفد وطبريا مختلطة يسكنها العرب واليهود سوية. ففي مدينة صفد كان الحي اليهودي يقع في الارض المنخفضة والاحياء العربية تقع على التلال المحيطة به وتسيطر عليه من جميع الجهات. بينما كانت مدينة طبريا على العكس من ذلك حيث كانت الاحياء اليهودية تقع على التلال المسيطرة على المدينة والاحياء العربية في المناطق المنخفضة هذا وقد انسحبت القوات البريطانية من مدينة صفد قبل شهر من موعد انتهاء الانتداب. وبالتحديد بتاريخ ١٦ نيسان عام ١٩٤٨ م .

ثم انسحبت من مدينة طبريا بتاريخ ١٨ نيسان عام ١٩٤٨ م. وعندئذ بدأت قوات الهاغاناه بتنفيذ المرحلة الأولى من خطتها وهي فتح الطريق من طبريا الى مستعمرة (روشبينا) على الفور .

ولما كانت الاحياء اليهودية في طبريا تسيطر على المدينة كانت المناوشات بالنيران مستمرة بين السكان العرب واليهود منذ عدة أسابيع. وقد حاول الانجليز عقد هدنة بين الطرفين ولكن هذه المحاولة فشلت عندما وصلت قوة من جيش الانقاذ الى الاحياء العربية لنجدها . ومن الغريب انه بعد رحيل القوات البريطانية عن المدينة بتاريخ ١٨ نيسان بدلاً من استمرار المقاومة العربية بشكل افضل ومحاولة السيطرة على المدينة بكاملها ما دام أن جيش الانقاذ اشترك معهم في الدفاع عنها فقد حصل العكس تماماً حيث توقف القتال فجأة ونزح السكان العرب عن المدينة الى شرق الأردن. وقد كان هذا التصرف أكبر بكثير مما كان يتوقعه اليهود. حيث أصبحت مدينة طبريا بكاملها بأيديهم دون قتال يذكر. وهكذا لم يبق أمامهم سوى احتلال مدينة صفد. وعندئذ تقدمت قوات الهاغاناه لإكمال فتح الطريق الى روشبينا وقد أكملوا هذه المهمة بتاريخ ٢٨ نيسان عام ١٩٤٨ م. واحتلوا المعسكر البريطاني ومركز البوليس في روشبينا استعداداً للزحف على صفد .

٣ - احتلال مدينة صفد :

لقد كانت المناوشات مستمرة بين السكان العرب واليهود في مدينة صفد منذ كانون ثاني عام ١٩٤٧ م. وقد كان في صفد حوالي ستمائة مناضل عراقي من جيش الانقاذ كما اسلفنا بالإضافة الى المسلحين من سكانها، وكما اشرت في الفقرة السابقة كانت الاحياء العربية تسيطر بشكل تام على الاحياء اليهودية وتطوقها من كل جانب بحيث أن اليهود لم يكن

بإمكانهم ايصال المؤن إلى احيائهم هذه إلا تحت جنح الظلام عبر الطرق الجبلية الوعرة. وعند انسحاب الانجليز من صفد استولى المناضلون العرب على مركزي البوليس فيها واصبحت جميع النقاط الحصينة في المدينة بأيديهم. ولكن بهذه الاثناء تمكنت بعض قطعات من قوات (الهاغاناه) من التسلل الى الحي اليهودي لتعزيز دفاعاته. كما تمكنت من احتلال أحد التلال المرتفعة شمال المدينة بمحاولة لوضع صفد بكاملها في حالة حصار من الخارج. وقد تمكنوا من تحقيق هذا الهدف تدريجياً. وعندئذ بدأ اليهود بعمليات الهجوم المتكررة تمهيداً لإحتلال المدينة بكاملها .

وقد بدأت هذه العمليات عندما قامت قوة من الهاغاناه بتاريخ ٢٠ نيسان بالهجوم على بعض المواقع العربية المرتفعة وتم صد هذا الهجوم من قبل المناضلين. وفي أول أيار تمكنت قوة من الهاغاناه من احتلال قريتين عربيتين في الطرف الشمالي من مدينة صفد. وفي اليوم التالي وصلت تعزيزات يهودية من قوة البالماخ واقتحمت المدينة. ونشبت معارك عنيفة بينها وبين المناضلين العراقيين في مراكز البوليس الذين تمكنوا من صد تقدم البالماخ .

وبعد هذا الفشل شنت قوات الهاغاناه هجوماً رئيسياً جديداً على المواقع العربية في التلال المرتفعة وقد تم صدها ثانية بعد تكبيدها خسائر كثيرة فانسحبت لإعادة التنظيم. ثم اعادت القوات اليهودية الكره ثانية بهجوم كبير كانت البالماخ في طليعته. وبهذه المرة تمكنت من احتلال مركزي البوليس. وبعد ذلك انهارت المقاومة العربية في جميع المناطق وسقطت صفد يوم ١١ أيار عام ١٩٤٨ م بيد اليهود .

٤ - احتلال مدينة حيفا :

كانت مدينة حيفا كما هو معروف مختلطة السكان من العرب واليهود. وعلى الرغم من أن الأحياء الرئيسية اليهودية كانت منفصلة عن الأحياء العربية إلا أنه كان يوجد الكثير من التداخل بين المناطق المتقاربة. وقد كانت الاشتباكات المتفرقة دائمة بين العرب واليهود في مواقع كثيرة داخل المدينة وخارجها. وقد كانت عناصر المناضلين العرب من سكان المدينة ومن غيرهم لا تجمعهم قيادة واحدة. وبهذه الاثناء استقال عدد من ضباط الجيش العربي بموافقة القيادة لكي يلتحقوا مع المناضلين وكان من بينهم الملازم محمد الحمد الحنيطي. ولما كانت اللجنة القومية تبحث عن قائد للمناضلين في مدينة حيفا فقد عينته لتولي هذه المهمة. وقد تمكن هذا الضابط المخلص الشجاع من تنظيم فئات المناضلين المختلفة والسيطرة عليها وتوجيه عملياتها على أكمل وجه. ولكن قيادته لهم لم تدم طويلاً حيث استشهد بتاريخ

١٧ آذار عام ١٩٤٨م. عندما كان يقود قافلة محملة بالذخيرة احضرها من لبنان للمناضلين وعند اقترابه من الضواحي الشمالية لمدينة حيفا وقعت قافلته في كمين نصبته القوات اليهودية التي كانت متواجدة في المستعمرات القريبة من طريق مرور القافلة. ومما سهل على اليهود مهمة تمييز نوعية هذه القافلة ان المرحوم الملازم محمد الحنيطي رفع على سياراتها اعلاماً فلسطينية. فأدرك اليهود أهميتها فقصفوها على الفور ونتيجة القصف وإطلاق النار انفجر عدد من سيارات الذخيرة ودمرت هذه القافلة بكاملها واستشهد محمد الحنيطي ومعه عدد كبير من زملائه المناضلين رحمهم الله جميعاً واسكنهم فسيح جناته وهنيئاً لهم الشهادة.

وبعد هذا الحادث المؤلم قامت اللجنة القومية بتعيين ضابط سابق من البوليس الفلسطيني اسمه امين عز الدين لتولي قيادة موقع حيفا. واستطاع هذا الضابط الذي احضر معه بعض التعزيزات السيطرة على الموقف ومواصلة الدفاع عن المدينة. وبهذه الاثناء كانت قافلة يهودية تحمل المؤن في طريقها الى بعض المستعمرات القريبة من الحدود اللبنانية فتصدى لها المناضلون العرب ودمروها بكاملها. فارتفعت بذلك معنويات سكان حيفا لاسيما بعد وصول تعزيزات كبيرة اخرى لهم من السوريين والعراقيين والجنود السابقين من جنود قوة حدود شرق الأردن. وبهذه الاثناء كان اليهود يستعدون للقيام بهجوم واسع النطاق لاحتلال مدينة حيفا بكاملها. وقد بدأ هذا الهجوم عند فجر يوم ٢١ نيسان ١٩٤٨م عندما تقدم اليهود من مواقعهم الرئيسية في منطقة (الهدار كرمل) وهي سفح جبل الكرمل المسيطر على مدينة حيفا. وقد تقدمت قوات الهجوم هذه على أربعة محاور بهدف احتلال النقاط الرئيسية الهامة في المدينة مثل مركز مقسم الهاتف ومجمع مباني الحكومة ومكاتب سكة الحديد. واخذت تصفي نقاط المقاومة العربية التي تصادفها في طريقها اثناء تقدمها. وقد كانت اعنف مقاومة لاقتها القوات اليهودية المتقدمة في داخل الأحياء العربية حيث دار القتال من منزل إلى منزل طيلة الليل وصباح اليوم التالي. وقد كان تقدم القوات اليهودية بطيئاً أمام المقاومة العنيفة التي كان يبديها المقاتلون العرب. ولكن سرعان ما تغير هذا الموقف عندما سقطت قنابل المورتر على مقر قيادة السيد امين عز الدين قائد المناضلين حيث قرر هو ومساعده نقل قيادته الى خارج المدينة. وقد كانت هذه غلطة كبرى. حيث على أثر رحيله مباشرة بدأت معنويات المناضلين تتزعزع وأخذت مقاومتهم تنهار تدريجياً .

وبهذه الفترة الحرجة حاول القائد البريطاني الجنرال (ستكويل) عقد هدنة بين الطرفين لكي يؤمن الهدوء اللازم لإتمام انسحاب قواته المتبقية من ميناء حيفا. وقد تم عقد اجتماع

بين ممثلي الطرفين المتحاربين بحضوره لهذه الغاية ولكن اليهود اشترطوا لقبولهم الهدنة ان يستسلم جميع المناضلين مع اسلحتهم وان يسيطر اليهود على المدينة بكاملها. وقد كانت شروط اليهود مهينة ولا يستطيع المناضلون العرب القبول بها تحت أي ظرف .

فطلب الممثلون العرب مهلة للتشاور. وبعد عودتهم اعلنوا عدم موافقتهم على شروط اليهود. ولكن بعد ذلك بدأ السكان العرب يغادرون المدينة وقد قيل أن هذا النزوح كان ناتجاً عن الترهيب والضغط على السكان من قبل الانجليز والتهديد اليهودي بنفس الوقت. وهكذا رحل معظم سكان حيفا عنها تحت إشراف القوات البريطانية وسيطر عليها اليهود .

٥ - العمليات في المنطقة الوسطى :

أ - معارك القسطل :

إن أهم ما كان يشغل اليهود في هذه المنطقة هو فتح الطرق الرئيسية المؤدية من تل أبيب الى القدس لكي يتمكنوا من تمرير قوافل الامدادات اليها بانتظام. ولهذا فقد قاموا بوضع الخطط اللازمة لاحتلال القرى العربية المسيطرة على هذه الطريق في منطقة باب الواد. وكان من أهم هذه المواقع قرية القسطل التي تقع على تل مرتفع وتبعد حوالي خمسة أميال إلى الغرب من مدينة القدس وتسيطر على قطاع كبير من الطريق. وبتاريخ ٢ نيسان عام ١٩٤٨ م قامت قوة من البالمخ بشن هجوم ليلي على القرية وتمكنت من احتلالها لفترة وجيزة حيث قامت على إثر ذلك قوة من المناضلين بقيادة المرحوم عبد القادر الحسيني بشن هجوم معاكس وطردت اليهود من القسطل. وبنفس الوقت قامت قوة أخرى من الهاغاناه باحتلال قرى خلداء ودير محيسن القريبة من اللطرون. ورغم أن الجيش البريطاني اخرجهم منها لأنه يريد ابقاء الطريق مفتوحة لقوافله الا أن قوات الهاغاناه بقيت قريبة منها .

وبتاريخ ٧ نيسان عام ١٩٤٨ م شنت قوات البالمخ هجوماً آخر على القسطل وتمكنت من احتلالها ثانية. ولكن قوات المناضلين شنت هجوماً معاكساً ليلة ٧/٨ نيسان بقيادة عبد القادر الحسيني الذي كان قد عاد لتوه من دمشق حيث كان يعمل على احضار كميات من الأسلحة للمناضلين. وقد تمكن من احتلالها ثانية. وخلال ستة أيام من المعارك المستمرة تمكن المناضلون العرب من القضاء على معظم القوة الاسرائيلية التي كانت تهاجم القسطل وردوا ما بقي منها على اعقابهم. ولكن بهذه الاثناء استشهد عبد القادر الحسيني بهذه المعركة الأخيرة عندما دخل الى أحد المواقع الذي كان يظن أنه بيد

قواته فوجد ان اليهود يحتلونه. وعلى إثر استشهاده تضعضعت معنويات المناضلين وانسحبوا إلى القدس تاركين موقع القسطل خالياً تماماً. فعادت القوة اليهودية المتبقية واحتلته بدون قتال هذه المرة .

ب - مذبحة دير ياسين :

وفي أثناء معركة القسطل تقدمت قوة مشتركة من عصاباتي الارغون وشتيرن لاحتلال قرية دير ياسين القريبة. وقد كانت دير ياسين قرية غير مسلحة. وكان بينها وبين سكان المستعمرة اليهودية المجاورة (غيفعات شاءول) اتفاقية عدم اعتداء وحسن جوار. ولم يتوقعوا ان ينقض اليهود هذه الاتفاقية بدون سابق إنذار. وعلى أي حال فقد دخلت قوة هاتين العصاباتين عند فجر يوم ٩ نيسان الى دير ياسين وذبحوا كل إنسان صادفوه من الاطفال والنساء والشيوخ وقطعوا جثثهم وألقوها في الطرقات والآبار المهجورة ثم قاموا بنسف المنازل. وأما الرجال الذين استسلموا فقد قتلوا ثمانين أسير منهم والباقيون حوالي مائتين فقد كبلوهم بالشاحنات واستعرضوا قافلتهم بشوارع القدس. وقد كان مجموع الذين قتلوا حوالي (٣٥٠) شخصاً، ولم تكن هنالك أية علاقة حربية بين معركة القسطل ومذبحة دير ياسين تملئها عليهم حتمية القتال لكن اليهود كانوا يقصدون إحداث مجزرة وحشية في إحدى القرى العربية لكي يجعلوا منها مثلاً مرعباً يخيفون به سكان القرى الأخرى فيكون هذا حافزاً لهم لهجر قراهم والهرب منها خوفاً على حياة اطفالهم ونسائهم. وقد نجحوا بتحقيق هذا الهدف نجاحاً كبيراً. وقد هزت هذه الجريمة البشعة الضمير العالمي بأسره نظراً لما انطوت عليه من وحشية لم يشهد لها العالم مثيلاً. ورغم أن الوكالة اليهودية انكرت علمها بهذه الجريمة عندما افترض امرها. إلا أن تواطؤ قيادة جيش الهاغاناه الذي تسيطر عليه تلك الوكالة نفسها كان واضحاً. كما أنه لم يكن خافياً على أحد أنها كانت جريمة متعمدة ومخطط لها وذلك لسببين هما :

أولاً : أن السياسة الاسرائيلية الرسمية كانت تهدف الى إخلاء سكان جميع القرى العربية التي تقع ضمن المناطق اليهودية أو القرية منها. ولذلك فإن هذا النوع من التعامل الوحشي مع السكان العرب في القرى التي يحتلها اليهود كفيل بأن يخيف سكان باقي القرى فينزعجوا عنها بمجرد اقتراب القوات اليهودية خوفاً من أن يحل بهم ما حل بسكان دير ياسين. بدليل أن اليهود دأبوا بعد انتشار خبر

مذبحة دير ياسين على تحذير السكان العرب بإلقاء النشترات وبواسطة مكبرات الصوت طالبين منهم مغادرة قراهم حفاظاً على أرواحهم وأرواح اطفالهم ونسائهم . مما يؤكد أن مذبحة دير ياسين كانت جزءاً من السياسة الاسرائيلية الرسمية .

ثانياً : دخلت مع هذه العصابات قوة من الهاغاناه وهي جيش اسرائيل الرسمي ولا يمكن ان تنفذ مثل هذه المجزرة بدون علم أعلى سلطة اسرائيلية في ذلك الحين. ولو كان العكس صحيحاً لقامت هذه السلطة على الأقل بمحاكمة المسؤولين عن هذه الجريمة حفاظاً على سمعتها أمام الرأي العام العالمي .

ولتأكيد ما ورد حول هذا الموضوع أحب أن أذكر تالياً بعض مقتطفات من كتاب (العربي واليهودي) تأليف ديفيد شيبيلر^(١) .

يقول المؤلف :

لقد كانت مذبحة دير ياسين موضوع بحث مفصل من قبل الكثير من المؤرخين. وبما انها نفذت من قبل منظمات ارهابية فإن الأكاديميين والسياسيين الاسرائيليين لا يرون ضرورة اخفاء حقيقتها رغم ان الالباتات التفصيلية سوف تبقى بعيدة عن متناول الجمهور. ولكن بسبب الخلافات السياسية الداخلية اعتاد السياسيون ان يستخدموا هذه المذبحة ضد اخلاقيات مناحم بيغن الذي كان قائداً لمنظمة الارغون التي قامت بالاشتراك مع منظمة لنيهي التي كانت تعرف باسم عصابة شتيرن نسبة لمؤسسها ابراهام شتيرن. وعندما دخلت هذه العصابات الى دير ياسين عند الفجر من يوم ٩ نيسان ١٩٤٨م كان مناحيم بيغن في بيته في تل أبيب. وقد ابرق لجنوده الرسالة التالية :

«تقبلوا تهنئتي على هذا العمل الرائع، انقلوا تقديري الى جميع القادة والجنود نحن نشد على أيديكم وجميعنا فخورون بالقيادة الممتازة والروح القتالية التي ظهرت بهذا الهجوم العظيم. نحن نقف احتراماً لذكرى الذين قتلوا ونصافح بكل محبة الذين جرحوا. ابلغوا الجنود انكم صنعتم التاريخ في اسرائيل بهجومكم واحتلالكم. استمروا بهذا الأسلوب حتى النصر. وكما في دير ياسين كذلك في كل مكان سوف تهاجمون وتسحقون العدو. الله ، الله انت اخترتنا للاحتلال» - انتهت رسالة بيغن -

(١) كتاب العربي واليهودي تأليف ديفيد شيبيلر. الصفحات ٣٧، ٣٨، ٣٩
ARAB AND JEW Wounded Spirit in a Promised Land, DAVID K. SHIPLER. Pages 37, 38, 39.

هنالك شاهد عيان حضر هذه المذبحة وهو ضابط استخبارات في الهاغاناه اسمه (ماتير بايل) كان قد سمع عن هذا الهجوم وقرر من تلقاء نفسه ان يراقبه وقد قال ما يلي :

«لقد كانت مذبحة بدم ساخن، لم تكن مخطط لها مسبقاً ولكنها كانت انفجاراً من الصغار ولا يوجد من يسيطر عليها. دخلت مجموعات من الجنود من بيت الى بيت ينهبون ويطلقون النار. وكنت تسمع بداخل البيوت صراخ النساء والرجال المسنين والاطفال. لقد حاولت أن أجد القادة ولم استطع. حاولت الصياح على الجنود لكي اوقفهم ولكنهم لم يستجيبوا ولم يابهاوا بي وكانوا يتصرفون وكأنهم مخمورون أو مصابون بلوثة عقلية .

٦ - احتلال مدينة يافا :

مدينة يافا كما هو معروف ملاصقة الى مدينة تل أبيب. وبحكم موقعها أصبحت معرضة للخطر أكثر من أي مدينة عربية اخرى. والدفاع عنها يحتاج إلى قوات كبيرة لكي تستطيع الصمود أمام هجوم ضخم تقوم به القوات الاسرائيلية من تل أبيب. لاسيما وان أي معركة في داخل المدينة سوف تحتم على المدافعين عنها الاحتفاظ بجميع النقاط الحيوية بداخلها. وعلى طرق الاقتراب المؤدية إليها. كما يترتب عليها حماية طرق التزويد لكي تؤمن وصول الذخائر والمؤن للقوات المقاتلة ولسكان المدينة بشكل مستمر لتضمن صمودها. وأما بالنسبة لمدينة يافا في وضعها الذي كان سائداً في تلك المرحلة من القتال فقد كانت هذه المتطلبات شبه مستحيلة للأسباب الآتية :

أولاً : بالنسبة لعملية تزويد سكان المدينة والقوات المتواجدة فيها فقد أصبحت معظم الطرق الخارجية المؤدية إليها إما مغلقة، أو مهددة باستمرار من قبل القوات اليهودية كما أنها لم يكن لديها الوسائل البحرية اللازمة لاستيراد حاجاتها عن طريق البحر. ومعنى هذا انه يترتب على السكان ان يعتمدوا على ما كان متوفراً لديهم من المؤن لأنهم أصبحوا في حالة حصار ومن غير الممكن أن تكفيهم هذه المؤن لمدة طويلة .

ثانياً : ان القوات التي كانت متوفرة للدفاع عن المدينة تتألف من حوالي سبعمائة مناضل عراقي من جيش الانقاذ بالإضافة الى مجموعات من المناضلين المحليين الذين امكن تسليحهم، ولم يكن لهم قيادة واحدة بل كانوا متفرقين ومتعددي الولاءات. فمنهم من كان يتبع لرئيس البلدية ومنهم من يتبع جيش الانقاذ وهكذا. ولهذا فإن فعاليتهم كانت محدودة. أما الذخائر التي كانت متوفرة لدى هذه المجموعات فلم تكن تكفي للقتال لمدة طويلة لاسيما وان المناضلين الذين كانت تنقصهم الخبرة

والتدريب على مبادئ القتال كانوا يطلقون النار بلا حساب ويستهلكون ذخائرهم بدون فعالية. ولما كانت مشكلة إيصال الذخيرة والتعزيزات الى يافا في غاية الصعوبة ان لم تكن مستحيلة خصوصاً بعد أن سيطر اليهود على جميع الطرق البرية المؤدية اليها فقد اصبح الدفاع عن هذه المدينة من داخلها وبالقوات المتواجدة فيها ميثوس منه ان لم تحدث تطورات تمكن من انقاذها.

صحيح أن قيادة الجيش العربي كانت قد أرسلت ضابطاً وعشرة ضباط صف الى يافا ليقوموا بتدريب المناضلين من سكان المدينة وارسلت معهم عدداً من رشاشات الفكرز ثم الحقت بهم عشرة مدربين ومعهم (٥٠٠) بندقية، إلا أن هذه المساعدة لم تكن كافية لتحويل ميزان القوة لصالح العرب. لقد كانت وضعية يافا من حيث الامكانيات المتاحة لها للدفاع اسوأ من حيفا أو صفد ومع ذلك فإن هذه الامكانيات هي كل ما أمكن توفيره في ذلك الحين. فهل تستطيع يافا بهذه الامكانيات المتواضعة ان تصمد لمدة كافية حتى يحين موعد دخول الجيوش العربية الى فلسطين وهل اذا دخلت هذه الجيوش ستستطيع الوصول الى يافا وانقاذها. كل هذه التساؤلات كانت في علم الغيب في ذلك الحين.

وبهذا الوضع المأساوي كان قدر سكان يافا ومناضليها ان يواجهوا وحدهم هجوم القوات اليهودية المحتمل وقوعه بأية لحظة. ولم يطل وقت الانتظار هذا حيث بدأت قوة من الارغون قوامها حوالي ستمائة مقاتل هجومها يوم ٢٥ نيسان عام ١٩٤٨م قادمة من تل ابيب، واحتدمت المعركة عبر الشوارع ومن منزل الى منزل طيلة يوم وليلة. وقد قاتل المناضلون العراقيون قتالاً باسلاً ومثلهم قاتل باقي المناضلين الآخرين وصمدوا جميعاً صمود الأبطال. وتمكنوا في النهاية من ايقاف زحف القوات المهاجمة. وبهذه الأثناء دخلت قوات اخرى من الهاغاناه واشتركت في المعركة من جديد بتاريخ ٢٩ نيسان وازداد ضغط هذه القوات الضخمة على المناضلين الذين اخذوا يتراجعون تدريجياً. وقد ساءت الأوضاع بالنسبة للسكان فبدأوا ينزحون عن المدينة. وبهذه المرحلة تدخلت القوات البريطانية وحاولت فرض وقف اطلاق النار على الطرفين بدون جدوى .

واستمر ضغط القوات اليهودية على المناضلين الذين استمروا بالمقاومة رغم ما كانوا يعانون من نقص الذخائر حتى يوم ١٣ أيار حيث اعلنها رئيس البلدية السيد يوسف هيكل مدينة مفتوحة. وتم بذلك تسليم يافا الى اليهود بعد ان نزح معظم سكانها وخرج المناضلون وضباط صف الجيش العربي منها. ومن الغريب ان رئيس البلدية نزح هو الآخر إلى عمان

بدلاً من أن يبقى في مدينته مع من بقي من السكان ليساعدهم في ظروف الاحتلال ويشاركهم مصيرهم .

٧ - العمليات في منطقة القدس :

لقد بقيت المحاولات لفتح طريق المواصلات المؤدية الى القدس من تل أبيب مستمرة. وخلال الفترة ما بين ٨ أيار الى ١١ أيار عام ١٩٤٨م قامت القوات اليهودية باحتلال سبعة مواقع رئيسية في منطقة باب الواد وكان من أهمها تل مرتفع ومسيطر على المنطقة اطلق عليه اسم (تل الرادار) لأن الجيش البريطاني كان قد أنشأ عليه مركزاً للرادار أثناء حكم الاستعمار وقد تمكن اليهود من احتلاله بعد معركة عنيفة ابدى خلالها المدافعون عنه من المناضلين مقاومة عنيدة .

أما في مدينة القدس نفسها فقد كان موقع مستشفى هداسا والجامعة العبرية على جبل سكوبس مطوقاً ومنقطعاً عن الأحياء اليهودية. حيث كان المناضلون العرب يحتلون حي الشيخ جراح الذي يفصل بينهما. وبتاريخ ١٣ نيسان ١٩٤٨م قام المناضلون العرب بمهاجمة قافلة يهودية كانت متوجهة الى هداسا انتقاماً لجزرة دير ياسين وقتلوا من حراس هذه القافلة وركابها حوالي سبعين شخصاً قبل ان تتمكن القوات البريطانية من التدخل لانقاذها كما اعتادت ان تفعل عندما يكون اليهود هم المعرضون للخطر .

وبعد ذلك وبتاريخ ٢٥ نيسان شنت قوات البالمخ هجوماً كبيراً على منطقة الشيخ جراح لفتح طريق الاتصال مع هداسا وتمكنت من احتلالها. وبما أن حي الشيخ جراح هذا يسيطر على الطريق الرئيسية التي كانت تستعملها قوافل الجيش البريطاني اثناء انسحابها الى ميناء حيفا فقد قامت قواتهم باخراج اليهود منه. ولكن بعد اكتمال رحيل القوات البريطانية عن منطقة القدس عاد المناضلون العرب واحتلوا الحي وثبتوا فيه .

وبتاريخ ٢٩ نيسان ١٩٤٨م قامت القوات اليهودية بمحاولة ثانية لاحتلال حي الشيخ جراح ولكن المناضلين العرب تمكنوا من صدهم وثبتوا في المنطقة بضعة أيام أخرى. وبعد عدة أيام اعادت القوات اليهودية محاولة أخيرة واحتلت منطقة الشيخ جراح ضمن حملتها التي قامت بها لاحتلال معظم أحياء المدينة خارج الأسوار قبيل خروج المندوب السامي البريطاني من القدس .

أما في داخل مدينة القدس القديمة فقد بقي المناضلون العرب يسيطرون على جميع

احيائها داخل الأسوار ما عدا الحي اليهودي الذي فرضوا عليه حصاراً كاملاً وأصبح من المتعذر على اليهود تزويده بالموّن والذخائر من مناطقهم في المدينة الجديدة .

ومع اقتراب موعد انتهاء الانتداب اخذ اليهود يوسعون من نطاق عملياتهم في القدس الجديدة لكي يحتلوا جميع المناطق التي يستطيعون احتلالها قبل خروج القوات البريطانية نهائياً منها. وقد ساعدهم في ذلك تغلغلهم في معظم القيادات البريطانية. حيث كان الكثير منهم يعملون فيها بمختلف الوظائف الإدارية وغيرها. ولذلك كانوا يستطيعون الحصول على المعلومات المسبقة عن موعد خروج القوات البريطانية من المراكز الهامة في المدينة فيجهزون قواتهم مسبقاً، وحال انسحاب القوات البريطانية يدخلون في اعقابها فوراً ويتمركزون في تلك المواقع نهائياً .

ومن أهم المواقع التي احتلها اليهود بهذه الطريقة في القدس مبنى البريد ومجمع الدوائر الحكومية ومعسكر النبي ومعسكر العلمين. وقد استلموها جميعها يوم ١٤ أيار عام ١٩٤٨ م .

وفي تلك الفترة الأخيرة من ايام الانتداب بذل المندوب السامي البريطاني جهوداً كبيرة لاقتناع الطرفين المتحاربين بعقد هدنة بينهما. حيث اقترح عليهما بتاريخ ١٨ نيسان وقف اطلاق النار في القدس ولكن اليهود رفضوا هذا الاقتراح. إلا أنه بعد المزيد من المداولات تم التوصل الى اتفاق بوقف اطلاق النار اعتباراً من تاريخ ٢٨ نيسان ١٩٤٨ م. لكن هذا الوقف لم يدم طويلاً حيث بدأ اليهود بتاريخ ٣٠ نيسان بشن هجوم واسع على حي القطمون الذي يقع في القسم الجنوبي من القدس. وكان سكان هذا الحي قد نزحوا عنه ولم يبق فيه سوى مجموعات من المناضلين الفلسطينيين والعراقيين. ولما كانت السرية التاسعة من الجيش العربي ما زالت موجودة في معسكر العلمين فقد تلقى قائد السرية أمراً من قيادة الجيش لإرسال فئة من جنوده لحماية مبنى السفارة العراقية في حي القطمون فأرسل هذه الفئة وتمكنت من شق طريقها الى مبنى السفارة بكل صعوبة. وبنتيجة تقدم الزحف اليهودي عبر احياء القدس الجديدة انعزلت هذه الفئة وبقيت محاصرة مدة أربعة أيام حيث تم إرسال قوة أخرى من المدرعات لتغطية انسحابها وتم اخراجها من القدس لكي تلتحق بسريتها. وتم بنفس الوقت اخراج اعضاء السفارة العراقية بآخر لحظة .

أما الهجوم اليهودي فقد تعثر في البداية أمام المقاومة العنيفة التي ابداهها المناضلون ولكن اليهود جلبوا تعزيزات جديدة واستمروا في عمليات الاقتحام حتى تمكنوا من احتلال دير (سانت سيمونز) الواقع على تل مسيطر. وعند الفجر قام المناضلون العراقيون بهجوم

معاكس. ولكن اثناء تقدم هذا الهجوم شن اليهود هجوماً مضاداً على الجناح الأيسر للهجوم المعاكس وقد فاجأوا المتناضلين العراقيين بهذا الهجوم المضاد وارغموهم على الانسحاب بسرعة تجنباً للتطويق والتصفية. وهكذا فقد استمرت القوات اليهودية في زخم تقدمها وما لبثت ان استولت على حي القطمون بكامله مساء يوم ٢ أيار ١٩٤٨ م .

أما في شمال القدس على الطريق المؤدي الى رام الله فقد كانت تقع مستعمرة النبي يعقوب شمال قرية شعفاط. وقد دأب سكان هذه المستعمرة على التعرض لسيارات العرب التي تمر من هذه الطريق ويوقعون بركابها الإصابات باستمرار. وبينما كانت قافلة مدرعات حرس القوافل مارة من أمام هذه المستعمرة أطلق اليهود النار عليها فانتشرت المدرعات واخذت تقصف ابراج الحراسة والمواقع الدفاعية في المستعمرة فدمرت معظمها وكبدت اليهود خسائر كبيرة بالأرواح. وخلال سير هذه المعركة ارسل قائد الحامية فئة مشاة بقيادة الملازم محمد العقلة الرابعه لمساعدة المدرعات. وعند وصوله انزل جنود المشاة ليمركزوا بمواقعهم وحاول هو الالتفاف حول المستعمرة من جهة الشمال بسيارة الجيب ولكنه أصيب برصاصة واستشهد على الفور رحمه الله واسكنه فسيح جناته .

وبعد فترة وجيزة حضر قائد الحامية الى ساحة المعركة وأمر بوقف اطلاق النار قبل ان تحضر القوات البريطانية وتشتبك معهم. وعندئذ انسحبت مدرعات حرس القوافل عن طريق القدس. واعيدت فئة المشاة الى رام الله. ولكن مستعمرة النبي يعقوب تلقت درساً قاسياً وتوقفت بعد ذلك عن التعرض للعرب المارين على هذا الطريق .

وأما في جنوب القدس فكانت مستعمرة كفار عصيون وثلاثة مستعمرات صغيرة بجانبها تقع على تلال بالقرب من طريق القدس - الخليل من جهة الغرب. وكان بالقرب منها مطار صغير تستخدمه لنقل التعزيزات والمؤن بالإضافة الى نقلها عن طريق البر من القدس. وقد دأب سكان هذه المستعمرات على التعرض للسيارات المدنية العربية التي تمر من هذا الطريق بإطلاق النار عليها. وكانوا يوقعون بركابها اصابات كثيرة. وما لبثوا ان ارسلوا قوة من المستعمرة احتلت بناية دير الشعار التي تبعد حوالي (٣٠٠) ياردة عن الطريق من جهة الشرق. ومن هذا الدير تمكنوا من السيطرة على الطريق الرئيسية بين القدس والخليل ومنع حركة المرور عليها بنيران الاسلحة الخفيفة والرشاشات. وقد حاول المتناضلون العرب احتلال هذه المستعمرات في شهر كانون الثاني عام ١٩٤٨ م ولكنهم لم ينجحوا بهذا الهجوم.

ولما كانت حركة قوافلنا التي تنقل الذخائر والمعدات للجيش العربي من القاعدة البريطانية في السويس ما زالت مستمرة عبر هذا الطريق فإن بقاءها مفتوحة يعتبر في غاية الأهمية

بالنسبة لنا، لأنه بدونها سوف تتوقف هذه الامدادات الحيوية. وقد أصبح الموقف حرجاً نظراً لضيق الوقت حيث كان علينا ان ننقل أكبر كمية ممكنة من هذه المواد خلال الفترة القصيرة المتبقية قبل انتهاء الانتداب البريطاني. وكانت قد تشكلت قوة خاصة مؤلفة من سرية مدرعات وفئة مشاة وأربعة مدافع مورتر ٣ أنش لحراسة هذه القوافل اثناء مرورها قادمة من مصر عبر فلسطين الى شرق الأردن .

وقد كانت سرية المشاة الثانية عشر ما زالت باقية في معسكر حلحول بمنطقة الخليل حيث لم يكن قد تقرر سحبها الى شرق الأردن وقد استمر اليهود بإطلاق النار على السيارات المارة عبر الطريق من مواقعهم في دير الشعار حتى انهم تعرضوا لاحدى قوافل الجيش العربي المدرعة يوم ٦ أيار ١٩٤٨ م. وبنتيجة تبادل اطلاق النار قتل جنديان من جنودنا وبعض المدنيين كما وقعت إصابات عديدة بين اليهود. وفي اليوم التالي قام قائد حرس القوافل بالتعاون مع قائد السرية الثانية عشر بمهاجمة دير الشعار واحتلاله وقد تكبد اليهود الكثير من الإصابات قدرت بحوالي اربعين قتيلاً وهرب الباقون الى مستعمرات كفار عصيون .

ثم انسحبت قوة الجيش العربي بعد ان سلمت موقع دير الشعار للمناضلين العرب ولكن اليهود ما لبثوا ان هاجموا هذا الموقع من جديد اثناء الليل واحتلوه. وعادوا اطلاق النار على السيارات المارة من هذا الطريق. وقد سبق أن حضر وفد من وجهاء الخليل برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري الى عمان قبل هذا الحادث ببضعة أيام وناشد الملك عبدالله العمل على تخليصهم من هذه المستعمرات فأوعز الملك إلى قائد الجيش بذلك، وتنفيذاً لهذه الرغبة الملكية أصدر قائد الجيش أمراً الى قائد السرية الثانية عشر بالهجوم على هذه المستعمرات بالتعاون مع قوات المناضلين من منطقة الخليل، وقد أرسلت له تعزيزات من المشاة ومدافع الهاون والذخائر اللازمة. وعند فجر اليوم التالي بدأت القوات النظامية هجومها على موقع دير الشعار فاحتلته ثم تقدمت ومعها مجموعات المناضلين نحو مستعمرات كفار عصيون وطوقتها . واستمرت المعركة بضع ساعات حيث اتضح لقائد القوة المهاجمة ان قواته غير كافية لاحتلال هذه المستعمرات التي كانت محصنة تحصيناً قوياً. فأبرق الى قيادة الجيش يشرح موقفه هذا ويطلب النجدة. فأوعزت القيادة إلى الرئيس عبدالله التل (الذي كان قد عين بهذا الوقت قائداً لقوة حماية خط المواصلات والتي تركزت في منطقة اريحا بهدف حماية خطوط تزويدنا الخلفية بعد دخولنا الى فلسطين) بأن يرسل ما يلزم من التعزيزات لمساعدة قوة الهجوم ولتمكينها من احتلال مستعمرات كفار عصيون. فتحرك ومعه سرية مشاة

وسرية المدرعات التي كانت تعمل اصلاً مع حرس القوافل المشار إليها سابقاً، ووصل عند الفجر يوم ١٣ أيار ١٩٤٨م وتولى قيادة هذه المعركة التي استمرت طيلة ذلك اليوم والليلة التالية. وقد تكبد اليهود خسائر ضخمة تزيد عن مائتي قتيل وفي اليوم التالي الخميس ١٤ أيار ١٩٤٨م استسلمت هذه المستعمرات وتم اسر جميع المحاربين الذين كان عددهم ٣٠٠ أسير تم نقلهم جميعاً إلى معسكر أسرى الحرب الذي اقمناه في منطقة المفرق من ضمن استعداداتنا التحضيرية للمعركة القادمة .

وأما المدنيين من سكان هذه المستعمرات فقد تم تسليمهم إلى مندوبي هيئة الصليب الأحمر لترحيلهم إلى المناطق اليهودية .

هذه صورة موجزة عن العمليات الحربية الهامة التي جرت في مختلف انحاء فلسطين بين القوات اليهودية وبين القوات العربية التي كان قوامها قوات جيش الانقاذ والجهاد المقدس ومختلف المجموعات الاخرى من المناضلين الفلسطينيين والمتطوعين الأردنيين والسوريين والعراقيين وغيرهم من العرب خلال هذه الفترة الواقعة بين كانون أول ١٩٤٧م وأيار ١٩٤٨م. والتي سبقت دخول الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين. ولقد كانت نتائج هذه العمليات محزنة وتبعث على الأسى، حيث خسر العرب معظم مدنها الرئيسية وعشرات القرى التي احتلها اليهود ونزح عنها غالبية سكانها تقريباً إلى الأردن وسوريا ولبنان بشكل رئيسي .

وقد كانت عملية النزوح هذه تمثل افدح خسارة مادية ومعنوية وانسانية للفلسطينيين وقضيتهم. وهي بحد ذاتها تعتبر ضربة قاسية للموقف الدفاعي الفلسطيني قبيل اشتراك الجيوش العربية في الحرب. لأن اليهود استطاعوا ان يستولوا على معظم المدن الرئيسية والقرى العربية ومعها احتلوا المواقع الاستراتيجية المهمة وطرق المواصلات الرئيسية في طول البلاد وعرضها سلفاً وبسهولة ويسر وقبل ان يشتبكوا مع الجيوش العربية النظامية بمعارك مهمة .

وقد كانت هذه أكبر ميزة عسكرية حصل عليها اليهود بسهولة قبل المعركة الرئيسية. هذا بالإضافة الى المآسي الهائلة والضحايا الضخمة بالارواح والمشاق الحياتية التي تعرض لها الفلسطينيون النازحون وما سببه نزوحهم هذا من مشاكل وصعوبات اقتصادية واجتماعية وامنية في البلاد التي نزحوا إليها، ناهيك عن الخسارة الجوهرية التي سيتعرض لها ابناءؤهم وأجيالهم القادمة من ضياع وتشرد ومستقبل مظلم مجهول في المخيمات التي حكم عليهم العيش فيها . والأهم من هذا كله تلك الصفة التي التصقت بهم على مدى الأجيال

القادمة وهي (لاجئ فلسطيني) غير ثابت الهوية خارج وطنه بعد أن كان مواطناً مستقراً في وطنه ويعتز بكونه فلسطيني عربي من حيفا أو يافا أو عكا. وهذا هو لب المأساة ومحور القضية والأخطر من كل ذلك أن الفلسطينيين خسروا مدنهم وقراهم وبالتالي خسروا وطنهم. وتلك لعمري أفدح خسارة يتعرض لها أي شعب على وجه المعمورة .

الفصل الثاني

الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م

مرحلة الاستعداد :

لكي أوضح حقيقة موقفنا والصعوبات التي كانت تواجهنا خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٤٨م. لابد من ان نستذكر أولاً أننا كنا نعيش مرحلة ترقب وانتظار لأن الدول العربية لم تكن قد قررت بعد أن تشترك في الحرب بجيوشها النظامية. وما كان يرافق هذا الموقف الغامض من تأثير على اوضاعنا النفسية ومعنويات جنودنا حيث كنا جميعاً نتحرق شوقاً لمساندة اخواننا الفلسطينيين ومشاركتهم في نضالهم ضد اليهود الذين بدأوا بزحفهم الشامل لاجتياح معظم المناطق العربية. وقد أخذت تصلنا اخبار حوادث النصف والتدمير ومهاجمة القرى العربية واحتلالها. بالإضافة إلى المعلومات التي كنا نتلقاها بالتقارير الكثيرة التي كانت تصلنا عن طريق وحدات الجيش العربي التي ما زالت متواجدة في فلسطين. من واقع مشاهداتها واشتراكها الفعلي في بعض العمليات في عدة مناسبات، كما بدأت موجات اللاجئين من سكان المدن والقرى التي احتلها اليهود تصل الى مختلف مناطق الأردن ويروون قصص البطش والرعب التي لا تكاد تصدق .

كان كل هذا يحدث أمام أعيننا ونحن منشغلون بالتدريب والمناورات والاستعداد لهذه الحرب التي لا نعرف متى سنشارك فيها لأن الدول العربية لم تقرر بعد هذه المسألة رسمياً.

أما بالنسبة للمملكة الأردنية فقد كان جلالة الملك عبدالله عاقداً العزم على الاشتراك بالحرب ولكنه لا يستطيع الانفراد بالقرار بمعزل عن الدول العربية من جهة ولأنه كان مرتبطاً مع الحكومة البريطانية بمعاهدة من جهة ثانية لاسيما وأن هذه الدولة ما زالت مسؤولة عن الانتداب في فلسطين وترفض اشتراك قوات الجيش العربي بالقتال الدائر هناك قبل انتهاء مدة الانتداب وخروج قواتها نهائياً من فلسطين. وب نفس الوقت فإن قائد الجيش العربي وجميع قادة وحداته كانوا ضباط انجليز. بالإضافة الى أن هذا الجيش كان يعتمد اعتماداً كاملاً بميزانيته المالية واسلحته وذخائره على الحكومة البريطانية. فلو أرسل الملك عبدالله جيشه للإشتراك بالقتال اثناء حكم الانتداب فسوف لا تكتفي بريطانيا بقطع المعونة المالية ووقف تزويد الجيش العربي بالسلاح وسحب ضباطها منه فقط. بل سيتصدى

الجيش البريطاني لمنع دخولنا إلى فلسطين بالقوة .

ولهذا فإنها طلبت من الحكومة الأردنية ان تسحب جميع قواتها المتواجده في فلسطين لكي تبقى خارجها حتى تنتهي مدة الانتداب. وهنا يحق لنا ان نتساءل لماذا سمحت الحكومة البريطانية بدخول جيش الانقاذ بقيادة فوزي القاوقجي قبل انتهاء مدة الانتداب. ويمكن أن يكون الجواب انها اعتبرت انه ما دامت هذه القوات عبارة عن مجموعة متطوعين من مختلف البلدان العربية فهي بالتالي قوات غير رسمية ولا تتبع لأي حكومة معينة ولذلك فهي لا تختلف عن بقية المناضلين الآخرين الموجودين في فلسطين. كما أنها من الناحية العسكرية لا تشكل خطراً يهدد المناطق اليهودية لأنها لا تكاد تكفي للدفاع عن بعض المناطق العربية بشكل مؤقت. فهي بهذه الحالة لا تشكل تحداً لسلطات الانتداب البريطاني من الناحية الرسمية لاسيما وانها اصبحت في المراحل الأخيرة من عملية انسحابها من فلسطين . كما أن قوات جيش الانقاذ لا تستطيع تدمير القوات اليهودية أو حتى إيذاءها، وهذا ما يهم بريطانيا. ولذلك فلا بأس من أن تسمح لهذه القوات الصغيرة ان تسهم قليلاً في الدفاع عن المناطق العربية في فلسطين، لاسيما وان القوات اليهودية أقوى من جميع القوات الفلسطينية وقوات جيش الانقاذ بكثير .

وخلال فترة الانتظار هذه اخذ التذمر يدب في صفوف وحدات الجيش العربي واخذ الجنود يتساءلون لماذا إذن نتدرب على أساليب القتال إذا كنا سوف لا نقاتل ضد اعدائنا واعداء امتنا في فلسطين. وقد نتج عن هذا التذمر أن هرب عدد لا يستهان به من الجنود وضباط الصف والتحقوا مع فصائل المناضلين في فلسطين. ولكن بعد ان تقرر رسمياً اشترك الجيش العربي في القتال ودخلنا فلسطين عاد معظمهم إلى وحداتهم وقاتلوا في صفوفها .

وبهذه الاثناء بدأت أعداد كبيرة من المتطوعين من سكان الأردن من مختلف المناطق تذهب للجهاد في فلسطين على شكل مجموعات وافراد. وكان معظمهم يتلقون الاسلحة والذخائر من الجيش العربي. كما استقال عدد من الضباط والتحقوا مع المناضلين بموافقة قيادة الجيش. بالإضافة الى عدد من ضباط الصف الذين ارسلتهم القيادة للإشتراك مع المناضلين في الدفاع عن المدن الرئيسية حيث ارسلت مجموعة منهم إلى حيفا ومجموعات اخرى الى يافا . ويتوجيه من الملك عبدالله عملت قيادة الجيش ابتداءً من مطلع شهر كانون الثاني عام ١٩٤٨م على تشكيل وتسليح سريتين من المتطوعين الأردنيين بهذه الفترة التي لا يستطيع

فيها الجيش الاشتراك في الحرب وتم تسليم قيادتهما الى ضباط كانوا متقاعدين أو أستقالوا من الخدمة لهذه الغاية .

أولاً : سرية قوامها ٢٠٠ متطوع سلمت قيادتها الى الرئيس ساري محمود الفنيش وقد التحقت هذه السرية مع فوج اليرموك الثاني من جيش الانقاذ واشتركت في عملياته في شمال فلسطين .

ثانياً : سرية قوامها ١٥٠ متطوع سلمت قيادتها الى الملازم بركات الطراد الخريشة. وقد التحقت مع فوج اليرموك الثالث من جيش الانقاذ وتمركزت في جبل الزيتون ثم اشتركت فيما بعد في القتال بمدينة القدس .

كما تم بنفس الوقت ارسال مجموعتين من ضباط الصف بقيادة الملازم راضي العبدالله الخصاونة الى مدينة يافا لتدريب وتنظيم المناضلين فيها وقاتلوا معهم في الدفاع عن يافا حتى النهاية كما سبق الشرح .

وبنهاية شهر آذار عام ١٩٤٨م كنا قد انتهينا من جميع ترتيبات إعادة التنظيم وأصبحت تشكيلات الفرقة قائمة وتنفذ برامج التدريب المكثفة على مستوى الوحدات والكتائب. وبقي علينا ان نفخذ مناورة كبرى تشمل جميع تشكيلات الفرقة لكي نتأكد من قدرات هذه التشكيلات ومدى فعاليتها مجتمعة. وفحص قدرة قيادة الفرقة على السيطرة على تشكيلاتها في معركة حقيقية .

وفي مطلع شهر نيسان عام ١٩٤٨م طلب مني قائد الفرقة اللواء (نورمان لاش) أن أقوم بجولة استطلاعية في المنطقتين الوسطى والجنوبية من فلسطين لكي أطلع عن كُتب على مواقع التجمعات الرئيسية للمناضلين في المناطق التي يسيطرون عليها لمعرفة كيفية ومدى التعاون مع هذه القوات في حال اشتراكنا في حرب فلسطين. كما طلب ان ازور بعض المدن واجتمع مع رؤساء البلديات فيها لدراسة استعداداتها الدفاعية ولتكوين فكرة عامة عن معنويات السكان عموماً .

بدأت جولتي هذه بتاريخ ٥ نيسان عام ١٩٤٨م. حيث ذهبت إلى غزة وزرت معسكر السرية السادسة التي كانت تعسكر هناك قبل ان تنسحب إلى شرق الأردن. ثم اصطحبت معي قائدها وذهبت لزيارة رئيس البلدية السيد رشدي الشوا الذي رحب بنا كثيراً وجمع عدداً من وجهاء المدينة للإجتماع معي حيث شرحوا لي وضعية المناضلين في المدينة والقرى المحيطة بها وكان مطلبهم الرئيسي ان يحصلوا على الاسلحة والذخائر. لأن معظم الرجال

القادرين على القتال والذين يمكن أن يعززوا المواقع الدفاعية لا تتوفر لديهم الأسلحة. وقد لاحظت أن الموقف العام بهذه المنطقة ليس مريحاً لأن مناطق النقب مليئة بالمستعمرات اليهودية المسلحة تسليحاً قوياً. وهذا بالإضافة الى قرب منطقة غزة من تل أبيب والقواعد العسكرية اليهودية كما أن الأسلحة بيد السكان العرب قليلة جداً. والتحصينات الدفاعية في القرى العربية معدومة تقريباً .

ثم ذهبت بعد ذلك إلى الخليل فوجدت نفس الشكوى من نقص الأسلحة والذخائر . كما ذهبت إلى القدس وزرت معسكر العلمين حيث كانت ترابط فيه السرية التاسعة. وبعد زيارة سريعة لمواقعها الدفاعية تحركت عبر حي الشيخ جراح إلى رام الله ومنها إلى مدينة الرملة حيث اجتمعت مع رئيس بلديتها السيد محمود علاء الدين الذي اطلعني على المواقع الدفاعية فيها وشرح لي موجزاً عن وضعية المناضلين. وبعد جولة سريعة لاحظت أن المدينة تعج بالمشحونين بإعداد كبيرة ولكنه يغلب عليها طابع القوضى. ثم عدت بعد ذلك إلى مدينة رام الله يوم ٨ نيسان وزرت مقر اللجنة القومية وشاهدت في ساحة المبني عدداً من المشحونين وفهمت منهم انهم يستعدون للذهاب الى قرية القسطل حيث كانت تدور فيها معركة حامية بين اليهود والمناضلين من الجهاد المقدس، وقد كان حماس هؤلاء المناضلين منقطع النظير ولكن الكثيرين منهم لم تكن لديهم أسلحة وكانوا يطالبون اعضاء اللجنة القومية بأن يسلحوهم ليتمكنوا من الذهاب للمعركة. ولكن اللجنة القومية مع الأسف لم يكن لديها اسلحة كافية لتوزعها عليهم. وقد آلمني بشكل خاص منظر رجل كهل حضر من قريته وقال انها قرية (سنجل) التي تقع بين رام الله ونابلس، وكان هذا الرجل يحمل سيفاً وقد جاء الى اللجنة القومية لكي تعطيه بندقية ليذهب بها الى المعركة في القسطل وبعبكس ذلك فإنه سوف يذهب ليقا تل بهذا السيف ويستشهد هناك لأن هذا هو مطلبه على أي حال. وعندما اخبروه أنه لا توجد لديهم بندقية ليعطوها له، حصلت مشادة بينه وبين اعضاء اللجنة القومية لأنهم أرادوا ان ينعوه بعدم الذهاب إلى المعركة بالسيف لأنه سوف يقتل بدون ان يستطيع تقديم المساعدة في القتال الدائر هناك. ولكنه خرج غاضباً ولا أدري أين ذهب وأغلب ظني أنه استشهد مع سيفه في ضواحي القسطل، ولكن هل يمكن أن نرى لدى أي شعب من شعوب العالم أخلص من هذه التضحية واسمى من هذا الفداء.

وبنتيجة هذه المعركة الاخيرة تمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال القسطل والاحتفاظ بها نهائياً. كما كانت العصابات الصهيونية قد نفذت اثناءها مذبحة دير ياسين كما اسلفت. وسرعان ما انتشرت انباء هذه المذبحة البشعة في جميع المدن والقرى العربية وأخذ جميع

السكان يرددون وصف الفظائع التي ارتكبت فيها ويضخمون هذا الوصف ويهولون بشاعة تلك الجرائم. وهذا هو بالضبط ما كان يرمي اليه اليهود من وراء ارتكاب تلك الجريمة النكراء. حيث كانوا يريدون ان يوصلوا تلك الرسالة الى جميع السكان العرب ويفهموهم ان هذا هو ما يمكن ان يتوقعوه من القوات اليهودية عندما تدخل قراهم. وقد كنت في مدينة رام الله صباح ذلك اليوم المشؤم عندما بدأت تصلها الاعداد القليلة المتبقية من سكان قرية دير ياسين وهم الذين ساعدهم القدر أن يفلتوا من الطوق ويهربوا من المجزرة. وسمعت بعض رواياتهم عن هول ما جرى في تلك القرية المنكوبة في الليلة الماضية. وقد فعلت هذه الانباء ما يشبه المعجزة حيث أخذ السكان بعدها يتسارعون للنزوح عن قراهم عند سماعهم عن اقتراب القوات اليهودية دون قتال أو مقاومة تذكر. وأخذت الوف اللاجئين تتدفق من جميع انحاء فلسطين الى الاردن ولبنان وسوريا بأية وسيلة نقل يجدونها وبأسرع وقت. وبهذه الطريقة تمكن اليهود من الاستيلاء على عشرات القرى العربية بدون قتال.

وعلى الرغم من بشاعة الجريمة التي ارتكبها اليهود في دير ياسين فإن التهويل بنقل اخبارها بالاساليب السانجة دون تقدير لعواقبها كان له اكبر الاثر في تحطيم معنويات السكان في جميع انحاء فلسطين، بحيث تحقق لليهود، ما كانوا يهدفون لتحقيقه من هذه الحرب النفسية في تلك الفترة الحرجة من الصراع. في حين انه بدلاً من تهويل هذه المأساة وترويجها كان يجب ان يكون رد الفعل لدى الاوساط العربية القيام بحملة من الدعاية المدروسة والدعوة للانتقام من هؤلاء الذين نفذوا تلك الجريمة اينما كانوا وبنفس الوقت القيام بتنفيذ عملية ضد اليهود تعطيهم درساً قاسياً يفهمهم بأن العرب ايضاً لهم يد طائلة تستطيع ان تصلهم في عقر دارهم وان بإمكان العرب ان يفعلوا بالسكان اليهود مثل هذا واكثر حتى ولو كانوا في منتصف تل ابيب. كما كان يجب ان تزيدهم جريمة دير ياسين صلابة واصراراً على الانتقام بدل الخوف من ما يمكن ان يفعله اليهود بهم مستقبلاً وان يخططوا لما يمكن ان يفعله هم باليهود وينفذوه فعلاً، ولكن العرب في تلك الايام لم يكونوا واعين لمعنى الحرب النفسية ليتمكنوا من ابتداء الاساليب اللازمة لمقاومتها وابطال مفعولها. وبعد مذبحه دير ياسين انتشر اليأس وانهارت المعنويات بين السكان العرب في مختلف انحاء فلسطين. وتحول اليهود من الدفاع الى الهجوم محاولين استغلال هذا الوضع الذي نشأ عنها لكي يحتلوا اكبر مساحة ممكنة من البلاد بصرف النظر عن حدود التقسيم. حيث اتضح لهم انهم اصبحوا اقوى بكثير من قوات المناضلين الفلسطينيين ومعهم جيش الانقاذ. ولكي يعلنوا قيام دولتهم في جميع المناطق التي يكونوا قد احتلوها عند انتهاء الانتداب البريطاني.

ولم يكن العرب قد اتخذوا قراراً بارسال الجيوش العربية النظامية للاشتراك بالحرب. ولكن بعد معركة القسطل ومذبحة دير ياسين ادركت الدول العربية ان قوات جيش الانقاذ والجهاد المقدس لا يمكنها حماية المناطق العربية في فلسطين. وعلى هذا الاساس عقد الرؤساء العرب ابتداء من تاريخ ١٠ نيسان ١٩٤٨م عدة اجتماعات في القاهرة لدراسة الموقف في فلسطين من جميع جوانبه واتخاذ القرارات المناسبة.

وقد تم ابلاغنا رسمياً من قبل قيادة الجيش في أواخر شهر نيسان أنه تقرر دخول الجيوش العربية الى فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٨م. وان قوات الجيش العربي ستتخذ مواقعاً دفاعية في المنطقة الوسطى من فلسطين والواقعة في تلال القدس الغربية المشرفة على الطريق الرئيسية المؤدية من تل أبيب الى القدس. ومنها على امتداد تلك التلال غرباً الى اللطرون، ثم شمالاً الى قرية بيت سيرا وشرقاً الى منطقة رام الله على ان لا نتجاوز حدود التقسيم الوارد في قرار هيئة الامم رقم ١٨١ الصادر بتاريخ ٢٩ تشرين ثانى عام ١٩٤٧م (انظر الخارطة رقم ١) وانه علينا المباشرة فوراً بوضع الخطط والامور الحربية اللازمة ضمن هذا الاطار وبموجب هذا التوجيه الاول الذي تلقيناه في قيادة الفرقة لم تكن مدينة القدس أو منطقة نابلس داخلة ضمن مسئولياتنا. ولكن المذهل حقاً اننا لم نبلغ بتفصيلات الخطة العامة للجيوش العربية كما تقتضي الاصول العسكرية الصحيحة. كما لم نطلع على اية معلومات عن حجم الجيوش العربية الاخرى أو مناطق حشدتها واهدافها ومناطقها المخصصة لها. ولم تشمل منطقة عملياتنا بحسب توجيه قائد الجيش لنا مدينة القدس لانها كانت منطقة دولية بموجب قرار هيئة الامم المتحدة. وان المساعي ما زالت تبذل من قبل المندوب السامي البريطاني واللجنة القنصلية التي شكلت من قبل الجمعية العامة للامم المتحدة للاتفاق على عقد هدنة بين الطرفين المتحاربين فيها. هذا بالاضافة الى ان حجم قواتنا المؤلفة من لوائين قوامهما اربعة كتائب لن تكون كافية اصلاً لحماية المنطقة الواسعة التي خصصت لنا، لا سيما وان الحرب بداخل المدينة سوف تبتلع معظم هذه القوات. الامر الذي سوف يحتم علينا ترك معظم المناطق الاخرى خالية من القوات.

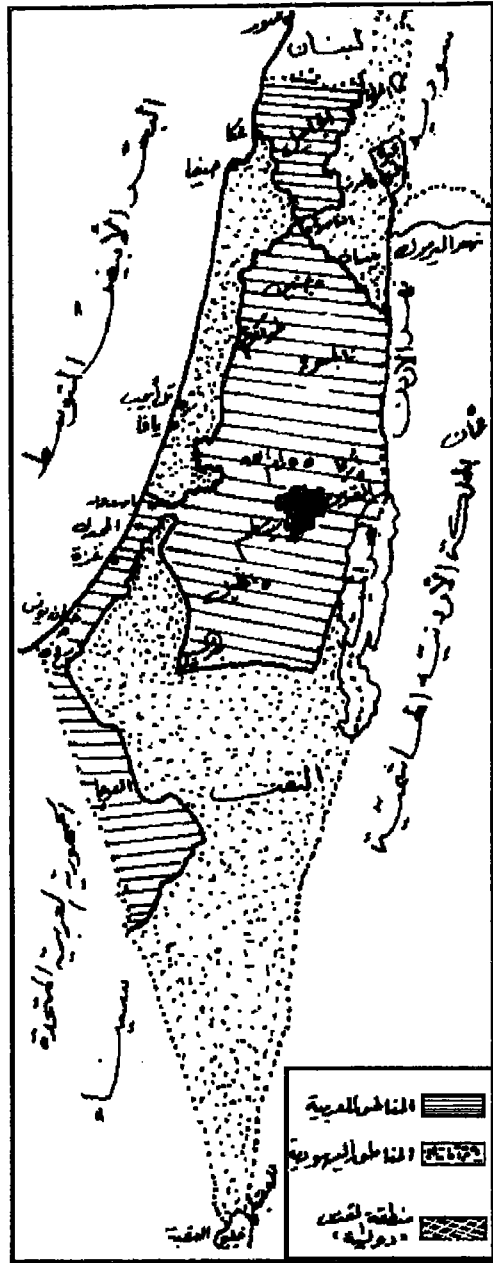
ومن الناحية العسكرية فإن واجبنا الاساسي هو اغلاق الطرق والمعابر المؤدية من الغرب الى الشرق لمنع القوات اليهودية من الاختراق عبر مشارف القدس الى رام الله ثم الى نهر الاردن. الامر الذي سيؤدي الى تطويق قواتنا واحتلال كامل المنطقة الوسطى المتبقية لدى العرب من فلسطين ولكن القوة التي سوف تخصص للدفاع عن منطقة باب الواد واللطرون

ستتمكن من اغلاق طريق القدس ومنع وصول أي نوع من الامدادات لها فتصبح المدينة محاصرة تماماً. وبعد ذلك يمكن التصرف بها على ضوء تطور المعركة. كذلك ابلغنا قائد الجيش ان مدينتي اللد والرملة غير مشمولتين ضمن نطاق دفاعاتنا نظراً لانهما تقعان في منطقة منخفضة وبعيدة عن المرتفعات الرئيسية التي سوف تركز عليها دفاعاتنا. ولأن الدفاع عن هاتين المدينتين سوف يحتاج الى كتيبتين على الاقل وهذا يعادل نصف قواتنا ولا يمكن توفيرهما من امكانياتنا المتاحة. ولذلك فقد تقرر ترك امر الدفاع عنهما الى قوات المناضلين المتواجدة فيهما.

واثناء انشغالنا بوضع الخطة الدفاعية العامة عن المنطقة الوسطى من فلسطين وبينما كان قادة الوحدات قد بدأوا باستعداداتهم النهائية قبيل حركتنا الى فلسطين ببضعة ايام وصلتنا التعليمات من قيادة الجيش بضم منطقة نابلس الى جبهتنا بحسب خطة الجامعة العربية لأن الجيش العراقي سوف يتقدم من منطقة جسر المجمع الى العقولة. وبحسب هذه التعليمات اصبح واجب قيادة الفرقة يقضي باتخاذ مواقع دفاعية ضمن حدود التقسيم وعلى جبهة تمتد من نابلس حتى مرتفعات القدس الغربية فتغطي خطأ دفاعياً طوله حوالي (١٦٠) مائة وستون كيلومتراً. وبنفس الوقت يقضي بعدم الاشتباك في قتال بداخل مدينة القدس نفسها مع الأخذ بعين الاعتبار محاولة تأمين نوع من الحماية الى منطقة الخليل التي لم تخصص لها أية قوات للدفاع عنها في البداية سوى سرية المشاة الثانية عشرة التي بقيت فيها من اصل سرايا الحامية السابقة.

وبحسب كل المعايير العسكرية ومع الأخذ بعين الاعتبار حجم قوة الجيش العربي المتوفرة لهذه المعركة مقارنة باتساع المنطقة التي ستكون مسئولة عنها فانه لا يمكن اعتبار هذه الخطة عملية سليمة ومعقولة. ولكنها كانت عبارة عن نوع من التواجد العسكري ضمن منطقة مخصصة للعرب بموجب قرار التقسيم.

واذن فإن هذه الحرب ليست حرباً فعلية بالمعنى الصحيح بل هي حرب سياسية جاءت لتثبيت الامر الواقع على امل تحقيق تنفيذ قرار التقسيم ومنع اليهود من تجاوز حدوده ولكن بأسلوب عسكري فريد يعتمد على الدفاع الثابت الدائم في هذه المناطق التي سوف نحتلها. ولا يمكن ان تنطبق عليه مبادئ الحرب وقواعدها واسسها المتعارف عليها. حيث لا يمكن لأي مفكر عسكري ان يقتنع ان باستطاعة اربعة كتائب مشاة ان تقوم بالدفاع الفعال عن منطقة بهذا الاتساع أمام هجوم حقيقي تشنه قوة متوازنة مصممة على اختراقها. لا سيما وان الجيش العربي سيخوض هذه المعركة الدفاعية منفصلاً عن الجيوش العربية



خارطة رقم (١)
تقسيم فلسطين بموجب قرار هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ م.

الآخري التي كانت هي بدورها ستخوض معاركها بشكل منفصل كل واحد منها في المنطقة المخصصة له. ولا تربط أي منها مع الآخرين خطة عامة مشتركة ولا حتى تنسيق فعال بين قياداتها. ولا يمكن تصور ان هذا النوع المفكك من الحرب سيكتب له النجاح. ولكني بهذه المرحلة ساترك مناقشة هذا الجانب من الحرب الى فصل لاحق اشرح فيه اسباب فشل الجيوش العربية في هذه الحرب التي اعتبر انها كانت اخطر منعطف تحول في مسيرة تاريخ الامة العربية لانها اسفرت عن ارساء قواعد دولة اسرائيل في قلب الوطن العربي وعلى ارض العرب بسبب التفرق والتمزق العربي وليس بقوة اسرائيل الخارقة. ولقد دأب العرب على تسميتها نكبة فلسطين ولكن رغم انى اعتبرها اسوأ نكبة حلت بنا فانى افضل ان اسميها (حرب الضياع العربي).

والآن لنعد قليلاً الى عمليات اعادة التنظيم وتشكيل قيادة الفرقة ووحداتها المختلفة التي كنا منهمكين بتنفيذها. ولقد كانت مهمتنا في غاية الصعوبة. حيث كان يترتب علينا أن ننهي عملية اعادة التنظيم واتمام التجهيز والتدريب لكافة الوحدات قبل تاريخ ١٥ أيار ١٩٤٨م. وهو الموعد الذي تقرر لدخول الجيوش العربية الى فلسطين. فقد كان الوقت ضيقاً للغاية وخصوصاً بالنسبة لانجاز تدريب الكتيبة الرابعة التي شكلناها حديثاً. وكذلك لتنظيم قيادات الالوية المستحدثة وملحقاتها من الوحدات الادارية والاسناد والتزويد وخلافها. واجراء المناورات المشتركة لهذه القطعات على مستوى التشكيلات أولاً ثم على مستوى الفرقة بكاملها قبل سوقها للمعركة. وكل هذا يجب تنفيذه على الرغم من ضالة الموارد المالية والفنية التي وضعت بتصرفنا وانعدام الاسلحة الاسنادية الثقيلة مثل مدفعية الميدان والدروع والآليات والنقلات الادارية اللازمة لمثل هذا التشكيل الضخم. ولكننا بالعمل المتواصل ليلاً ونهاراً استطعنا أن ننجز الكثير من هذه المتطلبات التنظيمية والتدريبية.

فقد أنجزنا القسم الاكبر من برامج التدريب الإجمالي للكتائب ومن ثم انتقلنا الى اجراء بعض المناورات لهذه الكتائب مع قيادات الويتها الجديدة. وبعد ذلك كان علينا ان نقوم بتنفيذ مناورة واحدة على الاقل تشمل قيادة الفرقة وجميع الويتها واسلحتها الآخري مجتمعة قبل ان نرجهها في المعركة الحقيقية كتشكيل متكامل. وبهذه الاثناء وفي شهر شباط عام ١٩٤٨م، وصلتنا شحنة من الاسلحة كان من ضمنها ستة عشر مدفع ميدان عيار ٢٥ رطل وهي الاسناد الرئيسي الوحيد الذي توفر لدينا بهذه الحرب. وقد قمنا بتشكيل بطاريتين منها. وكان علينا ان نكمل ملاكها من الضباط والافراد على وجه السرعة وان يتم تدريبهم ويقوموا باجراء بعض الرمايات الضرورية عليها بسرعة ثم تلحق باسناد اللوائين

الذين تم تشكيلهما قبل موعد الحركة الى فلسطين. كما وصلنا بنفس الوقت مع هذه الشحنة ستة عشر مدفعاً مضاداً للدبابات من عيار ٦ رطل. وقد تم تدريب اعدادها بسرعة والحقت بكتائب المشاة بمعدل اربعة مدافع لكل كتيبة. وهذا يعتبر اسناداً هزياً بكل المعايير المعروفة. ولكن هذا هو كل ما تمكنا من الحصول عليه في تلك الظروف وكذلك تم خلال هذه الفترة سحب ثلاثة سرايا مشاة اخرى من فلسطين وعسكرت مبدئياً في غور الاردن لكي تشكل منها كتيبة اخرى في المستقبل وبقيت مرتبطة مع قيادة الفرقة مباشرة حيث كانت سوف تخصص لحماية خطوط المواصلات الخلفية للفرقة بحسب الخطة التي كنا في صدد وضعها لعملياتنا في حرب فلسطين الوشيكة. وقد تم تشكيل هذه الكتيبة مبدئياً بتاريخ (١) أيار عام ١٩٤٨م بعد أن انتهت واجبات قوة حرس القوافل وضمت هذه اليها واسمينها الكتيبة السادسة. ولكن اتمام ملاكها من الاسلحة المساندة المختلفة وباقي المستلزمات الادارية والتنظيمية واعتمادها رسمياً فلم يتم الا اثناء الهدنة الاولى.

ولقد كانت تواجهنا مشاكل ضخمة في عملية اعادة التنظيم ومن اهمها ما يلي:

١ - لم يكن لدينا عدد كاف من الضباط العرب المدربين والمؤهلين لملاء الكثير من المراكز الهامة في قيادات الالوية والكتائب وخصوصاً ضباط الركن حيث لم يكن لدينا في ذلك الحين أي ضابط عربي خريج كلية الاركاز رغم ان ثلاثة ضباط هم يعقوب السلطي وعلي الحيارى وصادق الشرع حضروا دورة الاركاز في حيفا مع الجيش البريطاني ولكنها ليست بديلاً عن كلية الاركاز.

وأما الضباط الذين كانوا يحملون رتباً أعلى من رتبة وكيل قائد (رئيس اول) فكانوا اصلاً من ضباط الشرطة والدرك. وأما الضباط الذين يمكن ان يكونوا مؤهلين لقيادة الكتائب فقد كان عددهم محدوداً جداً.

٢ - كان الجيش العربي يعتمد في التزويد والامداد على الجيش البريطاني وعندما اعلنت بريطانيا انها ستسحب من فلسطين بتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٨م كان على الجيش العربي أن يعتمد على مصادره الذاتية ومن أهمها احداث مشاغل لتصلح الآليات وتشكيل سرايا النقل العسكرية لنقل التزويد والذخيرة والمؤن للقوات المقاتلة وتنظيم مصادر التمويل لهذه القوات خلال فترة قصيرة جداً ولقد كانت هذه بحد ذاتها عملية جبارة بل تكاد تكون شبه مستحيلة خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار ضآلة مواردنا المالية والمادية والفنية.

٣ - لم يكن لدينا احتياطي كاف من الذخائر بمختلف اشكالها وقد اصبحنا بهذه الفترة نعرف اننا مقبلون على الاشتراك في حرب وشيكة الوقوع في فلسطين. وعلى الرغم من ان قيادة الجيش العربي استطاعت بترتيبات معينة مع القيادة البريطانية في فلسطين نقل كميات كبيرة من ذخائر الاسلحة الخفيفة من مستودعات الجيش البريطاني في وادي الصرار الى مستودعاتنا الرئيسية في منطقة الزرقاء الا ان النقص بذخائر المدفعية كان خطيراً حيث لم نستلم مع هذه المدافع سوى ذخيرة الخط الاول وهذه الكمية لا تكاد تكفي لاستهلاك قتال اسبوعين او ثلاثة. وكذلك الامر بالنسبة لذخيرة مدافع الهاون ومدافع ضد الدروع. واما الالغام بمختلف اشكالها فكانت معدومة. وقد أخبرتنا قيادة الجيش اثناء فترة القتال الاولى بانها رتبت مع القيادة البريطانية في قاعدة السويس لتزويدنا بكمية من هذه الذخائر وانها حملت باخرة منها لشحنها الى العقبة. ولكنهم عادوا واخبرونا ان السلطات المصرية صادرتها قبيل ابحارها من ميناء السويس بأمر من الملك فاروق. وبقينا نحن نعانى من نقص الذخائر طيلة مدة الحرب.

٤ - لم تكن مدفعية الميدان التي قوامها ستة عشر مدفعاً كافية لاسناد الوية الفرقة في المعركة تحت أي معيار عسكري. ومع ذلك كان علينا ان نقبل المجازفة ونتدبر امر حاجات الكتاب القتالية بهذه المدافع المتوفرة لأنه ليس لدينا خيار آخر. ومما زاد في حراجه موقفنا انه لم يكن لدى الجيش العربي سلاح جو وبالتالي كان علينا ان نخوض معاركنا المنتظرة بدون غطاء جوي مهما كان زهيداً وباسناد مدفعي لا يكاد يذكر.

٥ - لم يكن لدينا سلاح هندسة ميدان لبناء الاعمال الدفاعية المهمة على الاقل مثل بث الالغام واعمال التحصينات وما اليها. كما لم يكن لدينا معدات هندسية وآليات لفتح الطرق الضرورية وبناء الجسور ولم تكن لدينا الكميات الكافية من الاسلاك الشائكة، وحتى اكياس الرمل لبناء الاستحكامات الميدانية البسيطة لجميع المواقع. اما الالغام بمختلف انواعها واحجامها فلم يكن لدينا منها شيء يذكر.

٦ - كانت مشكلة تأمين الكميات اللازمة من وقود السيارات في غاية الصعوبة حيث كنا في السابق نستورد هذه المواد من الجيش البريطاني وفجأة اصبح علينا الآن ان نعتمد على المصادر المحلية التي لم تكن مهيأة اصلاً لتزويدنا بهذه الكميات الضخمة التي نحتاجها لاستهلاك الجيش. وبنفس الوقت كان علينا ان نحاول بناء الاحتياطي الكافي منها خلال تلك الفترة الوجيزة المتبقية قبل اندلاع القتال.

ولكن رغم هذه الصعوبات التي كانت تبدو شبه مستحيلة استطعنا تدبير الامور بشكل

مرضي نوعاً ما ولو أنها لم تكن تكفي لحرب طويلة. وعلى أي حال هذا هو كل ما كان ممكناً ضمن الظروف والمعطيات المتوفرة.

إلا أن مشكلة نقص الذخائر بقيت مستعصية على الحل واستمرت تقض مضاجعنا طيلة مدة الحرب. وكان لها تأثيرات سلبية خطيرة على سير المعارك والنتائج العامة للحرب.

وعندما اكملنا تشكيل قيادة الفرقة والويته وباقي قطعاتها اكتسبت الصفة الرسمية بتاريخ ١ نيسان عام ١٩٤٨م. وقد كانت خطة التنظيم مبنية على أساس أن يكون ملاك الفرقة مكون من لوائي مشاة وكل لواء يشمل كتيبتين فقط وكان مجموع قواتنا بحدود (٤٥٠٠) أربعة الاف وخمسمائة فرد من جميع الرتب. أما القيادات الرئيسية لهذه القوات فكانت على النحو التالي:

١ - قيادة الفرقة الاولى :

قائد الفرقة	اللواء نورمان لاش
الركن العسكري الاول	وكيل القائد جون داونز
الركن العسكري الثاني	الرئيس صادق الشرع
ركن الادارة واللوازم	الرئيس بيل دين
ضابط الاسلحة	الرئيس بيرس هاوس

٢ - اللواء الاول :

قائد اللواء	الزعيم دزموند جولدي
ضابط ركن	الملازم الاول صالح الشرع

الكتيبة الاولى:

قائد الكتيبة	القائد بلاكدن
اركان حرب الكتيبة	الرئيس خالد الصحن

الكتيبة الثالثة:

قائد الكتيبة	وكيل القائد نيومان
اركان حرب الكتيبة	الرئيس خالد مجلي الخريشة

٣ - اللواء الثالث :

قائد اللواء الزعيم تيل اشتون
ضابط ركن الملازم الاول علي ابو نوار
الكتيبة الثانية:

قائد الكتيبة وكيل القائد سليد
اركان حرب الكتيبة الملازم الاول عكاش الزين
الكتيبة الرابعة:

قائد الكتيبة القائد حابس المجالي
اركان حرب الكتيبة الملازم الاول محمود الروسان
وقد كانت كل كتيبة من كتائب هذين اللوائين تتألف من سرية مساندة وثلاثة سرايا
مشاة وسرية قيادة.
وأما الكتائب الثلاثة الاولى والثانية والثالثة فقد كان لدى كل واحدة منها سرية مدرعات
بالاضافة الى مرتبها.

٤ - اللواء الرابع:

لقد وضعنا تشكيل هذا اللواء بصورة رمزية للتمويه فقط حيث لم يكن لدينا كتائب
اضافية لإتمام مرتبه كباقي الالوية. ومع ذلك فقد كان بامرته السرايا الآتية التي شكلت
منها الكتيبتين الخامسة والسادسة في وقت لاحق.

وقد اسندت قيادة هذا اللواء الى القائمقام (العقيد) احمد صدقي الجندي الذي كان قائداً
للحاميتين سابقاً وبقي مركز قيادته في مدينة رام الله.

أما سرايا هذا اللواء فكانت موزعة على النحو الآتي:

أ - السرايا التي شكلت منها الكتيبة الخامسة فيما بعد

سرية الامن الثانية - رام الله

سرية المشاة الخامسة - نابلس

سرية المشاة التاسعة - قرية الطيبة شرق رام الله

ب - السرايا التي شكلت منها الكتيبة السادسة فيما بعد

سرية الامن الاولى - جسر النبي

سرية المشاة السادسة - منطقة غزة

سرية المشاة الثامنة - منطقة اريحا

ج - سرية المشاة الثانية - دامية والجفتك

د - سرية المشاة الحادية عشرة - رام الله

هـ - سرية المشاة الثانية عشرة المستقلة - الخليل

الخطة العامة :

على اساس التوجيهات الحربية التي صدرت لنا من قيادة الجيش العربي قمنا بوضع خططنا السوقية والتعبوية وما يتبعها من خطط ادارة وتزويد وغير ذلك من التفاصيل اللازمة للخطط المتكاملة لخوض المعركة. وسوف لا أدخل هنا في تفاصيل هذه الخطط حيث لا أظن أنه يهم القاريء معرفة كل هذه التفاصيل الفنية إلا أنني سوف أعطي لمحة موجزة عن توزيع قواتنا في مختلف المناطق التي سوف تتمركز فيها في البداية وسوف اتوسع بعض الشيء في تفاصيل سير المعارك التي وقعت بعد دخول الجيش الى فلسطين حسب تسلسل تواريخ وقوعها في مكان لاحق.

ومن دراسة الطبيعة الجغرافية للمنطقة المخصصة لعملياتنا يتضح أن نقاط الارتكاز المحورية الهامة فيها هي (جنين - طولكرم - قلقيلية - اللطرون - باب الواد) وبعد تفحص طرق الاقتراب المحتملة عبر نقاط الارتكاز هذه ومقارنتها مع حجم القوات المتوفرة لدينا وبعد دراسة كاملة لتقدير الموقف والاهداف المطلوبة خلصنا بنتيجة ان افضل توزيع للقوات يمكن قبوله هو الآتي:

اولاً : اللواء الاول :

يتألف من كتيبتي مشاة وتسانده بطارية مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطل وسريتي مدرعات.

يعتبر مسئولاً عن الدفاع عن منطقة نابلس وتتمركز كتائبه في المواقع الآتية:

الكتيبة الاولى :

تغطي محاور الاقتراب من طولكرم وقلقيلية في الغرب ومن جنين في الشمال. وتوزع سراياها ودورياتها بالاماكن المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

الكتيبة الثالثة:

توضع في الاحتياط بمنطقة قرية حوارة قرب مدينة نابلس.

ثانياً : اللواء الثالث :

يتألف من كتيبتي مشاة وتسانده بطارية مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطل وسرية مدرعات.

يكون مسئولاً عن الدفاع عن منطقة رام الله واللطرون ومرتفعات باب الواد .

الكتيبة الثانية:

تغطي منطقة باب الواد وتنشر سراياها ودورياتها بالاماكن المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

الكتيبة الرابعة:

تغطي منطقة اللطرون والمرتفعات الشرقية وتوزع سراياها ودورياتها بالاماكن المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

ثالثاً : قيادة الفرقة :

في منطقة قرية بيتين شرق رام الله.

رابعاً : السرايا التي شكلت منها (الكتيبة السادسة)

في منطقة الاغوار لحماية خطوط المواصلات الخلفية لوحدات الفرقة.

وقد قمنا بعد ذلك بمناقشة تفصيلات خطة الدفاع بكاملها مع قادة الالوية والكتائب والوحدات الاخرى على (خارطة رملية) تمثل نفس المنطقة التي خصصت لنا والتي سوف يتمركزون فيها ويتولون مسئولية الدفاع عنها. وبعد ذلك وضعنا خطة مناورة شاملة اطلقنا عليها الاسم الرمزي (تقريباً) تنوياً الى انها تشبه المعركة الدفاعية التي سوف نخوضها في فلسطين. وقامت قيادة الفرقة وكافة تشكيلاتها بتنفيذها. وقد انتخبنا لهذه المناورة المناطق الممتدة من غرب مدينة المفرق وصولاً الى مدينة جرش وجبال عجلون. ووزعنا الالوية على هذه المناطق لتقوم بالتمركز في مواقع تشابه في طبيعتها المراكز التي سوف تتولى الدفاع عنها في فلسطين. وقد دامت هذه المناورة مدة خمسة ايام درسنا خلالها مع قادة الالوية والكتائب مختلف المشاكل التي برزت من خلال هذه المناورة. واعطيت فرصة جيدة لكافة القطاعات لكي

تتدرب على الاتصالات اللاسلكية والسيطرة من قبل القيادات المختلفة على وحداتها، وعلى حركة القوافل ليلاً ونهاراً واحتلال المواقع الدفاعية المختلفة بمستوى الكتائب والالوية. كما اعطيت الفرصة لقيادة الفرقة التكتيكية والرئيسية لاختبار قدراتها على السيطرة على تحركات تشكيلات الفرقة المتكاملة.

وحال عودتنا لمعسكراتنا بعد هذه المناورة، بدأت الوحدات تستعد وتستكمل لوازمها وتنتهي للحركة الى فلسطين في اليوم المحدد لذلك.



المؤلف الرئيس صادق الشرع في سيارة القيادة في الوسط وحوله جنديان اثناء المناورة الكبرى التي اقيمت للفرقة الأولى قبل دخولنا للحرب في فلسطين

وأما بالنسبة لنا في قيادة الفرقة فقد بدأ عملنا يتكاثر ولم نكن نعرف الراحة نظراً لضيق الوقت وقلة عدد ضباط الأركان. حيث كان علينا انا والركن الاول الميجر داونز ان نجهز كافة التعليمات والامامر الحربية والادارية ونقوم بتوزيعها على قادة الالوية ومناقشة خططهم على ضوءها في مختلف الاجتماعات. ثم نقوم بزيارتهم في معسكراتهم للمساعدة في تلبية حاجات وحداتهم المختلفة باقصى سرعة ممكنة على ضوء الامكانيات المتوفرة. لا سيما وان قيادة الفرقة لم يكن لديها ملاك كامل من ضباط الأركان من مختلف الرتب بالشكل المتعارف عليه في الجيوش حيث تم تشكيلها حديثاً. ولم يكن متوفراً في الجيش العربي العدد الكافي من الضباط العرب المؤهلين لتعبئة جميع الشواغر اللازمة لفروع الأركان المختلفة. وهكذا فقد كان عبء هذا العمل الضخم ملقى على عاتق اربعة ضباط رئيسيين في قيادة الفرقة وهم:

- الركن العسكري الاول - وكيل القائد جون داوونز
- الركن العسكري الثاني - الرئيس صادق الشرع
- ركن الادارة واللوازم - الرئيس بيل دين
- ضابط الاسلحة - الرئيس بيرس هاوس

وقبل موعد الحركة بفترة وجيزة زارنا قائد الجيش الفريق كلوب باشا وعقد معنا اجتماعاً مطولاً شرحنا له خلاله تفاصيل خطة الفرقة النهائية لدخول فلسطين. وجميع الاستعدادات النهائية التي تمت في التحضير للمعركة. وبعد ذلك ابدى ملاحظاته عليها ثم قال لنا: نحن سوف نذهب الى فلسطين لكي ندافع عن المناطق العربية الواقعة ضمن حدود التقسيم. وهذا حسب الاتفاق بين الدول العربية وطبقاً للمناطق التي وزعوها على الجيوش العربية. وهذا هو واجبنا المعطى لنا وعلينا ان نتقيد به وننفذه بدقة. وعندئذ سألت كلوب باشا عن سبب عدم اطلاعنا في قيادة الفرقة على الخطة العربية ما دام ان الواجبات التي اسندت لنا بهذه المعركة كانت بموجب اتفاق الدول العربية. فقال: لا توجد خطة عربية عامة بالمعنى المفهوم، لأن الجيوش العربية ستكون مستقلة كل جيش في منطقته. ولكنهم اتفقوا على تكوين قيادة عامة بقيادة جلالة الملك عبدالله. وسيكون مقرها في معسكر الزرقاء وستكون من ضباط من جميع الجيوش العربية المشتركة في الحرب. وان شاء الله سيتمكنها ان تعمل شيء. وعندئذ تأكد لي بعد هذا الحديث ان حربنا هذه سوف تكون حرباً سياسية لتثبيت الامر الواقع فقط وليس لمحاربة وسحق القوات الاسرائيلية كما كنا نطمح ونأمل. وبعد ذلك شرح كلوب باشا هذا الكلام الى الضباط العرب في مختلف القيادات اثناء زيارته التي قام بها لجميع الكنائس قبيل حركتها الى فلسطين.

ملخص العمليات التي دارت قبيل دخولنا الحرب :

خلال هذه الفترة الحرجة تدهورت الاوضاع العربية في فلسطين بشكل خطير نتيجة العمليات الهجومية المنظمة التي قام بها اليهود ضد المدن العربية الرئيسية والمراكز الحساسة في مختلف المناطق وخصوصاً في الشمال والوسط فقد كانت قوات جيش الانتقاذ في الشمال تتعرض لضغط مستمر من القوات اليهودية المتقدمة لفتح طريق (روشبين - طبريا) وعزل صفد كما كانت مدينتي حيفا ويافا تتعرضان لاشتباكات مستمرة بالاضافة الى ما كان يجري في مدينة القدس من مناوشات ومحاولات تقوم بها القوات اليهودية لاحتلال مختلف المواقع بالتدريج لتعزيز موقفها العام استعداداً للسيطرة على المدينة بكاملها حالما تنتهي مدة الانتداب البريطاني، وبنفس الوقت وبعد معركة القسطل ومذبحة دير ياسين

تمركزت فصائل من جيش الانتقاذ في مواقع مهمة الى الشمال والشمال الغربي من القدس بالاشتراك مع الجهاد المقدس والمناضلين الآخرين. وكان من أهمها موقعي النبي صموئيل وقرية بدو المسيطرة على معبر باب الواد من جهة الشرق. وبداخل مدينة القدس كانت قوات المناضلين ما زالت تسيطر على البلدة القديمة وبعض المناطق الأخرى في الأحياء الجديدة. ومن أهمها حي الشيخ جراح الذي يسيطر على مدخل المدينة من الشمال ويؤمن اتصالها مع مدينة رام الله ورغم ان اليهود كانوا قد نجحوا باحتلاله مرة لكن القوات البريطانية اخبرتهم منه لانها تريد الإبقاء على خط مواصلاتها بهذا الاتجاه مفتوحاً. ثم عاد المناضلون العرب واحتلوه من جديد. وهذا الوضع كان سائداً في مطلع شهر نيسان. ولكن الانهيارات في الموقف العربي اخذت تتوالى بعد منتصف الشهر كالآتي :

بتاريخ ١٨ نيسان - سقطت مدينة طبريا بيد اليهود بدون قتال تقريباً.

بتاريخ ٢٢ نيسان - انهارت المقاومة العربية في مدينة حيفا واصبحت المدينة بكاملها تحت سيطرة اليهود.

بتاريخ ٢٨ نيسان - بدأت المقاومة العربية تنهار في مدينة يافا وهجرها اهلها. ثم بتاريخ ١٣ أيار أعلنها رئيس البلدية السيد يوسف هيكل مدينة مفتوحة وسلمها للقوات اليهودية على هذا الأساس.

بتاريخ ١١ أيار - سقطت مدينة صفد بعد معارك عنيفة دامت عدة أيام.

بتاريخ ١٢ أيار - سقطت مدينة بيسان.

هذا بالإضافة إلى العديد من القرى التي كانت تسقط تباعاً بيد القوات اليهودية في هذه الساحة أو تلك ولا مجال لذكرها في هذه العجالة. لكن المهم أن نعرف أن صورة المأساة الرهيبة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني خلال هذه الفترة أخذت تظهر أبعادها على شكل آلاف اللاجئين الذين اخذوا يصلون إلى شرق الأردن ولا يحملون سوى امتعتهم الشخصية وقد سلبهم اليهود كل ما يملكون وهم بحالة يرثى لها من الإعياء والحزن والأسى والبؤس. وجميعهم بحاجة إلى المأوى والمأكل. ولم يكن ذلك متيسراً لهذه الأعداد الهائلة من اللاجئين الذين تدفقوا على المنطقة دفعة واحدة فتشتتوا في جميع مدن وقرى الأردن للبحث عن المأوى ونوع من الإستقرار المؤقت. وبما أن الحكومة الأردنية لم تكن مهيأة لمثل هذا الموقف ولم تكن لديها الوسائل والإمكانات لتوفير مساكن أو مخيمات لهذه الأعداد الهائلة من اللاجئين خلال فترة وجيزة فقد كانت هذه المهمة ملقاة على عاتق المواطنين لإستضافة إخوانهم هؤلاء

مؤقتاً بينما تتوفر الترتيبات اللازمة من قبل الدولة لاستقرارهم وقد شاركهم مساكنهم ومثوثتهم طيلة الفترة التي تلت هجرتهم حتى أمكن بناء المخيمات لهم من قبل وكالة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين بعد عدة أشهر. وبهذا الصدد فإن أي وصف يمكن أن أذكره هنا سيكون قاصراً عن إيضاح الصورة الحقيقية لهذه المأساة الرهيبة التي كانت ماثلة أمامنا في تلك الفترة الخطيرة من بداية مأساة الفلسطينيين بالدرجة الأولى والأمة العربية بالدرجة الثانية والتي ما زلنا نعانى من نتائجها حتى يومنا هذا. وسنبقى نعانى منها في المستقبل لسنين طويلة حتى يقدر الله لنا أن نصبح أمة تستحق تاريخها وتراثها فتتأثر لشرفها وكرامتها وتسترد وطنها السليب بمختلف أرجائه .

وبعد : فإن هذه لمحة موجزة عن الصورة التي كانت ماثلة أمامنا في أواخر شهر نيسان ومطلع شهر مايس ونحن نستعد للذهاب الى فلسطين لنقاتل القوات اليهودية. ولكن أي قتال هذا الذي كنا نحلم به بعد ان عرفنا اننا سوف نذهب لحماية جزء من وطننا فقط ضمن حدود التقسيم الذي فرضته هيئة الأمم المتحدة وقسمت وطننا بقرار منها بيننا وبين اليهود. وأية معركة تلك التي سوف تخوضها الجيوش العربية وهي متفرقة ومنفصلة عن بعضها لا تخضع لقيادة واحدة ولا تدار عملياتها ضمن خطة عامة واحدة ولا تخوض معاركها في نطاق استراتيجية واحدة سليمة تهدف إلى تدمير قوات العدو المقاتلة لكي نتمكن بنتيجتها من إعادة أخواننا الفلسطينيين إلى مدنهم وقراهم التي إستولى عليها اليهود ظلماً وعدواناً .

وبهذه الصورة استمرت استعداداتنا وتحضيراتنا قبل حلول موعد ذهابنا إلى فلسطين ونفوسنا يملأها الحزن وقلوبنا يعصرها الألم ولكن لا زال يراودنا الأمل بأن نتمكن من منازلة اعدائنا في ساحة القتال على الرغم من قلة عدداً وعدم كفاية عدتنا وتفرق كلمة دولنا واضطرارنا لخوض معركة نخالف فيها جميع مبادئ الحرب وأسس التعبئة والسوقية المتعارف عليها. ونفتقر إلى وحدة القيادة والتنسيق بين الجيوش المقاتلة في ساحة العمليات.

كل هذه الأمور كنا نفتقر إليها بالإضافة إلى أن قيادة جيشنا وقيادات وحداته الرئيسية كانت جميعها بيد الضباط الإنجليز. ولم تكن القلة المتيسرة في ذلك الوقت من الضباط العرب تكفي لتولي كل هذه المناصب حتى لو كان الانجليز سيقبلون بذلك .

وعلى أي حال فإنه لم يكن بيد الضباط العرب أكثر من المركز الثاني، أو الثالث في قيادات الوحدات الرئيسية. ولم يكن لدينا بهذه الحالة بديل سوى القبول بالأمر الواقع والذهاب للمعركة تحت قيادة الضباط الإنجليز. وليس معنى ملاحظتي هذه أن هؤلاء الضباط الانجليز لم يقاتلوا بكفاءة بل بالعكس فإنهم خاضوا المعارك التي اسندت الى وحداتهم بكل شجاعة وجراءة وقد جرح عدد منهم في مختلف المعارك. ولكن ما أقصده هو أننا من

المفروض أن لا نتوقع من هؤلاء الضباط أن يقاتلوا بأي معركة لا توافق عليها حكومتهم وهي صاحبة وعد بلفور. ولذلك فإنهم لم يشتركوا في حرب فلسطين إلا لأنها كانت تهدف الى تثبيت الأمر الواقع ضمن حدود التقسيم ولأن الحكومة البريطانية كانت قد وافقت مسبقاً على إرسال الجيش العربي للإشتراك فيها ضمن هذه الشروط .

وعلى أي حال فقد كانت هذه هي معركتنا التي سوف نخوضها في فلسطين والتي كنا نأمل بلا طائل أن نتمكن بنتيجتها من إعادة إخواننا الفلسطينيين إلى ديارهم التي أخرجوا منها بقوة السلاح .

وفي نهاية شهر نيسان عام ١٩٤٨م وبنتيجة اجتماعات اللجنة السياسية واللجنة العسكرية للجامعة العربية اتفقت الحكومات العربية على إسناد القيادة العامة للجيش العربي الى جلاله الملك عبدالله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية. ولم يكن من المعقول أن يتم تشكيل قيادة عامة خلال هذه الفترة القصيرة المتبقية قبل نشوب القتال لجيوش متفرقة بهذا الشكل ولم يسبق أن جرى بينها أي نوع من التنسيق أو الاتصال العملي بحيث تصبح هذه القيادة فعالة في الميدان خلال فترة أسبوعين. وانه لضرب من الخيال أن نتوقع من هذه القيادة أن يكون بمقدورها السيطرة على العمليات الحربية وإدارة معاركها في الميدان مع ضمان أقل قدر من النجاح مهما كان ضئيلاً. ولكن كما يظهر أن الملك عبدالله قبل هذه المسؤولية على مضض بعد ان رفضتها مصر التي كانت مترددة في الإشتراك بمعركة فلسطين حتى اللحظة الأخيرة. ولم يقبلها العراق. فأراد الملك عبدالله أن يحسم الموقف لكي يضمن إشتراك جيوش هذه الدول في المعركة بأي شكل. لاسيما وانه كان مصمماً على إرسال الجيش العربي الأردني إلى فلسطين لمحاولة انقاذ القسم المتبقي منها رغم ان هذا الجيش كانت تسيطر عليه بريطانيا بالتسلح والتمويل والقيادة بموجب المعاهدة الأردنية البريطانية. وهكذا تشكلت القيادة العامة للجيش العربي واتخذت من معسكر الزرقاء مقراً لها. وقد عين اللواء الركن نورالدين محمود من الجيش العراقي نائباً للقائد العام ويساعده ثلاثة من ضباط الركن الكبار هم : اللواء اسماعيل صفوت من الجيش العراقي والزعيم سعدالدين صبور من الجيش المصري والعقيد محمود الهندي من الجيش السوري. كما ضمت القيادة العامة عدداً قليلاً من ضباط الركن من الرتب الأخرى من الجيوش العربية المشتركة في الحرب والخاضعة لهذه القيادة نظرياً فقط .

وكان واضحاً أن هذه القيادة ليست أكثر من قيادة شكلية تتخذ طابعاً سياسياً كما اثبتت الأحداث بعد نشوب المعارك في فلسطين للأسباب الآتية :

١ - تم تشكيل هذه القيادة بقرار سريع مرتجل من قبل الجامعة العربية وكان حجمها محدوداً جداً حيث لم تتوفر فيها فروع الأركان المطلوب توفرها لقيادة عامة تتولى مسؤولية قيادة خمس جيوش تخوض معركة بهذا الحجم في جميع انحاء فلسطين مثل فروع العمليات (الحركات الحربية) والإدارة والاستخبارات والتخطيط والاتصالات والإمداد والتزويد وخلافها الأمر الذي جعلها عاجزة تماماً عن توجيه العمليات الحربية لهذه الجيوش أو حتى تلقي المعلومات عن المعارك بشكل منتظم أو التأثير في توجيهها وإدارتها بأي نسبة من الفعالية .

٢ - لم تتمكن هذه القيادة من تنسيق عمليات القوات الموضوعه بإمرتها ولم يكن بمقدورها الإشراف الفعال على خطط هذه الجيوش وإدازة معاركها وتوجيه حركاتها ولا حتى تحقيق أي نوع من التعاون الفعلي والمساندة القتالية بين هذه القوات حسب مقتضيات سير المعركة .

٣ - لم يكن لدى هذه القيادة خطة عامه موحده لعمليات الجيوش العربية التي كان من المفروض أنها موضوعة تحت إمرتها. لأنه لو كانت لديها مثل هذه الخطة لقامت بتوزيعها على قيادات هذه الجيوش وطلبت التقيد بها وتطبيق متطلباتها وتحقيق أهدافها. ثم أشرفت بعد ذلك على تنفيذها في الميدان. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث أو على الأقل بالنسبة لنا في قيادة الفرقة حيث لم نتسلم من هذه القيادة أي خطة عمليات عامة أو توجيهات حربية أو أوامر حركات كما هو متعارف عليه في مثل هذه الحالات. اللهم إلا ما كان يصلنا بين الحين والآخر من أوامر وتعليمات من جلالة الملك عبدالله فيما يتعلق بعمليات الجيش العربي كما سيرد ذكره في شرحي للعمليات الحربية في مكان لاحق .

وأما إذا افترضنا أنه كانت لدى هذه القيادة العامة للجيوش العربية أو لدى اللجنة العسكرية للجامعة العربية أية خطة عامه فإنها لم تنفذ ولم يتقيد بها أي من الجيوش العربية المقاتلة في الميدان .

وعلى أي حال فما هي الفائدة من وضع خطة عامة لمعركة بهذا الحجم قبل أسبوعين من بدء القتال بهذا الشكل المرتجل حتى لو وجدت. وهل يعقل أصلاً أن توضع خطة حربية بهذا المستوى من الأهمية من قبل لجنة عسكرية في الجامعة العربية ثم تسند مهمة تنفيذها إلى قيادة عامة أخرى استحدثت على عجل ولم تكن هي واضعة هذه الخطة أو على الأقل مشتركة في وضعها. وما هي قيمة هذا التخطيط إذا كانت الجيوش العربية ستقاتل منفصلة ويخضع كل منها لقيادته في بلده بدون أن يكون جزءاً من قوة متكاملة تقودها قيادة واحدة

وتدير معاركها ضمن استراتيجية واحدة. فأين إذن تقع المسؤولية عن هذا التخبط والارتجال. سنرى ما ستقوله لنا الأحداث على هذا التساؤل في فصل لاحق .

المرحلة الأولى من القتال :

بعدما انتهينا من وضع خطتنا للإشتراك في الحرب واتممتنا الاستعداد لها ضمن أمكانياتنا كما أسلفت ذهبنا في أوائل أيار ١٩٤٨م مع قائد الفرقة بجولة استطلاعية لنتفحص المواقع التي سوف تحتلها قطعتنا في المناطق التي خصصت لنا. وبدأنا باستكشاف منطقة وادي الأردن حيث درسنا طرق المواصلات الخلفية وعينا المكان الذي ستركز فيه الكتيبة السادسة ومواقع سراياها التي منها ستقوم بإغلاق طرق الاقتراب المحتملة للعدو والتي منها يستطيع التأثير على خطوط مواصلاتنا. ثم تحركنا الى القدس وعبرنا من حي الشيخ جراح في طريقنا إلى المرتفعات الغربية وقد وجدنا أن قوات المناضلين العرب تحتل هذا الحي وكانت بهذه الأثناء تجري اشتباكات بالأسلحة الخفيفة بينهم وبين القوات اليهودية في المواقع المقابلة. ولما لم تكن خطتنا تشمل في البداية القتال بداخل مدينة القدس، ذهبنا لاستكشاف منطقة باب الواد وبدأنا بمرتفع النبي صموئيل وصعدنا إلى أعلى نقطة هناك ومنها كشفنا المواقع الغربية. وقد كانت تتمركز في منطقة النبي صموئيل قوة من جيش الإنقاذ والمناضلين. وأخبرونا أن لهم قوة أخرى متمركزة في قرية (بدو) وفي منطقة تللال اللطرون. كما أخبرونا أن القوات اليهودية موجودة في قرية القسطل وثلة الرادار الواقعة إلى الغرب من النبي صموئيل. ومن هناك عدنا إلى مدينة رام الله ثم ذهبنا غرباً إلى قرية بيت عور ومثلث بيت سيرا. وقد كان واضحاً أن مفترق الطرق هذا يشكل عقدة مواصلات مهمة حيث يشمل ملتقى الطرق المؤدية جنوباً إلى اللطرون وشمالاً إلى دير قديس وشرقاً إلى رام الله. ولذلك فإنه يعتبر موقعاً في غاية الأهمية والخطورة، حيث لو تمكنت القوات اليهودية من السيطرة عليه لأمكنها عزل جميع هذه المناطق وتحقيق إختراق سهل وسريع عبر مدينة رام الله إلى وادي الأردن ولذلك فقد أتضح لنا أنه يجب أن نسيطر عليه من منطقة اللطرون وباب الواد. ولكن بما أنه يقع في أرض منخفضة فلا بد إذن من إحتلال التلال التي تسيطر عليه مباشرة من الغرب. ثم عدنا إلى رام الله وبعد زيارة قصيرة إلى قيادة اللواء الرابع تابعنا سيرنا إلى قرية (بيتين) حيث عينا في تلالها المواقع التي ستركز فيها قيادة الفرقة. ثم توجهنا إلى مدينة نابلس وعدنا عن طريق وادي الباذان إلى الجفتلك. وهي الطريق الرئيسية التي سوف تعبر منها قوافل قواتنا عند تقدمها إلى فلسطين. ثم عدنا إلى أريحا وعبرنا جسر الملك حسين (النبي) وتوقفنا في الساحات المكشوفة الواقعة بين بلدة الشوثة الجنوبية ونهر

الأردن وهي التي ستكون منطقة حشد قوات الفرقة يوم ١٤ أيار عام ١٩٤٨ م استعداداً لعبورها في اليوم التالي إلى فلسطين. وقمنا بجولة استطلاعية بهذه الساحات حيث اخذنا فكرة واضحة عن إمكانية استيعابها لجميع هذه الكتائب وسهولة خروج قوافلها منها. ثم عدنا إلى معسكرنا في مدينة المفرق .

وخلال الأيام القليلة المتبقية قمنا بوضع اللمسات الأخيرة على جميع استعداداتنا العسكرية والإدارية وإتمام جميع متطلبات تشكيلات الفرقة من اللوازم والذخائر وغيرها وتأكدنا من أن جميع قطعاتنا أصبحت جاهزة ليوم الحركة .

وقد كانت قواتنا موزعة على معسكراتها كما يلي :

- ١ - قيادة الفرقة - ومعها قيادة اللاسلكي والمشغل والإدارة، في معسكر المفرق.
- ٢ - قيادة اللواء الأول - ومعها الكتيبة الأولى والثالثة في معسكراتها بمنطقة (خو).
- ٣ - قيادة اللواء الثالث - ومعها الكتيبة الثانية في معسكر إربد (معسكر قوة الحدود سابقاً) - الكتيبة الرابعة - في معسكر المفرق .
- ٤ - مجموعة سرايا خط المواصلات - (الكتيبة السادسة فيما بعد) تجمعت في منطقة - أريحا - الجفتلك مؤقتاً .
- ٥ - قيادة اللواء الرابع - ومعها سرية مشاة في مدينة رام الله. ويرتبط معها السرية الثانية عشر الموجودة في مدينة الخليل ومنها فئة موجودة في (عرطوف) إلى الجنوب الغربي من القدس. وأما باقي سرايا هذا اللواء فكانت موزعة على المواقع التي جاء ذكرها في فقرة سابقة .

وفي هذه الأثناء أخذت الأحداث تتسارع على الساحة العربية بشكل ملحوظ خلال الأسبوعين الأولين من شهر أيار. ولكن بشكل يغلب عليه طابع الارتجال. لاسيما وأن الدول العربية لم تقرر رسمياً إرسال جيوشها للقتال في فلسطين إلا بآخر شهر نيسان. ولم يقر رؤساء أركان حرب هذه الجيوش بدراسة جدية لتقدير موقف عسكري مشترك لتحضير القوات اللازمة للمعركة المنتظرة على أساسها وبما يتناسب مع حجم وقدرات قوات العدو لضمان كسب المعركة ضده. ولم تصلنا أية معلومات عن كيفية حشد هذه الجيوش سوى ما ابلغتنا به قيادة الجيش العربي الأردني عن إجتماع رؤساء أركان حرب الجيوش العربية الذي درسوا فيه الموقف الحربي للعدو وأنهم قرروا بالنتيجة أن حجم القوات اللازمة للتغلب على قواته يجب أن لا يقل عن خمسة فرق كامله مع إسناد جوي كافي لها. وأن اللجنة

السياسية للجامعة العربية قررت أن هذا الطلب مبالغ فيه. ولذلك فإنه على الجيوش العربية أن تدخل فلسطين بالقوات المتيسرة لديها كل في المنطقة المخصصة له. وفي هذا الصدد فقد كانت المعلومات الاستخبارية المتوفرة لدينا تدل على أن القوات اليهودية بمختلف صنوفها لا تقل عن خمسين ألف مقاتل. وأن جميع مستعمراتهم عبارة عن مواقع دفاعية محصنة تحصيناً قوياً من الاستحكامات المبنية بالاسمنت المسلح وخنادق الاتصال وتحيط بها الأسلاك الشائكة وحقول الألغام. وكل مستعمرة مزودة بالعدد اللازم من المسلحين للدفاع عنها ولديهم ما يكفيهم من الذخائر والمؤن للصمود لفترة حصار طويلة. كما أن الأوامر المعطاة لهم تتطلب منهم أن يقاتلوا في مستعمراتهم لآخر طلقة وآخر رجل. وخلاصة القول أن احتلال كل مستعمرة يحتاج إلى عملية هجوم مركزة متكاملة وبقوة مناسبة حسب حجمها لكي يمكن اجتياحها بنجاح. فكيف إذن بعد كل هذا تأتي مجموعة من السياسيين وتقرر أن ما قاله رؤوساء أركان حرب الجيوش بأن حجم القوة اللازمة للتغلب على قوات معادية بهذا الحجم يجب أن لا يقل عن خمسة فرق مع الأسناد الجوي الكافي. بأنه تقدير مبالغ فيه. ثم يقررون أن على رؤوساء الأركان أن يدخلوا إلى فلسطين بالقوات المتيسرة لديهم وبشكل منفرد. ثم يأتي هؤلاء القادة العسكريين العظام ويقبلوا تحمل مسؤولية خوض المعركة بهذا الشكل الهزيل .

ولا يمكن تفسير هذا الموقف الغريب سوى ان القرارات الحاسمة اتخذها سياسيون لا خبرة لهم بالحرب. وأن القادة العسكريين تنازلوا عن عسكريتهم وخبرتهم وقبلوا تحمل مسؤولية خوض معركة سياسية تدل كل الأعراف العسكرية ان مصيرها الفشل وللإنصاف والتاريخ أرى من العدالة استثناء الأردن من هذه المسؤولية لأنه دخل الحرب بكل ما كان لديه من قوات دفعة واحدة، وصحيح أنها ليست كبيرة ولكنها كانت كل قواته المسلحة ولم يتخلف منها أحد. هذا بالإضافة إلى أن هذا البلد كان يعرف صعوباته تماماً. وهو يعرف أن جيشه يقوده الضباط البريطانيون وأن ميزانيته وأسلحته تقدم له من الحكومة البريطانية التي تربطه معها معاهدة ومع ذلك فإن جيشه كان فعالاً في الجبهة أكثر من غيره .

وبنفس المقياس فإنني استثنى سوريا لأنها هي الأخرى دخلت الحرب بكل ما كان لديها من قوات دفعة واحدة كذلك .

في أول أيار ابلغتنا قيادة الجيش العربي أن طلائع الجيش العراقي تحركت من بغداد وأنها سوف تحتشد في منطقة المفرق. وإن علينا ان نتعاون معهم في تعيين مناطق تجمعهم وتقديم المساعدات التي يحتاجونها .

وبتاريخ ٢ أيار وصلت طليعة القوات العراقية - وقد قمت باستقبالهم نيابة عن قيادة الفرقة ومعني عدد من الضباط. وقد كان في مقدمة قافلة الطليعة هذه ضابط برتبة وكيل قائد (رئيس أول) إسمه مظفر التكريتي. (وفي وقت لاحق تم تعيينه ضابط ارتباط للجيش العراقي لدى قيادة الفرقة طيلة مدة الحرب). وعند وصول قافلتهم اخذناها إلى المنطقة التي كنا قد خصصناها لهم وتقع إلى الجهة الشمالية من معسكراتنا وخيموا فيها. وقدمنا لهذه القوة المساعدات التي كانوا يطلبونها. وسلمناهم احد ثلاثة آبار ماء إرتوازية كانت هي مصدر مياه الشرب الوحيد لكتائبنا. كما سلمناهم معسكر مطار - المفرق الذي كان قد بناه سلاح الجو البريطاني في الماضي لكي تستعمله القوة الجوية العراقية عند وصولها حيث كان منتظراً أن تصل بعد أسبوع وبتاريخ ١٢ أيار وصل جحفل اللواء الأول وعسكر في نفس المنطقة. كما وصل بنفس الوقت سربين من الطائرات القاذفة المقاتلة سي فيوري (Sea Fury) وحطت في مطار المفرق. وبهذه الأثناء كانت سرايا النقل التابعة للجيش العراقي تنقل المؤن والمحروقات والذخائر من العراق وتكدسها في مناطق الحشد بانتظار حركة القوة بكاملها إلى فلسطين .

وبهذه الفترة وقعت بعض العمليات المحدودة عند طرفي نهر الأردن من الشمال والجنوب. ولكن قبل شرح هذه العمليات قد يكون من المناسب وصف جغرافية هذه المنطقة تسهيلاً للإيضاح. ففي الطرف الشمالي يقع جسر المجمع. وقد سمي بهذا الإسم لأنه يقع عند نقطة التقاء نهر اليرموك مع نهر الأردن. وإلى الشمال من هذا الجسر وبداخل حدود شرق الأردن توجد محطة توليد الكهرباء الضخمة التي بنتها شركة كهرباء فلسطين في عهد الإنتداب البريطاني وسميت (مشروع روتنبرغ) نسبة إلى إسم المهندس اليهودي الذي صممها. وإلى الشمال من هذه المحطة يقع جسر سكة الحديد الذي يمر فوقه خط سكة الحديد المتجه إلى مدينة سمخ. وإلى الشرق منه يقع معسكر قوة حدود شرق الأردن التي كانت قد سرحت من الخدمة بأواخر عهد حكومة الإنتداب البريطاني التي كانت مسؤولة عنها. وبداخل هذا المعسكر توجد مستعمرة يهودية صغيرة إسمها مستعمرة (نهر ايم). وإلى الجنوب من جسر المجمع يوجد جسرين آخرين أصغر حجماً. وإلى الغرب منهما وبداخل حدود فلسطين وعلى حافة نهر الأردن تقع مستعمرة يهودية أخرى إسمها مستعمرة (غيشر) وبطرفها توجد بناية مخفر بوليس من نوع (تيجارت) كان يستعملها البوليس الفلسطيني في عهد الإنتداب والآن أصبحت بيد اليهود. وإلى جهة الغرب يوجد جبل مرتفع يسيطر على المنطقة المحيطة إسمه (كوكب الهوى) .

وأما في الطرف الجنوبي وعند مصب نهر الأردن في البحر الميت وإلى الغرب من هذا

المصب وبداخل حدود فلسطين تقع مستعمرة يهودية إسمها مستعمرة (كاليه). وقد بنى اليهود هناك منشآت لاستخراج البوتاس من مياه البحر الميت .

وعندما قامت الحكومة البريطانية بتسريح قوة حدود شرق الأردن ارسلت قيادة الجيش العربي فئتين من سرايا الحاميات التي سحبت من فلسطين لكي تقوما بحماية مشروع روتنبرغ والجسور ومعسكر قوة الحدود .

وبأواخر شهر نيسان أرسلنا سرية مشاة من الكتيبة الرابعة التي كانت تعسكر في المفرق لكي تعزز فئتي الحراسة في منطقة الجسور .

ومن الغريب أن اليهود الذين كانوا مسؤولين عن تشغيل محطة كهرباء (روتنبرغ) وسكان المستعمرة بقوا في أماكنهم حتى آخر يوم. وعندما انسحب البوليس الفلسطيني من قلعة (غيشر) احتلها اليهود حال خروجهم منها .

وفي أواخر شهر نيسان كانت بداية العمليات الحربية عندما اطلق جنودنا من المفرزة المرابطة شرق جسر المجامع النار على اليهود الذين كانوا في مركز بوليس (غيشر) واستمر الاشتباك طيلة اليوم. وقد قتل إثنان من جنود المفرزة. وعلى إثر ذلك تم ارسال عناصر من سرية الاسناد قوامها (رشاشي فكرز ومدفعي هاون. ومدفعي ضد الدروع عيار ٦ رطل). لمساندة سرية المشاة المشتبكة مع العدو. وعند وصول هذه الاسلحة الاسنادية دمرت بعض الأبنية بداخل مستعمرة غيشر ومنها برج الحراسة. وقد دامت هذه المعركة مدة يومين. وفي اليوم التالي رفعت مستعمرة غيشر علماً أبيض. فتوقف إطلاق النار من جانبنا. وارسل قائد القوة مختار مستعمرة نهرايم إلى مستعمرة غيشر ليطالب من سكانها بالإستسلام ولكنهم رفضوا فاستأنفت قوتنا القتال. وبعد ذلك وصلت قافلة تعزيزات من منطقة سمخ إلى غيشر وأثناء إقتراب هذه القافلة اطلقت قواتنا عليها نيران مدافع ٦ رطل فاعطبت إحدى حافلاتها وأوقعت العديد من الإصابات بين ركاب هذه القافلة .

وفي اليوم التالي أصدر قائد الجيش أمراً بوقف إطلاق النار. وقد قيل في حينها أن هذا الإجراء كان بنتيجة توسط المندوب السامي لأن هذه المستعمرة تقع بداخل فلسطين وبما أن الإنتداب ما زال قائماً فإن الحكومة البريطانية ما زالت مسؤولة عن الأمن في فلسطين .

كانت قيادة الجيش تتصرف بقضايا المستعمرات اليهودية مباشرة على اعتبار أنها قضايا سياسية ولا علاقة لقيادة الفرقة إلا بالأمور العسكرية. ولذلك لم تكلف قيادة الفرقة باتخاذ أي إجراء فيما يتعلق بمصير سكان مستعمرة (نهرايم) الواقعة بداخل معسكر قوة الحدود عند جسر المجامع. أو بمصير العمال والحراس اليهود المتواجدين في محطة (روتنبرغ) أو

بمصر سكان مستعمرة كاليه ومنشآت البوتاس الواقعة عند الطرف الشمالي للبحر الميت. بل كانت قيادة الجيش ترسل تعليماتها إلى المتصرف وقائد الشرطة في المنطقة المختصة بها. فمثلاً كان لقيادة الفرقة تدخل جانبي بالإشتباك الذي وقع مع مستعمرة (غيشر) لأن إحدى سرايا الكتيبة الرابعة إشتكت بهذه المعركة. ولكنها لم تكلف بأي دور فيما يتعلق بالاتصالات التي تمت مع حراس محطة (روتنبيرغ) لإبلاغهم إنذاراً بتسليم أسلحتهم ثم ليعودوا بعد ذلك إلى فلسطين، ولا بالاتصالات التي تمت لتقرير مصير سكان مستعمرة (كاليه) .

ولكن الغريب أن هذه التصرفات كانت تحصل من قبل قيادة الجيش بمعزل عن قيادة الفرقة مع أنهم جميعهم إنجليز سواء كان ذلك بالنسبة لقائد الجيش أو قائد الفرقة وضباط أركانهم الرئيسيين. ولكن يظهر أن كلوب باشا كان يحب أن يحتفظ بالقضايا السياسية لنفسه ويبعد الضباط الإنجليز عنها. وبهذا الصدد أذكر أنني سألت الركن الأول وكيل القائد جون داونز لماذا لا نخلي سكان مستعمرة نهرايم ومشروع (روتنبيرغ) ما دامت أنها تقع بداخل حدودنا وننقلهم إلى معسكر أسرى الحرب ونترك سرية مشاة لحراسة هذه الأماكن فقال لي : (كما تعرف فإن هذه المنطقة داخلية ضمن الجبهة العراقية وليس لدينا فائض من القوات لتوزيعها بهذا الشكل. وما دامت القوات العراقية سوف تتقدم من هذا المحور فإنها سوف تؤمن الدفاع عنها. ولقد كان هذا الجواب غير مقنع ولكني لم أكن أملك التأثير فيه) .

وأما مصير سكان المستعمرة فإن قيادة الجيش مع الحكومة تتولى تقرير مصيرهم ولم أكن في ذلك الحين قد علمت شيئاً عن ما ظهر فيما بعد من اتفاق حول تسليم مستعمرة كاليه مقابل السماح لسكانها بمغادرتها. ولكني أذكر أننا ناقشنا موضوعها وسألت وكيل القائد داونز فيما إذا كنا سوف نحمل هذه المستعمرة عندما ندخل فلسطين لكي لا نتركها خلفنا. فقال أعتقد أن هنالك ترتيباً خاصاً بشأنها. وهي على أي حال خارج نطاق مسؤوليات قيادة الفرقة. وأما ما حصل فعلاً فهو أن متصرف اربد نقل إنذاراً من الحكومة الأردنية إلى المسؤول عن اليهود الموجودين في محطة روتنبيرغ يطلب منهم تسليم أسلحتهم والعبور إلى فلسطين على أن يبقى الفنيون المسؤولون عن تشغيل المحطة بدون سلاح. وقد وافق اليهود على هذه الشروط وسلموا أسلحتهم. ولكن بعد ذلك غادر جميع سكان المستعمرة أثناء الليل بصحبة مختار المستعمرة عبر النهر إلى مستعمرة (غيشر) القريبه والتي تقع على الطرف الغربي من النهر. أما مستعمرة كاليه فقد كان أمرها يختلف حيث أنها تقع بداخل حدود فلسطين وقد سمعنا أن قائد الجيش الفريق كلوب كان قد عقد اتفاقاً مسبقاً مع مدير شركة البوتاس ينص على تجريد اليهود من السلاح ثم نقلهم بعد ذلك إلى تل أبيب بواسطة منظمة

الصليب الأحمر الدولي. ولكن عندما أرسلت قيادة الجيش ضباطاً ليقوموا باستلام أسلحة اليهود وجدوا أنهم قد غادروا المنطقة في الليلة السابقة بالقوارب عبر البحر الميت إلى مستعمرة عين جدي الواقعة عند طرفه الجنوبي بعد أن حجزوا جميع العمال العرب بداخل البيوت وأقفلو أبوابها عليهم .

وبهذه الأثناء كانت جميع الخطط للحركة إلى فلسطين قد انجزت وأصدرت قيادة الفرقة الأمر الحربي رقم ٤٨/٣ المؤرخ في ١٢ أيار ١٩٤٨م والذي بموجبه دخلت قوات الجيش العربي إلى فلسطين الوسطى وتمركزت فيها. وهو يشير بوضوح إلى أن الجيش العربي سوف يدخل إلى فلسطين وتتخذ وحداته مواقع دفاعية على طول الخطوط التي تم تحديدها ضمن نطاق حدود التقسيم التي وضعت بناء على قرار هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧م .

وبنفس الطريقة كان دخول باقي الجيوش العربية كل الى المنطقة المخصصة له . وبهذه الأيام الأخيرة قبل بدء العمليات الحربية كان قد تقرر بموجب الخطة نفس بعض الجسور في منطقة المجمع لإعاققة تقدم القوات اليهودية عبر هذه الجسور إلى شرقي الأردن عند نشوب الحرب. وقد ذهب والركن الأول للعمليات وكيل القائد جون داوونز وأخذنا معنا فئة هندسة ميدان إلى جسر المجمع ليلة ١٢/١٣ أيار عام ١٩٤٨م لتنفيذ هذه العملية. وفور وصولنا باشرت فئة الهندسة بوضع المتفجرات في الطرف الشمالي من جسر المجمع المؤدي إلى طبريا وجسرين آخرين إلى الجنوب منه .

وقد استغرقت هذه العملية معظم ساعات الليل وانتهت عند الفجر فقمنا بوصل أسلاك التفجير فحدث دوي هائل سمع من مسافات بعيدة حيث كنا قد رتبنا وصل جميع المتفجرات لتنفجر دفعة واحدة. ثم غادرنا الموقع على الفور وعدنا إلى المفرق. وقد دمرنا جميع الجسور منا عدا جسر المجمع الرئيسي حيث تركناه لكي تستخدمه القوات العراقية عند تقدمها. وعندما وصلنا الى معسكرنا بدأنا بتحميل قيادة الفرقة بسيارات القتال استعداداً للحركة إلى منطقة الحشد غربي بلدة الشونة الجنوبية في غور الأردن .

كما بدأت قيادات الألوية والكتائب والأسلحة الاسنادية بتحميل معداتها كذلك. وقد كانت حركة تشكيلات الفرقة الى مواقعها في فلسطين على مرحلتين كالآتي :

● المرحلة الأولى :

الحركة من المعسكرات الرئيسية إلى منطقة الحشد .

بدأت حركة جميع القوافل بالساعة الثامنة صباح يوم الجمعة ١٤ أيار عام ١٩٤٨م.

١ - اللواء الأول : في المقدمة. وقد بدأ حركته من منطقة معسكرات (خو) شرقي الزرقاء على النحو التالي.

الكتيبة الأولى تليها قيادة اللواء ثم الكتيبة الثالثة.

٢ - قيادة الفرق الرئيسية ومعها وحدة لاسلكي الفرقة تليها المشاغل الميكانيكية. وقد كنت مسؤولاً عن هذه القيادة حيث كنت أدير شبكة الاتصالات والسيطرة من سيارة القيادة وعلى اتصال مستمر مع جميع قيادات الألوية والكتائب وباقي الوحدات حيث كانت كل وحدة تبلغني عن وصولها إلى نقاط التبليغ المحددة لها بموجب أمر العمليات فأدون توقيت إبلاغها لأحكام السيطرة على حركة تلك القوافل وللتأكد من أن جميع أجهزة الاتصال تعمل باستمرار وبشكل منتظم.

٣ - اللواء الثالث : في المؤخرة - وقد بدأ حركته من معسكره في مدينة أربد وكان ترتيب حركته على النحو التالي.

الكتيبة الثانية تليها قيادة اللواء وبعد مرورها من معسكرات الفرقة لحقت بها قافلة الكتيبة الرابعة التي كانت تعسكر هناك منذ تشكيلها.

٤ - قيادة الفرقة التكتيكية : تحرك معها قائد الفرقة والركن الأول في السيارات المخصصة لها ومعها شبكة اتصالات منفصلة لتوفر لهما الاتصال المستمر مع جميع الوحدات أثناء الحركة لكي يتمكنوا من مواكبة تحركات جميع قطعات الفرقة .

كان طريق سير هذه القوافل يمر عبر الزرقاء إلى عمان ثم من خلف القلعة الى السلط وعن طريق وادي شعيب الى الشونة الجنوبية حيث توجهت كل وحده حال وصولها إلى المكان المخصص لها لكي تعسكر فيه تلك الليلة .

وصلت مع قيادة الفرقة الرئيسية الى الشونة بعد الظهر وكانت جميع وحدات اللواء الأول قد وصلت إلى مواقعها. وعندئذ انضم قائد الفرقة مع القيادة التكتيكية اليها بعد أن أنهى جولة على قيادات الألوية والكتائب. ثم وصلت قوافل اللواء الثالث وتمركزت في مواقعها .

وحوالي الساعة الخامسة بعد الظهر وصل جلالة الملك عبدالله وبمعيته السيد عبد الرحمن عزام (الأمين العام لجامعة الدول العربية). وقائد الجيش الفريق كلوب حيث قام جلالتهم بزيارة قيادات الألوية والكتائب في مواقع تحشدوها. وقد ألقى في كل موقع كلمة تشجيعية للجنود والضباط كانت تثير حماسهم جميعاً وتزيدهم تصميمًا على التضحية والفداء في ساحات القتال في معركة فلسطين التي كانوا يتحرقون شوقاً لخوض غمارها في اليوم التالي. وما زلت أذكر بعضاً من كلماته التي قال فيها : (أنتم ذاهبون لنصرة أخوانكم في فلسطين في وجه العدوان الصهيوني على وطنهم فمن مات منكم فهو شهيد ومن عاش فهو سعيد. ولتحافظوا على اعلامكم خفاقة بإذن الله. وفقكم الله وجعل النصر حليفكم) .

وقد ألقى عبدالرحمن عزام كلمة في أحد المواقع بعد ان انهى جلالة الملك كلمته وقال فيها: (إن إخوانكم في الجيوش العربية من مصر وسوريا والعراق ولبنان سيتقدمون غداً لخوض الحرب معكم وستتمكنون جميعاً بعون الله من دحر العدو ... الخ. ثم قال إن شاء الله سنتقابل في تل أبيب بعد أسبوع). ولا أدري لماذا قال عبدالرحمن عزام هذا الكلام وهو أول من يعرف ان الجيوش العربية لن تدخل هذه الحرب ضمن خطة عامة مدروسة ومهيأة مسبقاً حسب القواعد العسكرية الصحيحة. بل ان كل جيش سيتقدم الى المنطقة التي خصصت له فقط وبشكل مستقل عن الآخرين وبالقوات التي يستطيع توفيرها. وإن القيادة العامة التي شكلت قبل بضعة أيام فقط ليس بمقدورها وضع الخطط اللازمة وتوفير القوات الضرورية لتحقيق مثل هذا الهدف .

وكيف ستستطيع الجيوش العربية التي دخلت إلى فلسطين أن تدمر قوات العدو المقاتلة وهي لا تعادل أكثر من نصف تلك القوات المعادية عندما بدأت المعركة ولا تسيطر عليها قيادة واحدة ولا تعمل ضمن خطة عمليات عامة مبنية على استراتيجية صحيحة. بل تقدم كل جيش الى فلسطين وهو يخضع لأمرة قيادته في بلده وكأنه يخوض هذه المعركة لوحده وبمعزل عن الآخرين .

وفوق كل هذا وذاك فقد كان السيد عبدالرحمن عزام أول من يعرف أن الجامعة العربية كانت قد قررت دخول الجيوش العربية لحماية المناطق العربية من فلسطين ضمن حدود التقسيم وللحفاظ على الأمن والنظام الذي انهار على إثر قرار بريطانيا إنهاء انتدابها على فلسطين. لكن لربما دفعه الحماس ليقول لنا هذا النوع من الكلام من قبيل التشجيع في مثل هذه الحرب السياسية الفريدة في نوعها .

● المرحلة الثانية :

عند حلول فجر يوم السبت ١٥ أيار ١٩٤٨م بدأنا المرحلة الثانية من تقدمنا إلى فلسطين

عندما بدأت قوافلنا تعبر جسر اللنبي (جسر الملك حسين) وقد كانت طريق تقدمنا تمر من اريحا إلى الجفتك ثم تتجه غرباً عبر وادي الباذان إلى نابلس ومنها جنوباً إلى رام الله ومن ثم إلى منطقة مرتفعات القدس. وقد كان ترتيب عبور قوافل الأولوية كالاتي :

أولاً : - اللواء الثالث - إلى منطقة رام الله ومرتفعات القدس .

١ - الكتيبة الرابعة - في المقدمة وقد بدأت عبور الجسر في الساعة الرابعة والنصف صباحاً ثم تبعها قافلة قيادة اللواء.

٢ - الكتيبة الثانية - خلف قيادة اللواء مباشرة وتتبعها سرية المدرعات ثم بطارية المدفعية .

ثانياً : - قيادة الفرقة التكتيكية - وتتحرك منفصلة .

ثالثاً : - اللواء الأول - إلى منطقة نابلس .

١ - الكتيبة الأولى - في المقدمة وقد بدأت عبور الجسر بالساعة السادسة صباحاً ثم تبعها قيادة اللواء.

٢ - الكتيبة الثالثة - خلف قيادة اللواء مباشرة وتتبعها سرية المدرعات وبطارية المدفعية.

رابعاً : - قيادة الفرقة الرئيسية : وقد عبرت الجسر بالساعة السابعة صباحاً .

لقد كان عبور هذه القوافل جميعها عن طريق خانق وادي الباذان خلال ساعات النهار يشكل خطورة كبيرة حيث أن هذه القوافل الطويلة كانت هدفاً واضحاً ومغرياً لسلح الجو المعادي لا مثيل له .

وبهذه المناسبة تحضرني واقعة قيام سلاح الجو البريطاني الذي كان تابعاً لجيش الجنرال اللنبي في الحرب العالمية الأولى بتدمير الأولوية التركية المتسحبه عبر نفس هذا الوادي حيث كان من غير الممكن أن تستطيع الخروج عن الطريق والانتشار بالسرعة الكافية. فما الذي يمنع من تكرار نفس العملية على نطاق واسع. لاسيما وان الطائرات أصبحت أحدث وأكثر فتكاً. ونحن منقولون بالسيارات التي يستحيل عليها الخروج عن الطريق الذي يحاذيه من اليمين سفح الجبل ومن اليسار انحدار الوادي. ولكن كون أن العدو لم يكن لديه سلاح جو فعال بهذه المرحلة المبكرة من الحرب كان هو العامل الوحيد الذي انقذ قوافلنا هذه من التدمير وهو السبب الرئيسي الذي جعلنا نقبل بهذه المخاطرة ونتحرك على هذا الطريق أثناء النهار حيث أن اليهود كما هو معروف لم يتمكنوا من الحصول على الطائرات المقاتلة

والقاذفه إلا أثناء فترة الهدنة الأولى عن طريق تشيكوسلوفاكيا. وكل ما كان متوفراً لديهم في بداية القتال عبارة عن عدد محدود من طائرات الاستطلاع الخفيفة استعملوها في وقت لاحق لالقاء بعض القنابل المصنوعة محلياً على شكل اسطوانات صغيرة كانوا يلقونها على منطقة الهدف باليد ولم يكن لها فعالية تذكر .

وعند وصول تشكيلاتنا إلى المنطقة المخصصة لها تمركزت في المواقع الآتية : (انظر الخارطة رقم ٢)

أولاً - قيادة اللواء الأول - في مستنبت (عسكر) شرق مدينة نابلس.

الكتيبة الأولى - في قرية دير شرف المسيطرة على مثلث طريق نابلس -

جنين وتمركزت سراياها في المواقع الآتية :

السرية الأولى - في قلقيلية

السرية الثانية - في طولكرم ومنها نقاط أمامية في شويكه

وباقه الغريبه

السرية الثالثة - في منطقة دير شرف

بطارية المدفعية الثانية - في منطقة قرية ذنابه شرق طولكرم

الكتيبة الثالثة - بالاحتياط في قرية حواره

سرية المدرعات الأولى - عندما تلتحق من حرس القوافل تتمركز عند قيادة اللواء.

ثانياً - قيادة اللواء الثالث - في قرية بيتونيا - جنوب غرب رام الله.

الكتيبة الثانية - قيادة الكتيبة ومعها السرية المسانده وسرية قياده في

قرية بدو :

تكون الكتيبة مسؤولة عن مرتفعات القدس الغربية شرق

منطقة اللطرون. وقد تمركزت سراياها في المواقع الآتية :

السرية الأولى - في قرية القبييه

السرية الثانية - في مرتفع النبي صموئيل

السرية الثالثة - في قرية (بدو)

سرية المدرعات الثانية - خلف مرتفع النبي صموئيل

وترتبط بامرة قائد اللواء مباشرة

الكتيبة الرابعة - قيادة الكتيبة مع السرية المساندة وسرية القيادة بين قرיתי دير نظام وخربثا في سفح المرتفعات الى الشمال الشرقي من اللطرون وقد تمركزت سراياها في المواقع الآتية :

السرية الأولى - في منطقة دير نظام
السرية الثانية - شرق قرية خربثا
السرية الثالثة - مثلث بيت سيرا
بطارية المدفعية الأولى - بمنطقة الجيب وترتبط بامرة قائد اللواء مباشرة

ثالثاً - قيادة الفرقة - في منطقة قرية بيتين الى الشمال الشرقي من مدينة رام الله.

رابعاً - قيادة اللواء الرابع - بقيت في مكانها بمدينة رام الله.
خامساً - الكتيبة السادسة - بمنطقة أريحا - الجفتك لحماية خطوط المواصلات الخلفية للفرقة.

هكذا كان توزيع كتائب الجيش العربي يوم ١٥ أيار عام ١٩٤٨م بحيث كانت مسؤولية اللواء الأول الدفاع عن منطقة نابلس. وكانت إحدى كتائبه موزعة على المراكز الامامية والكتيبة الاخرى متجمعة في الاحتياط. وكانت مسؤولية اللواء الثالث الدفاع عن رام الله ومرتفعات القدس الغربية. وكانت إحدى كتائبه موزعة على المواقع الامامية في مرتفعات (النبي صموئيل - بدو) والكتيبة الأخرى متمركزة في الاحتياط خلف مواقع (اللطرون - بيت سيرا). ولما لم يكن لدى الجيش العربي أي قوات احتياطية مهمة فقد كان هذا الخط الدفاعي الطويل يعتبر واهياً في كل المقاييس العسكرية. ولكنه كما ذكرت سابقاً فقد كانت نظرية قائد الجيش وقائد الفرقة وقادة الألوية هي أن هذه القوات ارسلت لحماية المنطقة العربية داخل حدود التقسيم. وان هذا التوزيع كان بنظرهم أفضل توزيع لتحقيق هذه الغاية. وانه إذا قام اليهود بأي تعرض في إحدى هاتين المنطقتين يمكن لقائد اللواء أن يستعمل الكتيبة الاحتياطية لصد مثل هذا التعرض. ولكن لم يكن ممكناً أن ينظر كل الناس لهذا الموضوع بالمنظور السياسي. أو ان يقتنعوا بأن قوات الجيش العربي لا تستطيع التعرض للعدو على نطاق واسع على الرغم من أن حجمها كان عبارة عن أربعة كتائب مشاة فقط. ولذلك فسرعان ما أحدث هذا التوزيع تدمراً بين الجنود والضباط العرب حيث كنا جميعاً نوافق للإشتباك مع العدو

بمجرد دخولنا إلى فلسطين بأي شكل من الأشكال وليكن ما يكون. ولكن قيادة الجيش كانت ترى انه ليس بالإمكان التعرض للقوات اليهودية بهذه الكتائب الأربعة وبنفس الوقت حماية تلك المناطق الشاسعة التي تركزت فيها .

وعلى أي حال فإن أكثر التساؤلات كانت منصبه على عدم تقديم الكتيبة الرابعة إلى الخط الأمامي في منطقة اللطرون ومرتفعات باب الواد التي كانت تتمركز فيها قوة من جيش الانقاذ وانسحبت منها قبل وصول الكتيبة الرابعة بوقت قصير ولم يبق في اللطرون سوى فئة مشاة من السرية الحادية عشر من سرايا الحامية وبعض المناضلين ولهذا فقد أصبح وضعها خطيراً لاسيما وأن دوريات اليهود أخذت تتسلل الى بعض هذه القرى الأمامية لتكتشف حجم القوات المدافعة عنها. حيث دخلت إحدى هذه الدوريات الى قرية دير أيوب وتمكنت من نسف عشرة منازل ثم انسحبت. كما تقدمت دورية أخرى إلى اللطرون واصطدمت مع المناضلين المدافعين عنها ولكنهم أجبروها على الإنسحاب. ورغم هذا فقد بقي قائد الجيش وقائد الفرقة مترددين في أمر السماح بتوزيع الكتيبة الرابعة على المواقع الأمامية في اللطرون وباب الواد وترك اللواء الثالث بدون احتياطي .

وقد كان هذا التردد يشكل مجازفة خطيرة حيث كان من السهل على اليهود احتلال تلك المواقع بهجوم خاطف وعندئذ سيصبح من الصعب على الكتيبة الرابعة إخراجهم منها بعد أن يكونوا قد تثبتوا فيها .

وعلى أي حال فسوف نتكبد ضحايا كثيرة في عملية استردادها. وهذا أمر يمكن أن نتحاشاه لو وزعنا الكتيبة الرابعة على المواقع الأمامية فوراً لاسيما وأن المجازفة بترك اللواء الثالث بدون احتياطي تعتبر أقل خطورة من ترك هذا القطاع المهم من الخطوط الأمامية خال من القوات نهائياً. وخصوصاً ونحن نعرف أن هذه الحرب هي حرب دفاعية محضة. وكذلك الأمر بالنسبة لمدينة القدس حيث ما زالت التعليمات تقضي بعدم التدخل فيها لعدم توفر قوات كافية لمثل هذه العملية. وقد أصبح الوضع في غاية الخطورة خلال هذه الأيام الثلاثة الأولى من الحرب. ففي صباح يوم ١٤ أيار غادر المندوب السامي البريطاني مدينة القدس واخلت القوات البريطانية جميع معسكراتها في المدينة قبل ذلك واحتلت قوات الهاغاناه والبالماخ اليهودية هذه المواقع في اعقابهم حيث تسلمت منهم مجمع الدوائر الحكومية ومبنى البريد ومعسكر العلمين تسليماً علنياً وكأنها قوات تابعه إلى دولتين صديقتين وتقومان بتسليم تلك المواقع لبعضهما بشكل رسمي مع أن دولة اسرائيل لم تكن قد أعلنت بعد ولم يعترف بها أحد بذلك التاريخ. وكانت هذه الاعمال تعتبر من آخر فضائل الاستعمار البريطاني علينا وطعنة لنا في ديارنا التي سلبوها علناً وسلموها لإعدائنا .

وفي يوم ١٥ أيار تمكنت القوات اليهودية من إحتلال معسكر النبي في القدس بعد قتال عنيف مع المناضلين العراقيين الذين انسحبوا إلى داخل أسوار المدينة القديمة ... كما احتلت القوات اليهودية كذلك وفي نفس اليوم المستشفى الايطالي ودير أبو طور وعمارة النوتردام بدون قتال لأنها كانت خالية من أي قوات. وفي يوم ١٦ أيار دار قتال عنيف في حي (سعد وسعيد). وحي المصراة. وتمكن اليهود من التغلب على مقاومة المناضلين العرب واستولوا عليها. ثم بعد ذلك تمكنت القوات اليهودية من الإستيلاء على حي الشيخ جراح والاتصال مع جبل سكوبس الذي تقع عليه مبانى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا .

وفي يوم ١٧ أيار كانت القوات اليهودية تحاصر المدينة القديمة من جميع الجهات وقد قطعت طريق الاتصال بين القدس ورام الله. أما قوات المناضلين التي كانت تقاتل في الأحياء الجديدة من القدس فقد انكفأت بكاملها إلى داخل الأسوار وأغلقت أبوابها وانتشرت تدافع من على هذه الأسوار العظيمة التي كان لها الفضل في صمود هذه المدينة المقدسة في وجه محاولات اليهود لاقتحامها .

وقد كان مجموع المناضلين بداخل الأسوار يقارب (١٥٠٠) ألف وخمسمائة مقاتل من مختلف الفئات. مثل جيش الانقاذ والجهاد المقدس والمناضلين الأردنيين والعراقيين والسوريين وجنود البوليس الفلسطيني السابقين وغيرهم. ولكن فعالية هذه القوات كانت محدودة لأنهم في غالبيتهم كانوا من المدنيين الذين لم يتلقوا اي نوع من التدريب العسكري ولم تكن لهم قيادة واحدة تستطيع السيطرة على عملياتهم وتوجيهها بشكل فعال. بالإضافة إلى أن كميات الذخائر المتوفرة لديهم كانت محدودة، وبهذه الاثناء تمكنت القوات اليهودية من فتح فجوة في السور من جهة الجنوب في باب النبي داوود وادخلت قوة من الهاغاناه الى الحي اليهودي الواقع بداخل البلدة القديمة بجوار منطقة الحرم الشريف لتقوية الدفاع عنه ورفع معنويات سكانه .

هكذا كان الوضع في القدس حتى يوم ١٧ أيار ١٩٤٨ م. أما في قيادة الفرقة فقد كان وضعنا يومي ١٦، ١٧ أيار لا يزال مائتاً. ففي الشمال كانت وحدات الكتبية الأولى مشتبكة مع العدو في معركة بمنطقة قلقيلية وكفر سابا. والكتبية الثالثة ما زالت في موقع حوارها بالاحتياط. إلا أن قائد اللواء بدأ يستعد لاحتمالات تقدم قوات يهودية في جهات أخرى من منطقته .

وفي منطقة اللواء الثالث كان قائد الكتبية الثانية يستعد لاحتلال مرتفع الرادار المسيطر على أجزاء من منطقة دفاعات كتيبته. وكانت الكتبية الرابعة ما تزال في مواقعها الخلفية ولم تشتبك مع العدو .

فماذا لو تمكنت القوات اليهودية من احتلال مدينة القدس بكاملها. فإنها عندئذ ستستطيع عزل جميع قواتنا في منطقة رام الله من الخلف. وقد أصبح هذا الاحتمال وارداً بشكل أوضح يوم ١٧ أيار حيث بدأ اليهود يهاجمون أسوار المدينة من الجنوب والغرب ويحاولون اختراق أبوابها. وأصبح السكان والمناضلين بداخلها بحالة حرجة للغاية. وأخذت صيحات طلب النجدة تنهال على عمان وتصل إلى جلالة الملك عبدالله بشكل متواصل .

وفي صباح يوم ١٧ أيار زارنا قائد الجيش في قيادة الفرقة واجتمعنا لبحث الموقف العام. وكنا في ذلك الوقت لا نعرف شيئاً عن موقف الجيوش العربية ولا نعرف حجم قواتها التي دخلت الى فلسطين ولا مواقعها الحالية سوى ما كنا نعرفه عن الجيش العراقي الذي كان لا يزال يخوض معركة عنيفة لاحتلال مرتفع كوكب الهوى المشرف على منطقة المجامع وما زال لم يحرز تقدماً كبيراً في هذه العملية . وبهذا الاجتماع برزت النقاط الآتية :

أولاً : - منطقة جنين ومعابرها الشمالية والجنوبية تعتبر مفتوحة أمام تقدم القوات اليهودية نظراً لخلو هذه المنطقة من أية قطعات عسكرية. وهذا يشكل خطراً على منطقة نابلس حيث يمكن لقوة رئيسية متقدمة من الشمال أن تطوي دفاعات اللواء الأول من ذلك الجناح وهذا معناه أن هذا اللواء لا يستطيع أن يستغني عن الكتيبة الثالثة التي هي القوة الاحتياطية الوحيدة لديه لكي يتمكن من مواجهة مثل هذا الاحتمال .

ثانياً : - المعبر المؤدي من دير قديس الى مثلث بيت سيرا ثم إلى رام الله والطررون لا تتواجد فيه أية قوات على طول امتداده سوى سرية الكتيبة الأولى الموجودة في قلقيلية وهي في حالة اشتباك مع العدو في الوقت الحاضر والكتيبة الرابعة المتواجده في مواقعها جنوب شرق مثلث بيت سيرا خلف منطقة الطرون وباب الواد والتي تعتبر في احتياط اللواء الثالث .

ثالثاً : - الوضع الراهن بداخل مدينة القدس أصبح خطيراً للغاية حيث كان اليهود بهذا التاريخ قد أحصلوا جميع أحياء المدينة خارج الأسوار بما فيها حي الشيخ جراح المسيطر على المداخل الشمالية للمدينة. كما أنهم اجتازوا باب النبي داوود واتصلوا مع الحي اليهودي بداخل الأسوار .

وبعد مناقشة كافة الاحتمالات كان الرأي الذي تم الإجماع عليه هو أننا لا نستطيع بهذا الوضع إجراء تغييرات كبيرة على المواقع الحالية لقواتنا. وكان قائد الجيش وقائد الفرقة ما زالا مصرين على أننا لا نستطيع دخول مدينة القدس لأن هذه العملية تحتاج إلى قوات كبيرة ليست متوفرة لدينا. وعلى أي حال فإن قائد الجيش لا يزال يتوقع ان تتمكن اللجنة

القنصلية التابعة الى هيئة الأمم المتحدة من التوصل الى عقد هدنة في المدينة. ولهذا فقد أمرنا بأن نرسل سرية واحدة من الكتيبة الرابعة إلى اللطرون ونترك باقي وحداتها في مواقعها الحالية .

وبهذه الاثناء وصلت برقية من الديوان الملكي موجهة الى قائد الجيش يبلغوه فيها بأمر جلالة الملك أن يرسل قوة باتجاه القدس بقصد تهديد اليهود لعلهم يقبلون بالهدنة بالقدس. وبعد قليل وصلت برقية أخرى من وزير الدفاع يشرح فيها وضع القدس الحرج ويشير الى أن جلالة الملك قلق للغاية وأنه ينتظر منا عملاً سريعاً بإرسال قوة باتجاه القدس لتخفيف الضغط عن العرب فيها. وعندئذ أمرنا قائد الجيش بأن نرسل سرية من اللواء الرابع لاحتلال مستعمرة عثاروت عند مطار قلنديا ومستعمرة النبي يعقوب على طريق القدس - رام الله شمال قرية شعفاط. وان نضع فئة مدفعية ميدان خلف قرية بيت حنينا استعداداً لقصف مدينة القدس. كما أمر أن يقوم قائد الكتيبة السادسة بتحريك سرية من كتيبته من الغور إلى جبل الزيتون بنفس الليلة لكي تدخل القدس القديمة في اليوم التالي لتعزيز قوات المناضلين فيها. فقام قائد الكتيبة بتحريك سرية الأمن الأولى لهذه الغاية. وقد تمت جميع هذه التحركات مساء يوم ١٧ أيار. فاحتلت سرية اللواء الرابع مستعمرة عثاروت بسرعة ومن ثم تقدمت نحو مستعمرة النبي يعقوب وعند وصولها وجدت أن اليهود قد هجروها ولم يبق فيها أحد. فتوقفت هناك بانتظار التعليمات .

وفي صباح اليوم التالي ١٨ أيار عاد قائد الجيش لزيارتنا وكانت سرية الأمن الأولى قد دخلت القدس. وأثناء هذا الاجتماع قرر تحريك باقي سرايا الكتيبة الرابعة لاحتلال المواقع الأمامية بين اللطرون والتلال الشرقية حتى قرية (يالو). كما أمر بتحريك سرية أخرى من الكتيبة السادسة الى القدس القديمة. ولكنه بقي مصمماً وبالاتفاق مع قائد الفرقة على عدم زج قوات الجيش بداخل الأحياء السكنية في القدس الجديدة نظراً لإتساع تلك المناطق ولأن عمليات القتال في الشوارع تحتاج إلى قوات كبيرة غير متوفرة لدينا. وأن أي قوات نستطيع توفيرها ضمن امكانياتنا المحدودة ستضيق في تلك الأحياء وتستهلك بسرعة. وهذا أمر بحد ذاته سيشكل خطراً على جميع مواقعنا الدفاعية لأنه سيفقدها تلك القوات التي ستطلبها ضرورة الدفاع عنها. ناهيك عن حرمانها من أية قوات احتياطية مهما كان حجمها لأننا سنكون قد استوعبناها في مدينة القدس. ولكن على الرغم من كل هذه التحليلات فإنه لا يمكن التغاضي عن ان الوضع في القدس كان حرجاً وخطيراً، وبهذه الاثناء وقبل الاجتماع مع قائد الجيش حضر من القدس السيد منير ابو فاضل قائد إحدى مجموعات قوات المناضلين فيها وابلغنا ان الوضع الدفاعي فيها أصبح الآن في غاية الخطورة. وأنه مالم تدخل قوة من

الجيش العربي الى احياء الشيخ جراح وباب العمود لتخفيف الضغط عن البلدة القديمة فإنها قد تسقط خلال يوم أو يومين. لاسيما وان اليهود استطاعوا ان يدخلوا قوة من البالمخ من باب النبي داوود لتعزيز الدفاع عن الحي اليهودي الملاصق لمنطقة الحرم الشريف. كما اخبرنا ان وقدأ من وجهاء المدينة ذهب إلى عمان لمقابلة الملك عبدالله لطلب النجدة . وبنفس الوقت وصلت برقية من وزير الدفاع موجهة إلى قائد الجيش يبلغه بأن جلالة الملك يأمر بأن تدخل قوات الجيش إلى القدس حالاً. ومع ذلك فإن قائد الجيش لم يتخذ قراراً نهائياً حول هذه المسألة وعاد بعد الاجتماع إلى عمان. وعندئذ قمنا بإصدار تعليماتنا إلى قائد اللواء الثالث لتحريك باقي سرايا الكتيبة الرابعة إلى مواقعها الجديدة وتمت حركتها مساء نفس اليوم ١٨ أيار وبعد وصول قائد الجيش الى عمان وصلتنا منه برقية عاجلة يطلب منا تجهيز قوة كافية لاحتلال منطقة حي الشيخ جراح والتقدم منها الى باب العمود والاتصال مع البلدة القديمة لتأمين حماية دفاعاتها من تلك الجهة. على أن يبدأ تنفيذ هذه العملية عند فجر اليوم التالي ١٩ أيار. كما أمر بإدخال ما تبقى من الكتيبة السادسة الى البلدة القديمة بنفس الوقت. وهذا معناه أنه لم يبق أماننا سوى بضعة ساعات لوضع الخطة وتحضير القوات اللازمة وبدء الهجوم في الموعد المحدد. وبهذه الحالة لن تتاح الفرصة لقادة الوحدات لإجراء الكشف اللازم على ساحة المعركة وأهدافها. وهذه مجازفة علينا قبولها نظراً لخطورة الموقف. ولكن لو أن قائد الجيش اتخذ هذا القرار في الصباح لكان الأمر أسهل بكثير. ولأنه لم يكن لدينا أية قوة احتياطية سوى الكتيبة الثالثة الموجودة في نابلس وهذه يصعب الاستغناء عنها حالياً فلم يبق أماننا سوى أن نسحب معظم وحدات الكتيبة الثانية من الخط الدفاعي غرب القدس ونضيف إليها بعض سرايا المشاة التابعة إلى اللواء الرابع في رام الله. وكان هذا الإجراء هو أقل المجازفات خطورة في وضعنا الراهن آنذاك .

وبعد بحث سريع للموقف قررنا تشكيل قوة مختلطة يقودها قائد الكتيبة الثانية الكولونيل (سليد) لتنفيذ الهجوم. ثم طلبنا قائد الكتيبة الحضور للإجتماع في قيادة الفرقة. وبنتيجه البحث تقرر تأجيل عملية الهجوم على ثلة الرادار. (التي كان مقرراً تنفيذها في اليوم التالي). وسحب السرية الأولى التي كانت متمركزة في قرية القبيبه. وسحب السرية الثالثة من مرتفع (بدو) للإشتراك بهذا الهجوم. ثم بعد ذلك ذهبت أنا والركن الأول للإجتماع مع قائد اللواء الرابع في رام الله وبحثنا معه الخطة وطلبنا منه تحضير سريتي مشاه حالاً لضمهما الى قوة الكتيبة الثانية في عملية الهجوم على الشيخ جراح والتي سوف تتحرك إلى منطقة الحشد خلال ساعة واحدة. وبنفس الوقت أوعزنا إلى قائد اللواء الأول أن يحرك سرية المدرعات الأولى وسرية مشاه مع حظيرة مورتر ٣ انش فوراً الى قيادة الفرقة لتكون قوة

احتياطية لدعم الهجوم. وعلى هذا الأساس أصبحت القوة التي تم تجهيزها لتنفيذ هذه العملية كما يلي :

أولاً : - القوة المختلطة التي ستنفذ الهجوم تتكون من العناصر الآتية :

قائد القوة - وكيل القائد سليد

سرية المشاة الأولى من الكتيبة الثانية - بقيادة الملازم عباطه عيد

سرية المشاة الثالثة من الكتيبة الثانية - بقيادة الملازم رفيفان خالد

سرية المدرعات الثانية من اللواء الثالث - بقيادة الملازم حمدان الصبيح البلوي

مجموعة الاسلحة المساندة - ٤ مدافع مورتر (٣ انش)

٦ رشاشات متوسطة (فكرز)

٤ مدافع ضد الدروع (٦ رطل)

مجموعة اللواء الرابع - بقيادة وكيل القائد عبد الحليم الساكت. وتتكون كما يلي :

سرية المشاة التاسعة - بقيادة الرئيس سليمان مسعود

سرية الأمن الثانية - بقيادة الرئيس محمد خلف العمري

السرية الرابعة ناقص فئه - بقيادة الملازم أحمد الفياض الضرغام

ثانياً : - وضعت بطارية مدفعية ٢٥ رطل بقيادة وكيل القائد محمد المعايطة لاسناد الهجوم

ثالثاً : - سرية المشاة الثامنة - تلتحق بأمرة قائد الكتيبة السادسة في البلدة القديمة

رابعاً : - سرية المشاة السادسة - تتمركز في جبل الطور بانتظار أوامر أخرى

خامساً : - القوة الاحتياطية - تتجمع في قيادة الفرقة وتتكون من الوحدات الآتية :

سرية المدرعات الأولى من اللواء الأول - بقيادة الملازم زعل الرحيل

سرية المشاة الثالثة من الكتيبة الأولى - بقيادة الملازم عواد حامد

مجموعة الاسناد : ٤ مدافع مورتر (٣ انش) + ٤ مدافع ضد الدروع (٦ رطل)

وقد كتبنا خطة هذه العملية وأمر المعركة استناداً إلى المرتكزات الآتية :

١ - بعد تكامل وحدات الكتيبة السادسة بداخل الأسوار يصبح قائد الكتيبة مسؤولاً عن

الدفاع عن المدينة القديمة بكاملها بما لديه من قوات كتيبته والمناضلين المتواجدين بداخلها .

٢ - بعد ان يحتل قائد القوة المختلطة منطقة الشيخ جراح وحي المصراة ويتصل مع باب العمود عليه ان يركز دفاعاته بهذه المناطق لكي يشكل حماية لدفاعات المدينة القديمة من خارج الأسوار .

٣ - يكون الإشراف العام على جميع العمليات بداخل الأسوار وخارجها لقيادة الفرقة .
ومن أبرز النقاط التي بني عليها أمر المعركة الذي سلمناه إلى قائد القوة المختلطة ما يلي :
١ - تحتشد القوة المختلطة في منطقة مطار قلنديا .

٢ - خط البدء في المرتفع الواقع جنوب شعفاط والمطل على حي الشيخ جراح مباشرة .
٣ - تنفذ العملية على مرحلتين كما يلي :

أ) المرحلة الأولى - احتلال حي الشيخ جراح بكامله .
ب) المرحلة الثانية - احتلال حي المصراة والاتصال بباب العمود .
٤ - بعد تنفيذ المرحلة الثانية تتمركز القوات المهاجمة في الدفاع في جميع هذه المناطق وتشكل خطأ دفاعياً متواصلاً في مواجهة خطوط العدو يمتد من باب العمود إلى الشيخ جراح (مشمولاً) .

٥ - بعد انجاز عملية الهجوم يتم الاتصال والتنسيق بين قائد القوة المختلطة وقائد الكتيبة السادسة لتأمين التعاون والمساندة بين قواتهما لتحقيق تكامل الدفاع عن المدينة القديمة والأحياء العربية خارج الأسوار .

كيفية تنفيذ معركة الشيخ جراح :

تم تجميع القوة المختلطة في منطقة الحشد عند مطار قلنديا قبل منتصف الليل. وكان قائد الكتيبة الثانية قد وضع خطته للهجوم استناداً إلى أمر المعركة الذي اصدرناه من قيادة الفرقة لهذه العملية وقام بإصدار أوامره التفصيلية الى قادة الوحدات في قسم الامر للهجوم وكان ترتيب حركة القوة وتنفيذ المعركة كما يلي :

١ - تتقدم سرية المدرعات في الطليعة لتقود الهجوم وتتبعها سرايا الكتيبة الثانية والأسلحة المساندة ثم تليها سرايا اللواء الرابع .

وكانت الخطة تنص على أن تقوم سرية المدرعات وسرايا الكتيبة الثانية بإقتحام منطقة الشيخ جراح واحتلالها في المرحلة الأولى. ثم تتقدم سرايا اللواء الرابع من خلالها لكي

تلتحق بسرية المدرعات في تقدمها لاحتلال حي المصراة والوصول إلى باب العمود والاتصال مع الكتيبة السادسة في المرحلة الثانية .

ويلاحظ هنا أننا كنا نستخدم المدرعات للقيام بدور الدبابات رغم أنها لا تناسب هذه المهمات تماماً ولكن هذا كل ما كان متوفراً لدينا من الدروع في تلك الأيام .

٢ - عند الفجر تقدمت القوة من منطقة الحشد إلى منطقة قرية شعفاط. وبتمام الساعة (٤٥، ٣) الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح يوم ١٩ أيار ١٩٤٨ م قطعت سرية المدرعات خط البدء وتبعته سرايا الاقتحام حسب ترتيبها بالخطة .

كان تقدم هذه القوة بأرض مكشوفة قبل الوصول إلى منطقة البنايات في الشيخ جراح. وبهذه الأثناء تعرضت إلى نيران كثيفة متقاطعة من الرشاشات ورافقها قصف شديد من قنابل المورتر وراجمات الألغام من جهة اليمين من عمارة مدرسة البوليس الواقعة في الطرف الغربي من حي الشيخ جراح ومن بنايات (سناهديا) الواقعة إلى الغرب منها. ومن جهة اليسار من منطقة جبل (سكوبس) الواقعة عليه بنايات هداسا والجامعة العبرية. وقد دارت معركة عنيفة من منزل إلى منزل. استبسل خلالها الجنود والضباط وبرزت بطولات فردية كثيرة حيث كان الجميع متشوقون للقتال ونيل الشهادة في معركة الشرف هذه في الديار المقدسة. وقد وقع العديد من الجرحى والشهداء ولكنهم تمكنوا من احتلال حي الشيخ جراح وتطهيره خلال ساعات قليلة. ثم واصلت القوة تقدمها إلى حي المصراة وباب العمود .

٣ - كان قائد الفرقة والركن الأول قد ذهباً إلى منطقة خط البدء ليشرافاً على سير المعركة وبقيت أنا أدير العمليات من القيادة الرئيسية واتصل مع القوة المهاجمة باستمرار لتتبع سير القتال والاتصال مع باقي وحدات الفرقة لتابعة ما كان يجري في مناطقها. وفي حوالي الساعة التاسعة صباحاً تم إبلاغي من ساحة المعركة بأن قائد القوة المختلطة القائد سليد قد جرح بشظية لغم عندما كان يحاول إزالة عائق من الحجارة في طريق المدرعات عند جسر الشيخ جراح .

٤ - بعد عودة قائد الفرقة استدعى مساعد قائد الكتيبة الثانية وكيل القائد بيوكانن إلى قيادة الفرقة وأمره أن يذهب إلى الشيخ جراح ليتولى قيادة القوة المختلطة بدل قائدها الجريح وأن يواصل إدارة المعركة حسب الخطة الأساسية ويكمل احتلال حي المصراة ثم يتقدم إلى باب العمود. وذهب بيوكانن لتولي مهمته الجديدة وتنفيذ هذه التعليمات. وبعد وصوله إلى تلك المنطقة اتصل مع قائد الفرقة وشرح له الموقف الراهن وطلب تزويده

بالتعليمات حسب المستجدات. وقد أمره قائد الفرقة ان يسحب الطلائع التي وصلت باب العمود إلى منطقة الشيخ جراح ويركز الدفاع حولها. وقد توصل قائد الفرقة الى هذا القرار على أساس ان سريتي الكتيبة الثانية اللتين نفذتا الهجوم الأساسي على منطقة الشيخ جراح لا تكفيان لاحتلال مناطق المصراة. وسعد وسعيد. وباب العمود. ولكي يمكنه تكوين خط دفاعي متواصل. وبما أن باقي سرايا المشاة وضعت بمواقع دفاعية في الشيخ جراح فإنه لا يمكن تقديمها الى باب العمود وترك الشيخ جراح خالية من القوات خلفها حيث اعتبرت منطقة الشيخ جراح هي منطقة الارتكاز الأساسية للدفاع ويجب الاحتفاظ بها بأي ثمن وترك مناطق باب العمود والمصراة لهجوم آخر يمر عبر دفاعات الشيخ جراح فيما بعد .

ولقد كان هذا القرار لا يخلو من المجازفة لأنه يعني ترك المنطقة الواقعة بين باب العمود والشيخ جراح خالية من القوات لمدة يومين على الأقل ليبيننا نتمكن من تجميع قوة أخرى لاحتلالها. لاسيما وأنه كان من المحتمل أن يقوم العدو بهجوم معاكس عبر هذه الفجوة ويحاول الالتفاف من حول الجناح الأيسر لدفاعاتنا في الشيخ جراح لقطعها من الخلف. ولكن قائد الفرقة قرر ان هذه المجازفة يمكن قبولها مؤقتاً والاحتياط لها بتقوية مواقع دفاعات الشيخ جراح بقوة إضافية بحيث يمكنها ان تصد الهجوم المحتمل .

وعلى هذا الأساس تقرر إرسال القوة الاحتياطية الموجودة في قيادة الفرقة لهذه الغاية. وصدر الأمر الى قائد سرية المدرعات الملازم زعل الرحيل لكي يتحرك الى الشيخ جراح ويراجع وكيل القائد بيوكانن لتلقي التعليمات منه .

وحوالي الساعة الثانية بعد الظهر كلفني قائد الفرقة ان أخذ سرية المشاة والاسلحة الاسنادية الى الشيخ جراح لتسليمها الى بيوكانن وان ادرس الوضع العام للجبهة والحالة الراهنة للقوات المقاتلة هناك واعود بالتفصيلات الكاملة الى قيادة الفرقة. وعندما وصلت الى الشيخ جراح تركت القوة تتمركز في طرفه الشمالي على تلة شعفاط مؤقتاً وذهبت للبحث عن (بيوكانن) فوجدت الملازم علي ابو نوار والملازم حيدر مصطفى قائد حظيرة مدافع ٦ رطل يقفان بجانب الطريق على مقربة من (عمارة النشاشيبي) في وسط حي الشيخ جراح. ولدى سؤالهما عن (بيوكانن) اخبراني انه جرح بشظية قنبلة مورتر قبل قليل وتم اخلاؤه إلى مركز الاسعاف. عندئذ اتصلت مع قائد الفرقة وابلغته ان بيوكانن أصيب ونقل الى الاسعاف فأمرني ان اتولى قيادة القوة مكانه وان انظم عملية تركيز المواقع الدفاعية في منطقة الشيخ جراح واعززها باستخدام القوة الاحتياطية التي اخذتها معي. فبادرت فوراً بتولي هذه

المهمة. وبعد جولة سريعة على المواقع الدفاعية لجميع الوحدات اتضح لي أن أول عمل يجب الاهتمام به هو تأمين الدفاع ضد أي تقدم من اليسار عبر وادي الجوز. وبلي ذلك ضرورة احتلال مركز البوليس الواقع في الطرف الغربي من الشيخ جراح. وبهذه الأثناء وجدت أن سرية المدرعات الثانية بقيادة الملازم حمدان الصبيح كانت قد انسحبت من باب العمود الى خلف منطقة الشيخ جراح من جهة الشمال. وبموجب تعليمات ذاتية من قائدها وبحسب تقديراته الشخصية للموقف وجد أن هذا الانسحاب ضروري في تلك اللحظة الراهنة. ومع ذلك وبحسب تقديري لمقتضيات الدفاع عن المنطقة بكاملها وانسجاماً مع مخططاتي المقبلة فقد قررت ابقاء سرية المدرعات هذه في تلك المواقع الخلفية مؤقتاً لتدعيم موقع تلة شعفاط التي ركزت فيها سرية المشاة والاسلحة المساندة بقيادة الملازم عواد حامد للتصدي لأي هجوم معاكس قد يشنه العدو من تلك الجهة بقصد تطويقنا من الخلف. ثم وزعت سرية المدرعات الاولى بقيادة الملازم زعل الرحيل حيث وضعنا فئة منها بمواجهة مرتفع سكوبس (هداسا والجامعة العبرية) وفئة أخرى في مواجهة حي مشيرم من الأمام والفئة الثالثة في الخلف في مواجهة مركز البوليس .

وأما سرايا المشاة الأخرى فقد تم توزيعها في الدفاع من جميع الجهات وبقيت سريتي اللواء الرابع في الاحتياط. وهكذا أصبحت دفاعاتنا مركزة بقوة بحيث تستطيع الصمود أمام أي هجوم يقوم به العدو. وأصبح بإمكانني ان انفذ الخطوة التالية وهي احتلال مركز بوليس الشيخ جراح لكي اغلق الفجوة في دفاعاتنا بشكل نهائي. وكان أول إجراء اتخذته ان أجتمعت مع وكيل القائد عبد الحليم الساكت قائد مجموعة سرايا اللواء الرابع وطلبت منه ان يستدعي قادة سراياه لحضور (قسم الأمر) الذي سوف اعقده بعد نصف ساعة لأنني سأستخدم هذه السريا لاحتلال مركز البوليس في تلك الليلة. وكان وكيل القائد محمد المعايطة قائد بطارية المدفعية يقوم بنفسه بمهمة ضابط الملاحظة وقد ابل بلاءً حسناً اثناء معارك الصباح وقام بقصف مركز البوليس وحي مشيرم وسنهادريا بتركيز هائل اثناء تقدم الكتيبة الثانية في اقتحامها الأولي في الصباح. ولقد كان من السهل عندئذ احتلال مركز البوليس لو فصلت له إحدى السرايا الخلفية اثناء الموجه الأولى من الهجوم. ولكني لا أدري لماذا تركوه وشأنه بينما كانت فيه قوة من اليهود استمرت تصليهم النيران الحامية أثناء تقدمهم. وعلى أي حال فقد قررت احتلاله في تلك الليلة لإزالة هذا الخطر. ومن ملاحظاتي لنوعيات وكثافة النيران التي كانت تطلق علينا من هذا المركز قدرت ان قوة العدو المتمركزة فيه لا تتجاوز فئتين. وعلى هذا الأساس قررت استخدام سرية الأمن الأولى التي كان يقودها

الرئيس محمد خلف العمري بهذا الهجوم وتدعمها جميع الاسلحة الاسنادية من مدافع المورتر ورشاشات الفكرز. وتقدمت السرية للهجوم بالساعة التاسعة ليلاً. وبعد معركة قصيرة قاوم جنود العدو خلالها بشراسة تمكنا من احتلال المركز وتثبيت قوتنا حوله. وباشرت فوراً بتحسين مواقعها حسب الأصول .



الأول من اليمين يحمل المنظار المؤلف يقوم بجولة في القدس القديمة أثناء القتال في معارك عام ١٩٤٨

وفي صباح اليوم التالي ٢٠ أيار خرجت بجولة على المواقع الامامية مع وكيل القائد محمد المعاينة في مدرعة ملاحظة المدفعية ثم صعدنا إلى سطح بناية مركز البوليس لاستطلاع مواقع العدو في منطقة سنهادريا فشاهدنا احد جنود العدو يصعد على سلم بجانب إحدى البنايات التي كان فيها مركزاً أمامياً لهم فأطلق عليه محمد طلقة من بندقية كان يحملها فأرداه قتيلاً. وعندما اتممنا جولتنا عدت الى موقع قيادتي وذهب محمد إلى موقع ملاحظه متقدم وأخذ يوجه قذائف المدفعية الى منطقة حي مشيرم وسنهادريا وقد احدث هذا القصف خسائر كبيرة في صفوف العدو. ولكنه في عصر ذلك اليوم أصيب بجرح في ذراعه وعاد الى محطة التضميد بعد أن طلب من قيادته إرسال ضابط ملاحظة ليبقى بشكل دائم في الشيخ جراح لتوجيه القصف المدفعي .

وبعد ظهر ذلك اليوم قمت بجولة ثانية على المواقع الدفاعية لسرايا المشاه. وبينما كنت متوقفاً بسيارتي (الجيب) بجانب أحد الخنادق اتحدث مع الجنود الموجودين بداخل الخندق سقطت قنبلة مورتر أمام مقدمة السيارة وانفجرت فاصابت شظية منها سائق سيارتي الجندي عوض يوسف وجرح في فخذه. كما أصابت الشظايا الاخرى جنديين بداخل الخندق بجروح بليغة واستشهد الثالث، ولا ادري كيف لم أصب أنا مع اني كنت جالساً بجانب السائق وموقعي بينه وبين الخندق. ومن المفروض ان اصاب انا أولاً. وعلى الرغم من النزيف الذي كان يتدفق من جرح السائق عوض فإنه كان في غاية الهدوء واصر على ان يقوم هو بنقل الجرحى الى المستشفى لأنه لم يكن لدينا سيارة اسعاف. وقد كان من الممكن ان يتولى هذه المهمة سائق آخر لكن عوض ابدى شجاعة وصموداً ممتازاً. وما دام انه هو

أيضاً بحاجة الى تضييد جرحه فقد حمل زملاءه وتحرك بهم الى رام الله حيث ادخل معهم إلى المستشفى. وقد اوصيت بمنح السائق عوض يوسف وسام الإقدام العسكري ومنح له. وخلال تلك الليلة كان العدو يقصف مركز البوليس بقذائف المورتر وراجمات الالغام بكثافة تمهيداً للهجوم المعاكس الذي قدرنا انه سوف يشنه لمحاولة استرداد هذا الموقع الهام. وحوالي منتصف الليل بدأ الهجوم المنتظر واحرز تقدماً في البداية تحت جنح الظلام وتمكن من الوصول إلى الأسلاك الشائكة. ولكن جنودنا المدافعين عنه صمدوا بكل شجاعة وتمكنوا من صد الهجوم وكبدوا العدو الكثير من الإصابات. وبعد ذلك لم يكرر العدو عمليات التعرض بهذه المنطقة مرة ثانية. وبقي هذا الموقع المهم بأيدينا .

وفي اليوم التالي ٢١ أيار وصل الملازم محمد نجيب بركات النصيرات وابلغني انه حضر من قيادة المدفعية ليعمل كضابط ملاحظة عندنا. فأمرته ان يذهب بمدرعة ويستقر عند موقع قائد سرية المدرعات الملازم زعل الرحيل الذي كان يتمركز مع فئة مدرعات بجانب عمارة النشاشيبي المطلة على الجسر المقابل الى حي مشيرم. ولم يكن هذا الموقع يبعد أكثر من مائتي متر عن موقع قيادتي. وطلبت منه أن يركز انتباهه على جميع المواقع المهمة في حي مشيرم بالدرجة الأولى لأننا كنا بهذا الوقت نشاغل هداسا وسنهادريا بمدافع ٦ رطل ومدافع المورتر. التي ركزناها في مواجهتها. وعندما تحرك صعدت الى سطح البناية التي كانت قيادتي فيها لكي ألقى نظرة على المواقع الأمامية. وفجأة رأيت احدى مدرعاتنا تسير على الطريق المؤدي من الجسر إلى جهة باب العمود. وعلى بعد حوالي خمسين متراً من نقطة المراقبة. وبهذه اللحظة شاهدت قذيفة (بازوكا) تنطلق من خندق بجانب الطريق من جهة حي مشيرم فتصيب المدرعه اصابة مباشرة. ولأنه ليس من الممكن أن يكون الملازم زعل الرحيل قد ترك مكانه وتقدم نحو باب العمود بمدرعه واحدة وبدون تعليمات مني فقد شعرت رأساً أن هذه يجب أن تكون مدرعة محمد نجيب. ولكن لماذا لم يتوقف عند زعل الرحيل في نقطة المراقبة بحسب تعليماتي له لاسيما وأنه كان من المستحيل ان يمر من هناك دون أن يرى مدرعاته التي كانت تقف بجانب الطريق خلف البناية. لست أدري، لأن سره ذهب معه. هل هو القدر أم هو حماس الشباب أم الإثنين معاً. لا بد أن قدره المحتوم قاده الى هذا التصرف. على أي حال اتصلت مع زعل الرحيل وسألته عن محمد نجيب فأخبرني انه لم يصل الى موقعه ولم يتصل معه. ولكنه رأى مدرعة تمر من جانبهم بسرعة نحو الجسر وقد حاولوا إيقافها ولكنها استمرت في طريقها دون ان تلتفت لإشاراتهم. وعندما تجاوزت الجسر أصيبت بقذيفة صاروخ أمامهم على بعد حوالي خمسين متراً من موقعهم. وقد كانت مدرعة محمد نجيب غير مسلحة ولا تحمل مدفعاً ولذلك لم تتمكن من حماية نفسها بعد إصابتها.

وعلى أي حال كان لابد من سحبها بسرعة لانقاذ طاقمها. ولذلك فقد تقدم الملازم زعل الرحيل لكي يسحبها بإحدى مدرعته تحت ستار نيران المدرعات الأخرى. كان اليهود يتركزون في البنايات المسيطرة على موقع المدرعة المعطوبة ويغطون المنطقة كلها بنيران كثيفة من مختلف الاسلحة. ورغم ذلك تقدم زعل بمدرعته تحت النيران حتى وصل الى المدرعة المعطوبة فوجد بداخلها جثة محمد نجيب وإثنين من جنوده وكانوا جميعهم قد فارقوا الحياة. وعندما حاولوا سحب المدرعة المعطوبة اصيبت مدرعته هي الاخرى بصاروخ واعطبت. وعندئذ اضطر زعل الرحيل الى الانسحاب من الموقع ونقل معه الجريح الوحيد الذي بقي على قيد الحياة وبهذه الاثناء اتصل مساعد زعل الرحيل الوكيل سالم الشبيكان الذي كان يقود فئة مدرعات بمواجهة هداسا وسأله ان كان يريد مساعده فابلغه زعل بأنه لا حاجة لحضوره. ولكن سالم لم يتقيد بهذه التعليمات وتقدم بمدرعته إلى موقع الحادث ولكنه وصل بعد انسحاب زعل منه وحال وصول سالم اصيبت مدرعته بصاروخ واحترقت وجرح هو وأحد جنوده ولكن رغم ذلك فقد تمكن من الانسحاب مع سائق مدرعته والجندي الجريح وهكذا خسرنا بهذه العملية ضابطاً وثلاثة جنود شهداء وضابطاً وجنديين جرحى وتدمير ثلاثة مدرعات بدون فائدة .

وقد تم ارسال دورية خلال الليل تمكنت من إحضار جثث الشهداء. وعلى الرغم من ان المدرعات المعطوبة كانت تحت المراقبة فإن اليهود تمكنوا من سحب مدرعتين منها أثناء الليل لأنها لم تكن تبعد عن خنادقهم الأمامية سوى بضعة أمتار فقط وكان من السهل عليهم ان يصلوها تحت ستر الظلام .

لقد اسهبت في ذكر هذه الحادثة بشيء من التفصيل لكي أبرز نقطتين :

أولاً : ان هذه الإصابات كلها وقعت نتيجة لمخالفة الأوامر التي ارتكبها اصحابها لفرط حماسهم واندفاعهم لمجابهة العدو. وجميعهم كانوا يخالفون الأوامر وهم يعتقدون انهم إنما يقومون بعمل يستحقون عليه الثناء. ولكنهم مع الأسف دفعوا حياتهم ثمناً لهذه الاخطاء. وهذه عبرة احب ان انبه اليها بهذه المناسبة وهي ان مخالفة الأوامر في السلم قد ينتج عنها خسائر مادية ومعنوية ولكن في الحرب فمن المؤكد أن ينتج عنها خسائر في الأرواح قد تكون كبيرة وفي مقدمتها أرواح مرتكبي المخالفات انفسهم. كما حصل بهذه الحادثة. ولذلك فإنني احب التأكيد على أنه لايجوز مخالفة الأوامر مهما كانت الأسباب سواء كانت في السلم أو الحرب. والعبرة لمن يعتبر .

ثانياً : وهذه النقطة تتعلق في خطأ في القيادة. فعلى الرغم من اننا كنا مجبرين على المجازفة

وقبول التحدي حيث اننا بسبب افتقارنا للسلاح المدرع فقد كنا في كثير من الأحيان نستعمل المدرعة العادية (المسلحة بمدفع ٢ رطل ورشاش) بدل الدبابة ونعطيها واجباتها. وهذا النوع من الاستخدام رغم انه كان لنا العذر فيه لعدم وجود البديل . كلفنا خسائر كثيرة .

وبعد ظهر هذا اليوم واصلتني السرية الثالثة عشر قادمة من اريحا حيث ارسلتها قيادة الفرقة لكي تنضم إلى القوة المختلطة فوضعتها في الاحتياط مؤقتاً في عمارة راغب النشاشيبي التي تقع في وسط حي الشيخ جراح. وكانت هذه العمارة عبارة عن دار سكنية ضخمة مبنية حديتاً ولم تكتمل بعد. وليس بداخلها شيء يمكن اتلافه. ولذلك لم أرى مانعاً من استعمالها لهذه الغاية. وحوالي الساعة الخامسة مساءً اتصل معي الركن الأول للعمليات من قيادة الفرقة وابلغني ان اسلم قيادة القوة المختلطة الى وكيل القائد عبد الحليم الساكت واعدو حالاً الى قيادة الفرقة وان اعيد سرية المدرعات الأولى بعد حلول الظلام إلى منطقة قلنديا لتلتحق الى الكتيبة الثالثة التي ستقوم بالهجوم على منطقة باب العمود عند الفجر .

وهكذا وبعد قتال مرير ومستمر طيلة الأيام الماضية تمكنا من الاحتفاظ بمنطقة الشيخ جراح وصدد جميع محاولات العدو لزعزعتنا عن أي موقع فيها .

وسلمت القيادة في تلك الليلة الى وكيل القائد عبد الحليم الساكت بعد ان أعطيت التعليمات الى الملازم زعل الرحيل بسحب سريته الى منطقة قلنديا وعدت الى عملي في قيادة الفرقة. وعند وصولي وجدت ان الكتيبة الثالثة قد تحركت من نابلس إلى منطقة الحشد في قلنديا حيث تقرر ان تقوم بالهجوم عبر الشيخ جراح لاحتلال حي المصراة ومنطقة باب العمود عند فجر اليوم التالي ٢٢ أيار ١٩٤٨ م. وكان قائد الكتيبة الثالثة وكيل القائد نيومان قد تسلم أمر العمليات من قيادة الفرقة وعاد للمباشرة بتنفيذه .

وعقد قائد الفرقة اجتماعاً حضرته أنا والركن الأول وتدارسنا الوضع العام على ضوء التطورات المستجدة الآتية :

أولاً : ان القوات العراقية قد أوقفت هجومها على تلال كوكب الهوى في منطقة المجمع وبدأت انسحابها من هناك عن طريق (اربد - المفرق - عمان) ثم إلى منطقة نابلس حيث تقرر ان تستلم جبهة (نابلس - جنين) وان طلائعها ستصل صباح اليوم التالي ٢٢ أيار لكي تستلم مواقع اللواء الأول .

ثانياً : ان الكتيبة الرابعة تتعرض حالياً لعمليات هجومية وان خطوط دفاعاتها الأمامية من اللطرون حتى مرتفعات باب الواد طويلة وضعيفه لاسيما وان جناحها الأيسر الذي

كانت تدافع عنه الكتيبة الثانية بمنطقة (بدو - النبي صموئيل) لم يبق فيه قوة سوى سرية مشاة واحدة بعد سحب معظم وحداتها لتكوين القوة المختلطة للهجوم على الشيخ جراح .

ثالثاً : ان المعارك محتدمة بداخل القدس القديمة باستمرار منذ اربعة ايام ولا تزال القوات اليهودية تقاوم بداخل الحي اليهودي. وقد تحدث تطورات تتطلب دعم الكتيبة السادسة عند الضرورة لإتمام مهمتها باحتلال الحي اليهودي .

رابعاً : بعد حركة الكتيبة الثالثة من نابلس إلى القدس أصبحت منطقة اللواء الأول بدون احتياطي ودفاعاتها رمزية. حيث لم يبق على طول تلك الجبهة سوى الكتيبة الأولى التي كانت سراياها موزعة بشكل مفرز وليس لديها مدفعية او مدرعات تسندها. وإلى حين وصول القوات العراقية سوف تبقى هذه المجازفة قائمة وفي غاية الخطورة.

وعلى ضوء دراستنا لكافة الاحتمالات والتوقعات اتخذنا القرارات الآتية :

١ - بعد عبور الكتيبة الثالثة الى القدس واحتلال اهدافها تلتحق سريتي الكتيبة الثانية من الشيخ جراح إلى مواقع كتيبتها في منطقة (النبي صموئيل - القبييه - بدو) .

٢ - بعد استلام القوات العراقية مواقع اللواء الأول في منطقة نابلس تنسحب قيادة اللواء الأول من نابلس الى رام الله وتتمركز في موقع بطرف قرية شعفاط شمال القدس وتصبح مسؤولة عن جبهة القدس حتى حدود موقع النبي صموئيل وبدو غرباً .

٣ - تتحرك الكتيبة الأولى بعد ذلك لاستلام مواقع الكتيبة الثانية في منطقة (النبي صموئيل - بدو) ثم تتحرك الكتيبة الثانية لاحتلال مواقع دفاعية في منطقة جبال (يالو - باب الواد) على يسار الكتيبة الرابعة التي سوف تسحب سريتها من قرية (يالو) لتعزيز مواقعها في منطقة اللطرون. وهكذا ستصبح دفاعاتنا الممتدة من النبي صموئيل حتى اللطرون مسندة مسؤوليتها إلى ثلاثة كتائب بعد ان كانت تدافع عنها كتيبة واحدة زائد سرية مشاة فقط (وتلك مجازفة قبلناها بسبب تشكيل القوة المختلطة) .

٤ - وحتى تصل القوات العراقية الى نابلس وكإجراء احتياطي يأخذ طلبنا من اللواء الأول تشكيل دوريات متحركة منقولة على عدة سيارات تنتقل بين عدة مواقع في الفجوات التي لا تغطيها الكتيبة الأولى وتتعمد الظهور أمام العدو لكي يعتقد أن تلك الفجوات مغطاة من قبل قواتنا .

٥ - تنتقل قيادة اللواء الثالث من منطقة بيتونيا الى خلف موقع (يالو) وتصبح مسؤولة عن جبهتها من اللطرون غرباً حتى يالو شرقاً .

وبعد اتخاذ هذه القرارات بدأنا بتنفيذها تدريجياً حسب تسلسل الاحداث خلال الأيام القليلة القادمة. ولإيضاح هذه الاحداث سوف اشرح موجز المعارك التي دارت في مختلف القطاعات كل على انفراد كما يلي : (انظر الخارطة رقم ٣)

أولاً : هجوم الكتيبة الثالثة في القدس الجديدة

وصلت هذه الكتيبة من نابلس الى منطقة الحشد في قلنديا مساء يوم ٢١ أيار. وهناك انضمت اليها سرية المدرعات الأولى التي انسحبت من القدس بعد ان خاضت قتالاً مستمراً لمدة ثلاثة أيام لكي تشترك مع كتيبتها في هذا الهجوم الجديد .

كما تحركت بطارية المدفعية الثانية التي كانت بإسناد اللواء الأول من منطقة نابلس إلى خلف قرية بيت حنينا لتساند الهجوم بالإضافة إلى فئة البطارية الأولى التي كانت هناك بإسناد القوة المختلطة .

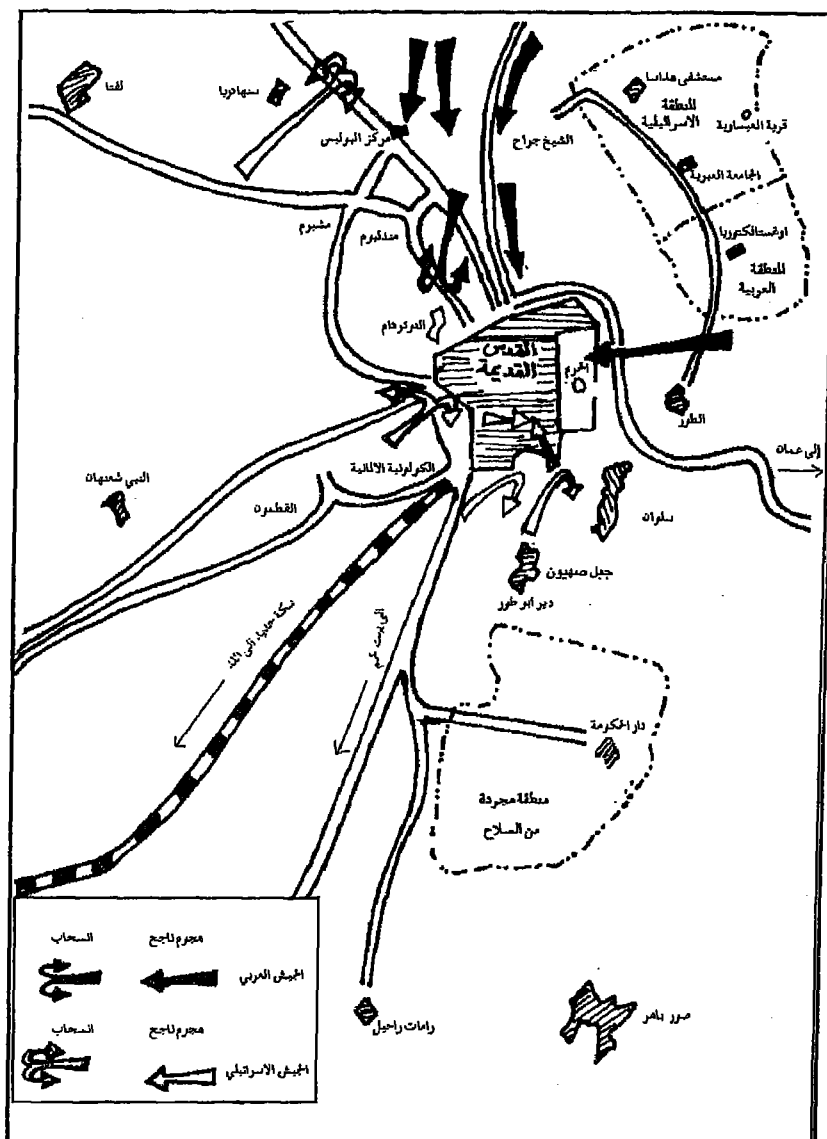
وبعد تكامل وصول وحدات الكتيبة قام قائدها وكيل القائد نيومان بإعطاء أوامره لتنفيذ عملية الهجوم إلى قادة الوحدات ثم تحركت الكتيبة إلى خط البدء على تلة شعفاط. وبالساعة الرابعة صباحاً قطعت قواتها خط البدء تتقدمها سرية المدرعات. وكانت الاهداف الرئيسية التي يتوجب على الكتيبة الوصول اليها واحتلالها هي :

أ - بناية النوتردام : وهي عبارة عن قلعة ضخمة تتألف من عدة طوابق تسيطر على منطقة باب العمود وحي المصراة.

ب - بناية بنك باركلز : وهي تقع إلى يمين قلعة النوتردام وتسيطر على المنطقة من جهة الغرب والشمال ومنها إلى المستشفى الإيطالي .

وقد خصص قائد الكتيبة سرية المشاة التي يقودها الملازم غازي الحربي لتكون على اليمينه وهدفها احتلال بناية بنك باركلز عبر حي المصراة. وسرية المشاة التي يقودها الملازم عياد أديلم على اليسره وهدفها احتلال بناية النوتردام من منطقة باب العمود كما خصص السرية الاحتياطية التي يقودها الملازم محمد النعمان القبسي لتتبع في المؤخره لإسناد أي من سريتي الهجوم حسب الحاجة .

وبعد اجتياز الكتيبة خط البدء اخذت المدفعية تقصف جميع الأهداف لإسناد الهجوم، وعندما اجتازت هذه السرايا منطقة الشيخ جراح جوبهت بمقاومه عنيفة من النيران من مختلف الاسلحة التي كانت تطلقها قوات العدو من منطقة بنايات (سنهادريا) الواقعة غرب الشيخ جراح ومن حي (مشيرم) على يمين خط تقدم سرايا الكتيبة .



خارطة رقم (٣)
المعارك في مدينة القدس من ١٥ مايس ١٩٤٨ م حتى الهدنة الأولى

وقد واجهت هذه السرايا صعوبات كبيرة اثناء تقدمها، وبسبب كثافة النيران وعدم خبرة الضباط بشوارع الاحياء اليهودية انحرفت سرية اليمينه عن مسارها الأساسي نحو اليمين ووقعت بين نيران متقاطعه من مشيرم وسنهادرنا. فقتل منها عدد من الجنود وأصيب عدد آخر بجراح. وبالنتيجة اضطر قائد السرية الملازم غازي الحربي ان ينسحب الى الخلف ثم عاد وتقدم ثانية عبر الطريق الرئيسية المؤدية من الشيخ جراح الى منطقة باب العمود من أمام مشيرم لكي يستطيع الوصول الى حي المصراه ويتمركز فيه. وبهذا الشكل لم يحقق قائد هذه السرية هدفه الأساسي وهو احتلال بناية بنك باركلز حسب الخطة الأساسية لهذه العملية .

أما سرية الميسرة بقيادة الملازم عيـد أديلم فتقدمت من الشيخ جراح بمحاذاة الطريق الرئيسي حتى وصلت الى منطقة باب العمود. ولكن هذه السرية تأخرت في الوصول إلى أمام عمارة (النوتردام) لأن قائدها دخل إلى البلدة القديمة خطأ من باب الزاهرة ثم خرج من باب العمود ومن هناك بدأ هجومه على النوتردام عند الظهيرة .

كانت تساند هذا الهجوم سرية اسناد الكتبية وفئة مدرعات بالإضافة الى نيران جنود الكتبية السادسة المتمركزين على السور مقابل عمارة النوتردام .

وعندما تقدمت السرية لاقتحام البناية من بين عمارات صغيرة وعبر ارض مكشوفة في مواجهة نيران كثيفة من جنود العدو المتمركزين في الطوابق العليا لبناية النوتردام وقعت بين جنودها إصابات عديدة. وبعد وقت قصير من بداية الهجوم استشهد قائد السرية الملازم عيـد أديلم وتولى القيادة مساعده الوكيل فليح ماطر فتثبت على الفور في البنايات الصغيرة المواجهة لعمارة النوتردام وأخذ يشاغل العدو بالنيران من مواقعه. ولكنه لم يتمكن من التقدم الى بناية النوتردام بسبب شدة مقاومه وكون منطقة التقدم كانت مكشوفة للعدو . وهكذا بقيت هذه السرية في مواقعها حتى حلول الظلام حيث انسحبت الى منطقة غرب باب العمود .

أما سرية المؤخرة بقيادة الملازم محمد النعمان فقد كان من المفروض ان تتقدم خلف سرية الميسره لتقوم بمساندتها عند اللزوم ولكنها انحرفت الى اليسار أكثر من اللزوم فعبرت من منطقة وادي الجوز إلى منطقة خلفية شمال باب العمود، ولذلك فإنها لم تتمكن من المساهمة في إسناد سرية الهجوم أثناء تقدمها نحو النوتردام .

وهكذا انقضى يوم ٢٢ أيار دون ان تحقق الكتيبة الثالثة اهدافها الرئيسية باحتلال بنايات النوتردام وبنك باركلز والمستشفى الإيطالي. ولكنها على أي حال تمكنت من احتلال حي المصراه ومنطقة باب العمود وأسست خطأ دفاعياً عبر البنايات الأخرى الممتدة من باب العمود حتى حي الشيخ جراح .

وأثناء تلك الليلة وضع قائد الكتيبة خطة جديدة للهجوم على بناية النوتردام في اليوم التالي. وكانت هذه الخطة تقضي بالهجوم بسريرتين في الأمام. بحيث تتقدم السرية الرابعة من منطقة المصارره والسرية الثانية من جهة باب العمود. وقد وضع بإسناد هذا الهجوم سرية المدرعات والسرية المساندة مع كافة اسلحتها. كما وضع بالاسناد كذلك بطارية مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطل .

بدأ الهجوم ظهر يوم ٢٣ أيار بتمهيد من نيران مدفعية الميدان ومدافع المورتر والرشاشات المتوسطة (فكرز) من سرية الاسناد. كما استعملت مدافع ٦ رطل المضادة للدروع لفتح ثغرات في جدران البناية. ولكن فعاليتها كانت محدودة نظراً لضخامة الجدران حيث ان هذه البناية تشبه القلعة في ضخامة بنائها. تقدمت سرية الهجوم تحت ستار النيران المساندة واخذتا تطهران مواقع العدو في البنايات الصغيرة القريبة من النوتردام. وعند اقتراب سرايا الهجوم من الهدف توقف إطلاق نيران الاسلحة الاسنادية. وكانت السرية الرابعة قد تركزت في بناية بالقرب من النوتردام. فأرسل قائدها مجموعة من الجنود لفتح ثغره في الأسلاك الشائكة وقاموا بفتحها تحت ستار نيران السرية. ولكنه لم يجازف بالتقدم لدخول بناية النوتردام ذاتها عندما لاحظ شدة وكثافة نيران العدو. حيث كان جنود العدو قد تحصنوا في الطوابق العليا ليتجنبوا التعرض للمزيد من الإصابات وبنفس الوقت استطاعوا السيطرة على جميع طرق الاقتراب بفعالية أكثر .

أما السرية الثانية فلم تتمكن من التقدم الى أبعد من مواقعها التي وصلتها وبهذه الأثناء جرح قائدها الملازم محمد النعمان القبسي ونقل الى مركز الاسعاف، وعندئذ وصل اركان حرب الكتيبة الملازم خالد المجلي الخريشة ومعه فئة من السرية الثالثة لدعم الهجوم. ولكن هاتين القوتين اضطرتا تحت تأثير نيران العدو الكثيفة للإنسحاب الى داخل الأسوار ثم تقدمت باقي السرية الثالثة بقيادة الوكيل فليح ماطر الى البنايات الصغيرة الواقعة غربي عمارة النوتردام وتمركزت فيها. واستقر الموقف على هذه الصورة حتى حلول الظلام. وأثناء الليل طلب قائد الكتيبة تزويده بمدفع ميدان ٢٥ رطل ليستعمله برماية مباشرة لكي يفتح ثغرة في جدار النوتردام وقد تم إيصاله اليه صباح اليوم التالي وبدأت الرماية المباشرة فوراً حيث فتح ثغرة كبيرة في واجهة المبنى. ولكن قائد المدفعية قام بسحب هذا المدفع عند الظهيرة معتبراً ان مهمته قد انتهت. ولكن هذا الإجراء كان خطأ إذ إنه لو بقي هذا المدفع حتى المساء واستمر بالرماية لأمكن الحصول على نتيجة أفضل بدعم الهجوم وربما حصل تطور جذري يسهل احتلال البناية .

كان قائد السرية الرابعة غازي الحربي قد تقدم عند الفجر من مواقعه ودخل الى ساحة النوتردام وتمكن من نسف الباب الرئيسي بمدفع (بيات) ودخل مع قسم من سريته الى الطابق الارضي من البناية. وبقي قسم من السرية في الساحة الخارجية حيث منعتهم النيران الكثيفة والقنابل اليدوية التي كان جنود العدو يطلقونها من الطوابق العليا. وهكذا أصبح موقف قائد السرية حرجاً للغاية ولم يكن قادراً أن يصعد الى الطوابق العليا مع الجنود القلائل الذين دخلوا البناية معه بسبب كثافة النيران التي كان يطلقها جنود العدو من الأعلى ولم يتمكن جنوده الموجودين في الساحة الخارجية من اللحاق به لتعزيزه حيث كانت تمنعهم النيران الكثيفة التي كان يصبها جنود العدو عليهم من الطوابق العليا. وقد خسرت السرية حتى ذلك الوقت معظم ضباطها والكثيرين من جنودها. وبهذه الأثناء اتصل قائد السرية مع قائد الكتيبة ليبلغه انه احتل الطابق الأرضي وأن جنوده يتمركزون حالياً في ساحة البناية وطلب ارسال تعزيزات له على وجه السرعة لاتمام المهمة. فأبلغه قائد الكتيبة بأنه ليست لديه تعليمات بإرسال التعزيزات وأمره ان ينسحب ولكن قائد السرية رفض الانسحاب. وقد تكررت أوامر قائد الكتيبة اليه بالانسحاب وهو يصر على الرفض. وعند حلول الظلام ايقن قائد السرية أنه لا فائدة من بقائه وانسحب الى البناية التي كان فيها قبل تقدمه الى النوتردام. وقد فقدت هذه السرية حوالي (٨٠) ثمانين من جنودها بين قتل وجريح كما فقدت معظم ضباطها بهذه العملية. وعندما نعرف ان مجموع ملاك هذه السرية كان (١٢٠) جندياً يتضح أن هذه النسبة من الخسائر غير مقبولة تحت أي مقياس. وهذا معناه ان هذه السرية لم تعد وحده فعالة في القتال حيث لم يبق من جنودها سوى ما يعادل فئة مشاة واحدة ولم يبق من ضباطها سوى قائد السرية. ولكن ليس هذا هو المهم في الموضوع لأن هذا الحجم من الإصابات يمكن وقوعه عادة في الحرب. ولكن المهم هو ان نعرف فيما اذا كانت هذه العملية تستحق كل هذه التضحيات أم لا .

صحيح ان احتلال النوتردام لم يكن سيعطينا مدينة القدس ولكن هذه البناية كانت تسيطر تماماً على جميع مواقعنا في حي المصراة وباب العمود ولذلك كان احتلالها أمراً في غاية الأهمية ولكن هل كان بالإمكان احتلالها بالقوات التي كانت متوفرة آنذاك .

أعتقد انه لو صدقت النية عندما وصلت سرية غازي الى داخلها. ولو لم يسحبوا المدفع ٢٥ رطل الذي استخدموه في القصف المباشر : بل لو أضافوا عليه مدفعين أو ثلاثة لزيادة كثافة القصف. ولو دفع قائد الكتيبة بالسرية الثالثة التي كانت تتمركز في البنايات الصغيرة غرب النوتردام والسرية الثانية التي انكفأت الى داخل الأسوار خلال الليل وقام بتنفيذ هجوم

كتيبة مركز عليها بدل الاكتفاء بهجوم سرية واحده لتمكن من احتلالها. وعلى الرغم من كثرة الإصابات فإن إحتلال هذه البناية كان ممكناً وكان ضرورياً ما دام انه قد تقرر الهجوم عليها لأنها هدف مهم. لاسيما وقد قاتل جنودنا فيها ثلاثة أيام متواصلة وقدموا الكثير من التضحيات واستشهد فيها ما يقرب من مائة جندي وضابط وقد كانوا يستحقون أن يجنوا ثمار تضحياتهم. وإلا فلم يكن من الضروري الإقدام على هذه العملية من البداية .

كان إصرار قائد الفرقة وقائد الجيش على الانسحاب من عمارة النوتردام سببه كما كانوا يقولون اننا خسرنا الكثير من الجنود والضباط وليس لدينا قوات احتياطية يمكن أن تعوض النقص الحاصل بهذه الكتيبة. ولذلك فإنه من الضروري الحفاظ على ما تبقى منها لكي تبقى هذه الكتيبة وحدة مقاتلة فعالة يستفاد منها في المعارك القادمة. وهذه وجهة نظر معقولة. ولكن الهجوم على عمارة النوتردام كان قد تقرر أصلاً لأنهم اعتبروه ضرورياً. ولأن هذه العمارة اعتبرت هدفاً حيواً في غاية الأهمية. ولذلك تقرر الاستيلاء عليها لتأمين حماية باقي مواقعنا الأمامية المواجهة لها. وعملية الهجوم على أي حال كانت قد وصلت مرحلة متقدمة. ومهما كانت الخسائر المتوقعة حدوثها لانجاز المهمة لا يمكن أن تكون بالحجم الذي سيدمر هذه الكتيبة لو شنت هجوماً مركزاً بكامل ثقلها لاسيما وإن المرحلة الصعبة كانت قد انجرت واصبح جنود السرية الرابعة يحتلون الطابق الارضي منها. فكان من الأولى أن تستمر بعملية الهجوم بدل الانسحاب. خصوصاً وإن جنود العدو كانوا يقاتلون باستمرار منذ أسبوع. وهم أيضاً أصبحوا مرهقين ولا يمكن أن يصمدوا كثيراً لو تابعنا الهجوم بزخم أكثر. ولكن هكذا كان قرار قائد الجيش وقائد الفرقة . وأعتقد أنه كان منعطف تحول إلى الأسوأ لأن النتيجة كانت أننا بقينا محتفظين بالمواقع المنخفضة التي تسيطر عليها مواقع العدو المرتفعة باستمرار حتى نهاية الحرب. ولو تمكنا من احتلال بناية النوتردام لأصبح من الممكن إحتلال بناية بنك باركلز والمستشفى الايطالي ولأصبح خطنا الدفاعي يرتكز على قطاع مهم ومسيطر على منطقة واسعة خارج أسوار القدس القديمة من جهة الغرب .

وبهذه المناسبة لابد من التساؤل. لماذا تقدمنا للهجوم على بناية النوتردام من منطقة باب العمود ولم نتقدم عبر منطقة (مشيرم) والأحياء اليهودية من الخلف بل لماذا لم نتقدم عن طريق جبل المكبر واحتلاله ثم عزل مدينة القدس من الجنوب لاسيما وأنه من الواضح أن احد هذين الاحتمالين او كليهما كان أفضل من الهجوم المباشر على بناية النوتردام من منطقة باب العمود. ولكن عامل الفصل في ذلك الحين كان عدم توفر القوات الكافية للتوغل بداخل الأحياء اليهودية في القدس الجديدة او لتطويق المدينة وعزلها من الجنوب. حيث أن الكتيبة

الثالثة وهي القوة الاحتياطية الوحيدة المتوفرة لدينا كانت ستضيع في تلك المناطق الواسعة دون ان تحقق شيئاً. ولقد كان من الضروري اغلاق الفجوة بين موقع الشيخ جراح وباب العمود لكي يصبح لدينا خطأ دفاعياً متصلاً من أسوار القدس القديمة حتى الشيخ جراح. ولإبقاء خط المواصلات المؤدي من القدس إلى رام الله مفتوحاً .

لكن التساؤل المهم هنا هو لماذا منعنا من احتلال منطقة الجامعة العبرية ومستشفى هداسا (جبل سكوبس) والتي كانت تؤثر تأثيراً مباشراً على مواقعنا في الشيخ جراح وتهدد طرق مواصلاتنا الخلفية. وقد كان هذا ممكناً حتى بعد الارتداد عن بناية النوتردام. ولاسيما وأنه كانت قد صدرت التعليمات من قيادة الفرقة لاحتلالها وقد بدأت التحضيرات لتنفيذ الهجوم. ولكن بهذه الأثناء وصلتنا تعليمات من قائد الجيش بإلغاء هذه العملية وعدم احتلال تلك المنطقة. ولم اطلع على ماهية الأسباب التي أدت الى إصدار هذه التعليمات ولكن قائد الفرقة أخبرنا ان القصد هو للمحافظة على محتويات هذه المؤسسات من المخطوطات والمراجع العلمية النادرة وحمايتها من التدمير. كما أن هذه المؤسسات تعود ملكيتها الى بعض الجمعيات الخيرية الأميركية وإن احتلالها أو الإضرار بها سيؤدي إلى ردة فعل سيئة لدى الشعب الأمريكي ويؤلب الرأي العام ضدنا .

ولقد كانت هذه حجج واهية لأن من يعرف جنود الجيش العربي يعرف أنهم جند نظاميون ومحاربون شرفاء ولن يتسببوا بتدمير أي أثر حضاري حتى في شدة وطيس المعركة. ولكن مهما كان شأن هذه الكتب فإنها ليست أهم من ترك هذه المنطقة بيد العدو لتبقى شوكة في ظهورنا وخلف دفاعاتنا مما نتج عنه مشاكل كثيرة عانينا منها فيما بعد. ومهما كانت الأسباب والدوافع لهذا الإجراء فإنني لا أظنه كان لحماية المخطوطات بل ربما للإنجليز غايات أخرى أبعد من ذلك .

والدليل على هذا انه بعد فترة وجيزة وقع اللواء لاش قائد الفرقة بواسطة مندوب هيئة الأمم المتحدة على (اتفاقية هداسا) المشهورة التي اعترفت بترك هذه المنطقة بيد اليهود شريطة ان تقوم بحراستها قوة من البوليس اليهودي تحت إشراف مندوبي هيئة الأمم المتحدة. وأن تسمح الأردن بمرور قافلة يهودية مرة كل أسبوعين لنقل المؤن وتبديل الحرس عبر خطوطنا. وقد استغلها اليهود كما هو معروف فيما بعد لنقل الذخائر والاسلحة بالتهريب. أما الحرس فلم يكونوا سوى جنود من الجيش الاسرائيلي بدلوا ملابسهم بملابس الشرطة .

ولكن لماذا يوقع اللواء لاش الانجليزي على اتفاقية كهذه يلزم بموجبها الحكومة الاردنية

بشروط وتنازلات ومسؤوليات مهمة وينوب عنها بهذا التوقيع. ولماذا لم يوقعها وكيل القائد عبدالله التل كما وقع باقي الاتفاقيات المتعلقة بتحديد مناطق الحرام بداخل مدينة القدس حيث كان مخولاً بتوقيع مثل هذه الاتفاقيات نيابة عن الحكومة الاردنية. كل هذه التساؤلات محيرة ولم اعثر لها على تفسير أو جواب مقنع عند أحد .

لقد أسهبت في وصف عمليات الكتيبة الثالثة ومعركة النوتردام لكي أشرح ملابساتها كما حدثت فعلاً وأوضح دور جميع الأطراف التي اشتركت بقراراتها. وخصوصاً قرار عدم تعزيز سرية الهجوم بعد احتلالها للطابق الارضي ثم قرار سحبها من البناية نهائياً. وذلك لكثرة الاحاديث التي دارت حول هذا الموضوع وما ورد من انتقادات واتهامات على ألسنة الكثير ممن قالوا انهم اطلعوا على تصرفات الضابط الانجليزي الذي كان مسؤولاً عن إحدى مراحل هذه المعركة. وقد أبديت وجهة نظري بكل وضوح وبتجرد تام مستنداً إلى الوقائع كما حصلت فعلاً في حينها وباطلاعي. ولقد بينت أنه كان من الممكن إحلال هذه البناية وربما غيرها لو تصرف قائد الكتيبة الثالثة بحكمة وشجاعة وأدار المعركة بطريقة أفضل .

ولو كان قرار قائد الفرقة وقائد الجيش يقضي بمواصلة الهجوم ومنع الانسحاب. ولذلك فإنني أرى ان المسؤولية تقع عليهم الثلاثة رغم أنني ذكرت حججهم التي استندوا عليها والتي تهدف الى تقليل الخسائر بالأرواح. ولكنني اعتقد ان هذا التوفير في الخسائر في مثل هذا الموقف يجب أن لا يكون مقبولاً وان لا يعطي أولوية على تحقيق الهدف الحيوي في المعركة لأننا يجب أن لا نتوقع ان نخوض المعارك وهدفنا توفير الخسائر بل أن يكون هدفنا الأساسي هو كسب المعركة مهما كانت الخسائر ضمن الحدود المعقولة. ولاسيما وان هؤلاء القادة الانجليز هم الذين قرروا القيام بعملية الهجوم هذه منذ البداية. فإن كانوا يريدون توفير الخسائر والحد من الإصابات فمن الاولى عدم القيام بها اصلاً وعندئذ لا نكون قد خسرنا ثلاثة أرباع جنود السرية الرابعه وجميع ضباطها دون أن نحقق شيئاً سوى ان ندخل الى الطابق الارضي بهذه البناية ثم نعود الى حيث بدأنا. وعلى أي حال فإنني سأترك هذا الموضوع الآن عند هذا الحد ولكنني سوف اتطرق له ثانية في فصل قادم عند بحث موضوع الجيوش العربية وأسباب الفشل بهذه الحرب. أما الآن فسوف أواصل وصف المعارك الأخرى حسب تواريخ وقوعها .

ثانياً : معركة القدس القديمة :

كانت سرية الأمن الاولى قد تحركت من منطقة الخان الأحمر الى جبل الزيتون مساء يوم

١٧ أيار ١٩٤٨م استعداداً لدخولها الى مدينة القدس القديمة لتعزيز قوات المناضلين فيها. وبعد منتصف الليل بدأت حركتها سيراً على الأقدام عن طريق الجسمانية الى باب الاسباط حيث وصلت الى مدرسة الروضة. وبعد التنسيق مع قائد قوة جيش الانقاذ هناك تم تركيز قناتها في منطقة الباب الجديد مبدئياً للدفاع عنها. وفي الصباح اجتمع قائد السرية الرئيس محمود الموسى عبيدات مع قادة المناضلين وبحث معهم كيفية تنسيق الدفاع عن المدينة القديمة. ولكنه اكتشف ان الفوضى تسود صفوفهم. كما انه وجد أن اليهود قد تمكنوا من اختراق السور من باب النبي داود واتصلوا مع الحي اليهودي بداخل المدينة وادخلوا سرية من البالمخ لتعزيز الدفاع عن الحي. وعندئذ اتضح لقائد السرية الاردنية ان منطقة باب النبي داود اخطر منطقة تهدد دفاعات المدينة بشكل مباشر وأنه يتحتم عليه ان يقوم بإحتلالها بأقصى السرعة لكي يقطع اتصال العدو المتواجد في الحي اليهودي مع قواته خارج الأسوار. ولهذا قام بسحب سريته بكاملها من الباب الجديد لينفذ عملية الهجوم بقوة السرية. وعندما قام بالكشف على باب النبي داود وجد أن اليهود يحتلون برجاً على السور ومنه يسيطرون على الشوارع المؤدية الى حي الأرمن. فقام بهجوم سريع واحتل البرج ثم وضع مفرزة بداخله لكي تسيطر على باب النبي داود. وبعد ذلك تقدم قائد السرية مع مجموعة اخرى من الجنود للكشف على الحي اليهودي ولكنه جرح في ساقه أثناء ذلك فانسحب مع جنوده الى دير الارمن حيث تتمركز قيادة السرية. فسلم قيادتها الى مساعده وعاد الى مركز الإسعاف .

وهكذا استمر تبادل إطلاق النار مع العدو طيلة النهار: وحوالي منتصف الليل عاود العدو هجومه على باب النبي داود بقوة كبيرة حيث تمكنوا من الوصول إلى الباب وفتحوه بالأكسجين واندفعوا من خلاله نحو دير الارمن فاضطرت مفرزة الجيش العربي التي كانت تحتل برجاً فوق الباب ان تنسحب الى موقع قيادة السرية. وبعد ذلك ركز العدو جهد هجومه على المواقع الرئيسية في دير الارمن. ودارت المعركة طيلة الليل حيث صمد جنودنا في مواقعهم بثبات وبسالة رغم تفوق قوات العدو عليهم. وبرزت خلال هذه المعركة بطولات فردية نادرة بين الضباط والجنود تبعث على الاعتزاز والفخر لأصحابها. كما سقط عدد من الشهداء وجرح عدد آخر. وخلال هذه المعركة كان للملازم نواف الجبر الحمود مساعد قائد السرية دوراً أساسياً في صمود سريته بمواقعها حيث رفض ان ينسحب من أي جزء من مواقع دفاعاته حتى تمكن بالنهاية من صد الهجوم رغم تفوق العدو الواضح بالأعداد والاسلحة. وبهذا الصمود تمكن من الاحتفاظ بمنطقة دير الارمن. ولكن اليهود ظلوا محتفظين بمنطقة باب النبي داود. ويحتلون برجين فوق السور هناك. وفي صباح اليوم

التالي قام قائد السرية بشن هجوم معاكس على منطقة باب النبي داوود وتمكن من طرد العدو من الأبراج التي كان يحتلها واسترد تلك المنطقة بكاملها. وهكذا أصبحت قوات العدو في خارج الأسوار معزولة عن مواقعها في الحي اليهودي في الداخل. ولكن العدو عاد وشن هجوماً آخر على منطقة النبي داوود أثناء الليل محاولاً اختراق الباب من جديد .

وقد استمرت هذه المعركة حتى صباح اليوم التالي حيث تمكن جنودنا المدافعون عن الباب والأبراج من صد هذا الهجوم الأخير بعد ان كبدوا العدو الكثير من الإصابات. وهكذا تمكنت السرية من الاحتفاظ بمواقعها في باب النبي داوود ودير الارمن وحاصرت الحي اليهودي من جميع الجهات واستقر وضع السرية بعد هذه المعارك المستمرة التي خاضتها في منطقة باب النبي داوود ودير الارمن والحي اليهودي خلال يومي ١٨ ، ١٩ أيار وأما قوات المناضلين من جيش الإنقاذ والجهاد المقدس وغيرهم فقد كانت منتشرة في مختلف مناطق الاسوار والأحياء الأخرى بشكل غير منتظم حيث لم تكن لها قيادة واحدة تسيطر عليها وتنسق عملياتها. وكانت كل مجموعة تتبع قائداً مسؤولاً عنها ومستقلاً عن الآخرين. ولذلك فإن موقفها العام كان ضعيفاً ويشكل خطورة على الموقف الدفاعي العام للمدينة .

وعند فجر يوم ١٩ أيار وبنفس الوقت الذي تقدمت فيه القوة المختلطة لإحتلال منطقة حي الشيخ جراح كما اسلفت. احضرنا سرية المشاة الثامنة بقيادة الرئيس عبدالرزاق عبدالله الى القدس القديمة عن طريق جبل الزيتون وتمركزت فئاتها في القلعة عند باب الخليل. ومن هناك على طول الاسوار حتى باب العمود. ووضعت قيادتها في دير الروم. كما التحق وكيل القائد عبدالله التل بالسرايا التي دخلت الى القدس. وعند وصوله وضع قيادة كتيبته في مدرسة الروضة التي تشرف على منطقة الحرم الشريف .

وفي صباح يوم ٢٠ أيار التحقت به السرية السادسة بقيادة الرئيس ضرغام الفالح فأصبح مجموع القوة بداخل الاسوار ثلاثة سرايا مشاه. وهكذا اخذت تتشكل الكتيبة السادسة تدريجياً من هذه القوات حيث تم بهذه الاثناء تشكيل سرية مساندة قوامها مبدئياً ستة مدافع مورتر ثقيل عيار (٢, ٤ بوصة) وبعض المدرعات ومدافع المورتر عيار (٣ بوصة) ورشاشين فكرز وبعد وصوله تمكن قائد الكتيبة السادسة من الاتفاق مع قادة المناضلين على ان يرتبطوا بقيادته لتنسيق عملياتهم. وهكذا ضمن وجود عدة فئات من المسلحين يمكن تنظيمهم والاستفادة منهم عملياً حيث كان يتواجد بداخل المدينة القديمة قبل وصول سرايا الجيش العربي حوالي سبعمائة مسلح ولكنهم لم يتمكنوا من تنظيم الدفاع عن المدينة بشكل فعال للأسباب الآتية :

١ - لم تكن لهم قيادة واحدة تنظم عملياتهم وتقودهم في المعركة بموجب خطة قتالية سليمة ومتوازنة .

٢ - كان معظمهم من المدنيين المسلحين ينقصهم التدريب العسكري الصحيح والانضباط المطلوب في العمليات الحربية. ولهذا كان طابع الفوضى يسود صفوفهم رغم اخلاصهم وتفانيهم في القتال دفاعاً عن وطنهم .

٣ - كانت اسلحتهم مختلفة المصادر وتزويدهم بالذخائر اللازمة لها غير منتظم لعدم وجود القيادة الواحدة وعدم توفر الأجهزة المختصة لتولي هذه المهمة الدقيقة .

٤ - وبسبب نقص التدريب لهؤلاء المقاتلين وعدم خبرتهم في فنون القتال كان استهلاكهم للذخيرة ضخماً وبنائج ضئيلة في المعركة. ولهذا فقد كان مخزونهم من الذخائر ينفذ بسرعة دون ان يقابل ذلك انتظام بالتزويد وتعويض النقص ولذلك فقد كانوا دوماً يعانون من مشكلة نقص الذخيرة .

ومن محصلة هذه الأسباب المبيته باعلاه كانت فعالية المناضلين في المعركة محدودة إذا ما قورنت باعدادهم الكبيرة. ولو أحسنت قيادتهم وترشد استخدامهم حسب الأصول العسكرية السليمة لكانت النتائج أفضل بكثير علماً بأنه كان من بينهم مجموعة من جنود الشرطة السابقين الذين خدموا مع قوة بوليس فلسطين أثناء الانتداب. وقد كانوا بمستوى جيد من الانضباط وكانت فعاليتهم في المعركة أفضل بكثير من الآخرين. ولقد كانت معظم قوات المناضلين تعمل بداخل المدينة وتتألف من المجموعات الآتية :

١ - مجموعة الجهاد المقدس : بقيادة السيد خالد الحسيني الذي تولى القيادة بعد استشهاد السيد عبدالقادر الحسيني في معركة القسطل.

٢ - مجموعة جيش الانقاذ : من المتطوعين العراقيين والسوريين بقيادة الضابط العراقي السابق فاضل رشيد عبدالله .

٣ - مجموعة جنود الشرطة : بقيادة ضابط الشرطة السابق السيد منير ابو فاضل.

٤ - سرية الحسنيين : من المناضلين الاردنيين بقيادة الاستاذ عثمان بدران وترابط في جبل الزيتون .

٥ - سرية المتطوعين الاردنيين : بقيادة الملازم بركات الطراد الخريشة والتي كانت ملحقة مع جيش الانقاذ قبل دخول الجيش العربي الى فلسطين .

وباستخدام مجموعات المناضلين المتواجدين بالداخل لتعزيز دفاعات جنوده على الأسوار تمكن قائد الكتيبة السادسة من توفير سريتين لاستخدامهما في حماية باب النبي داود والسيطرة على منطقة الحي اليهودي تمهيداً لاحتلاله .

وبهذه الاثناء استمرت الكتيبة السادسة بالضغط التدريجي على الحي اليهودي واحتلال مواقعه الواحد تلو الآخر لمدة خمسة أيام. بينما كانت القوات اليهودية تشن هجمات متتالية على منطقة باب النبي داود بمحاولة لاحتلاله والوصول الى الحي اليهودي المحاصر والذي كان المدافعون عنه يحاولون التقدم منه نحو منطقة الباب لملاقاتهم بنفس الوقت فيما لو نجحوا بالدخول. ولكن جنودنا تمكنوا من صد جميع هذه المحاولات. وقد كان أهمها ذلك الهجوم الكبير الذي شنته قوات العدو بعد ظهر يوم ٢٥ أيار حيث اقتربت مشاة العدو من الباب ومعهم لغم ضخّم ينوون تفجير لفتح ثغره ينفذون منها للدخل إلا أن هذا اللغم انفجر بحامله عندما قذفهم جنودنا بالقنابل اليدوية وقتل بالنتيجة عدد من جنود العدو وتم صد الهجوم بعد معركة استمرت طوال الليل وانتهت صباح يوم ٢٦ أيار .

وكنا بهذه الاثناء قد ارسلنا سرية المشاة الخامسة بقيادة الرئيس محمد اسحق هاكوز لتعزيز الكتيبة السادسة واشتركت بهذه المعركة فور وصولها مباشرة. وفي الليلة التالية سقطت قنبلة مورتر على قيادة هذه السرية فجرح قائدها وعدد من جنوده. وعلى إثر هذا الحادث تم تعيين الرئيس اديب قاسم النواصره لقيادة هذه السرية. وفي يوم ٢٧ أيار نقلنا هذه السرية الى قيادة اللواء الثالث لتبقى كإحتياطي اللواء ودعم جبهته .

وبنتيجة الضغط المتواصل من قبل الكتيبة السادسة تقلصت المنطقة المتبقية بيد العدو من الحي اليهودي الى حد بعيد. وعندئذ تجمعت معظم قواتهم بداخل بناية الكنيس الكبير واخذت تطلق النار من داخله على جنودنا مما اضطر قائد الكتيبة ان يوجه لهم إنذاراً عن طريق مندوب الصليب الأحمر لكي يخرج المحاربون من الكنيس للمحافظة على المبنى من الدمار. كما اذاع هذا الانذار بواسطة مكبرات الصوت ولكن الجنود اليهود رفضوا هذه الانذارات واستمروا بإطلاق النار من داخل هذا الكنيس. وعندئذ عاود جنود الكتيبة السادسة إطلاق النار بعد ان كانوا قد توقفوا لفترة الانذار لكي يعطوا جنود العدو فرصة كافية للإنسحاب من الكنيس. ولكن عنادهم هذا وتعمدهم الاستمرار بإطلاق النار من داخل الكنيس تسبب بإصابته بأضرار كبيرة بنتيجة القصف المتواصل عليه أثناء حدة القتال وتبادل إطلاق النار. وعند فجر يوم ٢٨ أيار أطبقت سرية الأمن الأولى على الحي اليهودي من الجهة الشمالية والجنوبية واصبح وضع المقاتلين اليهود ميئوساً منه. وحوالي الساعة

العاشرة صباحاً خرج وفد منهم يحمل علماً أبيض يطلب الاستسلام. وبعد المفاوضة مع قائد الكتيبة السادسة وقع قائدهم على وثيقة الاستسلام. وبحسب شروط هذه الوثيقة سمح بخروج جميع المدنيين وكانوا حوالي (٨٠٠) ثمانمائة من الرجال والنساء الى الاحياء اليهودية في القدس الجديدة بإشراف مندوب الصليب الاحمر. وكذلك تم تسليم الجرحى بنفس الطريقة، واما المقاتلين فقد تم اسرهم، وفي صباح يوم ٣٠ أيار ذهبت من قيادة الفرقة الى القدس حيث استلمت هؤلاء الاسرى من قائد الكتيبة السادسة وكان عددهم (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون أسيراً ثم نقلتهم بقافلة مسلحة الى معسكر الاعتقال الذي كنا انشأنه شرق مدينة المفرق قبل حركتنا الى فلسطين ببضعة أيام .

وهكذا انتهت المعارك بداخل القدس القديمة وأصبحت بكاملها بيد قواتنا وتركزت دفاعاتنا على طول الاسوار واغلقت جميع المنافذ المؤدية من أبوابها باتجاه العدو. ولكن المناوشات وتبادل إطلاق النار من مختلف الأسلحة بقيت مستمرة. كما استمر العدو بمحاولات الهجوم على مواقع قواتنا من مواقعه في الكنيسة الالمانية على جبل صهيون حيث كانت تتمركز إحدى فئاتنا في دير الفرنسيسكان المقابل لهم. كما كانوا يطلقون النار من دير ابو طور على مناطقنا الخلفية وعلى سرية الاسناد في منطقة رأس العمود وسلوان. ولكن خط دفاعنا اصبح متصلاً من جنوب القدس القديمة عبر الأسوار الى منطقة باب العمود ومنها الى حي المصراة ثم الى حي سعد وسعيد فالكولونيه الامريكية حتى حي الشيخ جراح. وتحولت المعركة فيها الى الدفاع الثابت مع تبادل إطلاق النار والقذائف بشكل شبه مستمر تتخلله عدة محاولات هجومية موضعية كانت تقوم بها قوات العدو في مختلف المناطق ويتم صدها .

وبهذه الأثناء انتقل ثقل المعركة الى منطقة اللطرون وباب الواد حيث كانت قواتنا تغلق المعبر الرئيسي المؤدي من تل أبيب ومنعت وصول الإمدادات الى القدس التي أصبحت شبه محاصره وأخذ السكان اليهود يعانون من نقص حاد في المؤن والماء وأصبحت قواتهم فيها تعاني من تناقص موجوداتها من الذخائر التي استهلكوا منها كميات كبيرة منذ بدء القتال وتوقف تزويدهم بسبب الحصار الذي أحكم عليها في ذلك القطاع من الجبهة .

ثالثاً : العمليات في منطقة اللطرون وباب الواد :

عندما تقدمت الكتيبة الرابعة التي كان يقودها المقدم حابس المجالي يوم ١٨ أيار ١٩٤٨ م وتمركزت سراياها بين مرتفعات قرية يالو ومركز بوليس اللطرون كما ذكرت سابقاً وقامت بتحسين مواقعها الدفاعية اخذت ترسل الدوريات لاستكشاف مواقع العدو أمامها من جهة وللإتصال بموقع مركز بوليس عرطوف الذي يقع الى الجنوب من منطقة باب الواد وتوجد بالقرب منه مستعمرة يهودية. وبما أن هذا المركز كان يعتبر موقعاً حيوياً مهماً فقد وضعنا فيه فئة مشاة لكي تكون نقطة مراقبة متقدمة وهمزة وصل بين مواقعنا في منطقة باب الواد والقوات المصرية التي كان من المفروض أن تواصل تقدمها من الجنوب لتتصل مع قواتنا. وبهذه الحالة سيتم عزل مدينة القدس نهائياً عن الساحل.

ولكن القوات المصرية كانت لا تزال بعيدة في النقب ولم تتمكن من التقدم نحونا. وهكذا بقي موقع عرطوف منعزلاً ولا يمكن الإتصال معه إلا عن طريق الدوريات التي كانت ترسل من الكتيبة الرابعة لإيصال المؤن والذخائر التي كانوا بأمر الحاجة لها. وبقيت هذه الفئة ثابتة بموقعها رغم خطورته حتى تم سحبها في وقت لاحق بعد ان أصبح بقاؤها هناك مستحيلاً. وما كادت الكتيبة الرابعة تكمل تمركزها في مواقعها وتبث دورياتها حتى بدأ العدو يستكشف هذه المواقع ليحدد أبعادها ويعرف حجم وحداتها، فقد تقدمت أول دورية مقاتلة معادية نحو مواقع السرية الثالثة في منطقة (يالو) واشتبكت معها ثم انسحبت ولم تقع إصابات بين جنودنا.

لقد كانت هذه الفترة من اصعب مراحل القتال بالنسبة لنا ان لم تكن من اخطرها. حيث كانت الدفاعات في منطقة اللطرون وباب الواد معتمدة على الكتيبة الرابعة وحدها بشكل أساسي حيث أننا بهذا الوقت اضطررنا لسحب معظم الكتيبة الثانية من مواقعها شرق باب الواد في منطقة النبي صموئيل والقبيبة لكي تشكل القوة المختلطة التي قامت بالهجوم على حي الشيخ جراح في القدس. ولم يبق في هذه المواقع سوى سرية مشاة واحدة فقط كما شرحت سابقاً.

كما أن كتائب اللواء الأول (الأولى والثالثة) كانتا لا تزالان في مواقعهما في منطقة نابلس. وبنفس الوقت كانت المعركة في الشيخ جراح التي كانت تخوضها القوة المختلطة ما زالت في بدايتها.

ولم يبق لدى الفرقة أية قوات احتياطية لمواجهة أي إختراق محتمل على طول الجبهة من القدس إلى اللطرون ومنها إلى قلقيلية ثم طولكرم ونابلس سوى الكتيبة الثالثة التي هي أصلاً موجوده في منطقة نابلس لمواجهة الاختراقات المحتملة من جهة جنين أو طولكرم. هذا

بالإضافة إلى أن موقعها هناك كان بعيداً عن ساحة المعركة في منطقة اللطرون. مما يجعل إمكانية تدخلها فيها تبدو عديمة الجدوى لأن العدو يستطيع اقتحام مواقع الكتيبة الرابعة قبل أن تتمكن الكتيبة الثالثة من الوصول للتدخل في القتال. أو على الأقل هذا هو ما يفرضه المنطق. وبنفس الوقت فإن نقلها إلى منطقة القدس سلفاً سيجعل منطقة نابلس معرضة لنفس الخطر وربما بشكل أشد خطورة نظراً لاتساع منطقتها وضعف مواقعنا الدفاعية الأمامية التي كانت تعتمد في معظمها على مواقع قنات أو على دوريات ثابتة ومقاتلة ونقاط مراقبه. وأمام هذا الواقع المريع كنا في قيادة الفرقة في موقف لا نحسد عليه حيث كانت المعركة دائمة على أشدها في القدس القديمة وليس لدى الكتيبة السادسة سوى ثلاثة سرايا مشاه لتقوم باحتلال الحي اليهودي بداخلها وبنفس الوقت لتواجه الهجمات المتكررة على مواقعها من خارج الأسوار. ولم تتوفر لدينا قوات لنستطيع تعزيزها بما يكفي لإحكام دفاعاتها على الأسوار.

كما كانت المعركة محتدمة من منطقة الشيخ جراح وحتى باب العمود من قبل القوة المختلطة وهذه لم تكن كافية لإحتلال جميع الأهداف المطلوب احتلالها بين الشيخ جراح وباب العمود. ونحن لا نستطيع في الوقت الراهن المجازفة بجلب الكتيبة الثالثة من منطقة نابلس وإقحامها في معركة الشيخ جراح في القدس وترك منطقة نابلس خالية من أي قوة احتياطية أو ترك منطقة باب الواد واللطرون بدون أمل في دعمها بأي قوة إضافية إذا تطور الموقف إلى الأسوأ وتمكن العدو من إختراق دفاعات الكتيبة الرابعة. والأخطر من هذا كله أننا كنا نعرف ان قيادة الجيش لم يبق لديها هي الأخرى أية قوات يمكن أن ترسلها لنا حتى ولو من الجنود الأغرار لتعويض الخسائر على الأقل. ولو تمكن العدو من إختراق منطقة اللطرون وباب الواد لاستطاع الوصول إلى رام الله وقيادة الفرقة ثم إلى نهر الأردن بسهولة ويسر حيث لا توجد في طريقه أية قوات تذكر.

وكما يظهر ان العدو تمكن من اكتشاف ان قواتنا في اللطرون وباب الواد لا تزيد عن كتيبة واحدة. ونظراً لحاجة قواته الماسة في القدس إلى الذخائر والمؤن فقد قرر المجازفة بإرسال قافلة ضخمة لتزويد القدس عبر الطريق الرئيسية من أمام مواقعنا في اللطرون على أمل ان يستطيع العبور تحت النيران لأنه قدر أن امكانيات مقاومة قواتنا لها ستكون قليلة الفعالية ولا تستطيع منعها من المرور. وكان العدو مستعداً أن يضحي بالخسائر المعقولة بهذه القافلة في سبيل امكانية إيصال ما تبقى منها الى المدينة كمحاولة يائسة.

وتقدمت هذه القافلة ليلة ٢٠/٢١ أيار معتمدة على ستر الظلام حيث يمكن أن يوفر لها نوعاً من الحماية. ولكن على عكس توقعات العدو فقد تم اكتشاف هذه القافلة بوقت مبكر

فبادرت قواتنا بقصفها بمدفعية الميدان ودمرت عدداً من ألياتها وعاد الباقون من حيث أتوا. وبعد فشل هذه التجربة ادرك العدو أنه لم يبق أمامه سوى محاولة إزالة مواقعنا الدفاعية بهجوم مركز واحتلالها ليتمكن من فتح الطريق إلى القدس. وعلى هذا الأساس فقد قام العدو بعملية تعرض ليلة ٢١/٢٢ أيار بدفع قوة منفصلة لتحاول احتلال مركز بوليس اللطرون كمرحلة أولى ظناً منه أن القوة المدافعة عنه صغيرة ويمكن التغلب عليها بسهولة. وقد استطاعت قوة العدو هذه الوصول إلى الأسلاك الشائكة والخنادق الأمامية لهذا الموقع واستمرت المعركة طوال الليل ولكن جنودنا تمكنوا في النهاية من صد هذا الهجوم وارغام العدو على التقهقر صباح اليوم التالي مخلفاً وراءه عدداً من القتلى. وبعد ذلك كان لابد لنا من مواصلة ارسال الدوريات من الكتيبة الرابعة الى المناطق المقابلة لمواقعنا من الجنوب لإكتشاف مواقع العدو ومعرفة أبعادها لكي نكون صورة أوضح عن تحركاته حيث أصبح واضحاً لدينا أنه سوف يشن هجوماً على مواقعنا على نطاق واسع ليتمكن من فتح طريق القدس.

وفي مساء يوم ٢٢ أيار تم ارسال دورية مقاتلة الى عرطوف. ورغم انها اصطدمت مع إحدى دوريات العدو قرب قرية دير محيسن فقد تمكنت من الوصول إلى عرطوف وعادت بمعلومات جيدة ومفيدة عن مواقع العدو.

وفي الليلة التالية ٢٣ أيار ارسلت دورية مقاتلة أخرى تمكنت من إيصال الذخائر الى مركز عرطوف وعادت بسلام وإبلغتنا عن تحركات العدو إلى جهة الغرب.

وفي ليلة ٢٤ أيار تم ارسال دورية مقاتلة ثالثة وإعطي لها واجب نصف جسر على طريق القدس ثم الاتصال بمركز عرطوف وجلب معلومات جديدة عن تحركات العدو. ولكن هذه الدورية تأخرت في تنفيذ مهمتها لأسباب إدارية مما اضطرها للعودة اثناء النهار يوم ٢٥ أيار عندما كان هجوم العدو قد بدأ. وكان لتأخيرها هذا تأثير مفاجيء على جناحه الأيمن أثناء الهجوم كما سيرد شرحه فيما بعد.

وخلال هذه الفترة كان العدو يحشد قواته للهجوم على مواقع اللطرون وقد كان يعرف أن قواتنا المدافعة عنها لا تزيد عن كتيبه واحد ولكن التطورات التي حدثت خلال هذه الأيام الحاسمة مكنتنا من تنفيذ القرارات التي أشرت إليها سابقاً لإعادة توزيع قواتنا لتقوية الدفاعات في منطقة جبال القدس الغربية الممتدة من النبي صموئيل حتى اللطرون. ففي يوم ٢١ أيار بدأت القوات العراقية انسحابها من منطقة الجامع بهدف استلام منطقة نابلس من الجيش العربي. وعلى هذا الأساس اتخذ القرار من قبل قيادة الجيش وقيادة الفرقة بسحب

الكتيبة الثالثة من نابلس يوم ٢١ أيار للهجوم على منطقة باب العمود في القدس في فجر يوم ٢٢ أيار.

وعندما نفذت الكتيبة الثالثة هجومها هذا تمكنا من سحب سرايا الكتيبة الثانية التي نفذت الهجوم الأول في الشيخ جراح كجزء من القوة المختلطة واعادتها إلى مواقعها السابقة في منطقة النبي صموئيل يوم ٢٢ أيار. وحيث ان طلائع القوات العراقية كانت قد وصلت الى منطقة نابلس بهذا اليوم فقد صدرت التعليمات الى قائد اللواء الأول بأن تنتقل قيادته بعد تسليم مواقعها للعراقيين يوم ٢٣ أيار إلى موقعها الجديد في طرف بلدة شعفاط شمالي القدس، وان تستلم الكتيبة الأولى مواقع الكتيبة الثانية في قرى بدو والنبي صموئيل وبيت سوريك. وبنفس الوقت تتحرك الكتيبة الثانية إلى مواقعها الجديدة التي خصصناها لها في منطقة باب الواد على أن تستلم إحدى سراياها موقع قرية يالو من سرية الكتيبة الرابعة التي ستتضمن لمواقع كتيبتها في اللطرون. وهكذا أصبح لدينا كتيبتين في هذا القطاع من الجبهة بدل كتيبة واحدة.

ولحسن الحظ أنه أمكن اتمام هذه التحركات وتركيز جميع الوحدات في مواقعها الدفاعية قبل بدء الهجوم على منطقة اللطرون. وأصبحت دفاعات الكتيبة الرابعة أكثر تماسكاً بنتيجة تقصير طول جبهتها والتحاق سريتها التي كانت تتولى الدفاع عن مرتفعات (يالو) البعيدة عنها نسبياً.

الهجوم الأول على اللطرون وباب الواد - ٢٥ أيار عام ١٩٤٨ م

لقد حشد العدو لهذا الهجوم مجموعة اللواء السابع المؤلفة من أربعة كتائب مشاة ومجموعة مدرعه تسندها مدفعية ١٧ رطل ومدافع المورتر. وكانت منطقة تحشد هذه القوة في قرיתי خلده ودير محيسن الواقعة الى الغرب من اللطرون. وكان العدو يهدف إلى اجتياح مواقع الكتيبة الرابعة في منطقة اللطرون معتمداً على كثافة النيران والتفوق العددي المتوفر لدى القوة التي حشدتها أمامها. ومن ثم فتح طريق القدس وإحداث خرق بهذه المنطقة الدفاعية ليفتح طريق تقدمه باتجاه رام الله. (انظر الخارطة رقم ٤).

وحوالي الساعة الواحدة صباح يوم ٢٥ أيار بدأ العدو بالتمهيد للهجوم بقصف شديد على منطقة مركز البوليس والدير الفرنسي وقرية عمواس من مدافع ١٧ رطل ومدافع المورتر لمدة ساعة. وحوالي الثانية والنصف صباحاً تقدمت قوة تقدر بحوالي فئتين واشتبكت مع مواقع السرية الموجودة في مركز البوليس والأحراش المحيطة بالدير. وبعد فترة انسحبت هذه القوة

الخطوط الامامية

الهجوم الاسرائيلي الاول

الهجوم الاسرائيلي الثاني

انتكمار الهجوم

الانسحاب الاسرائيلي

نابلس

القياب

معليت

بيت توبا

يالو

عمواس

مركز البليس

النهر

الطارون

دير اويوب

دير محيسن

ميريون

ابو شوشه

مستعمرة هيلنا

خلبا

بيت جيز

سوساين

بيت محميد

عسلين

عسوه

مربعه

دير رافات

عرصوف

- 12. -

وعندما اقتربت من مواقعنا بمسافات قريبة قابلها جنودنا بنيران المورتر والرشاشات وباقي الأسلحة التي لديهم فأوقعوا بها إصابات ضخمة. والغريب ان قائد القوة الإسرائيلية عندما رأى ان كتائبه اصبحت منتشرة في أرض مكشوفة وتحصدها النيران الفتاكة من مختلف أنواع الأسلحة لم يحاول القيام بالانسحاب المنظم عندما كان يمكنه ذلك إلى منطقة أكثر أمناً لإعادة التنظيم وتوفير قواته لمعاودة الهجوم بها من جديد بوقت لاحق. بل استمر بالتقدم عبر الارض المكشوفة وجنوده يقتلون بالمئات حتى تم سحق هجومه نهائياً وهزم هزيمة منكرة بعد قتال دام حوالي خمسة عشر ساعة. تاركاً في ساحة المعركة جثث المئات من القتلى ما عدا الجرحى الذين تم اخلاؤهم اثناء انسحابه. وقد قدرت خسائر العدو بهذه المعركة بحوالي ستمائة قتيل. كما غنمت الكتيبة الرابعة كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر.

ومما لاشك فيه أن صمود الكتيبة الرابعة في وجه هذا الهجوم الضخم كان يشبه المعجزه. ويرجع الفضل في ذلك إلى الشجاعة النادرة التي أبداها جنود هذه الكتيبة وضباطها ومختلف مراتبها وتضحياتهم الهائلة في وجه هذا الخطر الماحق. الأمر الذي مكنهم من قطف ثمار تضحياتهم بهذا النصر المؤزر الذي حققوه رغم تفوق العدو عليهم بما يعادل أربعة إلى واحد.

ورغم إنني لا أحبذ أن أشيد بأحد الضباط دون الآخرين حيث أنهم جميعاً اظهروا منتهى الشجاعة والصمود والاستعداد للتضحية. فإن هناك بعض المبادئ المهمة التي برز تطبيقها بشكل ملحوظ أثناء سير المعركة ولا بد من الإشارة إليها نظراً لما كان لها من تأثير مباشر على نتيجة هذه المعركة وأوجزها بما يلي :

أولاً : - لقد ظهر حسن التصرف في تساند وتعاون الأسلحة المختلفة مثل المدفعية واسلحة الإسناد الأخرى في معاونة المشاة. وبهذا المجال فقد اظهر ضباط ملاحظة المدفعية مقدرة فائقة في تعيين الأهداف وإحكام اصابتها حيث كانوا يقتربون من مواقع العدو تحت كثافة النيران بكل شجاعه ويحددوا أهدافهم بدقة تامه وكان لإجراءاتهم هذه أثرها الفعال في إيقاع الإصابات الضخمة بجنود العدو ومعداته. واستحقوا الثناء.

ثانياً : - الابداع الذاتي والمسؤولية الفردية : ولقد ظهر هذا المبدأ بوضوح عند الضباط الذين كانوا يقودون الدوريات المقاتلة وتواجههم ظروف مفاجئة فيتصرفون فوراً وبدون تردد أو حتى مجرد التفكير بالانتظار لتلقي الأوامر من قياداتهم.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما قام به قائد إحدى الدوريات المقاتلة الذي أرسل مع دوريته

في اليوم السابق للهجوم بهدف نسف جسر على الطريق الرئيسية المؤدية الى باب الواد والاتصال بمركز عرطوف.

ولكن قائد هذه الدورية فصل مجموعة من الجنود وارسلهم إلى عرطوف ونسي كما يظهر أن يتأكد من أن صواعق المتفجرات بقيت عنده حيث اخذها أحد الجنود الذين ذهبوا الى عرطوف معه. فاضطر قائد الدورية لإرسال مجموعة أخرى لتلحق بالأولى وإعادة الصواعق. وكانت هذه الحركة سبباً في تأخير تنفيذ عملية النسف بضعة ساعات واضطر بالنتيجة إلى العودة اثناء النهار عندما كان هجوم العدو على مواقع اللطرون وباب الواد على أشده. وفي طريق عودته شاهد أمامه كتيبة اسرائيلية كانت في طريقها لإحتلال قريتي بيت جيز وسوسين ثم التقدم الى قرية دير ايوب بهدف تطويق مواقع الكتيبة الرابعة من جهة الشرق. فوجد قائد الدورية أنه يواجه قوة ضخمة تتفوق على دوريته تفوقاً هائلاً. ولكنه رغم ذلك اتخذ قراره بسرعة لمصادمة قوة العدو فوراً فأقترب من مواقعها وبادرها بإطلاق النار. وقد فوجئ العدو بهذا حيث لم يكن يتوقع رجود قوات للجيش العربي في تلك المنطقة.

وبهذه الأثناء سمع قائد مفرزة عرطوف صوت إطلاق النار فعرف أن الدورية اشتبكت مع العدو فقرر هو الآخر بدون تردد أن يخف لنجدتها على مسؤوليته. واخذ مجموعة من جنوده وتقدم فوراً واشتبك مع العدو من جهته كذلك. وعندئذ ظن العدو أن هناك قوات كبيرة من الجيش العربي تشن هجوماً معاكساً عليه من جهتين وتحاول تطويقه فبادر فوراً بالانسحاب بشكل غير منتظم. وقد تكبد العدو بهذه الحركة المفاجئة الكثير من الإصابات بينما خسرت دوريتنا ثلاثة شهداء. ولقد لعبت الصدفة دوراً حاسماً بهذه العملية. ومما لا شك فيه أن إشتباك هذه الدورية مع قوة العدو المتقدمة على جناحه الأيمن وفي ذلك الوقت بالذات كان له دور مهم في سير المعركة الرئيسية حيث أنه لو نجحت تلك الكتيبة المعادية بالوصول إلى هدفها لأصبح موقف دفاعات الكتيبة الرابعة حرجاً للغاية في خضم المعركة التي كانت دائرة في اللطرون. ولكن هذه العملية المحدودة التي نفذها قائد الدورية بمبادرته الذاتية حالت دون ذلك.

معركة الرادار ٢٦ أيار عام ١٩٤٨م

تلة الرادار هذه هي تلة مرتفعه تقع إلى الشمال من الطريق المؤدية من باب الواد الى قرية ابو غوش ثم إلى قرية (بدو) وإلى مدينة رام الله. وهي تسيطر على هذه الطريق وعلى الطرق الأخرى المؤدية من قرية بدو إلى مرتفع النبي صموئيل وعلى الطريق الرئيسية المؤدية من

اللطرون إلى قرية بيت عور ثم إلى رام الله. هذا بالإضافة إلى إنها تشرف على مواقع الكتيبة الأولى في قرية القبييه ومرتفع النبي صموئيل وقرية بدو كذلك، وكان الجيش البريطاني قد أقام على هذه التلة مركزاً للرادار وقام بتحسينها بالخنادق والدشم الدفاعيه والأسلاك الشائكة والألغام إبان عهد الإنتداب. وتقع إلى الغرب من تلة الرادار هذه وعلى تلة أخرى أقل ارتفاعاً على بعد حوالي اربعة كيلو مترات مستعمرة يهودية إسمها (مستعمرة الخمسه).

كان اليهود يحتلون موقع تلة الرادار بقوة تقدر بحوالي سرية مشاه مسنده. كما كان لهم قوة أخرى في مستعمرة الخمسه.

وقد دأب هؤلاء اليهود على إطلاق النار من تلة الرادار على مواقع الكتيبة الأولى منذ وصولها وأوقعوا العديد من الإصابات بين جنودها. وكان من المقرر احتلال هذه المواقع منذ البداية ولكننا اضطررنا لتأجيل هذه العملية التي كانت ستنفذها الكتيبة الثانية نظراً لقيامنا بسحب بعض سراياها لتشكيل القوة المختلطة لاحتلال الشيخ جراح كما أسلفت.

أما الآن وقد توفرت القوة الكافية بوجود الكتيبة الأولى في المنطقة فقد صدر الأمر من قيادة الفرقة إلى قائد اللواء الأول لتنفيذ هذه العملية من قبل الكتيبة الأولى لاحتلال تلة الرادار ومستعمرة الخمسه سوية. وقد قام قائد اللواء والضباط المعنيين بهذه العملية بالكشف على هذه المواقع يوم ٢٥ أيار لوضع خطة الهجوم الذي تقرر أن يتم بموجبها إحتلال تلة الرادار بالمرحلة الأولى ثم احتلال مستعمرة الخمسه بعدها.

وتقرر ان تقوم بتنفيذ المرحلة الأولى من الهجوم واحتلال موقع الرادار سرية المشاه الرابعة من الكتيبة الأولى بقيادة الملازم سلامه عتيق وتساندها بطارية مدفعية الميدان وستة مدافع مورتر ٣ إنش وستة رشاشات متوسطة (فكرز) من سرية الاسناد.

بدأ الهجوم بالساعة الثالثة والنصف من صباح يوم ٢٦ أيار بقصف كثيف ومركز على مواقع العدو من المدفعية وباقي الأسلحة المسانده. وبعد فترة وجيزه قام جنود السرية باقتحام الموقع بعد فتح عدة فجوات بالأسلاك الشائكة. وبهجوم صاعق تمكنوا من احتلاله بسرعة بعد أن كبدوا العدو عدداً لا يستهان به من القتلى والجرحى. وقد هرب من بقي من جنود العدو عبر الوادي المؤدي الى قرية القسطل وهم يحملون جرحاهم. وقد خسرت السرية الرابعه خمسة شهداء وخمسة عشر جريحاً كان من بينهم قائد السرية الذي جرح في بداية الاقتحام بشظية من مصيدة (مغفلين) كانت مربوطة بمسدس معلق على الأسلاك الشائكة. وقد رفض اخلاءه الى الإسعاف قبل انتهاء المعركة وكان له ما أراد.

بعد إكمال احتلال موقع الرادار نقلت المدفعية نيرانها إلى مستعمرة الخمسة تهيئة لتنفيذ المرحلة الثانية من الهجوم حسب الخطة الموضوعه للعملية وشبت فيها الحرائق. وعندئذ تقدمت القوة المخصصة لتنفيذ هذه المرحلة وهي سرية المدرعات تتبعها سريتي المشاة الأولى والثانية وبدأت المدرعات بإطلاق نيران مدافعها ورشاشاتها على مختلف الأهداف في المستعمرة أثناء تقدمها. وقد بدأ سكان المستعمرة المدنيين يهربون منها نحو الوادي القريب منها إلى الجهة الجنوبية. وبهذه الأثناء أصيبت إحدى مدرعاتنا بصاروخ كما قتل سائق مدرعة ثانية. وعندئذ تدخل قائد اللواء الزعيم (جولدي) وأمر بإيقاف الهجوم وعودة السرايا إلى خلف موقع الرادار بعدما كان احتلال مستعمرة الخمسة قد أصبح وشيكاً. وكانت حجة بهذا الإجراء إنه يريد تجنب وقوع المزيد من الإصابات. وأنه سيكون بإمكانه أن يعيد الكرر لإحتلال هذه المستعمرة بعد وضع الاستعدادات اللازمة بالمستقبل القريب.

ولكنهم مع ذلك لم يعاودوا محاولة احتلال مستعمرة الخمسة هذه وبقيت بيد اليهود. ومنها اخذوا يشنون الهجمات الليلية على موقع الرادار لمحاولة استرداده. ولكن جنودنا كانوا يصدونهم باستمرار ويكبدونهم خسائر فادحة. لكن اليهود بالنتيجة احتفظوا بموقع مستعمرة الخمسة المهم نهائياً.

والغريب بهذه القضية انه لم تجري مساءلة لقائد اللواء على هذا التقصير رغم أن كل ما ابداه من أسباب لرجوعه عن هذه المستعمرة هي أنه كان يريد توفير الخسائر والإصابات. مع أن كل خسائرننا حتى تلك اللحظة التي أوقف فيها الهجوم كانت شهيداً واحداً واعطاب مدرعه واحده. وبالمقابل فإن التل الذي تقع عليه تلك المستعمرة كان في غاية الأهمية ولو استمرت القوة المهاجمة في تقدمها لتمكنت من احتلاله خلال مدة ساعه واحدة على الأكثر. ولن تزيد خسائرننا بهذا الهجوم عن خسائرننا بالهجوم الذي سبقه على موقع الرادار كثيراً. ولكن ما هي أهمية الإصابات في المعركة في سبيل احتلال هدف حيوي كهذا. السنا نتوقع التعرض للإصابات عندما نخوض كل معركة وبنسب متفاوتة ومع اعتبار أهمية هذا الهدف كان يجب أن نحمله في ذلك الهجوم حتى لو خسرنا ثلث القوه المهاجمة رغم ان هذه النسبه من الخسائر لم تكن محتمله ولا متوقعة على أي حال.

وعلى الرغم مما أبداه قائد اللواء من تفسيرات واعذار عن سبب عدوله عن إحتلال مستعمرة الخمسة فإن السبب الحقيقي بقي طي الكتمان بدليل أن قائد الفرقة وافق على إجراءاته رأساً بلا نقاش بدلاً من ان يحاسبه رسمياً. أو على الأقل أن تجري مساءلته ولو شكلياً. وفي معرض تفسير هذا الموقف فإنني لا أجد سبباً واحداً معقولاً سوى أن الإنجليز لن

يسمحوا بإحتلال أي مستعمرة يهودية ضمن نطاق ما كانوا يعتبرونه من صميم المناطق المخصصة لليهود بموجب قرار التقسيم أو في موقع حيوي يهددها.

الهجوم الثاني على اللطرون وباب الواد : ٣٠ أيار ١٩٤٨ م

بعد فشل العدو بهجومه الأول على منطقة اللطرون كنا نتوقع انه سوف يعيد الكرّه بهجوم أكبر على تلك المنطقة لمحاولة احتلالها وفتح طريق القدس. نظراً لما كانت تعانيه قواته فيها من نقص في الذخائر وما كان يعانيه السكان من ضيق بسبب النقص الخائق في المواد الترموينية وشح في المياه. ولابد له أمام هذا الواقع من التوصل إلى حل جذري لهذه المشكلة الملحة بفتح الطريق الرئيسي أمام قوافل التزويد. وقد اتضح مدى الضيق الذي كان اليهود يعانون منه في القدس عندما اكتشفت دوريات الكتيبة الرابعة انهم ينقلون الذخائر والمؤن على ظهور البغال وأكتاف الجنود ليلاً عبر التلال الواقعة جنوب باب الواد لإيصالها إلى القدس.

أما موقفنا العام في جبهة الفرقة فلم يكن سهلاً. فمن جهة كانت الاشتباكات مستمرة في القدس رغم ان خطنا الدفاعي كان مستقراً. ولكن المعارك الموضعية لم تتوقف حيث استمرت القوات اليهودية بشن الهجمات على مواقعنا في القدس القديمة والجديدة. وكذلك ضد موقع الرادار. ومن جهة أخرى فقد خسرت جميع الكتائب اعداداً لا يستهان بها من القتلى والجرحى تتراوح بين ١٥ بالمئة إلى ٢٠ بالمئة من مرتبها خلال المعارك السابقة ولم نتمكن من تعويضها. كما لم يكن لدينا أية قوات إحتياطية نستطيع سد الثغرات بها أو مواجهة الإختراقات في الجبهة في حال حدوثها. والأخطر من هذا ان مخزوننا من الذخائر ولاسيما ذخائر المدفعية والمورتر قد تناقص بشكل كبير ولم تصلنا أية كميات لتعويضها.

وبهذه المرحلة الحرجة التي كنا نتوقع فيها أن يشن العدو هجوماً ضخماً على مواقعنا في اللطرون وباب الواد حدثت تطورات خطيرة للغاية. فبتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨ م وافق مجلس الأمن الدولي على قرار تقدمت به بريطانيا بدعوة العرب واليهود للموافقة على عقد هدنة في فلسطين لمدة أربعة أسابيع ودعوة جميع دول العالم للإمتناع عن تزويد أي من الأطراف المشتركة في القتال بالأسلحة والمعدات الحربية.

وبنفس اليوم وبدلاً من أن تلتزم بريطانيا بشروط المعاهدة وتزودنا بحاجتنا من الذخائر ولو على الأقل بدل الكميات التي استهلكناها في القتال اتخذت قراراً بسحب جميع الضباط الانجليز المعارين للجيش العربي من منطقة العمليات الحربية على أن لا يتأخر تنفيذ هذا القرار عن يوم ٣٠ أيار.

(أي أنها اعطينا مهلة ٢٤ ساعة فقط لكي نتدبر أمر تبديل جميع قادة الوحدات في الجيش أثناء القتال). رغم أن بريطانيا هي التي فرضت علينا استعارة هؤلاء الضباط وحالت دون تدريب اعداد كافية من الضباط العرب وتأهيلهم لقيادة وحدات الجيش طيلة ربع قرن مضى منذ ان استعمرت شرق الأردن بإسم الانتداب. كما أنها امتنعت عن تزويدنا بكافة أنواع الأسلحة والذخائر وأوقفت صرف المعونة الماليه للجيش وابلغت هذا القرار رسمياً الى الحكومة الأردنية.

ولقد كان هذا القرار طعنة قاسية وجهتها لنا هذه الدولة الحليفة خلال أخطر مرحلة من مراحل الحرب التي كنا نخوضها فقط للدفاع عن ما تبقى للعرب من فلسطين بموجب قرار التقسيم. وبالمقابل فقد كنا نعرف أن ضابطاً أميركياً برتبة (بريجادير جنرال) اسمه ماركوس كان في الجيش الإسرائيلي ويعمل في ذلك الوقت بالذات قائداً عاماً للقوات التي تم حشدتها في منطقة (خلده) والمكونه من ثلاثة ألوية للهجوم على مواقعنا في اللطرون وباب الواد. ولم تقم أمريكا بسحبه من ساحة العمليات كما فعلت بريطانيا بضباطها. ولا بد أنه كان يوجد غيره الكثيرين من الضباط والفنيين الامريكيين الآخرين يقاثلون في صفوف الهاغاناه. وقد ثبت لنا من المعلومات الاستخباريه ان الحكومة الإسرائيلية اتخذت قراراً بهذه الفترة يقضي بإعادة تنظيم قواتها المسلحة ووضعها بإمرة قيادة عليا واحده وسرحت عناصر الفئات المنفرده التي كان لها قيادات مستقلة عن الجيش كما نظمت قطعاتها بشكل ألوية وقسمت مناطق القتال الى جبهات وعينت لكل جبهة قائداً مسؤولاً عن جميع الألوية المقاتلة في تلك الجبهة.

وفي الوقت الذي سحبت بريطانيا ضباطها من الجبهة ومنعت عنا الذخير وأوقفت صرف الميزانية الماليه للجيش كان الباب مفتوحاً أمام اليهود لجلب الأسلحة من مختلف انحاء العالم ولاسيما من دول الكتلة الشرقية حيث تعاقدوا على صفقة ضخمة من الدبابات والطائرات والمدافع ومختلف الأسلحة الأخرى التي اخذت تصلهم تباعاً وليس بمقدورنا نحن أو الدول العربية الأخرى ان نمنع وصولها.

وبهذه الفترة الحرجه شن العدو هجومه الثاني على مواقعنا في اللطرون وباب الواد مساء يوم ٣٠ أيار على النحو التالي :

بدأ العدو تمهيداً للهجوم بقصف مدفعي مكثف على مواقع الكتيبتين الثانيه والرابعه دام حوالي ساعتين وقبيل منتصف الليل تقدمت قواته المكونه من رتلين احدهما تتقدمه كتيبه مصفحة تتبعها قوة من المشاه باتجاه مركز بوليس اللطرون وتهدف إلى اقتحام هذا المركز

ثم تتقدم بعد ذلك لتدمير مدافعنا المتمركزة خلفه وإحداث إختراق من ميمنة دفاعاتنا باتجاه رام الله.

كما تقدم الرتل الثاني المكون من كتيبة (بالمخ) تتبعها كتيبة مشاه أخرى باتجاه منطقة باب الواد بهدف احتلال مرتفعات (يالو) والالتفاف خلف دفاعات كتائبنا من جهة اليسار. وفي حالة نجاح هذا الهجوم فإن العدو كان يتوقع ان الكتيبتين الرابعة والثانية سوف تضطران إلى الانسحاب من مواقعهما الحالية الى الخلف تجنباً للوقوع بداخل الطوق والتعرض للتدمير.

كانت القوة المدافعه عن مركز بوليس اللطرون مكونه من فئة مشاه تسندها حظيرة رشاش متوسط (رشاشين فكرز) متمركزين على الأبراج. وتحيط بالمركز الأسلاك الشائكة والخنادق. وبشكل عام كانت تحصينات هذا الموقع جيدة. ولكن قوة العدو كانت تتكون من حوالي ثلاثين آلية مختلفة منها السيارات المصفحة التي تحمل مدافع المورتر وناقلات الجنود المجنزرة والمدرمعات. وقد تمكن هذا الرتل من الوصول الى مركز البوليس بسهولة واجتازت بعض مصفحاته الأسلاك الشائكة ووصلت إلى مدخل المركز الذي كان بابه مسدوداً فقط حيث نسي الجنود اغلاقه بالملزاج والقفل ولحسن الحظ أن جنود العدو افترضوا انه كان مقفلاً ولذلك بدأوا يستعملون الاوكسجين لفتحه حيث كان الباب مصنوعاً من الحديد المصفح. وأثناء هذه العملية كان جنودنا المتمركزين على الأبراج يمتطرون العدو بنيران الرشاشات والقنابل اليدويه وصواريخ (البيات) وكل ما لديهم من الاسلحة الفردية وقد شب حريق في غرفة خشبيه قريية من الباب الخارجي بنتيجة القاء القنابل الفسفورية التي كانت تقذف من فوق الأبراج. وقد ساعدت هذه النيران على وضوح الرؤية وكشف مصفحات العدو بحيث تمكن جنودنا من تحقيق الإصابات الدقيقة بجنود العدو وآلياته والحقوا بهم خسائر لا يستهان بها. وقد احترقت المدرعة التي كانت متوقفة خارج الباب. ولكن رغم هذا فقد كان الموقف في غاية الخطوره لأن قوات العدو كانت تحاصر المركز من جميع الجهات وهي بنفس الوقت تتفوق على القوة المدافعه عنه بعدة اضعاف وأمام هذا الموقف الخطر فقد اتخذ قائد الفئه الملازم عبد المجيد عبد النبي المعايطة قراره الحاسم لمعالجة هذه الحالة التي وجد نفسه فيها بأن طلب من قائد الكتيبة ان تطلق المدفعية نار تخليص الأرواح (SOS) على موقعه وقد كان هذا الطلب ينطوي على شجاعة نادرة وبطولة انتحارية لأنه كان يعرف ان القذائف ستسقط على منطقة المخفر بكاملها وقد لا ينجو هو وجنوده منها وان هذا النوع من القصف لا يطلب عادة إلا بآخر لحظة عندما يكون العدو قد احتل الموقع. ولكن هذا الضابط الشجاع كان على حق بهذا الطلب لأن مقاومته بما كان

متوفراً لديه من أسلحة لم تكن كافية لصد هجوم العدو الذي كان يحاصره بالدبابات والمصفحات. وعلى الرغم من الإصابات التي أوقعها بهم فإن طالت مدة المعركة سوف يتمكن العدو بالنهاية من اقتحام المركز وتصفية الجنود المدافعين عنه. ولذلك فقد وجد عبد المجيد أن أمله الوحيد بالنجاة يتمثل بطلب نار تخليص الأرواح رغم خطورتها عليه وعلى جنوده. وإن هي الا فترة وجيزه حتى انطلقت قنابل المدفعية والمورتر بتجميع رهيب على منطقة مركز البوليس. وقد كان قصفاً فتاكاً حيث دمر عدداً من مصفحات العدو على الفور وبادر الباقون إلى الانسحاب بسرعة حوالي الساعة الثالثة صباحاً. وقد تكبد العدو بهذا الهجوم خسائر فادحة بالأرواح والمعدات. ولكن مع الأسف فقد استشهد الملازم عبد المجيد المعاينة بآخر مراحل هذه المعركة فجر يوم ٣١ أيار.

كما استشهد عدد من جنوده رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته.

وأثناء هذه العملية كانت معركة أخرى ثانوية تجري عند قرية عمواس. حيث فصل العدو سرية مشاه وثلاثة مصفحات لتقوم بمحاولة احتلال قرية عمواس ودير اللطرون من الخلف ثم تلتقي مع القوة الرئيسية بعد احتلال مركز البوليس. ولكن هذه القوة الخاصة جوبهت بمقاومة عنيفة في كلا الموقعين أجبرتها على الانسحاب بعد أن تكبدت خسائر بالأرواح. وعندئذ انتهى الهجوم على مركز اللطرون.

أما في منطقة الكتيبة الثانية فقد تقدمت كتيبة العدو المهاجمة عن طريق (دير ايوب) إلى منطقة (يالو) من جهة الشرق وتمكنت من الوصول إلى أمام مواقع السرية الثالثة حوالي الساعة الواحدة صباحاً ووصلت إلى مسافة خمسين متراً عن الخنادق الأمامية ولم تكتشف إلا بعد أن بدأت بإطلاق النار فرد جنودنا على نيران العدو بسرعة وفعالية ودام الاشتباك عدة ساعات حتى طلوع النهار وعندئذ عمدت قوة العدو إلى الانسحاب بسرعة بعد أن تكبدت خسائر فادحة بالأرواح.

وهكذا فشل هجوم العدو الثاني على منطقة اللطرون وباب الواد. وكانت حصيلة خسائره التي بقيت في ساحة المعركة كما يلي :

- ١ - في منطقة الكتيبة الرابعة :
حوالي ٢٠٠ قتيل ما عدا الذين تمكن العدو من إخلاصهم. كما غنمت الكتيبة كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر.
- ٢ - في منطقة الكتيبة الثانية :
حوالي مائة قتيل ما عدا الذين تمكن العدو من إخلاصهم. كما غنمت الكتيبة عدداً من البنادق والرشاشات.

طريق بورما :

بعد فشل الهجوم الثاني الذي شنه العدو على منطقة اللطرون وباب الواد بهدف فتح طريق القدس - تل أبيب اتضح له أنه لابد من إيجاد حل بديل وبسرعة لأزمة القدس لتأمين تزويدها على نطاق واسع بما يكفي لسد حاجاتها الحيوية من المؤن والذخائر حيث لا يمكنهم الاعتماد على نقل المؤن على البغال وأكتاف الجنود لمدة أطول. لاسيما وان وضع المدينة أصبح جرجاً واخذت معنويات السكان تتدهور واصبح عامل الزمن حاسماً بالنسبة لهم. ولهذا فقد قرر العدو فتح طريق بديله عن الطريق الرئيسي التي تمر من وراء التلال المقابلة لباب الواد من جهة الجنوب تبدأ من قرية (دير محيسن) الى (بيت جيز) ومنها الى (بيت سوسين) حيث تلتقي مع طريق القدس الرئيسية .

وقد كانت المسافة التي سوف يشقوها حوالي ستة أميال. وللمحافظة على سرية هذه العملية قاموا بإحتلال قريتي (بيت جيز) و(بيت سوسين) وطردها جميع سكانهما وقد حشدوا لهذه العملية مجموعات كبيرة من الآليات والعمال في طرقي الطريق بحيث بدأت المجموعه الأولى من بيت جيز في الغرب والمجموعه الثانية بدأت من القدس في الشرق وتمكنوا من فتح هذه الطريق خلال بضعة أيام حيث عبرتها أول قافلة بتاريخ ٦ حزيران. ورغم ان الطريق كانت مخفيه عن مراقباتنا الامامية إلا أن دورياتنا تمكنت من إكتشافها ولم يكن في الواقع بإمكاننا منع العمل بهذا الطريق إلا بإحتلال التلال المشرفة عليها والواقعة جنوب باب الواد. وهذا كان مستحيلاً بالنسبة لنا لعدم توفر أية قوات إحتياطية كافية لمثل هذه العملية والتي كانت تحتاج إلى لواء كامل لتنفيذها. وهذا لا يمكن توفيره. ولكن كان من الممكن أن نقوم بعرقلة العمل باستعمال القصف المدفعي ولكن هذا إجراء غير مجدي لاسيما وان مخزوننا من قذائف المدفعيه كان محدوداً ولا يمكن أن نضحي باستهلاكه لعرقلة العمل بالطريق لنجد بعد ذلك أننا لا نستطيع توفير الاسناد الكافي لجنودنا عندما يتعرضون للهجوم وخصوصاً ونحن نعرف أن عرقلة العمل لا تعني سوى تأخير انجاز فتح الطريق أسبوعاً آخر أو أسبوعين ولكنها بالتالي سوف تفتح. وإذن فمن الأفضل لنا أن نوفر جهد المدفعيه وقذائفها لاسناد جنودنا في القتال، وهكذا كان القرار .

يلاحظ أن اليهود استعملوا اسم (طريق بورما) لهذا المشروع وقد كان هذا الاسم مأخوذاً من واقعه مشهوره في الحرب العالمية الثانية عندما انقطع التزويد عن الجيش الرابع عشر البريطاني بقيادة الجنرال سليم (SLIM) الذي كان يقاتل في (بورما) واضطرت القيادة البريطانية ان تقوم بتزويده بالطائرات ريثما تمكنوا من شق طريق بريه طويلة اطلقوا عليها اسم (طريق بورما) لتزويد هذا الجيش من القواعد الرئيسية في الهند.

سحب الضباط الانجليز من منطقة العمليات :

بعد قرار بريطانيا سحب ضباطها من منطقة العمليات اصبحنا مضطرين لتكليف اوضاعنا بشكل يمكننا من مواصلة القتال بكفاءة ونجاح دون إحداث فراغات خطيرة في القيادات التي سوف يتركها الضباط الانجليز قبل ان نستطيع ايجاد البديل.

وقد كان هذا القرار يشمل قائد اللواء الأول وقادة الكتائب الأولى والثانية والثالثة وقائد المدفعية والركن الأول للعمليات والركن الثالث للإدارة في قيادة الفرقة. ولما كانت الحكومة البريطانية قد حددت يوم ٣٠ أيار كآخر موعد لسحب ضباطها فقد كان هذا التاريخ أسوأ موعد بالنسبة لنا. فبهذا التاريخ كانت حشود العدو قد اكتملت في منطقة خلدا وأصبح الهجوم على اللطرون وباب الواد وشيكاً ومتوقفاً بأي لحظة. ومن جهة أخرى لم يكن لدينا العدد الكافي من الضباط العرب المدربين للمء جميع المراكز التي سيتركها الضباط الانجليز لاسيما وان الوقت المتاح لنا لإجراء عملية التكيف وإيجاد البدائل لا يتجاوز مدة ٢٤ ساعة. وأمام هذا الواقع تقرر إجراء بعض التغييرات في مواقع القيادات بحيث يتمكن معظم الضباط الانجليز من الإستمرار بتنفيذ مهماتهم من خارج حدود فلسطين وعلى هذا الأساس تم نقل قيادة الفرقة الرئيسية من منطقة قرية (بيتين) شرق رام الله إلى منطقة (يوشع) شمال مدينة السلط على أن تستمر بممارسة كامل واجباتها الحربية من هناك. وتحرك معها الركن الأول للعمليات الميجر داونز والركن الثاني للعمليات الرئيس صادق الشرع والركن الثالث للإدارة الكابتن دين. أما قائد الفرقة اللواء لاش الذي لا يشمل القرار لأنه كان متعاقداً مع الحكومة الاردنية وليس معاراً لها من الجيش البريطاني فقد بقي في القيادة الأمامية التي نقلت بدورها إلى قرية (بيتونيا) جنوب مدينة رام الله.

كما نقل إلى قيادة الفرقة الأمامية كضابط ركن عمليات وكيل القائد علي الحيايري من قيادة الجيش بصفة مؤقتة. وكذلك نقلت قيادة اللواء الأول بكاملها من منطقة قرية شعفاط شمال القدس إلى منطقة يوشع بجوار قيادة الفرقة الرئيسية على أن تمارس كامل واجباتها الحربية من هناك. وبهذا الشكل يكون قائد اللواء الأول قد استمر بممارسة كافة مسؤولياته لكن من خارج حدود فلسطين. أما قائد اللواء الثالث فقد بقي في قيادته حيث كان متعاقداً مع الحكومة الأردنية للخدمة في الجيش العربي ولا يشمل القرار. أما قادة الكتائب الثلاثة فقد تم نقلهم إلى قيادة الجيش واستبدالهم بضباط انجليز آخرين من الإداريين الذين كانوا يعملون بموجب عقود مع الحكومة الأردنية. ولم يكن هذا الإجراء سليماً تماماً لأن هؤلاء الضباط الإداريين لم يكونوا في واقع الأمر مؤهلين لقيادة الكتائب في المعركة ولكنهم عينوا

لهذه القيادات لإنهم انجليز فقط وبهذه الأثناء قام قائد الجيش بإيفاد الكولونيل (بلاكدن) قائد الكتيبة الأولى إلى بريطانيا ليتعاقد مع بعض الضباط المتقاعدين لكي يستخدموا كقادة كتائب ويمكنهم البقاء في منطقة العمليات. وخلال الفترة الإنتقالية سيعتمد على الضباط العرب (أركان حرب الكتائب) الذين كانوا برتبة ملازم أول.

ولم تمض بضعة أيام حتى تمكن بلاكدن من التعاقد مع عدد من الضباط الذين كان من بينهم الميجر لوكت الذي كان أول من وصل وعين قائداً للكتيبة الثانية. وهنا لابد من التنويه إلى أن قائد الجيش كان يستطيع الاستغناء عن كل هذه الإجراءات لاستقدام ضباط متقاعدين من بريطانيا لتعيينهم قادة كتائب مشاه لو رغب بذلك حيث كان بإمكانه أن يجد من بين الضباط العرب ثلاثة ضباط يستطيعون قيادة الكتائب الثلاثة التي يقودها الإنجليز حتى ولو كانت رتبته أقل من رتب القادة السابقين والدليل على ذلك أنه عندما تم نقل ضباط انجليز إداريين لقيادة هذه الكتائب تقرر بنفس الوقت الاعتماد على أركان حرب الكتائب من الضباط العرب في المعركة رغم أن رتبهم لم تكن تزيد عن ملازم أول. وهذا أوضح دليل على أنهم كانوا يعينون الضباط لهذه المناصب لإنهم انجليز وليس لأنهم مؤهلين لقيادة الكتائب. ولكن إذا اردنا ان نأخذ بعين الإعتبار الحجة التي كانوا يتذرعون بها بأنه لا يوجد في الجيش من الضباط العرب من هم مؤهلون ومتخرجون من كلية الأركان لكي يتسلموا مراكز ضباط الركن العليا أو قيادات الأوليه وما يعادلها فإنه على الأقل كان بإمكانهم تسليم قيادات جميع الكتائب للضباط العرب وسيكونون أفضل من الإنجليز لهذه القيادات. ولكن كان من الواضح أنهم كانوا يصرون على الاحتفاظ بجميع القيادات والمراكز المهمة بيد الضباط الانجليز حتى ولو كانت حكومتهم قد قررت إخراجهم من الجبهة.

ولقد احببت أن أذكر تفصيلات هذه الواقعة لكي أبين مدى الحيف الذي كانت تفرضه علينا المعاهده مقروناً بالابتزاز الإستعماري من الطراز الخبيث.

الهجوم الثالث على اللطرون وباب الواد : ٩ حزيران ١٩٤٨م

على الرغم من أن اليهود نجحوا بفتح طريق جانبيه تؤدي إلى القدس (طريق بورما) التي أشرت لها سابقاً واستطاعوا بواسطتها تسيير قوافل التزويد إلى المدينة لكنها مع ذلك لم تحل مشكلتهم حلاً جذرياً. ولهذا كان لابد لهم من إعادة محاولتهم لفتح الطريق الرئيسية بإحتلال مواقعنا في اللطرون وباب الواد وهو الحل الذي يفتح أمامهم احتمالات مهمة تمكنهم من السيطرة على طريق القدس الرئيسية والتلال المشرفة عليها مع إمكانية الانطلاق

نحو مدينة رام الله وبالنتيجة تهديد جميع مواقعنا الرئيسية بضربة واحدة. وكان متوقعاً ان يقوموا بمثل هذا الهجوم بسرعة قبل موعد حلول الهدنة التي اتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً بها بتاريخ ٢٩ أيار. كما ان الكونت برنادوت كان قد وصل إلى عمان بتاريخ ١٠ حزيران بصفته وسيطاً دولياً عين لهذه المهمة الصعبة.

وقد بدأ العدو نشاطاته اعتباراً من أول حزيران استعداداً لهذا الهجوم الجديد بقصف مواقعنا بالمدفعية بشكل متواصل وإرسال الدوريات المقاتلة للاحتكاك بمواقعنا الأمامية لتحديد إيعادها وقد اخذ يزيد من كثافة نيران مدفعيته على جميع مواقعنا وخصوصاً على قيادات الكتائب وقيادة اللواء الثالث حتى بلغت ذروتها يوم ٦ حزيران مما اضطر قيادة اللواء لإخلاء موقعها المتقدم في مرتفعات قرية يالو والانتقال الى موقع بديل شرق مثلث بيت سيرا. وبنفس الوقت ازدادت نشاطات دوريات العدو المقاتلة بحيث صارت تصل إلى مسافات قريبة من الخنادق الأمامية وتشتبك معها بالنيران ثم تنسحب لكي تكتشف نقاط الضعف والممرات المفتوحة بين دفاعات السرايا الأمامية. وقد تمكنت إحدى هذه الدوريات من قطع خط الهاتف الذي كان يربط مركز بوليس اللطرون مع قيادة السرية وزرعت بعض الالغام خارج الأسلاك الشائكة في الجهة الغربية من المركز.

كل هذه المؤشرات كانت تدل على أن هجوم العدو أصبح وشيكاً لاسيما وان المعلومات المستقاة من دورياتنا كانت تشير الى وجود حشودات كبيرة جنوب منطقة جبال سوسين.

وفي ليلة ٨ / ٩ حزيران بدأ العدو تمهيداً للهجوم بالقصف المركز من المدفعية والمورتر الثقيل على مواقع الكتيبتين الرابعة والثانية وعلى مواقع المدفعية وسرية النقلات. وقد ردت مدفعيتنا بقصف معاكس على مدفعية العدو لإسكاتها. وفي حوالي الساعة العاشرة ليلاً بدأت كتائب العدو زحفها نحو مواقع الكتيبة الرابعة أولاً حيث وصلت الى المواقع الأمامية للسرية الثالثة على تلة معاذ بن جبل ومواقع السرية المساندة بالقرب منها. وقد استطاعت سرايا العدو المهاجمة ان تتغلغل بين سرايا الكتيبة الرابعة حتى وصلت إحداها إلى حرش دير اللطرون وأخذت تطلق النار على مركز البوليس من هناك. وقد دارت معارك عنيفة في جميع مواقع الكتيبة الرابعة مع جنود العدو على مسافات قريبة ووصلت في العديد من الحالات الى الاشتباك بالاسلح الأبيض.

وقد تطورت هذه المعركة بشكل خطير للغاية حيث وصلت قوات العدو المهاجمة إلى مركز ملاحظة المدفعية واستولت عليه بعد أن انسحب جنودنا منه، ثم تغلغت مشاة العدو بين مواقع الاسلحة المساندة وسرية القيادة ووصلوا إلى القرب من قيادة الكتيبة. وعلى الرغم من

خطورة هذا التغلغل فقد تمكنت الكتيبة الرابعة من صد هذا الهجوم وكبدت العدو خسائر كبيرة بالأرواح. وبعد الفجر انسحبت قوة العدو المهاجمة نحو الجنوب مخلفة وراءها العديد من جثث قتلاها، حيث احصت الكتيبة مائة جثة وكسبت حوالي سبعين بندقية وعدداً من الرشاشات المختلفة وكميات من العتاد والتجهيزات الأخرى.

أما في جبهة الكتيبة الثانية فقد تقدمت قوة العدو المهاجمة حوالي الساعة الثالثة صباحاً من مواقعها جنوب طريق باب الواد نحو مرتفع قرية (يالو) ولم تعتمد الكتيبة الثانية للإشتباك معها في البداية حتى إقتربت صفوف سراياها الى مسافة قريبة من الخنادق الأمامية ففاجأهم جنودنا بالقاء القنابل اليدوية وبوابل شديد من نيران الأسلحة الأخرى. بينما اخذت قنابل المورتر تنهال على مؤخرتهم. الأمر الذي أوقعهم بإرتباك مذهل وبدأوا يتقهقرون بسرعة تحت وابل النيران الكثيفة التي أوقعت بهم الكثير من الإصابات. وعند طلوع الضوء انسحبت كتيبة العدو هذه لا تلوي على شيء.

وهكذا فشل الهجوم الثالث الذي شنه العدو على منطقة اللطرون وباب الواد قبل موعد حلول الهدنة بمدة ٤٨ ساعة. حيث أصبح وقف إطلاق النار ساري المفعول اعتباراً من الساعة الثامنة صباح يوم ١١ حزيران ١٩٤٨ م.

العمليات في منطقة اللد والرملة :

لم تكن هاتين المدينتين داخلتين ضمن خطة الجيش العربي الدفاعية كما أشرت سابقاً. وذلك لعدم توفر القوات الكافية التي يمكن إرسالها للدفاع عنهما بفعالية. ونظراً لطول الخط الذي تركزت فيه كتائب الجيش العربي الأربعة والذي كان يزيد عن سبعين ميلاً أصبح من المستحيل تمديده لكي يشمل اللد والرملة مع امكانية الإحتفاظ بجميع هذه المواقع بالقوات المتيسره.

ولذلك فقد تقرر منذ البداية ترك مهمة الدفاع عن هاتين المدينتين إلى قوات المناضلين المتواجده فيهما والتي كان قوامها بضع مئات من مناضلي الجهاد المقدس والمسلحين من السكان والحرس البلدي. ثم إنضم اليهم حوالي (٣٠٠) ثلاثمائة متطوع من الأردنيين الذين تم تسليحهم من قبل قيادة الجيش العربي وإرسالهم إلى هناك.

وبتاريخ ١٩ أيار ١٩٤٨ م بدأ اليهود سلسلة من العمليات لإحتلال عدد من القرى الواقعة غربي اللد والرملة والتي كانت تشكل طوقاً أمامياً في مواجهة تل أبيب. فقد احتلوا أولاً

معسكر صرفند الذي كانت تدافع عنه قوة من المناضلين العراقيين سبق أن احتلته عندما رحلت عنه القوات البريطانية. ثم احتل اليهود بعد ذلك قريتي كفرعانه واليهودية اللتين كان يدافع عنهما مناضلون محليون. وبتاريخ ١١ حزيران أصبح الخط الممتد من مستعمرة بتاح تيكفا شمالاً حتى مستعمرة رخبوت جنوباً كله بيد اليهود في مواجهة منطقة اللد والرملة.

بهذه الأثناء كانت الوفود من سكان المدينتين تتجه نحو العواصم العربية المختلفة لتطلب النجدة. وذهبت وفود منها إلى عمان لهذه الغاية.

وكان الملك عبد الله يلح على قائد الجيش لكي يبذل ما في وسعه لنجدة هاتين المدينتين. ولكنه لم يكن بالإمكان توفير أية قوات لإرسالها اليهما إلا إذا سحبت من مواقع دفاعية أخرى مهمه للغاية. حيث كانت جميع كتائب الجيش الأربعة مشتبكة بشكل مستمر مع العدو في معارك القدس وباب الواد والطررون. ومن المستحيل ترك المعركة والتضحية بأي موقع من هذه المواقع الاستراتيجية الحيوية وإرسال القوة المدافعة عنها إلى اللد والرملة رغم أهميتهما وضرورة الاحتفاظ بهما لتغطية الفجوة بين الجبهة العراقية والجبهة الأردنية. ولكن لو نقلت القوات للدفاع عنهما قب هذه الحالة ستتهار جبهتنا في منطقة الطرون وباب الواد ومعها ستسقط اللد والرملة تلقائياً بعد إنهيار الجبهة خلفهما ولأن القوة التي سترسل اليهما لن تكون كافية أصلاً حيث أن الدفاع عن هاتين المدينتين لمدة طويلة سيحتاج إلى قوات أكثر من لواء لاسيما وهما تقعان في أرض منبسطة واسعة ويحتاج الدفاع عنهما إلى نشر أعداد كبيرة من المشاة في مختلف المواقع مع الاحتفاظ بقوة ضاربة في الاحتياط وهذا لم يكن متوفراً لدينا منه أي شيء. ولذلك فإن مفتاح صمود الدفاع في جبهتنا يكمن بالاحتفاظ بمواقعنا في باب الواد والطررون بأي ثمن. وبالعكس ذلك فإذا سقطت تلك المواقع ستسقط القدس تلقائياً وستتهار الجبهة الأردنية بكاملها.

وكذلك ذهبت بنفس الوقت وفود من سكان اللد والرملة إلى القيادة العراقية لطلب النجدة وقد اعتذر العراقيون عن تلبية الطلب نظراً لإتساع منطقتهم وعدم توفر قوات كافية لديهم تمكنهم من توسيعها أكثر مما هي عليه وبهذه الأثناء كانت القوات اليهودية قد احتلت موقع رأس العين بتاريخ ٣٠ أيار فقام المناضلون بقيادة حسن سلامة بشن هجوم معاكس لاسترداد هذا الموقع الهام حيث كان هو المصدر الوحيد لتزويد القدس بالماء وتمكنوا من استرداده. ولكن قائدهم حسن سلامة استشهد أثناء المعركة.

وتجنباً لإحتمال انهيار معنويات المناضلين كما سبق ان حدث بعد معركة القسطل عندما

١ - تشهد عبد القادر الحسيني كان لابد من إظهار وجود الجيش العربي بينهم ولو بشكل رمزي بقدر ما تسمح به ظروف المعارك وإمكانات قواتنا. وبناء على توجيهات جلالة الملك عبدالله صدرت لنا التعليمات من قيادة الجيش لتشكيل قوة متحركة تتمركز في مدينة اللد وتقوم بدوريات تعرضيه في مختلف أنحاء المنطقة المحيطة بها باستمرار. وعلى هذا الأساس تم تشكيل هذه القوة من وحدات اللواء الثالث. وقد اعطي لها الإسم الرمزي (Sun Rise) شروق الشمس. وكان قوامها كما يلي :

فئة مدرعات - ثلاثة مدرعات
حظيرة مدافع ضد الدروع - مدفعين ٦ رطل
فئتي مشاة

وقد اسندت قيادة هذه القوة إلى الرئيس بروميغ (T.N. Bromage) وهو من الضباط الإنجليز الذين بقوا في مسرح العمليات بعد صدور التعليمات بانسحابهم إلى خارج فلسطين على أساس ان القرار لا يشملهم.

وبعد تجميع هذه القوة في قيادة اللواء الثالث تحركت مساء يوم ٢ حزيران إلى مدينة اللد وجعلت مقرها الدائم في بناية مركز البوليس. وكانت أول عملية قام بها قائد هذه القوة هي الهجوم على مستعمرة (غيزر) الواقعة شرقي مدينة الرملة حيث سبق ان قامت حامية هذه المستعمرة بالتعرض لسكان قرية (البريه) العربية المجاورة لها وإجلالهم عن قريتهم بالقوة. وقد اقتحمت دورية الجيش العربي هذه المستعمرة بالمدرعات تتبعها المشاة. وبعد معركة سريعة تمكنت من تطهير الخنادق والاستحكامات واحتلال المستعمرة. وقد سقط عدد من القتلى من جنود العدو واستسلم الباقون وعددهم خمسة وثلاثون. وغنمت قوتنا جميع أسلحة حامية المستعمرة. وتم نقل الأسرى من الرجال الى معسكر الإعتقال كما سلمت جميع النساء إلى مستعمرة بن شيمون بموجب أوامر قيادة الجيش العربي.

وبعد احتلال مستعمرة (غيزر) قام بروميغ بتسليمها الى المناضلين وسكان قرية البريه الذين عادوا إلى قريتهم. ولكن قائد القوات اليهودية في منطقة اللطرون الجنرال الأمريكي (ماركوس) عندما علم بإحتلال المستعمرة ارسل قوة خاصة شنت هجوماً معاكساً بعد يومين من احتلالها وتمكن من استردادها من المناضلين. ولكنها كانت قد دمرت بكاملها بنتيجة هذه المعارك. وبعد هذه العملية نشطت القوة المتحركة بأعمال الدورية في مختلف أنحاء المنطقة. وبهذه الأثناء عزم الرئيس بروميغ على مهاجمة مستعمرة (بن شيمون) بقصد احتلالها وتسليمها للمناضلين بنفس الطريقة التي احتل بها مستعمرة (غيزر) لأن دوريته لا

تستطيع البقاء في الدفاع الثابت بأي مكان نظراً لصغر حجمها وطبيعة المهمة المسندة إليها وهي القيام بأعمال الدورية والتعرض للعدو في مختلف أنحاء المنطقة ولكن رئيس بلدية اللد وجهاء القرى المحيطة بها طلبوا منه عدم التعرض لمستعمرة (بن شيمن) لأنه توجد بينهم وبين سكانها اتفاقية حسن جوار وعدم اعتداء وهم لا يريدون نقض هذه الاتفاقية لكي لا يتعرضوا في المستقبل للهجوم على قراهم من قبل الجيش الإسرائيلي. وعلى هذا الأساس تخلى عن فكرة الهجوم على بن شيمن. ولكن حتى لو لم يعترض سكان هذه القرى العربية فإن احتلال هذه المستعمرة من قبل دورية بروميج لن يحل مشكلتها لأنه كان سيسلمها للمناضلين كما سبق وسلمهم مستعمرة (غيزر). وإن لم يستطيعوا هم الدفاع عنها والاحتفاظ بها فسوف يستردها اليهود منهم بهجوم معاكس. أما مسألة وجود اتفاقية حسن جوار بينهم وبين اليهود فإنها لن تقدم أو تؤخر في شيء. لأن سكان قرية دير ياسين كانت بينهم وبين سكان المستعمرات اليهودية المجاورة لهم اتفاقية حسن جوار ولكن هذه الاتفاقية لم تمنع اليهود من احتلالها وذبح أطفالها ونسائها والتمثيل بجثثهم كما عرف كل العالم في حينها. واليهود لن يتورعوا عن احتلال تلك القرى العربية المحيطة بمستعمرة بن شيمن عندما يحين وقتها سواء وجدت اتفاقية حسن جوار معهم أو لم توجد. ولكن أحياناً لا يستطيع لوم سكان هذه القرى العربية على موقفهم هذا لا سيما وأنه لا توجد قوات عربية ثابتة عندهم تستطيع حمايتهم من هجمات القوات اليهودية مستقبلاً. أما قوة الجيش العربي المتحركة هذه فهي عبارة عن دورية صغيرة أرسلت بمهمة محدده ومؤقتة. وهكذا فقد أصبحت هذه الوضعية كحلقة مفرغة. وسكان القرى معرضون للخطر ولا توجد قوات تحميهم بشكل دائم. ولذلك لم يبق أمامهم سوى هذا النوع من المهادنة الهشة مع اليهود.

في الليلة التي سبقت موعد بدء الهدنة قرر قائد الدورية المتحركة الهجوم على مستعمرة (بير يعقوب) المجاورة لمعسكر صرقند. وقد تحرك عند الفجر من اللد وعندما اقترب من المستعمرة فتحت المدرعات نيرانها على الاستحكامات الأمامية. وتحت ستار هذه النيران تقدم جنود المشاة بهجومهم ولكنهم واجهوا مقاومة عنيفة ووقعت بينهم عدة إصابات دون أن يتمكنوا من إحراز تقدم ملموس.

وقد اتضح لقائد الدورية الرئيس بروميج أن حجم قوته ليس كافياً لإحتلال هذه المستعمرة فقرر سحب جنوده تحت ستار نيران المدرعات بينما لا يزال يمكنه ذلك. ولكن بهذه اللحظة أصيبت إحدى المدرعات بقذيفة صاروخ وأعطب. ولكنه تمكن من سحبها بمدربة أخرى وانسحب بكامل قوته من منطقة المستعمرة قبل حلول موعد الهدنة بمدة نصف ساعة.

ولقد بقيت هذه القوة المتحركة في مدينة اللد ومنطقتها طيلة مدة الهدنة وتم تعزيزها بفئة مدرعات أخرى واستمرت بالقيام بأعمال الدورية والتعرض لمواقع العدو ودورياته التي كانت هي أيضاً تقوم بنشاط مماثل. وبهذه الأثناء أعيد الرئيس بروميج إلى وحدته وسلمت قيادة هذه القوة إلى الملازم نايف الحديد واستمرت بممارسة نشاطاتها بمنطقة اللد والرملة بالإضافة إلى قوات المناضلين من القرى المحيطة.

هذا مجمل مختصر عن عمليات الجيش العربي منذ دخولنا الى فلسطين بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٨م حتى بداية الهدنة الأولى بحسب إطلاعي المباشر عليها من موقعي كضابط ركن عمليات في قيادة الفرقة طيلة مدة الحرب.

والآن لكي استكمل الصورة العامة للعمليات الحربية التي جرت في فلسطين لابد لي من استعراض موجز عن حركات الجيوش العربية الأخرى وعملياتها خلال نفس الفترة من الحرب والتي يمكن أن أخصها بما يلي :

أولاً : - القوات العراقية :

كانت القوة العراقية التي وصلت إلى الأردن في البداية للإشتراك في حرب فلسطين تتألف من جحفل اللواء الأول ومعه كتيبة آلية واحدة. كما وصل بإسناد هذه القوة سرب طائرات حربية من نوع سي فيوري (Sea Fury) قاذفة مقاتلة قوامه ١٢ طائرة هبطت في مطار المفرق واتخذته قاعدة لها. صباح يوم ١٤ أيار تحرك فوج من هذه القوة إلى منطقة جسر الجامع واحتل محطة كهرباء (روتنبغ).

وفي صباح يوم ١٥ أيار عبرت سريتان من المشاة وبعض المدرعات الى غرب نهر الأردن لإحتلال مستعمرة (غيشر) وبدأت بقصف مركز البوليس المجاور لها بالمدفعية والطائرات. ولكن تأثير القصف كان محدوداً. وفي المساء بدأت قوة المشاة تسندها المدرعات هجومها على المستعمرة ومركز البوليس ولكنها لم تحرز تقدماً يذكر. وبنفس اليوم تحرك فوج آخر من المفرق الى منطقة الجامع وجددت القوة هجومها على المستعمرة واستطاعت ان تحتل محطة سكة الحديد والتلال المشرفة على المستعمرة من الغرب. وفي صباح يوم ١٧ أيار تقدم فوج جديد بقيادة المقدم عمر علي لإحتلال مرتفع كوكب الهوى الذي يسيطر على المنطقة من جهة الغرب. واستمرت المعركة طوال الليل حيث تمكنت الكتيبة العراقية من احتلال أطراف قرية كوكب الهوى. بينما استمرت القوة الاولى بمحاولاتها لاحتلال مستعمرة غيشر. وقد وصلت مدرعاتها إلى الأسلاك الشائكة. ولكن اليهود المدافعين عنها تمكنوا من إصابة وإعطاب عدد

منها ولم يتمكن العراقيون من إحتلال المستعمرة بهذا الهجوم. وفي اليوم التالي شن اليهود هجوماً معاكساً على منطقة كوكب الهوى واضطر العراقيون للتراجع عن بعض مواقعهم.

وبهذه الاثناء عقد اجتماع في عمان برئاسة جلالة الملك عبدالله وحضره الأمير عبد الاله وعبد الرحمن عزام والفريق نور الدين محمود والفريق كلوب وضباط القيادة العامة للجيش العربية. وتقرر بهذا الاجتماع نقل القوات العراقية لإستلام منطقة نابلس من الجيش العربي الذي ستنقل قواته منها إلى معركة القدس التي كانت في ذلك الوقت محتدمة على أشدها.

وعلى إثر هذا القرار بدأت القوة العراقية حركتها عن طريق المفرق الى عمان ثم جسر اللنبي الى نابلس عن طريق الجفتك يوم ٢١ أيار ١٩٤٨ م. واستلمت طلائعها مواقع اللواء الأول في منطقة نابلس وطولكرم يوم ٢٣ أيار. وبتاريخ ٢٨ أيار تقدم فوج بقيادة المقدم عبد الكريم قاسم وتمركز في منطقة قرية كفر قاسم ووصل الى رأس العين. كما تقدم رتل آخر من طولكرم واحتل مستعمرتي (كولم) و(كفار يونا). ولكن اليهود تمكنوا من صدّه بهجوم معاكس فانسحب إلى طولكرم.

وبتاريخ ٢٨ أيار تقدم رتل من القوات اليهودية من العقوله باتجاه مدينة جنين واحتل قرية زرعين التي تقع على الطرف الشمالي من مرتفعات جبل جلبوع وأجبروا المناضلين العرب على الإنسحاب من قرية (نورس) القرية منها. وبعدئذ توقفت القوات الإسرائيلية لإعادة التنظيم. ثم استأنفت تقدمها يوم ٢ حزيران نحو جنين واحتلت قرى (صندله، عرانه، الجلمه، والمقيبلة) من المناضلين وهذه القرى تشكل حزاماً دفاعياً شمال مدينة جنين. وفي يوم ٣ حزيران تقدمت القوات اليهودية الرئيسية لاحتلال مدينة جنين نفسها. وكانت قد انقسمت الى رتلين. وعند وصولهما الى المدينة وجدوها خالية من سكانها تقريباً ولكن كان فيها قوة عراقية صغيرة كانت متحصنة في مركز البوليس الواقع في الطرف الغربي من المدينة. فاشتبكت معها. وعندئذ تحول رتل من هذه القوة اليهودية وتمركز على تل مرتفع الى الجنوب الغربي من مركز البوليس. بينما تمركز الرتل الثاني على التل الواقع إلى الجنوب الشرقي من المركز. ثم حاولت هذه القوات التقدم الى أطراف المدينة لاحتلالها. ولكن القوة العراقية ناوشتها وأوقعت بها العديد من الإصابات وارغمتها على التوقف في مواقعها. وبهذه الاثناء وصلت قوات جحفل اللواء الرابع العراقي في ساعات بعد الظهر وشنت هجوماً مضاداً على القوات اليهودية في هذه التلال المسيطرة على مدينة جنين من الجنوب وخاضت معها معركة شرسة في هذه التلال الصخرية وتمكنت من دحرها واحتلال تلك المواقع بعد أن

كبدت القوات اليهودية خسائر فادحة بالأرواح قدرت بأكثر من ثلثمائة قتيل بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الجرحى. وقد انسحبت قوات العدو هذه من جنين نفسها ولكنها بقيت تحتل مجموعة القرى العربية الواقعة شمالها. ومن الغريب أن القوة العراقية توقفت في مدينة جنين رغم أنها حققت نصراً ساحقاً على العدو ولم تحاول استغلال هذا النصر مباشرة وتلاحق العدو المنسحب.

وعلى الرغم من أن جحفل اللواء الثالث كان قد وصل إلى نابلس قبل موعد بدء الهدنة بعدة أيام لم يبق العراقيون خلال هذه الفترة الحساسة بأي عمليات هجومية كبيرة أخرى في جبهتهم. كما أنهم لو لاحقوا القوات اليهودية المنسحبة بعد معركة جنين مباشرة لتمكنوا على الأقل من إستراداد تلك القرى العربية الواقعة شمال جنين والتي احتلها اليهود أثناء زحفهم على جنين. بل ربما تمكنوا من إحتلال مرتفعات جبل جلبوع الواقعة شمال جنين والتي تسيطر على مدينة العفولة ومقترباتها والتي سيصبح سقوطها بيد العراقيين بهذه الحالة ممكناً. ولامكنهم عندئذ قطع طريق بيسان من الغرب وهو الهدف الذي حاولوا تحقيقه بهجومهم على كوكب الهوى ولم ينجحوا به.

ولو استغل قائد اللواء العراقي الفرصة النادرة التي أتاحت له بعد اندحار القوة اليهودية في معركة جنين وتقهرها شمالاً لتطور سير المعركة لصالحه ولأصبح موقف القوات اليهودية في المنطقة الشمالية صعباً وخصوصاً مع تواجد الجيش السوري شمال بحيرة الحولة. وقوات جيش الإنقاذ في الجليل. ولكن كما يظهر فإن قائد الجحفل العراقي فضل التوقف حالياً بموقف الدفاع في المواقع التي احتلها بعد معركة جنين هذه إلى إشعار آخر.

وقد بقيت القرى الواقعة شمال جنين بيد اليهود الى ما بعد الهدنة الأولى حيث قام العراقيون باحتلالها خلال فترة القتال الثانية.

وهكذا استقر موقف الجيش العراقي دفاعياً عند حدود المناطق التي احتلها من جنين حتى منطقة طولكرم وقليلية إلى كفر قاسم عندما بدأت الهدنة الأولى. ولم يتغير كثيراً حتى نهاية الحرب.

ثانياً : القوات المصرية :

تم حشد القوات المصرية بقيادة اللواء أحمد صادق الموالي في منطقة العريش بتاريخ ١٤ أيار عام ١٩٤٨م. وكانت تتألف من خمسة كتائب مشاة وكتيبة دبابات وكتيبة رشاشات متوسطة وكتيبة مدفعية. وإعداد مختلفة من مدافع ضد الدروع عيار (٦ رطل) ومدافع

مقاومة الطائرات. وقد نظمت هذه القوات في مجموعتي لواء احدهما أكبر من الأخرى. وكان لديها غطاءً جويًا مؤلفاً من خمسة عشر طائرة مقاتلة وخمسة طائرات قاذفة.

وبتاريخ ١٥ أيار عبرت هذه القوات الحدود وتحركت مجموعة اللواء الكبرى على الطريق الساحلي (طريق خان يونس) التي كانت تحتلها قوة من المناضلين. فاحتلت المطار وتركت قوة من المشاة والمدفعية لكي تحتل مستعمرة نيريم المجاورة له. وواصلت القوة الرئيسية تقدمها شمالاً. وكانت مستعمرة نيريم هذه أقرب مستعمرات النقب إلى الحدود المصرية. وكانت تدافع عنها قوة من الهاغاناه بالإضافة إلى السكان المسلحين.

وبعد قصفها بالمدفعية وتدمير عدد من ابنيها شنت القوة المصرية هجومها ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة ووقع في صفوفها العديد من الإصابات فأوقف قائد القوة المصرية هجومه وترك المستعمرة ليحاصرها المناضلون العرب ولحق بالقوات الرئيسية. وبعد ان اجتاز اللواء المصري بلدة خان يونس اصطدم بمستعمرة (كفر داروم) التي تقع بالقرب من محطة سكة الحديد وعلى مقربة من الطريق الرئيسية. وحاولت القوة المصرية احتلالها كذلك ولكن المدافعين عنها ابدوا مقاومة عنيفة. ولأن قائد القوة المصرية كان على عجلة من أمره فقد أوقف الهجوم وترك هذه المستعمرة وشأنها وواصل تقدمه شمالاً. وفي مساء يوم ١٥ أيار دخلت القوة الرئيسية مدينة غزة. وبعد ذلك أصبح تقدمها أكثر بطئاً حيث وصلت إلى مستعمرة دير سنيد واحتلتها يوم ٢٠ أيار بعد معركة دامت عشرة ساعات. وكان هذا أول نصر تحزره القوات المصرية. ثم تقدمت بسرعة إلى الشمال.

وبتاريخ ٢٣ أيار احتلت مستعمرة (ياد موردخاي) وبعد ذلك دخلت مدينتي المجدل وعسقلان العربيتين. ثم حاول قائد اللواء المصري احتلال مستعمرة (نقبا) التي كانت تسد طريقه المتجه شرقاً إلى بيت لحم. فقام بتاريخ ٢ حزيران بهجوم مركز تسنده المدفعية والدبابات. ولكن على الرغم من أنه تم تدمير معظم منازل هذه المستعمرة إلا أن المدافعين عنها صمدوا في وجه الهجوم. وعندما ازداد عدد الإصابات بين الجنود قرر قائد اللواء إيقاف الهجوم وترك المستعمرة مطوقة وتحرك بالقوة الرئيسية شمالاً فدخل بلدة اسدود يوم ٢٩ أيار. وبعد تمركزه فيها عاد قائد اللواء المصري لمهاجمة مستعمرة (نيتزانيم) التي تقع على بعد حوالي خمسة كيلومترات من المجدل بالقرب من الطريق الرئيسي. وكان قد سبق ان تركها أثناء تقدمه شمالاً إلى اسدود. وبعد معركة ضارية ووقوع العديد من الإصابات بين الطرفين تمكنت القوة المصرية من احتلالها. وكان هذا ثالث انتصار حققه هذا اللواء أثناء تقدمه. وأما باقي المستعمرات التي كانت تقع في معظمها بالقرب من الطريق الساحلي المؤدي

من العريش الى غزة أو من طريق المجدل الى بيت لحم فقد تركت وشأنها لأن المصريين لم يريدوا ان تعيقهم عمليات احتلال هذه المستعمرات عن التقدم نحو تل أبيب كما كانوا يقولون، وقد كلفهم هذا الأمر غالياً فيما بعد.

أما اليهود فقد كانت تعليماتهم إلى سكان المستعمرات تقضي بأن يدافعوا عن مستعمراتهم حتى النهاية وان لا يستسلموا حتى لو ابيدوا فيها. ولقد كان لهذه التعليمات والمقاومة العنيفة التي نفذت بموجبها أثرها الفعال على المصريين الذين كما يبدو لم يكونوا يتوقعونها. ولذلك كانوا في الكثير من الحالات يعمدون إلى إيقاف هجومهم قبل أن يصلوا إلى نتيجة حاسمه. وعندما استطاعت معظم المستعمرات في النقب ان تصمد في وجه القوات المصرية التي كانت تحصر تقدمها على الطريق الساحلي تاركة الساحات الواسعة في النقب خالية من تواجدها. قام اليهود بتشكيل قوة متحركة اخذت تعمل خلف خطوط القوات المصرية لتتصل بهذه المستعمرات ولتدعمها وتقوي معنوياتها وتدافع عنها في بعض الحالات التي تشعر بها أن المناضلين الذين يحاصرونها أصبحوا يشكلون خطراً عليها. فأصبحت هذه القوة المتحركة بمثابة خنجر في ظهر القوات المصرية المتقدمة.

ولما كانت مدينة اسدود التي احتلتها القوات المصرية تبعد عشرين ميلاً فقط إلى الجنوب من تل أبيب فقد شعر اليهود أن تقدم المصريين بهذا الشكل أصبح يشكل خطراً على تل أبيب ولذلك فقد قرروا إيقافه بأي ثمن وعلى هذا الأساس حركوا قواتهم من (رخوبوت) القرية من تل أبيب الى الجنوب واستطاعت هذه القوات ان تحتل عدداً من القرى العربية في طريقها ثم تركزت على تل مرتفع يقع إلى الشمال من اسدود واشتبكت مع القوات المصرية واستمرت المعارك بضعة أيام.

وبتاريخ ٧ حزيران تمكن المصريون من إخراج هذه القوة اليهودية من الموقع المسيطر ودحرها مسافة الى الشمال. إلا أن اليهود ظلوا يحتلون مجموعة القرى العربية الواقعة الى الشمال فقاموا بتحسينها وتمكنوا من إيقاف تقدم القوات المصرية التي إستقرت في منطقة اسدود لإعادة التنظيم. ولم تقم بأي عمليات أخرى على هذا المحور حتى حلول الهدنة بتاريخ ١١ حزيران ١٩٤٨م.

أما بالنسبة لمجموعة اللواء الثانية التي تحركت إلى العوجا فقد وأصلت تقدمها إلى بئر السبع ووصلتها بتاريخ ٢٠ أيار. ثم وأصلت تقدمها شمالاً ودخلت بعض قطعاتها مدينة الخليل بنفس اليوم حيث استلمت المدينة من سرية الجيش العربي التي كانت متواجدة فيها. ثم تقدمت بعد ذلك إلى مدينة بيت لحم ولم تشتبك مع أية قوات يهودية منذ بداية حركتها.

إلا أنها بتاريخ ٢٢ أيار قامت بشن هجوم على مستعمرة (رامات راحيل) بمساعدة سرية الجيش العربي والمناضلين من أهالي الخليل وبيت جالا وبيت لحم. وتمكنت من احتلالها بعد معركة دامت عدة ساعات ولكن اليهود ما لبثوا ان شنوا هجوماً معاكساً أثناء الليل واستردوا المستعمرة من المصريين. وخلال الأيام التالية استمرت الإشتباكات بين الطرفين وقد تبديل إحتلال بعض المواقع حول (رامات راحيل) ولكن بشكل عام فقد بقي اليهود في المواقع التي احتلوها واستقر الموقف عند هذا الحد بالنسبة للقوات المصرية عند حلول الهدنة الأولى.

ثالثاً : - القوات السورية :

كانت القوات السورية في البداية تتألف من لواء مشاه تسنده كتيبة مدرعه وكتيبة مدفعيه. وقد تم حشد هذه القوة في مرتفعات الجولان. وفي يوم ١٥ أيار تقدمت هذه القوة من الطرف الجنوبي لمرتفعات الجولان وانقسمت الى ثلاثة أرتال. وقد اتجه الرتل الرئيسي الذي ضم معظم وحدات اللواء والأسلحة الاسنادية الى مدينة سمخ. واتجه الرتل الثانى الى مستعمرتي (داجانيا) اللتين تقعان بالقرب من سمخ لجهة الجنوب الغربي. وأما الرتل الثالث الذي كان عبارة عن سريتي مشاه فقد تحرك على يسار القوة الرئيسية باتجاه الطريق المؤدي من سمخ إلى بيسان.

وفي صباح يوم ١٦ أيار بدأت القوة السورية بقصف مدينة سمخ بالمدفعيه والطائرات واستمر القصف طيلة ذلك اليوم. وفي يوم ١٧ أيار قام الرتل الرئيسي بهجوم مركز على المدينة تسنده الدبابات والمدفعية ودارت المعركة طيلة النهار. وعلى الرغم من شدة المقاومة التي أبدتها اليهود ووصول نجدات إضافية لهم من طبريا إلا أن السوريين تمكنوا من إحتلال سمخ صباح يوم ١٨ أيار. ولكن اليهود الذين انسحبوا منها تحصنوا في مباني محطة الكهرباء الواقعة في الطرف الغربي من المدينة.

ورغم ان السوريين قاموا بشن عدة هجمات على هذا الموقع فإنهم لم يتمكنوا من إخراجهم منه. فرتب قائد اللواء دفاعاته حول المدينة وفصل جزءاً من الرتل الأول للإنضمام الى الرتل الثانى الذي توجه في البداية للهجوم على مستعمرتي (داجانيا) وذلك بقصد تجديد الهجوم وإحتلال هاتين المستعمرتين. وقد بدأ هذا الهجوم الجديد صباح يوم ١٩ أيار وقد احضر اليهود تعزيزات جديدة واستطاعوا إيقاف هذا الهجوم.

وفي يوم ٢٠ أيار استأنف السوريون هجومهم من جديد وبهذه المرة قادت دبابتهم الهجوم وتمكنت من اختراق الدفاعات الإسرائيلية في بعض النقاط إلا أن الإسرائيليين استطاعوا أن يعطبوا عدداً من هذه الدبابات بمدافع ٦٥ ملمتر التي كانت متوفرة لديهم وكذلك بواسطة القنابل اللاصقة (كوكتيل مولوتوف) في بعض الحالات. ولهذا فقد انسحبت باقي الدبابات وتوقف زخم الهجوم. وبسبب هذا التوقف وقعت عدة إصابات بين جنود المشاة وعندئذ قرر قائد الرتل السوري الانسحاب.

أما الرتل الثالث فعلى الرغم من أنه تجاوز مستعمرتي (مسعده) و(شعار هاجولان) ووصل إلى طريق بيسان إلا أنه تفرق بالنهاية وانسحب دون أن يحقق نتائج تذكر. وفي وقت لاحق انسحبت القوة السورية من سمخ نفسها بعد اشتباكات محدودة مع العدو.

أما في الشمال وعند الطرف الجنوبي لبحيرة الحولة فقد كانت تقع مستعمرة اسمها (مشممار هاياردن). وبعد فشل عمليات معركة سمخ قرر السوريون التقدم لاحتلالها وقطع الطريق المؤدي من مستعمرة (روشبين) إلى مستعمرة (هولاتا) ومن ثم التقدم غرباً للإتصال مع القوات اللبنانية في الشمال وقوات جيش الانقاذ في الغرب. وعلى هذا الأساس أرسلوا رتلأ عبر جسر بنات يعقوب تمكن من احتلال (مشممار هاياردن) بعد معركة قصيرة وقام بتحصينها لتكون رأس جسر للقوات السورية المتقدمة. وبعد ذلك حاول هذا الرتل التقدم غرباً ولكنه واجه مقاومة عنيفة من قبل القوات اليهودية المتمركزة في التلال الواقعة على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات غرب النهر وتوقف التقدم عند هذا الحد.

وهكذا بقي السوريون في مستعمرة (مشممار هاياردن) عند حلول الهدنة الأولى.

رابعاً : - القوات اللبنانية :

كانت القوات اللبنانية التي اشتركت في الحرب تتألف من كتيبة واحدة مجموعها حوالي (٨٠٠) ثمانمائة جندي تسندها بعض مدافع المورتر. وكانت قوة يهودية قد احتلت قرية المالكية القريبه من الحدود اللبنانية الفلسطينية يوم ١٩ أيار عام ١٩٤٨ م ولكنها لم تمكث سوى بضعة أيام حيث قامت الكتيبة اللبنانية بشن هجوم عليها واحتلتها واخرجت القوة اليهودية منها. هذا وقد كانت معركة المالكية هذه هي الانتصار الوحيد الذي حققته القوات اللبنانية خلال الحرب.

الهدنة الأولى :

بدأت الهدنة الأولى بالساعة الثامنة من صباح يوم ١١ حزيران عام ١٩٤٨ م ولمدة أربعة أسابيع تنتهي يوم ٩ تموز عام ١٩٤٨ م.

ولتوضيح كيفية التوصل الى عقد هذه الهدنة وموافقة الحكومات العربية على شروطها ارى من الضروري ان اذكر لمحة عن النشاطات السياسية التي جرت على مختلف الأصعدة وخصوصاً من قبل هيئة الأمم المتحدة وأوجزها بما يلي :

١ - بتاريخ ٢٠ أيار عام ١٩٤٨ م اتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً بتعيين الكونت فولك برنادوت (Count Falk Bernadotte) وسيطاً دولياً بين العرب واليهود. وهو احد أفراد العائلة الملكية السويدية. وكان رئيساً لمنظمة الصليب الأحمر السويدي. كما كانت نشاطاته مشهورة في هذا المجال أثناء الحرب العالمية الثانية.

٢ - بتاريخ ٢٨ أيار وصل الكونت برنادوت إلى القاهرة حيث بدأ نشاطاته للتوصل الى وقف إطلاق النار وعقد هدنة بين الأطراف المتحاربة.

وبتاريخ ١ حزيران وصل إلى عمان واجتمع مع الملك عبدالله ومن ثم استمر ببذل جهوده الحثيئة طيلة العشرة أيام التالية لإقناع الحكومات المعنية بالموافقة على عقد الهدنة.

٣ - كان المبدأ الأساسي الذي وضعه الوسيط الدولي لشروط الهدنة التي اقترحها هو ان لا يستفيد أي من الأطراف المتحاربة من فترة الهدنة. وكانت أهم هذه الشروط تتلخص بما يلي :

أ - عدم إدخال قوات إضافية من قبل أي طرف إلى مسرح العمليات.

ب - عدم استيراد أية أسلحة أو ذخائر إضافية.

ج - يتم تزويد مدينة القدس بالمياه والمؤن خلال فترة الهدنة تحت إشراف منظمة الصليب الأحمر الدولية.

٤ - بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨ م اتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً ببناء على اقتراح من الحكومة البريطانية يأمر الأطراف المتحاربة بوقف القتال وعقد هدنة لمدة أربعة أسابيع على أن تقوم الحكومات المعنية بإبلاغ مجلس الأمن بموافقتها أو رفضها لهذا القرار بموعد أقصاه ١ حزيران ١٩٤٨ م.

وتجاه هذا الوضع فقد وجد الزعماء العرب انفسهم أمام قرار صعب. فإن هم وافقوا على

وقف القتال سوف يتعرضون إلى موجة عارمه من انتقادات شعوبهم التي وضعت كل ثقتها بجيوشها المقاتلة في فلسطين وما زالت تأمل أن تستطيع هذه الجيوش التي قدمت التضحيات الجسيمة إحراز النصر على العدو واسترداد حقوق إخوانهم الفلسطينيين في وطنهم. وإن هم رفضوا الموافقة على وقف القتال فإنهم يخشون أن يقرر مجلس الأمن فرض العقوبات على دولهم بموجب ميثاق الأمم المتحدة. وبنفس الوقت فإن الجيوش العربية جميعها كانت تعاني من نقص خطير في ذخائرها وقد اجتمع القادة والسياسيين العرب في عمان بتاريخ ١ حزيران ١٩٤٨م لبحث هذا الموضوع ثم انتقلوا إلى بلدة عالية في لبنان في اليوم التالي لإستئناف مناقشاتهم. ولا أعرف شيئاً عن تفاصيل ما دار بهذه الإجتماعات لأنى لم أحضر أي منها. لكنني عرفت أنهم وافقوا بنتيجتها على قرار وقف إطلاق النار وعقد الهدنة لمدة أربعة أسابيع ابتداءً من يوم الجمعة ١١ حزيران ١٩٤٨م وذلك بحسب ما تم إبلاغنا رسمياً به وكانت موافقة الدول العربية هذه بتاريخ ٧ حزيران.

أما اليهود فقد رحبوا منذ البداية بقرار مجلس الأمن ووافقوا على وقف إطلاق النار وعقد الهدنة لأنهم كانوا يأمل الحاجة إلى هذه الفترة لكي يستردوا انفاسهم ويستكملوا إعادة تنظيم قواتهم الذي كانوا قد بدأوه لتوهم. والانتظار حتى وصول الكميات الضخمة من الأسلحة والذخائر التي سبق ان ابتاعوها من مختلف انحاء العالم وخصوصاً من تشيكوسلوفاكيا لكي يستأنفوا القتال من موقع القوة.

وهنا أحب أن أتوقف قليلاً عند موضوع هذه الهدنة لكي أحاول مناقشة مدى الضرر الذي نتج عنها على الجبهة العربية.

لقد تضاربت الآراء كثيراً حول الحكمة من قرار الموافقة على هذه الهدنة وبذلك الوقت بالذات بصرف النظر عن الظروف التي أدت إليه. ولقد كان الكثيرون من الضباط العرب وأنا واحد منهم نعتقد أن الموافقة على الهدنة كانت خطأً وأنها ألحقت ضرراً جسيماً بالجبهة العربية. وبهذا الصدد فإنى أطرح التساؤلات الآتية لأن الإجابة عليها سوف توضح ان كانت هذه الهدنة قد أضرت فعلاً بالجانب العربي وأفادت إسرائيل وانقذتها في الوقت الحرج بصرف النظر عن كون الدول العربية كانت مضطرة للموافقة عليها تحت ضغط من مجلس الأمن والدول الكبرى أم لا. حيث أن هذه الموافقة لا تعني ان الهدنة لم تكن مضرّة بالموقف العربي ومفيدة لإسرائيل.

أولاً : من هي الدول التي كانت وراء إصدار قرارات مجلس الأمن الدولي بوقف القتال بصفة مستعجلة ولماذا.

ثانياً : من هو المستفيد الأكبر من وقف القتال وعقد الهدنة من أطراف النزاع.
ثالثاً : هل وصلت الجيوش العربية بذلك التاريخ إلى حالة الإنهيار وأصبحت غير قادرة على القتال فعلاً.

وجواباً على كل هذه التساؤلات أقول ما يلي :

١ - ان بريطانيا وأمريكا كانتا دوماً تمثلان القوة المؤثرة في مجلس الأمن الدولي لاستصدار القرارات حول الصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين وهما بالتالي الدولتان الرئيسيتان اللتان كانت لهما اليد الطولى في تأسيس دولة إسرائيل وإظهارها الى حيز الوجود. وهما اللتان يهمهما بالتالي تثبيت دعائمها ضمن الرقعة التي احتلتها من فلسطين وان أمكن فبأكثر منها. ولهذه الأسباب فقد كانتا منذ البداية تحاولان منع الدول العربية وخصوصاً الحكومة الأردنية من إرسال جيوشها للدفاع عن المناطق العربية في فلسطين رغم ان اليهود كانوا قد تمكنوا من الإستيلاء ليس فقط على المناطق التي خصصت لهم بموجب قرار التقسيم بل على مساحات كبيرة من المناطق التي خصصها هذا القرار للعرب رغم ان فلسطين كلها هي أصلاً وطن العرب الفلسطينيين.

وبهذه الأثناء كان اليهود قد احتلوا العديد من المدن والقرى العربية وطرّدوا سكانها منها بقوة السلاح. ولم تقم هاتان الدولتان وخصوصاً بريطانيا التي كانت قواتها ما تزال في فلسطين لم تقم بحماية أرواح السكان العرب في بيوتهم وممتلكاتهم رغم مسؤوليتها عن ذلك بموجب صك الانتداب. وبعدها دخلت الجيوش العربية وتمركزت في الأجزاء المتبقية من المناطق العربية وأصبحت إسرائيل تشعر بالخطر وصارت الأحياء اليهودية في القدس تعاني من ضائقة الحصار وليس بمقدورها الصمود طويلاً تحركت هاتان الدولتان بسرعة واستصدرتا قرار مجلس الأمن القاضي بوقف القتال وفرض الهدنة لمساعدة إسرائيل. وبنفس الوقت مارستا ضغوطاً هائلة على الدول العربية لإجبارها على قبول الهدنة. ولتحقيق هذا الهدف قامت بريطانيا بمنع تزويد الدول العربية بحاجتها من الذخائر والأسلحة. كما حاولت شل قدرة الجيش العربي الأردني على الإستمرار بالقتال بأن قامت بوقف صرف المعونة المالية المنصوص عليها بالمعاهدة الأردنية البريطانية. وبالإضافة إلى منع شحن الأسلحة والذخائر فقد سحبت جميع ضباطها المعارين للجيش العربي من ساحة المعركة في أخطر مرحلة من القتال.

٢ - لقد كان اليهود بأمر الحاجة لهذه الهدنة التي ستعطيهم فرصة ذهبية لالتقاط انفسهم وإعادة تنظيم قواتهم المسلحة على الأسس الجديدة التي وضعوها لتوهم. ولتدريب

التشكيلات الجديدة التي استحدثوها وإلستيحاب الأسلحة الجديدة التي ابتاعوها من الخارج ولاسيما الأسلحة الرئيسية الثلاثة (الطائرات والمدفعية والدبابات) والتي بدأت تصلهم تباعاً. فالهدنة إذن تعطيهم الوقت اللازم لاستكمال وصولها والتدرب على استعمالها بدون أن تكون قطعاتهم مشغولة بالقتال.

والأهم من هذا كله ان الهدنة اعطت اليهود اخطر مكسبين لم يتمكنوا من تحقيقهما قبلها بقوة السلاح وهما :

أ - فك الحصار عن القدس حيث ضمنت شروط الهدنة لهم السماح بمرور قوافل التزويد اليها من تل أبيب عبر الطريق الرئيسية تحت إشراف منظمة الصليب الأحمر الدولية ومن يصدق ان مندوب هذه المنظمة كان يستطيع تفتيش هذه القوافل والتأكد من انها كانت تحمل المؤن والماء فقط ولا تحمل معها الاسلحة والذخائر التي كانت الوحدات العسكرية في القدس بأمر الحاجة لها ولم يعد بإمكانها الاستمرار بالقتال بدون تزويدها بها وبسرعة.

وحتى لو كانت هذه القوافل لا تنقل سوى المؤن والمياه فهم بهذه الهدنة تمكنوا من تزويد مدينة القدس الجديدة بما تحتاج إليه بسهولة ويسر وأصبح لديها من الاحتياطي ما يمكنها من الصمود في المستقبل أمام الحصار مدة طويلة بعدما كانت على وشك السقوط والاستسلام. ولو قامت الجيوش العربية بجهد عسكري موحد وبتصميم أكيد وعزم شديد لتحقيق ذلك. وهذه ميزة مهمة لم تتمكن اسرائيل من الحصول عليها إلا بواسطة الهدنة.

ب - لقد حصل اليهود بالهدنة على نوع من الاعتراف الضمني بدولتهم من قبل الدول العربية ولو أنه شكلي فقط. ورغم ان القيادات العربية كانت تنفي ذلك، فكون الدول العربية قد وافقت على وقف إطلاق النار والتفاوض على شروط هدنة بينها وبين دولة قائمة إسمها اسرائيل فإنها في الحقيقة تعترف ضمناً بهذه الدولة التي ستعقد الهدنة معها.

٣ - أما الجيوش العربية فعلى الرغم من أنها كانت جميعها تشكو من نقص شديد في الذخائر والأسلحة إلا أنها لم تكن قد وصلت إلى حالة اليأس والإنهيار بحيث لا تستطيع الإستمرار بالقتال ولو لفترة قصيرة وجهد أخير لكي تصبح الهدنة بالنسبة لها مطلباً ملحاً لانقاذها. ولكن هذه الجيوش كانت تعاني من عدم التعاون وعدم تنسيق خططها او توحيد جهودها لكي تحقق مكسباً مهماً بعملية مشتركة سريعة في ساحة القتال تستطيع

بواسطته ان تتفاوض على مطالب سياسييه مهمه ما دامت حربها هي في الأصل حرب سياسية. وإذا نظرنا إلى الجيوش العربية عامة قبل الهدنة فسوف نرى أنها جميعها قد استقرت في وضع الدفاع في الخطوط التي وصلتها وهي في أماكن كثيرة لم تصل حتى إلى حدود التقسيم. ولم تقم بجهد مشترك واحد لإحتلال هدف استراتيجي مهم كمدينة القدس مثلاً يمكن أن يعطيها ميزه عسكرية وسياسية في آن واحد. بينما كان اليهود قد أحتلوا سلفاً جميع المدن العربية المهمة تقريباً.

فإذا كان الزعماء العرب قد وجدوا انفسهم مضطرين إلى قبول الهدنة بسبب الضغوط السياسية التي تعرضوا لها أو بسبب نقص الذخائر والأسلحة لدى جيوشهم فإن هذا لا يعني أن الهدنة لم تكن مضره بالموقف العربي. لاسيما وأن الاحداث قد أثبتت ان حالة الجيوش العربية لم تتحسن أثناء الهدنة على الإطلاق. فهي لم تتمكن من استيراد أية كمية من الذخيره أو السلاح خلالها من أي مصدر رغم بعض المحاولات المحدودة التي لم تسفر عن شيء. وإن كل ما عمله العرب بموافقتهم على الهدنة انهم منحوا اليهود الفرصة التي كانوا بأمس الحاجة لها لكي تصلهم الذخائر والأسلحة الجديدة التي سبق ان ابتاعوها من مختلف بلدان العالم ومكنوهم من تزويد القدس بما تحتاج إليه من ذخائر ومؤن بما يمكنها من الصمود مدة طويلة. وبنفس الوقت فقد بقيت الجيوش العربية في مواقعها دون أن تتمكن من زيادة اسلحتها أو ذخائرها تنتظر تجدد القتال بعد انقضاء مدة الهدنة لتتلقى الضربات من القوات اليهودية التي أعيد تنظيمها وامتألت ترساناتها بالأسلحة والذخائر خلال فترة الهدنة. فكيف بعد هذا كله يمكن أن نقول ان قرار الموافقة على الهدنة كان صائباً. أو أنها لم تلحق بنا ضرراً جسيماً. ومن هذا المنطلق فإنني أرى أن كل ما قيل من تبريرات ومسيبات جعلت القيادات العربية مضطرة لقبول هذه الهدنة لا تعدو كونها تبرير لعجزها أو تقصيرها في توحيد قدراتها وتزويد جيوشها بحاجاتها من الأسلحة ووسائل القتال. وتهيئة أسباب النصر لها في المعركة. ويكفي أن نعرف أن المحرك الرئيسي وراء الأسراع باتخاذ مجلس الأمن قراره بالهدنة هو بريطانيا صاحبة وعد بلفور ومنفذته على أرض الواقع في فلسطين.

وفي هذا المجال ألم يكن من الأفضل لنا ما دمننا سنعود الى القتال بعد أربعة اسابيع ولم تكن قدرات جيوشنا قد تحسنت بشيء خلالها. ان نستمر بالقتال لاسيما وأن حالة قوات العدو قبل الهدنة كانت اضعف بكثير مما أصبحت عليه بعدها. ثم إذا كانت الدول العربية وجدت أن جيوشها لا تستطيع الاستمرار بالقتال بسبب نقص ذخائرها واسلحتها وعلى هذا

الأساس وجدت انه من الضروري الموافقة على الهدنة فلماذا إذن أصرت على عدم تجديد هذه الهدنة عند انتهائها وقررت العودة إلى القتال رغم الحاح الوسيط الدولي عليها لتجديدها. لاسيما وهي تعرف أنها لم تتمكن من تزويد جيوشها بأية كمية من الذخائر خلال سريان الهدنة. إنه لأمر عجيب ومحير لكل من يبحث بهذا الموضوع.

الإجراءات أثناء الهدنة :

١ - لم يكن بمقدورنا عمل الشيء الكثير لتحسين وضعنا العسكري خلال مدة سريان الهدنة، حيث ما زالت حكومتا بريطانيا وفرنسا مصرتان على موقفهما في منع تصدير الأسلحة والذخيرة إلى المنطقة. وهذا معناه ان الجيوش العربية لن تتمكن من تعويض الذخائر التي استهلكتها خلال فترة القتال لأنها كانت جميعها تعتمد على هاتين الدولتين في تسليحها. كما أن بريطانيا ما زالت تمنع صرف القسط المستحق من المعونة المالية للحكومة الأردنية بموجب المعاهدة ولهذا لم يكن بمقدور قيادة الجيش تجنيد الأعداد اللازمة لتعويض خسائر الكتائب من الجنود والتي كانت تعادل حوالي (٢٠ بالمائة) من ملاكها الأساسي. كما لم يكن ممكناً أمام هذا الوضع تشكيل وحدات جديدة على نطاق واسع لإضافة لواء آخر إلى الفرقة كما كنا نأمل. وب نفس الوقت فقد كانت الحكومة الأردنية غير قادرة عملياً على تزويد الجيش بأية مبالغ مالية إضافية لمواجهة هذه الالتزامات بسرعة لكي نستفيد من فترة الهدنة في التدريب واحداث التشكيلات الجديدة التي يمكنها زيادة فعالية الجيش العربي القتالية بشكل مؤثر.

وإزاء هذا الوضع الصعب لم يكن أمامنا أي خيار سوى اتخاذ بعض الإجراءات التنظيمية المحدودة ضمن الامكانيات المتيسرة من قطعات الفرقة والوحدات الإدارية التابعة لقيادة الجيش لتحسين أوضاع الكتائب المقاتلة بقدر الإمكان قبل انتهاء فترة الهدنة وتجدد القتال. أما بالنسبة لحاجتنا من الذخائر لتعويض النقص ولاسيما قنابل المدفعية فقد كان واضحاً أننا سوف لن نتمكن من الحصول على شيء منها. وانه يترتب علينا ان نخوض المعارك المقبلة في حال تجدد القتال بما تبقى لدينا من هذه الذخائر عند بدء الهدنة. أي أن وضعنا عند بداية فترة القتال الثانية سوف لا يكون أفضل منه عند نهاية فترة القتال الأولى ووقف إطلاق النار وكأن فترة الهدنة بينهما وجدت فقط لكي تخدم مصالح العدو بحيث يتمكن من إعادة تنظيم قواته واستكمال استيراد الأسلحة الجديدة وتدريب جنوده عليها واستيعابها في تشكيلاته الجديدة لكي يستأنف القتال

بقدره أفضل. بينما نقف نحن مكتوفي الأيدي لا نستطيع عمل شيء يذكر لتقوية فعاليات قطعائنا المقاتلة ومنتظر العدو حتى يكمل استعداداته ثم يوجه لنا الضربة القادمة. ولقد كانت هذه الأمور واضحة أمامنا منذ بداية الهدنة ولم يكن بمقدورنا ضمن الإمكانيات المتاحة عمل الشيء الكثير لتغييرها. اللهم إلا أن نغمض أعيننا وننسى جميع المبادئ العسكرية أو نشارك دولة رئيس الوزراء توفيق باشا أبو الهدى رأيه القائل أنه سوف لن يتجدد القتال. حيث كان يعتقد رحمه الله أن الدول الكبرى سوف تفرض على جميع الدول المعنية تجديد الهدنة وأن القضية سوف تتحول من ساحة القتال إلى ميدان السياسة لإيجاد حل لها. ولكن على فرض أننا استطعنا أن ننسى المبادئ العسكرية مؤقتاً ونفترض أن الدول الكبرى طلبت تجديد الهدنة فهل ننسى أن إسرائيل قادرة خلال الهدنة على زيادة فعاليتها العسكرية أضعافاً مضاعفة من حيث التسليح والتدريب وأنها ما زالت تطمح بإحتلال فلسطين بكاملها. أو على الأقل احتلال أهداف رئيسية أخرى مثل القدس والنقب وأنها قادرة أن تتحدى قرارات هيئة الأمم المتحدة كما اعتادت أن تفعل معتمدة على دعم أمريكا اللامحدود لها في مثل هذه الظروف. ولكن ما الفائدة الآن من التحليل والتأويل. فهذا هو الموقف الذي أصبحنا نواجهه. وهكذا كان وضعنا عندما بدأت الهدنة الأولى.

لا نخائر كافية ولا أسلحة جديدة ولا أموال إضافية متاحة. وعلينا أن نعمل ما نستطيع عمله ضمن إمكانياتنا الزهيدة المتيسرة فقط ومنتظر ما سوف تسفر عنه الظروف المقبلة.

٢ - بهذا الوضع بدأنا بتشكيل الكتيبة الخامسة من السرايا المستقلة والتي سبق أن عمل بعضها ضمن القوة المختلطة في عملية الهجوم على حي الشيخ جراح، وبعضها متواجد في أماكن أخرى. كما تم تجميع ما تحتاجه هذه الكتيبة من أسلحة مساندة ونقلات من وحدات الفرقة.

وقد شكلت هذه الكتيبة وعين قادتها على النحو التالي :

قائد الكتيبة	- وكيل القائد علي الحيارى
مساعد قائد الكتيبة وقائد السرية المساندة	- وكيل القائد كريم أوهان
أركان حرب الكتيبة	- الملازم الأول صالح الشرع
قائد السرية الأولى	- الرئيس سليمان مسعود
قائد السرية الثانية	- الرئيس محمد خلف العمري

- قائد السرية الثالثة - الملازم الأول راضي العبدالله الخصاونه
- قائد سرية القيادة - الملازم الأول عبدالله العايد

وقد تجمعت هذه الكتيبة في منطقة قرية (بيت حنينا) للتدريب.

وقد وضعنا لها برنامج تدريب مكثف لكي تكون جاهزة للعمليات الحربية قبل نهاية فترة الهدنة.

كما اعتمد رسمياً تشكيل الكتيبة السادسة من السرايا التي كانت في مدينة القدس القديمه ولتحسين وضعية ملاك الكتائب الأخرى زدوتنا قيادة الجيش بإعداد من الجنود من الوحدات الإدارية ومن الجنود الأغرار الذين تم تجنيدهم بشكل مستعجل وقد وزعناهم على الكتائب لتعويض جزء من النقص الذي حصل في مرتباتها بنتيجة الخسائر في المعارك السابقة. وبالإضافة لهؤلاء الجنود فقد ارسلت لنا قيادة الجيش سرية المشاة التاسعة عشر التي تم تجنيدها وتشكيلها حديثاً من جنود البادية. وقد وضعناها في بلدة (النبى صالح) شمال رام الله لاستكمال تدريبها ثم نقلناها بعد ذلك إلى قيادة اللواء الثالث حيث تركزت في منطقة مثلث بيت سيرا كقوة احتياطية.

كذلك قمنا بتشكيل بطارية مدفعية جديدة قوامها ثمانية مدافع مورتر ثقيل عيار (٤,٢) بوصه كانت في مستودعات الجيش. سبق ان سلمت لنا من الجيش البريطاني، وبهذه الأثناء قمنا بإجراء بعض التنقلات في مواقع القيادات. حيث اعدنا قيادة الفرقة الرئيسية من منطقة السلط وانضمت إلى القيادة الأمامية (التكتيكية) في منطقة (بيتونيا). ثم نقلناها جميعها إلى التلال الواقعة غرب مدينة رام الله. وبنفس الوقت اعدنا قيادة اللواء الأول من منطقة السلط إلى موقع جديد عند قرية بيتين شرق رام الله.

خلال هذه الفترة كان جلالة الملك عبدالله يبذل جهوداً مكثفة للحصول على كميات من الذخائر والأسلحة عن طريق اتصالاته الشخصية مع رئيس جمهورية تركيا ولكنها لم تسفر عن شيء. وأخيراً وبعد اتصالاته مع الأمير عبد الله تسلمنا من الجيش العراقي ثمانية مدافع عيار (١٨ ملم) كانت ملغاة عندهم ومعها أربعة آلاف قذيفة فقط. وقد شكلنا منها بطارية مدفعية إضافية ألحقنا بقيادة المدفعية ثم استخدمت بإسناد الكتيبتين السادسة والثالثة في مدينة القدس كما نقل العراقيون من جبهتهم مدفعين عيار (٦ عقده) مع طاقمهما الى منطقة شعفاط خلف التل الفرنسي لإسناد قطعتنا وللمساهمة بقصف مواقع العدو في القدس. ولكن بخيرتهما كانت محدودة.

٣ - وبعد اتمام هذه الإجراءات بقي أمامنا مشكلتين رئيسيتين هما :

الأولى : مسألة الدفاع عن مدينتي اللد والرملة حيث ما زال الدفاع عنهما يعتمد أساساً على قوات المناضلين من مختلف الفئات وعلى سرية المشاة الخامسة التي نقلت اليهما بتاريخ ٢٣ حزيران. ولا تتوفر لدينا قوات احتياطية لدعم دفاعات هاتين المدينتين في الوقت الراهن على الأقل. وأصبحت سلامتهما مرهونة بعدم تجديد القتال واستمرار الهدنة.

والثانية : هي وجود الفجوة الواسعة بين طرف جبهتنا بمنطقة بيت سيرا وطرف جبهة الجيش العراقي في منطقة مجدل يابا. وكانت هذه الفجوة خالية من أية قوات نظامية مما يجعل امكانية اختراق قوات العدو بين الجبهتين أمر في غاية السهولة والخطورة في آن واحد. ولمواجهة هذا الاحتمال جرت اتصالات مع القيادة العراقية ليقوموا بتمديد خطوطهم الدفاعية إلى الجنوب لإغلاق هذه الفجوة. ولكنهم اعتذروا على أساس ان حجم قواتهم المتوفرة لا يسمح بإطالة خطوطهم الدفاعية لأي مسافة أكثر مما هي عليه حالياً. ولذلك فإنه لم يبق أمامنا خيار سوى قبول هذا الوضع الخطر مؤقتاً والانتظار حتى ينتهي تدريب الكتيبة الخامسة لكي نسلمها جبهة الكتيبة الأولى ثم نسحب هذه الأخيرة الى احتياطي الفرقة لكي نعالج بها أي تطور قد يطرأ عبر هذه الفجوة بيننا وبين العراقيين حسب الاحتمالات المستجدة في حينها.

٤ - وأما مدينتي اللد والرملة فلم يكن بالإمكان دعم دفاعاتهما سوى بسرية المشاة الخامسة والتي كانت هي القوة الوحيدة المتوفرة لدينا في ذلك الحين وقد تقرر ارسالها كقوة رمزية لتدعيم وتنظيم قوات المناضلين المتواجده في المدينتين وتنسيق مواقعها الدفاعية بقدر الإمكان. وقبل حركة هذه السرية ببضعة أيام كلفني قائد الفرقة بأن أقوم بزيارة الى اللد والرملة للإطلاع على أوضاع المناضلين فيهما ودراسة الموقف الدفاعي بشكل عام وإعلامه بنتيجة مطالعاتي. وقد تحركت بنفس الليلة وأخذت معي الرئيس سليمان سعيد من ضباط البوليس الفلسطيني السابقين وكان قد بقي في مركز بوليس اللد ومعه عدد من جنود البوليس المسرحين للإشتراك بالدفاع عن المدينة. وقد قضينا تلك الليلة في اللد وفي الصباح قممت بجولة على جميع مراكز المناضلين وأطلعت على موجوداتهم من الأسلحة المختلفة والتي كانت لديهم كميات كبيرة منها وخصوصاً جماعه الجهاد المقدس. لكن معظم اسلحتهم هذه كانت عبارة عن بنادق ورشاشات وتنقصهم الأسلحة

المسانده الثقيلة مثل مدافع الميدان والمورتر ومدافع ضد الدروع. وبعد عودتي ابلغت قائد الفرقة بهذا الوضع بتقرير مفصل وذكرت له أنه من المستحيل أن تتمكن قوات المناضلين بشكلها الحالي من الدفاع عن المدينتين ضد هجوم مركز كبير تشنه قوات نظامية مدربه ومسلحه تسليحاً جيداً حتى ولو أضفنا لها سرية مشاه، كما كان مقررأ، ولكن بإمكان قوات المناضلين هذه لو أحسن تنظيمها وتوحدت قياداتها أن تقاوم هجوم العدو لمدة يوم أو يومين على الأكثر بينما تصلها قوة نظامية كبيرة لنجدها او لشن هجوم معاكس بسرعة. فكان جوابه أن الحكومة لا تتوقع ان يتجدد القتال. وعلى أي حال فإنه لا تتوفر لدينا اية قوات أخرى في الوقت الحاضر لإرسالها الى اللد والرملة. هذا بالإضافة إلى أن كون المدينتين تقعان في سهل منبسط ومساحتها واسعة فإنهما لا تشكلان موقعاً دفاعياً جيداً يمكن الصمود فيه لوقت طويل. فماذا نستطيع ان نعمل تجاه هذه الحالة وكل ما هو متوفر لدينا من القوات الإحتياطية هو السرية الخامسة فقط والتي سوف نرسلها كقوة رمزية لرفع معنويات المناضلين والسكان ومساعدتهم بقدر الإمكان. وللحفاظ على بقاء هاتين المدينتين ضمن المنطقة العربية في حال استمرار الهدنة.

وعلى هذا الأساس أصدر قائد الفرقة أمراً بأن تتحرك السرية الخامسة إلى مدينتي اللد والرملة لتأسيس مواقع دفاعية فيهما بالنقاط الحساسة ومن ثم الاتصال مع قيادات المناضلين لتنسيق اعمالهم والتعاون معهم لتنظيم الدفاع عن المدينتين حسب الإمكانيات المتوفرة لديهم.

وبعد وصول السرية قام قائدها بتركيز فئاته بالمواقع الآتية :

فئة في محطة سكة حديد اللد.

فئة في موقع تقاطع طرق اللد - الرملة - صرند.

فئة في مقام النبي صالح في الطرف الجنوبي من الرملة.

كما وضع قيادته في مركز بوليس اللد. وقد بقي ارتباط هذه السرية مع قائد اللواء الثالث من كافة الوجوه الحربية والإدارية.

وفي اليوم التالي حضر لزيارتنا قائد الجيش وعقد معنا اجتماعاً حضره قائد الفرقة وقائد اللواء الرابع القائمقام أحمد صدقي الجندي والركن الأول وأنا. وبعد أن شرحت لهم نتيجة مشاهداتي في اللد والرملة كما سبق وشرحتها لقائد الفرقة. كرر قائد الجيش قوله

أن المأمول أن تستمر الهدنة ولا يتجدد القتال حسب تأكيدات دولة رئيس الحكومة توفيق باشا أبو الهدى له.

ولذلك فقد تقرر أن يتأسس في اللد والرملة نوع من الوجود الرسمي الأردني في الوقت الحاضر. وعليه فقد تم تعيين وكيل القائد إدريس سلطان حاكماً عسكرياً للمدينتين وصدرت له التعليمات لكي يتحرك إلى مركز عمله بالسرعة الممكنة. وب نفس الوقت طلب من قائد اللواء الرابع تزويده بما يحتاجه من جنود الحراسة وجهاز لاسلكي على أساس أن ارتباطه المباشر سوف يبقى مع قائد اللواء الرابع. وفي اليوم التالي تحرك إدريس مع أحمد صدقي إلى اللد وقاموا بتأسيس مكتب الحاكم العسكري في بناية مركز البوليس الواقعة بين المدينتين. وقد زوده قائد اللواء الرابع مبدئياً بجنود لاسلكي وبعض ضباط الصف ثم أرسل له فيما بعد فئة مشاه لحراسة المكتب وكمية من ذخيرة البنادق لتوزيعها على المناضلين. وبدأ إدريس سلطان عمله بالاتصال مع رؤساء البلديات ومحاولة تنظيم الإدارة والتنسيق مع قائد السرية الخامسة وقادة المناضلين لتنظيم الدفاع وإرساء التعاون بين الجميع حسب مقتضيات الظروف والاستعداد لحالات الطوارئ فيما إذا تجدد القتال.

هذا مجمل ما استطعنا أن نقوم به من إجراءات خلال فترة الهدنة وهي ليست كثيرة ولا هي بحجم يزيد من فعالية قواتنا المقاتلة بشكل ملحوظ وذلك لعدم توفر الامكانيات اللازمة لتشكيل وحدات جديدة وأهمها الذخائر والأسلحة والأموال.

صحيح أننا تمكنا من تشكيل كتيبه إضافية لكنها تكونت من سرايا كانت موجودة أصلاً ضمن ملاك الفرقة. ولكن وضعنا بقي تقريباً كما كان عليه الحال قبل الهدنة مع تحسينات طفيفة.

٥ - أما عن الجيوش العربية الأخرى فلم نكن نعرف الكثير عن أوضاعها الداخلية لعدم وجود التنسيق أو الاتصال المباشر معها باستثناء الجيش العراقي الذي كان يزودنا بمعظم المعلومات المهمة باستمرار عن طريق ضابط الارتباط العراقي الرئيس الأول مظفر التكريتي. ومن أهم ما تمكنت القوات العراقية عمله أثناء الهدنة أنها جندت أربعة كتائب من المناضلين الفلسطينيين وسلحتها ودربتها واستخدمتها بالدفاع عن بعض المواقع بقيادة ضباط عراقيين. وبهذه الطريقة أمكنها توفير ما يعادل حجمها من القوات النظامية كقوة احتياطية يمكن استخدامها في مجالات أخرى. وبالإضافة لهذا فقد بدلت الفوج النظامي الذي كان مستخدماً في الدفاع عن منطقة جسر الجامع بفوج من قوة

الشرطة وصل حديثاً من العراق ونقلت الفوج النظامي إلى منطقة نابلس. وبهاتين العمليتين توفر للقوات العراقية المقاتلة خمسة أفواج نظامية إضافية وهي تعادل جميع قوات الجيش العربي الأردني وبالإضافة لكل ذلك فقد تم تزويدهم بجحفل لواء جديد هو جحفل اللواء الثالث الذي وصلهم بعد إنتهاء الهدنة بمدة يومين. وبهذا أصبحت القوات العراقية تتألف من فرقة كاملة قوامها ثلاثة جحافل ألوية والقوة الآليه وبعض الكتائب الأخرى بالإضافة الى كتائب المناضلين الفلسطينيين. وهذا ما جعلنا نأمل أن يوافق العراقيون على توسيع خطوط دفاعهم إلى الجنوب لكي يغلّقوا الفجوة بيننا وبينهم. ولكنهم رأوا أنهم لا يستطيعون القيام بذلك.

٦ - أما المصريون فلم يزودونا بأية معلومات عن تطور قواتهم كما لم يزودوا القيادة المشتركة رغم أننا فهمنا أنهم زادوا حجم قواتهم بأفواج أخرى واسلحة جديدة ومدفعيه ميدان رغم محدوديتها. كما أنهم لم يعطونا أية معلومات عن خططهم المستقبلية في حالة تجدد القتال.

٧ - وهكذا فيما عدا بعض الإجراءات المحدودة فقد أصبحت الجبهات العربية هادئة ساكنة بانتظار الضربه القادمه. وكأن هذه الهدنه كانت منحة لليهود لكي يتمكنوا من إتمام تجهيز تشكيلاتهم الجديده وتسليحها وتدريبها واستكمال استيراد الاسلحة والذخائر واستيعابها من قبل قطعاتهم والاستعداد لاستئناف القتال بعد انتهاء فترة الهدنه التي عرفوا كيف يستفيدون من كل دقيقة منها ولم يعرف العرب.

٨ - ولقد كانت الأولوية الأولى عند اليهود على صعيد التزويد هي مسألة ابطال فعالية حصار مدينة القدس. ولتحقيق هذا الهدف بدأوا بتمرير كميات ضخمة من المؤن بقوافل كبيرة عبر الطريق الرئيسي التي تمر من باب الواد ليلاً ونهاراً حيث أن شروط الهدنه اتاحت لهم ذلك بحيث أصبح في القدس ما يكفيها من التزويد لعدة أشهر. وبنفس الوقت قاموا بتوسيع وتحسين (طريق بورما) واخذوا يمررون منها القوافل العسكرية الضخمة لتزويد حاميه المدينة بالأسلحة والذخائر والوحدات العسكرية الإضافية، وقد كان هذا الإجراء مخالفاً لشروط الهدنه. ولكن كل ما كانت الحكومة الأردنية تستطيع عمله هو الاحتجاج إلى الوسيط الدولي الذي لم يتمكن بدوره من منعها.

كما تمكن اليهود من تمديد خط أنابيب جديد لجر المياه الى المدينه بمحاذاة طريق بورما لتزويدها بحاجتها من الماء بعد قطع مصدرها من رأس العين. وبنفس الأسلوب تمكنوا من تزويد جميع مستعمراتهم التي كانت معزولة في منطقة النقب خلف الخطوط المصرية

بجميع حاجاتها من الذخائر والمؤن بما يمكنها من الصمود مدة طويلة في حالة الحصار. أما على الصعيد العسكري فقد تمكنوا من تجنيد اعداد هائلة من الرجال والنساء وشكلوا منهم كتائب جديدة. باثروا بتسليحها وتدريبها على نطاق واسع حيث بدأت تصلهم شحنات الأسلحة الضخمة التي سبق ان تعاقدوا على شرائها من جميع انحاء العالم وأهمها تشيكوسلوفاكيا حيث اشترى منها الطائرات والدبابات والمدافع. وكذلك من أمريكا وغيرها. وقد أصبحت تشيكوسلوفاكيا قاعدة رئيسية لشحن هذه الأسلحة جواً وبحراً والتي كانت تصل إلى إسرائيل تحت نظر مراقبي هيئة الأمم المتحدة الذين لم يكن بمقدورهم منع انزالها أو حتى الإطلاع عليها حيث كان اليهود يمنعونهم من دخول الموانئ والمطارات. وما داموا انهم قادرين على تحدي قرارات هيئة الأمم المتحدة وجلب السلاح رغم الحظر المفروض من قبل هذه الهيئة الدولية فماذا يهمهم من تحدي الوسيط الدولي ومراقبي هيئة الأمم المتحدة. وما دام أن العرب عاجزين عن مظاهراتهم بجلب الأسلحة من الخارج وقانونون بالاستمرار في حالة الجمود التي كانت سائدة على جميع الجبهات فماذا يريد اليهود أفضل من هذا الوضع لإستئناف القتال وتحصيل ميزات جديدة في ميدان المعركة ما داموا قد أصبحوا في موقع القدرة وأصبح العرب في موقع الضعف.

٩ - لقد أضاع العرب فرصتهم الأولى للتغلب على العدو بدخولهم الحرب بدون خطة متكاملة، وقيامهم بفتح جبهات متفرقة تقاتل فيها جيوشهم منفصلة عن بعضها. ولم يدخلوا الحرب بحشد كل ما كان متوفراً لديهم من وحدات عسكرية وما كان متيسراً من احتياطي حشداً واحداً متكاملأ وتطبيق أسس وقواعد الحرب المعروفة في العالم والتي في مقدمتها الهدف الأساسي وهو تدمير قوات العدو المقاتلة، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ان يضعوا جيوشهم بإمرة قيادة واحدة فعالة تدعمها وتسندها حكوماتهم لتحقيق أهداف الاستراتيجية العليا للحرب. وربما كانت تلك هي فرصتهم الأخيرة كذلك كما اثبتت الأحداث حتى الآن.

ولقد أضاع العرب فرصتهم الثانية بعد دخولهم الحرب وذلك بوضع جيوشهم بمواقع دفاعية ثابتة ضمن الخطوط التي نص عليها قرار التقسيم ولم يتمكنوا من الاتفاق على توحيد جهودهم أو حتى على تحقيق التنسيق الصحيح بين هذه الجيوش لكي يستطيعوا الاستيلاء ولو على هدف استراتيجي مهم واحد على الأقل كمدينة القدس مثلاً قبل ان يوافقوا على الهدنة الأولى لكي يصبح لديهم مركز مفاوضه له قيمة حيوية ما داموا

يعرفون أن حربهم هذه كانت حرباً سياسية وأنه ليس بمقدورهم تدمير قوات العدو المقاتلة لأنهم غير قادرين على الاتفاق المخلص فيما بينهم لتوحيد جهودهم في هذا السبيل وانهم يعرفون بالتالي أنهم سيكونون مضطرين للإنصياع للضغوط التي تمارسها عليهم هيئة الأمم والدول الاستعمارية لإجبارهم على قبول الهدنة التي وضعت أصلاً لمساعدة إسرائيل. ولكن على الأقل كان بمقدور الزعماء العرب أن يتفقوا ولو مؤقتاً لكي يحتلوا مدينة القدس بكاملها ثم يقبلوا الهدنة بعد ذلك.

وباتفاقهم المخلص لو تحقق كان بإمكانهم أن ينجزوا هذا الهدف المحدود والمهم بنفس الوقت ويفرضوا أمراً واقعاً ولو مرة واحدة في حياتهم.

والآن، وبعد كل هذه العنجهيات والإصرار على التفرقة والتناحر والتخاذل اخذوا يرفضون تجديد الهدنة التي كانوا يقولون انهم وافقوا عليها مضطرين لأن جيوشهم كانت تعاني من نقص الذخائر ولا تستطيع الاستمرار في القتال ومع ذلك فهم الآن يصرون على استئناف هذا القتال من جديد وهم يعرفون جيداً أنهم لم يتمكنوا خلال الهدنة الأولى من تزويد جيوشهم ولو بجزء مما كان ينقصها من الذخائر والأسلحة ولم يتمكنوا من زيادة فعاليتها بالقدر الذي يضاهاى ربع ما حققه اليهود من زيادة في فعالية قواتهم. فلماذا إذن يصبر هؤلاء السادة على إنهاء الهدنة والعودة إلى القتال ما دامت حالة جيوشهم لم تتحسن عن ما كانت عليه قبلها. ثم إذا كانوا يعتقدون أن جيوشهم التي لم يزيدها فعاليتها بشيء يذكر كانت قادرة على القتال فلماذا إذن اوقفوها عن هذا القتال عندما وافقوا على الهدنة الأولى.

وما هو قول قادة هذه الجيوش الذين كانوا ينصاعون الى جميع أوامر قياداتهم السياسية ويحملون هم أنفسهم بنتيجتها أخطر المسؤوليات تجاه جنودهم ووطنهم والتاريخ. وسوف اترك النقاش حول هذه المسائل الآن لبحثها بمكان آخر.

١٠- ولكن لا بد هنا من الإشارة إلى الإجراءات التي قام بها الوسيط الدولي خلال فترة الهدنة الأولى وأوجزها بما يلي :

أ - منذ اليوم الأول لبدء الهدنة قام الكونت برنادوت بتوزيع الضباط المراقبين الذين جندهم لهذه الغاية على كافة الجبهات للأشراف على تطبيق وقف إطلاق النار والتقيد بشروط الهدنة.

وكان أول عمل قام به هؤلاء المراقبون هو تثبيت المواقع الأمامية التي تتمركز بها قوات الطرفين في وقت بدء الهدنة على الخرائط وإعتبار أن المناطق الواقعة بين هذه

الخطوط المتقابلة مناطق حرام لا يجوز لأي من قوات الطرفين دخولها.

وقد كانت هذه المهمة سهلة بالنسبة للخطوط الواقعة خارج المدن حيث أن هذه المواقع واضحة المعالم وبعيدة عن بعضها.

وقد تم ترسيم هذه الخرائط لخطوطنا الأمامية بالتنسيق مع قادة الألوية وسلمت نسخة منها إلى المراقبين الدوليين. ولكن بالنسبة لمدينة القدس فقد كانت المسألة أكثر تعقيداً نظراً لاكتظاظ الأبنية وتداخلها وقرب المواقع التي تتمركز فيها القوات الأمامية من بعضها. ولهذا فقد دعي الوسيط الدولي لعقد اجتماع يحضره مندوبون عن الجيش العربي وعن القوات اليهودية بإشراف المراقبين الدوليين لتثبيت المواقع الأمامية لقوات الجانبين وبيان المناطق الحرام على خرائط يتم التوقيع عليها من قبل مندوبي الطرفين ليتقيدوا بها في المستقبل. وقد مثل الجانب الأردني في هذا الاجتماع قائد الكتبية السادسة وكيل القائد عبدالله التل وقائد الكتبية الثالثة وكيل القائد (هينكل تيرفن). وأركان حرب الكتبية الملازم الأول خالد المجلي الخريشة. ومثل الجانب الإسرائيلي الكولونيل شالتيل قائد قواتهم في القدس والميجر دايان وعدد من ضباط الأركان. وقد تم الاتفاق بهذا الاجتماع على خريطة تبين الخطوط الأمامية للطرفين ومناطق الحرام في مدينة القدس وتم التوقيع عليها من قبل مندوبي الطرفين ولكن هذه الخرائط لم تشمل منطقة جبل المشارف (سكوبس) الذي تقع عليه بنايات هداسا والجامعة العبرية حيث وضعت لهذه المنطقة اتفاقية خاصة بتاريخ ٧ تموز ١٩٤٨م وقع عليها قائد الفرقة اللواء (لاش) عن الجانب الأردني وقائد القوات اليهودية في القدس الكولونيل شالتيل عن الجانب الإسرائيلي كما وقعها قنصل بلجيكا في القدس بصفته رئيس اللجنة القنصلية التابعة لهيئة الأمم كما وقعها كبير المراقبين الدوليين في القدس.

وهكذا تركت منطقة هداسا والجامعة العبرية وشأنها وبقي الجنود اليهود فيها يطلقون النار على مواقعنا حتى بداية الهدنة.

وبعد ذلك اقترح الكونت برنادوت تجريد منطقة هداسا والجامعة العبرية من السلاح وتسليمها الى هيئة الأمم المتحدة، وعندئذ طلب قائد الجيش من قائد الفرقة اللواء لاش حضور الاجتماع والتوقيع على اتفاقية هداسا. وعلى إثر توقيع هذه الاتفاقية دخل مراقبو هيئة الأمم المتحدة إلى المنطقة وأشرفوا على خروج قافلة تحمل الجنود اليهود مع اسلحتهم الى الأحياء اليهودية في القدس الجديدة وتركوا فيها العدد

المسموح به من الرجال الذين كان من المفروض انهم من رجال الشرطة. والذين ثبت فيما بعد أنهم كانوا سرية كاملة من الجيش الاسرائيلي بدلوا ملابسهم وكما ثبت فيما بعد ان المنطقة لم تجرد من السلاح بل بقي فيها كميات من الاسلحة الخفيفة والرشاشات ومدافع المورتر وخلافها. وان مندوبي هيئة الأمم المتحدة لم يوفوا بالتزاماتهم حول شروط الاتفاقية التي وضعت أصلاً بمبادرة من الكونت برنادوت عندما اقترح تجريد المنطقة من السلاح ووضعها تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. ومع مرور الزمن سيطرت القوة اليهودية التي بقيت في هداسا على تلك المنطقة. وأخذت تمنع ضباط هيئة الأمم المتحدة انفسهم من التجول بداخلها بحرية ولم تعد تسمح لهم بالدخول الا لأماكن معينة ولفترات محدودة فقط.

ولكن لا بد ان اللواء لاش كان مخولاً من جهة عليا بذلك. وبهذه الحالة هل من المعقول ان يوافق على مثل هذه الشروط قبل الرجوع إلى تلك الجهة العليا التي خولته. ولو فرضنا ان تلك الجهة العليا هي قائد الجيش الفريق كلوب فهل اخذ الفريق على عاتقه هذه المسؤولية. كذلك لست أدري. ولكن على أي حال فقد نفذت الاتفاقية وبقي أمر وضعها بهذه الصيغة وتوقيع اللواء لاش عليها لغزاً محيراً لم اعثر له على تفسير عند أحد.

(انظر النص الكامل للإتفاقية في الملحق رقم (٢)).

ب - ولنعد الآن الى الكونت برنادوت الذي انصرف بعد إتمام الإجراءات الأولية لتطبيق وقف اطلاق النار وشروط الهدنة بكل جهوده لتحضير مقترحاته لحل مشكلة فلسطين حلاً جذرياً. وفي سبيل ذلك نشط باتصالاته مع جميع الدول المعنية بالصراع لتأمين موافقتها على تمديد فترة الهدنة لمدة أخرى لتجنب تجدد القتال من جهة ولاعطاء فرصة أفضل لإمكانية التوصل الى حل نهائي تقبل به جميع الأطراف المتنازعة من جهة أخرى.

وبتاريخ ٢٨ حزيران نشر الكونت برنادوت مقترحاته الأولية والتي كانت أهم مرتكزاتها ما يلي :

١ - ان تتحد المناطق العربية من فلسطين مع شرق الأردن. وان تقوم الأردن التي تكونت بهذا الشكل بالدخول باتحاد مع اسرائيل.

٢ - ان يتولى هذا الاتحاد الشؤون الاقتصادية والخارجية والدفاع.

٣- مع الأخذ بعين الاعتبار شروط وثيقة الاتحاد تتولى كل من الاردن واسرائيل شؤونها الداخلية الخاصة بها.

وقد أرفق مع هذه المقترحات ملحقاً يبحث الشؤون التفصيلية الخاصة بتقسيم المناطق. وبهذا الملحق اقترح برنادوت ما يلي :

أولاً : ضم جميع منطقة النقب أو جزءاً منها إلى الأردن.

ثانياً : وبالمقابل ضم جميع منطقة الجليل الغربي أو جزءاً منها إلى اسرائيل.

ثالثاً : ان تضم القدس للمنطقة العربية وان يعطى السكان اليهود فيها ادارة ذاتية.

رابعاً : ان تكون حيفا ميناء حراً وتكون اللد مطاراً حراً.

وعلى الرغم من ان هذه المقترحات قد اعتبرتها اسرائيل منحازة لمصلحة الأردن فإن الدول العربية رفضتها على اعتبار انها مبنية اساساً على مشروع التقسيم وعلى قيام دولة يهودية في فلسطين وهذا ما رفضته الدول العربية في السابق وما زالت ترفضه.

وأما اليهود فقد رفضوها لأسباب أخرى. أهمها انهم لا يمكن أن يوافقوا على سيطرة العرب على مدينة القدس. ولا ان يعطى النقب او قسماً منه للعرب. ولا ان تضم الاقسام العربية من فلسطين الى الأردن.

ومهما كان الأمر فإن هذه المقترحات حتى لو قبلها العرب فإن مسألة الاتحاد بين الأردن وإسرائيل ستكون مشكلة يصعب فهم كيفية تطبيقها ومن المستحيل ان يقبل بها أي طرف عربي وبالأخص الشعب الفلسطيني. وعلى هذا الأساس فإنها لا تعدو كونها مقترحات نظرية لا يمكن تطبيقها عملياً والأرجح أن (برنادوت) كان يعرف استحالة تطبيق هذا النوع من المقترحات ولكنه كما يظهر كان يبحث في كافة الاتجاهات ويناقش أي نوع من الأفكار لعله يتوصل بالنهاية الى مقترحات معقولة يقبلها الطرفان كأساس للتسوية النهائية.

ومن هذا المنطلق استمر الكونت برنادوت بتكثيف نشاطاته وبذل أقصى جهوده بلا كلل ولا ملل لإقناع الدول المعنية بالموافقة على تجديد الهدنة كمرحلة أولى. وكان يهدف من وراء ذلك كله كسب المزيد من الوقت لعله يستطيع التوصل الى حل سياسي ترضى به جميع الأطراف. وتجنب إراقة المزيد من الدماء في حالة تجدد القتال.

ومن الغريب ان اسرائيل هي التي وافقت على تجديد الهدنة رغم انها تمكنت من مضاعفة حجم قواتها وإكمال تسليحها وتجهيزها. وتجاوزت قدراتها القتالية قدرات كافة الجيوش العربية مجتمعة. بينما رفضته الدول العربية وهي التي كانت قد وافقت على عقد الهدنة الأولى أصلاً بسبب نقص الذخائر والأسلحة لدى جيوشها بحيث لم يكن بإمكانها الاستمرار بالقتال بضعة أيام أخرى.

جـ - وعلى الرغم من أن قادة الدول العربية كانوا يعرفون أنهم لم يتمكنوا من زيادة قدرات جيوشهم وتزويدها بالأسلحة والذخائر التي كانت تفتقر لها خلال الهدنة فإنهم كانوا جميعاً (ما عدا الملك عبد الله) يصرون على عدم تجديد الهدنة. ولقد كانت هذه المواقف محيرة فعلاً. ولم نكن نفهم اسبابها في ذلك الحين حيث كان يصعب علينا ان نقبل أي تفسير لما كنا نلمسه من تخاذل العرب وتناحر قياداتهم وعدم تعاونها منذ بداية القتال. ذلك التعاون الذي لو تم بإخلاص لكان بإمكان القوات العربية ان تخوض معارك متوازنة ضد قوات العدو الإسرائيلي بحسب الأسس والقواعد السليمة للحرب التي في طليعة أهدافها تدمير قوات العدو المقاتلة لكسر إرادته على القتال. وتحقيق هذا الهدف سوف نستطيع الاستيلاء على الأراضي والمدن كنتيجة حتمية للقتال بعد ذلك. ولو لم تتمكن القوات العربية من تدمير قوات العدو المقاتلة بكاملها لأمكنها على أي حال ان تكبده خسائر هائلة بالأرواح والمعدات لا قبل له بها وقد تكون نتائجها حاسمة في مسيرة تلك الحرب. أو على الأقل لاستطعنا الإستيلاء على مدينة القدس بكاملها بإعتبارها أهم هدف حيوي في فلسطين. الأمر الذي ربما نتج عنه تغيير جذري لنتائج الحرب برمتها .

كما كان يصعب علينا أن نفهم بعد أن قبلت القيادات السياسية العربية بوقف إطلاق النار وبعقد الهدنة بسبب نقص الذخائر والأسلحة لدى جيوشها لماذا قررت الآن رفض تجديد الهدنة وأصررت على استئناف القتال من جديد وهي تعرف جيداً أنها لم تتمكن من تحسين قدرات جيوشها خلال فترة الهدنة بينما تمكن العدو من مضاعفة قواته وتزويدها بكميات هائلة من الأسلحة والذخائر وإعادة تنظيمها. بحيث أصبح بمقدورها القيام بعمليات حربية كبرى متوازنة وإن تنتزع زمام المبادرة من الجيوش العربية وتحتفظ به حتى نهاية القتال .

وإنني لا أجد تفسيراً معقولاً لهذه المواقف المتناقضة سوى ان الزعماء السياسيين كانوا يأخذون القرارات الحربية كوسيلة لتدقيق غايات سياسيه معينة وإرضاء الشارع العربي ولتجنب غضبة الجماهير بأي ثمن .

ومهما كان الأمر فقد بدأت اللجنة السياسية للجامعة العربية إجتماعاتها في القاهرة بتاريخ ٣ تموز عام ١٩٤٨م لكي تبحث موضوع الهدنة. وقد كان من أكثر السياسيين العرب حماساً لإنهاء الهدنة واستئناف القتال السيد محمود فهمي النقراشي رئيس وزراء مصر رغم أنه كان من أشدهم حماساً وإصراراً على ضرورة قبول الهدنة قبل شهر فقط لدرجة أنه هدد الدول العربية إن لم توافق على قبول الهدنة فإنه سوف يعقد هدنة منفردة مع اليهود. كما كان في مثل حماسه هذا السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان رغم انه لم يكن للبنان في ذلك الوقت قوات عسكرية بداخل فلسطين لها تأثير مهم في القتال. وقد أثر هذين الزعيمين بدورهما على باقي زعماء الدول العربية لكي يقرروا عدم تجديد الهدنة. وقد كان الملك عبدالله هو الوحيد بين الزعماء العرب الذي طالب بضرورة تجديد الهدنة وعدم العودة للقتال بسبب ما كانت تعانيه القوات الأردنية والقوات العربية الأخرى من نقص في الذخائر والأسلحة وبسبب التفوق الهائل الذي استطاع اليهود تحقيقه في هذا المجال خلال سريان الهدنة. وقد أرسل رئيس وزرائه دولة السيد توفيق أبو الهدى لحضور إجتماع اللجنة السياسية مزوداً بتعليمات مشددة أن لا يوافق على إنهاء الهدنة مهما كانت الظروف وان يقنع باقي الساسة العرب بوجهة النظر هذه .

وعلى الرغم من محاولات الوسيط الدولي الكونت برنادوت طيلة فترة الهدنة مع جميع الزعماء العرب لإقناعهم بقبول تجديدها وعلى الرغم من تدخل الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية مع الدول العربية إلا أن اللجنة السياسية اتخذت قرارها يوم ٨ تموز عام ١٩٤٨م برفض تجديد الهدنة وقد قام السيد عبد الرحمن عزام بإبلاغ هذا القرار الى الكونت برنادوت بإسم الجامعة العربية .

ومن غرائب المفارقات أنه بتاريخ ١٠ تموز وعندما غادر برنادوت المنطقة متوجهاً إلى مقر هيئة الأمم المتحدة في أمريكا أشرق إلى جميع الحكومات المعنية يناشدها أن توافق على تمديد الهدنة لمدة عشرة أيام أخرى. ورغم أن اليهود كانوا قد بدأوا العمليات الحربية وكان هجومهم في منطقة اللد والرملة قد أصبح في مراحله المتقدمة إلا أنهم أشرقوا إلى الكونت برنادوت يبلغونه بموافقة الحكومة الإسرائيلية على إقتراحه إذا وافقت الدول العربية عليه. ولكنهم كانوا يتوقعون أن هذه الدول لن توافق وهذا سوف يعطيهم قوة إضافية لموقفهم السياسي في أوساط الرأي العام العالمي وخصوصاً في أمريكا .

أما الدول العربية فقد رفضت هذا الإقتراح مباشرة. وقد كان قرارها برفض تجديد الهدنة بشكله الذي اتخذ فيه بمثابة دعوة الى الكارثة حيث أن السياسيين العرب قرروا رفض تمديد الهدنة والعودة إلى القتال ولكنهم إشتروا أن تلتزم الجيوش العربية بموقف الدفاع. وهذا معناه أنهم قرروا أنه بدلاً من أن تبقى جيوشهم في مواقعها في حالة هدنة أصبح عليها أن تبقى في مواقعها الدفاعية الثابتة نفسها وتطلق يد العدو بالهجوم عليها في أي مكان وزمان يقرره هو وأن عليها أن لا تتعرض له سوى بإطلاق النار من مواقعها الدفاعية. وما على العدو بهذه الحالة إلا أن يكرر حركاته التعرضية حتى تستهلك القوات العربية كل ما تبقى لديها من الذخائر ثم يدمرها بعد ذلك بسهولة. وهذا أوضح دليل على عدم قدرة السياسيين العرب على فهم معنى الحرب وإصرارهم رغم ذلك على التدخل في الشؤون العسكرية. واتخاذ القرارات الحربية المصيرية التي تكون في غالب الأحيان على خلاف رأي قادة جيوشهم الذين عليهم رغم ذلك يقع عبء مسؤولية فشل المعارك الناتج عن تلك القرارات التي كان لها النصيب الأكبر في التسبب بما حل بهذه الجيوش العربية من هزائم والتي اخذ السياسيون فيما بعد يتصلون من مسؤوليتها ويلقون اللوم على القادة العسكريين ويصنعون منهم كبش الفداء أمام شعوبهم .

فترة القتال الثانية :

لقد كان إصرار العدو الإسرائيلي على إحتلال منطقة اللطرون وباب الواد لفتح طريق القدس من أبرز معالم فترة القتال الأولى التي سبقت اعلان الهدنة. وعلى الرغم من الهجمات المتكررة التي شنها على هذه المواقع والخسائر القادحة التي تكبدها في تلك المعارك الطاحنة فإنه لم يتمكن من تحقيق أهدافه المتمثلة بفك الحصار عن مدينة القدس وتزويدها بالمؤن والذخائر. وجاءت الهدنة واعطت العدو فرصته الذهبية لإعادة تنظيم قواته وتزويد القدس بما يكفيها من الماء والمؤن والذخيره لفترة طويلة من القتال وليستعد للجولة الثانية التي كان يعرف أنها لابد قادمة حالما تنتهي فترة الهدنة .

وكما شرحت سابقاً فإننا لم نتمكن من الإستفادة من فترة الهدنة بزيادة قدرة قواتنا سواء كان ذلك بإضافة وحدات جديدة أو بإدخال كميات من الأسلحة والمعدات والذخائر التي كنا بأمس الحاجة لها كما فعل اليهود. والأسباب التي كان المسؤولون يتذرعون بها

هي عدم وجود المال الكافي لتجنيد الأعداد الإضافية اللازمة ولشراء الأسلحة والذخائر. ولكن حقيقة الأمر هي أن الحكومة الأردنية عجزت عن توفير الأموال اللازمة لأن الحكومة البريطانية أوقفت صرف القسط المستحق من المعونة المالية بموجب المعاهدة. كما منعت شحن أي كمية من الأسلحة والذخائر مهما كان نوعها على أثر قرار هيئة الأمم المتحدة الذي صدر بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨م بوقف العمليات الحربية. كما سحبت جميع الضباط الإنجليز العاملين في الجبهة بتاريخ ٣٠ أيار للضغط على الحكومة الأردنية لإرغامها على القبول بوقف القتال. ولا غرابة في كل هذا لأننا يجب أن لا نتوقع من المستعمرين أفضل من هذا النوع من التحكم والابتزاز ما دمنا نخضع لحكمهم .

وعلى الرغم من هذه الأوضاع البائسة فقد تمكنا من تشكيل وتدريب الكتيبة الخامسة خلال فترة الهدنة وقد تسلمت مواقعها الدفاعية في منطقة الرادار والنبى صموئيل من الكتيبة الأولى بتاريخ ٧ تموز أي قبل انتهاء فترة الهدنة بمدة يومين. وبالنتيجة أمكن سحب الكتيبة الأولى من الخط الأمامي ووضعها في الاحتياط الرئيسي لقيادة الفرقة بمنطقة قرية (دير القرع) شمال رام الله بدلا من إرسالها الى اللد والرملة للإشتراك بالدفاع عنهما وذلك لأن قائد الجيش وقائد الفرقة قررا أن وجود هذه الكتيبة في الاحتياط أهم لدعم الجبهة بكاملها لاسيما وأن الدفاع عن المدينتين سيحتاج إلى قوات أكبر من ذلك ليست متوفرة وأن الكتيبة الأولى لوحدها لن تفيد سوى زيادة المقاومة فيهما بضعة أيام أخرى. بينما إذا بقيت الكتيبة في الاحتياط سيمكنها دعم أي قاطع من الجبهة حسب تطور المعركة. وعلى أساس هذا القرار أصبح لدى الفرقة قوة احتياطية يمكن إستخدامها لمواجهة الحالات الطارئة وتعزيز نقاط الخطر بهذه الجبهة الواسعة. وهي على الرغم من صغر حجمها أفضل من لا شيء .

وكما أسلفت كذلك فقد تمكن اليهود من إعادة تنظيم قواتهم المسلحة بمستوى الألوية وأكملوا استيعاب الأسلحة الجديدة التي استوردوها وأتموا تزويد القدس والمستعمرات النائية بما يلزمها من المؤن والذخائر لقتال طويل الأمد. وما أن اقتربت فترة الهدنة من نهايتها حتى أصبحت جميع قواتهم المسلحة جاهزة للقتال على نطاق واسع. وقد بقيت أهدافهم التي لم يتمكنوا من تحقيقها خلال فترة القتال الأولى قائمة. وفي طليعة أولويات هذه الأهداف إحتلال مناطق اللطرون وباب الواد لفتح طريق القدس وإخراج الجيش العربي من فلسطين الوسطى. ثم يليها تطهير منطقة الجليل الشمالي من بقايا جيش الانقاذ. ثم احتلال ما تبقى بيد القوات المصرية من النقب وجنوب فلسطين .

وقد كانت تصرفات الدول العربية خلال فترة الهدنة أكبر عون لليهود لتحقيق أهدافهم.

حيث عجزت هذه الدول عن تعزيز جيوشها وتزويدها بالأسلحة والذخائر. كما عجزت عن الاتفاق فيما بينها لتوحيد جهد هذه الجيوش وتنسيق عملياتها لكي تضمن قدراً معقولاً من التعاون وتخفيف الخسائر. وفوق هذا وذاك فقد قرروا عدم تجديد فترة الهدنة والعودة الى القتال مرة ثانية .

أما كيف سيسأنفون هذا القتال وبموجب أية خطط سواء كانت على المستوى الإستراتيجي أو على المستوى التكتيكي فليس هذا مهمًا عندهم بل المهم هو أن السياسيين قرروا ان يسأنفوا القتال وأصدروا الأوامر اللازمة الى قادة جيوشهم للتنفيذ. والأنكى من هذا انهم جميعاً وبدون استثناء أمروا هذه الجيوش أن تبقى في مواقعها وتلتزم في حالة الدفاع. ومعنى ذلك أنهم سلموا زمام المبادرة للعدو سلفاً حيث أصبحت قواته حرة في تحركاتها تهاجم أي جبهة بأي زمان ومكان تختاره وهي تعرف أن القوات العربية في جميع الجبهات الاخرى سوف تبقى ساكنة في مواقعها دون أن تقوم بأي عمل تعرضي قد يساعد الجبهة التي يقع عليها الهجوم .

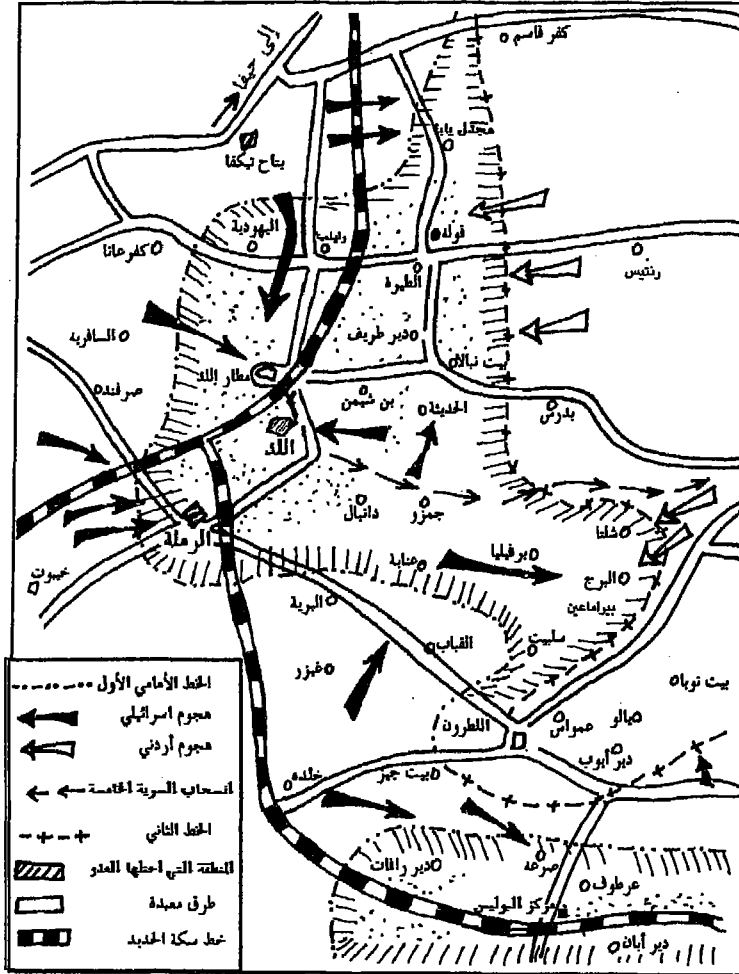
وحتى القوات التي تتعرض للهجوم لا تستطيع ان تقوم بأي عمل سوى الصمود في مواقعها الدفاعية إذا استطاعت ذلك دون أن يكون بمقدورها أن تقوم بأي عمليات تعرضية أو أي حركات أخرى قد تقتضيها ظروف المعركة لأنها أصلاً تفتقر الى القوات الكافية لتقوم بمثل هذه العمليات ما دام أن كل جيش يحارب معركته لوحده بدون تنسيق مع الآخرين. ولأن جميع الجيوش كانت تلتزم بموقف الدفاع ضمن مناطقها فقط. فقد أصبحت الحرب عبارة عن حرب استنزاف بالنسبة للجيوش العربية في موقفها الدفاعي الثابت بحيث تستطيع الصمود حتى تنفذ ذخائرها المحدودة والتي لا تملك القدرة على تعويض مستهلكاتها منها. وبالتالي فإن العدو أصبح بموقف يمكنه أن يتفوق على كل قطاع عربي بمفرده فيحتله ثم ينثني على القطاع الآخر وهكذا. لاسيما وأنه يعرف أن باقي الجيوش العربية لن تخف لمساعدة القطاع المتعرض للهجوم الإسرائيلي ولا حتى على مستوى القيام بعمليات هجومية في مناطقها هي لتخفيف الضغط عنه. ولقد أصبح موقف الجيوش العربية بهذا الشكل غريباً وفريداً في نوعه ولا يتوافق مع أي عرف عسكري سليم .

أما اليهود فقد أخذوا زمام المبادرة وبدأوا عملياتهم الهجومية على نطاق واسع بهدف الإستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من المناطق المتبقية بيد العرب من فلسطين. وقد كانت بداية عملياتهم في مواجهة الجبهة الأردنية. وكان هدفهم الأول إحتلال منطقة اللطرون وفتح طريق القدس. ومن ثم التحول لإزاحة القوات الاردنية من فلسطين الوسطى. وقد حشدوا

لهذه العملية قوة ضخمة كانت تتألف في البداية من ثلاثة ألوية أحدها مدرع. كما زودت هذه القوات بمدفعية الميدان وبأسناد جوي من الطائرات الحديثة. وقد أسندت قيادة هذه القوات الى الكولونيل (إيغال آلون). وقد كان اليهود على ما يبدو يعتقدون أنه تتواجد في مدينتي اللد والرملة قوات كبيرة من الجيش العربي ولذلك قرر الكولونيل (آلون) أن يكون هجومه على مرحلتين. تكون المرحلة الأولى تطويق واحتلال اللد والرملة. وأن يستخدم بهذه المرحلة اللواء المدرع ولواء مشاه. ثم يتحول بكامل قوته إلى المرحلة الثانية وهي إحتلال اللطرون وفتح طريق القدس. (انظر الخارطة رقم ٥) .

وبتاريخ ٩ تموز بدأ العدو زحفه من اتجاهين حيث تقدم اللواء المدرع من منطقة تل أبيب باتجاه الجنوب الشرقي واحتل قرية اليهودية بعد معركة قصيرة يوم ١٠ تموز وتبعها احتلال قرى رنتيس، الطيره، وقوله. وبهذه الاثناء كان لواء مشاه قد بدأ زحفه من مستعمره غيزر في الجنوب متجهاً شمالاً فقطع طريق (القدس - تل أبيب) عند فجر يوم ١٠ تموز واحتل قرى عنابه، جمزو، ودانيال. حتى وصل الى مستعمرة (بن شيمون) التي تقع على بعد خمسة كيلومترات شرقي اللد. وباتصال طلائع هذا اللواء مع اللواء المدرع في منطقة بن شيمون تم إحكام الطوق على مدينتي اللد والرملة وعزلهما تماماً عن مواقعنا الرئيسية في اللطرون وبيت سيرا. وهكذا وعند وصول قوات العدو المدرعة الى قريتي دير طريف وبيت نبالا اصبح التهديد خطيراً على جبهتنا بكاملها فيما لو استمر اندفاع قوات العدو عبر هذه الفجوة بين دفاعات الجيش العراقي في (مجدل يابا) ومواقعنا في مثلث بيت سيرا و يبلغ طولها ١٥ كيلومتراً خالية من أي قوات نظامية وأما قوات المناضلين التي كانت تدافع عن القرى الأمامية فيها فقد اكتسحها اللواء اليهودي المدرع أثناء تقدمه. وباحتلاله لمنطقة بيت نبالا ودير طريف لم يبق أمامه أية قوات تذكر. ولو استمر باندفاعه لأمكنه الوصول إلى رام الله بدون قتال. ولذلك أصبح واضحاً أنه لا بد من استخدام القوة الاحتياطية الوحيدة التي أصبحت متوفرة لدى قيادة الفرقة وهي الكتيبة الاولى التي تجمعت في منطقة (دير القرع) شمال رام الله قبل يومين. وقد تقرر تحريك سرية مشاه وسرية المدرعات الى بيت نبالا للتصدي لقوات العدو المتقدمة على هذا المحور وترك باقي الكتيبة حالياً في الاحتياط. وسوف آتى على ذكر تفصيلات هذه العملية بمكان لاحق .

ولكن كما يظهر أن العدو كان بهذه الآونة يركز اهتمامه على إنهاء المرحلة الأولى من خطته بسرعة وهي احتلال اللد والرملة ثم الانقضاض بكامل قوته على مواقعنا في اللطرون



الخارطة رقم (٥) الهجوم الاسرائيلي في المنطقة الوسطى واحتلال اللد والرملة ٩-١٢ تموز عام ١٩٤٨م

وباب الواد لفتح طريق القدس - تل أبيب حيث كانت خطته ترمي إلى إخراجنا من تلك المواقع الدفاعية الهامة أولاً. وبعد ذلك يستمر في تقدمه عبر تلك المنطقة إلى رام الله لدخول القدس من الخلف ومن ثم التقدم نحو وادي الأردن وتصفية جميع مواقع الجيش العربي والقضاء على وحداته المتبقية في فلسطين. ولقد كان هذا التقدير صحيحاً لأن العدو كان يعرف أن الجيش العربي ليس لديه سوى هذه الكتائب المتمركزة في الدفاع في القدس وباب الواد. فلو تمكن من تدمير كتائب اللواء الثالث المدافعة عن اللطرون وباب الواد سوف لن يبقى لدى الجيش العربي أية قوات تستطيع التصدي لهذا الهجوم حيث أن الإحتياطي الوحيد المتوفر هو الكتيبة الأولى التي سحبت لتوها من الرادار. وأما الكتبتين الثالثة والسادسة فمشتتان في الدفاع بداخل القدس. وبمعنى آخر فإن العدو يستطيع بضربة كبرى واحدة يوجهها ضد مواقع اللواء الثالث أن يدمر معظم قوات الجيش العربي ويشل حركته ويفتح الطريق لإحتلال مدينة القدس من الخلف ومن ثم احتلال باقي فلسطين الوسطى بوصوله إلى نهر الأردن عبر مدينة رام الله. وإزاء هذا الوضع أصبح واضحاً لدينا في قيادة الفرقة أن الخطر الحقيقي الذي يهددنا يكمن في احتمال سقوط مواقعنا في اللطرون وباب الواد. وبالتالي فإنه يجب الاحتفاظ بها بأي ثمن لأنها أصبحت المفتاح الرئيسي لكامل جبهتنا وربما لجبهة الجيش العراقي أيضاً لأنه لو أنهارت جبهتنا سوف تصبح مواقعهم في نابلس وجنين تواجه موقفاً خطيراً للغاية .

هذه كانت خلاصة تقدير الموقف الذي تمت دراسته في قيادة الفرقة. ومن منطلق هذه القناعات كان لا بد من إغلاق بعض مواقع التهديد عبر طرق الاقتراب المفتوحة لضمان أكبر قدر من الحماية والتوازن للمنطقة الدفاعية بكاملها مع الأخذ بعين الاعتبار بشكل رئيسي ومستمر أن أي إجراء يتم اتخاذه يجب أن لا يكون من شأنه إضعاف المواقع الدفاعية في اللطرون وباب الواد لأن ضياع هذه المواقع معناه ضياع كل شيء : (وبهذه المناسبة فقد كان هذا هو ما نجح العدو في تحقيقه في حرب عام ١٩٦٧م) .

ولم يكن هذا التقدير للموقف جديداً علينا حيث كنا قد توصلنا اليه خلال فترة القتال الأولى. ولهذا طلبت قيادة الجيش من القيادة العراقية تمديد جبهتهم الى الجنوب لإغلاق الفجوة بيننا وبينهم ولتأمين حماية كافية لمدينتي اللد والرملة. أو على الأقل لكي نتمكن نحن بنتيجة هذا الإجراء من توفير قوة كافية للقيام بعمليات الهجوم المعاكس حسب الظروف وتطور المعركة. ولكن قيادتهم لم توافق على هذا الطلب بداعي أن جبهتهم واسعة ولا يتمكنوا من تمديدها أكثر مما هي عليه. ومما زاد في خطورة الموقف أننا فقدنا الإحتياطي الوحيد الذي كان متوفراً لدينا عندما امرت قيادة الجيش بإرسال الكتيبة الأولى الى منطقة

الجفتلك في غور الأردن لكي تصد هجوماً متوقعاً كان سيقوم به العدو لقطع خطوط مواصلاتنا الخلفية عبر وادي الأردن. ولإيضاح هذه المسألة ربما كان من المناسب ان اشرح هنا حقيقة حركة هذه الكتيبة كما حصلت فعلاً وبحضوري. لاسيما واني لاحظت من قراءاتي لما كتب عن هذه المسألة أن معظم من كانت لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بها انكروا علمهم بموضوعها أو بالمعلومات التي أدت إلى تلك الحركة وكأنها مؤامرة حاولوا تبرئة انفسهم منها. حيث فسروها أنها كانت حركة متعمدة قصد منها ابعاد الكتيبة الاولى لكي لا تستخدم في الدفاع عن اللد والرملة مع أن القيادة قررت من الأصل عدم إرسالها الى داخل هاتين المدينتين وإبقائها في الاحتياط ومع أن نصف هذه الكتيبة كان في ذلك الوقت مشتبكاً مع قوة العدو التي كانت قد احتلت قريتي دير طريف وبيت نبالا وتمكن من اخراجها منهما. ومع ان مثل هذه الحركات تعتبر مسألة عادية تماماً في الحرب ومن قبيل مواجهة التهديد الأكثر خطورة والحاحاً .

ولكن حتى لو لم يتم تحريك هذه الكتيبة الى الجفتلك فإن كل ما كان يمكن أن تفعله هو ان تلتحق بسراياها التي تقاتل في بيت نبالا وتحاول تنظيم هجوم معاكس على جناح قوات العدو التي كانت في يوم ١١ تموز قد احتلت مطار اللد ودخلت المدينة ثم انطلقت الى الرملة. وعلى الرغم من أن مثل هذا الهجوم الذي ستقوم به كتيبة مشاه واحدة ضد قوة معادية قوامها ثلاثة ألوية احدها (مؤلل) أو مصفح سيكون بطبيعة الحال محاولة محدودة ويائسة إلا أنها ستكون ضرورية ولا بد من تنفيذها رغم جميع الاعتبارات. ومهما كان الأمر فإنه بهذه المرحلة المتأخرة كان من المتعذر على الجيش العربي ان يحمي اللد والرملة بقواته الضئيلة المنتشرة على جميع قطاعات جبهته. ولكن حمايتها كانت ممكنة منذ البداية لو أن الجيوش العربية قاتلت ضمن خطة واحدة كما أسلفت ولتغير عندئذ شكل الحرب ونتائجها ومسؤولية كل هذا يجب أن تقع على السياسيين العرب الذين كرسوا خلافاتهم وليس على العسكريين .

أما وأن هذه الحرب قد جرت بهذا الشكل ووصلت الأوضاع على الجبهة الى ما وصلت اليه فإن مصير هاتين المدينتين كان مرتبطاً بإمكانية استمرار الهدنة. وبما أن هذه الهدنة قد انتهت فإن سقوطهما بيد العدو اصبح أمراً محتتماً. وأمام هذا الواقع المريع كان من الأفضل لو أن الكتيبة الأولى أرسلت للإشتراك بالدفاع عن اللد والرملة بدلاً من وضعها بالاحتياط رغم أنها قد لا تصمد أمام هذا الهجوم المعادي الضخم طويلاً ورغم انها ستكون محاولة يائسة إلا أنها قد تكون بمثابة الجهد الأخير المتوفر. ولكن قائد الفرقة وقائد الجيش قررا

إبقاء هذه الكتيبة في الاحتياط لاستخدامها في الهجوم المعاكس حسب تطور المعركة لأنهما كانا يعتقدان أن هذا هو الإجراء الوحيد الصحيح من الناحية العسكرية وأن ادخالها الى اللد والرملة للدفاع بداخلهما لن يفيدهما بشيء. ملموس إلا لفترة محدودة. وبنفس الوقت فإنه قد يعني تدمير الكتيبة وبالتالي لن يستفاد منها للمساعدة في تثبيت الدفاع عن المواقع الحيوية في اللطرون وباب الواد أو بعمليات الهجوم المعاكس في أي قطاع من الجبهة .

والآن لنعد إلى حركة الكتيبة الاولى كما حدثت فعلاً. فقد سلمت هذه الكتيبة مواقعها في منطقة الرادار الى الكتيبة الخامسة يوم ٧ تموز. أي قبل انتهاء فترة الهدنة بمدة يومين. ومن ثم تجمعت بنفس اليوم في منطقة (دير القرع) شمال مدينة رام الله كقوة احتياط للفرقة. وبهذه الأثناء كانت المساعي لا تزال مستمرة بين الوسيط الدولي والحكومات العربية لكي توافق على تمديد فترة الهدنة. ولكن هذه المساعي لم تنجح حيث أصرت الدول العربية على رفض التمديد .

وبتاريخ ٩ تموز تجدد القتال وبدأ العدو زحفه على منطقة اللد والرملة لتنفيذ المرحلة الاولى من هجومه العام على اللطرون وباب الواد. وعندما وصلت طلائعه إلى بيت نبالا أمر قائد الفرقة بتحريك سرية مشاه وسرية مدرعات من الكتيبة الأولى لمواجهة وإيقاف تقدمها. وفي صباح ٩ تموز اتصل مدير العمليات في قيادة الجيش مع قائد الفرقة وأخبره انه وصلتهم معلومات مؤكده من قائد منطقة اربد تفيد أن المراقبات الامامية شاهدت قوافل عسكرية ضخمة تتحرك من بيسان جنوباً باتجاه غور الجفتك. وهذا معناه أن العدو قام بتحريك هذه القوة لقطع خطوط مواصلاتنا الخلفية وتطويقنا. ونظراً لعدم وجود قوات لنا في تلك المنطقة سوى سرية مشاه فإن قائد الجيش يطلب ارسال الكتيبة الأولى للتصدي لقوة العدو. عندئذ طلب قائد الفرقة قائد اللواء الأول للإجتماع معه واتفقا على تحريك باقي الكتيبة الاولى الى الجفتك لهذه المهمة. وبما أنها كانت في حالة الانذار القصوى فقد بدأت حركتها خلال ساعة واحدة. وسوف أبين في سياق الحديث كيفية استعادتها بعد ثبوت عدم صحة تلك المعلومات. ومهما كان من أمر هذه التحركات فإن الخطر الحقيقي الذي كان يهددنا ومن شأنه أن يؤدي الى تصفية وجود الجيش العربي في فلسطين هو احتمال سقوط مواقعنا الدفاعية في اللطرون وباب الواد. ومع ذلك فإن الخطر الذي ظهر فجأة بتهديد خطوط مواصلاتنا الخلفية وعزلنا نهائياً عن قواعدنا الرئيسية هو خطر حقيقي لو كانت المعلومات عنه صحيحة. وبهذه الحالة لا يمكن تجاهله لأن العدو لو استطاع تدمير الجسور على نهر الأردن والسيطرة على تلك المعابر فإنه سوف يتمكن من تطويق جميع قواتنا من الخلف. ولذلك فإنه في تلك الآونة ظهر أن الخيار الوحيد أمام قيادة الجيش وقيادة الفرقة هو تحريك

هذه الكتيبة لمواجهة الخطر الطارئ وقبول المجازفة بخسران الاحتياطي الوحيد لديها لأن هذا الخطر أصبح له أولوية عالية لاسيما وأن قيادة الجيش اعتبرت تلك المعلومات مؤكدة .

معركة اللد والرملة :

بهذه الأيام الأخيرة من الهدنة أصبح واضحاً تماماً أن اليهود قد تمكنوا من مضاعفة قواتهم واسلحتهم كما أنهم كانوا بنفس الوقت يعرفون أن الجيش العربي لم يبق لديه من الذخائر ما يمكنه من القتال لمدة طويلة. ولذلك فإنهم كانوا يحبذون استئناف القتال على أمل أن يتمكنوا من الاستيلاء على القدس وأية مناطق أخرى يستطيعون احتلالها لتوسيع رقعة المناطق التي لديهم. ولكنهم كانوا يعرفون كذلك أنه جرت العادة لدى الزعماء العرب أن يرفضوا أي اقتراح يوافق عليه اليهود مهما كان نوعه. ولكي يزيدوا من حماس العرب لرفض تمديد الهدنة اعلنوا استجابتهم لنداء الوسيط الدولي وموافقتهم على تمديد الهدنة إذا وافق العرب على ذلك. وكتحصيل الحاصل رفض العرب الموافقة على التمديد وقرروا العودة الى القتال .

وكان اليهود قد عقدوا العزم على احتلال مواقعنا في اللطرون وباب الواد هذه المرة لفتح طريق القدس. وقد كانت هذه العملية الكبرى سوف تتم على مرحلتين. تتمثل المرحلة الأولى باحتلال مدينتي اللد والرملة والقرى المحيطة بهما. وحشدوا جميع القوات اللازمة في مواقعها النهائية خلال الايام الاخيرة من الهدنة. وأما قوات العدو التي كانت على وشك الانقضاء على اللد والرملة فكانت تتألف من لواء مدرع ولواء مشاة مبدئياً. وعلى الرغم من أن العدو قد نجح في خداع قيادة الجيش العربي بتحريك قوافل وهمية من منطقة بيسان الى الجنوب وفسرتها على أنها كانت توطئة لهجوم على خطوط مواصلاتنا الخلفية مما اضطرها لتحريك الكتيبة الأولى الى وادي الأردن بدلاً من إبقائها في الاحتياط. ومع أنه رؤي من قبل المسؤولين أن وضع هذه الكتيبة بالدفاع بداخل اللد والرملة سوف لن يكون مجدياً إلا أنها يمكن أن تكون فعالة أكثر لو استخدمت بالهجوم المعاكس عندما كان هجوم العدو بمراحله الأولى لو أنها لم ترسل الى وادي الأردن ثم تعاد ثانية لتصل متأخرة الى مسرح العمليات. ورغم كل ذلك فإن النتيجة في النهاية ربما كانت واحدة ما دام أن الدفاع عن المدينتين لم يؤمن بشكل فعال حيث كان هذا الأمر يتطلب نشر مالا يقل عن كتيبتين مع الاسلحة الاسنادية الكافية وهذا ما لم يستطع الجيش العربي توفيره إلا إذا قام الجيش العراقي بتوفيره وهو لم يفعل. وهكذا فقد عجزت جميع الأطراف المعنية عن توفير كتيبتين أو ثلاثة لتركيزها بداخل اللد والرملة لحمايتهما وبقي مصيرهما بيد القدر بسبب المرض المستديم

الذي كنا نعانى منه جميعاً وهو مرض عدم التعاون بين الجيوش العربية واختلاف حكوماتها .

وأخيراً وبعد ظهر يوم ٩ تموز بدأت قوات العدو تحركاتها الرئيسية لتنفيذ المرحلة الاولى من معركة اللطرون وباب الواد والتي تمثلت بتطويق واحتلال مدينتي اللد والرملة. وعندما بدأت قوات العدو بمهاجمة مطار اللد تقدمت قوة منها باتجاه الشرق لاحتلال قريتي دير طريف وبيت نبالا اللتين لم يكن فيهما سوى فئة من الجيش العربي حوالي عشرين جندياً تقوم بحراسة معسكر بيت نبالا الذي كان عبارة عن معسكر لتكديس مخلفات الجيش البريطاني من مختلف المواد الدفاعية والهندسية ورحل عنه وترك محتوياته فيه. وبالإضافة لهذه الفئة فقد كان يتواجد بعض المناضلين من سكان القريتين. وهكذا أصبح الموقف في غاية الخطورة حيث لو استمرت قوات العدو بالاندفاع عبر هذه الفجوة بين جناح القوات العراقية في مجدل يابا وبين مواقعنا في مثلث بيت سيرا والتي يبلغ طولها حوالي ١٥ كيلومتر لأصبح بإمكانه تهديد كامل جبهتنا من الخلف، ولمواجهة خطر هذا التهديد اتصل قائد الفرقة مع قائد الجيش وطلب الموافقة على سحب الكتيبة الأولى من غور الأردن فوراً وارسالها الى منطقة بيت نبالا. لاسيما وان المعومات التي ارسلها قائد الكتيبة منذ وصوله الى الجفتك وغور طوباس تفيد أنهم لم يشاهدوا أية حشود عسكرية معادية بالحجم الذي أشارت له المعلومات الأولية. وعندئذ تم تحريك الكتيبة الأولى الى منطقة بيت نبالا بعد ظهر يوم ١١ تموز. وعند وصولها وجدت أن العدو قد احتل قريتي دير طريف وبيت نبالا. وعندئذ قامت قوة من الكتيبة مؤلفة من سرية مشاة وسرية مدرعات بشن هجوم معاكس على القوة المعادية وتمكنت من طردها من هاتين القريتين فانسحبت قوة العدو الى قرية (الحديثة) القريبة. وقد ترك قائد الكتيبة هاتين السريتين في منطقة بيت نبالا وتمركزت باقي سرايا الكتيبة في منطقة خربثا ودير قديس مؤقتاً .

كانت قوات العدو قد تقدمت في صباح يوم ١٠ تموز لاحتلال مطار اللد الذي كانت تدافع عنه مجموعات من المناضلين ومعهم فئة من جنود الجيش العربي كانت قد ارسلت أصلاً مع الحاكم العسكري عندما تسلم مهمته لتقوم بحراسة مكتبه. وقد اشتبكت هذه القوة البسيطة مع القوات المهاجمة وقاومتها لبضعة ساعات رغم ضآلة اعدادها وعدم تكافؤ اسلحتها الخفيفة مع ما لدى العدو من آليات ومصفحات ومدفعية. وقد وقع بين صفوفها اعداد لا يستهان بها من الإصابات. وبالنهاية اضطرت قوتنا الى الانسحاب من المطار الى داخل مدينة اللد لتشتبك بالدفاع عنها. وبعد أن احتل العدو مطار اللد تقدمت مدرعاته الى المدينة وتغلغل فيها لمسافات قصيرة. ولكنها تحت ضغط المقاومة العنيفة التي أبدتها المدافعون عنها اضطرت للانسحاب إلى مطار اللد لإعادة التنظيم ومواصلة الهجوم من جديد .

وفي اليوم التالي ١١ تموز قام العدو بشن هجوم عام على مدينتي اللد والرملة بكامل قواته المكونة من لواء مدرع ولواء مشاه. وقد بدأ الهجوم بقصف مركز من المدفعية والطائرات على جميع المواقع الدفاعية ومراكز البوليس والمواقع الأخرى التي تدافع عنها فئات السرية الخامسة، وبنفس الوقت قامت الطائرات بالقاء المناشير التي كانت تطلب من الأهالي والمدافعين عنهم ان يستسلموا لأنهم مطوقون ولا تستطيع القوات العربية إنقاذهم. ورغم هذا بقيت معنويات الجميع عالية وصمدوا في مواقعهم رغم ما كانوا يشاهدونه من ضخامة قوات العدو وضآلة امكاناتهم المتيسرة لمواجهة قوات العدو هذه. وذلك بالإضافة الى عدم ظهور بوادر النجدة لهم من أية جهة كانت .

وحوالي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر بدأت قوات العدو المصفحة تتبعها المشاة تقدمها للهجوم على مدينة اللد أولاً تحت ستار من نيران المدفعية والطائرات. وقد صمد المدافعون عنها فترة وجيزة في وجه هذا الهجوم ثم انسحبوا بعدما تكبدوا الكثير من الإصابات. وما لبث العدو على أثر ذلك حتى اقتحم مدينة اللد واحتلها وقد وقعت إصابات ضخمة بين السكان المدنيين. واستمر الهجوم بعد ذلك على المواقع الأخرى في مركز البوليس الرئيسي حيث كانت قيادة السرية الخامسة. وعلى محطة سكة الحديد حيث تتمركز فئة من هذه السرية. وقد اشتبكت مع طلائع العدو وتمكنت من صدها في البداية. ولكن عندما اشتد القتال في محطة سكة الحديد اضطر قائد الفئة للإنسحاب من موقعه المتقدم والانضمام إلى الفئة المدافعة عن موقع آخر كان يتعرض للهجوم. وبعد ذلك تمكن العدو من احتلال مثلث الطرق المؤدي الى صرفند فانسحبت القوة المدافعة عنه لكي تنضم الى قيادة السرية في مركز البوليس ولكنها أثناء انسحابها اصطدمت مع قوة العدو التي كانت تطوق هذا المركز واطلقت عليها النيران من الخلف. وقد كان تأثير هذه المفاجأة أكبر من حجمها بكثير. حيث ظن العدو انها طليعة هجوم معاكس فبادر بالانسحاب باتجاه مدينة اللد. وهكذا تم فك الحصار مؤقتاً عن مركز البوليس. لكن قوات العدو ما زالت تحتل باقي المواقع الأخرى في مدينة الرملة وقد قطعت الطريق بين اللد والرملة كما قطعت جميع الطرق الخارجية المؤدية اليهما من جهة الشرق والشمال .

وبهذا الشكل اقتربت هذه المعركة من نهايتها الأليمة. ومنذ بدايتها قبل ثلاثة أيام دأب قائد السرية الرئيس أديب القاسم والحاكم العسكري وكيل القائد ادريس سلطان على إرسال البرقيات الى قيادة اللواء الثالث وقيادة اللواء الرابع وقيادة الفرقة لوضعها بالصورة القاتمة عن الحالة التي يمرون بها ويطلبون ارسال النجدة على وجه السرعة. ولكن هذه القيادات

لم تتمكن من نجاتهم بأكثر من برقيات التشجيع وبعض الوعود الغامضة من قائد اللواء الثالث الزعيم (اشتون) يخبرهم بها أنه ما زال ينتظر الأوامر رغم أن الجميع كانوا يعرفون انه لا توجد أية قوات يمكن أن يرسلوها لنجدة اللد والرملة. فالكتيبة الأولى التي كانت هي القوة الاحتياطية الوحيدة المتيسرة لدى قيادة الفرقة أرسلوا منها سريتين الى بيت نبالا للتصدي. لتقدم العدو من تلك الجهة وأرسلوا باقي الكتيبة الى غور الجفتك للتصدي لتقدم العدو المتوقع من منطقة بيسان وقد ثبت ان المعلومات عن تقدم العدو من هذا القاطع لم تكن دقيقة وأعيدت الكتيبة ثانية الى منطقة بيت نبالا بعد غيابها بهذه الرحلة مدة ثلاثة أيام وهي الآن مشتبكة في دير طريف وبيت نبالا في معارك تهدف لإيقاف تقدم العدو عبر هذا القاطع باتجاه رام الله. وعلى أي حال فبهذا الوقت وبعد عودة الكتيبة الأولى كانت معركة اللد قد انتهت وأصبح العدو يسيطر على المدينة بكاملها في ساعات المساء. وكذلك أصبح يحتل معظم المراكز الدفاعية في مدينة الرملة ولم يبق بيد السرية الخامسة سوى مركز البوليس الذي أصبح شبه مطوق. وبهذه الأثناء إبرق قائد السرية الى قائد اللواء الثالث بأن اللد استسلمت لليهود وأن الرملة على وشك السقوط وإن ما تبقى لديه من الذخائر لا يكفي للقتال أكثر من ساعتين وهو بانتظار الأوامر .

عندئذ اتصل قائد اللواء الثالث مع قائد الفرقة وأطلعته على هذه المعلومات وهذا بدوره اتصل مع قائد الجيش وطلب منه التوجيه. وبنتيجة هذه الاتصالات صدرت الأوامر من قيادة الجيش الى قيادة الفرقة بسحب السرية الخامسة من مدينتي اللد والرملة. وتنفيذاً لهذه الأوامر تم إصدار التعليمات بذلك من قيادة الفرقة الى قيادة اللواء الثالث التي بدورها أمرت قائد السرية بأن ينسحب مع جنوده مصطحبين معهم اسلحتهم الشخصية أثناء الليل بعد أن يدمروا جميع معداتهم الثقيلة وأجهزتهم ويحرقوا جميع وثائقهم ويتحركوا شرقاً باتجاه مواقع اللواء الثالث في بيت سيرا من أي طريق مأمونه .

وبهذه الأثناء كان وكيل القائد ادريس سلطان الحاكم العسكري قد قرر الانسحاب من تلقاء نفسه مع بعض جنود الشرطة المرتبطين معه وتحرك فعلاً بعد غروب الشمس ووصل الى رام الله قبل وصول السرية الخامسة ببضع ساعات وأثناء الليل تمكنت السرية الخامسة من الانسحاب بشكل منتظم عبر فجوة في خطوط العدو واتجهت شرقاً بين التلال نحو قرיתי (جمزو) و (عنايه) ثم الى مثلث بيت سيرا الذي وصلته في صبيحة اليوم التالي ١٢ تموز .

ولقد خاضت هذه السرية التي لم يكن عددها يتجاوز مائتي جندي معارك مستمرة طيلة

ثلاثة أيام وصمدت أمام قوات العدو المهاجمة التي كان قوامها لواء مدرع ولواء مشاه مع اسلحتها الإسنادية. ولقد أعطت هذه السرية دعماً فعالاً لقوات المناضلين التي كانت تشترك معها في الدفاع عن مطار اللد والمواقع الأخرى في الرملة وما حولها الأمر الذي كان له أكبر الأثر في صمود قوات المناضلين وخوضها معارك عديدة ضد قوات العدو المتقدمة. ورغم أن العدو كان سيتمكن من احتلال هاتين المدينتين بالنهاية نظراً لتفوقه الساحق، بالأسلحة والمعدات والجند فإنه على أي حال قد أجبر على خوض عدة معارك متفرقة طيلة ثلاثة أيام تكبد بنتيجتها الكثير من الخسائر قبل أن يتمكن من تحقيق هدفه. ولقد سجل قائد وضباط هذه السرية وجنودها أروع مثل في معركة الدفاع هذه والصمود في وجه قوات معادية متفوقة عليهم بشكل ساحق .

بعد مغادرة السرية الخامسة مواقعها ليلاً كانت حظيرة منفصلة بقيادة النائب صلاح الدين عزيز ما زالت في منطقة مطار اللد وقد انقطع اتصالها مع قيادة السرية أثناء القتال حيث تم عزلها عن مواقعها الرئيسية عندما أكمل العدو احتلال مطار اللد. وإثناء محاولتها الوصول إلى موقع قيادة السرية في مركز البوليس كانت مضطرة لسلوك طرق ملتوية لتتجنب قوات العدو التي أصبحت تتواجد في كل مكان. الأمر الذي استغرقها وقتاً طويلاً. وعندما وصلت إلى مركز البوليس وجدته خال تماماً حيث كانت السرية قد انسحبت قبل وصول صلاح الدين وحظيرته هذه. ومن غرائب الصدف ان العدو لم يحتل مركز البوليس بعد خروج السرية منه مباشرة مع أنها كانت مشتبكة معه ثم انسحبت أثناء الليل. ربما أنه لم ينتبه لتوقف إطلاق النار وخلو المركز من الجنود .

وعلى أي حال فقد تمركز صلاح الدين عزيز وجنوده بهذا المركز لبينما يتمكنوا من تدبير مصيرهم بهذا الموقف الغريب والخطر الذي أصبحوا فيه. وقد وجد جهازاً لاسلكياً صالحاً للعمل حيث كما يظهر ان المسؤولين في قيادة السرية لم يدمروه حسب الأوامر المعطاه لهم .

فبدأ صلاح الدين يحاول النداء على هذا الجهاز بالكلام المفتوح فجابه مأمور لاسلكي قيادة الفرقة وطلب منه تحديد مركزه وتعريف شخصيته. وعندما ابلغوني أن شخصاً اسمه صلاح الدين يناديهم من جهاز لاسلكي موجود في اللد تبادر إلى ذهني على الفور أن العدو قد تمكن من الاستيلاء على جهاز السرية الخامسة وشبكة نداءها وربما الشيفرة كذلك وهو الآن يستخدم النداءات المختلفة لكي يختبرها. فذهبت فوراً الى جهاز لاسلكي الفرقة واستلمت النداء بنفسني وطلبت من المنادي ان يعرف عن نفسه فعرفته وقلت له يا صلاح ماذا تعمل عندك والسرية كلها قد انسحبت هل انت لوحده. فابلغني قصته بإختصار وانه وصل لتوه

الى بناية مركز البوليس ولم يجد أحداً من السرية وأنه هو وجنوده الآن بداخل المركز. فسألته عن الذخيره التي لديه فأجابني ان لديه كمية محدوده فقط فأبلغته ان يستعملها باقتصاد شديد لكي يستطيع الخروج من المنطقة قبل أن تنفذ وأنه يجب ان لا يقع هو وجنوده في الأسر مهما كلفه الأمر. وتمنيت لهم التوفيق وطلبت منه ان يبقى على اتصال مستمر معنا ليلغنا عن تطورات موقفه. كما أمرته ان يدمر جهاز اللاسلكي عندما ينسحب بآخر لحظة وحذرت ان لا ينساه كما نسيه الذين سبقوه عند انسحابهم. وكما يظهر فإن العدو ظن أن مع صلاح الدين قوة كبيرة بداخل المركز ولذلك عمد إلى إرسال قوة لتطويق المنطقة بكاملها واخذوا يناوشونه بإطلاق النيران تمهيداً لشن هجوم مسند على المركز لاحتلاله. وقد بقي صلاح الدين وجنوده يقاومون العدو عدة ساعات وكان يتصل معنا باستمرار. وبعد فترة طلب ان يكلمني شخصياً وقال : أنا صلاح الدين لم يبق لدينا سوى خمسة طلقات مع كل جندي فقلت له يجب أن لا تقعوا في الأسر بيد العدو ويجب أن تخرج فوراً من المنطقة وعليكم تدمير جهاز اللاسلكي قبل انسحابكم. واستطاع الخروج مع جنوده ليلاً عبر خطوط العدو بكل نباهة وشجاعة وقد وصلوا الى قيادة الفرقة في اليوم التالي. وقد اوصيت بمنح صلاح الدين وسام الإقدام العسكري الذي كان يستحقه بكل جدارة وقد منح له .

هذا وقد اخذت تتضح أمامنا ابعاد هذه الكارثة يوم ١٢ تموز عندما بدأت تصل افواج اللاجئين من النساء والأطفال والشيوخ وقد هدهم الإغواء والعطش وملأوا السهول والتلال والطرق بين اللد ورام الله وكانت مناظرهم تفتت الأكباد وتستعصى عن الوصف. لقد أجبر اليهود حوالي ستين ألف نسمة من سكان المدينتين على إخلاء منازلهم خلال نصف ساعة تحت تهديد السلاح وطردهم خارجهما باتجاه رام الله تلاحقهم نيران الرشاشات وقنابل المورتر لكي لا يفكروا بالتوقف أو العودة الى منازلهم. وسارت هذه الألوف من النساء والأطفال والشيوخ بين الشعاب والأودية تحت لهيب الشمس الحارقة يبحثون عن موقع آمن يلجأون إليه مؤقتاً بينما ينكشف ما تخبؤه لهم الأقدار في الأيام المقبلة. وفي رحلة الآلام والمآسي هذه توفي العديد من الأطفال والشيوخ بتأثير الحر الشديد والإجهاد والعطش قبل ان يصلوا الى رام الله .

وبما أن الاسرائيليين ما زالوا منذ تلك الأيام وحتى يومنا هذا ينكرون انهم اجبروا الفلسطينيين على ترك منازلهم والهجرة الى البلاد العربية ويدعون ان الزعماء العرب هم الذين كانوا يطلبون منهم ان يهاجروا لأن هجرتهم ستكون مؤقتة ... لأن الجيوش العربية ستدخل فلسطين وتعيدهم إلى بلدانهم. ولدحض هذه الإدعاءات أود أن أشير الى كتاب مولد

اسرائيل تأليف سيمحا فلابان والى ما جاء بكتاب العربي واليهودي تأليف ديفيد شيبيلر عطفاً على مذكرات الجنرال اسحق رابين الذي كان يقود لواء (هاريل) في معركة اللد والرملة كما يلي (١) :

عندما كان القتال مستمراً كان علينا ان نجد حلاً لمعضلة مستعصية وليس لدينا خبره سابقه بمثلها وهي مسألة مصير السكان المدنيين في مدينتي اللد والرملة وعددهم حوالي خمسين ألف نسمة .

وحتى بن غوريون لم يستطع ان يقدم لنا أي اقتراح عندما كنا نناقش الموضوع في القيادة الحربية وبقي صامتاً طيلة الوقت كعادته في مثل هذه المناسبات، وكان واضحاً أننا لا نستطيع ترك السكان المسلحين والمعادين لنا وراءنا حيث يمكنهم تهديد خطوط تزويد لواء (يفتاح) الذي كان يتقدم نحو الشرق. وخرجنا بعد الاجتماع نتمشى ومعنا بن غوريون. فأعاد (ألون) سؤاله : ماذا سنعمل بهؤلاء السكان فأشار بن غوريون بيده إشارة كانت تعني (اطردوهم). وبعد ذلك ناقشنا الموضوع انا وألون وقد وافقت على أنه كان من الضروري طرد السكان. وعندئذ اخذناهم الى طريق (بيت حورون) وافترضنا ان الجيش العربي سيكون مجبراً على الإعتناء بهم وبهذا سوف يتحمل أعباء إدارية وتمويلية هائلة مما سيؤثر على قدرته القتالية وبنفس الوقت سيجعل الأمور أسهل بالنسبة لنا. ومسألة الإجلاء هذه مسألة صعبة حيث ان سكان اللد لم يغادروا المدينة بإرادتهم وكان لابد من استعمال القوة. ولكي نجبر هؤلاء السكان على السير مسافة خمسة عشر ميلاً حتى النقطة التي يمكنهم ان يلاقوا الجيش العربي عندها كان لابد من إطلاق النار التحذيرية. وقد راقب سكان الرملة عملية طرد سكان اللد فتعلموا الدرس ووافقوا ان يخرجوا إذا قدمنا لهم وسائط النقل فنقلناهم إلى منطقة اللطرون حيث تولّى الجيش العربي اخلاءهم. وخلال تلك المسيرة الطويلة مات الكثير من الرجال المسنين والأطفال من شدة الحر والعطش لعدم توفر الماء .

أما سيمحا فلابان (٢) فيؤيد ما جاء على لسان رابين في مذكراته ويزيد على ذلك بأن الاذاعات العربية كانت تذيع نداءات تناشد الفلسطينيين ان لا يغادروا قرىهم وأن يثبتوا بأماكنهم كما يؤيد أن القوات الاسرائيلية كانت تجبرهم على الرحيل بالتخويف والتهديد وإطلاق النار .

(١) كتاب العربي واليهودي - صفحة ٣٣، ٣٤، تأليف ديفيد شيبيلر.

ARAB AND JEW. Wounded Spirit in a promised land. Pages 33 - 34. By Daved K. Shipler.

(٢) مولد اسرائيل صفحة ٨٠ - ٩٠ تأليف سيمحا فلابان :

The BIRTH OF ISRAEL. Pages 80 - 90 By SIMHA FLAPAN.

وقد أصبحت هذه الحالة الطارئة مأساة انسانية يتوجب معالجتها بأقصى سرعة رغم تطورات المعركة ويكون جميع كتائبنا مشتبكة مع العدو باستمرار في كافة قواطع الجبهة. حيث أن العدو حالما انتهى من احتلال اللد والرملة قام بدفع قسم من قواته باتجاه دير طريف وبيت نبالا عبر الفجوة بين مواقعنا والمواقع العراقية حيث يمكنه بحركة التفاف واسعه ان يزحف الى رام الله ويعزل جبهة اللطرون من الخلف. ولتابعة تنفيذ هذه الخطة قام بنفس اليوم بتحريك باقي قواته للهجوم على مواقع اللطرون الرئيسية. كما كان أحد الويته يعمل من خلال الفجوة الواقعة بين مواقعنا في باب الواد والجبهة المصرية في منطقة بيت لحم. وقد احتل موقع عرطوف والقرى المحيطة بها. وبنفس الوقت كانت الكتيبتين الثالثة والسادسة مشتبكتين مع قوات العدو في مدينة القدس حيث كان يحاول اختراق أسوار البلدة القديمة من جهة الباب الجديد. بينما اشتبكت الكتيبة الثالثة مع منطقة حي مشيرم لاحتلال بعض المواقع المهمة في جبهتها .

ولمواجهة هذه المأساة لم يكن لدينا في قيادة الفرقة أية امكانيات لمساعدة هذه الالوف من اللاجئين. وكل ما استطعنا عمله في ذلك اليوم هو اننا حركنا جميع الشاحنات وسيارات الاسعاف وصهاريج الماء المتوفرة لدى وحدات الفرقة الإدارية والكتائب إلى الطرق والأماكن التي تمر منها مجموعات اللاجئين لتقدم لهم الماء والإسعافات الأولية ومن ثم تقوم بنقل الاطفال والنساء والرجال المسنين وتوصلهم الى مدينة رام الله. كما أمرنا سرية التموين أن تقدم كل ما لديها من الخبز والمؤن لتوزيعه على اللاجئين بقدر الإمكان. وفي مدينة رام الله تولى الحاكم العسكري والشرطة توزيع اللاجئين على الأماكن العامة كالمدارس والنوادي وحتى على الحدائق لكي يصبح بالإمكان حصر مواقعهم وتنظيم التزويد المستمر لهم من قبل أجهزة الدولة. ولكن هذه الأجهزة لم تكن مهيأة لاستقبال ورعاية مثل هذا العدد الهائل من اللاجئين. ولم يكن في الأردن وجود لوكالة الغوث الدولية. ومع ذلك فقد بادرت الحكومة على وجه السرعة بإرسال كميات من الطحين والتمر والأرز وحتى الخبز كان يرسل من مخازن عمان بالشاحنات خلال الأيام الأولى ويوزع فوراً حال وصوله. كما ارسلت كميات من الخيام جمعت من مستودعات الجيش والوحدات الخلفية وتم إقامة مخيمات حول رام الله لإيواء الناس فيهما مؤقتاً. كما أن أعداداً لا يستهان بها من اللاجئين ذهبوا الى عمان وأماكن أخرى. وبقيت حالتهم غير مستقرة لفترة من الوقت بينما تم تنظيم جهاز وكالة الغوث الدولية الذي قام بعد ببناء المخيمات في مختلف انحاء البلاد لاسكان اللاجئين وتأمين تمويلهم بالشكل المعروف .

لقد كانت تلك أيام عصيبة بالنسبة لنا جميعاً. فلاشتباكات مع العدو مستمرة في جميع

ارجاء جبهتنا والإحداث تتوالى بسرعة لا نكاد نستطيع ملاحقتها، وقواتنا محدوده ولا نكاد تكفي للإحتفاظ بمواقعها الدفاعية الحيوية. وبنفس الوقت لم يبق لدينا اية قوة احتياطية بعد ان اضطررنا لدفع الكتيبة الأولى الى الخط الأمامي لإغلاق الفجوة بين جبهتنا والجبهة العراقية في اليوم السابق وهي الآن مشتبكة مع العدو في منطقة بيت نبالا .

ولأن الموقف في مدينة اللد في ذلك الوقت لم يكن واضحاً تماماً لدى قائد الكتيبة الأولى عندما تمكن من إيقاف تقدم قوة العدو في قرية دير طريف فقد قام بإرسال دورية من ثلاثة مدرعات بقيادة الملازم حمد ابو ادخينه بعد ظهر يوم ١١ تموز وطلب منه أن يتقدم نحو اللد ويستكشف موقف قوات العدو ليتأكد أن كان قد احتل مدينة اللد ام لا يزال القتال محصوراً في منطقة المطار. وأمره ان لا يتوغل بداخل مناطق سيطرة العدو .

وتقدم قائد هذه الدورية عن طريق مستعمرة (بن شيمن) وعندما وصل الى أطراف مدينة اللد اشتبك بالنيران مع قوات العدو التي لاحظ أنها قوات ضخمة من المدرعات ومختلف الآليات. ولم يكن يعرف انه توغل في وسط قوات اللوائين الذين كانا يقومان في ذلك الوقت بعملية اقتحام مدينة اللد. ورغم صغر حجم هذه الدورية فإن اشتباكها مع العدو بهذا الشكل أحدث تأثيراً مهماً. حيث ظن العدو انها عبارة عن طليعة لقوات أكبر جاءت لفك الحصار عن اللد. لأنه لا يعقل ان تتوغل ثلاثة مدرعات بمفردها في وسط قوات ضخمة مكونة من لواء مدرع ولواء مشاه. ولذلك فقد بدأ العدو على الفور بتحركات اعادة التنظيم لجميع قواته في المنطقة لمواجهة الهجوم المعاكس الذي توقع حدوثه قريباً. وأثناء تحركات اعادة التنظيم اتجهت بعض قوات العدو نحو الشرق لكي تطوق مدرعات الدورية وتقطع عنها طريق الرجعه. وعندما لاحظ قائد الدورية خطورة موقفه سارع الى الانسحاب تحت ستار نيران مدرعاته قبل أن يتمكن العدو من أحكام الطوق عليه وتدمير قوته وتمكن من العودة الى مركزه في بيت نبالا .

ولكن العدو ما لبث ان قرر إعادة الكرّه ومهاجمة دير طريف وبيت نبالا واحتلالهما من جديد بعد أن أكمل احتلال اللد والرملة. فدفع بقوة مؤلفه من كتيبة مشاه تدعمها سرية مدرعات وتسندھا المدفعية صباح اليوم التالي لمهاجمة مواقعنا. وقد دارت معركة حامية تمكنت بنتيجتها قوة الكتيبة الأولى من صد هجوم العدو وتكبيده خسائر لا يستهان بها حيث دمرت له ثلاثة مدرعات وغنمت مدرعه ومدفع ١٧ رطل وأربعة رشاشات .

ولكن قائد الكتيبة الأولى عندما علم عن حجم قوات العدو المتواجدة في منطقة اللد بنتيجة الكشف الذي قامت به دورية حمد أبو ادخينه قدر انه لا يتمكن بقوته الصغيرة من الصمود طويلاً في مواقع دير طريف وبيت نبالا نظراً لأن موقعهما منخفض نسبياً ولا يشكل موقع

دفاعي جيد. لاسيما وان العدو لابد وان يعيد هجومه مرة أخرى بقوات أكبر لاحتلالهما. ولذلك قرر سحب قوته من هاتين القريتين اللتين كانتا خاليتين من السكان الى مرتفعات دير قديس التي تقع على بعد حوالي كيلو مترين الى الشرق وهي مواقع مرتفعه وحصينه ويمكنه الدفاع عنها. وفعلاً فقد تقدم العدو للهجوم على قريتي دير طريف وبيت نبالا صباح اليوم التالي ١٣ تموز بقوات أكبر من قوته السابقة ولكنه وجدهما خاليتين فاحتلها وتوقف هناك مؤقتاً. وسأتى على ذكر ما حدث بعد ذلك في تلك المنطقة بمكان لاحق .

إعادة التنظيم في الجبهة :

ولنعد الآن الى وصف الوضع العام على الجبهة والمعارك التي وقعت خلال تلك الأيام وحتى بداية الهدنة الثانية .

عندما بدأت تحركات العدو حول اللد والرملة درست قيادة الفرقة إمكانية تركيز خط دفاعي متوازن من قبل اللواء الثالث يمتد من عمواس الى جمزو شمالاً وإلى الحديثة لتأمين نوع من الحماية للفجوة بين قواتنا والقوات العراقية ولكن قائد اللواء الثالث لم يتمكن من توفير القوات الكافية لتركيزها في مثل هذا الخط. وكانت الكتيبة الأولى بهذا الوقت قد ارسلت إلى وادي الأردن كما شرحت سابقاً. ولم نتمكن من تلافي هذا الوضع الحرج إلا بعد ان اعيدت هذه الكتيبة من غور الأردن وارسلت رأساً الى منطقة (بيت نبالا) لتتولى مسؤولية اغلاق هذه الفجوة. ولكن بعد ان كان العدو قد أكمل احتلال اللد والرملة واخذ يعيد تنظيم قواته للمباشرة بتنفيذ المرحلة الثانية من عملية الهجوم على اللطرون وباب الواد فأصبح واضحاً انه لابد لنا من إجراء عملية إعادة تنظيم سريعة في منطقة اللواء الثالث لتوفير قوة احتياطية معقولة للدفاع عن منطقة مثلث بيت سيرا ولحماية خطوط المواصلات الرئيسية بين اللطرون ورام الله والتي أصبحت مهددة من المناطق الواقعة بينها وبين اللد والرملة والتي اخذت قوات العدو تنشط فيها. وعلى هذا الأساس قررت قيادة الفرقة تنفيذ الإجراءات التالية والتي تمت يوم ١٢ تموز :

١ - نقل قيادة اللواء الثالث من منطقة بيت سيرا إلى مواقع جديدة في منطقة (بيت عور التحتا) الواقعه الى الشرق منها .

٢ - اعتبار منطقة (بيت سيرا) قطاع عمليات وتتمركز فيه القوات الآتية لحماية طرق الاقتراب المؤدية منه. وبنفس الوقت تعتبر كقوات احتياط بأمر قائد اللواء الثالث .

أ - السرية الخامسة المستقلة التي عادت لتوها من اللد والرملة .

ب - سرية المدرعات الثانية .

ج - سرية المشاة التاسعة عشر التي شكلت حديثاً .

د - بطارية مدفعية ميدان ٢٥ رطل باسناد جبهة اللواء .

٣ - قطاع اللطرون : كتيبة المشاة الثانية ناقص سرية المدرعات .

٤ - قطاع باب الواد : كتيبة المشاة الرابعة .

ولكن بنفس هذا اليوم ١٢ تموز اضطرت القوات العراقية التي كانت تدافع عن رأس العين ومجدل يابا ان تنسحب منهما الى قرية كفر قاسم بعد تعرضها لعدة عمليات هجومية وضغط متواصل من قبل قوات العدو. وبالنتيجة اتسعت منطقة الكتيبة الاولى واصبحت مواقعها في منطقة بيت نبالا تشكل بروزاً خطراً ولا يمكن مساندته من الجبهة العراقية التي ابتعدت خطوطها أكثر من السابق. ولذلك فقد اعيد توزيع سرايا الكتيبة بشكل يمكنها من تقصير خطوطها وتغطية باقي المنطقة بالدوريات .

وعلى هذا الأساس تمركزت قيادة الكتيبة في بلدة دير قديس وتوزعت سراياها مبدئياً بين رنتيس وبيدرس وبيت نبالا ودير طريف .

وبهذه الأثناء كانت قوات العدو تتحرك إلى مناطق الحشد الجديد مقابل اللطرون وباب الواد استعداداً للبدء بتنفيذ المرحلة الثانية من خطة الهجوم. كما تقدمت بعض كتائبه لاحتلال القرى الواقعة شرق مدينتي اللد والرملة على التلال المسيطرة على منطقة مثلث بيت سيرا. وللكشف عن كثافة القوات المعادية في تلك المنطقة قامت قيادة اللواء الثالث بإرسال الدوريات الكاشفة باتجاه قرى سلبيت وجمزو والبرج وبيرا ماعين. وقد كانت هذه الدوريات تعود بمعلومات تثبت تواجد قوات العدو بهذه المواقع بكثافة .

وفي يوم ١٣ تموز ارسلت دورية من فئة مدرعات يقودها الملازم حمدان الصبيح البلوي الى قرية (جمزو) وقد اشتبكت مع قوة العدو المتمركزة فيها وتمكنت من دخول القرية وأوقعت عدداً من الإصابات بين جنود العدو. ولكنها اضطرت بالنهاية ان تنسحب نظراً لكثافة القوات المعادية. وقد أصيب خمسة من جنود الدورية بجراح .

وفي اليوم التالي ارسلت قيادة اللواء الثالث دورية مقاتلة أخرى من الكتيبة الثانية بقيادة الرئيس (بروميغ) إلى قرية سلبيت الواقعة مقابل اللطرون من الغرب وقد اشتبكت هذه الدورية مع قوات العدو التي كانت متواجدة بكثافة في تلك القرية وقدرت بحوالي كتيبه ولهذا فقد اضطرت الدورية الى الانسحاب بعد ان قتل اثنين من جنودها وجرح قائدها. وبعد ذلك

أصبح واضحاً ان مواقع العدو بهذه القرى قوية ولا يمكن التغلب عليها بقوات صغيرة مثل الدوريات المقاتلة .

ونظراً لعدم توفر القوات الكافية فقد تقرر ترك هذه المنطقة مؤقتاً وتركيز الجهد على الدفاع عن المواقع الرئيسية في منطقة مثلث بيت سيرا والطررون وباب الواد. وبنفس الوقت تثبیت الوضع في جبهة الكتيبة الأولى في الشمال والتنسيق مع الجيش العراقي لضمان عدم اختراق الفجوة بيننا وبينهم .

بعد الإنتهاء من احتلال مدينتي اللد والرملة أخذ العدو يركز جهده الرئيسي لاحتلال مواقعنا في الطررون وباب الواد. وقد اتبع أسلوب الالتفاف والتطويق والاقتحام بقوه. ولتنفيذ هذا النوع من التكتيك اخذ يركز جهده على احتلال مثلث بيت سيرا ابتداءً لعزل موقع الطررون من الخلف. ولتنفيذ هذه العملية دفع بأحد ألوية المشاة يوم ١٥ تموز من منطقة اللد والرملة نحو الشرق حيث قامت هذه القوة باحتلال مجموعة قرى (سليبيت، عنابه، جمزو، البرج، بيرامعين، برفيليا). وجميع هذه القرى تقع في منطقة التلال المسيطره على منطقة مثلث بيت سيرا من جهة الغرب ومن تلك المنطقة يمكن الانقضاض على مواقعنا في قرى صفا ورأس كركر الواقعتين الى الشمال من بيت سيرا ومن ثم على مواقعنا في مثلث بيت سيرا وفي قرية بيت لقيا حيث توجد مواقع مدفيعتنا التي تساند الطررون. ولو نجحت هذه العملية لتمكن العدو من عزل منطقة الطررون نهائياً عن رام الله ولأصبح سقوط تلك المواقع سهلاً. ولكي يجبرنا على تبديد قواتنا (القليلة أصلاً) ونشرها على مواقع متباعده دفع العدو بقوة أخرى من اللد باتجاه دير طريف وبيت نبالا وكانت قوة الكتيبة الأولى قد انسحبت منهما الى التلال المرتفعة الواقعة الى الشرق من بيت نبالا كما شرحت سابقاً. فتمكنت قوة العدو من احتلالهما بسهولة بدون قتال. ثم تقدمت باتجاه قرية بدرس واحتلت قرية قوله الواقعة الى الغرب منها. وبهذا الشكل أصبحت تهدد المنطقة الفاصلة بيننا وبين القوات العراقية والتي تتواجد الآن فيها الكتيبة الأولى للدفاع عنها .

وبهذا الأسلوب فإن العدو يجبرنا على إبقاء هذه الكتيبة موزعه في تلك المنطقة ويمنعنا كذلك من استعمالها كقوة احتياطية للتدخل في المعركة الرئيسية في منطقة الطررون التي اخذ العدو يحرك قواته نحوها تمهيداً لتطويقها واقتحامها .

وبتاريخ ١٣ تموز دفع العدو بلواء المشاة (هاريل) إلى المنطقة الواقعة جنوب طريق تل ابيب - القدس. حيث اخذ هذا اللواء يعمل على تطهير المنطقة الواقعة بين خط سكة حديد (القدس - الرملة) من الجنوب. وطريق باب الواد من الشمال استعداداً للمعركة الرئيسية

لاحتلال اللطرون. حيث كانت بعض القوات المصرية تنشط في تلك المنطقة بمحاولة للإقتراب من مخفر عرطوف الذي كانت تتواجد فيه فئة من الجيش العربي وفئة من الجيش المصري التحقت معها أثناء فترة الهدنة .

وقد كان العدو يهدف من عمليات هذا اللواء ان يمنع اتصال الجيش المصري مع الجيش العربي الأردني بقوة تمكنهما من عزل مدينة القدس من الغرب واتصال الجبهة المصرية مع الجبهة الأردنية فيما لو تمكن المصريون من إرسال قوات كبيرة الى تلك المنطقة ولكن الجيش المصري لم يتمكن من التقدم بقوة كبيرة واعتمد بدلاً عن ذلك على نشاط الدوريات وتركيز حظائر مشاه صغيرة في بعض القرى. ولهذا فعندما تقدم لواء العدو الى تلك المنطقة تمكن من احتلال قرية (صرعه) يوم ١٣ تموز. وفي اليوم التالي أحتل قريتي (صوبا) و(بيت أمر) ومستعمرة (عرطوف) القريبة من مركز البوليس الذي كانت تتمركز فيه القوة الأردنية والمصرية .

وبتاريخ ١٤ تموز انسحبت القوة المصرية من مركز عرطوف. وعلى إثر ذلك صدر الأمر من قيادة الفرقة الى فئة الجيش العربي الموجودة هناك بأن تلتحق مع السرية الثانية عشر في الخليل وتخلي مركز عرطوف .

وبتاريخ ١٨ تموز احتل العدو قرية (دير رافات). وبتاريخ ١٩ تموز كان قد أكمل احتلال المنطقة الواقعة بين طريق القدس - تل أبيب من الشمال وخط سكة حديد القدس - الرملة من الجنوب. بينما كانت المعارك في هذه الفترة تدور في منطقة شمال اللطرون في المرتفعات الواقعة شرق اللد والمسيطره على مثلث بيت سيرا. وإلى الشمال في منطقة (صفا) ورأس كركر وقرية قوله في الطرف الشمالي من الفجوه بين جبهتنا والجبهة العراقية .

العمليات الحربية التي شنها العدو استعداداً لإحتلال اللطرون وباب الواد :

كانت أولى هذه العمليات ذلك الهجوم الكبير الذي شنه العدو ليلة ١٥/١٦ تموز. حيث تقدمت قواته المؤلفة من لواء المشاه (يفتاح) وكتيبة من اللواء المدرع الثامن وقطعات من لواء (كرياتي) من منطقة اللد والرملة باتجاه الشرق. وتمكنت من احتلال منطقة المرتفعات الواقعة شمالي اللطرون بما فيها قرى برفيليا والبرج وسلبيت وبيرا ماعين. مهينة بذلك امكانية اقتحام مثلث بيت سيرا وعزل منطقة اللطرون من الخلف. وبهذا تصبح الطريق امامهم مفتوحة إلى رام الله .

وبنفس الليلة دفع العدو بلواء (هاريل) بكامله لاحتلال مواقع الكتيبة الرابعة في مرتفعات (يالو) شرقي اللطرون. وقد تقدمت طلائع هذا اللواء واشتبكت مع الخنادق الأمامية للكتيبة الرابعة وعندئذ أصبحت المسافة بين طلائع قوات العدو غربي اللطرون وطلائع قواته المتقدمة في قطاع الكتيبة الرابعة شرقي اللطرون لا تزيد عن ثلاثة كيلومترات. وقد كان العدو يأمل بهذه الحركة أن يطبق فكي الكماشه هذه التي شكلها حول منطقة اللطرون بسرعة فيتمكن بالنتيجة من تدمير الكتيبتين الثانية والرابعة بضربة واحدة ثم يندفع بعد ذلك نحو رام الله فيطوق مدينة القدس من الخلف .

وهكذا أصبح الموقف بالنسبة لنا في غاية الخطورة لاسيما وانه لم يبق لدينا أية قوات احتياطية سوى احتياطي اللواء الثالث الذي شكلناه من سريتي مشاه وسرية مدرعات في منطقة بيت سيرا بعد أن استخدمنا الكتيبة الأولى لإغلاق الفجوة الخطيرة التي تكونت بين جبهتنا والجبهة العراقية بعد سقوط مدينتي اللد والرملة بيد العدو. وعندئذ أصبح أمامنا هدفين عاجلين يجب تحقيقهما بأي ثمن وهما :

أولاً : يجب القيام بهجوم معاكس وبسرعة على منطقة قرية البرج لإيقاف تقدم قوات العدو نحو طريق بيت سيرا - اللطرون : وتكثيف جهد الكتيبة الأولى بين بيت سيرا وموقع رأس كركر الى الشمال لمنع اختراق قوات العدو من هناك نحو رام الله .

ثانياً : ضمان ثبات الكتيبة الرابعة بمواقعها الدفاعية مهما بلغت التضحيات ومنع تقدم قوات العدو من تلك المنطقة .

وقد يكون من المناسب ان اشرح هنا بلمحة موجزة وصف المعارك التي خاضتها كتائب الجيش العربي خلال هذه الفترة الحرجة لصد الهجمات المتكررة التي قام بها العدو بقوات تفوقها عدداً وعده بأضعاف المرات وتمكنت من صدها جميعها وتكبيد العدو خسائر ضخمة والاحتفاظ بجميع مواقعنا الدفاعية .

أولاً : معركة يالو : ليلة ١٥/١٦ تموز

كانت مواقع الكتيبة الرابعة في مرتفعات قرية يالو تشكل الهدف الرئيسي للواء العدو (هاريل) الذي كان تقدمه يشكل فك الكماشه الأيمن الذي سوف يطبق على منطقة اللطرون من جهة الشرق كجزء من الهجوم الرئيسي الذي كان موجهاً لاحتلال منطقة اللطرون وتدمير اللواء الثالث والانطلاق بعد ذلك الى رام الله .

لقد بدأ العدو بالتحضير لهذا الهجوم بقصف مدفعي مركز على مواقع الكتيبة الرابعة منذ

صباح يوم ١٥ تموز حتى المساء مستخدماً مختلف أنواع الأسلحة الاسنادية المتوفرة لديه من مدافع الميدان والمورتر بقصد تدمير دفاعاتها واحداث أكبر ما يمكن من الخسائر قبل اقتحامها .

وحوالي الساعة العاشرة ليلة ١٥/١٦ تموز تقدمت إحدى كتائب العدو المهاجمة عبر منطقة باب الواد بالقرب من قرية بيت محسير الواقعة بمواجهة قرية يالو من الجنوب. ورغم ان دوريات الكتيبة الرابعة المتقدمة قد تمكنت من إكتشاف حركة قوات العدو منذ البداية وتهيأت الفرصة الكافية لسرايا الكتيبة الرابعة للإستعداد لمواجهة هذا الهجوم المتوقع إلا أن كتيبة العدو الأمامية تمكنت من التقدم عبر الشعاب والأودية ووصلت إلى موقع متقدم في مواجهة مراكز الكتيبة الرابعه من الجهة الجنوبية من قرية يالو. ومن هناك أرسلت فئة تمركزت على تلة مرتفعة تقع الى الشرق من القرية واخذت تطلق النيران الكثيفة على مواقع السرية الثالثة لجذب الانتباه الى تلك الجهة ولتغطية حركة قوة الهجوم التي تقدمت من الجهة المقابلة وتمكنت من الوصول إلى الأسلاك الشائكة وفتحت ثغرة فيها والتحت مع جنودنا في خنادقهم الأمامية . وبنفس الوقت ارسل العدو قوة اخرى تمركزت في مواجهة سرية المشاة الثانية في التلال المشرفة على قرية دير ايوب واشتبكت معها بالنيران بقصد مشاغلتها ومنعها من التدخل في المعركة .



المؤلف في سيارة القيادة يعطي تعليماته من جهاز اللاسلكي في إحدى المواقع الأمامية اثناء معركة يالو في باب الواد عام ١٩٤٨

واحتدم القتال في منطقة السرية الثالثة بعدما تمكن جنود العدو من اجتياز الأسلاك الشائكة. واشتد إطلاق النار من كافة الأسلحة والقنابل اليدوية واستمر القتال عدة ساعات واضطرت الفئة الأمامية للإنسحاب من موقعها حوالي الساعة الثانية صباحاً وبهذه الاثناء تمكن العدو من احتلال بناية صغيرة قديمة تقع على رأس تلة مشرفة على مواقع الفئات الاخرى وموقع سرية القيادة. فأصبح موقف دفاعات الكتيبة الرابعة حرجاً للغاية. ولإنقاذ الموقف كان لابد من ترتيب عملية هجوم معاكس على وجه السرعة قبل ان يتمكن العدو من التثبيت في المواقع التي احتلها .

وبعد الاتصالات التي تمت بين قائد السرية الثالثة وقائد السرية المساندة واركبان حرب الكتيبة الملازم محمود الروسان أمكن شن الهجوم المعاكس بالساعة الثالثة والنصف صباح يوم ١٦ تموز بقوة قوامها السرية الثالثة وفئتين من سرية القيادة. وقد استخدمت بطارية مدفعية الميدان التابعة الى اللواء الثالث بأسناد هذا الهجوم المحلي. وقد تكبد العدو خسائر كثيرة بالارواح حيث تم احصاء مائة جثة تركها في ساحة المعركة في واجهة الكتيبة الرابعة سقط معظمهم بنتيجة القصف المدفعي في الوادي الذي انسحبوا من خلاله بعد الهجوم المعاكس .

لقد ضرب جنود الكتيبة الرابعة وضباطها اروع مثل في الشجاعة والتضحية اثناء هذه المعركة. وقد ظهرت بطولات فردية نادره كان أعجبها قصة ذلك الجندي الطاهي الذي كان يعد طعام الإفطار لجنود السرية الثالثة في البناية القديمة التي اجتلتها قوة العدو لتوها ولم يكن هذا الطاهي قد عرف ان جنود العدو احتلوا هذه البناية وفوجيء عندما وجد نفسه بينهم ولم يكن يحمل سلاحه لأنه كان مشغولاً بإعداد الطعام. فانقض على أحد جنود العدو وامسك به من رقبته واخذ يضغط عليها بكل قوته. كما أن الجندي اليهودي امسك كذلك برقبة الطاهي وبعد لحظات سقط الاثنان على الارض ميتين .

لقد كانت معركة (يالو) من أهم المعارك التي دارت خلال الايام الاخيرة من فترة القتال الثانية لاسيما وانه كان قد صدر قرار من مجلس الأمن الدولي يوم ١٥ تموز يقضي بوقف إطلاق النار يوم ١٧ تموز في مدينة القدس. وبعد ذلك الموعد بمدة ٣٦ ساعة يسري مفعوله في جميع انحاء فلسطين. ولذلك كان اليهود يحاولون الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنه من الارض خلال الايام القليلة المتبقية. وقد اتضح من تصرفاتهم في مختلف قواطع جبهتنا انهم اخذوا يكتفون جهودهم وينسقون تحركاتهم بهدف احتلال اللطرون وباب الواد لفتح طريق القدس الرئيسية. وانهم كما يظهر نظراً لضيق الوقت قد صرفوا النظر عن خطتهم الموسعة للتقدم نحو رام الله. حيث لم يعودوا يعطون أهمية لحركة الالتفاف من الشمال عبر الفجوة بيننا وبين العراقيين وأصبحت كثافة جهودهم تتمركز حول منطقة اللطرون. ومن هنا جاءت الأهمية التي اتخذوها لمعركة (يالو) من جهة الشرق واحتلالهم لموقع قرية (البرج) غرب اللطرون. ولكن قائد لوائهم الذي قام بهذا الهجوم على مواقع الكتيبة الرابعة قد ارتكب خطأ فادحاً (لحسن الحظ) حيث انه تقدم بكتيبة واحدة في الأمام بهجومه على مواقع السرية الثالثة ولكنه عندما تمكن من احتلال بعض مواقعها لم يستخدم كتائبه الاخرى لاستغلال هذا النجاح وتعزيز زخم الهجوم فوراً. ومن المؤكد انه لو اقحم باقي كتائبه في الهجوم وشدد الضغط على مواقع الكتيبة الرابعة بكاملها لكان من الممكن أن ينجح باختراقها

والانطلاق منها بحركة التفاف حسب خطته الأساسية. ولكنه بدلاً من ذلك ترك سرايا كتيبته الأمامية تقاتل بمعركة ثابتة عدة ساعات حتى تمكنت قواتنا من شن الهجوم المعاكس ضد فئاته التي تمركزت في مواقع السرية الثالثة وتمكنت من طردها منها في الصباح الباكر يوم ١٦ تموز. ولقد كان غريباً فعلاً ان يتصرف بهذا الشكل مع أنه كان لديه باقي كتائب لوائه التي لم يستخدمها بهذه المعركة. ربما لأنه كان يعتقد ان كتيبته الأمامية عندما نجحت باحتلال بعض المواقع سوف تتمكن من تطهير المواقع الأخرى ولذلك لم يرد اقحام باقي كتائبه لكي يسوقها في حركة التفاف بقوس أوسع الى الشرق لتوفير الوقت فيتمكن من الوصول الى شمال اللطرون من الخلف بينما لا تزال معركة (يالو) مستمرة. ولكن هذه النظرية لا تعدو كونها نوع من الحسد بعيد المدى. لكن المهم أن الكتيبة الرابعة استطاعت ان تصمد طيلة معارك هذا اليوم المشهود وافشلت محاولة تقدم اليهود عبر مواقعها بهدف الالتفاف حول مواقع اللطرون من جهة الشرق. ولكن على الرغم من هذا الانتصار الذي حققه رجال الكتيبة الرابعة بصددهم الهجوم وصمودهم في مواقعهم فإن الموقف العام على طول جبهتنا اصبح في غاية الخطورة حيث كانت قواتنا تتعرض لعدة عمليات هجومية في مناطق مختلفة بنفس الوقت تقريباً ونحن في قيادة الفرقة نتابع سير هذه العمليات ونضع الخطط المستعجلة لمواجهة مواقع الخطر وتوفير ما نستطيع نقله من القوات من مكان الى آخر لتعزيز المواقع المعرضة للهجوم حسب تطور المعارك ضمن امكانياتنا المحدودة .

ومن السهل تصور مدى صعوبة موقفنا هذا في تلك الايام العصية إذا عرفنا اننا كنا نواجه جميع هذه المعارك بقوات محدودة جداً وبدون احتياطي رئيسي تحت تصرفنا يمكن أن نستخدمه في الحالات الطارئة سوى الكتيبة الاولى التي كانت في هذه الفترة قد استخدمت للدفاع عن الثغرة التي حدثت بين مواقعنا والمواقع العراقية واتسعت خطورتها بسقوط اللد والرملة قبل اربعة ايام. وبهذا اليوم الذي انتهت فيه معركة (يالو) كانت احدى سرايا هذه الكتيبة تخوض معركة في قرية (قوله) التي تقع على الطريق الرئيسية المؤدية من مدينة اللد الى مدينة طولكرم والتي كان اليهود قد استولوا عليها بعد احتلال اللد كمقدمه لدفع قواتهم عبر تلك المنطقة بهدف تطويق مواقعنا في منطقة اللطرون من الخلف وبالتالي اختراق جبهتنا والتقدم نحو رام الله. كما كان اليهود خلال اليومين السابقين قد اكملوا احتلال القرى الواقعة شرقي الرملة وأخرها قرية البرج التي تشرف على الطريق الرئيسية المؤدية من اللطرون الى مثلث بيت سيرا وهي طريق التزويد الوحيدة لقواتنا المقاتلة في منطقة اللطرون. وقد تمكن اليهود من السيطرة على هذه الطريق بنيران الرشاشات والمدافع المضادة للدروع وكان علينا ان نزيل هذا الخطر بسرعة. هذا بالإضافة إلى أنه خلال الايام الثلاثة السابقة كان

اليهود يهاجمون مواقعنا في القدس في واجهة الكتيبة الثالثة من باب العمود حتى الشيخ جراح. وفي واجهة الكتيبة السادسة عند باب النبي داوود وعلى امتداد الأسوار. وفي جنوب القدس عند قرية المالحه .

وهكذا أصبحت جميع قواتنا على طول الجبهة في حالة اشتباك مستمر مع اليهود ليلاً ونهاراً. ولم يكن من السهل سحب أي جزء منها للقيام بعمليات في مواقع أخرى وخصوصاً تلك القوات المتواجده بداخل مدينة القدس. ولهذا لم يكن أمامنا سوى التصرف بالكتائب الأولى والثانية والرابعة والخامسة حسب تطورات المعركة .

وفي يوم ١٥ تموز خططنا لعمليتين سريعتين كان من الضروري تنفيذهما يوم ١٦ تموز. وكانت العملية الأولى الهجوم على قرية (قوله) في الشمال لكي نتمكن من تسليم ذلك الجزء من الجبهة الى الجيش العراقي. وبعد ذلك نسحب الكتيبة الأولى بكاملها لتصبح مسؤولة عن الدفاع عن المنطقة الواقعة بين بلدة (دير قديس) ومثلث بيت سيرا. وذلك لكي يصبح بإمكاننا بعد تقصير جبهتها بشكل ملموس التصدي للقوات اليهودية المتقدمة من هناك وإيقافها. وقد تم الاتفاق مع القيادة العراقية على هذا التوجه .

والعملية الثانية هي القيام بهجوم معاكس على موقع قرية البرج لاحتلالها وإزالة خطر تأثير نيران اليهود على طريق اللطرون - بيت سيرا. وبالإضافة لهذا فقد وضعنا خطة هجوم محدود في داخل مدينة القدس تقوم بتنفيذها الكتيبة الثالثة لتعديل وتحسين خطوطها بالاستيلاء على بعض الأبنية المهمة المسيطرة في جبهتها. وكان من المقرر ان تتم جميع هذه العمليات قبل نهاية يوم ١٨ تموز الذي سيبدأ فيه تنفيذ وقف إطلاق النار حسب قرار مجلس الأمن الدولي. ولقد كنا نتوقع ان يقوم اليهود بعمليات هجومية جديدة وخصوصاً على موقع اللطرون الذي كان يعتبر إنه هدفهم الرئيسي طيلة الوقت. حيث كانوا هم أيضاً يحاولون ان يستولوا على أكبر مساحة ممكنة من الارض خلال الايام الثلاثة الباقية قبل سريان وقف إطلاق النار. ولهذا فقد جمعوا قوة ضخمة مؤلفة من خمسة ألوية في مواجهتنا في قاطع اللطرون لكي يستولوا على هذه المواقع الحيوية الهامة. وقد كان اليهود على ما يبدو واثقين من أنهم سوف يحققوا هذا الهدف قبل موعد وقف إطلاق النار. ولذلك كنا نعتبر ان جميع المعارك القادمة سوف تكون قاسية وفي غاية الأهمية لأنها جميعها سوف تكون ذات صلة مباشرة بالهجوم الرئيسي الذي كان اليهود يعدونه لاحتلال موقع اللطرون وفتح طريق القدس. وان هذه هي المعركة الحاسمة التي يجب أن لا نخسرها مهما كان الثمن لأنه بخسارتها سوف تكون النهاية. وبذلك ربما نخسر القدس وباقي ما لدينا من مواقع اخرى وسيقرر مصير وجود الجيش العربي في فلسطين نهائياً .

والآن سوف اشرح مجمل المعارك الفرعية أولاً ثم أتى على شرح معركة اللطرون الرئيسية .

ثانياً : الهجوم المعاكس على قرية قوله - ١٦ تموز

كان اليهود قد احتلوا قرية (قوله) بعد فراغهم من احتلال اللد والرملة مباشرة. ثم تمركزت قواتهم على مرتفع يسيطر على الطريق المؤدي من اللد الى طولكرم. وكانت وحدات الكتيبة الاولى بهذا الوقت قد تمركزت في مواقع دفاعية تمتد من مرتفعات (رنتيس - دير طريف) حتى قرية بدرس .

وبهذه الاثناء تم التنسيق مع القيادة العراقية حيث كانت كتيبتهم المتمركزة في منطقة قرية كفر قاسم تنوي شن هجوم معاكس لاسترداد موقع (مجدل يابا) الذي كانوا قد انسحبوا منه يوم ١٢ تموز. وذلك لكي يتم الاتصال القلعي بين قواتنا وقواتهم وتصبح نقطة الارتكاز عند اتصال جبهتنا قوية ولا تسمح للقوات اليهودية بالاختراق من خلالها. ولما كان من المقرر ان يقوم قائد الكتيبة العراقية بهجومه هذا يوم ١٦ تموز فقد رتبنا نحن من جانبنا ان يقوم قائد الكتيبة الاولى بالهجوم على قرية قوله يوم ١٦ تموز كذلك لمساندة الجهد العراقي. وقد خصص قائد الكتيبة الاولى لهذه العملية سرية مشاة تسندها فئة مدافع المورتر وفئة مدرعات. وكان يقود هذه القوة الملازم عبدالله فلاح. وقد تم الكشف على مواقع العدو يوم ١٥ تموز وبدأ الهجوم عند الفجر يوم ١٦ تموز. وكان هجوماً سريعاً حقق نجاحاً تاماً حيث تمكنت قوتنا من مفاجأة العدو وتكبيده خسائر جسيمة واستطاعت احتلال الموقع وتطهيره نهائياً حوالي الساعة الثامنة صباحاً. وقد ترك اليهود ثلاثين قتيلاً بينهم ضابطين على ارض المعركة. واستشهد من جنودنا خمسة وقائد السرية الملازم عبدالله فلاح الذي اصيب برصاصة في رأسه اطلقها عليه أحد جرحى اليهود اثناء تطهير الموقع .

هذا وقد بقيت هذه السرية في موقعها الذي احتلته مدة ٢٤ ساعة فقط حيث تم تسليم هذا القاطع من الجبهة الى الجيش العراقي. حيث أنهم وافقوا اخيراً على تمديد خطوطهم لمسافة محدودة الى الجنوب لتشمل قرية بدرس لكي نتمكن من سحب الكتيبة الاولى بكاملها الى موقع (دير قديس - بيت سيرا) لتوفير حماية معقولة الى مواقع اللطرون وباب الواد .

ثالثاً : الهجوم على قرية البرج - ١٦ تموز

كان يوم ١٦ تموز يوماً صعباً بالنسبة لنا حيث على الرغم من أن الهجوم اليهودي على

مواقع الكتيبة الرابعة في تلال قرية (يالو) قد فشل في الصباح الباكر إلا أن الموقف العام ما زال في غاية الخطورة .

حيث كان اليهود قد أكملوا احتلال القرى الواقعة في مواجهة اللطرون وركزوا فيها لواء مشاه ولواء مدرع . منها كتيبة في قرية البرج وأخرى حول قرיתי (بيرامعين) (وعجنجول) . والكتيبة الثالثة في الاحتياط في قرية (سليبيت) . وأما اللواء المدرع فتمركز حول قرיתי (عنابة وجمزو) يوم ١٥ تموز . واعتبارا من فجر هذا اليوم ١٦ تموز كانت قوة من الكتيبة الأولى مشتبكة في معركة (قولة) التي كان اليهود قد احتلوها قبل ثلاثة أيام .

ورغم أننا اتفقنا مع العراقيين كي يمددوا جبهتهم قليلا الى الجنوب لتشمل قرية بدرس لكي نستطيع سحب الكتيبة الأولى من مواقعها الحالية وتركيزها بين دير قديس ومثلث بيت سيرا الا اننا لا نستطيع القيام بهذه التحركات قبل ان تنتهي من معركة قوله التي كانت ما زالت دائرة كما شرحت باعلاه .

وبنفس الوقت ان ينتهوا هم من الهجوم المعاكس الذي كانوا ينفذونه ضد القوة اليهودية التي احتلت موقع (مجدل يابا) .

وقد كنا نخطط للقيام بهجوم معاكس بسرعة على موقع البرج وبيرامعين. لكي نوقف القوات الاسرائيلية التي كانت تهدف الى قطع طريق اللطرون من تلك المواقع وتطويق الكتيبة الثانية من الخلف. ولكننا كنا نفضل القيام بهذا الهجوم في اليوم التالي لكي نستخدم فيه جزءا من الكتيبة الاولى عند وصولها الى مواقعها الجديدة . ولكن هذا لم يكن ممكنا لان الانتظار لمدة ٢٤ ساعة سوف يكون لصالح الاسرائيليين الذين قد يشنون هجومهم ليلة ١٦/١٧ تموز وعندئذ سنخسر المعركة . ولذلك اصبحت الامكانية المتوفرة مبدئيا هي تدبير قوة من الكتيبة الثانية للقيام بهذا الهجوم رغم ان سحب اية قوة من مواقعها الدفاعية في اللطرون كان ينطوي على مجازفة خطيرة لأن الاسرائيليين لو قرروا شن هجومهم من الجنوب على موقع اللطرون بنفس الوقت الذي نكون فيه قد سحبنا منه نصف القوة المدافعة عنه لكي تقوم بالهجوم على قرية البرج ربما امكنهم اجتياح هذا الموقع الحيوي بسهولة ، وعندئذ سيصبح من الصعب علينا وقف هجومهم او استرداد مواقعنا التي خسرتها ، ولكن على الرغم من ذلك وعلى ضوء الموقف العام فقد حتمت الظروف قبول المجازفة واتخاذ هذا القرار . ولكننا على اي حال تريثنا باتخاذها حاليا .

وفي صباح يوم ١٦ تموز بينما كنا في قيادة الفرقة نتابع مختلف العمليات في جميع ارجاء الجبهة ابلغنا قائد اللواء الثالث إنه حصل هياج بين جنود الكتيبة الثانية وانهم تمردوا على

قائد الكتيبة (الميجر لوكت) واخذوا يطالبونه بان يقوموا بالهجوم على اليهود لانهم غير مقتنعين ببقائهم في موقف الدفاع في اللطرون بينما قام اليهود باجتياح مدينتي اللد والرملة. وها هي قواتهم قد وصلت الى مواقع تسيطر على طريق مواصلاتنا ولقد كان هذا الموقف من نتائج تأثير كارثة اللد والرملة على معنويات جنودنا الذين كانوا يضحون بارواحهم للدفاع عن ثرى فلسطين وبنفس الوقت كانوا يشاهدون مناظر الاف اللاجئين من الرجال والاطفال والنساء قادمين من هاتين المدينتين ويكيلون لهم الشتائم معتبرين انهم مسئولون عن مصيبتهم دون تقدير لاهمية المواقع التي يدافع عنها هؤلاء الجنود البواسل الذين لم يتوانوا عن التضحية بارواحهم دفاعا عن هذه الديار العزيزة وقد جاد زملاء لهم كثيرون بارواحهم وذهبوا شهداء في مختلف المعارك السابقة وسيلحق بهم اخرون من هؤلاء الجنود (الذين يشتمونهم الان) في معارك اخرى قادمة . ولم يكن اللاجئين انفسهم على استعداد ان يفهموا في وسط هذه المحنة ان هؤلاء الجنود ليسوا هم المسئولون عن ما حل بهم من كوارث ، وان ظروفنا وسياسات معينة هي التي ادت بهم الى هذا المصير وليس الجنود والضباط هم المسئولون عنها . ومهما كان الامر فان مناظر هؤلاء اللاجئين الاليمة وتصرفاتهم المؤسفة وأوضاعهم المحزنة كان لها ابلغ الأثر على معنويات جنودنا واصبحوا بوضع ليسوا مستعدين معه ان يفهموا الاهمية الاستراتيجية للمواقع التي يدافعون عنها وانها يجب ان تعطى الاولوية القصوى على أي شيء اخر لانهم اذا خسروها سوف نخسر المعركة بكاملها . ومعها سوف نخسر جميع ما تبقى بيدنا من فلسطين وليس اللد والرملة فقط . بل كان كل همهم ان يشنوا هجوما على القوات الاسرائيلية ويستشهدوا في سبيل فلسطين حتى لو خسروها بعد ذلك .

لقد كان واضحا ان معنويات جنودنا اصبحت تتأثر بشكل جدي وتتحدر الى الاسوأ. وقد اصبح واضحا كذلك ان هذا الموقف اصبح حساسا وخطيرا وانه يتحتم معالجته بسرعة لاسيما وان قائد اللواء وقائد الكتيبة الثانية لم يستطيعا تهدئة هياج هؤلاء الجنود لكونهما ضابطين بريطانيين . ولذلك فقد قرر قائد الفرقة انه من الافضل ان يقوم بهذه المهمة ضابط عربي من خارج الكتيبة الثانية ولذلك طلب من وكيل القائد عبد الله التل ان يتحرك الى مواقع الكتيبة الثانية لكي يشرح للجنود والضباط خطورة الموقف. وان الضرورة العسكرية تفرض علينا ابقائهم في وضع الدفاع في مواقع اللطرون نظرا لاهميتها الاستراتيجية بالنسبة لجبهتنا بكاملها. واننا في صدد اتخاذ بعض الاجراءات المهمة ضمن قدراتنا لايقاف زحف اليهود. ولذلك فإن اي تخلخل في دفاعات اللطرون سيعرض موقفنا للخطر .

ولكن بعد عودتي من زيارة منطقة الكتيبة الاولى ابلغني قائد الفرقة ان وكيل القائد

عبدالله التل ذهب الى الكتيبة الثانية وحاول تهدئة الجنود ولكنه لم ينجح تماما . حيث انه اخبره بعد عودته ان وضعية هؤلاء الجنود ليست مرضية وانهم مالم يقوموا بعملية هجومية ضد اليهود فان معنوياتهم سوف تتدهور الى مستويات خطيرة ولن تكون عواقبها سليمة .

ولهذه الاسباب جميعها قرر قائد الفرقة ان تقوم هذه الكتيبة بعملية الهجوم المعاكس على مواقع اليهود في منطقة البرج بهدف احتلالها وايقاف زحفهم شرقا نحو طريق بيت سيرا - اللطرون .

وعندئذ اصدرنا الامر الى قائد اللواء الثالث لكي يسحب سريتي مشاه من موقع اللطرون الى منطقة التجمع في منطقة بيت نوبا لكي تشتركا في عملية الهجوم . وان يستعيض عنهما في مواقع اللطرون مؤقتا بما يمكن توفيره من جنود الكتيبة الرابعة ومن المناضلين المتواجدين في بعض القرى في منطقة اللواء .

وقد تم تجميع قوة الهجوم في منطقة الحشد بعد ظهر ذلك اليوم ١٦ تموز وكانت تتألف من الوحدات الآتية بقيادة قائد الكتيبة الثانية الميجر لوكت :

- ١ - سرية المدرعات الثانية - بقيادة الملازم حمدان الصبيح البلوي
- ٢ - سرية المشاة الثانية - بقيادة الملازم محمد كساب
- ٣ - سرية المشاة الثالثة - بقيادة الملازم رفيق خال الخريشة
- ٤ - فئة مدافع ضد الدرع ٦ رطل - بقيادة الملازم حيدر مصطفى
- ٥ - مجموعة اسناد الكتيبة مؤلفة من ٤ مدافع مورتر ٣ انش + ٤ رشاشات فكرز
- ٦ - وضعت بطارية مدفعية الميدان الثانية باسناد الهجوم

ولتعزيز الدفاع في موقع اللطرون بدل السرايا التي سحبنا للقيام بالهجوم ارسل قائد الكتيبة الرابعة المقدم حابس المجالي بناء على طلب من قيادة اللواء قوة مؤلفة من حوالي مائة جندي جمعها من مختلف سرايا كتيبته لكي تحتل جانبا من المواقع الدفاعية في اللطرون بدل السرايا التي سحبنا منها . كما تم تجميع حوالي مائة وخمسين مناضلا من القرى القريبة وارسلوا كذلك الى اللطرون لتوزيعهم على مواقع السرايا لتكثيف دفاعاتها .

قام قائد الكتيبة الثانية بالكشف السريع على مواقع العدو ووضع خطة الهجوم ثم عاد الى منطقة الحشد وجمع قسم الامر لاعطائهم اوامره النهائية . وقد كانت خطته تقضي

بالهجوم على موقع قرية البرج على اعتبار انها تقع على ربوة عالية تشرف على المنطقة المحيطة بها وعلى الطريق الرئيسية. وقد ترك موقع قرية (بيراماعين) القريبة منها الى الجنوب لانه اعتقد انها خالية من القوات اليهودية عندما قام بالكشف على المنطقة . كما قرر ان تكون ساعة الصفر بتمام الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر . وان تتقدم سرية المدرعات في طليعة الهجوم تتبعها سريتا المشاة تحت ستار نيران المدفعية والاسلحة المساندة الاخرى . وقد انتخب طريق (بيت سيرا - اللطرون) والتي تبعد حوالي الف متر عن قرية البرج (الهدف) لتكون خط البدء وفي تمام الساعة الرابعة بعد الظهر بدأت المدفعية بقصف قرية البرج وتقدمت القوة المهاجمة نحو خط البدء وما ان وصلت حتى فتحت عليها نيران اليهود من مواقعهم في (بيراماعين) التي ظن قائد الكتيبة انها كانت خالية، وعندئذ لم يكن امامه خيار سوى التقدم بسرعة نحو قرية البرج لانه لا يمكنه بهذه اللحظة المتأخرة التوقف واعادة النظر في خطته اذن لتضاعفت اصابات جنوده . كما ان توقيت الهجوم كان سيئا لأن الشمس كانت وهي تنحدر للغرب قبيل غروبها تعكس اشعتها الساطعة على عيون الجنود اثناء تقدمهم نحو الهدف وكان قائد الكتيبة قد قرر قبول هذه المجازفة نظرا لضيق الوقت . ولما كانت نيران المدفعية والاسلحة المساندة في البداية تتركز كلها على قرية البرج فقد تمكنت القوة اليهودية في (بيراماعين) من ايقاع العديد من الاصابات بين قواتنا وعلى الرغم من صعوبة الموقف وكثرة الاصابات بين جنودنا واصابة عدد من المدرعات المتقدمة ومن ضمنها مدرعة قائد السرية. فقد تمكنت سرايانا من الوصول الى قرية البرج واحتلت معظمها وطهرت خنادق اليهود فيها . ولكن القوات اليهودية تمكنت من شن هجوم معاكس قبيل غروب الشمس بقوة كبيرة ولم تتمكن سرايانا من الصمود طويلا امام هذا الهجوم نظرا لتناقص عددها بسبب كثرة الاصابات فاضطرت للانسحاب. وقد لاحقها اليهود بقذائف المدفعية والمورتر ونيران الرشاشات اثناء انسحابها عبر الارض المكشوفة فأوقعوا بين افرادها المزيد من الاصابات . ولكن على الرغم من ان هذا الهجوم لم يكن ناجحا بالشكل المطلوب نظرا للعديد من الصعوبات والاختطاء الا انه حقق الغاية الاساسية التي تم تنفيذه من اجل تحقيقها وهي ايقاف زحف العدو من مواقعه الحالية بالاضافة الى تكبيده خسائر كبيرة بالأرواح حيث قدرت اصاباته باكثر من مائتين بين قتل وجريح . بينما كان مجموع خسائرننا ستون اصابة بين قتل وجريح ومفقود وتدمير ثلاثة مدرعات ومدفع واحد (عيار ٦ رطل) ضد الدرع . وهي خسائر تعتبر عالية جدا بالنسبة الى حجم قواتنا المهاجمة . ولقد كان هذا الهجوم من اهم العمليات الحربية التي قامت بها وحدات الجيش العربي رغم محدوديته وذلك نظرا لخطورة الموقف العام على طول الجبهة انذاك وضرورة ايقاف زحف

اليهود من تلك الجبهة بأي ثمن. وقد أبدى جميع الجنود والضباط شجاعة وبسالة نادرتين وتصميمًا على القتال واستماتة في سبيل تحقيق الهدف. وقد ظهرت خلال هذا الهجوم أمثلة نادرة على الشجاعة الفردية من قبل القادة والجنود بمختلف مراتبهم وعلى الرغم من التضحيات الهائلة والشجاعة النادرة التي اتسم بها جميع الجنود وضباط الصف والضباط فان هذا الهجوم لم ينجح باحتلال موقع البرج لعدة اسباب . لكنه على اي حال نجح في تحقيق الغاية الاساسية منه وهي ايقاف تقدم القوات اليهودية شرقا لاحكام الطوق حول موقع اللطرون .

اما اسباب فشل هذا الهجوم فيمكن تلخيصها بما يلي .:

أ - كانت القوات اليهودية المتمركزة في موقع البرج وبيرامعين حوالي كتيبتين وخلقهما كتيبة في الاحتياط لان هذه القوة كانت محتشدة كجزء من الهجوم العام الذي سيوجه ضد موقع اللطرون، ومعنى هذا ان القوة المدافعة عن اي موقع منها تعادل ضعف القوة المهاجمة وهذا مخالف لاي منطق عسكري ولهذا فقد كان القيام بهذه العملية بقوة تعادل نصف كتيبة عمل خاطيء الا انه كان امرا ضروريا فرضته الظروف الطارئة حيث لم يكن هنالك بد من المجازفة في وجه التهديد الخطير الذي سينتج عن تقدم القوات اليهودية من هذا الجناح نحو اللطرون . ولم تكن عملية الهجوم على البرج سوى جزء من عملية الدفاع عن موقع اللطرون الذي كان يجب ان يصمد بقوة الكتيبة الثانية فقط امام قوات معادية مؤلفة من ثلاثة الوية . وقد كنا نعرف ان هذه هي وقفتنا الاخيرة في مواقع اللطرون وباب الواد ومن المستحيل ان نقبل الانسحاب منها لاننا بهذه الحالة سوف نخسر القدس وباقي فلسطين الوسطى. ولذلك كان على قواتنا المدافعة عن هذه المواقع ان تصمد فيها او ان تموت فيها .. وامام هذا الموقف كان لا بد من قبول المجازفات الخطيرة مثل عملية الهجوم على مواقع (البرج) والتي نجحت على اي حال بايقاف تقدم القوات اليهودية عند ذلك الحد ومنعها من اتمام الطوق حول اللطرون من الشمال . لقد كان هذا الهجوم امرا حتميا فرضته علينا ظروف تطورات المعارك بعد احتلال مدينتي اللد والرملة لان قوات العدو الامامية وصلت بعد ذلك الى موقع البرج وبيرامعين واصبحت تسيطر منهما على طريق مواصلاتنا بين اللطرون ورام الله . ولذلك كان لابد لنا من مهاجمة هذه المواقع لخراجها منها او ايقاف تقدمها عندها .

وقد كانت النية تتجه الى تشكيل قوة خاصة من سرايا الكتيبة الاولى للقيام بهذا

الهجوم. ولكن عندما لم ينجح عبد الله التل باقناع جنود الكتيبة الثانية الذين تمردوا وابلغ قائد الفرقة بأنه لابد من اشراكهم في عملية هجوم لرفع معنوياتهم قرر قائد الفرقة تغيير طريقة تجميع القوة واسناد العملية الى الكتيبة الثانية رغم اننا لم نكن راغبين بالاقدام على هذه المجازفة لان الهجوم الكبير على اللطرون بات وشيكاً بالإضافة الى ان اسناد تنفيذ هذه العملية الى الكتيبة الاولى كان يقتضي تأجيلها مدة ٢٤ ساعة كما اسلفت وهذا غير مقبول كذلك . اما بالنسبة الى حجم هذه القوة التي خصصت للهجوم فقد كان من المستحيل بذلك الوقت بالذات وفي تلك الظروف توفير قوة اكبر لان جميع قواتنا كانت مثبتة في مواقعها الدفاعية ومعظمها في حالة اشتباك مع العدو وكان علينا ان نعالج الاحداث في جميع انحاء الجبهة وان نتصرف بالقوات المتوفرة لدينا على افضل الطرق التي توفر اكبر قدر من الامن وامكانيات النجاح لجميع قواتنا المقاتلة في كافة المواقع .

ب - لم تكن الاستعدادات قبل العملية كافية. حيث تم الكشف من قبل قائد الكتيبة ووضع الخطة والمباشرة بالتنفيذ خلال فترة قصيرة. الامر الذي نتج عنه عدم اكتشاف جميع مراكز العدو بشكل دقيق. وعدم تحديد حجمها الحقيقي. وقد ركز قائد الكتيبة كل اهتمامه على موقع البرج واهمل موقع بيرامعين الواقعة جنوبها وقدر انها خالية من جنود العدو . وقد اوقعه هذا الخطأ في مفاجأة خطيرة اثناء التقدم نحو الهدف وعرض جنوده لنيران كثيفة اثناء مرورهم بارض مكشوفة وكبدتهم خسائر بالارواح. وعلى الرغم من ان قائد الكتيبة قد برر موقفه هذا بسبب ضيق الوقت حيث كان ملزماً بالبدء بالهجوم خلال ساعتين فان الخطأ الذي ارتكبه كان خطيراً. ونظرا لضيق الوقت فقد حدد قائد الكتيبة ساعة الصفر بالساعة الرابعة والنصف بعد الظهر حيث كانت الشمس تميل الى الغروب وبما ان اتجاه الهجوم كان من الشرق الى الغرب فان وهج ضوء الشمس كان ينعكس على عيون جنودنا بقوة عنيفة . وكان لهذا الوضع تأثير كبير على دقة وفعالية نيرانهم. وعلى العكس كانت دقة وفعالية نيران العدو ذات تأثير كبير على جنودنا وأوقعت بهم اصابات كثيرة. وعلى الرغم من ان هذا التوقيت لا يتحمل مسؤوليته قائد الكتيبة لانه تلقى امرا من قائد اللواء بالهجوم قبل حلول الظلام الا انه على اي حال ارتكب خطأ خطيرا بعدم اعطائه الاهتمام الكافي لتحديد جميع مواقع العدو اثناء الكشف وركز اهتمامه على موقع البرج فقط كما انه لو انتبه الى مسألة تأثير شعاع الشمس عند الغروب على عيون الجنود لعرف انه كان عليه تغيير اتجاه الهجوم ومكان خط البدء وان يتقدم من الشمال الى الجنوب ويبدأ هجومه من نقطة على التلال الواقعة

غرب مثلث بيت سيرا . اذن لكنت النتائج افضل بكثير. ورغم كل هذا فلم يحاسبه احد في تلك الظروف التي كان من السهل فيها ايجاد الاعذار لضابط انجليزي .

ج - تفوق القوات اليهودية المدافعة عن الموقع وتوفر الاحتياطي المباشر لديها مكنها من القيام بشن الهجوم المعاكس على قواتنا حال وصولها الى الهدف وقبل مرحلة التثبيت وتحصين الموقع والتمركز في خنادق دفاعية تمكنهم من الصمود في وجه الهجوم مما اضطرهم للانسحاب المنظم ليتجنبوا المزيد من الاصابات بدون جدوى . لاسيما وان هذه القوة قد خسرت من افرادها حوالي ١٨ بالمائة اثناء الهجوم . ولم يكن لها امل بالبقاء طويلا في موقع البرج امام التفوق الساحق لقوات العدو المتواجدة حولها . وعلى الرغم من كل ذلك فإن عملية الهجوم على موقع البرج قد حققت هدفها لانها اوقفت تقدم العدو عند خط البرج - بيرامعين. وافشلت بالتالي محاولة تطويق مركز اللطرون من الخلف مؤقتا على الاقل واعطتنا فسحة من الوقت لمدة ٢٤ ساعة لكي نتمكن من اتمام نقل الكتيبة الاولى الى منطقة دير قديس - بيت سيرا . واعادة تنظيم خط الدفاع بكامله بشكل افضل قبل موعد وقف اطلاق النار .

وعلى هذا الاساس تم اعادة سرايا الكتيبة الثانية (التي قضت ليلتها بعد الانسحاب من البرج في منطقة بيت سيرا) الى مواقعها في اللطرون صباح يوم ١٧ تموز

رابعا : نقل الكتيبة الاولى الى جبهة دير قديس - بيت سيرا وعملياتها اللاحقة

بعد الانتهاء من معركة (قولة) وعندما تأزم الموقف حول منطقة اللطرون كان لا بد من سحب هذه الكتيبة جنوبا الى منطقة دير قديس - بيت سيرا لايقاف تقدم العدو من تلك المنطقة وتوفير قدر معقول من الحماية لجناح اللواء الثالث الايمن . ودعم الدفاع في منطقة اللطرون بشكل عام . لاسيما وانه بعد فشل الهجوم على موقع البرج واعادة سرايا الكتيبة الثانية الى مواقعها السابقة في اللطرون لم يبق لدينا اية قوة متوفرة للدفاع عن المنطقة الممتدة من اللطرون حتى مثلث بيت سيرا . وعلى هذا الاساس تقرر نقل الكتيبة الاولى الى مواقع جديدة لدعم الدفاع وحماية تلك المنطقة . وقد بدأت حركتها الى مواقعها الجديدة صباح يوم ١٧ تموز حيث اسندت لها مهمة الدفاع عن المنطقة الواقعة بين اللطرون وحدود الجبهة العراقية .

ولتنفيذ الواجبات المسندة اليها قام قائد الكتيبة بتوزيع سراياها على المواقع التي تسيطر على طرق الاقتراب التي يمكن لليهود ان يتقدموا منها شرقا نحو خطوط دفاعاتنا كما يلي :

- ١ - قيادة الكتيبة ومعها سرية مشاة - في قرية خريثا
- ٢ - سرية مشاة (لاغلاق طريق اللد - بدرس) - في قرية دير قديس
- ٣ - سرية مشاة (لاغلاق معبر وادي الملاقي) - في مرتفع راس كركر
- ٤ - سرية المدرعات وفئة المورتر (٣ انش) - في قرية صفا شرق راس كركر (وترسل دوريات مستمرة نحو بيت سيرا)

وفي مساء ذلك اليوم كانت جميع هذه الوحدات قد اكملت تمركزها في مواقعها الجديدة حيث كان يوم ١٧ تموز قد مضى هادئا نسبيا في هذا الجزء من الجبهة وقد أنصرف اهتمام اليهود بعد انتهاء معركة البرج في اليوم السابق الى الاستعداد لمعركة اللطرون الرئيسية التي حشدوا لها جميع الالوية المتوفرة لديهم في المنطقة بقصد احتلالها نهائيا هذه المرة بعدما فشلت جميع محاولاتهم السابقة .

وكما اتضح لنا من تحركاتهم فانه يبدو انهم صرفوا النظر عن حركة الالتفاف من الشمال حول منطقة اللطرون والانطلاق نحو رام الله لاسيما وانه لم يبق امامهم من الوقت سوى ٤٨ ساعة قبل موعد وقف اطلاق النار الذي قرره مجلس الامن الدولي ليبدأ اعتبار من يوم ١٨ تموز . كما ان المعارك التي سوف يتعرضون لها في حركة الالتفاف الواسعة قد تستغرق وقتا طويلا وستعرضهم الى مخاطر كثيرة تجعل فرص نجاحهم غير مضمونة ولكنهم على أي حال قرروا القيام بهجوم ثانوي محدود في قاطع الكتيبة الاولى بهدف احتلال بعض التلال المشرفة على مثلث بيت سيرا لاشغال هذه الكتيبة في معارك جانبية لكي يثبتوها ويحولوا دون اشتراكها في معركة اللطرون الرئيسية المقبلة . ففي ليلة ١٧/١٨ تموز حركوا كتيبة مشاة من منطقة اللد باتجاه مثلث بيت سيرا عبر (وادي الملاقي) الذي يمر من امام مرتفع راس كركر الذي تمركزت فيه سرية مشاة من الكتيبة الاولى . وكما يظهر فان اليهود لم يكتشفوا وجودها هناك . وحوالي الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم ١٨ تموز عندما وصلت طليعتهم الى الشمال من مرتفع راس كركر فوجئت بنيران الدورية الثابتة التي سبق ان ارسلها قائد الكتيبة الى وادي الملاقي لهذه الغاية . فتوقفت القوة اليهودية وانحرفت الى اليمين واخذت تصعد سفح مرتفع راس كركر .

ولما كانت تعتقد ان هذا المرتفع خال تماما من قواتنا فقد تمركزت على طرفه الجنوبي غير بعيد عن مواقع سريتنا واخذ جنودها يحفرون الخنادق الدفاعية . وعندما مرر قائد السرية هذه المعلومات الى قائد الكتيبة الاولى امره بالاستعداد للهجوم على القوة اليهودية بعد ان يتم قصفها بمدافع المورتر الموجودة في قرية (صفا) . وبنفس الوقت حرك قائد الكتيبة

سرية المدرعات من قرية صفا لكي تطوق مواقع اليهود من جهة الجنوب . وبعد قصف دام حوالي نصف ساعة بمدافع المورتير تقدمت سرية المشاة بالهجوم عند شروق الشمس . وبنفس الوقت فتحت سرية المدرعات نيرانها على مواقع اليهود الذين اصبحت الان محصورين بين القوتين ولم يتمكنوا من المقاومة كثيرا وبدأوا بالانسحاب على وجه السرعة نحو قرية (شلتا) وما لبث انسحابهم حتى تحول الى هزيمة . فاخذت المدرعات تلاحق فلولهم بين الشعاب والادوية وتلحق بهم الكثير من الاصابات وبنتيجة هذ المعركة ترك اليهود ١٢٠ مائة وعشرين قتيلًا في ارض المعركة وكميات من الاسلحة والذخائر المختلفة . ولقد كان انتصار الكتيبة الاولى بهذه المعركة ينطوي على اهمية خاصة للاسباب الآتية :

١ - لانها منعت وصول اليهود الى مثلث بيت سيرا البالغ الاهمية وكبدتهم خسائر فادحة بالارواح .

٢ - لان هذا الانتصار جاء على اثر فشل الهجوم على موقع البرج فكان بمثابة انتقام سريع لشهدائنا فيها .

٣ - لان اليهود جربوا عنف الصدام وقوة الدفاع في هذه المنطقة فعرفوا انه لا جدوى من اثارة المعارك الجانبية فيها ولذلك لم يكرروها .

٤ - لان هذا الانتصار كان مهما لمعنويات جنود هذه الكتيبة الذين شعروا وكانهم خارج الحرب عندما قضوا عدة ايام في السفر الى غور الجفتك والعودة منه بينما كان زملاؤهم يقاتلون في مختلف المعارك . وقد كانت معركة راس كركر اول انتصار يحققونه بعد عودتهم من الغور . لاسيما وان معركة (قولة) التي خاضتها احدى سرايا هذه الكتيبة قبل ثلاثة ايام لم تكن بهذا المستوى من حيث الحجم والنتيجة .

هذا ولقد قام اليهود بمحاولة اخيرة صباح يوم ١٨ تموز في هذه المنطقة حيث تقدمت قوة تقدر بحوالي سريتين باتجاه بيت سيرا من منطقة بيرامعين للاستيلاء على مثلث الطرق هناك . فتصدت لها السرية الخامسة واشتركت معها ثلاثة مدرعات من الكتيبة الاولى كانت تقوم بمهمة الدورية بين قريتي صفا وبيت سيرا . وقد اجبرت القوة اليهودية على التراجع بعد تكبيدها عددا كبيرا من الاصابات .

خامسا : - الهجوم الرابع والاخير على اللطرون وباب الواد - ١٨ تموز

كان موقع اللطرون بهذه الاثناء شبه مطوق من الغرب والشرق والجنوب . حيث كان

اليهود خلال الايام القليلة التي سبقت موعد الهدنة الثانية قد تمكنوا من توسيع مناطق كتابتهم المتقدمة حول اللطرون من الغرب والشرق بحيث اصبحت المسافة التي تفصل بين وحداتهم الامامية في منطقة البرج وبيرامعين في الغرب وبين وحداتهم التي كانت تحتل مرتفعاً مشرفاً على قرية بيت نوبا في الشرق حوالي ثلاثة كيلو مترات فقط كما كانت وحداتهم الامامية في منطقة البرج تسيطر على طريق مواصلاتنا بين بيت سيرا واللطرون . ولكن الهدوء كان يسيطر على تلك المنطقة طيلة يوم ١٨ تموز. وعلى الرغم من خطورة الموقف فان الجو السائد كان يشير الى قرب انتهاء القتال . حيث كان قد تحدد موعد وقف اطلاق النار بالساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم . الا ان اليهود كانوا في الواقع قد اعدوا للهجوم الاخير الذي كانوا يأملون بنتيجته ان يحتلوا مواقع اللطرون بسرعة قبل حلول موعد وقف اطلاق النار . اما من جانبنا فقد كانت القوة المتواجدة في بناية مركز بوليس اللطرون عبارة عن فئة مشاة تسندها حظيرة مورتر (٣ انش) من مدفعين . وحظيرة رشاش متوسط (فكرز) من رشاشين وحظيرة مدافع ضد الدرع (٦ رطل) من مدفعين . تم تركيز احدهما على سطح البناية والاخر في الساحة الخارجية ، واما باقي الكتيبة الثانية فقد كانت في مواقعها في مرتفعات اللطرون المسيطرة على طريق وادي الصرار وطريق باب الواد .

وعند الظهيرة كان قائد الكتيبة الميجر (لوكت) قد ذهب الى قيادة اللواء وبقي مساعدته الرئيس (بروميج) واركبان حرب الكتيبة الملازم عكاش الزين في قيادة الكتيبة. وحوالي الساعة الثانية بعد الظهر بدأ زحف القوات اليهودية التي كانت تتألف من لواء مشاة ولواء مدرع وكانت الدبابات تتقدم في طليعة الهجوم وتتبعها ناقلات الجنود المدرعة وخلفها الشاحنات التي تحمل جنود لواء المشاة. وعندما اتضح ان هذه القوة تتقدم للهجوم على مواقع الكتيبة الثانية اتصل اركان الحرب مع قائد اللواء الزعيم (اشتن) ليبلغه عن الهجوم ويطلب اسناد مدفعي الميدان وذلك لان الامر باطلاق نيران المدفعية كان في ذلك الوقت منوطاً بقائد اللواء شخصياً نظراً للنقص الخطير الذي كنا نعانى منه في قنابل المدفعية . وما ان اقتربت قوة الهجوم من مواقعنا حتى فتحت نيران اسلحتها الثقيلة من المدفعية والمورتر الثقيل وخلفها على جميع دفاعات الكتيبة الثانية بكثافة هائلة . وقد ركزت الدبابات قصفها على بناية مركز البوليس لتدمير مواقع اسلحتنا ومدافع ضد الدروع بالدرجة الاولى . ولكن دباباتهم هذه عندما دخلت ضمن مسافة مرمى مدافع ٦ رطل اطلقت عليها قذائفها بكثافة فاعطبت احدى الدبابات المعادية الثلاثة ولكن الدبابتين الباقيتين استمرتتا بتقدمهما نحو مركز البوليس وهما تقصصان استحكاماته التي كانت مبنية من اكياس الرمل ولكن هذا القصف لم يخترقها بكاملها لانها كانت مبنية من عدة طبقات مما ساعد جنودنا على الصمود

فيها رغم شدة القصف . ولكن على اي حال فقد تمكنت دبابات العدو المهاجمة من تدمير احد المدفعين (٦ رطل) وقتل جميع جنوده الا ان المدفع الاخر استمر بقصف هاتين الدبابتين وتمكن من اعطابهما اخيرا .

وتحت تأثير النيران المكثفة التي انهالت على القوة المهاجمة من مدفعية الميدان وجميع الاسلحة الاخرى التي بحوزة الكتيبة الثانية اضطرت الى التوقف لاعاءة التنظيم . وكان من نتيجة الاصابات الكبيرة التي منيت بها القوة اليهودية وخصوصاً بين جنود المشاة انهم لم يتمكنوا من مواصلة الهجوم رغم انهم مكثوا مدة طويلة في الوادي الذي انتشروا فيه وهم يحاولون اعادة التنظيم .

وكما اتضح لنا من محصلة هذا الهجوم ومن تقديرنا لطريقة تنفيذه ان اليهود لم يتمكنوا من تنفيذ خطتهم كما وضعوها في الاصل بسبب المقاومة العنيفة التي واجهوها من قبل جميع مواقعنا الدفاعية ولان دباباتهم لم تنجح في تدمير دفاعاتنا في مركز البوليس حيث بقي المدافعون عن هذا المركز يصلونهم نارا حامية من مدافع ٦ رطل والمورتر من داخل المركز ويوقعون بهم اصابات كثيرة بالاضافة الى النيران الفتاكة التي كانت تصيبها عليهم مدفعية الميدان وتفتك بجنودهم منذ بداية الهجوم وقد اتضح ان هنالك خللاً في توقيت الهجوم وتنفيذ خطته من اساسها الامر الذي تسبب بفشله حيث انهم اجبروا على الانسحاب حوالي الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر قبيل موعد بدء الهدنة دون ان يحققوا شيئاً ملموساً من هذا الهجوم . وقد تكبدوا خسائر فادحة بالارواح والمعدات كان معظمها بنتيجة قصف المدفعية المركز . حيث تركوا العديد من الشاحنات وناقلات الجنود المحترقة وكميات من الذخائر والمعدات الاخرى . كانت خسائر الكتيبة الثانية ستة شهداء واربعة جرحى خلال هذه المعركة السريعة التي دامت ساعتين ونصف . وهكذا فشل آخر هجوم شنته القوات اليهودية ضمن سلسلة المعارك التي خاضتها لاحتلال اللطرون دون جدوى .

سادساً : عمليات الكتيبة الخامسة

لم تحدث في جبهة الكتيبة الخامسة خلال هذه الفترة عمليات رئيسية مهمة بل اقتصرت على القصف المدفعي والتعرضات المحدودة من قبل الدوريات المقاتلة والهجمات الصغيرة . فقد كانت هذه الكتيبة في مواقعها في منطقة (بدو) و(الرادار) تحقق مهمتين اساسيتين .
أ - السيطرة على القطاع الشرقي من طريق القدس .
ب - دعم دفاعات الكتيبتين الرابعة في باب الواد والثانية في اللطرون .

كما انه بعد ان تم نقل الكتيبة الاولى الى مواقعها الجديدة بين دير قديس وبيت سيرا وتشبيتها في الدفاع عن ذلك القطاع المهم الواقع الى الشمال من منطقة اللطرون اصبحت الكتيبة الخامسة بمثابة الاحتياطي الوحيد المتيسر لدى قيادة الفرقة ، فاذا حدثت حالة طارئة قصوى يمكننا عندئذ ان نجازف بترك سرية واحدة لحماية موقع الرادار وسحب باقي الكتيبة للقيام بهجوم معاكس على مواقع الخطر حسب تطور المعركة . تماما كما سبق وان اتخذنا مثل هذا الاجراء مع الكتيبة الثانية التي كانت بنفس الموقع عندما شكلنا القوة المختلطة للهجوم على الشيخ جراح في القدس .

وعلى هذا الاساس فقد قمنا في قيادة الفرقة بوضع بعض الخطط الاحتمالية لمثل هذه الحالات المتوقعة ولكننا لم نضطر لتطبيقها وبقيت الكتيبة الخامسة في مواقعها التي كانت تدافع عنها والتي كانت في غاية الاهمية لسلامة الجبهة بكاملها .

وكما اسلفت فان القوات اليهودية لم تقم بعمليات تعرضية كبرى في جبهة هذه الكتيبة حيث كانت حركاتها محصورة بارسال الدوريات المقاتلة لتتعرض لبعض المواقع المتقدمة والتي كانت وحدات الكتيبة تتصدى لها وتردها على اعقابها . ومن هذه العمليات المحدودة محاولة احتلال تل مهم كان يعرف باسم (خراب اللحم) يقع بالقرب من قرية (قطنا) في باب الواد مقابل مستعمرة الخمسة حيث تحركت قوة قوامها سرية مشاة من هذه المستعمرة لاحتلال مرتفع خراب اللحم صباح يوم ١٨ تموز . وقد كانوا يهدفون من هذه العملية اشغال الكتيبة الخامسة وتثبيتها في مواقعها الحالية لكي لا نستطيع استخدامها لتعزيز الكتيبة الثانية في منطقة اللطرون عندما يبدأ الهجوم عليها بعد ظهر ذلك اليوم اذا اقتضى الامر . وقد كانت الكتيبة الخامسة فعلا لاتزال مشغولة بمعركة خراب اللحم ومصادمة دورية اخرى عندما بدأ الهجوم على اللطرون بعد الظهر . رغم ان هذه العمليات المحدودة ما كانت لتمنعنا من تحريك الكتيبة الخامسة (ربما تنقص سرية) لنستخدمها بهجوم معاكس خارج منطقتها فيما لو حدثت تطورات خطيرة تجبرنا على قبول مثل هذه المجازفة لاسيما وان الكتيبة الخامسة كانت بهذه الفترة هي الكتيبة الوحيدة التي نستطيع استخدامها كاحتياط في عمليات خارج منطقتها حيث ان جميع كتائبنا الاخرى كانت في حالة اشتباك مستمر مع العدو ومثبتة في مواقعها بالدفاع .

وعلى اي حال فعندما وصلت السرية اليهودية الى قرب قرية قطنا تصدى لها بعض المناضلين من سكان القرية ولكنها تغلبت عليهم واستمرت في طريقها نحو خراب اللحم . وعندما وصلت الاخبار عن هذه السرية الى قائد الكتيبة الخامسة ارسل قوة من الكتيبة

لمواجهتها. وقد انضم الى هذه القوة عدد من المناضلين اثناء تقدمها وقد وصلت الى موقع خراب اللحم حوالي الساعة الخامسة صباحا وتمكنت من شن هجوم معاكس فاجأ القوة اليهودية قبل ان تتمكن من تحصين مواقعها والتثبت فيها. وقد دار قتال عنيف استمر حتى ساعات الظهر حيث اضطرت القوة اليهودية للانسحاب بعد ان تكبدت خسائر كبيرة بالارواح وتركت ثلاثين قتيلًا على ارض المعركة من بينهم قائد السرية .

وتحسبًا لاحتمال قيام اليهود بهجوم معاكس ارسل قائد الكتيبة القوة الاحتياطية المتحركة المتوفرة لديه لتعزيز القوة الاولى في عملية الدفاع عن موقع خراب اللحم وتثبيت الدفاع عن تلك المنطقة لتمكينها من الصمود امام الهجمات المحتملة مستقبلًا .

وبهذه الاثناء دفع اليهود دورية مقاتله اخرى لتخترق المنطقة بين مواقع الكتيبة الخامسة والكتيبة الرابعة ولتصل إلى الطرق الخلفية بهدف جذب انتباه الكتيبة الرابعة الى هذا التهديد الجديد من خلفها فتنشغل عن المعركة الرئيسية التي كانت بهذه الفترة محتدمة في منطقة اللطرون . فقام قائد الكتيبة الخامسة كذلك بارسال فئة مشاة للتصدي للدورية اليهودية وتمكنت من اكتشافها والاشتباك معها وردها على اعقابها بعد تكبيدها عددا من الاصابات .

ورغم ان هذه العمليات كانت تجري في نفس الوقت الذي كانت فيه معركة اللطرون محتدمة على اشدّها الا ان صمود جنود الكتيبة الثانية وضباطها وتضحياتهم الهائلة في وجه الهجوم الساحق الذي شنه اليهود قد افشل مخططاتهم وقلب حساباتهم واجبرهم على الانسحاب من امام مواقع اللطرون . ولم يبق بعد ذلك لزوما لاستخدام اية وحدات من الكتيبة الخامسة لتعزيز دفاعات اللطرون او شن هجوم معاكس هناك رغم اننا كنا قد وضعنا في قيادة الفرقة خطة احتياطية لمثل هذا الاحتمال وبالنتيجة فان تعرضات اليهود في منطقة الكتيبة الخامسة لم تحقق اهدافها .

سابعا : العمليات في مدينة القدس

عندما بدأ اليهود بتنفيذ المرحلة الاولى من عملية احتلال اللطرون حالما انتهت فترة الهدنة الاولى وذلك بزحفهم لتطويق واحتلال مدينتي اللد والرملة يوم ٩ تموز بدأوا بنفس الوقت بتنفيذ المرحلة الاولى من العمليات المختلفة التي خططوا لها لاحتلال مدينة القدس من الداخل. ففي ليلة ١٠/٩ تموز قامت سرية من اليهود المجندين التي سبق لها ان اشتركت بجميع العمليات بالقدس طيلة مرحلة القتال الاولى باحتلال التلة التي تسيطر على بلدة عين كارم، بنفس الوقت تحركت سرية اخرى من منظمة (شثيرن) للهجوم على تلة تشرف على

طريق (عين كارم - المالحه) ولكنها لم تبلغ هدفها حيث اشتبكت مع المدافعين عنها فاضطرت للانسحاب بعدما تكبدت بعض الخسائر .

كانت مهمة الدفاع عن قرى عين كارم وصوبا والمالحة والتي تقع جميعها في الطرف الجنوبي الغربي من مدينة القدس منوطة بالقوات المصرية والمناضلين المحليين. ولكن المصريين الذين كانوا متواجدين في الخليل وبيت لحم لم يقوموا بتعزيز هذه القرى اثناء الهدنة . ولذلك فان دفاعاتها لم تكن قوية بحيث يمكنها الصمود امام الهجمات المركزة . ففي ليلة ١٤ / ١٣ تموز شن اليهود هجوما على قرية المالحه وتمكنوا من احتلال جزءا منها . ودارت معركة استمرت طيلة اليوم . فارسل قائد الكتيبة السادسة قوة صغيرة ومعها مدرعتين ومدفعي (مورتر ٣ انش) لنجدة المالحه. وقد تمكنت هذه القوة من التأثير المباشر في المعركة حيث استطاع المدافعون صد هجوم اليهود، ولكنهم مالبثوا ان شنوا هجوما جديدا بقوة اكبر واحتلوا القرى الثلاثة .

اما في مدينة القدس نفسها فقد اقتصر القتال في البداية على تبادل القصف المدفعي والاشتباك بنيران الاسلحة الخفيفة بين المواقع الدفاعية من الجانبين على طول الجبهة في البلدة القديمة والاحياء الجديدة . وقد ازداد قصف اليهود المدفعي كثافة يومي ١١ / ١٠ تموز حيث سقط عدد كبير من قنابل المدفعية وراجمات الالغام على جميع احياء المدينة القديمة وقد اصابت احدى هذه القنابل قبة الصخرة المشرفة وحدثت فيها ضررا بالغاً .

وبهذه الاثناء باشرت مدفعتنا بقصف كافة الاحياء اليهودية في القدس الجديدة ووقعت فيها اضرارا كبيرة وكبدت اليهود خسائر جسيمة وعندئذ اصبح واضحا لنا من تحركات قواتهم وكثافة القصف المدفعي على مختلف طرق الاقتراب والمواقع العسكرية الامامية بانهم يستعدون لهجوم عام على جبهة الكتيبة الثالثة عبر منطقة الشيخ جراح للاتصال بمرتفع المشارف (سكوبس) حيث تقع هداسا والجامعة العبرية. ومن ثم احتلال المدينة القديمة بنفس الوقت الذي كانوا يتوقعون فيه ان تنجح قواتهم المتقدمة نحو اللطرون باحتلاله والانتلاق منه نحو مدينة رام الله. وبالتالي تصفية الجبهة الاردنية بكاملها بضربة كبرى واحدة .

ومن هنا كان لزاما علينا الاحتفاظ بقلعة اللطرون ومرتفعات باب الواد باي ثمن. كما كان يتحتم علينا ان لا نسمح باي اختراق عبر خطوط الكتيبة الثالثة او بخلخلة الدفاعات في مدينة القدس القديمة على طول جبهتها. وبالتالي فانه كان يجب ان نثبت في خطوطنا الحالية مهما بلغت التضحيات. وعندما نعرف انه لم يكن لدينا في ذلك الوقت اية قوات احتياطية

لتعزيز دفاعاتنا الحالية او لتعويض الخسائر او القيام بهجوم معاكس عند الضرورة يتضح مدى خطورة موقفنا والصعوبات التي كنا نواجهها في قيادة الفرقة لمواجهة هذه الاخطار وتأمين متطلبات القتال الطارئة. ولقد كانت تلك ايام عصيبة تزخر بالمفاجئات التي كان علينا مواجهتها بكل جرأة وثبات وصبر. ووضع الخطط الطارئة للتصدي لها والتغلب عليها بما هو متيسر لدينا من موارد ضئيلة من الاسلحة والمعدات والذخائر والجنود . ونحن نعرف ان اي موقع رئيسي نخسره قد يؤدي الى حدوث اختراق خطير في خطوطنا والى احتمال انهيار جبهتنا بكاملها ان لم نتمكن من ايقافه بسرعة . لاسيما وان المعارك في معظم الحالات كانت تجري في عدة مواقع من الجبهة في آن واحد . الامر الذي يصعب علينا معه نقل اي قوة مهما كان حجمها من موقع الى آخر إلا في الحالات الطارئة البالغة الاهمية نظرا لما ينطوي عليه مثل هذه الاجراءات من مجازفة .

كانت مدينة القدس تتعرض للقصف الشديد من نيران المدفعية والمورتر على طول خطوط الجبهة من الجانبين منذ ابتداء فترة القتال الثانية بتاريخ ٩ تموز. وقد كان اليهود بهذه الاثناء يستعدون للهجوم من الداخل لاحتلالها بوقت يتزامن مع معركة اللطرون الرئيسية كما اسلفت. وقد بدأ هجومهم الاول في قاطع الكتبية الثالثة بالساعة الثامنة من مساء يوم ١٢ تموز بعد ان مهدوا له بقصف شديد من راجمات الالغام ومدافع المورتر لمدة ساعتين . ورغم ان هذا النوع من القصف كان شبه مستمر على جميع انحاء المدينة الا انه كان واضحا من شدة وكثافة القصف خلال هذه الفترة ان الهجوم اصبح وشيكا . وقد حرص اليهود على ان يشمل قصفهم معظم مناطق القدس القديمة وطرق الموصلات الخلفية وذلك بقصد جذب انتباهنا بعيدا عن منطقة الهجوم الحقيقية .

وما لبثت قواتهم حتى بدأت تقدمها نحو مواقع الكتبية الثالثة في حي المصراة المقابل لبناية النوتردام والاحياء اليهودية الواقعة غربها. وكان هدفهم واضحا حيث انهم لو اخترقوا دفاعات السرية المتمركزة هناك سوف يصلوا بسرعة الى منطقة وادي الجوز الواقعة امام مرتفع المشارف (سكوبس) مباشرة. وبهذه الحالة سوف يصبح خط تقدمهم يمر من خلف دفاعاتنا في حي الشيخ جراح. وسوف يمكنهم عندئذ دفع المزيد من القوات بسرعة لاحتلال الشيخ جراح من الخلف .

ولمساعدة هذا الهجوم الرئيسي قام اليهود بعمليتين فرعيتين بنفس الوقت : كانت العملية الاولى أنهم أشتبكوا بكثافة مع دفاعاتنا في مركز بوليس الشيخ جراح المقابل لمنطقة (سنهادريا) وتقدموا بقوة فرعية نحو المركز لإشغال مواقعنا الامامية في تلك المنطقة وجذب

انتباهنا الى جهة الغرب على القوة المتقدمة نحوها من سنهادريا بينما سوف يأتي الخطر الحقيقي علينا من الخلف من جهة وادي الجوز بعد أن يكون هجومهم قد نجح باختراق مواقعنا في حي المصرة .

وأما العملية الثانية فكانت على شكل دورية مقاتلة تقدمت عبر وادي شعفاط الذي يؤدي الى التل الفرنساوي المواجه الى هُداسا من جهة الشمال والذي يعتبر موقعاً حيوياً هاماً بالنسبة لجميع مواقعنا في حي الشيخ جراح، وكذلك بالنسبة لطرق مواصلاتنا الخلفية. وكان تقدير اليهود أنه عندما تظهر هذه الدورية في قرية شعفاط أو التل الفرنساوي من خلف خطوطنا سوف يؤدي هذا إلى زعر وفوضى بين قواتنا الأمامية التي سوف تعتقد للوهلة الأولى أن القوات اليهودية قد نجحت بإحداث اختراق كبير في جبهتنا من الخلف وأنها أصبحت مطوقة. ولكن لحسن الحظ أن هذه الدورية تم إكتشافها في مدخل الوادي من الغرب وقصفت بالمورتر والرشاشات وانسحبت على أعقابها بعدما خسرت عدة إصابات .

وأما في مركز بوليس الشخ جراح فقد استمر الاشتباك بين قواتنا والقوة اليهودية في منطقة سنهادريا وتم تثبيتها ومنع تقدمها نحو مواقعنا أما المعركة الرئيسية في حي المصرة والمواقع المقابلة لها فقد استمرت طيلة الليل واشتركت فيها الكتيبة السادسة من مواقعها على سور المدينة القديمة في منطقتي باب العمود والباب الجديد حيث أطلقت من هناك نيران اسنادية كثيفة لحماية الجناح الأيسر لسرية الكتيبة الثالثة بالرشاشات ومدافع المورتر الثقيل (٢, ٤ بوصة) الموجودة في رأس العمود على مواقع اليهود لإعاقة تقدمهم. وقد تكبد اليهود خسائر كبيرة بالأرواح ونجحت الكتيبة الثالثة بضمودها في إحباط الهجوم اليهودي الذي كانوا يعلقون عليه آمالاً كبيرة وانتهى بإنسحاب ما تبقى من جنودهم عند الفجر يوم ١٣ تموز. ولكن القصف المدفعي والاشتباك بنيران الاسلحة الخفيفة استمر في جميع أنحاء القدس طيلة الايام اللاحقة.

هذا وقد كان اليهود يحتلون عدة بنايات في مواقع متقدمة من طرف حي مشيرم والمنطقة المحاذية لها والتي صارت تعرف فيما بعد بإسم (مندليوم) وكانت هذه الابنية تسيطر على الطريق الرئيسية التي تصل حي الشيخ جراح مع باب العمود .

ولذلك كان لا بد لنا من احتلالها لحماية هذه الطريق من جهة ولتحسين وضع الخط الدفاعي في تلك المنطقة من جهة ثانية. ولكن الكتيبة الثالثة وسرايا المشاة الملحق بها كانت جميعها مثبتة في مواقعها الدفاعية ولا تكاد تتمكن من صد الهجمات المتلاحقة التي كانت تتعرض لها ولعدم وجود أية قوات احتياطية لدينا لم نتمكن من تزويد هذه الكتيبة بأي قوة

إضافية لكي تستطيع شن الهجوم على هذه البنايات واحتلالها لاسيما وأن الأهمية القصوى أصبحت الآن تعطى للحفاظ على مواقع اللطرون وباب الواد في وجه الهجمات الساحقة التي كانت تتعرض لها باستمرار. ولابد أن نشير هنا إلى حقيقة أن جميع الجيوش العربية كانت تتخذ موقف الدفاع على طول امتداد جبهاتها منذ بدء فترة القتال الثانية. وهذا الموقف مكن اليهود من حشد معظم قواتهم مقابل الجبهة الأردنية بقصد اختراق منطقة اللطرون وباب الواد واحتلال مدينة القدس ثم الانثناء على الجبهات العربية الأخرى بوقت لاحق .

وبعد انتهاء الهجوم الأول الذي شنته القوات اليهودية على مواقع الكتيبة الثالثة أرسلت لنا قيادة الجيش سرية مشاه من الجنود الاغرار الذين أكملوا تدريبهم الأولي حديثاً. فحولناها رأساً إلى الكتيبة الثالثة لكي تستخدمها في الدفاع ويصبح بإمكانها سحب بعض سراياها من خط الدفاع الثابت وتقوم بالهجوم على بعض البنايات التي تقرر احتلالها في حي (مشيرم) وعندئذ تمكن قائد الكتيبة الثالثة من تشكيل قوة هجوم خاصة مؤلفة من سرية المشاه الثانية وسرية القيادة. وقد وضعت سرية المدرعات بإسناد الهجوم وتولى قائد الكتيبة قيادة هذه العملية. وقد بدأ القصف التمهيدي من مدفعية الميدان والمورتر على مواقع العدو في منطقة الهجوم بالساعة السابعة صباحاً. وبالساعة الثامنة نقلت المدفعية قصفها الى المواقع الخلفية وبدأت سرايا المشاه تقدمها. واحتدم القتال حيث كان اليهود يتحصنون بداخل البنايات وأصبح القتال يدور من غرفة إلى غرفة وكانت نسبة الإصابات لدى الطرفين عالية. واستمرت هذه المعركة حتى الظهيرة حين أكملت سرايا الهجوم احتلال جميع أهدافها التي كانت تشمل عدة بنايات أهمها عمارة (المنديلوم) وعمارة الأوقاف. وقد أصبح خط دفاعنا متصلاً ومتماسكاً في ذلك القطاع. وأصبحت طريق الشيخ جراح المؤدية الى باب العمود محمية من نيران اليهود .

وعلى الرغم من توقف هذا الهجوم عند الحدود التي وضعت له إلا أن التراشق بنيران الأسلحة المختلفة إستمر طيلة ساعات النهار. وكانت حدة نيران قصف اليهود من راجمات الألغام ومدافع المورتر قد ازدادت أثناء الليل. وكان معظمها يسقط في مختلف أحياء مدينة القدس القديمة داخل الأسوار .

وبما أن قرار مجلس الأمن الدولي بوقف إطلاق النار سوف يصبح ساري المفعول إعتباراً من الساعة الخامسة صباح يوم ١٧ تموز فقد أصبح واضحاً أن اليهود سوف يحاولون القيام بجهد أخير خلال الساعات الباقية لكي يردوا على الخسارة التي حلت بهم بنتيجة هجوم الكتيبة الثالثة في الصباح .

وقد كنا نقدر أنهم سوف يقومون بهجوم في مناطق جنوب القدس أو على مناطق الاسوار. وأهمها حيوية منطقة باب النبي داود التي سبق أن قاموا بعدة محاولات للدخول منها وقد نجحوا في إحداها واتصلوا مع الحي اليهودي قبل أن نقوم بإحتلاله. ولحسن الحظ أن قيادة الجيش قررت بهذه الاثناء سحب السرية الثانية عشر من الخليل الى القدس لأن المصريين اصروا على أن نترك لهم مسؤولية الدفاع عن تلك المنطقة. وقد وصلت هذه السرية بنفس اليوم الى القدس وتم الحاقها بأمرة قائد الكتيبة السادسة لكي يستخدمها في تقوية دفاعاته. وبينما كنا نتوقع ان يشن اليهود هجوماً مركزاً على المدينة القديمة من جهة واحدة ليحاولوا دخولها بقوة كافية. ظهر انهم قاموا بهذه المحاولة من جهتين. وربما أنهم بنتيجة الهجوم الذي شنته الكتيبة الثالثة في الصباح على منطقة (مشيرم) اعتقدوا أنه من الممكن أن تستأنف هذه الكتيبة هجومها أثناء الليل. ولذلك لم يجازفوا بتخفيف حجم قواتهم أمامها. وعلى هذا الأساس كانت محاولاتهم التي قاموا بها بعد منتصف الليل محدودة واقتصرت على حجم كتيبة مشاه تحاول اقتحام الباب بعد نسفه واحتلال تلك المنطقة والاسوار المحيطة بها .

وكان من الممكن طبعاً أنه في حالة نجاحهم في نسف احد الأبواب والدخول منه بقوة صغيرة أن يعززوها بسرعة بقوة أكبر لكي يحتفظوا بتلك المنطقة بعد ان يكون قد حان موعد وقف إطلاق النار. وعندئذ تصبح لديهم نقطة مساومه مهمة في المفاوضات تؤهلهم للمطالبة بالعودة الى الحي اليهودي بداخل المدينة القديمة الذي كانوا قد خسروه في فترة القتال الأولى. ولو كان هذا التحليل صحيحاً فإنه سيكون هدفاً متواضعاً جداً إذا ما قورن بالهدف الذي وضعوه لهجومهم الأول قبل يومين في قاطع الكتيبة الثالثة الذي كانوا يأملون في حالة نجاحه ووصولهم إلى جبل المشارف (سكوبس) أن يطوقوا القدس القديمة ويحتلوها بكاملها. وخصوصاً أنهم كانوا يأملون أن يخترقوا دفاعات اللطرون في نفس الوقت ويصفوا بهذه الحالة كامل الجبهة الأردنية. ومهما كانت خطط اليهود فإن صمود كتائب الجيش العربي واستماتة جنودنا وضباطنا في الدفاع عن مواقعهم أفضل تلك الخطط وقلبها رأساً على عقب .

لقد كان هذا اليوم ١٦ تموز مليئاً بالأحداث. وسأبين تالياً تسلسل تلك الأحداث حسب توقيت حدوثها خلال ذلك اليوم في جميع ارجاء جبهتنا .

أحببت أن أذكرها هنا لأنها تعطي مثلاً جيداً عن كيفية النشاطات التي كنت أقوم بها بحسب طبيعة عملي ومسؤولياتي كركن عمليات في قيادة الفرقة بمتابعة هذه العمليات

ومراقبة تنفيذ الخطط التي كنا نضعها لهذه العمليات باستمرار والإشراف على سير المعارك التي كانت تخوضها كتائبنا بموجب هذه الخطط. ولتزويدها بما يلزمها من وسائل حسب امكانياتنا للتأكد من نجاحها في تلك المعارك. كما أنها بنفس الوقت تعطي صورة واضحة عن ثقل الواجبات التي كانت تتحملها وتنفيذها كتائبنا وقياداتها بمختلف مستوياتها والجهود الجبارة التي كان يبذلها جنودنا وضباطنا ضمن الامكانيات المحدودة المتاحة لهم. والتضحيات الهائلة التي كانوا يقدمونها في مقارعة القوات اليهودية في مختلف المعارك الطاحنة التي كانوا يخوضونها .

حركات يوم ١٦ تموز عام ١٩٤٨ م :

- الساعة ٣,٣٠ صباحاً - بدأ هجوم قوة من الكتيبة الأولى على قرية (قوله)
- الساعة ٨,٠٠ صباحاً - تم احتلال قرية قوله والمزرعة من قبل قواتنا
- الساعة ٨,٠٠ صباحاً - بدأ هجوم الكتيبة الثالثة على مشيرم لاحتلال بعض البنايات المهمة
- الساعة ١٠,٠٠ صباحاً - عدت من (قوله) بعد الاطلاع على نتائج المعركة والوضع العام هناك
- الساعة ١١,٠٠ صباحاً - اصدرنا أمر العمليات لقيادة اللواء الثالث لهجوم الكتيبة الثانية على البرج
- الساعة ١٣,٠٠ بعد الظهر - أكمل قائد الكتيبة الثانية تجميع قوة الهجوم على البرج في منطقة الحشد
- الساعة ١٦,٣٠ بعد الظهر - بدأ الهجوم على موقع البرج
- الساعة ١٧,٠٠ بعد الظهر - زرت مواقع الكتيبة الثالثة في القدس وتفقدت البنايات التي احتلتها في حي مشيرم ثم ذهبت الى قيادة الكتيبة السادسة حيث مكثت حتى الساعة مساءً. وكان القصف المعادي على أشده. وقد طلبت من قائد الكتيبة ان يكون على أتم الاستعداد لتلك الليلة الأخيرة من القتال .

وأما الذي حصل في القدس بعد ذلك ان القصف المدفعي المعادي قد استمر طيلة تلك

كانت اشد كثافته على أحياء القدس القديمة بداخل الأسوار. وبنفس الوقت استمرت يتنا بقصف الاحياء اليهودية في القدس الجديدة ولا سيما حي مشيرم ومناطق يا والنوتردام لتغطي جميع المراكز المعروفة بتواجد القوات العسكرية اليهودية فيها. تصف الليل اتصل معي قائد الكتيبة السادسة ليخبرني بوجود تحركات مقابل باب وود وأنه يعتقد ان الهجوم على تلك المنطقة بات وشيكاً. وبعد المباحثة قليلاً على اتفقنا أن الاسناد من مدفعية الميدان لا يفيد كثيراً بل سيشكل خطورة على مواقعنا سافة محدودة أمام السور وأنه إذا قصرت قنبلة عن مداها سوف تسقط على جنودنا. إن أفضل طريقة هي الاعتماد على الاسلحة الخفيفة والرشاشات والقنابل اليدوية. ستفاد من مدافع المورتر في بداية تقدم الهجوم. وبعد نصف ساعة اتصل معي مرة قال ان الوضعية الآن قد تطورت وان هنالك قوة اخرى يظنها من البالمخ تقترب من لجديد ومعهم برميل ضخيم يجرونه نحو السور ويعتقد أنه عبارة عن لغم ضخم نوون نسف باب السور هناك والدخول الى المدينة لأنهم الآن يحتشدون خارج السور منطقة الباب. ثم قال : على أي حال نحن الآن مشتبهون معهم في باب النبي داوود وفي لجديد بالنيران بكثافة ولكن يظهر أن القوة المتقدمة نحو باب النبي داوود هي القوة بة وأنها تعادل كتيبة. أما القوة المتقدمة نحو الباب الجديد فلا تزيد عن سرية مشاه .

والي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بدأ زحف القوات اليهودية للإطباق على ر في المنطقتين في آن واحد. حيث تقدمت كتيبة من لواء (عتسوي) تتقدمها مجموعة ميل متفجرات ضخمة محمولاً على عربة يدفعها الجنود نحو باب النبي داوود فاشتبك ا جنود السرية الأولى من الكتيبة السادسة بالرشاشات والبنادق والقنابل اليدوية. اقتربت عربة المتفجرات من الباب سقطت عليها قنبلة يدوية فانفجر اللغم وقتل جميع الذين كانوا يجرونه. ولكنه لم ينسف الباب. وعلى الرغم من ذلك فقد استمر الجنود د بهجومهم ودامت المعركة عدة ساعات خسروا خلالها اعداداً كبيرة من القتلى حى ولما لم يتمكنوا من اقتحام الباب انسحبوا حوالي الساعة الخامسة صباحاً الى ، الخلفية على جبل صهيون .

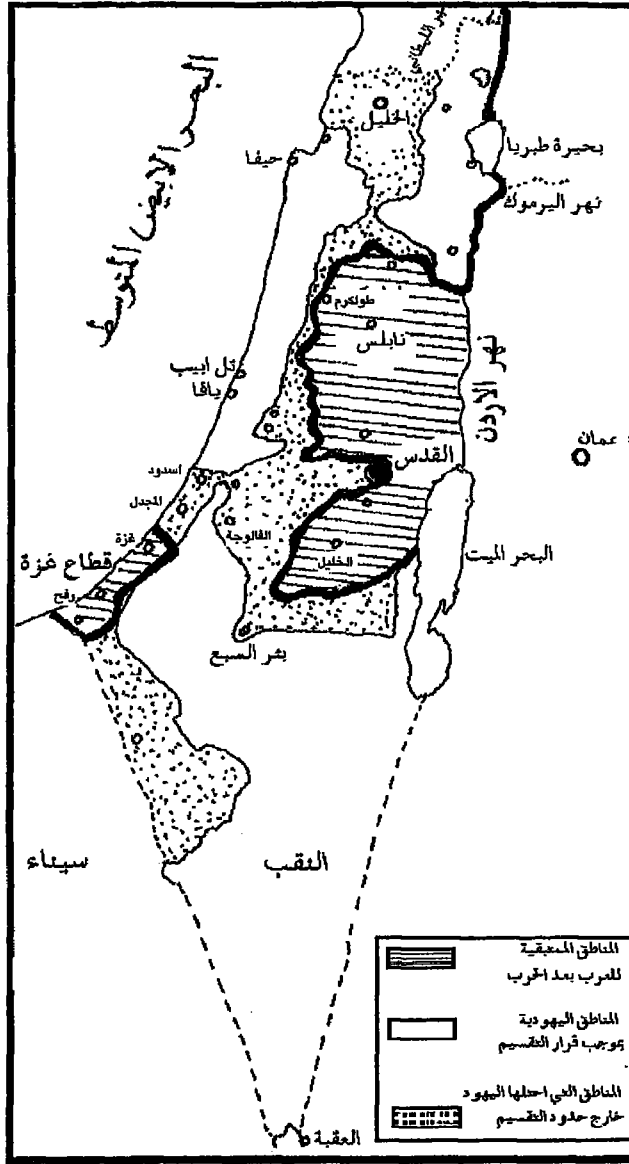
في منطقة الباب الجديد فقد تقدمت سرية من الارغون من بناية النوتردام التي كانت ر على أسوار المدينة وتمكنوا من الوصول إلى الباب تحت حماية النيران الكثيفة من هم في عمارة النوتردام وأوصلوا اللغم الذي كان معهم إلى الباب وتمكنوا من تفجيره. ا فجوة بهذا الباب وتمكنت مجموعة صغيرة من جنودهم العبور من خلالها الى داخل لمسافة قصيرة ولكنها اجبرت على الانسحاب بسرعة عندما تصدى لها جنودنا من

فوق السور بمختلف الأسلحة وقد استمر هذا الاشتباك حتى الصباح وعندئذ اضطر جنود اليهود للإنسحاب بسرعة الى بناية النوتردام المجاورة تاركين عدداً من جثث قتلاهم التي لم يتمكنوا من سحبها اثناء المعركة. وأثناء الاشتباك في منطقة الباب الجديد تقدمت مجموعته من عصابة شتيرن ومعها لغم بسيارة نحو باب الخليل فتصدى لها جنود السرية الثانية عشر والتي كانت قد وصلت من الخليل بذلك اليوم وتمركزت على الأسوار بين باب الخليل والباب الجديد. وبنتيجة الاشتباك بالقنابل اليدوية انفجر اللغم ودمرت السيارة التي كانت تحمله وقتل من كان حولها من الجنود وانسحب الباقون الى البنايات الخلفية. وهكذا فشلت المحاولات الثلاثة التي قام بها اليهود لإقتحام أسوار القدس خلال الساعات الأخيرة من القتال .

وفي الساعة الخامسة من صباح يوم ١٧ تموز حان موعد وقف إطلاق النار في القدس حسب قرار مجلس الأمن الدولي. ولكن إطلاق النار لم يتوقف نهائياً بهذا الموعد حيث استمر تبادل النيران بالأسلحة الخفيفة والرشاشات طيلة ذلك اليوم على فترات متقطعة. إلا أنه لم يحدث أي تقدم أو هجوم بل ثبت جنود الطرفين في مواقعهم الأمامية التي كانوا فيها عند موعد وقف إطلاق النار .

وفي الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي ١٨ تموز حان موعد وقف إطلاق النار على طول الجبهات الأخرى. وبدأت بذلك الموعد الهدنة الثانية . ولقد كان موقفنا قبل انتهاء الهدنة الأولى أفضل بكثير منه عند ابتداء الهدنة الثانية. وكذلك كان موقف الجيوش العربية الأخرى .

ولكي نعرف مدى فداحة خسائرننا وخطورة الموقف الذي أصبحنا فيه سوف استعرض هنا بشكل موجز العمليات التي دارت على الجبهات العربية الأخرى خلال فترة القتال الثانية التي دامت عشرة أيام بعد أن استعرضت المعارك على الجبهة الأردنية بشيء من التفصيل. (انظر الخارطة رقم ٦) .



خارطة رقم (٦)
المناطق التي احتلها اليهود خلال فترة القتال الثانية
وبعدها خلال الهدنة الثانية خارج حدود قرار التقسيم

أولاً : جبهة الجيش المصري :

على الرغم من أنه لم تطرأ زيادات مهمة على قدرة القوات المصرية واسلحتها خلال فترة الهدنة الأولى إلا أنهم تمكنوا من زيادة عددها وإعادة تنظيمها بحيث أصبحت تتكون من أربعة ألوية موزعة على المناطق الآتية :

١ - اللواء الأول : مسؤولاً عن منطقة الطريق الساحلي ابتداءً من خط الحدود الدولية في الجنوب عبر مدينة غزة وحتى بلدة المجدل في الشمال .

٢ - اللواء الثاني : مسؤولاً عن القطاع الشمالي في منطقة أسدود .

٣ - اللواء الثالث : قاعدته في الفالوجة ومسؤولاً عن حماية الطريق الممتد من المجدل الى الخليل عند بيت جبرين .

٤ - اللواء الرابع : مؤلف من متطوعين من الإخوان المسلمين والسودانيين وكان موزعاً على محور بئر السبع - الخليل - بيت لحم - حتى مداخل مدينة القدس من الجنوب .

وكان يواجه هذه القوات في الجانب الإسرائيلي لوائين أحدهما مسؤول عن المنطقة من شمال طريق المجدل الى بيت جبرين. والآخر مسؤول عن المنطقة جنوب طريق غزة المؤدي الى بئر السبع ومعه كتيبة مغاوير (كوماندوز) مسؤولة عن تأمين طريق المواصلات مع المستعمرات المعزولة في النقب خلف الخطوط المصرية .

ومع اقتراب موعد انتهاء الهدنة الأولى أخذ الطرفان يستعدان لبدء القتال ووضع الخطط لتحسين موقفهما العسكري كل على حساب الآخر .

وعلى الرغم من أن القوات المصرية كانت تلتزم بموقف الدفاع في جبهتها إلا أنها كانت تخطط للقيام ببعض النشاطات الهجومية المحلية ضمن موقفها الدفاعي العام. ومن هذا المنطلق فقد خططت لتوسيع رقعة المنطقة التي تسيطر عليها من الغرب إلى الشرق. بينما كانت القوات الاسرائيلية تخطط لفتح الطريق المؤدي الى النقب وقطع طريق المواصلات المصرية المؤدي من الغرب إلى الشرق وإخراجهم من منطقة أسدود .

وعندما أكتشف المصريون هذه الاستعدادات الإسرائيلية للهجوم قرروا أن يبدأوا هم بتنفيذ ضربة وقائية لإفشال الهجوم الاسرائيلي المتوقع. وعلى هذا الأساس فقد بدأت القوات المصرية هجومها يوم ٨ تموز أي قبل موعد انتهاء الهدنة الأولى بمدة ٢٤ ساعة لكي يستفيدوا من عنصر المفاجأة وليأخذوا زمام المبادرة منذ البداية. وقد نجح اللواء المصري

الذي قام بعملية الهجوم هذه باحتلال مواقع اليهود في (الحليقات) و(كوكبا) والتل رقم ١١٣ الواقع إلى الشمال من ملتقى الطرق المؤدية من اسدود الى بئر السبع والنقب. وكذلك المؤدية من عسقلان إلى بيت جبرين وبهذا يكون المصريون قد سيطروا على عقدة الطرق المهمة .

ولكن اللواء الإسرائيلي الذي أخذ على حين غره وأربكته المفاجأة ما لبث ان أعاد تنظيمه بسرعة وقدم موعد هجومه الذي كان مخططاً له أن يبدأ في الليلة التالية. وقد بدأ بالهجوم على مخفر عراق سويدان وهو موقع مهم يقع على الطريق الرئيسية الى الغرب من قرية عراق سويدان. ولكن القوات المصرية تمكنت من صددهم بعد معركة حامية دامت عدة ساعات. إلا أن اللواء الاسرائيلي تمكن من احتلال عدة قرى في المنطقة منها (بيت داراس) و(بيت عفا) و(عبدیس). وقد شنت القوات المصرية عدة هجمات معاكسة تمكنت بنتيجتها من استرجاع قرية (بيت عفا) .

وفي يوم ٩ تموز شنت القوات المصرية هجوماً رئيسياً على مستعمرة (نقبا) التي اعتبروها نقطة ارتكاز للمنطقة بكاملها ومفتاح المواقع الدفاعية الإسرائيلية. ورغم أن القيادة المصرية خصصت جهداً ضخماً لهذا الهجوم إلا أنها لم تنجح في احتلال هذه المستعمرة .

وبعد ذلك حاولت القوات المصرية الهجوم على الجناح الشرقي للقوات الاسرائيلية وعلى مستعمرة (بيرون يتسحاق) ولم تنجح في هذين الهجومين كذلك ورغم أن القوات المصرية شنت عدة هجمات طيلة الأيام الخمسة الأخيرة من القتال في منطقة عقدة الطرق وحول مستعمرة (نقبا) ولكنها لم تنجح باحتلالها .

كما قام الاسرائيليون بعدة هجمات لاحتلال حليقات وكوكبا وبيت عفا ولكنهم فشلوا بذلك. إلا أنهم استطاعوا ان ينجحوا باحتلال قريتي (حطة) و(خراطيه) اللتين تسيطران على الطريق الرئيسية من المجدل إلى بيت جبرين. وبذلك يكون اليهود عند حلول الهدنة الثانية يوم ١٨ تموز قد نجحوا بفتح طريقهم الى النقب وبإغلاق طريق التزويد الرئيسي للقوات المصرية مما اضطرها الى شق طريق فرعي خلفية من عراق سويدان الى الفالوجه .

وهكذا أصبح موقف القوات المصرية عند انتهاء فترة القتال الثانية أسوأ مما كان عليه قبل بدايتها. رغم أن جميع العمليات الهجومية التي خططوا لها كانت عمليات محدودة وموضعية تهدف فقط إلى تحسين موقفهم الدفاعي. ولكن بالنتيجة أصبح موقفهم هذا أسوأ مما كان عليه . بينما تمكن اليهود من فتح طريقهم الى منطقة النقب والاتصال بمستعمراتهم التي تركها المصريون سليمة خلف خطوطهم. وأصبح بإمكان القوات الاسرائيلية العمل

بحرية تامة في منطقة النقب ومن خلف الخطوط المصرية استعداداً لما هو قادم في المستقبل القريب .

ثانياً : جبهة الجيش العراقي :

كان الجيش العراقي شأنه شأن باقي الجيوش العربية يلتزم بموقف الدفاع عند استئناف مرحلة القتال الثانية، وعلى الرغم من أن قواته المتواجده في الجبهة قد ازدادت كثير خلال فترة الهدنة فأصبحت فرقة كاملة مع اسلحتها الاسنادية تزيد عن عشرة آلاف فرد بالإضافة الى كتائب المناضلين الفلسطينيين الذين سلحتهم القيادة العراقية ودربتهم واستخدمتهم بقيادة ضباط عراقيين في المواقع الدفاعية في الجبهة فإن هذه القوات لم تقدر بأية عمليات تعرضية هامة سوى بعض العمليات المحدودة التي كانت تهدف إلى تحسين الموقف الدفاعي فقط. وقد انحصرت هذه العمليات في هجومي محدودين كان أولهما في الطرف الشمالي من الجبهة وكان يهدف الى استرداد بعض القرى والمواقع التي تقع شمال مدينة جنين وذلك لتأمين خط دفاعي معقول حول جنين .

وبهذا الصدد علينا أن نتذكر أنه كان بمقدور القوات العراقية إحتلال هذه القرى بعد نجاحها بطرد القوات اليهودية من تلال جنين الجنوبية في فترة القتال الأولى لو أنها لاحقت القوة اليهودية المنسحبة كما شرحت سابقاً. وأما الهجوم الثاني فكان في الطرف الجنوبي من الجبهة العراقية في منطقة رأس العين. ففي يوم ٩ تموز شن العراقيون هجومهم الأول على مواقع اليهود في مرتفع تل الخروب الواقع شمال مدينة جنين والذي كان قد بقي بيد اليهود بعد معركة جنين المشهورة. وقد كان هذا الهجوم ناجحاً حيث تمكن العراقيون من طرد القوة اليهودية من هذا الموقع المسيطر واسترداد مجموعة القرى الواقعة الى الشمال والغرب من جنين والتي تشكل قوس دفاعي أمامها وهي قرى (فقوعه، جلمه، صندله، عرانه عربونه، دير غزاله، المقيبلة) ورغم أن القوات اليهودية شنت عدة هجمات معاكسه لاحقة فقد تمكنت القوات العراقية من صدّها جميعاً والاحتفاظ بهذه القرى حتى النهاية .

وأما الهجوم الثاني في الجنوب فلم يكن ناجحاً. ففي منطقة رأس العين سبق أن قام اليهود بعد احتلالهم للد والرمله بالهجوم على مواقع الجيش العراقي في قرية (مجدل يابا بالقرب من رأس العين. فصمد العراقيون وصدوا الهجوم الأول. ولكن اليهود أعادوا الكر بهجوم أكبر يوم ١٢ تموز وتمكنوا من احتلال هذا الموقع من القوة العراقية المدافعه عن والتي قامت بنسف مضخات الماء في رأس العين التي كانت تزود مدينة القدس بالماء قبل

انسحابها. وقد قام العراقيون فيما بعد بشن هجومين على منطقة رأس العين ومجدل يابا. أحدهما يوم ١٦ تموز والآخر يوم ١٨ تموز ولكنهم فشلوا في احتلالها رغم عنف القتال الذي دار حولها. وقد وقع الهجوم الأول عندما كانت الكتيبة الأولى من الجيش العربي تقاتل لاحتلال قرية (قوله) وفي يوم ١٧ تموز عندما اضطررنا لسحب الكتيبة الأولى الى الجنوب نحو منطقة (صفا - بيت سيرا) لتعزيز الدفاع عن منطقة اللطرون من جناحها الشمالي نقل العراقيون إحدى كتائبهم الى منطقة دير نظام لإستلام المواقع الدفاعية التي أخليت وإغلاق الفجوة بين خطوطنا وخطوطهم. وعندئذ عاودوا الهجوم صباح يوم ١٨ تموز على مجدل يابا الا أنهم اضطروا للإنسحاب عنها عند حلول موعد وقف إطلاق النار مساء ذلك اليوم. وهكذا استقر موقف الجيش العراقي عند هذا الحد مع حلول موعد الهدنة الثانية .

ثالثاً : جبهة الجيش السوري :

عندما بدأت الهدنة الأولى كان السوريون يحتلون مستعمرة مشمارها ياردن ومنطقة صغيرة حولها تشكل رأس جسر غرب نهر الأردن إلى الجنوب من بحيرة الحولة. وقد خصصوا للدفاع عن هذه المنطقة قوة تتألف من لواء مشاه تدعمه الدبابات والمدفعية. كما وضعوا لواء مشاه آخر تركز في المرتفعات الشرقية التي تسيطر على نهر الأردن من الشرق.

وقد كان اليهود يعتبرون القوة السورية المتواجده في رأس الجسر هذا حول مستعمرة (مشمار هاياردن) بمثابة تهديد خطير لمواقعهم لأنها لا تبعد أكثر من كيلومترين عن الطريق الرئيسية التي تعبر الجليل الشرقي من الشمال الى الجنوب. ولهذه الأسباب كانوا مصممين على احتلاله وإخراج السوريين منه حالما تسنح لهم الفرصة، وقد حشدوا أمام رأس الجسر السوري هذا قوة من لوائي مشاه مع اسلحتهم الإسنادية لتنفيذ هذه العملية. وعندما انتهت الهدنة يوم ٩ تموز قامت قوة الهجوم الرئيسية المكونة من لواء مشاه بعبور نهر الأردن شرقاً باتجاه جسر بنات يعقوب لكي تقوم بحركة التفاف حول المواقع السورية من الخلف وتقطع خطوط تزويدها وتفصلها عن اللواء السوري المتمركز على المرتفعات الشرقية بنفس الوقت. وقد نجحت القوة اليهودية بعبور النهر بصعوبة ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى بناية الجمر ك الواقعه فوق جسر بنات يعقوب خلال ساعات الليل. وأمام عنف المقاومة السورية اضطرت للإنسحاب الى غرب النهر .

وعلى إثر ذلك قام السوريون عند الفجر بشن هجوم معاكس تدعمه الطائرات وأوقعوا باليهود خسائر فادحة. وبنفس الوقت قام اللواء السوري في المرتفعات الشرقية بالهجوم على

القوات اليهودية التي بقيت شرقي النهر. واستمر القتال طيلة يومين واضطرت القوات اليهودية التي بقيت شرقي النهر بعدها للإنسحاب الى غربه بعد أن تكبدت خسائر كبيرة بالأرواح. وفي يوم ١٤ تموز شنت القوات اليهودية هجوماً آخر على منطقة رأس الجسر من جهة الجنوب ولكن هذا الهجوم فشل كذلك أمام عنف المقاومة السورية. وقد استمر القتال طيلة الايام المتبقية في مختلف المواقع وكانت المصادمات في منتهى العنف والخسائر فادحة لدى الطرفين. ولكن السوريين صمدوا في مواقعهم وعندما حان موعد الهدنة الثانية كانت قوات الطرفين لا تزال في مواقعها التي كانت فيها عند بدء القتال قبل عشرة أيام .

رابعاً : جبهة الجيش اللبناني وجيش الإنقاذ

كان الجيش اللبناني يتمركز على طول الحدود اللبنانية الفلسطينية من رأس الناقورة غرباً حتى بنت جبيل بالقرب من المالكية شرقاً. والتي كان قد احتلها من القوات الاسرائيلية. وما عدا ذلك فلم تكن تتواجد أية قوات لبنانية بداخل فلسطين سوى بعض المتطوعين اللبنانيين الذين انضموا الى جيش الإنقاذ إلا أن الجيش اللبناني من مواقعه بداخل لبنان كان يؤمن حماية خطوط المواصلات والتزويد لوحدة جيش الانقاذ التي كانت تحتشد في قطاع هام في وسط الجليل. والذي كانت مدينة الناصره مركز قيادته وقاعدته الرئيسية ونظراً لأهمية هذا القطاع الاستراتيجي فقد ركز الاسرائيليون كل جهودهم لإحتلاله. وقد وضعوا خطة الهجوم على هذا القطاع متزامنة مع هجومهم على القوات السورية جنوب بحيرة الحولة. وعندما بدأت القوة الاسرائيلية زحفها نحو قطاع جيش الانقاذ وبينما كانت عملية الهجوم على القوات السورية في أوجها كان القاوقجي قد حشد القسم الأعظم من قواته لاحتلال قرية الشجرة التي تسيطر على الطريق الرئيسية المتجهة نحو الشمال عبر كفر طابور الى طبريا. وقد احتدم القتال حول الشجرة لعدة أيام حيث شن القاوقجي الهجوم تلو الهجوم ولكنه لم يفلح باحتلالها. وبتاريخ ١٤ تموز وصلت حدة القتال اعنف مراحلها حيث شن القاوقجي حوالي ثمانية هجمات تسندها المدرعات والطائرات العراقية ولكنه لم ينجح باحتلالها .

وبهذه الاثناء بدأ الزحف الاسرائيلي الرئيسي بقوة لواء من قواعده شمال مدينة حيفا باتجاه مدينة الناصره. وتقرر بهذا الزحف مصير معركة الشجرة حيث اضطر القاوقجي للإنسحاب وتركيز قواته للدفاع عن قاعدته الرئيسية في الناصره. وعندما اتضح لليهود ان الجيش اللبناني في الشمال لن يتدخل في المعركة تقدمت قواتهم شرقاً نحو الناصره واحتلت

مواقع هامة على طريق عكا - الناصرة يوم ١٤ تموز. وفي اليوم التالي تقدم لواء آخر من قاعدته في (نهلال) نحو المرتفعات الغربية واحتل بلدة كفر حوريش الواقعه غرب الناصرة. وقد كانت دفاعات جيش الانقاذ بالناصره مركزه على طريق الاقتراب المؤديه من وادي جرزيل الذي كان القاوقجي يعتقد أن الهجوم اليهودي يجب أن يأتي من اتجاهه ولم يكن يتوقع ان الهجوم سيأتيه من جهة كفر حوريش من الغرب. وهذا خطأ مميت ومخالفة صريحة لمبادئ القتال حيث لا يجوز للقائد ان يعتبر أي جهة مأمونة ولا يستطيع العدو ان ينفذ منها بل يجب أن يؤمن دفاعه ضد جميع الاحتمالات ومن جميع الجهات. وهكذا وقع القاوقجي في المحذور واخذ العدو على حين غره واخترق مواقعه بسرعة .

وفي يوم ١٥ تموز اعاد القاوقجي تنظيم قواته وارسل قوة من المدرعات ومعها سرية مشاه لمواجهة التقدم الاسرائيلي الجديد نحو مؤخرته. ولكن الاسرائيليين استطاعوا ان يدمروا معظم مدرعاته وعندئذ اضطر القاوقجي الى الانسحاب على وجه السرعة .

وفي يوم ١٦ تموز سقطت الناصرة بيد اليهود. وبتاريخ ١٨ تموز انسحبت قوات جيش الانقاذ من الجليل الجنوبي نحو الشمال. وعندما اعلنت الهدنة الثانية لم يبق لدى قوات القاوقجي سوى جيب محدود في الجليل الشمالي يرتكز على الحدود اللبنانية .

الهدنة الثانية :

لقد بدأت الهدنة الثانية عندما اصبح وقف إطلاق النار نافذ المفعول اعتباراً من الساعة الخامسة مساء يوم ١٨ تموز عام ١٩٤٨م. وقد ثبتت قوات الاطراف المتحاربه في المواقع التي وصلت اليها في جميع الجبهات وبذلك انتهت فترة القتال الثانية التي اصبحت تعرف مجازاً بإسم (حرب العشرة أيام). هذه الحرب التي أصر الزعماء العرب على بدئها وانهاء الهدنة الأولى وهم جميعاً يعرفون أن الأسباب التي من أجلها وافقوا على تلك الهدنة ما زالت قائمة حيث أن الجيوش العربية لا زالت تحارب فرادى بدون قيادة موحدة فعالة وبدون خطة واحدة تحكم معاركها. كما أنها ما زالت تعاني من النقص الخطير بالذخائر والاسلحة بل أصبحت حالتها أسوأ بكثير مما كانت عليه لاسيما وأن بريطانيا وفرنسا ما زالتا تمنعان تصدير الأسلحة والذخائر الى الجيوش العربية. بينما استطاعت اسرائيل ان تحصل على كميات هائلة من مختلف أنواع الاسلحة بما فيها الدبابات والطائرات خلال فترة الهدنة الأولى .

ومع ذلك أصر الزعماء العرب على العودة الى القتال من جديد. وبنفس الوقت أصروا على عدم توحيد جيوشهم وعدم تنسيق خططهم وتكتيل قدراتهم العسكرية تحت قيادة واحدة . ولا يمكن تفسير موقفهم هذا إلا أنه كان مبنياً على دوافع سياسية محضة ينظر اليها كل واحد منهم من زاوية المصلحة القطرية فقط .

وعلى هذا الأساس فقد أصبح مطلوباً من الجيوش العربية في الميدان أن تدفع ثمن اخطاء القادة السياسيين في سبيل تحقيق اهداف سياسية قصيرة المدى .

وعلى أي حال فقد انهى الزعماء العرب الهدنة الاولى وعادوا الى القتال مختارين. ثم وافقوا على عقد الهدنة الثانية مكرهين. ولقد كان الموقف العربي عند بدء الهدنة الاولى افضل بكثير مما أصبح عليه عند بدء الهدنة الثانية. فماذا خسرنا نحن العرب بالنتيجة من محصلة كل هذا وماذا كسب اليهود .

أولاً : لقد تحول زمام المبادرة على جميع الجبهات الى الجيش الإسرائيلي منذ بداية القتال. واستمر كذلك حتى بداية الهدنة الثانية وخلال المعارك التي دارت فيما بعد اثناء فترة سريانها وحتى توقيع اتفاقيات رودس لعدة أسباب أهمها ما يلي :

١ - تمكنت القوات الاسرائيلية خلال فترة الهدنة الأولى من مضاعفة اعدادها وجلب كميات هائلة من الاسلحة والتدرب عليها واستيعابها. وإعادة تنظيم وحداتها. بينما لم يتحسن موقف الجيوش العربية بهذه المجالات تحسناً يذكر .

٢ - ادرك الاسرائيليون بسرعة ان قرار الزعماء العرب بالعودة الى القتال كان بدوافع سياسية. وبالتالي فإنه لا يوجد أي أمل بأن تتوحد الجيوش العربية بالقتال ضدهم بشكل فعال. ولذلك فإن عليهم ان يكسبوا كل ما يستطيعون كسبه على الارض وبسرعة قبل ان تفرض هيئة الأمم المتحدة وقف القتال مرة ثانية. ولكي يحققوا هذا الهدف كان عليهم أن يأخذوا زمام المبادرة فوراً ويتحولوا الى العمليات الهجومية ويواصلوها بكل قوة وعزم .

٣ - لا بد أن اليهود قدروا ان الزعماء العرب عندما قرروا العودة الى القتال أمروا قادة جيوشهم ان يلتزموا بموقف الدفاع بسبب ما كانوا يعانونه من نقص في الذخائر والأسلحة. وهذا معناه ان زمام المبادرة تحول تلقائياً الى الجيش الاسرائيلي بقرار عربي. الأمر الذي اعطى له فرصة لا تعوض لكي يستفيد من جهد قواته الى اقصى الحدود حيث أصبح بإمكانه أن يحرك الويته من جبهة الى أخرى وان

ينتخب الأهداف التي يريد الهجوم عليها في أي جبهة وهو متأكد من أن الجبهات الأخرى لن تستطيع اعاقته لأنها سوف تبقى ساكنة ثابتة في مواقعها الدفاعية تنتظر حتى يأتي دورها بالتعرض للهجوم .

ولا أظن أن تاريخ الحروب يعرف موقفاً كهذا لأي جيش مقاتل بحيث يقبل طواعية ان يضع نفسه في الدفاع الثابت ويجعل من وحداته أهدافاً ثابتة للعدو يأتي لضربها عندما يشاء. ولم يكن هذا الموقف الواهي سوى نتيجة حتمية للتفرقة العربية التي حالت دون توحيد قدرات جيوشها ووضعها بأمر قيادة واحدة فعالة في الميدان. فتبعثرت جهودها وزهبت تضحيات جنودها وضباطها هباء ودماء شهدائها ضياعاً دون جدوى .

ثانياً : الخسارة في الميدان :

١ - لقد كانت أكبر خسارة على الأرض تلك التي حلت بالجبهة الأردنية حيث تمكن اليهود من إحتلال مدينتي الرملة واللد مع مطارها الدولي بالإضافة الى عدد كبير من القرى المحيطة بهما ودفع الخط الدفاعي العربي من أبواب تل أبيب بعيداً إلى الشرق عند خط بيت سيرا - اللطرون. كما تمكن اليهود من توسيع الممر المؤدي الى القدس جنوب الطريق الرئيسية باحتلالهم لمنطقة عرطوف والتقدم حتى بلدة بيت جبرين. كما احتل اليهود مشارف مدينة القدس من الجنوب عند بلدة المالحه واصبح خط سكة الحديد من القدس الى اللد يقع تحت سيطرتهم .

وقد حشد اليهود لهذه العمليات في وجه الجيش العربي الأردني خمسة ألوية تسندها المدفعية والدروع والطائرات. وبقيت كتائب الجيش العربي الخمسة تقاثل ليلاً ونهاراً متشبثة بالدفاع عن القدس وباب الواد واللطرون لكي لا تنهار جبهتها نهائياً. ولم تقم الجيوش العربية بنجدها على الأقل لمنع سقوط اللد والرملة لعدم توفر قوة كافية للدفاع عنهما بفعالية .

لم تقم الجيوش العربية بهذا ليس لأنها متخاذلة وتتقاعس عن نجدة بعضها. بل لأنها كانت تخضع لقيادات سياسية مختلفة فيما بينها ومتناقضة في توجهات حكوماتها القطرية - وبالنتيجة فإن هذه الجيوش لم تكن خاضعة لقيادة ميدانية واحدة. ولا تقاثل ضمن خطة استراتيجية واحدة بمواجهة عدو واحد مشترك تهدف جميعها لتدمير قواته المسلحة. وهكذا فإنها كانت تخوض معاركها بمعزل

عن بعضها. وكل جيش منها يتلقى أوامره من قيادته العليا في بلده الذي كان يتصرف بحسب مصالحه القطرية بالدرجة الأولى. وبالتالي فإنها كانت تخوض حرباً سياسية لا تتفق مع مبادئ القتال الصحيحة .

٢ - لقد خسر المصريون بعض المواقع الهامة مما مكن اليهود ان يفتحوا طريقهم إلى النقب ويشطروا الجبهة المصرية الى شطرين ويقطعوا طريق تزويدها الممتدة من المجدل غرباً الى بيت جبرين شرقاً عبر بلدة عراق سويدان والفالوجه. كما تمكن اليهود من تأمين الإتصال مع مستعمراتهم المعزولة في النقب خلف الخطوط المصرية، وبهذا الإجراء احدثوا وضعاً أصبح في غاية الخطورة على الجبهة المصرية بأكملها كما ظهر فيما بعد .

٣ - أما جيش الانقاذ فقد تلقى ضربة قاصمة حيث خسر معظم المنطقة التي كان يحتلها في الجليل وخسر معها مدينة الناصره وعدداً من القرى المحيطة بها. وبهذا تمكن اليهود من فتح معظم طرق المواصلات المؤدية من الجنوب الى الشمال ومن الغرب الى الشرق عبر الجليل .

ثالثاً : لقد كسبت القوات الاسرائيلية بنتيجة هذه المعارك كسباً معنوياً كبيراً. وبنفس الوقت فتحت أمامها جميع طرق المواصلات واصبحت هذه القوات تشعر بالتفوق وبالسيطرة على الموقف العسكري العام وتتحرك أمام الجبهات العربية كما تشاء وبكل حرية. بينما اكتفت الجيوش العربية بمحاولة المحافظة على ما تبقى لديها من المواقع التي تقلصت كثيراً عما كانت عليه قبل استئناف القتال .

رابعاً : وأما على الصعيد السياسي والاجتماعي فقد انعكس الفشل في ميدان القتال على معنويات السكان في مختلف البلدان العربية سواء كانوا من سكان تلك البلدان أو من اللاجئين الفلسطينيين الذين تشتتوا في جميع البلاد العربية. واخذت مرارة الفشل تنعكس بسرعة على نفسيات الناس وتتحول الى نقمة عارمه سرعان ما تحولت الى مظاهرات في الشوارع واضطرابات وأعمال عنف مختلفة انعكست سلبياً وبسرعة على الأمن الداخلي في هذه البلدان. وأخذت حكوماتها تصرف الكثير من طاقاتها لمواجهة هذه القلاقل. وبالتالي فقد أصبحت تنظر الى مسألة تأمين سلامة وضعها الداخلي بأهمية تفوق نظرتها لوضع جيوشها في جبهات القتال .

وقد كان هذا عاملاً مهماً من العوامل التي حدث بالزعماء العرب الى الموافقة على تحويل الهدنة المؤقتة الى اتفاقيات هدنة دائمة والتي جرى التفاوض عليها فيما بعد واصبحت تعرف باتفاقيات رودس لأن اجتماعات الوفود التي قامت بهذه المفاوضات عقدت في جزيرة (رودس) .

الإستعداد لتطبيق الهدنة :

على الرغم من أن قرار مجلس الأمن الدولي بوقف إطلاق النار اعتباراً من الساعة الخامسة مساء يوم ١٨ تموز أصبح نافذ المفعول رسمياً إلا أن القتال لم يتوقف نهائياً بذلك الوقت حيث استمرت الاشتباكات بنيران الاسلحة الخفيفة والرشاشات بين الجانبين على طول الجبهات وبشكل خاص بداخل مدينة القدس وهذا أمر كنا نتوقعه. إذ ليس من المعقول ونحن نعرف أن اليهود لم يخفوا أطماعهم بإحتلال القدس وكامل التراب الفلسطيني ان يتوقفوا عن جميع أشكال المصادمات الحربية فوراً وبشكل نهائي. بل بالعكس فقد كنا نتوقع أن يستمروا بخلق المشاكل واختراع الأسباب التي تؤدي الى خرق الهدنة والعودة الى القتال شريطة القاء المسؤولية على الجانب العربي لكي يتجنبوا إثارة الرأي العام العالمي ضدهم. لاسيما وهم يعرفون جيداً أنهم أصبحوا يملكون التفوق التام بالأسلحة وحجم القوات على الجيوش العربية التي أصبحت بسبب تعمق الخلافات السياسية بين حكوماتها أكثر تباعداً وأشد ضعفاً وأصبح التعاون بينها شبه معدوم. فلماذا إذن لا يستغل اليهود هذا الوضع العام الممزق لمصلحتهم وإلى أقصى الحدود .

ولواجهة هذا التهديد الواضح كان أهم أولوياتنا، أن نتخذ جميع الإجراءات الكفيلة بضمان استمرار حالة الهدنة وتأمين الاستقرار على طول الخطوط الأمامية عن طريق مراقبي هيئة الأمم المتحدة الذين تم تشكيل وحدات كافية منهم للإشراف على وقف إطلاق النار من قبل الاطراف المتحاربة. وقد اعتبرت خطوط وقف إطلاق النار هي الخطوط المارّة من أمام المواقع الدفاعية التي تواجدت فيها قوات الطرفين عند تنفيذ قرار وقف إطلاق النار. واعتبرت المساحات الواقعة بين الخطين المتقابلين (مناطق حرام) يمنع دخولها من قبل أي من الطرفين المتحاربين. على أن يتم ترسيم الخرائط الرسميه لهذه الخطوط من قبل وفود رسمية من الطرفين المتحاربين تحت إشراف مراقبي هيئة الأمم المتحدة .

وقد عينت الحكومة الاردنية وكيل القائد عبدالله التل لرأس الوفد الاردني لهذه الاجتماعات. وقد عقد أول إجتماع بين الوفد الاردني والوفد الاسرائيلي في القدس بتاريخ ٢١

تموز برئاسة ممثل هيئة الأمم المتحدة وبعدئذ تم التوقيع من قبل الوفود الرسمية على خرائط وقف إطلاق النار التي زودونا بنسخ عنها وتم توزيعها على وحداتنا الامامية للتقيد بها بحسب شروط الهدنة .

وبتاريخ ٢٤ تموز بدأ ضباط الرقابة الدولية بالوصول لمواقعهم وإنشاء نقاط المراقبة على طول الخطوط الامامية للإشراف على تطبيق وقف إطلاق النار بدقة وإيجاد الحلول للمشاكل الطارئة عن طريق التوفيق بين الطرفين. وقد كانت أولى هذه المشاكل بالنسبة لنا تتمثل في الطلب الذي تقدم به اليهود عن طريق الوسيط الدولي للسماح لهم بايصال مياه رأس العين الى القدس حيث كانت أجزاء من الأنابيب قد نسفت كما أن محطة الضخ الرئيسية تقع في المنطقة الحرام المواجهة إلى اللطرون وتحت سيطرة اسلحة قواتنا. وبالتالي فإنهم لا يستطيعون إصلاح الانابيب وإعادة تشغيل محطة الضخ بدون موافقتنا. وقد رفضت الحكومة الأردنية هذا الطلب إلا إذا وافق اليهود على إعادة السكان العرب الذين نزحوا عن القدس إلى منازلهم. كما رفضت الحكومة كذلك السماح بمرور القوافل من تل أبيب الى القدس عن طريق اللطرون بينما كان الكونت برنادوت يصر على السماح بتزويد القدس بالماء من رأس العين. ولذلك قرر وضع محطة الضخ تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة بإعتبارها موجودة بداخل المنطقة الحرام. وعلى هذا الأساس قام بزيارة المحطة وسمح لمجموعة من المهندسين اليهود ليقوموا بالكشف عليها بمرافقة المراقبين الدوليين تمهيداً لتشغيلها. وإزاء هذا الموقف تم إتخاذ الترتيبات لإرسال مجموعة من المناضلين بإشراف قيادة الكتيبة الثانية لنسفها .

وقد تمت عملية النسف هذه ليلة ١٢/١١ آب ١٩٤٨م. وعلى إثر ذلك ثارت زوبعة من الاحتجاجات من قبل مراقبي هيئة الأمم المتحدة وطلبوا منا رسمياً البحث عن الفاعلين. وقد ابلغناهم بعد فترة أننا لم نستطع العثور على الذين قاموا بهذا العمل لأن المحطة تقع أصلاً في المنطقة الحرام. وقد سبق أن وضعها الوسيط الدولي تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. ولذلك فما المانع من أن يكون الذين نفذوا عملية النسف قد حضروا من المنطقة التي تحتلها إسرائيل.

ورغم أن مراقبي هيئة الأمم المتحدة لم يقتنعوا بهذا الجواب وظلوا يتهموننا بتدبير العملية إلا أن إجراءاتهم الرسمية توقفت عند هذا الحد. وقد قدم اليهود احتجاجاً ضدنا واعتبروا عملية النسف بحد ذاتها خرقاً لإتفاق وقف إطلاق النار .

أما نحن في قيادة الفرقة فقد صرفنا النظر عن هذا الحادث مؤقتاً وركزنا اهتمامنا على

محاولة تثبيت وقف إطلاق النار على طول الجبهة والتقليل بقدر الامكان من حوادث الاشتباكات الموضعية لكي تخف حدة التوتر تدريجياً وقد كان هذا الأمر في غاية الاهمية لأن الموقف العسكري ليس لصالحنا لاسيما وأنه لم يبق لدينا من الذخائر وخصوصاً قنابل المدفعية ما يكفي لأكثر من أسبوع قتال لكافة الوحدات. والحكومة البريطانية ما زالت عند موقفها السابق بمنع تزويدنا بأية كميات من الأسلحة والذخائر. ولذلك فإن خرق الهدنة أصبح أمراً خطيراً والعودة الى القتال تحت هذه الظروف قد تعني الكارثة .

وخلال هذه الأيام الصعبة كان علينا ان نستقبل عدة شخصيات ووفود رسمية مهمة ونقضي معظم وقتنا في الإجتماعات أو الجولات على الخطوط الامامية. ولقد كنا نحسب لهذه الجولات الف حساب لأن الوضع على خطوط الهدنة ما زال غير مستقر وإطلاق النار متوقع دوماً بأي مكان وبشكل مفاجئ. ولا نستطيع ضمان سلامة الزائرين رغم كل الاحتياطات التي يمكن أن نقوم بها فإنها لن تحول دون وجود القناصة اليهود في مناطق مشرفة ويمكنهم بواسطة المناظير تمييز شخصيات الزوار من حيث اهميتهم وإصابتهم بسهولة. ولكن على أي حال كان يتوجب علينا قبول هذه المسؤوليات والقيام بها على أفضل ما نستطيع .

وقد كانت أولى هذه الزيارات بتاريخ ٢٨ تموز حيث زارنا الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق وكان بمعيته الفريق صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش العراقي والعقيد عباس علي غالب مدير العمليات الحربية وعدد من كبار الضباط العراقيين وقد وصل ركب الامير الى قيادة الفرقة حوالي الساعة العاشرة صباحاً وبعد اجتماع قصير تحركنا لزيارة الخطوط الامامية .

وعندما كنا نتأهب لركوب السيارات جاءني الرئيس الأول مظفر التك ضابط الارتباط العراقي الملحق بقيادة الفرقة ليقول لي ان الامير يدعوني لإركب معه بسيارته لكي نتحدث أثناء الرحلة. فذهبت على الفور وانضمت اليه. وبعد ان شرحت للأمير الموقف العام بالنسبة للقوات الاردنية مستعيناً بالخارطة التي كنت أحملها معي لهذه الغاية. وبينت له خطورة الجبهة الاردنية وأهميتها بالنسبة للموقف العربي العام في فلسطين نظراً لصغر حجم القوات الاردنية التي تدافع عنها وإن العدو قد يستغل هذا الموقف ويفتعل حادثاً معيناً يؤدي إلى اصطدام مسلح بين المواقع الامامية المتقابلة بحيث ينتشر إطلاق النار ويشمل جميع الخطوط الامامية. وتحت ستار موقف من هذا النوع سوف يزجون بقوات كبيرة تخترق خطوطنا ويحققون حلمهم بإحتلال القدس بكاملها ونحن لا نستطيع الآن الاستمرار طويلاً بالقتال

لأن ما بقي لدينا من ذخائر لا يكفي لخوض معركة رئيسية واحدة وخصوصاً بالنسبة لقذائف المدفعية . وعندئذ سيصبح بمقدور القوات اليهودية ان تطوي الجبهة العراقية ، الخلف . وإذا حدث هذا فإنها سوف تستطيع الاستيلاء على باقي فلسطين بسهولة .

وقد كان الأمير يصغي لهذا الشرح بإهتمام بالغ . وبعدما انهيت كلامي قال : ما رأيك هو الحل ؟ فأجبتة : أعتقد أن الحل هو أن نتدارك الأمور التي كانت تنقصنا منذ بد الحرب وهي أولاً وقبل كل شيء تزويدنا بما ينقصنا من جميع انواع الذخائر وبسرعة . و: الاقل ذخائر الخط الأول والثاني . ثم السعي لتدبير المزيد من الاسلحة الثقيلة والخفيفة : حد سواء بما يكفي لمضاعفة حجم قواتنا الحالية وتأمين الاسناد المعقول لهذه القو بالمدفعية والدبابات والغطاء الجوي الفعال . ومن المهم جداً توحيد قيادات الجيوش المقاتلة بقيادة ميدانية واحدة يرأسها قائد كفوء بالسرعة الممكنة .

ثم قلت له : يا سمو الأمير أنه لو صحت العزيمة وصفت النوايا سوف يكون تحقيق ه الأمور ممكناً . وليس هذا مستحيلاً بدليل أن اليهود استطاعوا ان يحصلوا على أضعاف كان لديهم من كافة أنواع الأسلحة واستحدثوا سلاح جو كامل يمتلك الطائرات المقاتلة والقاذفة خلال فترة الهدنة الأولى . ونحن لو صحت عزائمنا نستطيع عمل أكثر من هذا تهيأت لنا الوسائل . ولو على الأقل لأننا نزيد عليهم بعشرات المرات من حيث عدد السد ومن المقروض ان تكون قدراتنا كأمة عربية أكثر بكثير من قدراتهم . ولقد ظهر لي ان الا كان مقتنعاً بما كنت أقوله وكان مستغرقاً في التفكير . ثم قال لي : صحيح هذا الذي تقم لكن إن شاء الله يصير خير . ولم يفصح عن شيء آخر .

أما أنا فقد سررت كثيراً لهذه المقابلة التي أتيت لي وظننت أنها سوف تسفر عن نت مهمة . وقد كنت معذوراً بهذا التفاؤل لأنني لم أكن في ذلك الحين اعرف شيئاً عن اس السياسة العليا في العالم العربي ولا حتى في بلدي . وما أنا الا ضابط ركن في قيادة فر لكن آمالنا في تلك الأيام كانت عظيمة وآلامنا من نتائج ما كان يحدث في ميادين القتال كما مريره . ودار فلك الزمان وشاءت الاقدار ان أقابل الامير عبد الاله بعد عشر سنين في قد الرحاب في بغداد أثناء المباحثات التي كنا نجريها لتأسيس الاتحاد العربي الهاشمي وذكر بحديثنا ذاك فقال (لم يكن بالامكان عمل شيء أكثر مما تم فعلاً) فقلت له : (ارجو الله يكون ما هو آت افضل مما مضى) فابتسم الامير ولم يعقب على هذه الملاحظة . ولم أره ، ذلك حيث وقع الانقلاب في بغداد بعد حوالي شهر .

وبتاريخ ٢٩ تموز عام ١٩٤٨م حضر لزيارتنا وفد من اعضاء مجلس النواب العراقي

ضمن جولة قاموا بها على الجبهتين العراقية والاردنية. حيث كانوا مكلفين أصلاً من المجلس بزيارة الجبهة العراقية وكتابة تقرير بنتيجة مطالعاتهم عن سير المعارك التي وقعت خلال فترة القتال الثانية. وذلك لمواجهة الهياج الشعبي الذي وقع في البلدان العربية على أثر إحتلال اليهود لمدينتي اللد والرملة. وعدم نجاح الجيوش العربية بتحقيق انتصار ذو أهمية في جبهات القتال. وهذا هو المدخل الذي حملهم على القيام بهذه الزيارة للجبهة الاردنية كذلك. وقد رافقت هذا الوفد بجولة على خطوطنا الامامية في مدينة القدس حيث قام قادة الوحدات بشرح الموقف ووصف المعارك التي وقعت كل فيما يخصه في منطقته والإجابة على الأسئلة والاستفسارات التي كانت توجه اليهم من قبل النواب. ثم بعد ذلك تحركت هذه المجموعة الى نابلس لزيارة الجبهة العراقية .

وفي صباح يوم ٣١ تموز حضرت مجموعة ثانية من النواب ورافقتهم بجولة أخرى على خطوطنا الامامية خارج مدينة القدس. وبدأنا جولتنا بزيارة مواقع الكتيبة الخامسة وشرحنا لهم معركة الرادار خلال مرحلة القتال الاولى. كما شرحنا باقي العمليات التي نفذتها الكتيبة الخامسة في هذه المنطقة. ثم تحركنا الى منطقة الكتيبة الرابعة حيث توقفنا في موقع قرية (بدؤ) وشرحنا لهم موجزاً عن العمليات الحربية التي دارت في تلك المنطقة وبيننا لهم مدى خطورتها بالنسبة للدفاع عن منطقة اللطرون وأهمية صمود سرايا هذه الكتيبة في تلك الموقع في وجه محاولات اليهود للإلتفاف حول اللطرون من الخلف وإغلاق فكي الكماشة حول مواقع الكتيبتين تمهيداً لتدميرهما. ثم تحركنا الى مركز بوليس اللطرون وشرحنا لهم تسلسل هجمات القوات اليهودية المتكررة على هذا الموقع ومحاولاتها اليائسة لاحتلاله مهما كلفها الثمن. وخصوصاً محاولتها الأخيرة التي زجت فيها بثلاثة ألوية لاكتساح منطقة اللطرون وباب الواد بكاملها بثقل التفوق الهائل الذي أصبح متوفراً لديها .

وبينا كيفية صمود قطعات الكتيبة الثانية بهذا الموقع وحجم الخسائر التي تكبدها اليهود في هجماتهم المتعددة. كما شرحنا لهم أهمية الاحتفاظ بمواقعنا في اللطرون بالنسبة للدفاع عن القدس وخطورة ضياع مواقع اللطرون التي نعتبرها زاوية الارتكاز الأساسية بالنسبة للجبهة الاردنية .

وبعد ذلك عدنا الى قيادة الفرقة ومنها غادر الوفد إلى نابلس لتفقد الجبهة العراقية. وقد عرفنا فيما بعد أنهم كتبوا تقريراً مفصلاً يشيد بمواقف القطعات الاردنية والعراقية بمختلف مستوياتها وبصمودها واستبسال جنودها وضباطها في الدفاع عن ثرى فلسطين خلال فترتي القتال الاولى والثانية .

وعلى أي حال قلّني أحببت أن أذكر هذا العرض لهاتين الزيارتين لسبب مهم وهو أننا في تلك الأيام كان همنا الأكبر هو الحصول على ما نحتاجه من ذخائر على وجه السرعة لأننا كنا نشك بإمكانية استمرار الهدنة الى ما لا نهاية ولا بد ان اليهود سوف يختلفون سبباً لإستئناف القتال ما داموا يعرفون حقيقة ما نعانيه من نقص في الذخائر بحيث لا نستطيع الصمود في معركة طويلة الأمد. وهم ما زالوا مصممين على احتلال مدينة القدس بكاملها. أو حتى إخراجنا من فلسطين نهائياً وكنا نتوقع أن مثل هذه الزيارات من قبل كبار المسؤولين العرب وخصوصاً العراقيين لابد أن ينتج عنها بعض الامكانيات لسد حاجتنا من الذخائر ولو بشكل محدود فسيكون أفضل من لا شيء. لاسيما ونحن نتعامل مع خصم لا يهتم بالتقيد بالتزامات أو موثيق أو هدنة عندما يرى أن مصلحته تتطلب ذلك. تماماً كما فعل في الجبهة المصرية أثناء سريان الهدنة الثانية كما سيأتي شرحه فيما بعد .

ولكن من محصلة جميع هذه النشاطات لم نحصل على أية ذخائر أو أسلحة وبقيت حالتنا كما هي واستمرت الهدنة .

سبق أن ذكرت أن اليهود بدأوا يطالبون بإعادة استئناف ضخ مياه رأس العين الى مدينة القدس عندما بدأ وقف إطلاق النار وأن الحكومة الأردنية رفضت هذا الطلب إلا إذا وافق اليهود على إعادة اللاجئين العرب من سكان القدس إلى بيوتهم ورفض اليهود ذلك أيضاً. وبهذه الأثناء وضع برنادوت موقع هذه المضخات تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. وقام بزيارتها من جهة الجانب الاسرائيلي وسمح لمهندسين يهود بزيارتها والكشف على المضخات والموتورات تمهيداً لتشغيلها .

وعلى أثر هذه الإجراءات قمنا بتحضير خطة لنسف هذه الموتورات كما أسلفت وفي صباح يوم ٩ آب وصل قائد الجيش لزيارتنا وبعد أن قام بجولة على مواقع الكتائب الأولى والثانية والرابعة عاد الى مطار قلنديا وقد ذهب مع قائد الفرقة لمقابلته ثم انتظرنا جميعاً وصول الكونت برنادوت الذي وصل بالساعة الواحدة والنصف ظهراً وعقدنا اجتماعاً في المطار أثار برنادوت خلاله موضوع عدم التقيد بوقف إطلاق النار من قبل جنودنا وأبدى قلقه من هذا الموقف وطلب من قائد الجيش الاهتمام بهذه المسألة وقال أنه سوف يطلب من الجانب الاسرائيلي نفس الطلب لكي يضمن استمرار الهدنة بشكل فعال. ثم أشار الى موضوع ضخ الماء الى القدس وأنه يتوقع ان ينتهي العمل في إصلاح المواسير والموتورات قريباً ويأمل أن لا تقوم قواتنا بإطلاق النار على فرق الإصلاح التي ستباشر عملها قريباً في المنطقة الحرام. كم طلب ان يسعى قائد الجيش لإقناع الحكومة الاردنية للموافقة على السماح لقوافل المؤز

اليهودية ان تمر الى القدس عن طريق اللطرون. ولم يعلق الفريق كلوب على هذه الطلبات سوى بقوله سوف نعمل كل ما نستطيع في سبيل تحقيق الهدوء ووقف الاشتباكات من جانبنا ولكن نأمل أن تتمكن من حمل اليهود على التقيد بذلك من جانبهم بدقة. ثم قال باللغة العربية موجهاً الكلام إلى قائد الفرقة وإلي أنا (من فضلكم أوقفوا إطلاق النار نهائياً مهما كانت الظروف لأن المسألة صارت خطيرة). وبعد ذلك أنفض الاجتماع وذهب برنادوت لزيارة المنطقة اليهودية وعدنا نحن إلى قيادة الفرقة .

وفي اليوم التالي ١٠ آب عاد الفريق كلوب من عمان إلى القدس للاجتماع مع برنادوت. وبتمام الساعة ٨,٣٠ صباحاً عقد الاجتماع في قيادة الكتبية السادسة في مدرسة الروضة بين برنادوت وممثل الجامعة العربية وحضره الفريق كلوب وقائد الفرقة ولم أحضر هذا الاجتماع ولكن قائد الفرقة اخبرني انهم استعرضوا مسألة التعديلات التي كان برنادوت ينوي إدخالها على مقترحاته الأصلية التي سبق ان اعلنها قبل مرحلة القتال الثانية وأنها أفضل من المقترحات السابقة .

وفي صباح اليوم التالي ١١ آب حضر برنادوت من القدس لزيارة اللطرون ثم عاد لتناول طعام الغداء معنا في قيادة الفرقة .

وتحدث برنادوت أثناء الغداء عن الكثير من المواضيع المتعلقة بتثبيت وقف إطلاق النار وأكد أنه على جميع الأطراف المتحاربة ان يخففوا من غلوائهم ويوقفوا الاشتباكات نهائياً لكي ننتقل الى مرحلة الهدنة الدائمة. كما تحدث بإيجاز عن مقترحاته التي هو في صدد تعديلها. ثم قال : ان أهم ما يسعى لتحقيقه هو أن تكون المناطق العربية متصلة مع بعضها بشكل معقول وان يؤمن اتصالاً برياً بين مصر والاردن عن طريق النقب الذي سيقترح اعطائه الى العرب ويعطي بدله الجليل الغربي لليهود بحيث تصبح المناطق المخصصة لإسرائيل متصلة ببعضها كذلك .

وبعد الغداء تحركت الى عمان حيث قضيت تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي ١٢ آب حضرت إجتماعاً بمعية جلالة الملك عبد الله وحضره عدد محدود من ضباط الجيش (العرب). وقد تحدث جلالة الملك عن الأوضاع الراهنة وأبدى أمله واستيائه من التفرق العربي وكيف أن العرب أضاعوا القضية لأنهم لم يتفقوا على شيء. بالإضافة الى أنهم لم يحشدوا كامل قدراتهم منذ البداية ولو أنهم عملوا هذا لاختلفت الصورة. ثم قال : أنا لن أسمح بتدمير جيشي الذي ضحى بكل شيء في سبيل الدفاع عن فلسطين: وأن هذا الجيش قد مضى عليه مدة طويلة وهو في الخنادق وقد آن الأوان لكي يخرج منها ليعود الى معسكراته للتدريب

ولينا قسطاً من الراحة التي يستحقها. وما زلت أذكر كلمته عندما وضع يده على ياقة قميصه وقال (الجيش مثل زيق ثوبي هذا ولا يمكن أن أبعده عني) وبعد أن أنهى جلالة الملك حديثه الذي قصد منه حسب اعتقادي ان يشعر الضباط العرب انهم قريبون منه وأنه يرغب ان يكون له اتصال مباشر معهم وليس فقط عن طريق قائد الجيش .

وبعد الاجتماع عدت الى قيادة الفرقة في رام الله وكانت عملية نسف مضخات المياه في منطقة اللطرون قد تمت في الليلة السابقة ١٢/١١ آب. وأدرك اليهود أنه أصبح يترتب عليهم ان يجدوا مصدراً جديداً بدلها لتزويد القدس بالماء. ولكنهم بدأوا يحضرون خططهم واستعداداتهم للانتقام والتي قدرنا انها تستهدف الاستيلاء على هدف مهم يمكنهم المقايضة به مستقبلاً ليأخذوا بدله المنطقة الحرام التي تقع فيها تلك المضخات. وقد بدأوا بزيادة كثافة القصف المدفعي وتراشق النيران في مختلف المناطق وخصوصاً في مدينة القدس .

وللتخفيف من تأثير حادث نسف المضخات قامت الحكومة الأردنية بخطوة إيجابية بناء على الحاح الكونت برنادوت فسمحت بمرور القوافل اليهودية الغير مسلحة الى القدس عن طريق اللطرون وقد ابلغتنا قيادة الجيش بتاريخ ١٤ آب أن معالي وزير الدفاع وافق على السماح للقوافل اليهودية الغير مسلحة بالمرور من اللطرون تحت إشراف مراقبي الهدنة على أن يقدم اليهود لنا قوائم بمحتويات السيارات وتعطى لنا مهلة مدة ٢٤ ساعة قبل موعد مرورها. وقد وافق مراقبو الهدنة على هذه الترتيبات .

لكن هذا الإجراء من قبل الحكومة الأردنية لم يؤثر على موقف اليهود ولم يمنعهم من تنفيذ ما خططوا له سلفاً وهو محاولة الاستيلاء على جبل المكبر ومنطقة دار الحكومة وقطع طريق القدس - عمان. أو محاولة اختراق منطقة الشيخ جراح للوصول الى جبل المشارف (سكوبس) حيث تقع الجامعة العبرية ومستشفى هداسا. ولو حققوا أي من هذه الاهداف سوف لن يكون بالإمكان إخراجهم منها عن طريق هيئة الأمم المتحدة .

وفي صباح يوم الإثنين ١٦ آب بدأ هجوم اليهود على منطقة الشيخ جراح من مواقعهم في بنايات (سنهادريا) المقابلة لمركز بوليس الشيخ جراح بعد تمهيد بقصف شديد من المدفعية والمورتر. ولكن الكتيبة الثالثة صمدت في وجه هذا الهجوم وتمكنت من صدّه بعد قتال دام عدة ساعات وتكبد اليهود خسائر كبيرة .

وفي مساء يوم الثلاثاء ١٧ آب بدأ اليهود قصفاً مدفعياً مكثفاً على جميع مواقعنا في جنوب القدس حتى بلدة صور باهر وشملت جبل المكبر وقرية سلوان. وفي الساعة الثامنة مساءً بدأ هجوم اليهود على منطقة جبل المكبر التي كانت تتمركز فيها بعض القوات من

المناضلين وفئة من الجيش العربي ووحدة من الجيش المصري. وتمكن اليهود من احتلال (الحرش) المقابل لبنانية (دار الحكومة) ثم أكملوا احتلال باقي المنطقة حتى الكلية العربية. وعند منتصف الليل سيطروا على منطقة جبل المكبر بكاملها. وبهذه الاثناء جمع قائد الكتيبة السادسة قوة من كتيبته مع مجموعات من المناضلين وشنت هجوماً معاكساً على جبل المكبر حوالي الساعة الرابعة صباحاً وتمكنت من طرد القوة اليهودية منه وانتهى تطهير المنطقة بالساعة الثامنة صباح يوم ١٨ آب. ولقد كان هجوم اليهود هذا على جبل المكبر يعتبر اخطر عملية خرق لوقف اطلاق النار حدثت حتى ذلك التاريخ. وكادت ان تؤدي الى تجدد القتال على نطاق واسع. ورغم ذلك فلم يتوقف اليهود عند هذا الحد. فمنذ الصباح الباكر يوم ١٩ آب بدأوا بقصف جميع مواقعنا في القدس بالدفعية والمورتر واندلعت الاشتباكات بمختلف الاسلحة على طول الخطوط الامامية. وعلى اثر هذه الاشتباكات رتب كبير مراقبي هيئة الأمم المتحدة عقد اجتماع يوم ٢٠ آب برئاسة وبحضور مندوبين عن الاردنيين والمصريين والاسرائيليين لبحث كيفية وقف إطلاق النار والمشاكل التي استجذبت بنتيجة الهجوم اليهودي على منطقة جبل المكبر .

ولكن هذا الاجتماع لم يسفر عن أي اتفاق على مواضيع البحث. فقرر كبير المراقبين الدوليين تأجيله لتاريخ ٣ أيلول حيث تم بهذا الاجتماع الأخير الاتفاق على جلاء القوات اليهودية عن الكلية العربية. كما وضعت المنطقة التي تضم دار الحكومة والمدرسة الزراعية والكلية العربية تحت إشراف هيئة الرقابة الدولية التي وضعت مكاتبها في بنايات دار الحكومة وأصبحت مقرها الدائم، كما تم الاتفاق بهذا الاجتماع على أن تتقيد جميع الأطراف بوقف إطلاق النار تقيداً تاماً وشاملاً. وفي وقت لاحق تم تحديد المناطق المنزوعة السلاح على خرائط خاصة جرى التوقيع عليها من قبل الضباط المعتمدين وصادقت عليها الحكومات المعنية حيث تم التقيد بها بعد ذلك من قبل القوات العسكرية في الخطوط الامامية. وبهذا ضمن اليهود إخراج منطقة جبل المكبر من سيطرة الجيش العربي وأصبحت هي ومنطقة مرتفع (سكوبس) التي سبق أن وضعت لها اتفاقية خاصة تحت حماية الأمم المتحدة وهما أخطر منطقتين تسيطران على مدينة القدس من الشمال والجنوب .

وبتاريخ ٣٠ أيلول وقع مندوب عن الأردن ومندوب عن اسرائيل على اتفاقية وقف إطلاق النار لمنطقة مدينة القدس .

وبهذه الاثناء بدأت النشاطات السياسية على مختلف الاصعدة والمستويات سواء كان ذلك على صعيد هيئة الأمم المتحدة أو على صعيد الجامعة العربية بمبادرة الدول المعنية مباشرة.

وقد كان الوسيط الدولي الكونت برنادوت منهمكاً في تعديل مقترحاته السابقة لبلورة مشروع نهائي ومتكامل ليقدمه الى مجلس الأمن الدولي بالسرعة الممكنة. وكان يأمل عن طريق هذا المشروع المعدل ان يتوصل الى حل نهائي لقضية فلسطين وإحلال السلام في المنطقة. ولقد كان برنادوت في تفكيره هذا يجهل جشع اليهود وأطماعهم الواسعة في المنطقة ومدى تأثير الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية بشكل خاص وفي باقي دول العالم بشكل عام. ولهذا فقد كان ينظر الى هذه القضية برمتها من زاوية العدالة والإنصاف لجميع الأطراف كما يراها بمثاليته وأخلاقه العالية . ومن هنا كانت غلطة القائلة التي دفع ثمنها حياته في أحد شوارع القدس. حيث لم يغفر اليهود له أن يكون شريفاً عادلاً لا يخشى في الحق لومة لائم. ولذلك فقد قرروا اغتياله واغتيال العدالة معه. وقبل أن تتمكن مثاليات هذا الرجل النزيه من النجاح في تحقيق العدالة للجميع وبسط السلام في ارض السلام وإعادة بعض الحقوق المسلوقة لأصحابها الشرعيين من عرب فلسطين الذين شردهم اليهود قسراً من ديارهم واستولوا على ممتلكاتهم وتركوهم يهيمنون في بقاع الارض لا يملكون ما يسدون به رمقهم. وقد كان برنادوت يدرك هذه الحقيقة ويستوعب ابعادها. ولذلك كان مصمماً على أن يكون أهم بند من بنود مشروعه يشترط عودة اللاجئين الى بيوتهم وممتلكاتهم وتعويض من لا يرغب العودة منهم .

وعلى الرغم من ان برنادوت كان يمقت الأساليب النازية وما ارتكبه النازيون خلال الحرب العالمية الثانية من جرائم بشعة ضد الكثير من شعوب الارض ومن ضمنهم اليهود. إلا أنه لم يكن يؤيد وبنفس القوة ان يدفع عرب فلسطين ثمن جرائم هتلر وممارساته. ومن هذا المنطلق كان يصّر على أن الإعتداء على الارض العربية في فلسطين يجب أن يقف عند حده وأن لا يسمح بالتمادي في اقتلاع باقي عرب فلسطين من بيوتهم وممتلكاتهم وأن العدالة والسلام يجب أن يسودا في المنطقة ويعيش الجميع بأمان واطمئنان وهذا لن يتأتى إلا إذا تمكن من وضع صيغة عادلة منصفة وقابلة للتطبيق ويدعمها المجتمع الدولي. وعلى أساس هذه الثوابت وضع برنادوت توصيات جديدة تتضمن تعديلات جوهرية على مشروع التقسيم الذي اقره مجلس الأمن الدولي عام ١٩٤٧ م. وكان من أهم ما جاء بهذه التعديلات بالإضافة إلى مقترحات أخرى ما يلي :

أولاً : اعطاء منطقة النقب للعرب وبالمقابل اعطاء منطقة الجليل الغربي ومدينة يافا (والتي خصصها مشروع التقسيم للعرب) إلى اليهود .

ثانياً : إعادة اللد والرملة إلى العرب .

ثالثاً : تجريد مدينة القدس من السلاح ووضعها تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة (وكان في تقريره السابق قد أوصى بوضعها تحت السيادة العربية) .

وقد رفض اليهود هذه المقترحات كما رفضها العرب. وفي يوم ١٦ أيلول أصدر (موشي شاريت) وزير خارجية إسرائيل تصريحات اتهم فيها الكونت برنادوت بأنه متحيز ضد دولة إسرائيل لمصلحة الدول العربية. وبنفس هذا اليوم كان برنادوت قد وقع تقريره النهائي ورفعته الى مجلس الأمن الدولي .

وفي صباح يوم الجمعة ١٧ أيلول وصل الكونت برنادوت الى مطار قلنديا الواقع بين القدس ورام الله حيث استقبلناه وأحضرناه الى قيادة الفرقة وأجتمع مع اللواء لاش قائد الفرقة وحضرت هذا الاجتماع حيث شرحنا له الحالة العامة على طول خطوط الهدنة في منطقتنا. كما شرح لنا هو مجمل توصياته الأخيرة التي ضمنها بتقريره النهائي. وبعد الاجتماع اصطحبته الى القدس حيث كان يريد الذهاب لتفقد بناية دار الحكومة الواقعة على جبل المكبر والتي كان في صدد تحويلها الى مقر دائم للوسيط الدولي لأنه كان يرغب بنقل مقره من جزيرة رودس الى مدينة القدس بأسرع وقت ممكن. فأوصلته إلى نقطة العبور الوحيدة المسموح العبور منها الى الأحياء اليهودية في القدس الجديدة عند البناية التي كانت تسمى بوابة (المندلبيوم) الواقعة في الطرف الشرقي من حي مشيرم عند حافة المنطقة الحرام. وبعد أن أجتاز خطوطنا الإمامية عدت الى قيادة الفرقة .

وحوالي الساعة الخامسة مساءً تلقينا النبأ عن طريق هيئة الرقابة الدولية وكانت المعلومات الأولية تفيد أن الكونت برنادوت قد اغتيل عندما كان في طريقه الى دار الحكومة بعد تناوله طعام الغذاء في جمعية الشباب المسيحية (YMCA) وقد اغتيل معه معاونه الفرنسي الكولونيل (سيرو). وقد جاء في المعلومات انه عندما وصلت قافلة سياراته الى حي القطمون على الطريق المؤدي الى حي (رحابيا) اعترضتهم سيارة جيب كانت تقف في وسط الطريق وقفز منها ثلاثة مسلحين من اليهود وأطلقوا النار على برنادوت ومساعدته وهربوا ولم تقبض السلطات الإسرائيلية على أحد منهم . وقد اعلنت الحكومة الاسرائيلية أنه ليس لها علاقة بهذا الحادث الذي قامت به جماعة من العصابات السرية. وللتغطية على هذه المؤامرة الإجرامية ولكي يستفيدوا بنفس الوقت من الناحية السياسية أصدر (بن غوريون) رئيس وزراء إسرائيل أمراً بتجريد المنظمين الإرهابيين (ليحي) و(ايتسل) من السلاح وتصفيتهما. رغم أنه كان راض كل الرضى عن تصفية برنادوت. وهكذا فقد تخلص من المنظمين المعارضين له ومن برنادوت في آن واحد .

أما القتلة فلم يتعرض لهم أحد. وفي اليوم التالي تم نقل جثمان الكونت (فولك برنادوت) من القدس إلى مطار اللد برفاقه من سيارات هيئة الأمم المتحدة عن طريق اللطرون. وقد وضعنا سرية مراسم اصطفت بجانب الطريق أمام مواقعنا لتحتية أثناء مروره في طريقه إلى بلاده .

وهكذا ذهب برنادوت قبل أن يحقق أغلى أحلامه بتحقيق السلام في أرض السلام ودفع حياته ثمناً للدفاع عن مبادئه السامية ومثله العليا. ولكنه أحتل مكاناً محترماً في التاريخ وضرب أروع مثل لكيفية المحافظة على القيم الإنسانية والمثل السامية واستحق إحترام كل الناس الذين يقدرون هذه القيم السامية .

ومما لاشك فيه أن السلطات الاسرائيلية كانت ضالعة أو على الاقل مشجعة لعملية تصفية الكونت برنادوت. وبهذا الصدد أستطيع الإشارة الى واقعتين هامتين تشيران إلى ضلوع الحكومة الاسرائيلية في هذه الجريمة. أولاها تتمثل بالتصريح الذي أدلى به موشي شاريت قبل وقوع الجريمة بيوم واحد واتهم برنادوت علانية بأنه متحيز ضد إسرائيل لصالح العرب. وهذا معناه أن حكومة إسرائيل تقف علانية ضد الوسيط الدولي وبالتالي فإنها تعطي الضوء الأخضر للمتآمريين لتنفيذ خطتهم التي لا بد أنها كانت مرتبة وموضوعة سلفاً منذ مدة .

أما الواقعة الثانية والتي حدثت بعد جريمة اغتيال برنادوت مباشرة فتتمثل بخرق إسرائيل للهدنة ومباشرتها بتنفيذ الخطة التي كانت قد وضعتها مسبقاً والتي تعتبر جريمة اغتيال برنادوت مقدمة لها أو جزءاً منها والتي كانت تقضي باحتلال ما تبقى من النقب بيد المصريين واحتلال ما تبقى من الجليل بيد جيش الانقاذ كما سيأتي شرحه بمكان لاحق. وهكذا فإن إسرائيل بقيامها بتدبير اغتيال برنادوت واحتلال النقب والجليل ستقطع الطريق نهائياً على مجلس الأمن الدولي لتنفيذ ما جاء بتقرير برنادوت بأي وسيلة كانت ما عدا ان يتمكن العرب من إخراجها منها بقوة السلاح. وهذا أمر أصبحت إسرائيل متأكدة من انه لن يحصل في المستقبل المنظور .

وبهذه المناسبة فإنني أحب أن أذكر رد الفعل الذي ظهر من اللواء لاش قائد الفرقة عندما ذهب لمكتبه لابلغه نبأ اغتيال الكونت برنادوت حيث ذهل بالمفاجأة ثم نظر إلي وقال (لا أدري بعد هذا كيف يمكن تحصيل منطقة النقب للأردن واعتقد الآن أن مصير فلسطين قد تقرر لعشرين سنة قادمة على الأقل) .

ولم انتبه لأهمية ملاحظته في تلك اللحظة. ولكن بعد عودتي الى مكتبي فكرت بما قاله

بتعمق واتضح لي واقعياً أنه بهاتين الجملتين البسيطتين شرح الموقف القادم. وأنه لا أمل لنا في الحرب ولا أمل في السلام أيضاً. وأنه ما دامت الدول العربية مصرة على تكريس التفرقة والخلافات فيما بينها والتمسك بمصالحها القطرية الضيقة فإنه لا أمل لها بأن تسترد أية أراض فلسطينية أو غيرها مما خسرت أو ستخسره في الحرب. وإن أقصى ما يمكن أن يأملوا به خلال العقدين القادمين على الأقل هو الاستمرار بحالة الهدنة الدائمة على الأراضي التي تقف عليها الجيوش العربية حالياً. وبما أنني لم أكن مطلعاً على ما كان يدور من مباحثات سرية وراء الستار فقد قلت لنفسى لابد أن (لاش) كان يخفي عني أشياء مهمة لا يريد البوح بها. ولكن مهما كان الأمر فليس بوسعي إلا أن آخذ كلامه على ظاهرة ولننتظر لنرى ما تخبؤه لنا الأيام .

وبهذه الفترة الحرجة التي اعقبت وقف إطلاق النار وبينما كان اليهود منهمكون في تطوير قواتهم المسلحة ومضاعفة اعدادها وجلب الأسلحة المختلفة واستيعابها على وجه السرعة استعداداً للضربة القادمة. كان العرب يغوصون في مرحلة المهارات المحلية. وكأنه لا يكفيهم التشردم والتفرقة التي كانوا يتمسكون بها فأخذوا يكيدون لبعضهم البعض سراً وعلاقيه بدلاً من توحيد جهودهم وتنمية قدراتهم العسكرية إستعداداً لما هو لا ريب آت من الاخطار والمحن الرهيبة .

وكما تعمقت الخلافات بين الأقطار العربية كلما إزدادات ضعفاً في مواجهة القدرات الاسرائيلية العسكرية والسياسية والتي أصبحت متفوقة الآن على جميع القدرات العربية لاسيما وان اسرائيل كانت منذ اعلان قيامها تحظى بدعم الدول الاستعمارية جميعها غربية كانت أم شرقية ولا تزال . فكان الاتحاد السوفياتي أول دولة اعترفت اعترافاً كاملاً بإسرائيل. لأن اعتراف أمريكا رغم أنها اعلنته قبل الموعد المحدد لأعلان قيام دولة إسرائيل (إذا اعتبرنا الفرق بالتوقيت بين امريكا والشرق الاوسط) كان اعترافاً واقعياً فقط (ابسوفاكنتو - Epso Facto) كما كانت تشيكوسلوفاكيا أكبر بلد مصدر للسلاح إلى اسرائيل منذ عام ١٩٤٧م أي قبل بدء الحرب وأثناء الإنتداب البريطاني على فلسطين سواء كان ذلك عن طريق البيع المباشر أو عن طريق تقديم التسهيلات اللازمة لنقل الأسلحة عبر مطاراتها الى اليهود في فلسطين حيث كانت تشيكوسلوفاكيا تعتبر مركز التجمع للأسلحة والمعدات التي كان اليهود يشترونها من مختلف بلدان العالم ويجمعونها هناك لنقلها جواً الى فلسطين بطرق غير مباشرة (بالتهرب) .

ورغم أن الخلافات العربية كانت كثيرة إلا أن من أهم معالمها التي ظهرت على السطح

خلال هذه الفترة الحرجة من مراحل الصراع هي مسألة اعلان قيام حكومة عموم فلسطين. حيث اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في القاهرة بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٤٨ م. وبتأثير من الحكومة المصرية والحكومة السورية اعلنت موافقتها على إعلان قيام حكومة عموم فلسطين بناء على طلب الهيئة العربية العليا ودعمها لها. وقد تقرر ان يكون مقر هذه الحكومة في مدينة غزة وعين السيد أحمد حلمي عبد الباقي رئيساً لها. وبتاريخ ٣٠ أيلول عقد اجتماع للمجلس القومي الفلسطيني في مدينة غزة وانتخب هذا المجلس مفتي فلسطين سماحة الحاج أمين الحسيني رئيساً له. وبنتيجة الاجتماع صدر عن المجلس بيان اعلن بموجبه وحدة فلسطين بكامل اراضيها واستقلالها التام .

ولقد عارضت الحكومة الأردنية قيام حكومة عموم فلسطين منذ البداية سواء كان ذلك على الصعيد السياسي ضمن الجامعة العربية وخارجها أو على الصعيد العملي. وكانت معارضة الحكومة الاردنية لهذا المشروع موضع خلاف حاد بينها وبين معظم الدول العربية وخصوصاً مصر التي حملت حملة شعواء ضد الحكومة الاردنية مما ادى الى تعميق الخلافات العربية وتكريس التناقضات بين مواقفها من القضية الفلسطينية برمتها وأبعد بالتالي إمكانية التوفيق بين الزعامات العربية في المستقبل المنظور .

وكان من أهم أسباب معارضة الحكومة الاردنية التي اعلنتها حينذاك لتشكيل حكومة عموم فلسطين أن هذه الحكومة ليست لديها القدرة على حماية المناطق التي تدافع عنها قوات الجيش العربي فيما لو انسحبت منها الى شرق الاردن وكذلك فإن المجلس القومي الفلسطيني الذي انعقد في غزة لم يكن مجلساً منتخباً ولا يمثل الا جزءاً قليلاً من الشعب الفلسطيني. وعلى هذا الأساس ستصبح الموافقة على إجراءاته معناها تغليب رأي الاقلية على رأي الأكثرية التي لا تعترف بتمثيل هذا المجلس لها. وكنتيجة لهذه المعارضة الاردنية ظهرت معارضة فلسطينية لإنشاء حكومة عموم فلسطين قادها الشيخ سليمان التاجي الفاروقي. وهو من الشخصيات الفلسطينية الذين نزحوا الى عمان وأخذوا على عاتقهم تمثيل اللاجئين الموجودين في شرق الأردن. وقد عقدوا مؤتمراً لهم في عمان بتاريخ ١ تشرين أول ١٩٤٨ م برئاسة الشيخ سليمان التاجي الفاروقي وأصدروا بياناً بإسم الفلسطينيين رفضوا فيه الاعتراف بحكومة عموم فلسطين وفوضوا الملك عبدالله بمعالجة المشكلة الفلسطينية. وقد كان هذا المؤتمر بمثابة مقدمة للمؤتمر الذي عقد فيما بعد في عام ١٩٤٩ م وسمي بمؤتمر أريحا وحضره عدد كبير من زعماء فلسطين واعلنوا فيه ضم الاراضي المتبقية من فلسطين تحت سيطرة الجيش العربي الى شرق الاردن وسموها الضفة الغربية على اعتبار أن شرق الأردن هي الضفة الشرقية لنهر الأردن وبايعوا الملك عبدالله بن الحسين ملكاً عليها .

تجدد القتال في الجبهة المصرية :

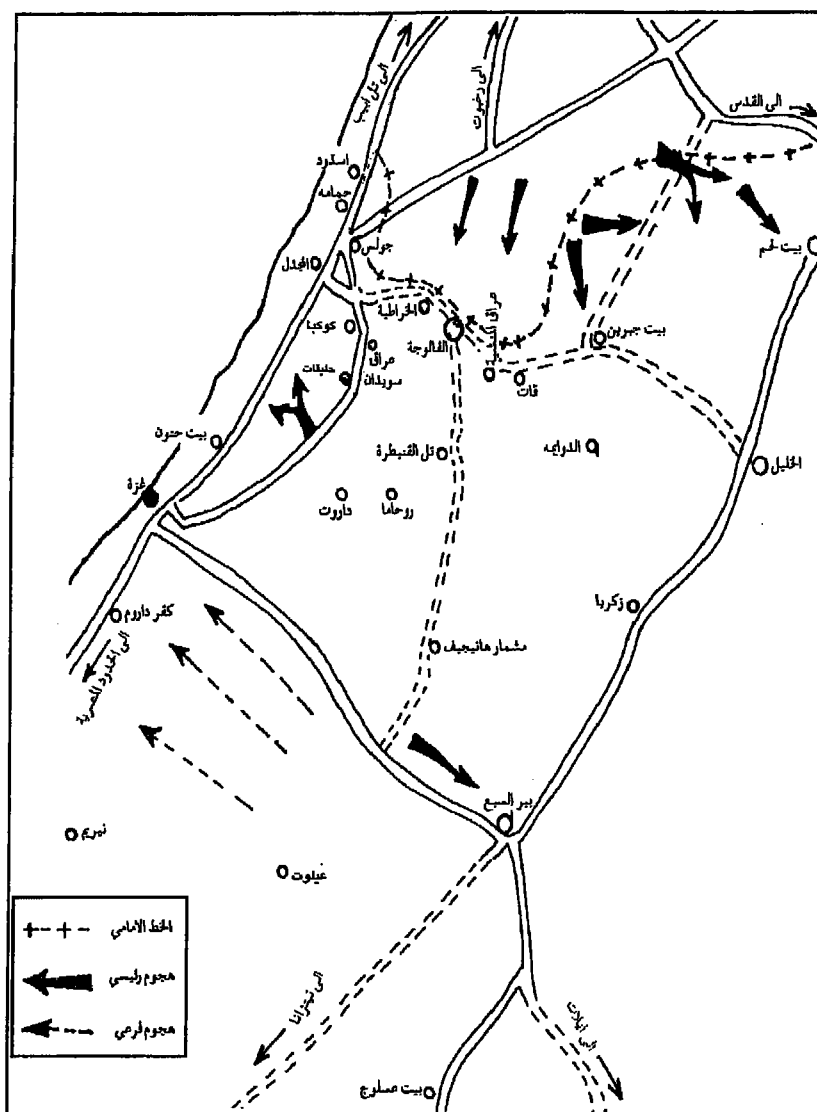
على الرغم من أن الهدنة كانت قائمة لكنها كانت مهددة بالانهيار لأن اليهود لم يكفوا عن اختلاق الحوادث والاشتباكات على الحدود متذرعين بمختلف الأسباب والتبريرات لأعمال خرق الهدنة التي كانوا يتعمدونها. وقد كانوا يتحينون الفرص لإيجاد الحجة المناسبة التي يستطيعون التذرع بها للعودة الى القتال من جديد وذلك لأنهم أدركوا مدى تفوقهم العسكري على الجيوش العربية في الميدان بفضل الكميات الضخمة من الاسلحة والذخائر التي حصلوا عليها وتمكنوا من استيعابها بسرعة. كما أدركوا مدى ما اصبحت عليه الجيوش العربية من الضعف بسبب عدم تمكنها من الحصول على الاسلحة وخصوصاً الدبابات والطائرات والمدفعية ونضوب ما لديها من الذخائر، وهذا فضلاً عن ما وصلت اليه الدول العربية من الخلافات والتفرقة والتناحر على مختلف الأصعدة. ومن محصلة هذه الأحوال ادرك اليهود أن هذه هي فرصتهم المناسبة وقد تكون الأخيرة للإستيلاء على النقب والجليل وإبطال مشروع برنادوت نهائياً على ارض الواقع .

وقد تضاعف حماسهم لتحقيق هذا الهدف بعد أن قاموا باغتيال برنادوت ولم يظهر من هيئة الأمم المتحدة أي رد فعل أكثر من الاحتجاج ونوع من الصدمة النفسية المؤقتة التي ما لبثت أن تلاشت آثارها وتجاوزت إسرائيل الاحراج الدولي الذي تعرضت له على أثرها بسرعة.

كان من شروط الهدنة التي وافقت عليها مصر السماح بمرور قوافل التزويد اليهودية الى مستعمراتهم في النقب عبر الخطوط المصرية تحت إشراف مراقبي هيئة الأمم المتحدة. وقد وجد الاسرائيليون أن هذه القوافل يمكن إستخدامها لخلق الذريعة التي ينشدونها للعودة الى القتال. فعندما أكملوا خططهم واتموا كافة استعداداتهم العسكرية للهجوم قاموا يوم ١٥ تشرين أول ١٩٤٨م بتحريك قافلة تزويد تحت إشراف مراقبي هيئة الأمم باتجاه الخطوط المصرية لتميريرها الى النقب. ولكنهم كانوا قد صمموا ان يستدرجوا القوات المصرية لكي تقوم بإطلاق النار عليها، ولتحقيق هذا الهدف اعطوا التعليمات لجنود الحراسة بأن لا تتوقف القافلة عند مرورها من نقطة التفتيش المصرية وان تحاول اجتيازها عنوة. وكان هذا التصرف هو الذي أجبر المصريين على إطلاق النار التحذيري على القافلة فعدت على إدراجها من حيث أتت. وعندئذ اعتبر اليهود أن المصريين بتصرفهم هذا قد خرخوا الهدنة عمداً وبدأوا بتنفيذ خطتهم بشن الهجوم العام على الجبهة المصرية والتي كانوا قد أكملوا الاستعدادات لها سلفاً. وفي مساء ذلك اليوم قصفت الطائرات الاسرائيلية غزة والمجدل وبيت حنون. كما

اغارت على مطار العريش واعطبت عدداً من الطائرات المصرية وهي جاثمة على أرض المطار. وبنفس الليلة قامت كتيبة من (الكوماندوز) بغارات على عدة اهداف في المعسكرات والمنشآت المصرية كما وضعت ألغاماً على سكة الحديد الموصله بين العريش ورفع. وبنفس الوقت تقدمت كتيبة أخرى نحو الجنوب عبر المنطقة الواقعة شرق عراق المنشيه وقطعت الطريق الموصله من عراق المنشيه الى بيت جبرين. وفي صباح اليوم التالي ١٦ تشرين أول تقدمت قوة من كتيبة دبابات وكتيبة مشاه وشنت هجوماً رئيسياً على موقع عراق المنشيه. ولكن هذا الهجوم باء بالفشل حيث وقعت القوة اليهودية المهاجمة في منطقة القتل للمدفعية التي جهزها المصريون بعناية تامة فدمرت المدفعية المصرية والمدافع المضادة للدبابات معظم الدبابات الاسرائيلية وكبدت مشاتهم خسائر فادحة بالأرواح حيث لم ينج من قوة الهجوم هذه سوى عدد قليل من الجنود الذين تمكنوا من الهرب من ساحة القتال. وعلى إثر هذا الهجوم الفاشل غير الاسرائيليون منطقة التعرض وأسلوب الهجوم وقرروا بهذه المرة أن يعودوا الى منطقة عقدة الطرق ويخترقوا الجبهة من موقع الحليقات الواقعة جنوبي عراق سويدان حيث كانت الدفاعات المصرية حول عقدة الطرق تركز على (عراق سويدان) التي جعلها المصريون بمثابة قلعة دفاعية تسيطر على كافة المنطقة. وكانت تتألف من مرتفعين يسيطران على عقدة الطرق من الشمال وموقعين متساندين من الغرب. وإلى الجنوب تقع بلدتي (حليقات) (وكوكبه) الواقعتين على تلين مرتفعين يسيطران على المنطقة من تلك الجهة. وقد بدأ اليهود هجومهم هذا بإحتلال أحد التلين المسيطرين على عقدة الطرق من الشمال. وعلى باقي المراكز الدفاعية الاخرى. حيث اخذوا يهاجمون هذه المراكز الواحد تلو الآخر. وقد احتدم القتال في كافة المواقع واستمات الجنود الذين كانوا يدافعون عنها. واشتبكوا بالسلاح الابيض ودار قتال مريع طوال الليل. وعلى الرغم من صمود وتضحيات المدافعين عن هذه المواقع فإن اليهود قد تمكنوا من اقتحام الموقعين المسيطرين على عقدة الطرق من جهة الشمال عند فجر يوم ١٧ تشرين أول. وأما منطقة عقدة الطرق نفسها فقد قاوم المصريون فيها مقاومة عنيفة ودارت معركة حامية هناك دامت حتى فجر يوم ١٨ تشرين أول عندما تمكن اليهود من احتلالها. وقد شنت القوات المصرية عدة هجمات معاكسة لاستردادها ولكنها فشلت بذلك (انظر الخارطة رقم ٧) .

وعلى الرغم من أن اليهود تمكنوا من إحتلال موقع (كوكبا) بنفس الليلة إلا أنهم فشلوا في الهجوم الذي شنوه لاحتلال موقع (الحليقات) حيث صمد فيه المدافعون عنه من القوات المصرية وصدوا هذا الهجوم. وبذلك لم يتمكن اليهود من فتح الممر الذي خططوا لفتحه نحو الجنوب عبر تلك المنطقة .



خارطة رقم (٧)
الهجوم الإسرائيلي على الجبهة المصرية أثناء الهدنة الثانية

وأما في قطاع الساحل فقد تمكنت القوات الاسرائيلية هناك من قطع الطريق الساحلي عند بيت حنون، وبهذا أصبحت مواقع القوات المصرية في الشمال مهددة بالتطويق، وبنتيجة ذلك قرر المصريون الانسحاب من منطقة اسدود والمجدل واستخدموا اللواء الذي سحبوه من هناك للدفاع عن مدينة غزه والمنطقة المحيطة بها وبهذه الاثناء لم يكن المصريون قد اتصلوا بأي من الدول العربية لطلب المساعدة. أو حتى لابلأغهم عن تفصيلات سير المعارك في منطقتهم. وبالنسبة لم يظهر أي رد فعل جاد من قبل الدول العربية لنجدة مصر. وهذا دليل آخر مؤلم على عمق التشنت العربي حتى في ساحة القتال .

وإنطلاقاً من هذا الموقف فقد أخذ اليهود يسحبون بعض قواتهم من الشمال إلى الجبهة المصرية. وسحبوا لواء كاملاً من منطقة الجليل قام بالهجوم على منطقة الخراطيه الواقعة شمال غربي (الفالوجة) على الطريق الرئيسي بقصد قطع الطريق الثانوية التي فتحتها المصريون لتزويد موقع الفالوجة بعد أن احتل اليهود الطريق الأصلية ولكن هذا الهجوم لم ينجح. ويلاحظ أن جميع هذه المعارك كانت تدور على الجبهة المصرية بينما بقيت الجبهات العربية الاخرى ساكنة في مواقعها وكأن الحرب لا تعنيها. وقد كان اليهود متأكدين من بقاء الجبهات العربية خارج القتال. ولذلك اخذوا يسحبون قواتهم من أمامها الى الجبهة المصرية. ولكن عندما بدأ النشاط يظهر في أروقة هيئة الأمم المتحدة لفرض وقف إطلاق النار من جديد قرر اليهود الاسراع في عملياتهم لكي يحققوا أهم أهدافهم خلال فترة وجيزة. وقد ركزوا جهدهم الرئيسي لاحتلال موقع الحليقات وهو آخر موقع يغلق طريق النقب ما زال بيد المصريين .

وقد كان موقع الحليقات هذا يتكون من ستة تلال تساند بعضها بعضاً وقد حفرت فيها الخنادق وبنيت التحصينات بإحكام تام وأصبحت تشبه قلعة حصينة يصعب اقتحامها. وقد حشد اليهود لمهاجمتها لواء مسنداً بمختلف أنواع الأسلحة. وبدأ الهجوم ليلة ٢٠ / ١٩ تشرين أول. وقد دارت فيها اعنف معركة خاضها الجيشان في منطقة النقب حتى الآن. وقد احتدم الصراع طوال الليل. وفي جميع تلك التلال الحصينة دارت المعارك بالسلاح الأبيض والقنابل اليدويه ومن خندق إلى خندق. وقاتل المدافعون عنها قتالاً مريباً في كل شبر من هذه المواقع .

ورغم كل هذه التضحيات فقد تمكن اليهود من احتلال جميع تلك المواقع الدفاعية صباح يوم ٢٠ تشرين أول بعد أن تكبدوا في سبيل ذلك خسائر فادحة بالأرواح. ويسقط موقع الحليقات اصبحت الطريق الى النقب مفتوحة أمام القوات الاسرائيلية. وبنفس الوقت الذي كان فيه الاسرائيليون يهاجمون موقع الحليقات قاموا بهجوم آخر على موقع عراق سويدان.

وللمرة الخامسة فشلوا باحتلاله بعد أن تكبدوا خسائر فادحة. وعندئذ قرروا التحول بهجومهم نحو مدينة بئر السبع. وحشدوا لهذه الغاية قوة رئيسية قوامها لواء مدرع وثلاثة كتائب مشاة. وعند فجر يوم ٢٠ تشرين أول كانت هذه القوة قد وصلت الى مشارف بئر السبع من الغرب .

وبنفس الوقت تقدمت قوة أخرى بهجوم ثانوي من جهة الشمال. وبعد معركة عنيفة دامت عدة ساعات تمكن اليهود من إحتلال مدينة بئر السبع حوالي الساعة التاسعة صباح يوم ٢٠ تشرين أول .

وبنتيجة هذه المعارك أصبحت القوات المصرية مقسمة الى أربعة أقسام معزولة عن بعضها وهي كما يلي :

- ١ - لواء في منطقة رفح - غزة .
 - ٢ - لواء منسحب من منطقة المجدل الى الجنوب .
 - ٣ - لواء قوامه حوالي اربعة آلاف جندي بقيادة الزعيم سيد طه الذي اطلق عليه لقب (ضبع الفالوجه) وكان أركان حربه البكباشي جمال عبد الناصر واصبح محاصراً في جيب الفالوجه .
 - ٤ - كتيبتين معزولتين في منطقة الخليل - بيت لحم .
- وبهذه الاثناء قامت القوات الاسرائيلية المتمركزة في منطقة جبال القدس الغربية بتوسيع نطاق عملياتها في ممر القدس الى الجنوب واحتلت بلدة بيت جبرين فأكملت طوق الحصار حول جيب الفالوجه. كما تحركت شرقاً وأصبحت تهدد بيت لحم وكفار عسيون بهدف تطويق القدس من الجنوب. وعندما انتشرت انباء اختراق اليهود للجبهة المصرية وتحركاتهم نحو بيت لحم شعر سكان مدينة الخليل بالخطر المهدق بهم وعندئذ جمعوا وفداً كبيراً من وجهاء تلك المنطقة برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري وذهبوا الى عمان لمقابلة جلالة الملك عبد الله ومناشدته لإرسال قوات للدفاع عن منطقتهم. وعندئذ طلب الملك من قائد الجيش اتخاذ ما يمكن لتعزيز القوات المصرية في منطقة الخليل بالسرعة الممكنة على اعتبار ان تلك المنطقة ما زالت ضمن نطاق مسؤوليتهم وعلى أثر ذلك اتصل قائد الجيش مع قائد الفرقة وطلب تشكيل قوة لارسالها على وجه السرعة الى الخليل خلال مدة لا تتجاوز ٤٨ ساعة. فبدأنا فوراً بتشكيل قوة خاصة متحركة اطلقنا عليها الاسم الرمزي (قوة جـ) واشتهرت فيما بعد بهذا الاسم .

وقد عين وكيل القائد لوكت قائداً لها وكان قوامها كما يلي :

سريتين مشاه

سرية مدرعات

بطارية مورتر ثقيل عيار ٢ , ٤ إنش

وكان مجموع هذه القوة حوالي (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون جندياً. وقد تم تزويدها بما يكفيها من الذخائر والمؤن لمدة أسبوعين مبدئياً. كما رتبنا طريقة تزويدها بالمستقبل من قبل قيادة اللواء الأول حسب الحاجة .

وكانت الواجبات المسندة لهذه القوة تتطلب الاتصال مع القيادة المصرية في منطقة الخليل والتنسيق معها في أمور الدفاع عن المنطقة والقيام بأعمال الدورية غرباً وجنوباً الى اقصى مسافة ممكنة وإحداث التماس مع القوات الاسرائيلية لإظهار تواجد الجيش العربي في تلك المناطق بشكل عام .

وفي صباح اليوم التالي قمت بزيارة الى منطقة بيت لحم والخليل تنفيذاً لتعليمات تلقيناها من جلالة الملك عبد الله لكي اتصل بالقيادة المصرية للحصول على معلومات دقيقة عن جبهتهم بعد المعارك الاخيرة وان ابلاغهم اني موفد لهذه الغاية بأمر من الملك بصفته القائد العام للجيش العربي. ورغم ذلك فإني لم أتمكن من الحصول على أي معلومات ذات قيمة من الضباط المصريين الذين اتصلت بهم لعدم رغبتهم بالتعاون في هذا المجال. ولكنني على اي حال استطعت ان اتبين مؤشرات كثيرة عن مدى خطورة الموقف العام. وخصوصاً من بعض المعلومات التي نقلها اللاجئين القادمون من بئر السبع عن حجم القوات الاسرائيلية التي احتلت تلك المدينة خلال ساعات قليلة. وعن تحركاتها شمالاً باتجاه مدينة الخليل .

ولم تكن هذه المعلومات ذات قيمة عسكرية كبيرة ولكنها كانت مؤشراً لاتجاه تحركات القوات الاسرائيلية ونواياها المستقبلية. وعلى أي حال فقد كانت أفضل ما أمكنني الحصول عليه. بنتيجة هذه الزيارة. وعدت بعد ذلك على وجه السرعة الى قيادة الفرقة حيث تدارسنا الموقف على ضوء المعلومات التي جمعتها والتي كانت تؤكد وجود قوات لليهود في التلال الغربية بين عرطوف وبيت جبرين بالإضافة الى القوات التي احتلت بئر السبع واحتمالات تحركها شمالاً باتجاه الخليل. وعلى هذا الأساس تقرر ان تتحرك (قوة جـ) الى بيت لحم أولاً وتحاول إكتشاف مواقع اليهود وحجم قواتهم في تلك المنطقة ثم تتحرك الى الخليل بمرحلة لاحقة. وأن تنشط على طول الخطوط بأعمال الدورية في المناطق الحيوية الهامة. ومن ثم تتخذ مدينة الخليل قاعدة رئيسية لها. وقد أكدنا على قائد هذه القوة أهمية تعاونه مع

القيادة المصرية الى اقصى الحدود. وفي صباح اليوم التالي تحركت قافلته عبر الطريق الترابية التي تمر من قرية العيزرية الى بيت لحم خلف التلال الشرقية حيث كانت هذه هي طريق الاتصال الوحيدة المفتوحة والمؤدية من القدس إلى بيت لحم بعد ان استولى اليهود على الأحياء الجنوبية بمدينة القدس والتي كانت الطريق الرئيسية تمر منها. وقد استقرت هذه القوة مبدئياً في منطقة بيت لحم لفترة وجيزة حيث بدأت تقوم بعمليات الاستطلاع على طول الجبهة هناك وتمرر لنا المعلومات عن تحركات القوات الاسرائيلية ومواقعها المتقدمة التي تمركزت فيها على طول التلال الواقعة الى الغرب من بيت لحم والممتدة من عرطوف حتى بيت جبرين. وبعد أن مكثت (قوة ج) في بيت لحم مدة يومين تحركت إلى الخليل يوم ٢٤ تشرين أول حيث توقفت فيها يوماً واحداً ثم تحركت الى منطقة (ترقوميا) الواقعة غربي الخليل واتخذت لها مواقع دفاعية على الجبال الوعرة حول بلدة ترقوميا. ومن هذه القاعدة اخذت تنشط في اعمال الدورية باتجاه الغرب والجنوب لتحديد مواقع العدو ونقاط التماس المناسبة. وفي صباح يوم ٢٦ تشرين أول تحرك قائد القوة (الميجر لوكت) على رأس دورية من فئتي مدرعات باتجاه بيت جبرين وكانت الطريق المؤدية لها متعرجة وتمر عبر وادٍ ضيق تحيطه تلال مرتفعة تكسوها الأشجار الحرجية وهي على أي حال كلها منطقة جبلية قليلة المسالك وتعتبر هذه الطريق هي المعبر الرئيسي الى بلدة بيت جبرين من الشرق حيث تتصل بها عبر هذا الوادي ثم تصعد على ربوة مرتفعة تشرف على البلدة وتسيطر على أجزاء كبيرة من المنطقة المحيطة بها. وعلى هذه الربوة توقفت مدرعة الطليعة لاستكشاف المنطقة قبل مواصلة تقدم الرتل لمسافة أبعد وراء بلدة بيت جبرين. وما لبث قائد هذه المدرعة ان شاهد أمامه رتلأ من مدرعات اليهود قوامه حوالي سريتين يتقدم نحوهم. وعندئذ قام بتمرير هذه المعلومات الى قائد الدورية الذي أمر جميع مدرعاته بالتوقف حالاً ثم الانتشار بسرعة الى مواقع دفاعية مسيطرة على طريق تقدم المدرعات اليهودية بحيث يمكنها ضربها بفعالية عندما تصل ضمن مرمى مدافع مدرعاتنا. وعندما اقتربت طليعة رتل اليهود من مواقع مدرعاتنا اطلقت عليها القنابل من إحدى مدرعاتنا فاعطبت المدرعة الأمامية. وعندما ترجل جنودها رشقتهم بنيران الرشاش وقتلت عددا منهم وعندئذ اشتبكت باقي مدرعاتنا مع مدرعات اليهود بكافة اسلحتها وأوقعت بها عدداً من الإصابات المباشرة. وقد دام هذا الاشتباك حوالي ساعة. وبعدها بادر اليهود بالانسحاب تاركين في أرض المعركة ستة مدرعات محترقة. ويظهر أن اليهود اعتقدوا ان هذه الدورية عبارة عن طليعة لقوة مدرعة كبيرة سوف لا تلبث ان تصل الى ساحة المعركة ولذلك قرروا الانسحاب بسرعة. وعند هذا الحد قرر الميجر لوكت قائد الدورية الاكتفاء بهذا القدر والانسحاب الى مركزه لا سيما وانه

حقق الهدف الذي ارسلت دوريته من أجله وهو استطلاع مواقع اليهود والتماس معهم لإظهار وجود الجيش العربي في المنطقة وتجنب الاشتباك بمعارك طويلة المدى حيث أن قوته بحجمها الصغير ليست مؤهلة لخوض مثل هذه المعارك .

وعندما بدأت مدرعاتنا بالانسحاب قصفها اليهود فأصبحت إحداها اصابة مباشرة وقتل جنودها الثلاثة كما اعطبت مدرعة أخرى ولم يتمكنوا من سحبها ولذلك فقد قام جنودنا بتدمير المدرعتين قبل مواصلتهم الانسحاب الى ترقيوميا . وقد كانت تقديراتهم أن اليهود تكبدوا حوالي خمسين إصابة بين قتيل وجريح بالإضافة الى تدمير سبعة مدرعات .

وحالما وصل الميجر لوكت الى قاعدته ابرق بهذه التفصيلات الى قيادة الفرقة وطلب تزويده بالتعليمات الجديدة . فأبلغناه بأنه يترتب عليه أن يدافع عن موقع ترقيومية ويحتفظ به كقاعدة ثابتة وان يجهز جزءاً من قوته ليدفعها على طريق الخليل - بئر السبع . وليتخذ لها مواقع دفاعية مناسبة جنوب بلدة الظاهرية لإيقاف محاولة تقدم اليهود عبر تلك الطريق، كما عليه أن ينتخب مواقع دفاعية أخرى بالاماكن المناسبة لتغطية المنطقة من الشمال الى الجنوب على شكل ستار من دورياته لاجلاق طرق الاقتراب عبر المحاور المؤدية اليها وان تمرر المعلومات عن تحركات اليهود مقابل منطقتي بيت لحم والخليل باستمرار اليها .

وقد اتضح لنا فيما بعد ان الرتل الاسرائيلي الذي اصطدمت معه دورية (جـ) في منطقة بلدة بيت جبرين كان جزءاً من قوة كبيرة كانت تتقدم لاحتلال مدينة الخليل وان هذه المعركة المحدودة التي خاضتها مدرعاتنا مع قوته المتقدمة قد تسببت بتغيير خطته حيث اعتقد ان الجيش العربي يتواجد في تلك المنطقة بقوات كبيرة . ولم يكن راغباً في خوض معارك جانبية طويلة الأمد مع الجيش العربي في جبال الخليل خوفاً من تأثير ذلك على زخم القتال الذي كانت تخوضه قواته مع القوات المصرية الرئيسية في المناطق الساحلية .

لاسيما وانه لا يستطيع استعمال قواته المدرعة على نطاق واسع في هذه المناطق الجبلية الوعرة بسهولة حيث من الممكن أن يتحول القتال فيها الى معركة استنزاف طويلة المدى . وهذا أمر لا يريد الجيش الاسرائيلي ان يقبله في الوقت الراهن على الأقل نظراً لضيق الوقت المتاح ولأن الاهداف التي يريد أن يحققها ضمن هذا الوقت في منطقة النقب هي من وجهة نظره أثمن وأكثر إلحاحاً من محاولة الاستيلاء على الخليل التي قد ثبت له انها عملية باهظة التكاليف .

وهكذا فقد استطاعت هذه القوة الصغيرة التي ارسلناها الى منطقة بيت لحم والخليل ان تحافظ على منطقة واسعة حوالي ٦٠٠ ميل مربع حيث كانت مفارزها الامامية متواجده على

طول خطوط التماس فيها عندما اعلن وقف اطلاق النار نهائياً ولم تكن القوات الاسرائيلية قد تمكنت من الدخول الى أي جزء منها .

ردود الفعل العربية :

وأما على الصعيد العربي فإنه عندما اتضح مدى خطورة اختراق القوات الاسرائيلية للجبهة المصرية وتفتيتها الى عدة جيوب وعلى الرغم من أن الحكومة المصرية لم تطلب المساعدة مباشرة من الحكومات العربية إلا أنها كما يبدو تقدمت بطلبها هذا بواسطة الامين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام باشا حيث كان من نتائج اتصالاته بالدول العربية وحثها على تقديم المساعدة للجيش المصري في معركته ان عقد اجتماع في عمان بتاريخ ٢٣ تشرين أول لرؤساء الحكومات العربية وقادتها لبحث هذا الموضوع وقد اتخذوا قراراً بأن يقوم الجيش العراقي والجيش السوري بعمليات تعرضيه في مناطقيهما في الشمال والوسط لتخفيف الضغط عن الجبهة المصرية. ولكن رئيس حكومة مصر عاد وطلب إلغاء هذه الخطة لأن نائب الوسيط الدولي الدكتور رالف بانش تمكن من التوصل لوقف اطلاق النار استناداً الى قرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ ١٩ تشرين أول. وقد طلب الدكتور بانش أن تعود القوات الاسرائيلية الى الخطوط التي كانت ترابط فيها يوم ١٤ تشرين أول. ولكن القتال لم يتوقف وقد تدهورت الاوضاع في الجبهة المصرية الى ابعد مدى وأصبحت قواتها معزولة عن بعضها نهائياً وتشكل جيوباً دفاعية محاصره وفي حالة اشتباك دائم مع القوات الاسرائيلية. وعلى هذا الأساس قرر الرؤساء من جديد تشكيل قوة مشتركة على النحو التالي لتقوم بفتح الحصار عن القوات المصرية المحاصره في جيب الفالوجه .

أ - كتيبة أردنية

ب - فوج عراقي

ج - الوحدات المصرية المتواجده في منطقة الخليل

كما تقرر ان تسند قيادة هذه العملية الى الزعيم سعد الدين صبور الذي كان مندوب مصر في القيادة العامة العربية في الزرقاء منذ بداية الحرب ولم يكن هذا القرار بتكوين قوة مشتركة من ثلاثة جيوش وبهذا الحجم الصغير هو الأسلوب الأمثل من الناحية العسكرية. وكان من الافضل لو أمكن تدبير قوة من جيش واحد لتقوم بهذه المهمة حتى لو لم تكن أكبر حجماً لتوفر لها إمكانية أكبر من النجاح. ولهذا فقد طلب الملك عبد الله من العراق أن يستلم

الجيش العراقي جبهة اللطرون من الجيش العربي الاردني لكي نتمكن من جمع قوة ضاربة قوامها لواء من ثلاثة كتائب مع اسلحتها الاسنادية للقيام بعملية فك الحصار عن جيب الفالوجة .

وبنتيجة هذه الاتصالات حضر لزيارتنا في قيادة الفرقة الفريق الركن صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش العراقي ومعه مدير العمليات العقيد الركن عباس علي غالب وعدد من ضباط الأركان لاستطلاع مواقعنا في جبهة اللطرون وقد رافقتهم بهذه الجولة الاستطلاعية من قرية (خربثا) شمالا حتى اللطرون وباب الواد ثم انتهت جولتنا على مرتفع النبي صموئيل غرب القدس ثم تحركنا الى قرية ابو ديس شرق القدس وقمنا باستطلاع المناطق الواقعة خارج أسوار المدينة من الجنوب. ومنطقة جبل المكبر والطريق المؤدية من أبو ديس الى بيت لحم. وبنتيجة هذا الاستطلاع قرر الفريق الجبوري أن الجيش العراقي بموارده الحالية لا يستطيع تمديد جبهته جنوباً لتشمل جبهة اللطرون وأن أقصى ما يمكنه الموافقة عليه هو الالتزام بتوفير كتيبة مشاة واحدة لتشارك في القوة المختلطة المشار اليها سابقاً .

وقد كنا بهذه لاثناء نشط ضمن امكانياتنا المحدودة لمساعدة القوات المصرية المحصورة في الفالوجة حيث رتبت قيادة الجيش العربي إرسال المؤن والذخائر من الخليل على ظهور الابل بقوافل صغيرة تسير ليلاً عبر الممرات الجبلية وعندما تصل الى الفالوجة تترك مع حملتها هناك لكي يذبحوها ويأكلوا لحمها. واخذ يزداد حجم هذه القوافل تدريجياً حسب الامكانيات والظروف المواتية .

وقد كانت القوة المصرية في الفالوجة بحالة اشتباك دائم مع القوات الاسرائيلية التي كانت تشن عليها الهجمات المتلاحقة لكي تستنزف ذخائرها وتجبرها على الاستسلام. ولكن هذه الحامية صمدت ببسالة نادرة رغم قسوة الظروف وقلة الموارد وشح الامدادات المتوفرة لها ولا سيما الذخائر حيث كانت مجبره على استهلاكها بكميات كبيرة .

وللوقوف على الصورة الحقيقية عن أوضاع القوة المحاصرة اصدر قائد الفرقة تعليمات الى الميجر لوكت قائد قوة (ج) بناء على أوامر من قائد الجيش لكي يتسلل ليلاً الى الفالوجة للإتصال مع حاميتها وجلب المعلومات الكافية عنها من حيث الموقف العسكري وحالة الامدادات لديهم. وقد اصطحب لوكت معه ضابط صف من الجيش العربي له خبرة جيدة بتلك المنطقة. وتمكن من التسلل عبر فجوات بين مواقع القوات الاسرائيلية ووصل الى الفالوجة بنفس الليلة ومكث مع القوة المصرية مدة يومين وبعد عودته ابلغنا ان معنويات

هذه القوة عالية جداً وهي تقاوم الهجمات الاسرائيلية بكل جرأة وتصدها في كل مرة رغم أن مواقعها الدفاعية تتعرض للقصف المدفعي الشديد باستمرار. الا أنهم كما يبدو قد اعتادوا عليه وهم مصممون على الاحتفاظ بمواقعهم مهما كان الثمن .

وبموجب آخر قرار اتفقت عليه القيادات العربية ونظراً لرفض العراقيين استلام جبهة اللطرون من الجيش العربي لكي يتمكن من توفير لواء اردني للقيام بعملية فك الحصار عن الفالوجة فقد استقر الرأي على أن تقوم بهذه المهمة القوة المختلطة بقيادة الزعيم سعد الدين صبور. وعلى هذا الأساس وصلت الكتيبة العراقية الى بيت لحم بحسب الترتيب المتخذ سابقاً لتشكيل هذه القوة .

وقد عقد الزعيم صبور بصفته قائد هذه القوة اجتماعاً لقادة الوحدات المشتركة ووضعوا الخطة اللازمة لعملية فك الحصار وتقرر أن ترسل فرق الكشف لمعرفة طرق تقدم القوات وكيفية تنفيذ العملية على الارض. وقد كانت الخطة تقضي بأن تقوم القوة المصرية المحاصرة بالخروج من الفالوجة ليلاً بمعرفة أدلاء من الجيش العربي عبر خطوط العدو باتجاه الشرق بينما تكون القوة الاردنية قد تقدمت من مواقعها الامامية مسبقاً لملاقاتهم والاشتباك مع القوات الاسرائيلية لمنعها من اعتراض طريق القوة المصرية المنسحبة والتي عليها ان تشق طريقها بالقوة كذلك اثناء انسحابها باتجاه القوة الاردنية. وبنفس الوقت تقوم الكتيبة العراقية المتواجدة في منطقة بيت لحم بمهاجمة مراكز اليهود في صور باهر والخضر لجذب انتباههم الى تلك الجهة .

وقد كانت المسافة بين الفالوجة والمواقع الامامية للجيش العربي حوالي ١٥ كيلومتر. وبهذه الأثناء تم ارسال الميجر لوكت مرة ثانية الى الفالوجة ومعه مجموعة ضباط صف من الجيش العربي ليكونوا ادلاء للقوة المصرية اثناء انسحابها. كما اخذ لوكت معه خبير متفجرات ليقوم بتفجير المعدات والاسلحة الثقيلة وخصوصاً المدافع قبل الانسحاب. كما حمل معه رسالة من الزعيم سعد الدين صبور إلى الزعيم سيد طه قائد القوة المحاصرة يشرح له فيها الخطة التي تم الاتفاق عليها وبلغه كذلك أن وزارة الحربية المصرية قد وافقت على هذه الخطة .

ولكن الميجر لوكت ومجموعته عادوا بعد يومين لأن الزعيم سيد طه رفض تنفيذ هذه العملية حيث أنه لم يتلق التعليمات بشأنها من قيادته. فأبقر الزعيم صبور الى قيادة القوات المصرية في رفح ليطلب موافقتها على الخطة ولكنه تلقى جواباً بتأجيل العملية حالياً لأنه توجد إمكانية حل سياسي شامل. وربما كانوا يعتمدون في ذلك على قرار مجلس الأمن الدولي

الذي صدر بتاريخ ٤ تشرين ثانى والذي يدعو الحكومات المعنية لسحب القوات التابعة لها والتي تقدمت من المواقع التي كانت تحتلها قبل ١٤ تشرين أول مع تخويل الوسيط الدولي بالوكالة سلطة إقامة خطوط مؤقتة لا يجوز تجاوزها من قبل جنود الطرفين المتحاربين .

وبتاريخ ٢٤ تشرين ثانى أبقى الزعيم صبور ثانياً الى القيادة المصرية بوجوب تنفيذ الخطة وتلقى جواباً بأنه إذا اخفقت المساعي السلمية سوف تصدر الأوامر بتنفيذها. وبعد ذلك انتهى الموضوع عند هذا الحد لأن القيادة المصرية ظلت تماطل وبقيت القوات المخصصة للعملية في مواقعها .

وعلى أي حال فقد صمدت القوة المحاصرة في مواقعها بكل شجاعة وصبر بفضل تفانى وصمود ضباطها وجنودها رغم شدة الحصار الذي فرض عليها مدة طويلة وبإصرار وجسارة قائدها المحنك الزعيم سيد طه واركأن حربه الشجاع البكباشي جمال عبد الناصر وقد كان آخر هجوم شنته القوات الاسرائيلية على جيب الفالوجة ذلك الهجوم الذي شنه لواء الكسندروني والذي كان من أكثر الوية الجيش الاسرائيلي تمسراً بالمعارك. وقد بدأ الهجوم ليلة ٢٧/٢٨ كانون أول. وقد منى هذا اللواء بهزيمة ساحقة وتكبد خسائر كبيرة بالأرواح أثناء الهجوم. وقد عزى القادة الاسرائيليون أسباب هذه الهزيمة الى كثرة الاخطاء التي ارتكبت أثناء تنفيذ عملية الهجوم وانعدام التنسيق بين القيادات وعدم كفاءة الاتصالات مما نتج عنه تفتت القوات المهاجمة بسرعة وانعزالها عن بعضها. حيث ان بعض الوحدات المعزولة قد أبيدت تماماً. وقد اعتبر الاسرائيليون ان هذا الهجوم كان بمثابة كارثة. وقد ارتفعت معنويات القوات المصرية المحاصرة. وكانت النتيجة ان القوات الاسرائيلية لم تكرر الهجوم على جيب الفالوجة حتى النهاية .

وعندما وقعت اتفاقية الهدنة بين مصر واسرائيل بتاريخ ٢٤ شباط عام ١٩٤٩م كانت القوة المصرية ما زالت محاصرة. واجتمع القائد الاسرائيلي (يجال آلون) مع الزعيم سيد طه في قرية (قات). وكان سيد طه قد سبق ورفض طلبات من القادة الاسرائيليين للإجتماع به عدة مرات. وعندما عرض عليه آلون بهذا الإجتماع انه سوف يضمن له ولقواته سلامة العودة الى مصر مع جميع الاعتبار العسكرية المتعارف عليها اذا هو وافق على الاستسلام. وقد كان جواب سيد طه انه مع علمه بأن موقفه العسكري ميؤوس منه إلا أنه يرفض الاستسلام لأن واجبه الآن أصبح ينحصر بالمحافظة على شرف الجيش المصري. وقد اعطى بهذا التصرف أروع مثل للقائد الشجاع .

وبهذه الاثناء كان قد تم التوصل الى اتفاق وقف اطلاق النار الفعلي في القدس وبيت لحم

في الإجتماع الذي عقد بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني بترتيب من المراقبين الدوليين بين وفد أردني برئاسة القائد عبدالله التل ووفد اسرائيلي برئاسة الكولونيل موشي دايان. وأصبح هذا الاتفاق نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ ٢٩ تشرين الثاني وتم التوقيع عليه نهائياً من قبل ممثلي الطرفين بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٨ م .

وأما بالنسبة للكتيبة العراقية فقد بقيت بمواقعها في منطقة بيت لحم حتى تاريخ ١٤ كانون الأول حيث عادت لأمرة الجيش العراقي بعد موافقة القيادة المصرية على ذلك .

الحالة العامة على الجبهات قبل الهجوم على الجليل :

لقد توقف القتال في الجبهة المصرية مؤقتاً عند هذا الحد وساد الجبهة حالة من الركود والترقب ولم يستقر الوضع القتالي بشكل حاسم لاحد الفريقين نهائياً رغم أن الموقف العام أصبح واضحاً لصالح اسرائيل حيث تمكنت قواتها من اختراق الجبهة المصرية وعزل قواتها عن بعضها بحيث أصبحت تشكل ثلاثة جيوب منفصلة وأصبحت القوات الموجودة في جيب الفالوجة مطوقة تماماً كما أسلفت، وقد أصبح واضحاً أن حالة الركود هذه لن تدوم طويلاً إذ لا بد أن تستغل القوات الاسرائيلية تفوقها العسكري الذي حققته بالدرجة الاولى بفضل حصولها على الكميات الهائلة من الاسلحة المختلفة ولا سيما الطائرات والدبابات خلال فترة الهدنة لحسم الموقف نهائياً وإخراج الجيش المصري من فلسطين .

وقبل ان أدخل في شرح تفصيلات المرحلة الاخيرة من القتال على الجبهة المصرية. أود أن أشرح هنا موجزاً عن المعارك التي كانت تدور بهذه الاثناء في شمال فلسطين ضد جيش الانقاذ والتي ادت بالنهاية الى دحر هذا الجيش وإخراجه من فلسطين نهائياً. وفي هذا الصدد لا بد لي أولاً من الإشارة إلى نقطتين في غاية الخطورة والاهمية وهما :

أولاً : إنه بينما كانت القوات الاسرائيلية تشن هجومها الواسع ضد القوات المصرية والذي بدأت منذ تاريخ ١٥ تشرين أول وهجومها الآخر ضد جيش الانقاذ في الجليل والذي بدأ بتاريخ ٢٤ تشرين اول كانت الجيوش العربية الاخرى ملتزمة بوقف إطلاق النار والهدنة التي أصبحت نافذة اعتباراً من ١٨ أيلول. ولم تقم هذه الجيوش بأي تعرض ضد اليهود في جبهاتها لتخفيف الضغط عن المصريين في الجنوب أو عن جيش الانقاذ في الشمال، كما انها لم تحرك أي جزء من قواتها لنجدة أي من هاتين الجبهتين اللهم ما عدا مجموعة القوة الاردنية والكتيبة العراقية التي ارسلت لمحاولة مساعدة القوة المصرية المحصورة في جيب الفالوجة لتأمين انسحابها وإخراجها من طوق الحصار .

وبسبب هذا الموقف استطاع الجيش الاسرائيلي ان يسحب معظم قواته الرئيسية من واجهات هذه الجيوش العربية ويستخدمها في عمليات الهجوم الواسعة النطاق في الجنوب والشمال لأنه كان متأكداً من أن هذه الجيوش العربية سوف تبقى ملتزمة بالهدنة ومحافظة على وقف اطلاق النار وبالتالي فهي لن تشكل خطورة عليه لا سيما وان التنسيق بينها ما زال شبه معدوم .

وهنا يجب ان نتذكر ان الجيوش العربية كانت قد التزمت بنفس هذا الموقف عندما كان الجيش العربي الاردني يتعرض للهجوم الاسرائيلي في اللطرون والقدس. وقد اصبح موقف هذه الجيوش شاذاً بوقوفها في جبهاتها على الحياد. وكأن التقيد بشروط الهدنة ليس مطلوباً من الجيش الاسرائيلي تماماً كما هو مطلوب من الجيوش العربية وبنفس القدر من المسؤولية. صحيح أن هذه الجيوش كانت تنقصها الذخائر والأسلحة ولكن عندما تصل الامور الى الحد الذي وصلت اليه لا يجوز بأي عرف ان يترك الميدان مفتوحاً للإسرائيليين بحيث يستطيعوا ان يركزوا كل ثقل قواتهم ضد القوات المصرية في النقب وضد جيش الانقاذ في الجليل بكل حرية بينما هنالك أربعة جيوش عربية اخرى ترقب القتال عن بعد. وعلى الرغم من محدودية الذخائر الباقية لديها والتي قد لا تكفي لحرب طويلة المدى فإنه كان من الممكن أن تقوم هذه الجيوش بعمليات محدودة في جبهاتها بحيث أنها لو نفذت بذلك وتصميم لكان من الممكن أن تثبت قطعات كبيرة من الجيش الاسرائيلي في مواجهة جبهاتها وتمنعها من الاشتراك بالمعارك ضد المصريين وضد جيش الانقاذ. وبالتالي قد يتطور الموقف لصالحنا. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث .

وعلى الرغم من أن مثل هذا الإجراء قد طرح فعلاً للبحث في اجتماع القادة العرب الذي عقد في عمان على إثر الاتصالات التي قام بها السيد عبد الرحمن عزام ودعى الدول العربية لمساعدة مصر الا ان رئيس وزراء مصر عاد وطلب الغاءه. ولكن لو أن الجيوش العربية كانت تقاتل تحت قيادة ميدانية فعالة واحدة لما انصاعت لطلب الالغاء هذا الذي كان سببه دوافع سياسية قطرية. وكانت نتائجه بمثابة كارثة عسكرية حلت بالجيش المصري في الجبهة الجنوبية وبجيش الانقاذ في الشمال. ورغم هذا وذاك فما دام ان الدول العربية تصر على خوض هذه الحرب بأساليب سياسية كان من الافضل لو أن جميع الجيوش العربية عندما خرق اليهود الهدنة قامت هي الأخرى بالتحول للقتال في جبهاتها. عندما اشتبكت القوات اليهودية مع الجيش المصري حيث سيشكل هذا القتال (بالإضافة الى تخفيف الضغط عن الجبهة المصرية)

عامل ضغط آخر مهم على مجلس الامن الدولي فيسرع باتخاذ إجراءات حاسمة لوقف اطلاق النار قبل ان تكون القوات المصرية قد خسرت معظم مواقعها واصبحت معزولة ضمن ثلاثة جيوب محاصره. وقبل ان يكون جيش الانقاذ قد خسر الجليل بكامله .

وعلى أي حال فإن أي إجراء عسكري معقول كان أفضل من لا شيء .

ولكن ماذا كانت النتيجة المباشرة لهذا الموقف. لقد اصبح هم كل جيش ان يحافظ على مواقعه فقط بصرف النظر عن الآخرين. واصبح القادة السياسيين العرب يعتقدون ان الجيش الاسرائيلي اصبح من القوة بحيث يمكنه التغلب على كافة الجيوش العربية. والسبب واضح وهو أن الجيش الاسرائيلي استطاع ان ينفرد بكل جيش عربي لوحده ويحشد ضده معظم قواته ثم يوجه له ضربة قاصمة ويحقق انتصاراً مؤكداً دون أن يضطر الى الاخذ بعين الاعتبار اية احتمالات لتدخل الجيوش العربية الاخرى التي أصرت حكوماتها على تكريس التفرقة بينها .

ثانياً : لقد تذرع اليهود عندما شنوا هجومهم المفاجيء ضد القوات المصرية مساء يوم ١٥ تشرين اول بأن المصريين خرقوا الهدنة لأنهم أطلقوا النار على قافلة التموين التي ارسلوها تحت اشراف المراقبين الدوليين لكي تمر عبر الخطوط المصرية الى المستعمرات اليهودية حسب شروط الاتفاق بين الطرفين . ولكن حقيقة الامر ان المصريين لم يطلقوا النار على القافلة ابتداءً. بل ارادوا ايقافها لتفتيشها حسب نصوص الاتفاق للتأكد من انها لا تحمل سوى الاغذية والمؤن المصرح بها وليس الذخائر والاسلحة. ولكن اليهود رفضوا ايقاف القافلة رغم ان مراقبي هيئة الأمم كانوا موافقين على التفتيش. وعرض المصريون ان يتم التفتيش من قبل مراقبي هيئة الأمم بدلهم. ولكن اليهود رفضوا هذا العرض ايضاً. واستمروا في سيرهم ليعبروا الخطوط المصرية عنوة رغم انهم اصبحوا ملزمين تجاه هذا الموقف المتعنت وللحفاظة على كرامتهم وسلامة جبهتهم من خطر تهريب الاسلحة الى المستعمرات الواقعة خلف خطوطهم. ان يجبروا هذه القافلة على التوقف حتى يتم إيجاد حل لمسألة التفتيش، فأطلقوا بعض العيارات النارية التحذيرية باتجاهها ولم يصب أحد من ركابها بأذى، لأنهم لم يقصدوا اصلاً ضرب القافلة. فاعتبر اليهود ان المصريين خرقوا الهدنة لأنهم رتبوا الظروف التي ستؤدي الى هذا الموقف مسبقاً. وقد ثبت فيما بعد ان اليهود كانوا قد وضعوا خطة الهجوم على القوات المصرية بهدف احتلال النقب منذ مدة طويلة وحشدوا القوات المخصصة لهذه العملية بمواقع الحشد

استعداداً لبدء الهجوم. كما ان الطائرات كانت جاهزة في قواعدها للإغارة على الاهداف المخصصة لها والمعينة سلفاً عند اعطاء أول إشارة. وبعد اتمام جميع هذه الترتيبات أرسلوا قافلة المؤن هذه واعطوها التعليمات بأن لا تتوقف للتفتيش وان لا تنصاع لاوامر مراقبي هيئة الأمم. والغاية طبعاً التحرش بالمصريين واستدراجهم الى اطلاق النار لكي يتخذوه ذريعة للبدء بالهجوم .

الهجوم الثاني في منطقة الجليل :

بنتيجة المعارك التي دارت خلال فترة القتال الثانية التي اطلق عليها اسم (حرب العشرة ايام) بعد انتهاء الهدنة الاولى تمكن الاسرائيليون من احتلال مدينة الناصرة ومعظم المناطق التي كان يسيطر عليها جيش الانقاذ في الجليل. وعندما اعلنت الهدنة الثانية كانت هذه المناطق قد تقلصت واصبحت تشكل جيئاً يرتكز في طرفه الشمالي على الحدود اللبنانية من رأس الناقورة حتى المطلة ثم يمتد جنوباً الى نقطة غرب بحيرة طبريا عند (عبره) ومنها غرباً عبر (عيلبون) إلى (كوكبا). ثم شمالاً من غرب (مجد الكروم) حتى يلتقي الحدود اللبنانية ثانية .

أما قوات جيش الانقاذ التي تقلص حجمها حتى اصبحت حوالي (٣٥٠٠) رجل فكانت موزعة على النحو التالي :

- ١ - فوج اليرموك الاول - ومعه مجموعات من المتطوعين اللبنانيين كان يعمل في التلال الواقعة جنوب طريق عكا - صفد .
- ٢ - فوج اليرموك الثاني - كان يعمل في مواجهة صفد بين (سعسع) و(ميرون) .
- ٣ - فوج اليرموك الثالث - كان مسؤولاً عن الطرف الغربي للجيب من قاعدته في طرشيحه .

هكذا كان الوضع اثناء سريان الهدنة ولكن الاسرائيليين لم يكونوا معنيين بالمحافظة على الهدنة فيما يتعلق بالنقب والجليل، بل انهم منذ ان دبروا جريمة اغتيال الكونت برنادوت وهم مصممون على محو آثار تقريره المشهور الذي أوصى فيه بضم النقب للمنطقة العربية وتبديله بالجليل الغربي الذي اقترح ضمه للمنطقة الاسرائيلية. ولذلك فقد قرروا احتلال هاتين المنطقتين وفرض الأمر الواقع وعندئذ لا يبقى اية أهمية لتقرير برنادوت ولا حتى لقرار التقسيم ذاته. وإذا استطاعوا احتلالهما بسرعة فإن كل ما يتوقعونه هو صدور قرارات من مجلس الامن الدولي تأمرهم بالعودة الى الحدود السابقة وسوف يرفضون الانسحاب وستساندهم امريكا. وما دام أن العرب متفرقون وغير قادرين على صدهم بقوة

السلاح فسوف يبقون في هذه المناطق نهائياً وهذا ما حدث فعلاً .

وقد وضع اليهود الخطط لهاتين العمليتين وحشدوا القوات اللازمة لتنفيذهما واخذوا يدبرون الأسباب التي تخلق المبررات التي سيتذرعون بها لشن الهجوم خلال مدة سريان الهدنة. لتخفيف حدة النقد العالمي في هيئة الأمم المتحدة من جراء خرق الهدنة بهذا الشكل الصارخ .

وكما ذكرت سابقاً فقد دبروا مشكلة مرور القافلة في منطقة النقب واستدرجوا المصريين الى موقف اظهروهم فيه وكأنهم هم الذين خرخوا الهدنة بمنع مرور هذه القافلة. واعتبر اليهود هذا العمل سبباً كافياً لشن هجوم عام على القوات المصرية يوم ١٥ تشرين أول وهم متأكدون من مساندة امريكا لهم ومن تخاذل العرب في مواجهتهم. والآن وعندما توقف القتال مؤقتاً في الجنوب بعد ان تم عزل القوات المصرية في ثلاثة جيوب وساد المنطقة نوع من الركود قرر اليهود تنفيذ عملية الجليل قبل المباشرة بالمرحلة الثانية من عملية تصفية القوات المصرية في النقب .

وعلى هذا الأساس قاموا بحشد قوات الهجوم في مواقعها وكانت تتألف من ثلاثة ألوية ثم سحبوا لواء آخر من النقب وضموه لقوات الجليل. ولكنهم في هذه المنطقة يريدون ايضاً ان يخلقوا سبباً يبرر قيامهم بالهجوم اثناء الهدنة. وقد حدث هذا السبب يوم ٢٢ تشرين أول. حيث تمكنوا من جر القاوقجي عن طريق المناوشات في منطقة المنارة الواقعة على الحدود اللبنانية الشرقية لشن هجوم عليها. وتمكن القاوقجي من احتلال موقع حصين اسمه (الشيخ عبد) وباحتلاله يكون قد عزل (المنارة). وعندئذ شن اليهود هجوماً معاكساً وتمكنت قوات القاوقجي من صدّه. وبهذا الوقت بدأت القوات الاسرائيلية زحفها العام على منطقة الجليل بأكملها لتصفية قوات القاوقجي نهائياً وتدميرها .

وقد بدأ هذا الهجوم العام ليلة ٢٨/٢٩ تشرين أول على شكل كماشة يلتقي ذراعيها في بلدة (سعسع) الواقعة بالقرب من الحدود اللبنانية وبهذا الشكل تغلق منطقة الجيب الذي تتواجد فيه قوات القاوقجي بكاملها. ويسهل بذلك تفتيتها .

وضمن هذه الخطة زحف لواء مشاه اسرائيليين من صفد الى سعسع بينما تحرك لواء آخر من الغرب لاحتلال طرشيحه ومنها يتقدم الى سعسع. وبنفس الوقت قام لواءان آخران بعمليات خداع في مواقع اخرى من الجبهة حيث تقدم لواء من الجنوب باتجاه عيلبون بينما تقدم لواء آخر في الشمال لاشغال القوات السورية .

وأثناء تقدم لواء المشاة من صفد الى سعسع اصطدم بقوات جيش الانقاذ في قرية (ميرون) ودارت معركة حامية خسرت فيها قوات جيش الانقاذ حوالي مائة قتيل ثم انسحبت منها. وعندئذ تقدم اللواء الاسرائيلي نحو بلدة (الجش) واحتلها. وبهذه الاثناء كان السوريون قد ارسلوا كتيبة سورية عن طريق لبنان لتعزيز قوات جيش الانقاذ ولكن هذه الكتيبة وقعت اثناء تقدمها في كمين اسرائيلي ودمر معظمها حيث خسرت حوالي (٢٠٠) قتيل وانسحب الباقون ثانياً الى لبنان. وبعد ذلك تقدم اللواء الاسرائيلي الى (سعسع) حيث انتهت مهمته بإطباق الذراع الشرقي للكماشة على بلدة سعسع .

أما عمليات الذراع الغربي للكماشة فقد كانت أقل حظاً حيث فشل هذا اللواء باحتلال (طرشiche). ولكن الحظ لعب دوره حيث عندما سمع جنود جيش الانقاذ المدافعين عن طرشiche بتقدم لواء اسرائيلي من جهة الشرق واحتلاله بلدة سعسع اسقط في ايديهم وانسحبوا رأساً الى داخل لبنان تاركين معداتهم الثقيلة خلفهم رغم انهم تمكنوا في البداية من إيقاف زحف اللواء الذي هاجمهم .

وفي اليوم التالي ٣٠ تشرين أول شن اللواء الاسرائيلي هجوماً جديداً فاستسلمت طرشiche بسرعة. ثم تقدم الى سعسع وتم بهذه العملية التقاء ذراعي الكماشة واصبح جيش الانقاذ محاصراً من الشمال والجنوب .

وبهذه الاثناء تقدم لواء اسرائيلي آخر من سعسع الى المالكية وتمكن من احتلالها. وبانسحاب قوة جيش الانقاذ من المالكية اصبح الجيش الاسرائيلي يسيطر على خط الحدود اللبنانية بكامله من رأس الناقورة على ساحل البحر الابيض المتوسط حتى النبي يوشع غربي بحيرة الحولة. ثم تقدمت القوات الاسرائيلية شمالاً واحتلت اربعة عشر قرية بداخل لبنان .

وفي صباح ٣١ تشرين أول انتهت جميع العمليات الحربية في الجليل وقد خسر جيش الانقاذ خسائر فادحة بالأرواح والمعدات حيث فقد أكثر من ٣٠ بالمائة من مجموع ملاكه بين قتيل وجريح وأسير. ومن بقي من جنوده انسحبوا بدون نظام عبر الحدود إلى لبنان. ولم يعد يشكل وحدة مقاتلة بالمعنى المفهوم. كما ان كتائب الجيش اللبناني التي كانت طيلة الوقت تعسكر بداخل لبنان على طول الحدود انسحبت هي الاخرى شمالاً الى ما وراء نهر الليطاني. وبهذا الشكل يكون الجيش اللبناني قد خرج من الحرب نهائياً. أما جيش الانقاذ فعند اتمام انسحاب بقايا وحداته الى داخل الحدود اللبنانية تم نقلهم الى سوريا حيث سرحوا نهائياً من الخدمة .

وعلى الرغم من ان الجيش السوري بقي محتفظاً برأس الجسر الذي كان يحتله في منطقة مستعمرة (مشمار هاياردن) فإنه لم يعد يقوم بأي عمليات تعرضيه بأي حجم ضد القوات الاسرائيلية. وعند هذا الجد تعتبر الحرب في شمال فلسطين بما يخص الجبهات السورية واللبنانية وجيش الانقاذ اصبحت بحكم المنتهية عملياً ومن كافة الوجوده .

المرحلة الثانية من العمليات الحربية على الجبهة المصرية :

بعد انتهاء العمليات في منطقة الجليل تفرغت القوات الاسرائيلية كلياً لتصفية ما تبقى من الجبهة المصرية في النقب واخراج الجيش المصري نهائياً من فلسطين. وعندئذ ستم سيطرة اسرائيل على منطقة النقب بكاملها. ولقد كانت هذه هي انسب فرصة أمام الاسرائيليين لتحقيق اهدافهم حيث لم يبق من الجيوش العربية بحالة اشتباك معهم سوى الجيش المصري الذي اصبح مبعثراً ومحاصراً في مناطق منعزلة عن بعضها. أما الجيش العربي الاردنى والجيش العراقي فقد كانا ثابتين في مواقعهما الاساسية وملتزمين بوقف إطلاق النار. وكذلك الحال بالنسبة للجيش السوري وفي واقع الحال فقد كانت هذه الجيوش الثلاثة خارج المعركة التي كانت تدور على الجبهة المصرية في النقب بهذه المرحلة. ولو أن الجيش العربي الاردنى كان ما زال يحتفظ ببعض المخافر والدوريات في منطقة النقب الشرقية وجنوب البحر الميت بمحاولة لإثبات حقه بالمطالبة فيها والاحتفاظ بها بشكل نهائي اذا تم التوقيع على الهدنة الدائمة. ولكن هذا لم يتحقق كما سنلاحظ فيما بعد من تطورات الاحداث في تلك المنطقة حيث تقدمت القوات اليهودية واستولت عليها بكاملها حتى وصلت الى ميناء العقبة

وهكذا وبعد انتهاء المعارك في الجليل عاد الجيش الاسرائيلي يجدد نشاطه في منطقة النقب لحسم الموقف فيها نهائياً. وقد بدأ عملياته من جديد في تلك المنطقة بشن هجوم مركز على موقع (عراق سويدان) وكان هذا الموقع قد تم تحصينه بشكل قوي للغاية وسبق أن صمد في وجه العديد من الهجمات التي شنّها اليهود وكبدهم خسائر فادحة في كل مرة. وقد حشد الاسرائيليون لإسناد هذا الهجوم اعداداً كبيرة من مدافع الميدان من مختلف الاحجام. وقد امطرت هذه الاسلحة موقع عراق سويدان بوابل هائل من القذائف بكثافة لم يسبق لها مثيل تهيئداً للهجوم النهائي. وقد استمر القصف المتواصل مدة ساعتين بحيث لم تبقى بقعة في هذا الموقع لم تصلها القنابل. وعندما تقدمت الدبابات وناقلات الجنود تحت ستار هذه النيران الهائلة واخترقت حواجز الموقع تمكنوا من احتلاله بسهولة. وهكذا سقطت قلعة عراق

سويدان صباح يوم ٩ تشرين ثانى. وبسقوطها تقلصت مساحة جيب الفالوجة واصبحت تتكون من المساحة بين الفالوجة وعراق المنشية والتي بقي اللواء المصري محاصراً بداخلها حتى توقيع الهدنة .

بعد ذلك حاول المصريون ارسال قوة من منطقة غزة لفك الحصار عن جيب الفالوجة بعد ان رفضوا تنفيذ العملية المقترحة من قبل القوات المشتركة عبر منطقة الخليل كما اسلفت. ولكن حركة التعرض هذه لم تنجح رغم ان القوة المصرية في المرحلة الاولى من تقدمها تمكنت من احتلال بعض المواقع المسيطرة تمهيداً للهجوم الرئيسي. وقد نشبت عدة معارك ضارية في تلك المنطقة. وبنتيجة سلسلة من الهجمات المعاكسة التي شنتها القوات الاسرائيلية تمكنت من احتلال العديد من النقاط الاستراتيجية على طول خط المواجهة. وبهذه المرحلة اندفعت القوات الاسرائيلية المكونة من خمسة ألوية بهجومها النهائي ضد القوات المصرية بهدف تصفيتها واخراجها من فلسطين، وقد كانت الخطة الاسرائيلية تقضي بتجنب الهجمات الثانوية المتعددة على المواقع المصرية الحصينة في الجناح الشرقي والتي كانت تتركز في عسلوج والعوجا وابو عقيله. ولذلك قرروا الالتفاف من حولها. ومن ثم التقدم عبر الحدود الدولية والتغلغل في سيناء .

وبهذا سوف يتمكنوا من فصل القوات المصرية عن قواعد تزويدها. لكن عملية تمرير الآليات والدبابات عبر الرمال تعتبر عملية صعبة للغاية بدون استعمال الطرق. الا ان اليهود اكتشفوا وجود طريق رومانية قديمة تتجنب هذه المواقع المصرية وهي تمر من بئر السبع الى العوجا. رغم انها كانت مغطاة بالرمل الكثيفة وتحتاج إلى عمل وجهد كبير للكشف عنها وترميمها لتصبح صالحة للإستعمال. ولكن هذا العمل لا يمكن تنفيذه بمدة قصيرة ولذلك ولضمان عدم اكتشاف اعمال تصليح هذا الطريق من قبل المصريين كان لا بد لليهود من ان يضعوا (خطة تعميمه) لضمان جذب انتباه المصريين نحو القطاع الغربي من الجبهة. وعلى هذا الأساس قاموا بالهجوم على (المرتفع ٨٦) المسيطر على الطريق الرئيسية المؤدية من غزة الى رفح بتاريخ ٢٢ كانون اول بقوة لواء مشاه وتمكنوا من احتلاله. إلا أن المصريين ما لبثوا ان شنوا هجوماً معاكساً واستردوا هذا التل، وبهذه الاثناء قامت الطائرات الاسرائيلية بالإغارة على مدينة غزة وعلى مواقع القوات المصرية في القطاع الغربي من الجبهة فقط بينما قامت السفن الحربية الاسرائيلية بقصف تلك المواقع من البحر. وقد نجحت هذه العمليات باقناع المصريين بأن الهجوم الرئيسي سيكون في القطاع الغربي من الجبهة. بينما كان الاسرائيليون منهمكون باصلاح الطريق الرومانية في الشرق. وبتاريخ ٢٥ كانون اول تمكنوا من تمرير رتل من الدبابات عبر هذا الطريق. وبنفس الوقت تقدمت قوة من (الكوماندوز) عبر الصحراء

واحتلت المواقع المشرفة الواقعة بين عسلوج والعوجا. وقد تمكن الرتل المدرع المتقدم عبر الطريق الرومانية من احتلال العوجا يوم ٢٧ كانون أول وهكذا أصبحت طريق بئر السبع - العوجا بكاملها بيد القوات الاسرائيلية وانهارت الدفاعات المصرية على هذا الجناح الشرقي من الجبهة .

وللإستفادة من حالة الفوضى التي نتجت عن هذه الضربة المفاجئة دفع اليهود بقوة مؤلفة من لواء مدرع ولواء مشاة عبر الحدود الدولية الى داخل صحراء سيناء يوم ٢٨ كانون أول بهدف الاستيلاء على موقع ابو عقيله. وبعد التغلب على المقاومة البسيطة التي واجهتها في أم قطف دخلت القوة الاسرائيلية الى ابو عقيله .

وفي اليوم التالي توجهت شمالاً نحو العريش. وبعد التغلب على حامية (بئر لحفان) وصلت الى مطار العريش بنفس اليوم بينما وصلت قطعات لواء المشاة الآخر في الجنوب الى (القسيمة) وقد توقفت القوات الاسرائيلية في العريش لاعادة التنظيم وفي اليوم التالي ٢٩ كانون أول اجتمع مجلس الامن الدولي واصدر قراراً آخر بوقف إطلاق النار. ولكن العامل الحاسم بهذا الموقف جاء هذه المرة على غير توقع من بريطانيا. حيث اصدرت إنذاراً الى اسرائيل تم تبليغه الى الحكومة الاسرائيلية عن طريق السفير الامريكي في اسرائيل بتاريخ ١ كانون ثانى عام ١٩٤٩م جاء فيه انه مالم تنسحب القوات الاسرائيلية من سيناء فإن الحكومة البريطانية ستصبح ملزمة بتطبيق المعاهدة البريطانية المصرية لسنة ١٩٣٦م وسوف تتقدم لمساعدة المصريين في القتال. والغريب بهذا الأمر ان الحكومة المصرية لم تطلب من بريطانيا اية مساعدة ولم تطلب تطبيق المعاهدة بل بالعكس فإنها كانت تطلب بإلغائها. وربما كانت غاية بريطانيا من التطوع لإصدار هذا الانذار التأثير النفسي على المصريين لكي يعدلوا عن المطالبة بالغاء المعاهدة. ولكن على أي حال فإن النتيجة كانت إيجابية وفورية. حيث كان بن غوريون غير مستعد بهذا الظرف أن يدخل في مثل هذه المواجهة مع بريطانيا. فأمر قواته بتأجيل الهجوم على مدينة العريش والانسحاب الكامل من سيناء صباح يوم ٢ كانون ثانى ١٩٤٩م .

وبعد ذلك قرر الاسرائيليون تحقيق هدفهم الاساسي بعزل القوات المصرية في منطقة الشريط الساحلي من جهة الجنوب بدون دخول سيناء وذلك باحتلال منطقة تقاطع الطرق عند مدينة رفح. وقد قام لواء مشاة بتنفيذ هذا الهجوم ليلة ٣/٤ كانون ثانى ١٩٤٩م. ودارت عدة معارك في المنطقة ولم يتمكن هذا اللواء من تحقيق جميع أهدافه. وقد قام لواء مدرع مصري بهجوم معاكس واخرج اللواء الاسرائيلي من تلك المواقع. وبهذه الانثناء تمكن

لواء اسراييلي آخر من تطويق معسكرات رفع. وبهذا الشكل اصبحت القوات المصرية في شريط غزة معزولة. وان هي الا ساعات حتى تصبح مطوقة تماماً ومقطوعة عن قواعد تزويدها. وبنتيجة هذه التطورات اعلنت الحكومة المصرية موافقتها على الدخول في مفاوضات مع اسرائيل للتوصل الى اتفاقية هدنة دائمة .

وقد حدث بهذه الاثناء ان سلاح الجو البريطاني في منطقة قناة السويس ارسل دوريات جويه استطلاعية للكشف على منطقة الحدود للتأكد من ان القوات الاسرائيلية قد انسحبت من سيناء فتصدت لها الطائرات الاسرائيلية في معركتين جويتين وتمكنت من اسقاط خمسة طائرات بريطانية. وقتل بهذه المعركة الجوية طيارين بريطانيين ووقع اثنان آخران أسرى بيد اليهود. وهنا ازداد رد فعل بريطانيا عنفاً وأصبح ينذر بالخطر. وشعرت اسرائيل بخطورة الموقف ولم يبق لديها خيار سوى الموافقة على وقف اطلاق النار الذي اصبح نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ ٧ كانون ثاني ١٩٤٩ م .

وقد تمت المفاوضات فيما بعد بين مصر واسرائيل في جزيرة رودس وتبعتها الدول العربية الأخرى. وبالننتيجة تم التوقيع على اتفاقيات الهدنة الدائمة والتي اصبحت تسمى فيما بعد (اتفاقيات رودس) بالتواريخ التالية :

٢٤ شباط ١٩٤٩ - بين مصر واسرائيل

٢٣ آذار ١٩٤٩ - بين لبنان واسرائيل

٣ نيسان ١٩٤٩ - بين الأردن واسرائيل

٢٠ تموز ١٩٤٩ - بين سوريا واسرائيل

ولم توقع العراق ولم تجري مفاوضات مع اسرائيل بشأن الهدنة لأنها انسحبت من فلسطين عند البدء بهذه المفاوضات بحجة أنه ليس لها حدود مشتركة مع اسرائيل. وهي لا ترغب أن تكون طرفاً بهذه المفاوضات. وقد كان لانسحاب الجيش العراقي المبكر من الجبهة اثر بالغ الخطورة على الجبهة الاردنية وتسبب بالنتيجة بخسران مساحات واسعة من الاراضي والقرى العربية في منطقة المثلث تمكن اليهود من الاستيلاء عليها تحت الضغط والتهديد باستئناف القتال ضد الأردن مما جعله يرضخ لمطالب اليهود لأنه لا يستطيع الصمود أمام مثل هذا الهجوم لوحده بعد انسحاب الجيش العراقي .

وبنتيجة الاتفاقية التي عقدت بين مصر واسرائيل أمكن اخراج اللواء المصري المحاصر في جيب الفالوجه مصطحباً اسلحته واعلامه وانسحب الى مصر .

كما أنه بنتيجة الاتفاقية بين سوريا وإسرائيل انسحبت القوات السورية من جيب (مشمار هاياردن) واعتبرت هذه المنطقة مجردة من السلاح تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. وسيأتي الحديث فيما بعد عن نتائج هذه الاتفاقيات وما تركته من آثار وما تعرضنا له من مشاكل عبر السنين بسببها .

أما الآن وقد شرحت جميع الحركات الحربية على الجبهة الاردنية مفصلة كما عرفتھا وشاركت فيها من موقعي كضابط ركن عمليات في قيادة الفرقة طيلة مدة الحرب. كما شرحت وقائع ما دار من معارك على الجبهات العربية الاخرى بشكل مجمل حسب مشاهداتي في حينها. ومن المعلومات التي تمكنت من تجميعها من مختلف المصادر بما فيها المعلومات التي كنا نحصل عليها من اسرى الحرب الذين اسرتهم قواتنا في مختلف المعارك ولاسيما بالنسبة لتحركات قوات العدو في مختلف مراحل القتال. ومن مطالعاتي المختلفة في ذلك الحين وفيما بعد. وأظن انها تفي بالغرض الذي ذكرت من أجله .

أما الآن فسوف اشرح في الفصل القادم الاخطاء التي ارتكبت بهذه الحرب والدروس المستفادة منها وسأعرض بعد ذلك بعض التحليلات الاجتماعية والسياسية التي ارى انها سوف تكون مكملة لهذا الموضوع لعلنا نقتبس منها بعض العبر لنستفيد منها بمستقبل ايامنا. أو يستفيد منها ابناؤنا في صراعنا الدائم على تراب وطننا الذي ورثناه عن أجدادنا ولم نحسن حمايته .

الفصل الثالث

الاطّاء والدروس المستفادة من هذه الحرب

قبل ان اتطرق لشرح الاطّاء العسكرية التي وقعت فيها الجيوش العربية. ولا أقول ارتكبتها لأنها فرضت عليها بسبب واقع الامة العربية وتضارب سياسات حكوماتها أود أولاً ان اقرر الحقائق الآتية :

أولاً : أن الجيوش العربية زجت في معركة مرتجلة دون ان تكون لها قيادة عامة واحدة فعالة تدير عملياتها القتالية حسب الأصول وبدون ان توضع لها خطة شاملة واحدة تنفذها بإشراف هذه القيادة العامة وتوجيهها ودون توفير الوسائل الكافية من الاسلحة والذخائر والامكانيات الاخرى المادية والبشرية .

ثانياً : ان الجيوش العربية عانت في هذه الحرب كما عانت في جميع الحروب اللاحقة. من لعنة الخلافات العربية ومن وباء الغيرة والتناحر الذي استشرى بين قياداتها السياسية بحيث وصل بهم الى حد الوقيعه والاذى لبعضهم البعض. وهذا هو البلاء الدائم الازلي الذي حال دوماً دون التعاون والتنسيق الصحيح بينهم وأدى بالنتيجة الى عدم تعاون الجيوش في ساحة القتال. فذهبت جهودها هدرًا وتضحيات رجالها هباءً ودماء شهدائها ضياعاً. وما زالت هذه هي حالنا .

ثالثاً : لقد زجت الدول العربية بجيوشها في المعركة وهي تعرف ان الاستعمار ما زال يمسك بخناقها رغم انها كانت دولاً مستقلة حيث انها كانت تعتمد على الدول الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا) في تزويدها بجميع اسلحتها وذخائرها. وهي بالتالي لن تحصل على ما تريد من هذه الاسلحة. بل ستحصل فقط على الكميات التي تريد الدولة المستعمرة منحها لها شريطة التزامها بخط سياسة تلك الدولة. وبالتالي فإن الدول العربية وبدون استثناء كانت تعرف انها مقيدة بإرادة الدول الاستعمارية قبل ان تقرر دخول الحرب .

وإنطلاقاً من هذا الواقع المرير وهذه السياسة المقيدة قررت الدول العربية دخول جيوشها الى فلسطين بهدف المحافظة على الأمن والنظام في المناطق العربية من فلسطين بعد خروج القوات البريطانية التي كانت مسؤولة عن هذا الأمن كما كانت تقول تصريحاتهم في ذلك الحين. وبالتالي فإن قرار الدول العربية الاشتراك بهذه الحرب لم

يكن يعني أكثر من محاولة الدفاع عن الاراضي التي بقيت بيد الفلسطينيين عند خروج قوات بريطانيا منها. وبمعنى آخر تكريس حدود التقسيم التي قررتها هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م (منقوصة). حيث كان اليهود قد احتلوا الكثير من المدن والقرى العربية التي كانت داخلة ضمن المناطق المخصصة للعرب قبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين .

رابعاً : ان الحكومات العربية كانت قد رفضت مشروع التقسيم هذا فور إعلانه عام ١٩٤٧م. كما رفضته الهيئة العربية العليا بصفتها كانت ممثلة الشعب الفلسطيني في ذلك الحين. وها هي نفس الحكومات العربية تكرر هذا التقسيم عملياً بسبب الطريقة التي ارسلت بها جيوشها النظامية للقتال تحت شعار المحافظة على الامن والنظام في المناطق العربية ونصرة اخواننا الفلسطينيين وحمايتهم من الاعتداءات الصهيونية. وهذا شعور وطني نبيل وواجب قومي يتحتم عليهم القيام به. ولكن واجبه القومي هذا كان يحتم عليهم ان ينبذوا خلافاتهم ويوحدوا صفوفهم لكي يستطيعوا تجميع قدراتهم وتوحيد جيوشهم لكي يمكنوها من خوض الحرب تحت قيادة واحدة فعالة وبموجب خطة حربية متوازنة تستطيع من خلالها التصدي لضرب قوات العدو بهدف تدميرها وتحرير الاراضي العربية كنتيجة حتمية للمعركة التي تكون قد كسبتها. ولكن لسوء حظنا فإن شيئاً من هذا لم يحصل وخضناها حرباً سياسية كما سبق الشرح .

خامساً : ان قرار الدول العربية بدخول الحرب بهذه الطريقة قد وضع جيوشها بموقف مستحيل منذ البداية. حيث ان هذه الجيوش اصبحت ملتزمة بالموقف الدفاعي الذي فرض عليها ضمن المناطق المخصصة لها. وبالنتيجة فإنها تخلت سلفاً عن زمام المبادرة للجيش الاسرائيلي الذي اصبحت يملك الحرية الكاملة بالتصرف بقواته والقيام بالعمليات الهجومية ضد أي جبهة عربية بمعزل عن الجبهات الاخرى وهو متأكد من عدم تدخل هذه الجبهات لمساندة بعضها ضده بشكل فعال لأن كل واحدة منها مهتمة فقط بالدفاع عن منطقتها. وكأن ما يجري في المناطق الاخرى لا يعنيهها .

سادساً : ورغم ان الدول العربية كانت واقعة بين المطرقة والسندان بالنسبة لقضية فلسطين في ذلك الوقت حيث انها كانت من جهة لا تملك أن تتقاعس عن نجدة الشعب العربي الفلسطيني في وجه الاعتداءات الصهيونية والتي كانت ستتمكن من سحقه لو ترك لوحده في ساحة القتال وهو شبه اعزل من السلاح أمام جيش اسرائيل الضخم بعد

خروج الجيش البريطاني من فلسطين. سواء كان ذلك من منطلق إحساس تلك الدول القومي أو لإرضاء الرأي العام لشعوبها التي كانت تتحرق شوقاً للإشتراك بالجهاد الى جانب اخوانهم الفلسطينيين ومن جهة اخرى فهي لا زالت مرتبطة مع الدول الاستعمارية بمعاهدات وقيود كثيرة ولا تملك حرية التصرف بحسب ما تمليه عليها واجباتها القومية. ولا سيما الحكومة الاردنية التي كانت لا تزال تربطها مع الحكومة البريطانية معاهدة قائمة. وقيادة جيشها وجميع وحداته بيد الضباط الانجليز. بالإضافة الى أن الحكومة البريطانية كانت تقدم ميزانية الجيش العربي المالية بكاملها وهي المصدر الوحيد لتزويده بالاسلحة والذخائر ومع ذلك فإن جميع هذه القيود لا يمكن اعتبارها عذراً مقبولاً لكي تكون القيادات العربية على هذه الدرجة من الخلاف والتناحر بحيث تمتنع عن التضحية بمصالحها القطرية في سبيل تحقيق المصلحة القومية العليا. حيث كان من واجبها ان تنبذ خلافاتها وتوحد صفوفها وتحشد قواتها تحت قيادة ميدانية واحدة لتتمكن من مقارعة خصمها في المعركة بحسب القواعد العسكرية السليمة مهما عظمت التضحيات. وعندئذ ستكون عزيزة لو نجحت ومعذورة لو فشلت. أما ان تستمر بتكريس خلافاتها وتزج بجيوشها متفرقة بمعركة لم تهيء لها اسباب النجاح وتعرض مصير هذه الجيوش للخطر بسبب الخلافات السياسية وبالتالي لا نسمع سوى تبريرات الفشل بالقاء اللوم على عاتق الرجال العسكريين من هذه الجيوش الذين ضحوا بارواحهم رخيصة في سبيل الدفاع عن المواقع التي وضعوهم فيها. فهذا أمر غير مقبول ويجب ان يبرز له مكان في التاريخ لايضاحه. وهذا ما سأحاول بهذه الدراسة المتواضعة تلخيصه وتوضيحه .

سابعاً : رغم ان الجيوش العربية وضعت في هذه الحرب بموقف مستحيل لا ينطبق على الأصول والأسس العسكرية السليمة بسبب خلافات الدول العربية وتضارب سياساتها. وعلى الرغم مما سأورده تالياً من مقارنة بين التصرفات التي طبقتها الجيوش العربية وبين الأسس العسكرية الصحيحة فإنني أود أن أبرز حقيقتين أجد فيهما عذراً لجميع العسكريين العرب الذين خاضوا هذه الحرب قادة وجنوداً .

أ - انهم جميعاً خاضوا المعارك التي فرضت عليهم بكل شجاعة ورجولة وتركوا على ارض فلسطين اعداداً كبيرة من زملائهم الذين استشهدوا دفاعاً عن ثراها الطهور.

ب - أن ما سأورده تالياً من مقارنة المبادئ العسكرية الصحيحة مع ما تصرف به

الجيش العربي فعلياً بهذه الحرب لا يعني أن قادة وضباط هذه الجيوش لم يكونوا على دراية تامة بهذه المبادئ. ولكنهم وضعوا بظروف فرضت عليهم ان يتصرفوا خلافاً لها. وان غاييتي من هذه المقارنة هي ان أبين ان المعركة كانت خاسرة من بدايتها. ولا يمكن ان يتوقع احد من هؤلاء العسكريين الذين خاضوا غمارها ان يحققوا نتائج افضل من التي حققوها في ظل تلك الظروف .

وأخيراً وليس آخراً أود أن أبرز هنا واسجل للتاريخ ان نجاة هذه الأمة وحماية اجيالها القادمة لن تتحقق إلا باتحادها. وان تفرقها وخلافات قياداتها لن تجر عليها إلا الدمار والويلات. وهذه حربنا الاولى مع اسرائيل وجميع الحروب التي تلتها اكبر دليل على ذلك. فهل سنعي هذه الحقيقة قبل فوات الأوان ونضحي في سبيل الوحدة العربية الحقه ونضعها فوق كل المصالح الشخصية والقطرية. ومتى سننفض عن انفسنا غبار السنين ونتناسى خلافاتنا واحقادنا ومصالحنا الشخصية ونتجاوز الحدود المصطنعة التي فرضها علينا الاستعمار واصبحنا اشد حرصاً منه على تكريسها وتأكيد شرعيتها. ومتى سنعود الى التمسك بمبادئ ديننا الحنيف الذي نقلنا من ظلمات الجاهلية الى نور العلم والحضارة .

متى سنفيق من سباتنا ونحس بقوميتنا ونسعى بجد وهمة لتحقيق وحدة امتنا تحت راية الاسلام الذي كرم الله هذه الأمة بنور هدايته واعزها بعزته لكي نصبح قوة واحدة وأمة واحدة تدافع عن كيانها بفعالية واقتدار لتهيء لأجيالها القادمة امكانية العيش الكريم والعزة القومية الحقه. وكيف سيتحقق هذا ان لم نباشر العمل الجاد في سبيله ونضحي بكل غال ونفيس لتحقيقه. اللهم اهدنا سبيل الرشاد .

ثامناً : لقد قلت ان الدول العربية دفعت بجيوشها للقتال في فلسطين بشكل مرتجل لأنها لم تكن لديها خطة حربية عامة واحدة تخوض الحرب بموجبها او قيادة واحدة مؤهلة لقيادة جميع هذه الجيوش في المعارك المختلفة. والذي حدث فعلاً ان الدول العربية اتخذت قرارها النهائي لخوض الحرب بأواخر نيسان أي قبل بدء القتال بحوالي اسبوعين فقط. كما قررت ان تدخل جيوشها فرادى وخصصت لكل جيش منطقة خاصة به من فلسطين تقع مقابل البلد التي قدم منها ما عدا الجيش العراقي الذي عبر من شرق الاردن واستقر في منطقة نابلس وجنين. واشترطوا ان يتلقى كل جيش أوامره من قيادة بلده وحكومتها التي كانت ترسم خطط عملياتها وتنفذها بمعزل عن الجيوش الأخرى .

وهكذا وفي صباح ١٥ أيار تقدمت هذه الجيوش بارتالها عبر الحدود كل الى منطقته وتمركزت بالنهاية في مواقعها الامامية التي كانت تتوافق تقريباً مع ما تبقى لدى العرب الفلسطينيين من المناطق التي خصصها لهم قرار التقسيم من وطنهم المسلوب. وهناك اتخذت مواقعها الدفاعية وبدأت تشتبك مع القوات الاسرائيلية التي اخذت زمام المبادرة سلفاً وباشرت بشن الهجمات المتلاحقة على مواقع هذه الجيوش العربية في مناطقها المختلفة ولكن ضمن خطة عامة واحدة وبأمرة قيادة واحدة محكمة التدبير والتنفيذ. بينما اتخذت الجيوش العربية موقف الدفاع المستكن. وأما عملياتها الهجومية فلم تكن تتجاوز عمليات الهجوم المعاكس لاسترداد موقع احتله اليهود أو هجوماً محدوداً للحصول على موقع مهم ضمن منطقتها الدفاعية نفسها. وهكذا استمرت هذه الحرب الغربية طيلة فترة القتال الاولى التي دامت اربعة اسابيع تبعثها هدنة مؤقتة ثم تلتها فترة القتال الثانية التي دامت عشرة أيام لحقتها هدنة اخرى تحولت فيما بعد الى هدنة دائمة بنتيجة مفاوضات رودس .

والآن وبعد ان اوجزت كيف زجت الجيوش العربية بهذه الحرب وكيف تصرفت خلالها وكيف فشلت فيها لابد لي من ايضاح اسباب هذا الفشل. وسواء كان هذا الفشل عائداً الى خلافات الدول العربية او تضارب سياساتها ومصالحها او بسبب نقص الذخائر وقلة الاسلحة أو غيرها من الاسباب فإنه على أي حال فشل حصل ونتج عنه كارثة .

ولكن الشيء المؤكد هو أنه مهما اختلفت الاسباب فلن يكون من بينها ان الجنود والضباط العرب كانت تنقصهم الشجاعة والتضحية والاستماتة في سبيل الدفاع عن الوطن. او تنقصهم الكفاءة والاخلاص .

تاسعاً : ولكي أوضح الاسباب العسكرية لهذا الفشل الذي ادى الى الكارثة التي لحقتها فيما بعد كوارث أخرى عديدة فإنني سأطرق بلمحة موجزة الى استراتيجية الحرب وإدارتها حسب الأسلوب العلمي الصحيح المتعارف عليه لدى جيوش العالم ثم أقيسها مع الإجراءات والتصرفات التي طبقتها الجيوش العربية خلال هذه الحرب بسبب الظروف التي فرضتها عليها تناقضات السياسات العربية. واني بهذا اعني جميع الجيوش العربية بدون استثناء لأن تصرفاتها وإدارتها للحرب كانت تقريباً متشابهة ولو ان قدراتها القتالية كانت متفاوتة لأن بعضها كان افضل من البعض الآخر تدريباً وتسليحاً او قيادة. وقبل الدخول بهذا الموضوع لابد ان نتساءل أولاً ان

كان للعرب كدول وحكومات شقيقة تنتمي الى امة واحدة استراتيجية عليا واضحة المعالم ومتفق عليها (Grand Strategy) .

وبهذه الحالة هل كان للجيش العربية التي ارسلتها حكوماتها للحرب في فلسطين استراتيجية عسكرية موحدة تنبثق عن تلك الاستراتيجية العليا التي وضعتها واتفقت عليها هذه الدول للحرب تؤدي الى تحقيق اهدافها. فإن كانت الإجابة على هذين السؤالين بالنفي فلنسأل إذن هل كان لكل دولة عربية بمفردها استراتيجيتها العليا الخاصة بها. وهل كان لجيش تلك الدولة استراتيجية الخاصة به والتي ترمي بالتالي الى تحقيق الأهداف الموضوعية لحكومته. وان كان الجواب هنا ايجاباً فما قيمة هذه الاستراتيجيات المتعددة والتي قد تكون متضاربة وتلغي بعضها. وما هو تأثيرها في مواجهة الغزو الصهيونية المسلحة التي وضعت استراتيجيتها العليا الواحدة قبل نشوب هذه الحرب بمدة نصف قرن والتي جاءت بهدف واحد ومحدد هو احتلال فلسطين واقتلاع سكانها العرب منها وتشريدهم كمرحلة اولى ومن ثم التحول لتأسيس دولة اسرائيل الكبرى على انقاص باقي البلاد العربية. واما اذا كان الجواب على هذين السؤالين الاخيرين نفياً فإن هذا هو أساس الكارثة. اذ كيف تزج الجيوش في الحرب من قبل حكومات ليس لديها استراتيجية عليا موحدة. ولا حتى منفصلة تتبعها خطط واضحة مبنية على اهداف تلك الاستراتيجية العليا وتستند الى تقدير موقف سليم ويكون لديها أمل معقول بالنصر. بل وكيف تضع مصائر جيوشها تحت رحمة المجهول وتخوض معارك مرتجلة لم تكن تضمن امكانية لنجاحها لأنها اصلاً ارسلت جيوشها للحرب دون ان تضع لنفسها استراتيجية عليا واضحة تعمل الجيوش ضمن إطارها وتنفذ عملياتها العسكرية على أساسها .

ولكي اصل الى الإجابة على هذه التساؤلات احب ان اعطي هنا لمحة بسيطة عن استراتيجية ومبادئ الحرب. وأحاول مقارنة هذا الوصف مع الإجراءات التي قامت بها الدول العربية وجيوشها لكي نتعرف بالنتيجة على مواطن الضعف بهذه الإجراءات ونبين النتائج التي أسفرت عنها .

١ - الاستراتيجية :

لقد اختلفت الآراء في وصف معنى الاستراتيجية على مدى الزمان من قبل مشاهير القادة العظام. فمثلاً قال الجنرال فون مولتكه (General Von Moltke) ان الاستراتيجية هي التوصية

العليا في الحرب (Grand Recomendation)^(١) .

وهي حقل مستقل تمام الاستقلال عن السياسة العليا للدولة. بينما عارضه آخرون بهذه الفكرة الأخيرة حيث قالوا ان الاستراتيجية العليا هي توجيه الحرب لتحقيق الهدف السياسي الذي وضع لها. وهي لهذا السبب محبوكة مع السياسة العليا للدولة . وقد عقب آخرون من العسكريين الذين يؤمنون بالفكرة العملية للحرب بأفكار متشابهة يمكن تلخيصها بما أكدده الجنرال السويسري (كلوزويتز) (Clouswitz) بأن الهدف السياسي هو الهدف الأساسي للحرب. ولهذا فإنه يجب أن يكون العامل الرئيسي الذي يقرر الهدف العسكري للقوات المسلحة. وكمية الجهد الذي يجب توظيفه لتحقيق هذا الهدف .

ومن خلاصة الآراء المختلفة نرى ان اقرب تعبير للواقع السليم في وصف الاستراتيجية العسكرية هو ما يلي :

الاستراتيجية العسكرية هي الوسائل المستعملة لجر العدو إلى المعركة بينما (التكتيك) هو الوسائل المستعملة لتدمير قواته المسلحة في المعركة. وعلى هذا الأساس لو استعرضنا المعارك العظمى في التاريخ في مختلف المراحل لوجدنا أن الدارسين للتاريخ العسكري في مختلف العصور كان همهم الأول أن يكتشفوا سر احراز النصر في الحرب. وبمعنى آخر ان يستخلصوا المبادئ الأساسية التي ساهمت في تحقيق النصر للقادة العظام. وهنا أيضاً اختلفت تعابير القادة العظام في وصف هذه المبادئ. فقد وصفها بعضهم بأنها (الأساليب التي بموجبها تطبق الاستراتيجية بنجاح) ووصفها آخرون بأنها (آراء عملية في القتال ثبت نجاحها). ومن هنا خرج بعض عظماء القادة بتصنيف هذه الاعمال التي تحقق النصر أو بموجبها تطبق الاستراتيجية بنجاح. الى اوصاف متفق عليها وقد كانت عرضة للنقد والتمحيص والتحسين في مختلف الآراء في الحروب ولكنها كانت جميعها متقاربة بشكل عام. وقد سميت هذه التصانيف (مبادئ الحرب) .

لكن هذه المبادئ وعلى الرغم من أهميتها فان تطبيقها بحد ذاته ليس سوى عامل رئيسي من بين عدة عوامل أساسية تؤدي في مجموعها الى كسب المعركة واحراز النصر. وهذه العوامل الأساسية يمكن وصفها بأنها الكيان الاساسي في ترجيح كفة القائد الناجح على خصمه بشكل يكفل نجاحه .

فاذا اعتبرنا ان الغاية من الحرب هي فرض الارادة على الخصم بقوة السلاح فمن

(١) انظر كتاب صانعي الاستراتيجية الحديثة، تأليف ادوارد ميد ايرل.

Makers of Modern Strategy. By Edward Mead Earl.

الطبيعي ان هذا الخصم سيقاوم هذه القوة . وعندئذ تصبح المعركة بين الخصمين سجالا وتكون الارجحية فيها للأكفأ . وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار كل عامل من هذه العوامل جزءا من كل يشكل في مجموعه قوة الصدمة الاساسية التي عندما يتمكن القائد من حيازتها والتعامل معها بكفاءة واستخدامها لأقصى حدود طاقاتها ستعطيه الارجحية على خصمه . ويمكن اجمال هذه العوامل الاساسية بما يلي .

١ - مادة القائد وكفائته

٢ - مادة الجنود وكفائتهم

٣ - القوة المعنوية

٤ - المصادر المتوفرة (السلاح والذخائر والتجهيزات الخ)

وقد يتبادر للذهن لأول وهلة ان هذه العوامل الاساسية لا تنطوي في معناها على جميع مبادئ الحرب المعروفة . ولكن اذا فكرنا في كل عامل من هذه العوامل بامعان ودقة وجدنا ان كل مبدأ من مبادئ الحرب يمكن ادخاله ضمن هذه العوامل الرئيسية الاربعة بحيث تنطبق عليها معنى وتفسيراً . ولا نقصد بهذا التحليل ان نخلص بنتيجة ان الحرب عبارة عن عملية حسابية لانها في الحقيقة ليست كذلك بل هي فن وخبرة وتنافس بين الكفاءات والامكانيات العقلية والمعنوية والجسمية والمادية . والان لنترك البحث التحليلي لمبادئ الاستراتيجية لبحث الناحية العملية في الحرب وبتعبير أصح بحث العوامل الاستراتيجية العملية التي تجلب النصر النهائي للقائد الناجح في الميدان .

وهنا لابد من التساؤل . هل هنالك عامل استراتيجي في الحرب يمكن اعتباره انه ينطبق على جميع المعارك الناجحة . فان اعتبرنا ان القصد الاساسي من القتال هو السيطرة على العدو بقوة السلاح او بمعنى آخر سحق قواته في الميدان فانه لابد لنا لتحقيق هذا الهدف من ان نضع هذه القوة المعادية المراد سحقها في موضع يجعل مهمتنا هذه اسهل ما تكون بالنسبة لقواتنا . ولناخذ ابسط مثل لهذا . فان انت اردت ان تكسر حبة جوز مثلا . فانك يجب ان تضعها على قاعدة قاسية ثم تضربها بجسم آخر أقسى منها فعندئذ تنكسر بسهولة . أما إذا ضربتها بجسم اقل قساوة من جسمها فسوف يتعذر كسرها . وعلى هذه النظرية البسيطة يمكن ان تنطبق النظريات الاستراتيجية العملية فالقاعدة الصلبة التي يجب ان تضع عليها قوة العدو لتسحقها يمكن ان تكون احدي الاشياء الاتية .

١ - قسم منفصل من قواتنا الرئيسية يقوم بعملية التقاف ليضع القوة المعادية بينه وبين القوة الرئيسية تمهيدا لسحقها .

٢ - قوة اخرى منفصلة تعمل مستقلة وتشارك بنفس المعركة طبقا لقاعدة الخطوط الخارجية .

٣ - حاجز طبيعي مانع يحجز القوة المعادية ويجعلها معرضة امام القوة المهاجمة .

جميع هذه النظريات يمكن ان تنطبق على جميع المعارك المعروفة لولا ان هنالك احتمال للشك بانها لا تشمل عمليات التطويق والحصار او الاستسلام النهائي في الميدان بسبب الجوع والعطش وقطع التزويد وانهيار المعنويات . ويمكن لو فكرنا مليا بعمليات التطويق والحصار ان نجد انها عبارة عن تطبيق عمليات الخطوط الخارجية بشكل يضمن احكام الخناق كاملا على العدو وذلك عندما تقوم قوتين او أكثر بمهاجمة قوة العدو من جهتين او أكثر ثم تحقق اتصالهما فيتم الحصار الكامل على العدو .

■ التعليق :

اذا استعرضنا عمليات الجيوش العربية واساليب حشدها ومن ثم اشتراكها بمعركة فلسطين سنجد أنها في معظم الحالات طبقت المبادئ والاسس الاستراتيجية بما يتعلق بمناطقها وقواتها ومعاركها التي خاضتها بشكل منفصل . لكنها من حيث مجموعها كقوات عربية تقدمت لضرب القوات الاسرائيلية كعدو مشترك لم تنجح في تطبيق اي من هذه المبادئ وذلك لأنها في الاصل لم ترسل لتقاتل هذه القوات بهدف هزيمتها في ميدان المعركة بل ارسلت بهدف حماية ماتبقى بيد العرب من ارض فلسطين . وهي لهذا تقيدت بالمفهوم الضيق من الاستراتيجية المحلية التي لن تكون بالضرورة ذات تأثير جذري على قوات العدو الرئيسية. وبمعنى اخر فان هذه الجيوش العربية وضعت بمواقف محددة قيدت تحركاتها منذ البداية وثبتتها بمناطق معينة جعلت منها هدفا ثابتا للقوات الاسرائيلية بدلا من ان تكون خطرا على كيان تلك القوات وعلى احتمالات بقائها من اساسه . والأسوأ من هذا كله ان الجيوش العربية جميعها باستثناء الجيش العربي الاردني والجيش السوري دخلت فلسطين (بالتقسيط) على دفعات حسب مقتضيات الاحوال وحاجة جبهاتها المحدودة . فمثلا دخل الجيش العراقي مبدئيا بقوة لاتزيد عن جحفل لواء واصبح مجموع قواته في فلسطين عندما بدأت الهدنة الثانية حوالي فرقتين . وكذلك دخل الجيش المصري بقوة مؤلفة من لوائين واصبح عند الهدنة الثانية خمسة الوية مع اسلحتها الاسنادية بالاضافة الى كتيبتين من المتطوعين من الاخوان المسلمين وكتيبة من السعوديين . اما الجيش الاردني والسوري فقد دخلا بكل مالدیهما من قوات لكنها لم تكن تتجاوز لوائين للجيش السوري واربعة كتائب للجيش الاردني . واما الجيش اللبناني فلم يتجاوز منطقة الحدود الا قليلا . وباستثناء

معركة المالكية فقد اكتفى بنشر قواته على طول الحدود الدولية بداخل اراضيه . وهنا لابد من التساؤل أنه اذا كان لدى الجيش العراقي فرقتين ولدى الجيش المصري خمسة الوية وهما اكبر جيشين عربيين فلماذا لم تنسق خططهما حسب الاصول وتدخل هذه القوات بكاملها منذ البداية بهدف تدمير القوات الاسرائيلية المسلحة لكي يمكن بنتيجة القتال التغلب على تلك القوات وكسرها . وبعدئذ يصبح بالامكان حماية الاراضي العربية بسهولة واسترداد جميع ماسبق ان استولى عليه الاسرائيليون منها كتحصيل الحاصل . والسبب هنا طبعا واضح جدا وهو التفرقة العربية والخلافات المستعصية بين الدول وتفضيل المصالح القطرية على المصالح القومية العليا . وكل هذه الامور افرزت وضعا عسكريا غير سليم لم تكن الجيوش العربية معه قادرة على التصرف بالحرب حسب الاعراف العسكرية الصحيحة ومبادئها المتعارف عليها بل اخذت تخوض معاركها الدفاعية ضد هجمات اليهود لحماية الاراضي التي دخلتها فقط . ومع استمرار هذه المعارك استهلكت مخزونها من الذخائر بدون ان تحقق هدفا استراتيجيا مهما واحدا او تكسر ظهر قوات العدو المسلحة . وبالتالي اخذت هي تطالب بوقف اطلاق النار وهذا اوضح دليل على سوء نتائج تغليب المصالح السياسية على متطلبات المعركة .

٢ - مبادئ الحرب :

عند وضع الخطط للحرب هنالك مبادئ اساسية يجب اخذها بعين الاعتبار . وعلى الرغم من ان هذه المبادئ ليست قوانين صارمة لكنها تعطي الدليل الذي على اساسه يبني العمل العسكري . كما ان قيمة كل مبدأ من هذه المبادئ تتفاوت باستمرار بحسب الظروف . وفي كثير من الاحيان نجد ان تطبيق احد هذه المبادئ على وضعية معينة سينتج عنه خرق جزئي على الاقل لمبدأ اخر

أولا : اختيار الهدف :

في ادارة الحرب ككل وفي اي معركة من معاركها يكون انتخاب الهدف وتحديدده بكل وضوح امرا اساسيا في غاية الاهمية . والهدف النهائي للحرب هو كسر ارادة العدو على القتال . وعلى هذا الاساس فان كل مرحلة من مراحل الحرب واي معركة ضمن نطاقها يجب ان توجه نحو تحقيق هذا الهدف الاساسي . وعندما يحدد الهدف يجب ان تركز جميع الجهود وتوظف جميع الامكانيات والقدرات المتاحة لتحقيقه . وكل خطة توضع لاي عملية يجب ان تقدر قيمتها وفائدتها على اساس مدى تأثيرها على تحقيق ذلك الهدف المنتخب .

التعليق :

مع الأخذ بعين الاعتبار الكيفية التي زجت بها الدول العربية بجيوشها بهذه الحرب فاننا لا نستطيع ان ندعي ان هذه الجيوش كان لها هدف عسكري صحيح ينطبق على الغاية الحقيقية من الحرب حسب القواعد المتعارف عليها كما هو موضح باعلاه . واذا كنا نريد ان نسمي عملية توزيع هذه الجيوش العربية على مواقع دفاعية لحماية مناطق معينة من فلسطين (هدف) فان هذا الهدف لا يمكن ان يحقق النصر بنتيجة الحرب لان الجيش الذي يضع قواته بمكان ثابت ويلتزم بموقف الدفاع فقط طيلة مدة الحرب سوف يجعلها هدفا ممتازا للعدو يسهل عليه تدميرها وفي احسن الاحوال يمكن القول بأن هنا الهدف هو ابعاد ما يكون عن الهدف المتعارف عليه في مبادئ الحرب والمشار اليه باعلاه والذي لو التزمت به الدول العربية لكانت مجبرة على توحيد جيوشها ووضعها بامرة قيادة واحدة وحشدتها سوقيا وتعبويا بحسب اسلحتها وتشكيلاتها وليس بحسب جنسياتها بل بموجب مستلزمات الخطة الموضوعية للحرب ومعاركها بجميع اصنافها ومراحلها سواء كانت معركة دفاعية او هجومية او انسحاب او تقدم او خلافا . وهذا هو ما عملت الدول العربية عكسه تماما . ومهما كانت الاسباب التي دفعتها الى هذا التصرف فانه على اى حال لن يؤدي الى كسر ارادة العدو على القتال ولذلك فان النتيجة كانت عكسية تماما .

ثانيا : القوة المعنوية :

ان النجاح في الحرب يعتمد الى حد كبير على القوة المعنوية اكثر من اعتماده على الوسائل المادية. فعدد القوات والتسليح والامكانيات المتاحة لا يمكنها التعويض عن انعدام الشجاعة والجهد والتصميم والكفاءة وروح الاقدام التي تنبع جميعها من معين التصميم القومي على احراز النصر. ولهذا فان بعث صفات الروح المعنوية وادامتها تعتبر ركيزة اساسية لاحراز النصر في الحرب .

التعليق :

على الرغم من كل الظروف السيئة التي وضع فيها الجندي العربي اثناء هذه الحرب فان الروح المعنوية لهؤلاء الجنود والضباط في جميع الجيوش العربية كانت عالية وبقية طيلة مدة الحرب في اعل مستوياتها. وخير دليل على هذه الحقيقة ماكان يظهره هؤلاء الجنود والضباط من صبر وتصميم وقوة ارادة اثناء القتال في احلك الظروف واشدها قسوة . وحتى حينما كانوا يحاصرون في مواقعهم وتنفذ ذخائرهم

وحيثما كان العدو في بعض الحالات ينجح باجتياح مواقعهم كانوا يستمرون في القتال لآخر لحظة بأسلحتهم وأيديهم. ان مثل هذه الشجاعة وهذا الصمود والتصميم على القتال لآخر نفس لا يمكن ان يحصل الا من قبل جنود معنوياتهم عالية فوق كل وصف . ولست هنا في صدد الدخول باستعراض تفصيلي لموضوع القوة المعنوية ولكن يكفي ان ابين ان تحلي الجنود والضباط في كافة الجيوش العربية بمستوى رفيع من القوة المعنوية كان له تأثير حاسم في الكثير من المعارك يتجاوز حجم قطعاتهم التي خاضتها بأضعاف المرات. ولا غرو فالقوة المعنوية هي حالة عقلية لها اسس روحية وثقافية ومادية تغذيها وتنميها . ومن اهم دوافعها الروحية الايمان بالله والتمسك بفرائض الدين الحنيف. فبالإيمان تثبت النفوس كل النفوس في وجه الاخطار. ولذا فان الجنود العرب اليواصل كانوا يتقدمون للقتال ومطلبهم الاساس هو النصر أو نيل الشهادة في سبيل الدفاع عن عقيدتهم ووطنهم ومن المحزن حقا ان تضعيغ تضحياتهم على مذبح السياسة بسبب سذاجة السياسيين وتناحرهم المزمع وخلافاتهم الازلية التي كانت ومازالت هي السبب الاساسي لجميع الكوارث المتلاحقة التي حل تباعا بهذه الامة .

ثالثا : الاعمال التعرضية :

الاعمال التعرضية هي المقدمات التي تؤدي الى النصر في الحرب . وقد تأتي متأخرة ولكنها في سياق القتال . الا انه مالم يؤخذ زمام المبادرة ويتم التحول الى الهجوم فان النصر سيكون مستحيلا .

التعليق :

ان الجيوش العربية لم تقترب من تطبيق هذا المبدأ بأي مرحلة من مراحل الحرب حيث انها تخلت عن زمام المبادرة للعدو منذ بدء القتال وتحولت جميع معاركها الى الدفاع المستكن او المرن احيانا. ولكن هذه الجيوش علاوة على ذلك قد التزمت بالتمركز ضمن مناطقها التي خصصت لها ولم تخرج عملياتها عن نطاق تلك المناطق. وبالتالي فانها تركت عمليات الهجوم الواسع للعدو . وبقيت هي بمواقعها الدفاعية تحاول جهدها صد هجمات العدو المتلاحقة بدرجات متفاوتة من النجاح والفشل . وبهذا فقد تخلت عن زمام المبادرة للعدو طيلة مدة الحرب . ولم يتعدى اقصى ما وصلت اليه عملياتها الهجومية عملية هجوم معاكس لاسترداد موقع استولى عليه العدو . او في بعض الحالات للاستيلاء على موقع محدود ذو قيمة لدفاعاتها ولكنها كانت دائما ضمن مناطقها الدفاعية .

رابعاً : الامن

ان موضوع الامن يعتبر في غاية الاهمية في الميدان وخارجه . حيث ان اساس النجاح في المعركة يعتمد الى حد كبير على بذل اقصى الجهد لمنع تسرب المعلومات بمختلف جوانبها عن قواتنا المقاتلة وخططها الحربية واسلحتها وأساليب تزويدها الى العدو وينفس الوقت من الضروري ان نسعى وباستمرار الى الحصول على اكبر قدر ممكن من المعلومات عن قوات العدو بمختلف انواعها فهي اذن تتلخص في منع وصول المعلومات عن قواتنا للعدو والسعي باستمرار للحصول على اكبر قدر من المعلومات عن قوات العدو .

التعليق :

إذا استعرضنا أساليب الجيوش العربية في مسألة الأمن كل جيش بمفرده سنجد أنها كانت معقولة في الحفاظ على الأمن بما يتعلق بها. رغم أن العدو كان يستطيع في الكثير من الأحوال الحصول على المعلومات الهامة عن طريق العملاء المحليين. وأما بالنسبة لقدرة هذه الجيوش الحصول على المعلومات عن قوات العدو فقد كانت ضعيفة الى حد كبير، هذا على أن أخطر مسألة بالنسبة لحصول العدو على المعلومات عن قواتنا هي إمكانية حصوله على المعلومات عن التسليح وكميات وأنواع الأسلحة والذخائر التي لدى الجيوش العربية حيث كان من السهل عليه ان يحصل عليها من مضادها في بريطانيا وفرنسا حيث كانت جميع الجيوش العربية تحصل على أسلحتها من هاتين الدولتين فقط وقد كان باستطاعة اليهود ان يحصلوا على تفصيلات وكميات هذه الأسلحة التي سترسل الى الجيوش العربية قبل شحنها. ولم يكن لدى الدول العربية نفس الامكانيات بالنسبة للأسلحة التي يستوردها اليهود .

خامساً : المفاجأة :

تعتبر المفاجأة أكثر الحالات فعالية وتأثيراً في سياق الحرب. وتأثيرها المعنوي على القوات المقاتلة هائل. ولذلك فإنه يجب بذل اقصى الجهد لتحقيق المفاجأة لقوات العدو واتخاذ جميع الاحتياطات لتجنب مفاجأة العدو لقواتنا. وإذا أمكن تحقيق المفاجأة ضد العدو فإن النتائج التي يمكن الحصول عليها تفوق حجم الجهد الذي بذل في تحقيقها أضعافاً مضاعفة. كما أنه في عمليات معينة عندما تكون بعض الظروف ضدنا فإن عامل المفاجأة يمكن أن يكون حاسماً في تحقيق النصر. هذا على أنه من الممكن تحقيق المفاجأة استراتيجياً أو تكتيكياً أو باستخدام أسلحة متطورة تظهر في

المعركة لأول مرة. أما عناصر المفاجأة فأهمها (المكتوميه، التخفي، الخداع، السرعة، الابداع، والجرأة) .

التعليق :

لقد كان من المستحيل على الجيوش العربية ان تحقق المفاجأة عندما تقدمت لدخول فلسطين سواء كان ذلك بالنسبة لها مجتمعة أو بالنسبة لكل جيش بمفرده ولو لسبب بسيط وهو أن جميع الإنذاعات والصحف العربية كانت تذيع كل شيء عن تحركات هذه الجيوش حتى قبل أن تبدأ حركتها. وقد كان الناس في الشارع العربي يتفاخرون بالحديث عن تحركات جيش بلدهم ومواقع تواجد كتائبه ولذلك فإني أحببت أن أطلق على هذه الحرب بالذات اسم (الحرب السياسييه) لأن الجيوش العربية كانت تتصرف حسب الأهواء والميول السياسية لحكوماتها وليس حسب القواعد والأسس العسكرية السليمة. ولكن على أي حال بعد أن وصلت هذه الجيوش الى مناطقها المخصصة لها واشتبكت مع العدو في معاركها الدفاعية التي تطلها بعض الحركات الهجومية المحلية حسب ظروف وتطور المعارك لكل جيش في منطقته أمكن في حالات معينة أن تحقق بعض القطعات مفاجأة للعدو بهذه العمليات وتحقق نجاحات جيدة بالنتيجة. ولكن هذا النوع من الحركات وهذا الحجم من المفاجأة يبقى حجماً محدوداً ولم يؤثر جذرياً على الموقف العام بشكل مباشر. وبالتالي فإن النتيجة المحدودة التي تكون هذه القطعات قد حققها تلاشت قيمتها مع تطور المعركة. وبالمقابل فإن العدو في عملياته الهجومية في مناطق الجيوش العربية المختلفة قد حقق مفاجآت كثيرة ومختلفة متفاوت في حجمها كما سبق شرحه في وصف المعارك المتعددة في سائر الجبهات العربية ولكن العبرة بالنتائج. والفرق هنا هو أن العدو استطاع ان يحصل على نتائج أفضل في عملياته الحربية المختلفة لأنه تمكن من الاحتفاظ بزماء المبادرة طيلة فترة العمليات وقد سمحت له الجيوش العربية بذلك بسهولة لأنها لم تكن قادرة على توحيد قواتها بإمرة قيادة واحدة تستطيع إدارة عملياتها في الميدان حسب الأصول العسكرية الصحيحة. ولهذا انتصر العدو علينا بالنهاية وخسرنا نحن تلك الحرب المأساه. هذا ولقد قدر على الجيوش العربية ان تنتظر ربع قرن من الزمان حتى تستطيع تحقيق نوع من التنسيق المحدود بين جيشين منها في معركة عام ١٩٧٣م التي سميت (حرب رمضان) أو (حرب العبور) والتي تمكنت فيها القوات المسلحة المصرية والسورية من تحقيق المفاجأة التامة على القوات الاسرائيلية وبمستوى رفيع في حقول مختلفة ولا سيما بالحشد والتوقيت والأسلحة الجديدة وخصوصاً الصواريخ المضادة للطائرات

ومقاومة الدروع والتي ظهرت لأول مرة في المعركة. وبالنتيجة فقد حققت القوات المصرية والسورية نصراً ساحقاً على القوات الاسرائيلية في بداية القتال واعتبرت هذه المفاجأة وعملية عبور القناة معجزة عسكرية بنظر معظم المفكرين العسكريين على المستوى العالمي .

ولولا أن خطل السياسه وتدخل امريكا بالنهاية قد أضاعت قيمة هذا الانتصار العظيم لتغيرت مسيرة التاريخ في الشرق الأوسط .

سادساً : الحشد

لتحقيق النصر في الحرب يجب حشد قوة متفوقة على قوة العدو مادياً ومعنوياً في المكان والزمان الحاسمين. وحشد القوة هذا لا يعني بالضرورة التجميع الهائل للقوات في مكان واحد بل توزيعها في الميدان بشكل يمكنها من التجمع بسرعة وسهولة لتوجيه الضربة القاصمة للعدو في المكان والزمان المطلوبين. أو لمواجهة تهديدات القوات المعادية لمواقعنا. وهذا معناه ان الحشد في الواقع هو مسألة وقت أكثر منه مسألة مسافات .

التعليق :

لو نظرنا الى كيفية توزيع الجيوش العربية على الجبهات المختلفة لرأينا أنها جرت على عكس هذا المبدأ تماماً. فمن جهة نرى انها قامت بالانتشار في الجبهات التي خصصت لها واتخذت وضعية الدفاع في تلك المناطق (أي أنها لم تحشد كجيش مقاتل سوقياً وتعبوياً بحسب تشكيلاتها المختلفة واسلحتها) ومن جهة أخرى فإن توزيعها بالدفاع بهذا الشكل حال دون أية امكانية لتجميعها أو تجميع أجزاء منها لتوجيه ضربة كبرى لقوات العدو المقاتلة في منطقة معينة وهي منطقة القتل التي يجب ان نستدرجها اليها لهذه الغاية فالجيوش العربية في واقع الامر قد بعثرت قواتها بدلاً من أن تحشدتها بشكل يعطيها زخم الاندفاع والقدرة على توجيه الضربة المدمرة لقوات العدو في الزمان والمكان المناسبين. ولكنها قبعت في مناطقها الدفاعية وتحولت الى أهداف ثابتة للعدو لكي يضربها متى شاء في المكان والزمان الذين يعينهما هو. وبالنتيجة فقد بقيت قوات العدو متماسكة وسليمة كوحدة مقاتلة لأن الجيوش العربية لم تتمكن من تدميرها .

أما بالنسبة الى الشق الثاني من هذا المبدأ وهو القدرة على التصدي لتهديدات العدو لقواتنا. فإن الجيوش العربية بسبب الحالة التي كانت سائدة والموقف الدفاعي الذي

التزمت به قد عجزت تماماً عن القيام بأي عملية تصدي لقوات العدو خارج نطاق دفاعاتها ضمن مناطقها التي خصصت لها من قبل السياسيين. فمثلاً عندما كانت قطعات الجيش العربي الاردني تتعرض لهجوم ساحق في منطقة اللد والرملة والطورون لم تتمكن القوات العراقية من نجدها أو التعرض للقوات الاسرائيلية المهاجمة تعرضاً جوهرياً يجبرها على التقهقر لأن القوات العراقية نفسها كانت موزعة في الدفاع على طول خطوطها الأمامية. وعلى أي حال فلن يكون بإمكانها ان تخف لمساعدة الجيش الاردني في معركته حتى لو توفرت لها الامكانيات الا إذا سمحت لها حكومتها بذلك لأن الجبهة ليست واحدة والجيش لا تخضع لقيادة عسكرية واحدة.

ونفس الحكاية تنطبق على القوات المصرية عندما كانت تتعرض للهجوم ولم يكن بمقدور الجيش العربي الأردني أو الجيش العراقي ان يخف لمساعدتها او يقوما بهجوم ضد قوات العدو في جبهتيهما لتخفيف الضغط. وهكذا الحال بالنسبة لباقي الجيوش العربية لأنها أصلاً لم تحشد قواتها حشداً سليماً لتخوض الحرب كقوة مقاتلة واحدة بإمرة قيادة واحدة هدفها تدمير قوات العدو المسلحة بل دخلت فلسطين لكي تتوزع في الدفاع لتحمي قطاعات من الارض خصصت لها في مناطق ضمن حدود التقسيم. وهذا القرار هو الذي فرض على الجيوش العربية هذا النوع الفريد من القتال .

سابعاً : الاقتصاد بالجهد :

الاقتصاد بالجهد يعني الاستخدام المتوازن للقوات والاستهلاك الحكيم لجميع الموارد المتاحة بهدف تحقيق الحشد الفعال للقوات بالمكان والزمان الحاسمين .

التعليق :

إذا أردنا تطبيق هذا المبدأ على كل جيش عربي بمفرده فإنه يمكن القول أن كل جيش قد طبق هذا المبدأ فيما يتعلق بمنطقته تطبيقاً حسناً واستخدم قواته وموارده على الرغم من محدوديتها استخداماً حكيماً واستطاع بالتالي ان يخوض معاركه الدفاعية بشكل جيد .

أما إذا أخذنا الجيوش العربية بمجموعها واردنا ان نعتبرها قوات عربية موحدة أو جيشاً عربياً جاء لمواجهة الجيش الاسرائيلي في المعركة بهدف التغلب عليه وكسر شوكته (وهو المفروض أن يكون) للتوصل الى تحرير الوطن العربي من مغتصبه فإننا عندئذ نجد أن الجيوش العربية قد خرقت هذا المبدأ ولم تتصرف بحسب شروطه

ومتطلباته إذ أنها بسبب تفرقها وتشاحنهما بددت قواتها وبذرت مواردها المتاحة ولم تستطع بالتالي ان تظهر ثقل قواتها في الميدان بشكل فعال لكي تغير سير المعركة لصالحها. ولذلك فإنها خسرت المعركة الكبرى رغم أنها احتفظت بأجزاء من الاراضي العربية التي جاءت للدفاع عنها على الرغم من أنها خسرت أجزاء كبيرة من هذه الاراضي التي كانت بيد أصحابها عرب فلسطين عند قدوم هذه الجيوش وأهمها : النقب والد ورملة والجليل بصرف النظر عن الأسباب والمسؤوليات .

ثامناً : المرونة

تتطلب الحرب الحديثة درجة عالية من المرونة لكي يمكن تعديل الخطط الموضوعة مسبقاً لتلائم الأوضاع المتغيرة والظروف الطارئة في المعركة. وهذا أمر يحتاج الى التدريب الجيد والتنظيم والضبط وواجبات الاركان. وفوق كل شيء فإنه يتطلب مرونة العقل وسرعة القرار من قبل القائد ومروسته بحيث يضمن عدم ضياع الوقت. كما يتطلب مستوى عال من قدرة النقل الاستراتيجي والتكتيكي لكي يصبح بالإمكان تركيز القوات بشكل سريع واقتصادي في المكان والزمان الحاسمين .

التعليق :

من متابعة مجريات الحوادث خلال الحرب كان واضحاً أن مستويات الجيوش العربية بالنسبة للمرونة كانت جيدة رغم أنها تتفاوت من جيش الى آخر .

ولكنه لم يكن بالإمكان اختبار هذه القدرات على المستوى الاستراتيجي أو حتى على المستوى التكتيكي لأن طبيعة المعركة الدفاعية لم تكن تتطلب سرعة تجميع قوات ضخمة وحشد لها للقيام بعملية كبرى تشمل هذه الجيوش مجتمعة أو لإعادة تركيز هذه القوات وتعديل خططها لمواجهة معركة أخرى بوضعية متغيرة وبوقت محدد. وبالتالي فإن مسألة فحص قدرة كل جيش على تطبيق مبدأ المرونة بقيت محصورة ضمن نطاق العمليات الموضعية الخاصة بجبهته الدفاعية. والأهم من هذا أننا لم نتح لنا الفرصة لخوض معارك متنوعة في حرب طويلة لكي نستطيع على ضوء الخبرات المكتسبة في مثل تلك الحرب أن نقدر مدى قدراتنا على السيطرة والمرونة ومواجهتها متغيرات المعارك وظروفها الطارئة والمتسارعة في مختلف مراحل القتال .

تاسعاً : التعاون

التعاون يبني على أساس روح الفريق ويتطلب التنسيق التام بين كافة الوحدات لكي

تحقق أعلى مستوى من الجهد المشترك الذي يقدمه المجموع وفوق كل شيء فإن حسن النية والرغبة في التعاون تعتبر أموراً أساسية على جميع المستويات. ومع ازدياد الاعتماد على التعاون المتبادل بين الأسلحة والخدمات والتشكيلات ضمن الجيش الواحد وبين الجيوش المشتركة وكذا الاعتماد على المجهود الحربي للشعب فقد أصبحت مسألة التعاون بينها جميعاً في غاية الأهمية وتعتبر أمراً حاسماً في الحرب الحديثة .

التعليق :

لقد كان التعاون خلال هذه الحرب بين الجيوش العربية بمفهومه الواسع وفي أكثر الحالات شبه منعدم. إلا أنه كان هناك تعاون محدود بين جيشين متجاورين. ولكنه لم يكن تعاوناً فعالاً في المعركة بحيث يمكن بنتيجته توحيد الجهد والمشاركة بوضع الخطط الحربية وتنفيذها. ولكنه كان على مستوى ضيق من التنسيق وتبادل المعلومات الضرورية فقط. وفي حالات قليلة بتقديم الاسناد الجوي والمدفعي المحدود. وهذا النوع من التعاون كان موجوداً بين الجيش الاردني والجيش العراقي. وكذلك بين الجيش السوري والجيش اللبناني وجيش الانقاذ. ولكنه لم يكن هناك تعاون بين هذه الجيوش مجتمعة كقوة عربية متكاملة. ولا حتى على مستوى كونها جيوش حليفة تخوض معركة مشتركة ضد عدو واحد. علماً بأن الاسباب التي أدت الى هذه الحالة المؤسفة لم تكن عائده الى القيادات العسكرية لهذه الجيوش بل كانت مسؤولية حكوماتها .

فالقادة السياسيين هم الذين قرروا زج جيوشهم في المعركة بشكل منفرد بحيث يخوض كل جيش معركته بمعزل عن الجيوش الأخرى. رغم أنها كانت لها قيادة عامة مقرها في مدينة الزرقاء ولكنها لم يكن باستطاعتها تنفيذ أي شيء عملياً لأن الجيوش العربية التي كانت بإمرتها شكلياً لم تكن تنفذ تعليماتها. بل كان كل جيش يتلقى أوامره من قيادته في بلده. والخلافات العميقة التي كانت متأصلة بين هذه القيادات السياسية هي التي فرضت على قيادات جيوشها ان تتصرف مع بعضها بهذا الشكل وان لا تجرؤ حتى على مساندة بعضها في المعركة المشتركة بشكل فعال. والزعامات السياسية وخلافاتها هي التي منعت تشكيل قيادة عسكرية واحدة ميدانية فعالة لهذه الجيوش في وقت مبكر بحيث يكون بإمكانها ان تسيطر على حركاتها وتقودها بفعالية في المعركة وتتصرف بتحركات قطعاتها وعملياتها ضمن خطط

عسكرية موحدة وشامله حسب مقتضيات الظروف ومتغيرات الحرب. رغم أن الدول العربية اتفقت على إسناد مهمة القائد العام للجيش العربية إلى جلالة الملك عبد الله بوقت متأخر جداً قبيل المعركة كما اسلفت ولكن هذه الدول لم تضع تحت تصرفه جهاز قيادة عامة متكامل بالمعنى الصحيح يستطيع السيطرة على حركات هذه الجيوش وإدارة معاركها. كما أن قيادات الجيوش لم تخضع لأوامره حسب الأصول. وبالتالي فإنه لم يكن بإمكانه عمل أي شيء فعال وحاسم في المعركة. وكانت النتيجة أن العرب خسروا معركتهم الرئيسية بينما كان بإمكانهم إحراز النصر لو أنهم هياؤا له الأسباب .

عاشراً : الإدارة :

الترتيبات الإدارية يجب تنظيمها بشكل يعطي للقائد المسؤول أعلى مستوى من حرية العمل بتنفيذ الخطة. وكل تنظيم إداري يجب أن يكون بسيطاً. وكل قائد عمليات يجب أن يعطى له قدر من السيطرة على الخطة الإدارية ضمن منطقة قيادته بحيث يتناسب مع المسؤوليات الملقاة على عاتقه تجاه خطة العمليات الحربية .

التعليق :

بما أن الجيوش العربية دخلت المعركة مستقلة عن بعضها البعض وكانت خاضعة لإمرة قياداتها القطرية فإن هذا المبدأ لا ينطبق عليها كمجموعة بل أن كل جيش كان يطبقه بحسب النظام الإداري المتبع لديه وإمكانات التزويد المتوفرة في بلده. وعلى الرغم من أن أساليب الإدارة في الجيوش العربية تتشابه في بعض الأمور وتختلف في أمور أخرى إلا أنها كانت جميعها تطبق المبادئ الإدارية المتعارف عليها بشكل سليم ضمن نطاق جبهاتها ولكنها على أي حال كانت تتشابه في أشياء أساسية مثل نقص الذخيرة وعدم كفاية الأسلحة حيث كانت هذه الشكوى عامة لدى جميع الجيوش العربية. بل كانت هذه المسألة هي الذريعة الرئيسية التي اتخذتها الحكومات العربية للموافقة على الهدنة الأولى، كما أنها كانت جميعها متشابهة بعجزها عن تأمين حاجاتها من الأسلحة والذخائر بمختلف الوسائل من العالم الخارجي كما كان يفعل اليهود. بل كانت جميع الدول العربية هذه تنتظر ما تقررته دول الاستعمار التي كانت هي المصدر الوحيد لتزويد جميع الجيوش العربية بالأسلحة وبالتحديد بريطانيا وفرنسا. ومهما كانت الأحوال فإن الأسباب الحقيقية لفشل الدول العربية في الحصول على حاجاتها من الأسلحة والذخائر هي أولاً وقبل كل شيء ارتباطها مع

هذه الدول الاستعمارية بدرجات متفاوتة ولكن هذه الارتباطات كانت جميعها تقيد وتحدد مصدر تزويد الاسلحة بهذه الدول. وثانياً فقد كان تفرق الدول العربية وتناحرها سبباً جوهرياً في عدم توحيد جهودها وقدراتها المالية للتحرر من قيود الاستعمار والسعي لشراء الاسلحة من مختلف اقطار العالم كما فعل اليهود. وثالثاً ضعف التواجد العربي أو إنعدامه في دول العالم جعلهم عاجزين تماماً أمام التواجد الهائل لليهود بتنظيماتهم الصهيونية وتغلغلهم في جميع القطاعات الاقتصادية والعلمية والسياسية والاعلامية حيث كان هذا التواجد حاسماً في خلق دولة اسرائيل على أرض الواقع وبتزويدها بكل أسباب المنع والبقاء ومستلزماته من أسلحة ومال وعلم ورجال .

ومن محصلة كل هذه الأمور فإنه لم يكن ممكناً تطبيق هذا المبدأ على الجيوش العربية مجتمعة لسبب بسيط هو أن الدول العربية بسبب خلافاتها لم تتمكن من تكوين قيادة ميدانية واحدة فعالة تأتمر هذه الجيوش بإمرتها وتنفذ خططها وأوامرها وتعليماتها ولكنها أصرت على أن تجعل من حربها هذه مظاهرة حربية سياسية فريدة من نوعها في تاريخ الحروب .

الخلاصة :

لقد قصدت بهذا الشرح لبعض المبادئ والأسس الرئيسية لإدارة الحرب أن أبين الأسباب الفنية التي أدت إلى الخسارة الفادحة التي منيت بها الجيوش العربية بنتيجة هذه الحرب. كما أتى أردت أن أسجل هنا أن هذا الفشل لم يكن سببه عائداً الى تقصير هذه الجيوش بواجباتها الأساسية بل الى الظروف التي وضعت بها بسبب القرارات السياسية التي فرضت عليها مواقف عسكرية غير سليمة جعلت من المستحيل عليها ان تتصرف في المعركة كجيش مقاتل واحد وبحسب القواعد والأسس والمبادئ الحزبية المتعارف عليها. بل تم حشدها وإرسالها الى مواقع دفاعية ثابتة ضمن مناطق محددة خصصت لها مما جعلها تتخلى سلفاً عن زمام المبادرة للعدو .

كما انها بسبب دخولها المعركة كجيوش منفصلة تأتمر بأوامر قياداتها المختلفة ولا تجمعها قيادة مشتركة واحدة كانت تقايل بموجب خطط متفرقة ومختلفة عن بعضها بصرف النظر عن مدى علاقة هذه المعارك ببعضها ومدى تأثيرها على الموقف العام لهذه الجيوش في فلسطين. وهكذا نرى انها قد كرسست خسارتها للحرب سلفاً قبل أن تبدأ لأنها لم يكن بإمكانها ان تتصرف بقدراتها المتاحة ضمن خطة واحدة متوازنة تهدف الى تدمير قوات

العدو المسلحة. بل إنها وضعت بنتيجة السياسات المتناقضة بمواقف فرضت عليها تبديد جهودها وهدر طاقاتها .

وبسبب انعدام التنسيق فيما بينها لم تتمكن من مساندة بعضها في معاركها المنفصلة وهي بهذا الموقف تركت الساحة للقوات الاسرائيلية التي كانت تملك زمام المبادرة وحرية الحركة كاملة. بحيث كان بمقدورها ان تختار الزمان والمكان الذين تضرب بهما الجبهات العربية كل واحدة بمفردها . والقوات العربية موزعة بحسب اقطارها في المناطق المخصصة لها وتقف ثابتة في الدفاع عن تلك الجبهات وتتلقى الضربات الموجهة لها عندما يأتى دورها. بينما تبقى القوات الاخرى تنتظر وكأن الأمر لا يعنيه .

وبالإضافة الى كل هذه التناقضات فقد تعرضت الجيوش العربية الى نقص خطير في ذخائرها وعدم كفاية ما لديها من أسلحة طيلة مدة الحرب وخصوصاً الاسلحة الثقيلة مثل الدبابات والطائرات والمدفعية. وقد عجزت جميع الحكومات عن تأمين حاجة جيوشها من هذه الاسلحة والذخائر حتى كاد ما لديها من مخزونها أن ينضب نهائياً في أواخر أيام الحرب. الأمر الذي اعطى الجيش الاسرائيلي تفوقاً خطيراً على جميع الجيوش العربية في هذه المرحلة الحاسمة. ومكنه من دحر الجيش المصري والاستيلاء على منطقة النقب بكاملها وتصفية جيش الانقاذ والاستيلاء على الجليل. وكذلك تثبيت الجيش الاردنى في اللطرون والقدس والاستيلاء على مدينتي اللد والرملة وما حولهما من القرى العربية .

وأخيراً فإن هذا موجز عن الأسباب الفنية التي أدت الى خسارتنا لهذه الحرب. ولكن أين تقع المسؤولية عن هذه الكارثة ؟ هذا هو السؤال الذي سأحاول بهذه العجالة القاء بعض الضوء عليه .

حالما انتهت الحرب واعلنت الهدنة الثانية بدأ سيل الاتهامات بين الدول العربية والتراشق بمختلف النعوت بين جميع الأطراف التي كانت لها علاقة بالحرب. فقد حاولت كل قيادة سياسية التنصل من مسؤولياتها باللقاء اللوم على غيرها من القيادات وأخذت الجماهير الشعبية في خضم نقيمتها وغضبها تلقي اللوم على العسكريين وتتهمهم بالتقصير في القتال. وبنفس الوقت تتهم الحكومات والزعامات العربية بالتواطؤ بينما كانت مجتمعات اللاجئين الفلسطينيين ناقمة على الجميع وتعزي أسباب نكبتها الى تخاذل الحكومات العربية والى تقصير جيوشها في الحرب. كما اخذ ضباط هذه الجيوش بدورهم يتهمون القيادات السياسية في بلدانهم بالتقصير في تأمين متطلباتهم من الاسلحة والذخائر وبتقييد حركاتهم العسكرية ضمن ميادين معينة حددتها سياسة حكوماتها وهكذا اصبح كل بلد عربي يعيش

في دوامة رهيبة من البلبلة وعدم الثقة وأخذت روح التمرد تنمو في كافة المجتمعات. ومنها بدأت التنظيمات السرية المعارضة تتشكل بين السياسيين الحزبيين والضباط الناقمين في معظم البلاد العربية وخصوصاً تلك التي شاركت جيوشها في الحرب. الأمر الذي قدر له أن يكون نواة تغييرات جذرية في أنظمة الحكم في تلك البلدان بمراحل مختلفة خلال عقد من الزمان .

وفي هذا الجو المفعم بالبلبله والنقمة والغضب تاهت الحقيقة. وفي موجة العواطف والشعور بالأسى والإحباط تغاضي معظم الناس وخصوصاً المفكرين والمثقفين عن محاولة البحث عن الأسباب الحقيقية التي آلت بالأمة العربية الى هذا المصير وهذه الكارثة التي قد لا تنهض من آثارها لأجيال طويلة قادمة. كما لم يحاول المسؤولون في مختلف البلدان العربية البحث عن هذه الأسباب لو افترضنا انهم لا يعرفونها سلفاً. بل واحجموا عن إجراء التحقيق الرسمي بهذا الموضوع لمعرفة أسبابه وتحديد ابعاده وبراها ونشرها لإطلاع الشعوب عليها كما اعتادت الدول التي خاضت الحروب ان تفعل عندما تخسر الحرب. وربما لأن التحقيق قد لا يكون في صالحهم ولذلك لم يكن متوقعاً ان يحققوا في أسباب الكارثة. ومع انعدام الديمقراطية الصحيحة فإنه لا توجد هيئات تمثيلية حقيقية تجرؤ على إجبارهم على التحقيق في أسباب خسارتهم الحرب ونشرها للرأي العام ليكون على بينة منها وليصبح بالإمكان على الأقل تلافيها في المستقبل .

هذا ما عدا المحاولة المحدودة التي أشرت لها سابقا عندما قام وفد برلماني عراقي بزيارة الجبهة العراقية والأردنية وكتب تقريراً يشيد بصمود وبطولة منتسبي هذين الجيشين وتضحياتهم في الدفاع عن ثرى فلسطين. ولكن هذا الوفد لم يتطرق إلى أسباب خسارتنا الحرب. أولاً لأنهم لم يكونوا مكلفين بالتحقيق بهذه الأسباب. وثانياً لأنهم حتى لو كانوا مكلفين بهذه المهمة فإنه من المستحيل عليهم أن يتمكنوا من معرفة هذه الأسباب بمجرد قيامهم بزيارة واحدة للجبهة وبدون إجراء تحقيق رسمي يشمل القادة العسكريين والسياسيين الذين كانوا على سدة الحكم آنذاك لتحديد مسؤولياتهم الفعلية عن الحرب ونتائجها.

وهكذا فقد أسدل الستار مؤقتاً على هذه الحرب التي كانت عبارة عن مرحلة أولى من صراعنا مع الصهيونية والتي تعتبر بنفس الوقت أخطر مرحلة من مراحل هذا الصراع لأنها أرست قواعد تأسيس دولة اسرائيل في قلب الوطن العربي في فلسطين. ولا أظنني استطيع هنا الخوض في تفصيلات الأسباب التي أدت إلى خسارة الأمة العربية وجيوشها لهذه الحرب للأسباب التالية :

أولاً : لأن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث مستقل يتضمن جميع تحليلاتها وبيان أسبابها وملاابساتها بالتفصيل على جميع الصعد السياسية والاجتماعية والعسكرية.

ثانياً : لأنني لا أعتقد إنني بمفردي أو أي شخص آخر بمفرده مؤهل لإيقاء هذا الموضوع حقه من البحث والاستقصاء والتحليل. بل يحتاج (كما اعتادت الدول التي خاضت الحروب أن تعمل بعد انتهائها). إلى تشكيل لجنة مؤهلة من القانونيين والسياسيين والمؤرخين والعسكريين ومن علماء الاجتماع. لتقوم بدراسة جميع القضايا التي لها صلة بهذه الحرب وبكيفية إدارتها والنتائج التي تمخضت عنها، واستنباط أسباب الفشل وتوثيق جميع هذه المعلومات وإصدارها بكتب توضع في متناول يد القارئ العربي لكي نأخذ منها العبر ونتعلم من أخطائنا. والآن وعلى الرغم من مرور أكثر من خمسة وأربعين سنة على هذه الحرب فاني اعتقد انه مازال بالإمكان دراستها من قبل مثل هذه اللجنة التي اشرت اليها بالاستعانة بالمتيسر من الوثائق والملفات القديمة. وبمن بقوا على قيد الحياة من السياسيين والعسكريين الذين اشتركوا في هذه الحرب. بل ودراسة جميع الحروب التي تبعتها وكتابة وقائعها وتقييم نتائجها لفائدة الأجيال القادمة وبالإضافة إلى هذه العجالة فإنني أحب في هذا المجال أن أؤكد على بعض الأسباب التي أعتقد أنها أسهمت إلى حد بعيد في خسارتنا لهذه الحرب والتي قد تنطبق على الحروب التي تبعتها عبر العقود الاربعة الماضية والتي يمكن ان تنطبق على الحروب القادمة. والتي لا شك انها ممكنة الوقوع طالما بقيت إسرائيل قوية ومتماسكة. وطالما بقي العرب متفرقون متناحرون. واوز هذه الأسباب بما يلي :

١ - التفرقة التي كانت سائدة بين الدول العربية والخلافات التي كانت متأصلة بين قياداتها والتي بسببها لم تستطع توحيد جهودها وتوحيد مصادرها المادية والبشرية وحشدتها بمواجهة العدو. كما أن قاداتها لم يتمكنوا من وضع استراتيجية واحدة للحرب أو تكوين قيادة عسكرية عليا واحدة تقود جيوشهم الموحدة بحيث تستطيع هذه الجيوش ضمن اطارها ان تخوض المعارك وتديرها في الميدان بحسب الاسس والمبادئ الحربية الصحيحة .

٢ - عدم كفاية الاسلحة والذخائر التي كانت متيسرة لهذه الجيوش لتخوض المعركة لمدة معقولة تمكنها على الاقل من احراز موقف يلغي تفوق العدو ان لم يؤدي الى التغلب عليه .

٣ - عدم اشراك الشعوب العربية بهذه الحرب. فعلى الرغم من ان الحروب الحديثة

اصبحت صراعاً بين الشعوب بحيث يشترك في القتال فيها الجندي في الميدان. والصناعي والعامل والتاجر وجميع طبقات الشعب كل ضمن اختصاصه وتجد جميعها في خدمة المجهود الحربي ضمن الخطة العامة عند اعلان النفي العام وتستخدم جميع موارد الشعب المادية والبشرية وكل ما هو متوفر لديه من آليات وأغذية وأموال لصالح المعركة. لان هذا هو الجهاد الصحيح. وهذا ما هو مطلوب من جميع المواطنين. وهكذا تكون التضحيات للدفاع عن الوطن الذي يجب ان يفتدى بالأموال والأرواح ولكن الدول العربية خاضت هذه الحرب بجيوشها بمعزل عن شعوبها التي كان دورها محصوراً بمتابعة سماع اخبار المعارك من الاذاعات التي كانت تذيعها بالصورة التي تريدها الحكومة المعنية.

وبالمقابل فان اليهود حاربونا بكل ما لديهم من امكانيات مادية وبشرية واشترك في القتال مع قواتهم المسلحة كل قادر على حمل السلاح من رجالهم ونسائهم وجندوا جميع طاقات شعبهم وقدموا لجيشهم كل ما يملكون من وسائل نقل ومنتجات صناعية وزراعية وغذائية وغيرها ضمن اطار النفي العام. حتى اليهود المنتشرون في جميع انحاء العالم حاربونا بأموالهم وما قدموه معها لإسرائيل من خبراء وضباط وطيارين وأسلحة وذخائر مكفوا جيش اسرائيل بواسطتها ان يتفوق على الجيوش العربية خلال فترة وجيزة. بينما كنا نحن نعجز عن تجنيد كتيبة واحدة لعدم وجود المال الكافي لتجهيزها وادامتها وعدم توفر الأسلحة اللازمة لها. وهذا وضع تلام عليه الحكومات العربية لعجزها عن التخطيط السليم وعدم استغلال طاقات شعوبها على الوجه الأكمل.

٤ - الغاء الدور الفلسطيني كلياً من هذه الحرب وكأن الامر لا يعني هذا الشعب صاحب البلد والمعني بالدفاع عنه بالدرجة الاولى. فقد دخلت الشعوب العربية لتحارب نيابة عنه واكتفت بما استطاعت ان تجمعها من المناضلين الفلسطينيين الذين جعلت دورهم هامشياً فقط. بينما قبح مئات الألوف من الشعب الفلسطيني في مخيمات اللاجئين ينتظرون تحقيق حلم تحرير وطنهم على ايدي اشقائهم كما كانت تؤملهم الحكومات العربية بقرب تحقيق النصر والعودة الى ديارهم. تلك العودة التي لم تتحقق حتى الآن وربما لن تتحقق أبداً.

٥ - الدور الذي لعبه الاستعمار كان حاسماً في تحقيق الهزيمة العربية. ولا سيما الاستعمار البريطاني الذي كان أساس البلاء منذ البداية. وهنا يكفي ان نعرف ان

بريطانيا اعطت لليهود وعد بلفور واستعمرت فلسطين ثلاثين سنة هيأت خلالها لليهود جميع الأسباب والوسائل اللازمة لبناء جيش قوي. وضمنت بنفس الوقت ان يبقى اهل فلسطين عزلاً من السلاح.

كما ان بريطانيا استعمرت مصر والعراق والاردن ثلاثين سنة كذلك ضمنت خلالها ان تبقى هذه البلدان ضعيفة ولا تستطيع الاستغناء عن بريطانيا لمساعدتها عسكرياً واقتصادياً. وعلى الرغم من انها اعطت مصر والعراق نوعاً من الاستقلال المنقوص فانها بقيت هي المصدر الوحيد لتسليح جيشي هذين البلدين وقد ضمنت بهذه الطريقة ان يبقى ما لدى هذه الجيوش من اسلحة وذخائر محدوداً بحيث لن يكون بإمكانها ان تبني قدرة عسكرية كبيرة تستطيع ان تشكل خطراً على اسرائيل. ولكي تبقى السيطرة كاملة بيدها لم تكن تزود اي من هذه الجيوش العربية بالذخائر اللازمة لاسلحتها إلا بكميات محدودة جداً لا تمكنها من خوض حرب طويلة المدى على نطاق واسع. وكذلك كانت حال شرق الاردن الا ان السيطرة عليها كانت اشد حيث كانت بريطانيا تزود الجيش العربي الاردني بميزانيته المالية وكانت هي المصدر الوحيد لتزويده بالسلاح والذخيرة بالاضافة الى ان قيادة هذا الجيش وكافة وحداته حتى مستوى قيادات الكتائب كانت بيد الضباط البريطانيين. واما سوريا ولبنان فقد كانت تستعمرهما فرنسا، وقد سلكت معها نفس سلوك بريطانيا ان لم يكن اشد قسوة، وبقيت بعد نيلهما الاستقلال تتحكم بمقدرات جيشيهما مدة طويلة عن طريق السيطرة على تزويدهما بالذخيرة والسلاح. وهكذا كانت هذه الدول الاستعمارية تريد ان تسير حركات الجيوش العربية في حرب فلسطين ضمن اطار سياستها تجاه هذه القضية برمتها. تلك السياسة التي كانت دوماً ضالعة مع الصهيونية. ولذلك رأينا ان بريطانيا عندما ارادت فرض وقف اطلاق النار بعد نشوب القتال بفترة وجيزة اوقفت صرف الميزانية المالية للجيش العربي وسحبت الضباط الإنجليز من جبهة القتال خلال فترة انذار مدتها اربعة وعشرين ساعة فقط لكي تضغط على الحكومة الاردنية وتوقع الارتباك في الجيش العربي لانها كانت تعرف انها لم تقم بتدريب العدد الكافي من الضباط العرب ليحلوا محلهم رغم انها كانت تسيطر على هذا الجيش منذ تأسيسه. كما انها بنفس الوقت منعت شحن الاسلحة والذخائر الى الجيش الاردني وباقي الجيوش العربية. كما اتخذت فرنسا نفس الاجراءات بالنسبة لسوريا ولبنان مدعية انها بذلك تطبق قرار مجلس الامن الدولي والذي كانت هي اصلاً قد تقدمت بصيغته الى ذلك المجلس. بينما بقي

استيراد الاسلحة لاسرائيل مفتوحاً من جميع بلاد العالم غربية وشرقية على حد سواء.

ومن تحليل هذه الاسباب التي اوجزتها باعلاله اخلص الى التساؤلات الآتية :

أولاً : هل اخطأت الدول العربية بدخولها هذه الحرب بجيوشها النظامية اذا كانت ترى ان حالة هذه الجيوش لا تؤهلها لخوض معركة حاسمة مع الجيش الاسرائيلي.

ثانياً : هل كان بمقدور الحكومات العربية ان لا تخف لنجدة اهل فلسطين وهي تعرف ان اليهود اكتسحوا معظم مدنها وقراهم قبل خروج بريطانيا من فلسطين.

ثالثاً : ما هو البديل

وللاجابة على هذه التساؤلات اقول ما يلي :

١ - في الإجابة على التساؤل الأول : نقول أنه على الرغم من ان مخزون الدول العربية من الذخائر كانت غير كافية لحرب طويلة الأمد. وإن أسلحتها الإسنادية كانت قليلة فإن هذه الحالة كانت تنطبق أيضاً على اليهود إلى حد كبير في بداية الحرب حيث أنهم لم يستطيعوا جلب الكميات الضخمة من الأسلحة التي ابتاعوها من مختلف أنحاء العالم إلا بعد حلول الهدنة الأولى .

ولو كانت الجيوش العربية قد وضعت بإمرة قيادة واحدة وحشدت كامل قواتها منذ البداية دفعة واحدة وليس بالتقسيم كما فعلت واقعياً. ولو أنها تصرفت بخوض هذه الحرب ضمن خطة واحدة متوازنة وبحسب الأسس والمبادئ العسكرية الصحيحة المتعارف عليها للحرب لأمكنها تغيير ميزان المعركة لصالحنا بسرعة. أو على الأقل لتمكنت من احتلال هدف استراتيجي رئيسي مهم كمدينة القدس مثلاً خلال الأسبوع الأول من القتال تستطيع عن طريقه الحصول على نتائج سياسية أفضل ما دامت أنها أرادت أن تخوضها حرباً سياسية. ولو اتبعت جادة الصواب وطبقت مبادئ الحرب الصحيحة بقواتها المسلحة الموحدة لتمكنت من توجيه ضربة قاصمة للقوات الإسرائيلية المسلحة وكسبت بعد ذلك جميع جوائز الحرب. ولكن هذا لم يكن ليحصل لأن الخلافات العربية كانت ومازالت حتى يومنا هذا هي التي تسيطر على الساحة العربية في جميع المجالات. لكن المسؤولية بتكريس هذه الخلافات وزج الجيوش بالحرب بأسلوب غير صحيح لتحارب معارك غير ناجحة تقع على عاتق السياسيين العرب وليس على عاتق العسكريين. وفي هذا المجال أقول بأنه كان بمقدور الجيوش العربية لو أنها توحدت

كقوة مقاتلة تحت قيادة واحدة فعالة أن تتغلب على جيش اسرائيل في بداية الحرب لو توفرت لها خطة حربية حكيمة متوازنة يقودها قائد كفؤ لديه قيادة عامة متكاملة في الميدان. وليس من الضروري أن تلغي هذه الجيوش صفتها القطرية لتتوحد كجيش واحد. بل يمكن أن تندمج كقوة مقاتلة واحدة مؤلفة من عدة جيوش على غرار قيادة الحلفاء التي قادت جيوشها التي كانت تتبع دولاً مستقلة من جنسيات مختلفة في معاركها ضد جيوش ألمانيا في الحرب العالمية الثانية. بل أن الجيوش العربية كانت مؤهلة لتخضع لقيادة مشتركة واحدة أكثر من جيوش الحلفاء لأنها كلها من جنس واحد وتدريبها وتسليحها متقارب لأنه كله من صنع انجليزي أو فرنسي. هذا بالإضافة إلى أن لغتها واحدة وحالتها الاجتماعية متشابهة. وهي بالتالي أقرب ما تكون إلى تأهيل لتصبح جيشاً عربياً واحداً يعتز بعروبته ويخوض حرباً جهادية دفاعاً عن وطنه.

وأحب أن أشير هنا إلى أنه اتاحت لي الفرصة فيما بعد أن اكتشف أن هذا الرأي كما يؤيده قائد من أشهر قادة الحرب العالمية الثانية هو المارشال (مونتجمري) عندما كند أدرس في كلية القيادة والأركان في عام ١٩٤٩م في بريطانيا. وقد حضر المارشال إلى الكلية وألقى محاضرة عن استراتيجية الدفاع عن العالم الحر في وجه المد الشيوعي وأثناء كلامه عن منطقة الشرق الأوسط تطرق إلى الحرب العربية الإسرائيلية التي كان حينذاك أحدث الحروب المحلية وانتهت لتوها حيث كانت محاضرة مونتجمري هذه مطلع عام ١٩٤٩م. وقد قال في معرض حديثه الملاحظة التالية :-

(لقد اتلف العرب قضيتهم ولو كنت اقود الجيوش العربية لدخلت تل أبيب خلا أسبوع)

"The Arabs have bogged. Their case, If I was commanding the Arab armies I would have entered tel Avive withen one week".

ولقد تأملت كثيراً عندما سمعت هذا الكلام حيث اعتبرته تهكماً على قادة الامة العربية و يكن مقبولاً بالنسبة لي وخصوصاً وأنه صدر من قائد بريطاني مشهور مونتجمري الذي يعرف جيداً سياسات بلده ضد الامة العربية منذ صدور وعد بلف وحتى تأسيس دولة اسرائيل. وقد خدم في فلسطين في مطلع عقد الثلاثينات كقائد كتي ولكن في ذلك الظرف وتلك المناسبة لم يكن بمقدوري ان اناقشه بهذا الموضوع اعترض على ملاحظته لأنى كنت اعرف أن ما قاله صحيحاً وأنه لولا خلافات حكوما لتمكنا فعلاً من حشد جيوشنا كقوة قتالية منسجمة ومتكاملة تقودها قيادة عامة واحد

فعاله في الميدان. ولتمكنت هذه الجيوش من تحقيق النصر خلال المرحلة الاولى من القتال. ولكن لكي أكون منصفاً أحب أن اطرح الاستفسار الآتي :

(هل لو تمكن القادة السياسون العرب من تجاوز خلافاتهم وأمكن تجميع الجيوش العربية تحت قيادة واحدة ستسمح لنا بريطانيا وامريكا بأن نكسر إسرائيل عسكرياً في ساحة القتال ؟ أم أنهما سوف ترسلان قواتهما المسلحة لتحاربنا الى جانب اسرائيل) وفي الإجابة على هذا التساؤل أقول : إننا لو حققنا نصراً سريعاً في الميدان فأن أقصى ما يمكن أن تفعله الدول الاستعمارية هو أن تطلب منا أن نتوقف عن القتال وتهددنا بفرض العقوبات الاقتصادية أو حتى بالتدخل عسكرياً وعندئذ تبدأ مرحلة المباحثات السياسية. ومهما كان من أمر تدخلهم فإن النتائج التي نكون قد حققناها سوف تكون أفضل بكثير مما نتج عن خسارتنا الحرب بهذا الشكل المريع .

وحتى لو حاربنا بريطانيا وأمريكا بعد أن نكون قد هزمنا القوات الاسرائيلية فإن حربهما ستكون من نوع خاص تهدف الى الفصل بين القوات المتحاربة وتأمين حماية اسرائيل ضمن مناطقها المخصصة لها بموجب قرار التقسيم. ولو فرضنا أسوأ الاحتمالات وهو أن جيوش هذه الدول العظمى قد وصلت فعلاً إلى الجبهة وخاضت الحرب ضدنا فإن أسوأ ما يمكن أن يحصل هو أن تتغلب هذه الجيوش الجارة التابعة لدول عظمى علينا. وبهذه الحالة ستصبح جيوشاً محتلة وتتحول نحن إلى ثوار نحاربهم حرب عصابات. وهذا مصير أكرم لنا من أن يهزمنا جيش إسرائيل .

٢ - وللإجابة على التساؤل الثاني أقول أنه ليس فقط لم يكن بمقدور الدول العربية أن لا تهب لنجدة أهل فلسطين بل ان واجبها الوطني ومسؤولياتها القومية تجاه شعوبها على الأقل إذا لم يكن تجاه تاريخ أمتها ان تهب فوراً لنجدة أهل فلسطين في وجه الغزو الاسرائيلي ولطالما سمعت هذا التعليق دوماً من مختلف الناس عندما تطرح مسألة حرب عام ١٩٤٨م إن الدول العربية كانت مجبرة على خوض الحرب ولكن جيوشها لم تكن مؤهلة للحرب. وان جيش اسرائيل كان أقوى منها مجتمعة. ولطالما كنا نسمع هذا التفسير كذلك من قائد الجيش الفريق كلوب ومن الضباط الانجليز في معرض شرحهم لأسباب تغلب اسرائيل على العرب. وجوابي على كل هذا اللغو والذي أود أن أدونه هنا للتاريخ هو أن الدول العربية كانت فعلاً مجبره بل وملزمه بدافع من مسؤولياتها القومية أن تخوض الحرب لنصرة أهل فلسطين. ولكني أرفض القول بأن الجيوش العربية لم تكن مؤهلة لخوض الحرب. وأقول أنها كانت مؤهلة لخوض هذه الحرب

وكسبها لو أحسن استخدامها كما شرحت سابقاً. وإن المسؤول عن هذا الفشل هو الخلافات العميقة التي كانت مستشرية بين الدول العربية في ذلك الحين. تلك الخلافات التي كانت السبب في تبديد قدرات جيوشها ووضعها في موقف غير سليم. وبالنتيجة حشدها للمعركة بطريقة خاطئة وسوقها للقتال على دفعات متتالية حسب متطلبات الاحوال الآنية بالشكل الذي سبق شرحه. والدليل على هذا ان حجم قوات الجيوش العربية قد تضاعف اثناء القتال بحسب ما كانت تمليه ظروف جبهاتها المحلية. وبهذه المناسبة أحب أن أشير هنا الى أن مقولة ان الجيوش العربية لم تكن مؤهلة لخوض الحرب وان جيش إسرائيل كان أقوى منها قبل أن تبدأ الحرب كانت دوماً ترد على لسان المعلقين الأجانب ممن كتبوا عن هذه الحرب. وهذا الكلام ليس دقيقاً وعلى الأقل في بداية الحرب. وحتى لو كان صحيحاً فإنني أقول أنه كان بمقدورنا ان نحصل على نتائج أفضل بكثير لو استخدمنا جيوشنا بحسب الأسلوب العسكري الصحيح .

٣ - ما هو البديل :

لو أمعنا النظر بالظروف التي كانت سائدة في تلك الأيام لوجدنا انه لا يوجد بديل مضمون له فرصة معقولة في النجاح في وجه القوات الاسرائيلية عن زج الجيوش العربية في القتال موحدة كقوة مقاتلة لولا ما فرضته عليها الخلافات العربية من ظروف منعتها من تحقيق ذلك وخسرت الحرب بالنتيجة .

لقد قيل في ذلك الحين ان المفتي الحاج أمين الحسيني كان يعارض دخول الجيوش العربية النظامية للحرب في فلسطين وأنه طالب الدول العربية ان تزوده بالسلاح والدعم المادي وهو يقوم بتجنيد قوات كافية تقاوم اليهود .

فإن كان هذا القول صحيحاً فإنه ينطوي على خطأ فادح لأنه من المستحيل عملياً أن يستطيع تكوين قوة كافية وبحجم يمكنها من التغلب على إسرائيل ضمن المدة التي كانت متاحة قبل موعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين والتي لم تكن تتجاوز شهراً واحداً. حيث أن الدول العربية لم تقرر رسمياً إرسال جيوشها للقتال في فلسطين إلا بأواخر شهر نيسان عام ١٩٤٨م. وعلى أي حال فما دامت الجيوش العربية جميعها لم تستطع التغلب على الجيش الاسرائيلي بسبب الخلافات العربية فكيف يمكن لقوة من المناضلين مهما كان حجمها على افتراض امكانية حشدها عملياً أن تتغلب على هذا الجيش أو أن تصمد أمامه وتدافع بنجاح عن ما تبقى من فلسطين مع وجود نفس الخلافات بين الدول العربية التي ستتولى تمويل وتسليح هؤلاء المناضلين. وأوضح دليل حي على

هذه النظرية هو جيش الانقاذ الذي اثبت عدم جدوى مثل هذه القوات المتطوعة في مواجهة الجيوش النظامية بمفردها. ولذلك فإن الحل الوحيد الذي كان ممكناً وعنده أمل معقول في النجاح هو دخول الجيوش العربية للقتال ولكن تحت قيادة واحدة وطبقاً للأسس العسكرية الصحيحة على أن تستخدم هذه الاعداد الهائلة من الشباب الفلسطيني المتطوعين بعد تسليحهم وتدريبهم كقوات فدائية تعمل خلف خطوط العدو. وكذلك في المواقع الدفاعية الثابتة لتوفير الاعداد الكبيرة من القوات النظامية التي ستتفرغ لعمليات التعرض لقوات العدو. ولكن هذا الأمر لم يكن سهلاً وممكناً بسبب الخلافات العربية وتلك حكوماتها وتأخرها باتخاذ القرار النهائي لدخول الحرب وحصر صلاحية اتخاذ القرارات العسكرية الحاسمة بيد السياسيين الذين قرروا توزيع القوات على الجبهات التي خصصوها لها وتصدوا حتى لتقرير شكل المعارك وهم لا يعرفون شيئاً عن الحرب. وما دام أن هؤلاء السياسيين لم يتمكنوا من التغلب على خلافاتهم في سبيل المصلحة القومية العليا ولم يتيحوا الفرصة لتوحيد الجيوش العربية بشكل سليم أو حتى جمعها بمنظومة مشتركة بإمرة قيادة واحدة ولم يتمكنوا من الاتفاق على وضع استراتيجية عليا واحدة للحرب. بل كان لكل دولة أهدافها ومصالحها الخاصة التي تختلف عن أهداف ومصالح الدول الأخرى فإن النتيجة الوحيدة الممكنة هي المأساة التي وقعت فعلاً. وأما ما تبع تلك المأساة من انقلابات عسكرية وثورات ومشاكل داخلية ومآسي عمت جميع الاقطار العربية فما هي الا نتيجة حتمية لخسارة هذه الحرب ونكبة فلسطين هي الدافع الرئيسي لها. ولقد ثبت لنا منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا انه لا أمل لنا في الوقوف بوجه العدو إلا بتحقيق الوحدة العربية مهما طال الزمن. وسواء أمكن تحقيق هذه الوحدة على مرحلتين أو عشرة مراحل فإنها يجب أن تبقى هدفاً أساسياً وأملنا المنشود على مر السنين وتعاقب الاجيال لأنه لا بقاء لأمتنا بدون تحقيق وحدتها الحقيقية الشاملة التي لا مجال فيها لتكريس القوميات القطرية بل أمة عربية واحدة الاسلام دينها والقرآن دستورها. لغتها واحدة ووطنها واحد هو جميع الاقطار العربية التي جزأها الاستعمار من المحيط الى الخليج. وهدفنا يجب أن يكون إعادة جمع شملها حول لواء واحد هو لواء أمة العرب. وعلينا أن نضحي بكل غالٍ ونفيس في سبيل تحقيق هذا الهدف إذا كنا نريد بقاء اجيالنا القادمة وصون كرامتنا وحماية قوميتنا من الزوال. وفي سبيل ذلك علينا قبل كل شيء أن نضحي بمصالحنا الشخصية في سبيل المصلحة القومية العليا. وعندئذ فقط ستصبح الوحدة العربية الحقيقية ممكنة لانها ستأتى بنتيجة كفاح الشعب العربي الذي نبذ القطرية وعاد الى قوميته الاصلية التي

يعتز بالدفاع عنها والسير في ركابها. وعندئذ فقط نستطيع حشد طاقاتنا القومية وبناء قدراتنا العسكرية لكي نصمد في وجه اعدائنا ونحمي وطننا وقومنا من اخطارهم الماحقة.

كما يجب علينا أن نتذكر دوماً أن أمتنا الماجدة ما عزت إلا بعزة الإسلام وما انتصرت الا تحت راياته. وأنها ما ذلت وخضعت واستكانت للغزاة الغاصبين إلا بعد أن ابتعدت عن الإسلام فتفرقت وضعفت وتشتت شملها وذهب ريحها. وعلينا ان نعلم كذلك أن أمتنا العربية المسلمة يجب أن تكون رائدة بين الأمم الإسلامية الشقيقة وخير عون لها في مسيرة التاريخ. ولكي تصبح الامة العربية مؤهلة للقيام بهذا الدور يجب عليها أن تستغل مواردها وطاقاتها من كافة المصادر لبناء قدراتها الذاتية لترقى إلى مصاف الأمم المتطورة وتصبح نداً لها كأمة واحدة قادرة وفاعله في الميدان العالمي. بدلاً من الإصرار على تكريس القطرية والتمزق والتشتت فتبقى ضعيفة مهزومة ومفتوحة للطامعين والغاصبين .

فهل سنفيق من سباتنا العميق هذا ونخرج من دهاليز الظلام إلى رحاب نور العلم والمعرفة قبل فوات الأوان لنتمكن من مقارعة اعدائنا بقوة وإقتدار .

والله أسأل أن يوفق أمتنا لخيرها ويهديها سواء السبيل .

وأخيراً فإنني اختتم هذا الفصل عند انتهاء شرح موجز عن الحرب العربية الاسرائيلية الاولى عام ١٩٤٨م. وقد ضمنته بعض التحليلات العسكرية والآراء عن اسباب خسارتنا لهذه الحرب لأنى اعتقد ان ما بينته فيها ينطبق على جميع الحروب التي وقعت بعدها حتى الآن. وقد ينطبق على الحروب القادمة التي أظنها لا محالة آتية طال الزمان أم قصر. ولعلنا نعتبر من دروس الماضي لنستعد وتستعد أجيالنا القادمة للصراعات المقبلة. وإنى أمل أن أكون قد اسهمت بهذه العجالة المتواضعة في التنبيه الى هذا الخطر المميت فتتنادى شعوب هذه الامة وأجيالها القادمة لتحقيق وحدتها والدفاع عن وطنها وحماية جنسها من الزوال. فهل تثبت شعوب هذه الامة أنها بمستوى هذا التحدي .

اللهم هل بلغت ... اللهم فاشهد

الفصل الرابع

مرحلة ما بعد الحرب

١ - لا بد هنا لكي نحافظ على التواصل والتناسق بين التطورات التي حدثت في الجيش العربي والجبهة الاردنية على الصعيد العسكري من ذكر مجمل هذه التطورات خلال السنين التي أعقبت انتهاء حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨م وحتى ابتداء حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م .

وعلى الرغم من أني سأتناول تفصيلات تلك الأحداث بمختلف أنواعها وبحسب تسلسل وقوعها في كتاب مذكراتي الذي أمل إصداره مستقبلاً لكنني أحببت أن أذكر هنا موجزاً عن الإجراءات والاستعدادات والحوادث التي جرت على الساحة الأردنية خلال السنين الفاصلة ما بين هاتين الحربين والتي لها صلة مباشرة بالحرب المحتملة المقبلة. لا سيما ونحن في تلك الفترة كنا في حالة هدنة مع اسرائيل وهذا معناه أن الصدام العسكري كان دوماً محتمل الوقوع في أي ظرف ولأي سبب سواء كان ذلك ناتجاً عن حدث طارئ أو بتدبير من العدو تطبيقاً لخطته الموضوعه سلفاً لهذا الغرض .

٢ - ولسهولة الايضاح فإنني سأقسم البحث بهذا الفصل الى المواضيع الرئيسية التالية :

أ - اعادة تنظيم الجيش العربي الاردني وما طرأ عليه من توسعات في بناء التشكيلات والتسليح .

ب - تأسيس الحرس الوطني وتطور تشكيلاته .

ج - الخطة الدفاعية العامة عن المملكة الأردنية الهاشمية .

د - حوادث الحدود وتطور أساليب اليهود في مختلف مراحل الاعتداءات على القرى الأمامية .

هـ - انضمام الاردن الى القيادة العربية المشتركة بعد تعريب الجيش والاستغناء عن خدمات الفريق كلوب والضباط الانجليز .

- اعادة تنظيم الجيش العربي الاردني :

عندما وقعت الهدنة بين الاردن واسرائيل في جزيرة رودس بتاريخ ٣ نيسان عام

١٩٤٩م كانت قوات الجيش العربي تتألف من تسعة كتائب مشاه قوام كل كتيبة منها ثلاثة سرايا مشاه وسرية قياده وسرية اسناد تحتوي على (٤ مدافع مورتر ٣ انش)

(٤ مدافع ضد الدرع ٦ رطل)

(٤ رشاشات متوسطة فكرز)

ولم يكن لدى الجيش العربي أية دبابات من أي نوع. وكانت الأسلحة الاسنادية مقتصرة على بطاريتين من مدافع الميدان عيار ٢٥ رطل وبطاريتين من مدافع ١٧ رطل وبطارية مورتر ثقيل (٢, ٤ بوصة) كما كان الجيش يفتقر الى الأسلحة الاسنادية الأخرى بالشكل المتكامل المتعارف عليه مثل سلاح الهندسة وسلاح المدفعية وسلاح اللاسلكي وأهم من كل هذا عدم توفر سلاح الجو ولا حتى أي نوع من الطائرات الحربية وقد كان مجموع ملاك الجيش العربي حوالي (١١,٥٠٠) إحدى عشر ألفاً وخمسمائة فرد من جميع الرتب .

وأما عملية اعادة تنظيم الجيش العربي هذه فقد كانت تشمل ما يلي :

أ - اعادة تنظيم الفرقة بمستوى يماثل فرقة مشاه كاملة حسب التنظيم المتبع في الجيش البريطاني .

ب - اعادة تنظيم ألوية المشاه بحيث تصبح ثلاثة ألوية كاملة .

ج - إحداث وتشكيل قيادة سلاح مدفعية. واعادة تنظيم وحدات هذا السلاح بحيث تصبح ثلاثة كتائب مدفعية ميدان كاملة .

هـ - اعادة تنظيم سرايا المدرعات الموجودة حالياً بحيث تشكل منها كتيبة مدرعات وتشكل بنفس الوقت كتيبة مدرعات أخرى من الأسلحة الجديدة .

و - تشكيل كتيبة دبابات لتكون نواة لتشكيل اللواء المدرع .

ز - تشكيل كتيبة هندسة ميدان كاملة جديدة .

ح - يعاد تنظيم قيادة الفرقة بفروعها المختلفة وملاكها من ضباط الركن .

ط - كما تقرر تشكيل سلاح الجو الملكي الذي كان عبارة عن نواة صغيرة من بضعة طائرات خفيفة من نوع (أوستر) غير مسلحة كانت تستخدم في اعمال ملاحظة المدفعية .

وعندما عدت الى قيادة الفرقة بعد تخرجي من كلية الأركان في بريطانيا بتاريخ ١٠

كانون ثانى عام ١٩٥٠م كانت التعليمات التنفيذيه لإعادة التنظيم هذه قد وصلت من قيادة الجيش قبل يومين. وكان علينا أن نبدأ بتنفيذها حالاً، ولقد كان حجم العمل المطلوب منا في هذا المجال ضخماً ولا سيما في البداية حيث لم يكن يتوفر في قيادة الفرقة من ضباط الأركان المدربين سوى ثلاثة هم :

الركن الأول للعمليات - القائد جون داونز

الركن الثانى للعمليات - وكيل القائد صادق الشرع

الركن الأول للإدارة - وكيل القائد جونز

وقد ظهرت لنا ضخامة حجم المشكلة عندما وضعنا التفصيلات التنظيمية لكافة الوحدات واتضح اننا سنحتاج الى حوالي الف ضابط جديد من مختلف الرتب لملىء الشواغر المطلوبة . ومن الطبيعي ان الغالبية العظمى من هذا العدد ستكون من الضباط العرب . والصعوبة هنا تكمن في إمكانية تدبير هذه الاعداد من الضباط خلال فترة زمنيه محدوده . لا سيما وانه لم تكن لدى الجيش العربي في ذلك الوقت كلية مرشحين يمكنها تخريج اعداد كبيرة في دورة واحده. وحتى لو وجدت فإن المطلوب من الضباط يتضمن كافة الرتب من ملازم ثانى حتى وكيل قائد بأعداد كبيرة. ولا يمكن ملئ هذه الشواغر بالمرشحين فقط. ولمواجهة هذه المشكلة عمدنا إلى توفير أكبر عدد ممكن من الضباط عن طريق الترفيع من بين صفوف ضباط الصف المؤهلين والإسراع بتدريب أعداد أكبر بدورات المرشحين. وبنفس الوقت اعتمدنا الموازنات المخفضة مؤقتاً لكي نتمكن من ملئ الشواغر الممكنة عملياً بالأعداد الضرورية فقط .

كما عمدنا بنفس الوقت الى إجازة تسليم المراكز المختلفة الى ضباط تقل رتبهم عن الرتبة المطلوبة بميزانية التنظيم للإستفادة من جميع الضباط من كافة الرتب المتيسره .

لقد أجملت هذه المشكلة ببضعة سطور لأنه لا مجال للتفصيل هنا. ولكنها كانت فعلاً مشكلة ضخمة تشكل تحدياً هائلاً بالنسبة لنا لا سيما ونحن نريد تنفيذ عملية اعادة التنظيم هذه وتشكيل الوحدات الجديدة ضمن أقصر فترة زمنية ممكنة. ولقد تطلب هذا الأمر منا جهوداً هائلة حيث كنا نواصل العمل ليلاً ونهاراً ونسابق الزمن لكي نتمكن من إنجاز جميع الاعمال المطلوبة منا بأقصر وقت ممكن .

وعلى الرغم من كل الصعوبات فقد تمكنا من إنجاز جميع التنظيمات الهيكلية للوحدات المنوي استحداثها وكل ما يتعلق بها من جداول الاركان والموازنات المخفضة التي قررنا

العمل بموجبها. كما وضعنا جميع طلبيات الاسلحة الاسنادية وذخائرها ومستلزماتها وبدأنا تدريجياً بإبراز هذه التشكيلات إلى حيز الوجود حسب توفر الامكانيات .

وعندما وصلتنا أول شحنة من الدبابات وكانت من نوع فالنتاين (Valentine) ومعها عدد من دبابات الارشر (Archer) التي تحمل مدفع عيار ١٧ رطل مضاد للدروع تكفي لتشكيل كتيبة دبابات قمنا فوراً بتشكيل قيادة السلاح المدرع . كما شكلنا قيادة سلاح المدفعية عندما حصلنا على بطاريات إضافية من مدافع الميدان تكفي لتشكيل أول كتيبة مدفعية ثم اتبعناها بتشكيل سلاح الهندسة. وقد أصبحت هذه القيادات جميعها مرتبطة بقيادة الفرقة. ثم سحبنا جميع المدرعات من كتائب المشاة والحقناها بكتائب المدرعات التي تم تشكيلها. وهكذا أصبحت كتائب المشاة مكونة من سرايا المشاة المعتادة ومنتظمه ضمن الألوية الثلاثة. ثم الحقنا مع كل لواء ملاكه من الخدمات مثل اسعاف الميدان ومشغل الميكانيك وسرية نقليات اللواء. أما الأسلحة الاسنادية كالمدفعية والدروع والهندسة فسوف تلحق مع اللواء عند الضرورة وحسب متطلبات الواجبات التي يقوم بها ذلك اللواء وتوضع، أما تحت الأمر أو بالإسناد حسب الحاجة .

أما التطبيق العملي لهذه التنظيمات فقد استغرق وقتاً أطول بكثير مما توقعنا وحسب الامكانيات المتاحة. وأما تدريب التشكيلات المختلفة بعد استحداثها وخصوصاً بالنسبة للأسلحة المساندة فقد استغرق أكثر من سنتين حتى وصلت هذه التشكيلات إلى المستوى المطلوب من الكفاءة الحربية في الميدان .

- تطورات في قيادة الفرقة :

في أواخر شهر آذار عام ١٩٥٠م انتقلنا بقيادة الفرقة من معسكرها المؤقت شمال مدينة أريحا إلى مقرها الدائم في مدينة رام الله وأخذنا نستعد لإجراء تنقلات الوحدات إلى مواقع التدريب حسب خطة إعادة التنظيم وإجراء التنقلات اللازمة بين الضباط وضباط الصف والجنود من الوحدات الحالية إلى الوحدات المستحدثة والتي سيتم تشكيلها بموجب الخطة العامة الموضوعة لهذه الغاية .

ومما ساعدنا في تخفيف حدة النقص الهائل بعدد الضباط بحسب متطلبات التشكيلات الجديدة قيام قيادة الجيش بتأسيس مدرسة المرشحين وإفتتاح أول دورة فيها في عام ١٩٥٠م فأصبح بإمكاننا أن نحصل على اعداد لا بأس بها من الضباط الصغار للوحدات الجديدة بعد دوره الأولى الأمر الذي سوف يسهل مهمتنا في قيادة الفرقة

لبناء الوحدات الجديدة. ورغم ان افتتاح مدرسة المرشحين جاء متأخراً مدة خمسة عشر سنة على الأقل لكنه أفضل من لا شيء .

وفي أواخر هذا العام حضر الجنرال (السير برايان روبرتسون) القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط بزيارة الى الأردن وحضر لزيارتنا في قيادة الفرقة ومعه قائد الجيش الفريق كلوب. وقد عقد معنا إجتماعاً مطولاً ناقشنا خلاله التفصيلات الرئيسية لخططنا التنظيمية والتدريبية اللازمة لعملية اعادة التنظيم .

ويجب أن نتذكر هنا ان بريطانيا في تلك الأيام كانت تزود الجيش العربي بالموازنة المالية والأسلحة والضباط الذين كانوا يقودون كافة الوحدات الرئيسية والفنية وبالتالي فإن قيادة الشرق الأوسط كانت تشرف بشكل واسع على الكثير من النواحي التزويديه والتدريبية والإدارية وخلافها. وفي هذا الإجتماع برزت مسألة تدبير العدد الكافي من الضباط اللازمين للمء هذه المراكز. فسألني الجنرال روبرتسون عن رأيي حول مصادر تأمين الاعداد اللازمة من الضباط العرب للمء الشواغر المطلوبة وخصوصاً من ضباط الركن. فعقبت على خطتنا التي تقضي بترفيح الضباط من بين رتب ضباط الصف من جهة وافتتاح مدرسة المرشحين من جهة أخرى بإنها سوف تعطينا معظم حاجتنا كحل مرحلي مؤقت. ولكن لا بد لنا من فتح كلية القيادة والأركان للجيش العربي لأن اعتمادنا على ارسال ضباطين كل سنة الى كلية الاركان البريطانية لا يمكن أن يلبي جميع حاجتنا من ضباط الاركان ولا سيما ان هذه الحاجة سوف تستمر بالازدياد المضطرد بحسب التوسعات في ملاك الجيش وخططنا المستقبلية. واما اذا أسسنا كلية الاركان هنا ودرسنا فيها منهاج (كامبرلي) سوف نستطيع تدريب اعداد لا بأس بها من ضباط الركن كل سنة وسوف تغطي حاجتنا في المستقبل. وعند هذا الحد قال الجنرال روبرتسون إلى كلوب باشا (معه حق) ولا مانع من أن تبدأوا بعمل الدراسة اللازمة لها وتكتبوا لنا بالموضوع. (ولكن مع الاسف فقد قدر لهذه الفكرة أن تتعثر ويتأخر تنفيذها لكثرة الدراسات والاتصالات مع القيادة البريطانية) .

وأخيراً فتحت هذه الكلية في عام ١٩٥٤م وقد عقدت بها دورة واحدة فقط تخرج منها ستة ضباط. ثم جاءت عملية الاستغناء عن الفريق كلوب وتعريب الجيش فتقرر اغلاق هذه الكلية ثم اعيد فتحها بعد فترة من الزمن وتوسعت تدريجياً حتى أصبحت كلية الاركان المتكاملة التي نراها اليوم .

وبعدما انفض اجتماعنا هذا اجتمع الجنرال روبرتسون مع الفريق كلوب واللواء لاش

لوحدهم زهاء ساعه. ويظهر انه ناقش معهما مسألة إنهاء خدمة اللواء لاش من الجيش العربي وتبديله بضابط نظامي معار من الجيش البريطاني لأنه عرف ان خبرة لاش السابقة كانت معظمها مع البوليس الفلسطيني ومنه التحق بخدمة الجيش العربي برتبة ملازم أول ثم رقي بسرعة بمختلف الرتب حتى وصل الى رتبة لواء قائد فرقة بمدة لا تزيد عن عشر سنوات .

وبعد سفر الجنرال روبرتسون اخبرني (لاش) أنه سوف يأخذ إجازة طويلة ليذهب الى انجلترا وأنه سوف يرسل استقالته من خدمة الجيش العربي من هناك. ثم بعد ذلك تم تعيين الزعيم (سام كوك) بدله. وكان كوك هذا قد وصل حديثاً من قيادة الشرق الاوسط وتسلم قيادة اللواء الأول. وجاء تعيينه لقيادة الفرقة بناء على رغبة الجنرال روبرتسون لأنه كان يعرفه شخصياً حيث سبق أن عمل في قيادته كما تقرر بنفسه الوقت تبديل الكولونيل (جون داونز) الركن الأول في قيادة الفرقة والذي انتهت مدة إنتدابه للجيش العربي بضابط انجليزي آخر في وقت لاحق. وسوف تشمل هذه التغييرات كثيراً من الضباط الانجليز على مراحل وبحسب تطور تكوين الوحدات الجديدة.

وسوف لا اتطرق لاسماء هؤلاء الضباط إلا بقدر ما هو ضروري بالنسبة لتسلسل الاحداث التي لها علاقة بهم أو لهم علاقة بها .

ولقد كان هدفي من ذكر هذا الموجز هنا ان ابرز صورة حقيقية عن الظروف التي كند نحن الضباط العرب نعيشها والصعوبات التي كنا نواجهها تحت قيادة الإنجليز سواء كان في السلم أو الحرب .

٥ - وفي قيادة الفرقة بعد أن أكملنا وضع كافة التفصيلات الخاصة بخطة التدريب العامة على ضوء التشكيلات الجديدة تقرر إعادة توزيع الأولوية بحيث يترك في الضفة الغربية لواء مشاه واحد توزع كتائبه على المناطق الرئيسية ويعتمد في عملية مراقبة خطوط الهدنة على كتائب الحرس الوطني بحسب خطة الدفاع العامة الموضوعه من قبل قيادة الجيش .

كما تقرر أن تنتقل قيادة الفرقة ولوائى المشاه الآخرين إلى الضفة الشرقية لكي تستطيع قيادة الفرقة بناء تشكيلات الاسلحة الاسنادية الجديدة والخدمات بموجب خطة اعادة التنظيم. وتقوم بتدريب الويטה وتشكيلاتها مع الاسلحة الاسنادية تدريباً متكاملأ

يشمل بالنهاية تدريب الفرقة ووحداتها كفرقة مشاة كاملة : على أن يتم تبديل اللواء المخصص للصفة الغربية بلواء آخر عندما يتم تدريبه مستقبلاً. ثم تتعاقب الألوية على إستلام مهمة الدفاع عن الضفة الغربية والتدريب بشكل دوري. وبنتيجة هذه الإجراءات تقرر إبقاء اللواء الثالث الذي كان يقوده الزعيم تيل أشتن (Teal Ashton) في الضفة الغربية كما تقرر نقله من قيادة الفرقة الى هذا اللواء كركن عسكري. اعتباراً من تاريخ ١٠ أيار عام ١٩٥١م حيث بقيت بهذه الوظيفة حتى تاريخ ١٠ حزيران عام ١٩٥٢م عندما نقلت قائداً للكتيبة الثامنة .



المؤلف في موقع المراقبة في اللطرون في عام ١٩٥١م

كان عملي في قيادة اللواء أكثر متعة من قيادة الفرقة حيث اقتضت طبيعة واجباتي كضابط ركن اللواء ان اقضي الكثير من وقتي مع الكتائب والوحدات الاخرى سواء كان ذلك في مواقعها الامامية أو في معسكراتها الخلفية. كما تضمنت واجباتي الإشراف على تدريب كتائب الحرس الوطني المحلية بالإضافة الى متابعة حوادث الحدود وزيارة كافة القرى الامامية في المناسبات المختلفة وللتفتيش على تدريب ونشاطات افراد الحرس الوطني التابعين لهذه القرى ضمن كتائب الحدود .

وهكذا وبعد انتقال قيادة الفرقة الى الضفة الشرقية بقي اللواء الثالث وحده

مسؤولاً عن الدفاع عن الضفة الغربية. وكنا نعتمد الى حد كبير في مراقبة الحدود على وحدات الحرس الوطني من كتائب الحدود في القرى الامامية والتي كان يقودها ضباط صف من الجيش وكانت مهمتها الدفاع عن قراها عند وقوع الاعتداء عليها وإنذار الوحدات العسكرية عن تحركات القوات الإسرائيلية بأسرع وقت وبدون أي تأخير .

كما كنا نعتمد على الكتائب المحلية التي كانت تشكل من سكان القرى الخلفية بحيث يمكن جمعها وتركيزها بمواقع دفاعية على محاور تقدم العدو لتخوض مغه معركة

موضعية لاعاقة تقدمه فترة من الزمن ريثما تتمكن الوحدات النظامية من القيام بالهجوم المعاكس ضد العدو حسب الخطة العامة الموضوعه لهذه الغاية وقد كنت أكرس الكثير من وقتي لوضع خطط وبرامج التدريب لوحداث الحرس الوطني كما كنت أزور هذه الوحدات في القرى ومعسكرات التدريب والتفتيش على مواقعها الدفاعية. وكان هدي الاستفادة من أشهر الصيف لتنفيذ أكبر عدد من المشاريع التدريبية خلالها. لاسيما وأن الحالة العامة على الخطوط الأمامية كانت تمر بفترة من الهدوء شبه مستقرة .

تأسيس الحرس الوطني

١ - خطوط الهدنة :

بعد الموافقة على الهدنة الثانية تم التوقيع على اتفاقيات الهدنة الدائمة بنتيجة المفاوضات التي جرت في جزيرة رودس بين الوفود العربية والاسرائيلية تحت إشراف نائب الوسيط الدولي الدكتور (رالف يانش) تلك الاتفاقيات التي عرفت منذ ذلك الوقت بإسم (اتفاقيات رودس). ومهما حاولنا ان نجد للمفاوضين في رودس اعداراً ومهما حاولنا ان نلقي عليهم من لوم فإن هذا أمر لا يقدم ولا يؤخر من حيث النتيجة. لأن هنالك حقائق واضحة لا يمكن تجاهلها واخطاء خطيرة نتجت عنها. وما يعنيها هنا هو الاتفاقية الاردنية الاسرائيلية وما تمخضت عنه من مشاكل عانينا منها سنين طويلة. فهناك مثلاً الخرائط التي رسمت عليها خطوط الهدنة وقد نظمت بشكل لا يدل على أي قدر من الإكتراث والمسؤولية. فالخرائط التي استعملت كانت من قياس غير مناسب أبداً لهذه الغاية. لأن الخط حتى لو كان عادياً رقيقاً إذا رسم عليها سوف يعني مساحة كبيرة على الارض. ومع ذلك فقد رسمت خطوط الهدنة على هذه الخرائط بخط عريض مما يجعل المساحة التي يغطيها على الخارطة تعني مساحة كبيرة جداً على الارض نسبة لهذا القياس من الخرائط. وقد ازداد الأمر تعقيداً في داخل المدن وخصوصاً في مدينة القدس حيث كنا نجد في بعض الاماكن أن بيتاً بكامله يطمسه خط الهدنة العريض. الأمر الذي كان ينتج عنه مشاكل كثيرة حول تقرير مصير هذا البيت حيث كان اليهود يضرون على أنه يقع بداخل حدودهم وبالمقابل نصر نحن على أنه بداخل حدودنا وفي أحسن الحالات كان مراقبو الهدنة يضعون حلاً وسطاً أما بلن يعتبروا أن هذا البيت يقع بداخل المنطقة الحرام أو يقرروا مبادلتة بشيء آخر . وفي كلتا الحالتين نكون نحن الخاسرون. ومما زاد في تعقيد الأمور كذلك أن الخرائط الرسمية التي جرى التوقيع عليها وأصبحت فيما بعد هي المرجع الوحيد لحل جميع المشاكل المتعلقة بالهدنة كانت قد نظمت على نسخة اصلية

من هذا القياس واحده لكل طرف من أطراف النزاع. وكأن هؤلاء المفاوضون لم يكونوا يقدررون وقتئذ مدى الصعوبات والمشاكل التي ستنشأ عن وجود نسخة واحده من هذه الخرائط وبهذا القياس. مع الأخذ بعين الاعتبار ما تعرضت له من الاهتراء من كثرة الاستعمال مع مرور الزمن مما أدى الى ارتباكات وتشوهات في شكل خط الهدنة المرسوم عليها والذي هو عريض أصلاً مع كل ما يعنيه هذا الأمر من ضياع ممتلكات السكان .

٢ - ينتيجة اتفاقيات رودس خسرت قرى كثيرة معظم اراضيها الزراعية التي تركها خط الهدنة في جانب اسرائيل. وفي عدد من الحالات خسرت تلك القرى جميع اراضيها ولم يبق لدى سكانها سوى بيوتهم. ولقد كان هذا الخط عجباً حيث لم يكن وضعه يتناسب مع حالة سكان القرى وحاجاتهم المعيشية. ففي بعض الحالات نجد أن القرية بكاملها تقع بداخل منطقتنا بينما يقع بئر الماء الوحيد الذي يزود سكانها بماء الشرب قد ترك بالمنطقة المحتلة. وفي حالات اخرى نجد بناية بكاملها بداخل منطقتنا ودرج البناية أو قسم من غرفة من البيت تقع بداخل المنطقة المحتلة. وفي بعض الحالات نجد أن خط الهدنة يقسم القرية إلى نصفين بحيث نجد أن بعض العائلات قد انقسمت الى قسمين بعضها عندنا وبعضها الآخر في المنطقة المحتلة. وهكذا أصبح سكان هذه القرى الذين فقدوا جميع اراضيهم ومصادر رزقهم لاجئين ولكن بداخل بيوتهم وقراهم، كما كانت هنالك قرى كثيرة لها علاقات زراعية وغيرها مع سكان القرى التي فصلها خط الهدنة الذي رسم في جزيرة رودس واصبحت بداخل المنطقة المحتلة. وبالإضافة لهذا فقد وجد في الضفة الغربية عدة مخيمات للاجئين يتجمع فيها مئات الألوف من السكان الذين فقدوا قراهم وجميع ممتلكاتهم وأصبحوا لا يملكون أية وسيلة للعيش سوى المؤن الثقيلة التي تقدمها لهم وكالة الغوث وهم يعانون من ضنك العيش ومحنة الضياع .

٣ - كذلك بنتيجة اتفاقيات رودس وجدت على طول خط الهدنة رقاع من الارض تركت بين خطي الدفاع المتقابلين سميت مناطق حرام وهي ساحات فاصلة بين الطرفين ولا يسمح لأي منهما بدخولها. وهي بحسب مفهوم اتفاقيات رودس لا تعود لأي طرف. والغاية من وجودها ان تكون حاجزاً في بعض المناطق الحساسة مثل منطقة اللطرون. كما وجدت في مدينة القدس مناطق أخرى ذات صفة تختلف عن مناطق الحرام حيث أنها وجدت بموجب اتفاقيات خاصة وضعت من أجلها وسميت مناطق مجرده من السلاح مثل منطقة جبل سكوبس حيث تقع هداسا والجامعة العبرية. وبالإضافة لهذا وجد نوع

آخر من هذه المناطق وهي ما عرف باسم منطقة تحت إشراف دولي مثل منطقة جبل المكبر التي استقرت فيها قيادة المراقبة الدولية وهي منطقة ذات طابع خاص حيث وضعت لها اتفاقية مستقلة تسمح للسكان الأصليين الذين كانوا يسكنونها من الطرفين بالبقاء في مناطقهم الأصلية والعيش بداخلها بحرية كل في الجانب الذي يخصه .

أما المنطقة التي تقع فيها بناية دار الحكومة وأصبحت مقراً لرئاسة المراقبة الدولية وهي محاطة بالأسلاك الشائكة ولا يسمح لأحد بدخولها إلا بموافقة خاصة من المراقبين الدوليين. وبالإضافة إلى كل هذه المشاكل يجب ان لا ننسى خسارتنا لمنطقة المثلث التي اشترت لها سابقاً .

٤ - التسلل الى المنطقة المحتلة :

لقد كانت الأوضاع التي نتجت عن اتفاقيات رودس والتي شرحتها بأعلاه من أهم الأسباب التي أدت إلى بدء عمليات التسلل عبر خطوط الهدنة الى الأراضي المحتلة. ورغم أن عملية التسلل هذه هي في الحقيقة نوع من الخطر الذي يجب أن لا نسقطه من حسابنا ورغم أن المتسللين يكونون سليمي النية في معظم الحالات ويتسللون بقصد الفائدة المادية لكنه قد يدخل بينهم بعض الناس تحت ستار التسلل البريء وهم في الحقيقة إما عملاء للعدو ينقلون له المعلومات الخطيرة عن قواتنا ومراكزنا الحساسة (وقد حدث فعلاً انه تم إكتشاف عدة شبكات تجسس من هذا النوع). أو انهم يقومون بتهريب المواد الغذائية لليهود تحت ستار انهم يهربونها للسكان العرب هناك. وكذلك تم إكتشاف عدة شبكات مهمتها تهريب اعداد كبيرة من الأبقار والمواد التموينية الاخرى لحساب تجار من اليهود. هذا بالإضافة الى أن العدو لم يكن يتهاون مع المتسللين إلا الذين له علاقة معهم. أما باقي المتسللين فقد كانت دورياته تقتلهم رأساً حال إكتشافهم. وقد خسر الكثيرون حياتهم دون ان يحققوا غاياتهم التي تسللوا من أجلها .

ولهذا فإن عملية التسلل بحد ذاتها كانت مضرّة لجميع الأطراف وكان يجب ايقافها حفاظاً على سلامة المتسللين انفسهم وصيانة للأمن الداخلي والاقتصادي. أما الأسباب التي كانت تدفع الناس للتسلل فهي كما يلي :

١ - إما لزيارة أقاربهم وممتلكاتهم. لاسيما وانه بنتيجة النزوح القسري الذي حصل على عجل اثناء الحرب نجد انه في حالات كثيرة قسّمت العائلة ذاتها واصبح قسم منها في المنطقة المحتلة والقسم الآخر عندنا فمثلاً في بعض الحالات يكون الرجل في

الأردن وزوجته وأولاده في المنطقة المحتلة أو العكس. وفي مثل هذه الحالات فإن أول ما يخطر ببال هذا الإنسان هو أن يذهب لزيارة عائلته وذويه ليستطلع إخبارهم ولكي يحضر بعض النقود أو العوائد من املاكه التي تركها هناك فيصبح بهذا الشكل متسللاً ويشكل خطراً على إسرائيل بنظرهم. وفي كثير من الحالات كان يفقد حياته

ب - إن حالة اللاجئين المزرية في المخيمات وطريقة حياتهم التي هي أسوأ من حياة البطالة والبيؤس والعوز والفراغ كانت أكبر دافع لهم على التسلل للحصول على ما يمكن أن تصل إليه أيديهم من ممتلكاتهم التي تركوها في المنطقة المحتلة لكي يستعينوا بما يحصلون عليه في معيشتهم. وهؤلاء يعتبرون بمنطق اتفاقيات الهدنة متسللون. وكثيراً ما كانوا يفقدون حياتهم في سبيل ذلك .

ج - لقد كان من بين اللاجئين الكثير من المنكوبين الذين فقدوا عزيزاً من أبنائهم أو أحد أفراد عائلتهم قتله اليهود أثناء الحرب أو بعدها. ومنهم من فقد معظم أفراد عائلته أو جميعهم بنتيجة المجازر الوحشية التي ارتكبتها اليهود مثل مجزرة دير ياسين وغيرها فهو لهذا السبب ورغم حياة الشقاء التي أصبح يعيشها بقي تواقاً للانتقام من قاتليهم. ولذلك فإنه كان يتسلل لداخل إسرائيل لهذه الغاية فقط .

ولكن مع الأسف فإنه في حالات كثيرة كان هؤلاء الرجال يقعون في كمين أو تصادفهم دورية فتفاجئهم ويفقدون حياتهم بسهولة قبل أن يكونوا قد تمكنوا من تحقيق غايتهم أو يصلوا الى أهدافهم .

أما إذا استعرضنا حالات التسلل هذه فإننا نجد دوماً من جانب واحد أي من الجانب العربي الى الجانب الإسرائيلي. ولم يصدف أن تسلل أحد من اليهود الى المنطقة العربية إلا إذا كان قد ضل طريقه أو قصد الهرب من إسرائيل وهذه حالات نادرة. ولذلك فقد جعل اليهود من قضية التسلل هذه ذريعة ضدنا في المحافل الدولية وكسبوا كثيراً من العطف العالمي رغم أنهم هم الذين كانوا يقتلون المتسللين ويشنون الغارات الانتقامية على القرى العربية الامامية. ولم يحاول احد أن يفهم الأسباب الدافعة لعملية التسلل من الناحية الانسانية والاجتماعية والحياتية. وتجاه هذا الواقع المرير فقد كنا في حيرة حول كيفية التعامل مع هذه الحركة. فمن جهة كنا نتعاطف مع هؤلاء المتسللين ونتفهم دوافعهم ونود لو أنهم يستطيعون تحقيق غاياتهم بنجاح .

ومن جهة أخرى كنا نعرف مدى الخطر الذي كانوا يتعرضون له أثناء محاولاتهم تلك.

وكذلك مدى التهديد الأمني الذي تشكله عملية التسلل ضدنا والمكاسب التي يحققها العدو عن طريق عملائه الذين كان يجندهم من بين المتسللين انفسهم مما كان يتطلب منع عملية التسلل حفاظاً على حياة المتسللين وصيانة للأمن الداخلي والاقتصادي ولحرمان العدو من المكاسب التي كان يحققها من عملية التسلل .

ورغم ان هذا كان قراراً صعباً لكنه في النهاية كان هو القرار الذي فرض نفسه على الحكومة وقيادة الجيش فاتخذوه رغم انه بالنتيجة لم يستطع منع أو إيقاف عمليات التسلل نهائياً ولكنه خففها كثيراً : وسأستعرض فيما يلي كيفية تطور عمليات التسلل هذه وكيفية مواجهة اعتداءات اليهود على قرى الحدود بسببها .

٥ - ومع استمرار حركة التسلل هذه قام الاسرائيليون بتغيير اسلوبهم في مواجهة المتسللين فبدلاً من إخراج الدوريات العسكرية ضمن مناطق سيطرتهم لمطاردة المتسللين اخذوا يرسلونها عبر خطوط الهدنة الى داخل مناطقنا حيث كانت في البداية تتقدم دورية صغيرة بحجم حظيرة مشاه ولا تزيد عن عشرة جنود لتدخل الى قرية نائية وبعيدة عن مواقع الجيش فتطلق النار على من تصادفهم من السكان أو ترمي قنبلة بداخل بيت فتقتل معظم الموجودين فيه والذين يكونون في غالب الأحيان نيام. ثم تختفي عبر خط الهدنة ثانية. ولما كانت هذه العمليات الخاطفة لا تستغرق وقتاً طويلاً نظراً لقرب القرى الامامية من خط الهدنة فإن قوات الجيش العربي كانت في غالب الأحيان تصل متأخرة بعد أن يكون العدو قد نفذ عملياته وانسحب. ولمواجهة هذه الحالة الجديدة وجدت القيادة أن الضرورة تقضي بتسليح سكان القرى الامامية التي تقع ضمن نطاق عمق ثلاثة كيلومترات على طول خط الهدنة ليتمكنوا من الدفاع عن انفسهم عندما يتعرضون للاعتداء وليصمدوا في وجه الهجوم المعادي مدة كافية حتى تصلهم النجدة. وقد وزعت الاسلحة والذخائر في البداية على القرى بواسطة المخاتير وكانت اعدادها تختلف من قرية الى أخرى حسب عدد السكان. وبالنتيجة فقد اقتضت الضرورة تدريب السكان على استعمال هذه الاسلحة لكي يتمكنوا من استعمالها بكفاءة وفعالية وإلا انعدمت الفائدة من توزيعها .

وعلى هذا الأساس تم توزيع عدد من ضباط الصف المدربين ليقوموا بهذه المهمة. وقد سميت كل قرية (موقع) ووضع في كل موقع ضابط صف أو أكثر حسب حجمه وقد اعتبر ضابط الصف هذا قائداً للموقع وعليه بالإضافة الى تدريب السكان على استعمال الاسلحة تقع مسؤولية تنظيم الدفاع عن القرية وحفر الخنادق الدفاعية حولها وتوزيع

المسلحين على هذه الخنادق وإن يقود عملية مقاومة العدو المهاجم ومنعه من دخول القرية حتى تصلها نجدة الجيش أو يتمكن من صد الهجوم. ولكي تصبح هذه العملية منظمة رؤي أن تحدد واجبات ومسؤوليات هؤلاء المسلحين. فتوصلنا الى إيجاد تسمية لهذه القوة التي اخذت تتزايد باستمرار حسب الحاجة التي كانت تملئها علينا زيادة تحركات العدو واعتدائه على القرى الامامية فسميناها (الحرس الوطني). ولكي نحدد لها مسؤولياتها ونضفي عليها الصفة الشرعية تم سن قانون الحرس الوطني الذي جعل الخدمة فيه الزامية ضمن شروط حددها القانون. ومع مرور الزمن اخذت تتبلور لدينا تدريجياً مسألة تنظيم وتشكيل وحدات الحرس الوطني .

٦ - كانت الفكرة الأولية لدينا أن تكون الوحدة الأساسية في الموقع هي الحظيرة وإن يكون قوامها عشرة مسلحين. وكانت بداية التسليح تقتصر على البنادق والرشاشات والقنابل اليدوية بحيث تكون الحظيرة مسلحة بثمانية بنادق ورشاش واحد. ويقود هذه المجموعة قائد من أفضل شباب القرية مقدرة وقوة شخصيه. وقد كان هذا الترتيب الذي اتبعناه قبل وضع نظام الملابس والرتب. وقد كانت القرية (الموقع) تحتوي على عدد من الحظائر حسب حجمها وعدد سكانها .

بعد هذه المرحلة اقتضت الضرورة أن نتقدم بتنظيم حرس قرى الحدود خطوة اخرى. وبعد ارتفاع مستوى التدريب بدأنا بتنظيم الفئات. وقد كان يقود هذه الفئات ضباط صف وضباط من الجيش. وأما الأفراد فكانوا بملايسهم المدنية. ثم أضفنا بعض الاسلحة الاخرى في المواقع فوضعنا مع كل فئة مدفع مورتير ٢ انش ومدفع بيات (PIAT) ضد الدروع. كما وضعنا جهاز لاسلكي في القرى النائية يديره جنود من الجيش.

وبهذه الاثناء قامت كتائب الجيش كل في قطاعها بتنظيم دورات لتدريب ضباط صف من ابناء القرى لكي يصبحوا قادة حظائر. كما أدخل عدد من الشباب المتعلمين الذين اظهروا كفاءة في التدريب مع الحرس الوطني الى دورات المرشحين في الكلية الحربية ليصبحوا قادة فئات .

وبعد فترة أخرى ومع تزايد أفراد الحرس الوطني وتحسن مستوى تدريبهم بدأنا بتشكيلهم بمستوى السرايا في القرى الكبيرة التي يتوفر من سكانها عدد يساوي سرية. كما زدنا عدد أجهزة اللاسلكي في القرى واضفنا الى تسليحها مدافع المورتير عيار (٣ انش) في القرى الكبيرة .

وكان تخطيطنا للمستقبل هو ان ننظم وحدات القرى الحدودية هذه بشكل مجموعات بحيث تصبح كل مجموعة قرى متقاربة تشكل كتيبة يقودها ضابط من الجيش ويتم تزويدها بأجهزة الاتصالات اللازمة لضمان تساندها والسيطرة على منطقتها. وقد كانت الخطة تتضمن تشكيل ١٣ كتيبة من هذه الكتائب الامامية على طول خط الهدنة في الضفة الغربية. وقد تم تحقيق هذه الخطة فيما بعد وسميت هذه الكتائب (كتائب حدود).

٧ - بعد إكمال تنظيم الحرس الوطني في قرى الحدود الى هذا المستوى بدأت مرحلة تدريب سكان القرى الخلفية وكان هذا التدريب يتم في معسكرات معينة يجتمع فيها المكلفون من القرى البعيدة عن خط الهدنة ويتم تدريبهم خلال مدة الدورة السنوية ثم يعادون الى قراهم عندما لا تستدعي الحاجة إبقاءهم مدة أطول. وأما إذا كانت الحاجة تستدعي بقاءهم في الخدمة بعد مدة التدريب فقد كانوا يتقاضون رواتب اثناء مدة خدمتهم ولقد جرى تشكيل كتائب الحرس الوطني من هذه القرى الخلفية بتنظيم مماثل لتنظيم كتائب المشاة النظامية في الجيش ما عدا النقلات. وقد كانت تخصص مجموعة القرى التي تتشكل منها الكتيبة بحيث يتناسب موقعها الجغرافي وعدد سكانها لكي تشكل منطقة دفاعية مناسبة وبنفس الوقت يمكن أن يتوفر من سكانها الاعداد اللازمة لتشكيل كتيبة كاملة. فمثلاً كان يؤخذ من القرية الصغيرة فئة ومن القرية الكبيرة فئتين فتعتبر سريه من قريرتين. وهكذا يجمع عدد من القرى القريبة من بعضها لتكفي لتشكيل كتيبة كاملة. وقد نظمت جميع كتائب الحرس الوطني من هذه القرى الخلفية على أساس الموقع الجغرافي. واعطيت لها ارقام أصبحت تعرف بها. كما كانت تصرف لجنودها ملابس عسكرية كاملة خاصة بالحرس الوطني. وصرفت الاسلحة لهذه الكتائب بالأنواع والاعداد التي كانت تسليح بها كتائب المشاة في الجيش العربي. إلا أننا لم نتمكن من توفير وسائل النقل الكاملة للحرس الوطني نظراً لعدم توفر الاموال اللازمة ولهذا فقد كانت تعتمد على نقلات الجيش المتواجده في مناطقها حسب الحاجة وقد سميت هذه الكتائب (كتائب محليه). وقد كان التخطيط يتضمن تشكيل (٣٠) كتيبة من هذه الكتائب على المحاور الدفاعية الرئيسية وتم ربطها بأمره قيادات الألوية للأغراض الحربية والتدريبية . وبعد ذلك تم تشكيل قيادة عامة للحرس الوطني مسؤولة عن جميع النواحي الإدارية والتنظيمية يقودها ضابط كبير من الجيش ويرتبط بقائد الجيش مباشرة ويتعاون مع قيادة الفرقة وقيادات الألوية للتنسيق بالمسائل الحربية والتدريبية للحرس الوطني .

٨ - أما دور الحرس الوطني في الدفاع عن الحدود فقد كان يتلخص بما يلي :

أولاً : كتائب الحدود تكون مسؤولة عن الدفاع عن القرى الأمامية التي تسكنها هذه الكتائب ومهمتها المقاومة الأولية في حالة وقوع الاعتداءات المحلية لاعاقة العدو لأطول مدة ممكنة حتى تتمكن قوات الجيش من الوصول الى المكان والتدخل في المعركة. وفي حالة وقوع الحرب الشاملة وتقدم قوات العدو بهجوم رئيسي تبقى واجبات هذه الكتائب محاولة التأثير على قوات العدو وإعاقتها بقدر الامكان ثم التحول للعمل خلف قواته لإيقاع أكبر الأضرار الممكنة بها حسب تطور المعركة .

ثانياً : الكتائب المحلية تأخذ مواقع دفاعية على محاور تقدم العدو في مناطقها عند وقوع الهجوم الرئيسي لإعاقه على تلك المحاور لأطول مدة ممكنة بينما تتمكن قوات الجيش من تنفيذ هجومها المعاكس ضد العدو حسب الخطة العامة للجيش .

وبهذه الطريقة أمكن تجميع ألوية الجيش بمواقع مناسبة كإحتياطي رئيسي متحرك. واعتمد في الدفاع في القطاعات المختلفة على كتائب الحرس الوطني (المحلية) يعززها عدد محدود من كتائب الجيش النظامية .

لقد أحببت أن أذكر هذا الموجز عن كيفية تشكيل وتدريب الحرس الوطني نظراً لما كان له من أهمية خاصة في تلك الأيام حيث كان بعد اكتماله قوة لا يستهان بها يمكنها تقديم مساندة هامة للقوات المسلحة في الدفاع عن البلاد بحيث تستطيع اعتراض تقدم قوات العدو على المحاور المختلفة في حالة قيامها بهجوم عام على المملكة الأردنية الهاشمية وتأخير تقدمها لفترة محدودة يمكن خلالها لقطعات الجيش ان تحتشد بالمواقع الهامة لتوجيه الضربة المعاكسة ضد العدو حسب الخطة الموضوعة مسبقاً .

ولقد واكبت عملية تأسيس الحرس الوطني منذ بدايتها عندما كنت أشغل منصب الركن الثاني للعمليات الحربية في قيادة الفرقة وكان من ضمن مسؤولياتي الإشراف على تنظيم وتدريب وتزويد هذه القوات في مختلف مراحلها. كما إني في وقت لاحق استخدمت ودربت كتائب الحرس الوطني في مختلف المناطق عندما كنت قائداً للكتيبة الثامنة. ولقد عملت قائداً عاماً للحرس الوطني من تاريخ ٢٤ أيار عام ١٩٥٥ حتى تاريخ ٢٣ أيار عام ١٩٥٦ م. وتمكنت خلال هذه الفترة من تطوير تدريب وتسليح كتائب الحرس الوطني بنوعيتها وتنظيم دفاعاتها على مختلف المحاور في الضفة الغربية بالتنسيق مع قيادة الفرقة وقادة الألوية بحيث أصبحت قوات هذا الحرس تشكل قسمًا رئيسياً هاماً من خطة المعركة التي وضعت للدفاع عن المملكة .

ولقد اسفّت كثيراً عندما سمعت في مطلع عقد الستينات بعدما تركت الجيش أنه جرى حل قوات الحرس الوطني وسحبت أسلحتها رغم تلك الجهود الجبارة التي بذلها الجيش العربي وضباطه على مدى عدة سنين في تنظيم وتدريب هذه القوات .

الحرس الوطني في الخطة الدفاعية :

لقد وصل الحرس الوطني في نهاية عام ١٩٥٦م الى مستوى فعال في الميدان واصبح يعتبر قوة أساسية يعتمد عليها الجيش العربي في عملياته الدفاعية في الضفة الغربية وكذلك في المناطق الامامية من الضفة الشرقية مثل قطاع وادي الأردن وقطاع اربد في الشمال وقطاع الكرك في الجنوب. ولم تقتصر في تنظيم وتدريب الحرس الوطني على الضفة الغربية فقط حيث كان المقصود من هذا المشروع ان يتطور لكي يشمل كافة انحاء المملكة. وليصبح قوة فعالة في دعم قوات الجيش العربي في المعركة وليكون ظهيراً لها في الدفاع عن البلاد وعلى هذا الأساس فقد ادخلت كتائب الحرس الوطني بنوعيتها وبحسب مناطقها ضمن الخطة الدفاعية العامة للجيش العربي التي وضعت في نيسان عام ١٩٥٦م رغم ان عدد الكتائب المحلية لم يكن قد اكتمل بحسب خطة التنظيم عندئذ .

وقد كان توزيع تلك الكتائب على القطاعات كما يلي :

أولاً : قطاع إربد : بقيادة قائد قطاع الحرس الوطني في إربد

٢ كتيبة حرس وطني - محلية

١ كتيبة حرس وطني - حدود

ثانياً : قطاع وادي الاردن : بقيادة قائد اللواء المصفح العاشر

٢ كتيبة حرس وطني - محلية

ثالثاً : قطاع نابلس : بقيادة قائد اللواء الهاشمي (أو اللواء الذي يحل محله)

٦ كتائب حرس وطني - محلية

٥ كتائب حرس وطني - حدود

رابعاً : قطاع القدس : بقيادة قائد لواء الأميرة عاليه (أو اللواء الذي يحل محله)

٥ كتائب حرس وطني - محلية

٣ كتائب حرس وطني - حدود

خامساً : قطاع الخليل : بقيادة قائد قطاع الخليل

٣ كتائب حرس وطني - محلية

٤ كتائب حرس وطني - حدود

هذا هو المستوى الذي وصل اليه الحرس الوطني خلال فترة قيادتي له والتي انتهت بتاريخ ٢٣ أيار عام ١٩٥٦م. ولقد كانت الصعوبات التي تواجهني بهذه المهمة بشكل أساسي تنحصر في شح الموارد المالية والتي كانت تعيق الى حد بعيد عملية التجهيز الكامل للكتائب المحلية وخصوصاً بالنسبة لتوفير ما يلزمها من اسلحة إسنادية حسب الملاك المقرر للكتيبة المحلية. ولولا ما كان يقدمه الجيش لسد حاجاتها من أجهزة الاتصالات ووسائل النقل اثناء استدعائها للتدريب وما كنا نحصل عليه من المساعدات العينية مثل الخيام ولوازم المنامة والمأوى لمعسكرات التدريب ومواد الاعاشة للجنود الذين يتم استدعاؤهم لما تمكنا من تدريب هذه الكتائب المحلية بالمستوى الذي وصلت اليه عملياً. ومن الطبيعي أن الجيش النظامي كان يستفيد من كتائب الحرس الوطني عند استدعائها للخدمة وتسليمها المواقع الدفاعية الأمامية مما كان يمكنه أن يجمع قوات احتياطية من الكتائب العسكرية النظامية لاستخدامها بعملياته الحربية الأخرى. ولكن ميزانية الجيش كانت أيضاً محدودة بحيث لا يمكنها تحمل جميع متطلبات الحرس الوطني ولا سيما عندما وصل إلى هذا الحجم الضخم. وعلى الرغم من هذه الصعوبات فقد استطعنا انجاز الكثير من حيث التدريب والتجهيز بحيث أصبح من الممكن الاعتماد على كتائب الحرس الوطني (الحدود) في عمليات الدفاع عن القرى الأمامية وكذلك على الكتائب (المحلية) في المواقع الدفاعية الرئيسية المخصصة لها ضمن قطاعات الكتائب النظامية للاشتباك مع قوات العدو وإيقاف تقدمها لبعض الوقت حتى وصول القوات النظامية الضاربة وإشراكها في المعركة حسب تطورها .

حوادث الحدود :

المجمل :

- ١ - يبلغ طول خطوط الهدنة بين الأردن وإسرائيل حوالي (٦٥٠) ستمائة وخمسون كيلومتراً. كما أن عدد القرى الأمامية الواقعة على طول إمتداد خط الهدنة في الضفة الغربية من الأردن مائة وستون قرية تقع على عاتق الجيش العربي مسؤولية حمايتها .
- ٢ - كانت تواجه الجيش العربي مشكلتان رئيسيتان في مراقبة وحماية حدود المملكة هما :
 - أ - مواجهة وصد أي هجوم رئيسي قد يشنه اليهود بقصد احتلال الضفة الغربية أو المملكة الأردنية بكاملها. وهذا هو الواجب الأساسي للقوات المسلحة .

ب - حماية القرى الامامية على طول خطوط الهدنة ضد اعتداءات اليهود وغارات المتكررة باستمرار .

٣ - بما أن الأردن كان دوماً ملتزماً بعدم البدء بخرق الهدنة أو الدخول مع اسرائيل بحر واسعة النطاق فإن زمام المبادرة في كلا الاحتمالين (أ ، ب) باعلاه كان دوماً بيد الجيد الاسرائيلي .

٤ - إن قوات الجيش العربي كانت دوماً قليلة جداً بالنسبة للمسؤوليات الضخمة الملقاة ع عاتقها إذا ما قورنت بقوات اسرائيل التي كانت تزيد عن خمسة أضعاف قوات الجيد العربي .

٥ - سأقيد هنا بموضوع حماية القرى الامامية ضد اعتداءات اسرائيل المحلية فقط لأن ه هو موضوع هذا الفصل .

المواصلات والتوزيع :

إذا نظرنا الى الخارطة نجد أن المسافة بين البحر الأبيض المتوسط وخط الهدنة ضيق ومحدوده. كما أن اغلب معسكرات الجيش الإسرائيلي تقع في المنطقة الساحلية بين حيا وصرفند. ومن هذه المعسكرات يمكنهم ان يشرفوا على القرى الاردنية الامامية ضمن مسافة تتراوح من ثمانية الى عشرين كيلو متراً ولهذا فإنه كان بإمكان القوة الاسرائيلية أن تتحرا من معسكراتها ليلاً وتصل الى القرية التي تريد مهاجمتها خلال مدة ساعة واحدة ع الأكثر .

بينما نجد في المقابل ان منطقتنا واسعة والمسافات بعيدة نسبياً. بالإضافة الى أنها كلو مناطق جبلية وعرة المسالك ولا يوجد فيها سوى عدد قليل من الطرق المعبدة الجيده .

ولما كان زمام المبادرة بيد الاسرائيليين فإنه بإمكانهم أن ينتخبوا القرية التي يريدون مهاجمتها ثم يضربوها بقوة متفوقة وبسرعة خاطفة نظراً لقرب المسافة وسهولة المواصلات وتمتعهم بشبكة ممتازة من الطرق المعبده .

وبالمقابل نجد أن القائد الاردني المسؤول في المنطقة لا يبدأ حركته الا بعد وقوع الاعتداء ووصول الخبر إليه. حيث يترتب عليه عندئذ أن يرسل قوة النجدة الى تلك القرية عبر طرق ضيقه وعره في غالب الأحيان وتتحرك السيارات التي تحملها بدون أن تستعمل الأضواء العالية تجنباً لإكتشافها لأن الاعتداءات على القرى الامامية كانت دوماً تتم أثناء الليل. وعندما

تقترب قوة النجدة من منطقة القرية كانت تضطر إلى الترحل من السيارات عند نقطة بعيدة عن القرية نفسها لتجنب الوقوع في كمين أو حقل الألغام. وبعد ذلك يترتب على الجنود ان يتقدموا بحذر تحت جناح الظلام لمصادمة العدو إذا كان لا يزال في المنطقة. ومن الواضح أن عملية من هذا النوع تحتاج إلى وقت طويل لانجازها بنجاح. ولهذا فإننا نجد أنه من المتعذر على قوة الجيش أن تصل الى القرية قبل ان تكون قوة العدو المهاجمة قد دخلتها ولا سيما اذا لم تتمكن قوة الحرس الوطني في القرية من المقاومة مدة كافية لمنع العدو من دخولها حتى وصول قوة النجدة .

أساليب اليهود في الهجوم على القرى الأمامية :

في كل هجوم قام به الجيش الإسرائيلي على القرى الأمامية كان يتبع الطريقة الآتية :

أولاً : قبل البدء بالهجوم يتم ارسال مجموعات من القوة المخصصة للهجوم لتأخذ مواقع مهيمنة على جميع الطرق المؤدية الى القرية (الهدف) من داخل الاردن وتقوم هذه المجموعات بنفس الوقت بزرع الألغام على الطرق ثم تسيطر عليها بنيران أسلحتها من مواقعها الدفاعية .

ثانياً : بعد ذلك تتقدم القوة الرئيسية المخصصة للهجوم نحو القرية وتحافظ بقوة احتياطية كبيرة في الخلف لكي تسندها اذا فشلت في مهمتها. أو إذا تعرضت لهجوم معاكس وعندما تأتي قوة النجدة بسياراتها ليلاً أثناء المعركة فإنها ستقع أولاً في حقل الألغام ثم تشتبك مع القوة الإسرائيلية الساترة التي تسيطر على موقع الحقل وتضطر لخوض معركة فرعية تؤخرها عن الوصول الى القرية للإشتراك في المعركة الدائرة فيها بينما تتمكن القوة الاسرائيلية الرئيسية من إنهاء مهمتها خلال هذا الوقت .

أما إذا كانت القوة الاردنية تريد تجنب الوقوع في الكمين للوصول الى القرية مباشرة فإنها ستكون مجبرة على الترحل من سياراتها على بعد بضعة كيلو مترات عن القرية ثم تقطع هذه المسافة ليلاً في المسالك الوعرة سيراً على الأقدام حتى تصل اليها وتشارك في المعركة. وكل هذه الإجراءات تستغرق وقتاً طويلاً ينتج عنه في معظم الحالات أن تصل قوة النجدة متأخرة بعد أن يكون العدو قد أنهى مهمته وغادر المنطقة .

الخلاصة :

١ - من جميع ما تقدم نتضح لنا الحقائق الآتية :

أ - أن قرب مواقع حشد الجيش الاسرائيلي ومعسكراته من القرى الامامية وتوفر شبك الطرق الممتازة لديه تجعل من السهل على قواته القيام بعمليات سريعة وخاطفة ضد هذه القرى .

ب - ما دام أن زمام المبادرة بيد الجيش الإسرائيلي فإنه يمكنه انتخاب أي قرية من بين (١٦٠) مائة وستين قرية على طول خطوط الهدنة التي يبلغ طولها حوالي ستمائة وخمسون كيلو متراً ويجعلها هدفاً لعملية اعتداء سريعة. ويمكن بهذه الحالة أن يضمن سلفاً أنه يستطيع الوصول إلى القرية وإتمام العملية والعودة إلى منطقته قبل أن تتمكن قوة النجدة من الوصول .

ج - نظراً لإتساع مناطقنا ولبعد المسافات ووعورة المسالك والطرق فإنه يتعذر على قوات الجيش في معظم الحالات الوصول الى القرى النائية التي يقع عليها الاعتداء بسرعة كافية قبل أن يتمكن العدو من ضربها .

د - ان نجاح قوة النجدة في صد القوة المعادية يعتمد إلى حد كبير على قدرة قوة الحرس الوطني في القرية على المقاومة لكسب الوقت الكافي حتى تتمكن قوة النجدة من الوصول والإشتراك بالمعركة. ما عدا في بعض الحالات النادرة التي يمكن فيها الحصول على المعلومات المسبقة بأن العدو ينوي مهاجمة قرية معينة وتتخذ الإجراءات المسبقة من الجيش لوضع قوة كافية بالقرب من تلك القرية بحيث يمكنه الاشتباك مع القوة المعادية حال وصولها للمنطقة .

٢ - وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات المشار اليها بأعلاه فإنه ليس مستحيلاً أن تتمكز قوة النجدة المرسلة من الجيش أن تصل الى القرية المهاجمة وتشارك في المعركة وتوقف الخسائر بقوات العدو وتطاردها الى خارج الحدود. وفي كل الأحوال فإن قوات الجيش كانت دوماً ترسل فوراً لنجدة أي قرية يقع عليها الهجوم مهما كان موقعها نائياً. ولكن نسب النجاح كانت تتفاوت بحسب ظروف كل حادث ومدى قرب أو بعد القرية من مواقع الكتائب العسكرية المسؤولة عن المنطقة وسرعة وصول الاخبار اليها ومدى مقاومة الحرس الوطني وطول أو قصر مدة استمرار المعركة. كما كانت نسبة النجاح كذلك تعتمد الى حد كبير على مدى فاعلية الكتائب العسكرية ونشاط وكفاءة قادتها واستعدادها المستمر للتحرك الفوري لأي اتجاه. لاسيما وأن الكتائب التي كانت موزعة في مختلف مناطق الضفة الغربية كان لديها قوة متحركة تسمى (قوة النجدة) لا تقل عن فئة مشاه مع الأسلحة المساندة. وفي بعض الاحيان تكون من حجم سرية مشاه وتفرز

لهذه القوة وسائط نقل خاصة بها بحيث تبقى جاهزة باستمرار للحركة خلال مدة عشرة دقائق الى موقع الحادث. وفي كثير من الأحيان كانت تنجح بالوصول في الوقت المناسب وفي بعض الحالات كانت تصل متأخرة. كما أنها في حالات أخرى فشلت في الوصول إلى القرية المهاجمة بسبب إهمال القائد المسؤول في المنطقة كما حدث في الهجوم على قرية (قبية) والذي سوف اعرض تفصيلاته في مكان لاحق .

٣ - أما حجم القوات الاسرائيلية التي كانت تهاجم القرى فقد تطورت مع الزمن بالنسبة لازدياد عدد الحوادث التي كان يقوم بها المتسللون العرب بداخل اسرائيل وحجمها ونوعها. حيث كانت في البداية تتألف من قوة صغيرة بحجم حظيرة مشاه تدخل المنطقة خلسة وتطلق النار على بعض الأهالي او ترمي قنبلة يدوية بداخل بيت أو تنسفه بلغم بسرعة وتنسحب. ثم أصبحت هذه الدوريات تأخذ طابع الهجوم الصغير تقوم به فئة مشاه ثم ارتفع حجم هذه العمليات وأصبحت تقوم بها سرية مشاه ثم تطور الى هجوم مركز تقوم به كتيبة مسنده او أكثر على قرية كبيرة وتحدث فيها أضراراً بالغة .

٤ - لقد دامت عمليات الاعتداءات الاسرائيلية على القرى الأمامية العربية على مر السنين. ولا مجال هنا لذكر تفصيلات جميع هذه الاعتداءات ولكني سأحاول ذكر بعض الأمثلة عن الحوادث المهمة فقط كما عرفتھا شخصياً. وسوف أكتفي هنا بذكر مجمل نتائج الحوادث الهامة التي وقعت خلال فترة زمنية محدده. وبيان مجموع الإصابات التي نتجت عنها كما وردت عندي في بعض وثائقي المكتوبة في حينها أضعها هنا كدليل على مدى خطورة هذه الحوادث على الموقف العام على الحدود من جهة وعلى الوضع السياسي السائد في المنطقة في ذلك الوقت من جهة أخرى :

أ - لقد كان مجمل الإصابات التي أوقعها العرب باليهود خلال ثلاث سنوات مأخوذه من الشكايات التي قدمها الاسرائيليون الى لجنة الهدنة كما يلي :

عام ١٩٥١ م - قتل وجرح ١١٢ اسرائيلي

عام ١٩٥٢ م - قتل وجرح ١١٦ اسرائيلي

عام ١٩٥٣ م - قتل وجرح ١١٧ اسرائيلي

وكانت معظم هذه الإصابات قد وقعت بهم من قبل قوات الجيش والحرس الوطني أثناء المصادمات على الحدود .

ب - ومن كانون ثانی حتى نهاية ايار عام ١٩٥٣ م وقع حوالي مائتي حادثة حدود على القرى والأفراد من السكان العرب قام بها اليهود. حيث كانوا بهذه الاثناء قد شكلوا



المؤلف مع اللواء عبد الحكيم عامر في نقطة مراقبة على جبل الزيتون في القدس وذلك اثناء زيارته لمواقع الكتيبة الثامنة التي كنت اقودها سنة ١٩٥٢م بعد قيام الثورة في مصر .



في الخطوط الامامية في القدس ومعني العقيد عدنان المالكي من الجيش السوري وعدد من الضباط السوريين سنة ١٩٥٢م. اثناء زيارتهم لقيادة الكتيبة الثامنة التي كنت اقودها ا ذلك الحين .

قوة خاصة لتنفيذ العمليات الانتقامية أطلقوا عليها اسم (الوحدة رقم ١٠١) وقد دربوا تدريباً خاصاً لغايات مهاجمة القرى العربية على طول خطوط الهدنة. وكان تشكيل هذه الوحدة بتخطيط من الجنرال (دايان) وموافقة بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل آنذاك للرد على عمليات التسلل وعلى اشتباكات الحدود .

تطورات الأوضاع على الحدود :

١ - لقد كانت تظهر لنا دلائل كثيرة في أواخر عام ١٩٥٢ م تشير الى احتمالات حدوث تطورات هامة في المستقبل القريب بدأت إسرائيل تخطط لها ويجب علينا مراقبتها بحذر شديد والاستعداد لمواجهةها. وعلى الرغم من كل هذه النذر كان يترتب علي أن لا أهمل مسألة التدريب ولذلك كنت أكرس الكثير من جهدي ووقتي لتطبيق برامج التدريب التي وضعتها للجند والضباط على المستويين الفردي والجماعي لسرايا كتيبي بقدر ما تسمح به الظروف والأوضاع السائدة على الخطوط الأمامية حيث كنت أحاول اغتنام فرصة الهدوء النسبي الذي كان سائداً على طول الحدود مما كان يسمح لنا بإطالة مدة الإنذار في الطوارئ وبالتالي يمكن استخدام معظم الجنود في التدريب سواء كان ذلك في مواقع سراياهم أو في قيادة الكتيبة بعقد الدورات المختلفة التي كنت أجريها في المناطق القريبة من المعسكر لرفع مستوى الوحدات القتالي. وعلى الرغم من كل ذلك فقد كنت مضطراً لتخصيص وحدة متكاملة مؤلفة من فئتين من المشاة وحظيرة مورتر (٣ أنش) وحظيرة رشاشات (فكرن) لتكون دائماً جاهزة في قيادة الكتيبة ومستعدة للحركة خلال فترة لا تزيد عن ربع ساعة بسياراتها الى أي مكان ضمن منطقة مسؤولية الكتيبة عندما يتعرض للهجوم. وقد سميت هذه القوة (قوة النجدة). وكانت تؤخذ من سرايا الكتيبة بالتناوب بحيث تتسلم هذا الواجب كل سرية لمدة شهر. ومن الطبيعي ان يشكل هذا الإجراء عبئاً ثقيلاً على السرايا الموزعة على طول الخط الأمامي على مستوى الحظائر نظراً لاتساع جبهة الكتيبة. ولكن هذا الأمر كان في غاية الأهمية لا سيما وأننا وجدنا أن قوة النجدة هذه رغم صغر حجمها قد تمكنت من التدخل في الكثير من الحوادث في الوقت المناسب ونجحت في صد قوات العدو وتكبيده خسائر متفاوتة بالإضافة الى أن تأثيرها المعنوي كان هائلاً على جنودنا في الخط الأمامي وعلى السكان الذين يتعرضون للهجوم وتصلهم قوة النجدة هذه في الوقت المناسب وتساعدهم في صد العدو. وقد كان تأثيرها في كلتا الحالتين يفوق حجمها كثيراً. وبالإضافة الى إجراءات الاستعداد المختلفة

كان علي أن أعيد النظر في جميع المواقع الدفاعية على طول جبهة الكتيبة. وقد بدأنا بتنفيذ برنامج متكامل لبناء الاستحكامات من الاسمنت المسلح لمختلف انواع الأسلحة تستوعب جميع الجنود العناملين في تلك المواقع ويضاف اليهم الاعداد التي كانت مخصصة للإلتحاق بالمواقع في حالة اعلان النفير العام. وقد كانت أكثر هذه الاستحكامات كثافة تلك التي بنيناها بداخل مدينة القدس. حيث حولنا الطوابق الارضية في جميع الأبنية الممتدة على حافة خط الهدنة الى قواعد متينة من الاسمنت المسلح من الداخل. كما اغلقنا بعض أبواب سور المدينة القديمه المقابلة لخطوط العدو بالإسمنت المسلح بسماكة السور نفسه. وقد تمكنا من إتمام هذه الاعمال خلال مدة ثلاثة أشهر .

ولقد كان هذا عملاً جباراً حققه جنود وضباط الكتيبة الثامنة بجهدهم المتواصل ليلاً ونهاراً وأصبح بإمكاننا بهذه القوات الصغيرة المنتشرة على طول خطوط الهدنة الممتدة من جنوب مدينة القدس حتى موقع اللطرون أن نصمد في وجه تقدم العدو فترة من الزمن بينما تتمكن باقي قوات الجيش من التدخل في المعركة. وقد كانت جهود جنود الكتيبة الثامنة مدعاة فخر لهم ولقاداتهم واعتزاز لي شخصياً. وأصبحوا موضع ثناء وتقدير قادة الجيش بمختلف المناسبات .

٢ - وخلال هذه الفترة بدأت الأوضاع على الحدود تتدهور تدريجياً وبدأ اليهود يكتفون دورياتهم ونشاطاتهم بشكل عام بالقرب من خطوط الهدنة. وقد برزت حالتان تنذران بتطورات وشيكة استناداً الى خبراتنا السابقة بأساليب اليهود كانت أولاهما أن مندوب اسرائيل في لجنة الهدنة اخذ يكثر من تقديم الشكاوي الرسمية ضدنا بحيث أصبحت حالة يومية تقريباً وكلها كانت تتركز على إدعائهم بقيام متسللين بالدخول الى إسرائيل من حدودنا ونهب الابقار وغيرها من المزارع اليهوديه. أو دخول المستعمرات ونهب الممتلكات المختلفة منها. أو دخول الرعاة العرب مع قطعانهم للرعي بداخل اسرائيل. وفي كثير من هذه الحالات الاخيرة كان اليهود يصادرون القطعان ويحتجزون الرعاة ثم يتقدمون بشكوى ضدنا الى لجنة الهدنة .

وثانيهما : أن حوادث إطلاق النار من المواقع الاسرائيلية على مواقعنا أخذت تزداد تدريجياً وبدون سبب واضح .

وعندما كنا نتقدم بشكوى ضد اسرائيل الى لجنة الهدنة كانوا في معظم الحالات ينكرون وقوع الحادث أصلاً ولا نستطيع نحن أن نقدم دليلاً مادياً الى لجنة الهدنة ومراقبي هيئة الأمم المتحدة لأن إطلاق النار لم يترك أثراً لأنه لم يصب أحد بجراح لكي يمكن أن

يكون دليلاً على وقوع الحادث فتصبح المسألة محصورة بكلمتنا ضد كلمتهم ويغلق موضوع الشكوى بدون إدانة رسمية. بينما تكون شكاوى اليهود ضدنا في معظم الحالات مصحوبة بدليل مادي حيث أنهم عادة يصادرون الأغنام والمواشي ويحتجزون الرعاة أو يقتلون متسللاً أو يلقون القبض عليه فتصبح شكاوهم مثبتة بالدليل المادي ويصبح من واجب مراقب الهدنة ان يأخذ قراراً ضدنا. وعلى أي حال ليس هذا هو المهم هنا وليس المقصود أن أدخل بشرح كيفية تقديم الشكوى الى لجنة الهدنة. لكنني أردت أن أشرح مسببات الحوادث لا سيما وقد علمتني خبرتي في مقارعة الاسرائيليين أنهم عندما ينوون القيام بإعتداء كبير على الحدود والوصول الى أزمة قد تؤدي الى نشوب حرب فإنهم يبدأون بالتحضير لها بخلق جو مليء بالحوادث التي يحاولون إبرازها على مسرح هيئة الأمم تدريبياً ويزيدون اعدادها لكي يظهروا كثرتها ويضخموا حجمها ويبرزوا خطورتها على مدى عدة أشهر لكي يظهروا للرأي العام العالمي وخصوصاً الأمريكي أن الوضع على الحدود أصبح خطيراً ولا يطاق ولذلك فإن اسرائيل لا تستطيع السكوت عليه. ولم يبق أمامها إلا أن تتخذ الإجراء العسكري المناسب للمحافظة على أمنها وسلامة مواطنيها. ولقد اتبعت اسرائيل هذا الأسلوب منذ قيامها عام ١٩٤٨م حتى يومنا هذا. ولقد أيدتها امريكا باستمرار في كل ما تدعيه ان كان حقاً أو باطلاً وبدون تردد. مما جعل اسرائيل تعربد في المنطقة كما تريد دون أن يردعها أحد لأن العرب بسبب تفرقهم وتناحرهم ليسوا قادرين على ردعها عسكرياً ولو استطاعوا في يوم من الأيام أن يتغلبوا عليها فإن أمريكا جاهزة لصددهم ولو بقوة السلاح. ولأن امريكا تستطيع أن تسيطر على مجلس الأمن باستعمالها حق النقض (الفيتو) فإنها تستطيع إبطال أي قرار يمكن أن يتخذ ضد اسرائيل عندما تعتدي هي على العرب. وبهذا تضمن إسرائيل تحييد هيئة الأمم المتحدة ولم يبق أمامها إذن إلا أن تضلل الرأي العام العالمي وتقنعه بأنها ضحية الخطر العربي الداهم وأنها إنما تدافع عن نفسها عندما تقوم بعمل عسكري ضد هذا الخطر حتى ولو كان عملها العسكري هذا ليس موجهاً ضد وحدات الجيش العربي وإنما ضد القرى العربية وسكانها المدنيين بهدم بيوتهم فوق رؤوسهم وهم نيام وقتلهم بشكل جماعي رجالاً ونساءً وأطفالاً بدون استثناء. وهذا النوع من الهجوم الوحشي تستطيع إسرائيل تنفيذه وحجبه عن الرأي العام العالمي باستمرار لأن اليهود في أمريكا وفي معظم بلدان العالم يسيطرون على الصحافة ومعظم وسائل الإعلام ولطالما اثبتت أساليبهم هذه نجاحاً منقطع النظير في جميع الظروف .

وتجاه هذا الوضع الذي أخذت السلطات الاسرائيلية تهيء له الظروف المناسبة وتخترع له المسببات الأساسية على الحدود كان علينا ان نضاعف استعداداتنا لمواجهة الاحتمالات المتوقعة المختلفة، وينفس الوقت كان علينا الاستمرار في التدريب على مختلف المستويات، ولقد كانت تلك فترة خطره وفي غاية الصعوبة بالنسبة لنا .

وبهذه الاثناء كنت قد ركزت جهودي على تدريب وحدات الحرس الوطني في منطقتي لكي استفيد من فئاتها الامامية بالدفاع عن قراها. كما تمكنت من إنجاز تجهيز وتدريب كتيبة حرس وطني محلية وزعتها في مواقع دفاعية بالإشتراك مع فئات الكتيبة الثامنة على الخطوط الامامية. الأمر الذي مكنتني من تقوية الخط الدفاعي من جهة ومن توفير بعض الفئات الاخرى للتدريب الجماعي والقيام ببعض المناورات المحدودة من جهة ثانية.

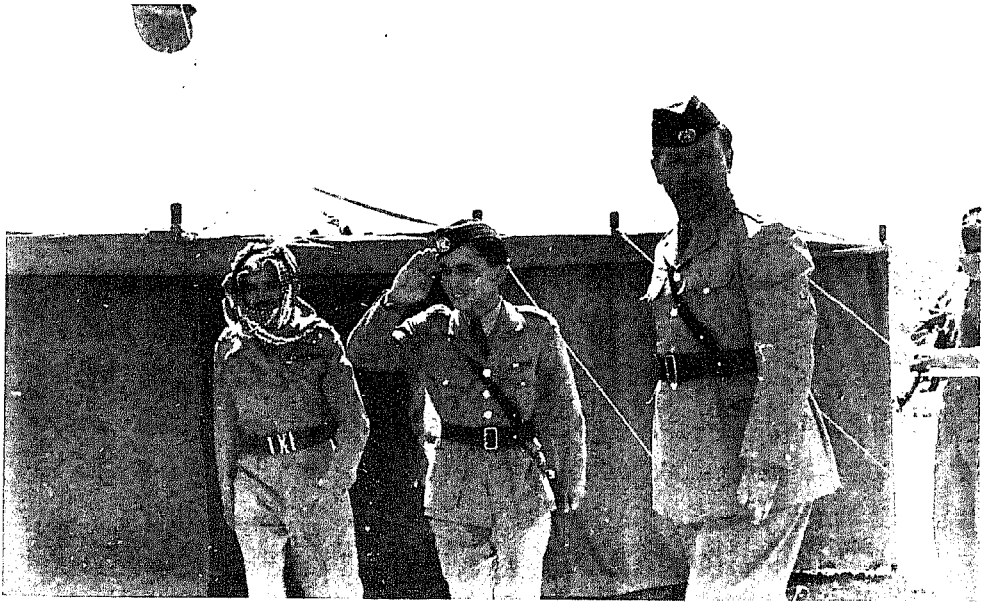
٣ - وأما على الصعيد السياسي فقد صاحب هذه المرحلة الجديدة من التوتر على الحدود بعض التصريحات والتعليقات بداخل اسرائيل وفي الصحافة العالمية عن الصعوبات الاقتصادية التي بدأت تعاني منها بشكل ملموس والتي كان سببها الرئيسي الاعداد الهائلة من المهاجرين اليهود الذين استقدمتهم اسرائيل من مختلف أنحاء العالم ضمن فترة قصيرة من الزمن ولم تعد الرقعة التي استولت عليها من فلسطين كافية لاستيعابهم. وتوفير متطلبات استيطانهم إضافة الى السكان الموجودين فيها. ولهذا فقد أصبح الوضع ينذر بالخطر لا سيما وان (بن غوريون) قال في احدى خطبه (انه على اسرائيل ان تتخذ الترتيبات اللازمة والاستعدادات المطلوبة لإستقدام مليوني مهاجر جديد من يهود الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية خلال العشرة سنوات القادمة). وهذا سوف يزيد من حجم الضائقة الاقتصادية التي تعاني منها اسرائيل .

وسوف يعني ان اسرائيل يجب أن تتوسع على حساب البلدان العربية المجاورة لتتمكن من إستيعاب هذه الأعداد الهائلة من المهاجرين. ولم يكن الاسرائيليون يخفون نواياهم التوسعية هذه بل كان قادتهم يدلون بتصريحاتهم في جميع المناسبات ويدعون الى تحقيق إسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل. وعلى الرغم من أن اسرائيل حصلت في السنة المالية ١٩٥٢م على ٩٣ بالمئة من مجموع المساعدات الامريكية الرسمية المخصصة لجميع بلدان الشرق الأوسط فإنها بقيت تعاني من أزمة اقتصادية خانقة لأن مصروفاتها الضخمة على توطين مئات الألوف من اللاجئين اليهود في الاراضي والمدن العربية التي احتلتها كانت أكبر بكثير من مواردها الذاتية. ولكن الانقاذ هذه المرة لم

يأتها من أمريكا أو من الصهيونية العالمية كالمعتاد بل جاءها من ألمانيا الاتحادية حيث رضخت للضغط الذي مارسه عليها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ودفعت مبالغ طائلة إلى إسرائيل كتعويضات عن الأضرار التي لحقت باليهود إبان حكم النازية. وفوق هذا وذاك فإنها أرادت أن تقول لليهود أن ألمانيا الحالية تتبرأ من هتلر ومن طغمته. ولكن على الرغم من أننا نحن أيضاً نستنكر أعمال هتلر وندين جرائمه ضد الإنسانية. فإننا لا نرى أن علاج آثار جرائم هتلر يكون بإرتكاب أعمال مماثلة ضد الشعب الفلسطيني الذي لا علاقة له بهتلر ولا بشعبه الألماني ولا يؤيد مبادئه النازية .

ومهما كان الأمر فقد جاءت مبادرة ألمانيا بتقديم العون المالي الضخم لإسرائيل تعبيراً عن تأييدها لأعمالها ضد عرب فلسطين رغم أنها قدمتها تحت شعار تعويضات الحرب. حيث وافقت ألمانيا أن تدفع إلى إسرائيل مبلغ (٨٤٠) ثمانمائة وأربعون مليون دولار نقداً بحيث تدفع أول مائة مليون في موازنة عام ١٩٥٤ م. وكان هذا الرقم يعادل ٣٠ بالمائة من قيمة جميع المستوردات الإسرائيلية لنفس الفترة أي لتلك السنة ثم تستمر سنوياً بنفس المستوى .

وقد دفعت ألمانيا فوق هذا خلال السنوات اللاحقة مساعدات عينية من مختلف المواد بقيمة لا تقل عن مبلغ التعويضات المذكورة .



المؤلف يقف الى يمين جلالة الملك حسين أثناء زيارة جلالتة الى قيادة الكتيبة الثامنة في معسكر النبي يعقوب شمال القدس عندما كان قائدها عام ١٩٥٣ م .

وعلى الرغم من أن بريطانيا هي التي أعطت لليهود وعد بلفور فأرست حجر الأساس لقيام دولة إسرائيل في فلسطين ثم هيأت الظروف اللازمة لتنفيذ هذا الوعد وتحقيقه على أرض الواقع طيلة السنوات الثلاثين التي حكمت فلسطين خلالها حكماً مباشراً كما هو معروف. وبعد قرار هذه الدولة المستعمرة بالتخلي عن مسؤولياتها وتركها البلد في حالة رهيبة من الفوضى المسلحة عام ١٩٤٨ م . جاءت أمريكا وحلت محلها وتولت زمام المبادرة وقامت بمناوراتها المعروفة في أروقة هيئة الأمم المتحدة واستخدمت نفوذها وتأثيرها المباشر على مندوبي بعض الدول لضمان صدور قرار تقسيم فلسطين الذي صدر عن الجمعية العامة عام ١٩٤٧ م ثم رغم أن أمريكا قدمت لإسرائيل السلاح والمال والضباط والخبراء لدعمها في الحرب عام ١٩٤٨ م فإنه من العجيب ان تكون تشيكوسلوفاكيا هي المصدر الرئيسي لتزويد إسرائيل بالأسلحة بموافقة روسيا ودعمها. وهذه الأسلحة بالذات هي التي مكنت إسرائيل من ضرب الجيش المصري أثناء الهدنة الثانية وإخراجه من فلسطين. ومكنتها كذلك من السيطرة على الموقف الحربي في باقي الجبهات العربية. حيث اعطتها تفوقاً على الجيوش العربية بكاملها بينما منعت الدول الغربية بنفس الوقت شحن الأسلحة والذخائر بمختلف أشكالها إلى الدول العربية .

وفي عام ١٩٥٣ م تأتي المانيا بخلاف جميع دول العالم لتساهم في انقاذ اقتصاد إسرائيل وتقويتها وتمكينها من الاستمرار في اعتدائها على البلدان العربية. فأين العرب من هذا الخطر الداهم المحقق بديارهم. وإلى متى سيبقون في سباتهم غارقون وفي تشتتهم وتناحرهم تائهون .

٤ - وبهذه الاثناء ومنذ مطلع عام ١٩٥٣ م بدأت سياسة إسرائيل العدوانية الجديدة التي كانوا يهيئون لها الظروف منذ عدة أشهر تظهر بشكل عملي على الحدود. وقد كانت هذه السياسة الجديدة تركز أساساً على شن غارات انتقامية ضد قرانا الأمامية القريبة من الحدود بدعوى أنها جاءت للإنتقام عن الحوادث التي يقوم بها المتسللون العرب بداخل إسرائيل والتي يعتبرون ان هذه القرى الحدودية مسؤولة عنها. وكانت هذه الغارات تقوم بها قوة بحجم سرية أو كتيبة وربما أكثر من ذلك في بعض الحالات بحسب نوع وحجم الغارة المنوي القيام بها ضد القرية الهدف بحيث تدخل هذه القوة المهاجمة عبر الحدود وتطوق القرية وتثبت الكمائن على الطرق المؤدية إليها على مسافة تبعد حوالي كيلومتر عنها لكي تعيق وصول قوة النجدة المرسله إليها من الجيش وتمنعها من الإشتراك بالمعركة بالوقت المناسب حتى تكون العملية قد انتهت. وبعد إتمام تمرکز الكمائن بهذا الشكل تدخل القوة المهاجمة الى القرية ومعها مجموعة الهندسة تحمل

المتفجرات لتبثها في البيوت المراد نسفها وتبدأ عملية إطلاق النار على السكان الذين يكونون بهذا الوقت نيام فتقتل منهم من تقتل ثم يتم نسف عدد من البيوت وتنسحب القوة المهاجمة وتتبعها الكمائن ويعودون جميعاً بسرعة من حيث أتوا. وقد كان العامل الحاسم بهذه العمليات هو السرعة بحيث تتم عملية الاقتحام خلال اقصر مدة ممكنة والتي لم تكن في العادة تتجاوز الساعة إلا في الحالات النادرة. وبنتيجة ممارسات القوات الإسرائيلية وتجاربها بهذه العمليات فقد قام الجنرال دايان رئيس أركان الجيش الاسرائيلي آنذاك بتشكيل قوة خاصة من (الكوماندوز) تتولى مهمة تنفيذ هذه العمليات أطلق عليها اسم (الوحدة - ١٠١) وأسندت قيادتها الى الكولونيل آرئيل شارون وقد بدأت هذه القوة بحجم كتيبة كوماندوز ثم توسع حجمها الى لواء كامل في وقت لاحق. بهذه الاثناء كنا قد رفعنا حجم وحدات الحرس الوطني في القرى الامامية وزودناها بكميات جيدة من الأسلحة والذخائر وأسندنا قيادتها الى ضباط صف وضباط من الجيش العربي. كما تم تزويد معظم القرى الرئيسية بأجهزة اتصال لاسلكي وتم تعميم فكرة قوة النجدة المتحركة التي سبق وأشرت الى تشكيلها في الكتيبة الثامنة. وجهزت قوة مماثلة لها في باقي كتائب اللواء الثالث الذي كان مسؤولاً عن الدفاع عن الضفة الغربية كما قمنا بتنظيم وتسليح وتدريب عدد أكبر من كتائب الحرس الوطني وسلمناها مواقع دفاعية في مناطق الكتائب النظامية لكي يمكنها جمع قوة أكبر من حجم قوة النجدة المعروفة وإرسالها الى القرية المعرضة لهجوم إذا كانت المعركة أكبر من قدرة قوة النجدة المشار اليها. وقد بدأت هذه الإجراءات تعطي نتائج إيجابية في مختلف الحوادث التي ينفذها اليهود ضد القرى الامامية والتي أصبحت تتزايد باضطراد. ولا يتسع المجال هنا لذكر جميع هذه الحوادث نظراً لكثرتها ولكنها كانت جميعها متشابهة تقريباً وتنفذ بحسب الترتيب الذي شرحت به أعلاه وتختلف فقط بحجم الهجوم ونتائجه .

وقد استمر هذا النوع من الحوادث الهجومية ضد القرى الامامية على فترات مختلفة وبناتج متفاوتة من النجاح والفشل بحسب الظروف المواقبة له وسرعة وصول المعلومات الى الكتيبة النظامية وفعالية الحرس الوطني في الدفاع الأولي عن القرية ومدى نشاط القادة المسؤولين وسرعة وصول قوة النجدة قبل انتهاء المعركة. ومهما كانت الأحوال فإن محصلة النتائج في معظم الحالات كانت جيدة وكان العدو يتكبد الكثير من الخسائر رغم انه في حالات اخرى كان ينجح ويوقع إصابات ضخمة ومؤلمة في سكان القرى التي يقع عليها الهجوم .

ومن رصدنا للتحركات التي كان العدو يقوم بها في منطقة القدس قدرنا انه كان يخطط للقيام بعملية كبيرة في مدينة القدس نفسها قد تؤدي الى هجوم عام وخلق وضع معين في المدينة يحقق عن طريقه مكاسب هامة سياسية أو إقليمية. وكجزء من هذه التحركات قام العدو في إحدى الليالي بإرسال دورية يقدر حجمها بحوالي سرية مشاة من منطقة بنايات سنهادريا الواقعة الى الغرب من حي الشيخ جراح وتقدمت هذه القوة عبر الوادي العميق الواقع بين قرية شعفاط والطرف الشمالي لمدينة القدس والذي يؤدي في طرفه الشرقي الى الطريق الرئيسية التي تتجه من القدس الى رام الله .

وحوالي منتصف الليل اتصل معي قائد السرية المتمركزة في الشيخ جراح وابلغني عن تقدم قوة العدو هذه ولكنه قال إن الغريب بأمر هذه القوة أنها تتقدم في قاع الوادي ولم يبدأ جنودها بإطلاق النار على مواقعنا وكأنهم يظنون أننا لم نكتشفهم. فقلت له : من الواضح ان هذه القوة عبارة عن دورية مقاتلة مرسلة لتحقيق غاية محددة. ولكي يستطيعوا الوصول الى غايتهم فإنهم يحاولون أن يتجنبوا الاشتباك معكم لأنهم يأملون أن يصلوا الى هدفهم قبل أن نكتشفهم. والأرجح أنهم يريدون الوصول الى هداسا لنقل بعض المعدات والذخائر حيث أنهم بعد حادثة تفتيش قافلة هداسا التي حصلت قبل فترة وجيزة وإكتشاف الذخائر التي كانوا يحاولون تهريبها بواسطة تلك القافلة لم يبق أمامهم سوى محاولة إرسال هذا النوع من الدوريات ومعها كمية من الذخائر المطلوبة وب نفس الوقت يصبح أفراد هذه الدورية كقوة تعزيز الى حامية هداسا واذا نجحت في الوصول سوف يكرروها وربما نجحوا مرتين أو ثلاثة فيصبح بهذه الطريقة لديهم في هداسا حامية قوية لا يستهان بها وسيكون لها تأثير مهم في حالة نشوب معركة كبيرة في القدس مستقبلاً. ولذلك طلبت من قائد السرية أن لا يطلق النار على هذه الدورية فوراً بل يسمح لها بالوصول الى عمق كاف وعندما تصبح في منطقة القتل الواقعة بين مواقعنا الدفاعية في تلة شعفاط في طرف الشيخ جراح من الشمال والمواقع المقابلة لها من الشمال في الطرف الغربي من قرية شعفاط. وعندئذ تفتح النيران عليها من الجهتين ويمكن تدميرها نهائياً. وهكذا كان فقد تمكنت قواتنا في تلك المنطقة من قتل وجرح عدد كبير من أفراد هذه الدورية التي تركت وراءها أربعين حقيبة مملوءة بقنابل الموتر ٣ إنش والقنابل اليدوية كانوا ينوون إيصالها مع الجنود الى هداسا. وقد حضر الجنرال (دي ريدر) كبير المراقبين الدوليين في الصباح الى موقع الحادث وأخذ صوراً لهذه الذخائر. وبالتالي وجه إدانة صريحة ضد إسرائيل لارتكابها هذا الحادث. ولكن ما هي قيمة هذه الادانات ما دامت إسرائيل لم تكن تنظر لجميع إجراءات لجان الهدنة أو حتى

إلى قرارات مجلس الامن الدولي أكثر من أنها حبر على ورق وتتعامل معها على هذا الأساس بينما تمضي هي في تطبيق خططها المختلفة التي تؤدي بالتالي الى استيلائها على فلسطين بكاملها مهما طال الزمن لأن هذا بالنسبة لها هو الهدف الأساسي وما عدا ذلك فهو كلام تافه لا قيمة له .

(هكذا كان تحليلنا للأوضاع العامة في تلك الأيام من عقد الخمسينات وقد ثبتت لنا صحتها في هذه الأيام من عقد التسعينات) .

وبعد ذلك الحادث بفترة وجيزة بدأت التطورات التي كنا نتوقعها. ففي حوالي الساعة الخامسة من مساء يوم ٣ نيسان ١٩٥٣م فتحت القوات الاسرائيلية النيران من جميع مواقعها الامامية بداخل مدينة القدس على جميع مواقعنا على الاسوار وخارجها على طول خطوط الهدنة وأجاب جنودنا على هذه النيران فوراً ودام الإشتباك حوالي ثلاث ساعات. ولم يتوقف إطلاق النار إلا بعد الجهود الحاسمة التي بذلها كبير مراقبي هيئة الأمم المتحدة مع الطرفين واتصاله مع السكرتير العام لهيئة الأمم في نيويورك لمنع انتشار الاشتباكات الى مواقع أخرى. وهكذا أمكن تطويق هذا الحادث دون أن يؤدي الى ما هو أسوأ كما كان متوقعاً. ولكن حوادث إطلاق النار من مواقع العدو على مواقعنا



جلالة الملك حسين يتفقد جبهة الكتيبة الثامنة في منطقة القدس وبمعيته المؤلف عندما كان قائد الكتيبة عام ١٩٥٣م .

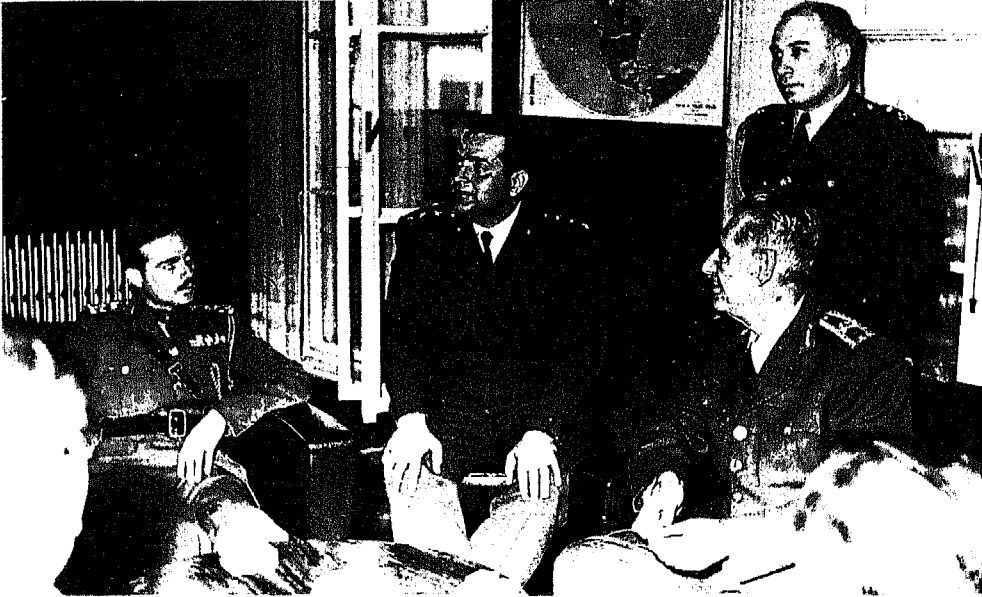
الامامية خارج القدس كانت روتينية وتكاد تكون يومية. وقد كان واضحاً لنا أن العدو يهدف الى إبقاء الحالة على الحدود ساخنة بشكل أو بآخر للوصول الى هدف معين لأنهم كانوا يعمدون إلى إطلاق النار بدون سبب واضح لكي يخلقوا جواً من التوتر الدائم على طول خطوط الهدنة يتخذونه ذريعة لأي عملية ردع كبرى يخططون لها ويتم تنفيذها بالوقت الذي يرونه مناسباً بعد تهيئة الرأي العام العالمي وإقناعه بواسطة التمثيل والدعاية المدروسة بأن العرب هم المسؤولون عن تردي الأوضاع على طول خطوط الهدنة بتغاضيهم عن عمليات التسلل عبر هذه الخطوط . ولذلك فإن إسرائيل أصبحت مضطرة للقيام بعمليات مضادة على الحدود لحماية أمنها. وفي معظم الحالات كانت تنجح في إقناع الرأي العام العالمي بإدعاءاتها بسبب سيطرة اليهود على معظم وسائل الاعلام والصحافة المهمة في العالم ما عدا في بعض الحالات عندما يكون الاعتداء ضخمًا وعدد الضحايا بين السكان المدنيين كبيراً فإنه يصعب على إسرائيل تبريره مثل حوادث الاعتداء على قبيه ونحالين وغيرهما حيث كانت توجه بعض الانتقادات ضد إسرائيل وربما في حالات نادرة ادانتها من قبل مجلس الامن الدولي. ولكن سرعان ما يتلاشى تأثير هذه الادانات لأن امريكا تستعمل حق النقض (الفيتو) فيصبح قرار مجلس الامر بهذه الحالة لا قيمة له. وبعد ذلك تتولى الصحافة تبرير موقف إسرائيل بواسطة الحملات المضللة فتمحو من أذهان الناس ما قد يكون علق بها من آراء ضد إسرائيل و يبقى لها أثر .

٥ - ومن مجمل تطورات الحوادث على طول خطوط الهدنة والتزايد التدريجي بحجم هذه الحوادث أصبح واضحاً لنا أنها تنفذ ضمن إطار خطة عامة تطبق مراحلها حسب المتطلبات والأهداف السياسية لحكومة إسرائيل .

فمن جهة كان بن غوريون ينظر الى خطوط الهدنة على أنها ليست أكثر من خطوط مؤقتة يمكنه إزالتها متى سمحت الظروف بذلك. ومن جهة أخرى كان يعلن باستمرار عن رغبته باستقدام الملايين من المستوطنين اليهود من مختلف أقطار العالم لتوطيهم الأراضي المحتلة. ولذلك فهو بحاجة الى أراض جديدة لإسكان هؤلاء اليهود القادمين واعاشتهم وتشغيلهم ويرى أن منطقة صحراء النقب إذا أمكن تطويرها وزراعتها فإنه يمكن أن تساعد عملية الاستيطان هذه كخطوة مرحلية ولكنها لا تحلها جذرياً. ومن ه جاء مشروع تحويل مياه نهر الاردن الذي نفذته اليهود في منطقة جسر بنات يعقوب مقابل الحدود السورية كضرورة حيوية لتحقيق هذه المرحلة من عملية الاستيطان لإرواء النقب وزراعته وبناء المستعمرات الجديدة فيه ولكن بن غوريون بنفس الوقت



المؤلف مع الزعيم اديب الشيشكلي رئيس جمهورية سوريا في عام ١٩٥٤م أثناء إجتماعات وفود لجان الهدنة العرب في دمشق. ويقف بجانب المؤلف العقيد اسماعيل شيرين من الجيش المصري والاستاذ محمد اديب العامري .



في انقرة مع قائد القوات البرية في الجيش التركي في مكتبه اثناء زيارتي لتركيا سنة ١٩٥٤م بمناسبة عيد تركيا الوطني .

كان يرفض أن يتخلّى عن ما يدعيه من حقوق تاريخية لليهود في الأراضي العربية الباقية ولا سيما في منطقة نابلس والقدس في الضفة الغربية ولما كان من المؤكد أن العرب لن يوافقوا على الدخول في مفاوضات سلام مع إسرائيل ضمن هذه الشروط والأفكار إلا إذا كانوا مرغمين على ذلك فإن هذا ما كان بن غوريون يسعى لتحقيقه عن طريق فرض أقصى قدر من الضغط على العرب لإجبارهم على الدخول في المفاوضات بحسب شروط إسرائيل. ومن هذا المنطلق فقد كانت خطط بن غوريون التكتيكية المرحلية تستند على القيام بعمليات انتقامية كبرى مركزه ضد الأهداف العربية العسكرية والمدنية على حد سواء.



مع الوفد العراقي اثناء زيارتي تركيا سنة ١٩٥٤م بمناسبة عيدها الوطني، ويظهر في الصورة المقدم صادق الشرع والعقيد عبد الكريم قاسم والزعيم طارق سعيد والسيد ادهم مندريس وزير الدفاع التركي باللباس المدني .

وأما استراتيجيته فقد كانت تستند على بناء التفوق العسكري التام على كافة القوات العربية مجتمعة ومن كافة الوجوه مع أقصى درجة من الاعتماد على النفس ولذلك فقد بدأوا بعملية صناعة الاسلحة بمختلف أنواعها جنباً الى جنب مع عملية الحصول على الاسلحة المتطورة وتحديثها باستمرار عن طريق المساعدات الامريكية التي لا تنضب ولا تتوقف لأي سبب مهما كان خطيراً. وبهذا الشكل يكون التسليح الاسرائيلي متقدماً

ومتفوقاً دوماً على كل ما يمكن أن يحصل عليه العرب من هذه الاسلحة من أي جهة كانت حتى من أمريكا نفسها لأنها لن تباع للعرب أي سلاح يكون متفوقاً أو جتى مساوياً لما تزود به اسرائيل. وأما الهدف الرئيسي الثابت لبن غوريون وجميع القادة الاسرائيليين فقد كان دوماً هو توسع اسرائيل باستمرار على حساب البلدان العربية المجاورة لها. وضمن هذا الإطار اخذت حوادث الاعتداءات الاسرائيلية على القرى الأمامية تتطور حجماً ونوعاً ضمن عملية الضغط المستمر على العرب كما أشرت باعلاه ولم تكن الجبهة الاردنية وحدها التي كانت تتعرض لمثل هذه الحوادث بل كانت تشمل الجبهات العربية الاخرى ضمن الخطة الاسرائيلية العامة التي يقصد منها أن تؤدي الى نفس الهدف .

٦ - الاعتداء على قرية قبية وتدميرها .

لاعطاء صورة واضحة عن نوع هذه الحوادث الكبيرة البشعة التي بدأ الجيش الاسرائيلي بتنفيذها على طول خطوط الهدنة بتخطيط من قيادته العليا وبموافقة الحكومة الاسرائيلية مستخدمين الوحدة رقم (١٠١) التي أشرت لها سابقاً فسوف أشرح وقائع أول حادث من هذا النوع نفذوه ضمن إطار خطتهم الجديدة وهو حادث الهجوم على قرية (قبيه) التي تقع على بعد خمسة عشر كيلومتراً شمال غرب مدينة رام الله. وقد اخترت هذا الحادث كمثال مهم عن حوادث الحدود الكبيرة لسببين هما :

أولاً : لأنى لا زلت اعتقد أنه وان لم يكن بالإمكان الحيلولة دون وقوع هذا الحادث فإنه كان بالإمكان توجيه ضربه عنيفة للقوة الاسرائيلية المهاجمه وتكبيدها أفدح الخسائر لو أن قائد اللواء الثالث الزعيم (أشتن) ابلغني عندما حضرت لوداعه اثناء حركتي مع كتيبتي إلى الضفة الشرقية أن هنالك إعتداء على قرية قبية كما سأشرح تالياً .

ثانياً : لأن هذا الحادث بالذات نتج عنه تطورات في غاية الخطورة فيما بعد على الصعيد الاردنى والعربي :

أ - وقد بدأت مقدمات هذا الحادث بأن قام اليهود كالعادة بتقديم شكوى إلى لجنة الهدنة المشتركة بتاريخ ١٣ تشرين أول عام ١٩٥٣م يدعون فيها بأن ثلاثة من المتسللين العرب دخلوا الى مستعمرة (طيرة يهوذا) والقوا قنبلة يدوية على أحد البيوت مما ادى الى مقتل امرأة وطفلين. وقبل التحقيق بهذا الحادث من قبل مراقبي هيئة الأمم المتحدة قام اليهود بشن هجومهم في الليلة التالية على

قرية قبيه بقوة الوحدة رقم (١٠١) الكوماندوز مما يدل على أن شكواهم كانت مفتعلة ويقصد منها إظهار سبب مبرر لهذا الهجوم .

ب - في ليلة ١٤/١٥ تشرين أول عام ١٩٥٣م تقدمت قوة الهجوم المؤلفة من كتيبة كوماندوز حوالي (٦٠٠) ستمائة جندي وتمركزت على التلال الواقعة غربي قرية قبيه. وبالساعة التاسعة والنصف مساءً بينما كان رجلين من سكان القرية يحرسان أشجار الزيتون اعتقلهما الجنود الإسرائيليون أثناء تقدمهم نحو القرية لكي لا يتمكنوا من تنبيه السكان عن الخطر القادم إلا أن أحد هذين الحارسين استطاع ان يهرب وينبه افراد الحرس الوطني بوجود قوة يهودية كبيرة تتقدم نحو القرية. وبهذه الأثناء وصلت سرايا اليهود لمواقعها وطوقت القرية من ثلاث جهات واشتبكت فوراً مع أفراد الحرس الوطني الذين تمركزوا في خنادقهم وأخذوا يقاومون الهجوم بما لديهم من أسلحة. ودام إطلاق النار مدة ساعتين توقف بعدها أفراد الحرس الوطني عن المقاومة وانسحبوا لأن ذخيرتهم نفذت، ولكن لسوء الحظ أن هؤلاء الشباب قد نسوا انه كان لديهم ذخيرة احتياطية لا تزال في المستودع حيث وجد فيما بعد ستة صناديق من العتاد لم تفتح وكان من المتوقع ان تمكنهم من المقاومة ساعتين على الأقل لو انهم فطنوا لها قبل ان يخلوا مواقعهم وينسحبوا تاركين القرية مكشوفة تماماً أمام الجنود اليهود مما سهل وصولهم الى البيوت بسرعة. وقد اقتتحت اليهود المعركة بإطلاق النيران الكثيفة من الرشاشات الخفيفة والمتوسطة وقنابل المورتر على جميع أنحاء القرية بالإضافة الى التركيز على خنادق الحرس الوطني، وعندما توقفت مقاومة افراد الحرس وانسحبوا اقتحم الجنود اليهود القرية مستعملين الطوربيد لفتح فجوات بالأسلاك الشائكة وتقدم معهم جنود الهندسة يحملون صناديق المتفجرات وأخذوا يطلقون النار على السكان عندما كانوا يحاولون إخراج النساء والاطفال من القرية بعيداً عن الخطر لمنعهم من مغادرة منازلهم. وقد وجد فيما بعد العديد من الناس مقتولين عند أبواب منازلهم. ومن الواضح أنهم قتلوا أثناء محاولتهم الخروج منها .

وبهذه الأثناء بدأ جنود الهندسة اليهود بوضع المتفجرات التي كانوا يحملونها عند جدران المنازل وأخذوا ينسفونها فوق رؤوس سكانها بعد ان منعوهم من مغادرتها بقوة النيران. وقد نسفوا بهذه الطريقة (٤٢) منزلاً كما نسفوا مدرسة القرية. وكان مجموع الاصابات (٦٦) قتيلاً و(٧٥) جريحاً

كان معظمهم من النساء والاطفال. وقد دامت هذه العملية حوالي سبعة ساعات وانسحبت القوات الاسرائيلية بعدها مخلفة وراءها دماراً رهيباً بهذه القرية المنكوبة. وبعد ذلك اعلنت السلطات الإسرائيلية أنها نفذت هذه العملية إنتقاماً لمقتل امرأة وطفلين في مستعمرة (طيرة يهوذا) من قبل متسللين عرب في الليلة السابقة. مع أنهم لم ينتظروا التحقيق بهذا الحادث لمعرفة الفاعلين إن كانوا من المتسللين العرب أم غيرهم. هذا إذا كان الحادث قد وقع فعلاً. وحتى لو صح ادعائهم فهل من المنطق ان يكون الجواب بهذا الحجم والنوع من الانتقام الوحشي بتدمير قرية بكاملها انتقاماً لمقتل امرأة يهودية واحدة من قبل مجهولين .

طبعاً لم يكن هذا هو القصد الحقيقي من تنفيذ حادث قبيح وأمثاله من الحوادث الأخرى. بل كانت حلقة من سلسلة الاهداف الموضوعة ضمن خطة عامة للوصول إلى حالة معينة تؤدي إلى انفجار كبير واحتلال الضفة الغربية عندما تنهيا الظروف التي تتطلبها الخطة .

ج - لقد تم إبلاغ قائد اللواء الثالث الزعيم (أشتن) بالساعة العاشرة والنصف ليلاً بأن قرية قبيه تتعرض للهجوم ولكنه لم يقدر أهمية وحجم هذا الهجوم وكأن كل ما عمله أنه طلب من ركن اللواء وكيل القائد عكاش الزبن الاتصال مع الحظيرة الموجودة في قرية (بدرس) التي تبعد حوالي كيلو مترين عن قبيه والطلب منها ان ترسل دورية إلى قبية للإستطلاع وجلب المعلومات. ولكن هذه الدورية اشتبكت مع اليهود ولم تتمكن من العوده بالمعلومات. وعند منتصف الليل دخل اليهود إلى قبية وبدأوا بنسف المنازل. وبنفس الوقت كانوا يقصفون قريتي بدرس وشقبا القريتين منها بالمدفعية .

د - قبل وقوع الاعتداء الآثم على قرية (قبية) بمدة أسبوعين تبلفت بأنه تقرر نقل كتيبتي (الكتيبة الثامنة) من القدس إلى المفرق لمدة ثلاثة أشهر للتدريب وأن الكتيبة الخامسة التي كان يقودها المقدم علي الحياوي ستستلم الدفاع عن منطقة القدس. وقد تحدد يوم ١٤ تشرين أول ١٩٥٣ م موعداً لإنهاء تسليم مواقعنا والخروج من القدس إلى المفرق .

وبعد القيام بالكشف المشترك من قبل جميع قادة سرايا الكتيبتين وإتمام عملية التسليم والاستلام أخرجت جميع سرايا الكتيبة الثامنة بقوافلها حسب امر الحركة الذي أصدرته للكتيبة وتحركنا أثناء الليل بحيث نتمكن من الخروج من عمان قبل شروق الشمس .

وعندما وصلت مؤخرة قوافلنا بين القدس والخان الأحمر ذهبت الى قيادة اللواء لكي ابلي قائد اللواء الزعيم (أشتن) بخروج كتيبتي من القدس والحق بالقافلة وقد دخلت على الزعيم في غرفته حوالي منتصف الليل وكان جالساً يقرأ كتاباً فابلغته بموقفنا وأنا الآن قد خرجنا نهائياً من منطقة القدس وأصبحت جميع قوافلنا في طريقها الى عمان فالمفرق. وسألته هل لديه أية تعليمات أخرى (كما جرت العادة في مثل هذه الأمور) فقال شكراً (لا شيء) وودعته وانصرفت. ولكن الغريب بهذا الموقف هو أن معركة (قبيه) كانت بذلك الوقت على أشدها. وأن كل ما كان يحتاجه الزعيم اشتن هو ان يخبرني عن المعركة ويطلب ان أحول سريتين أو حتى الكتيبة بكاملها وأذهب الى قرية قبيه. ولو طلب هذا لكان بإمكانني الوصول اليها والتدخل بالمعركة خلال فترة أقل من ساعة. وعلى أي حال كنت سأصل اليها قبل ان ينسحب اليهود منها ولتتمكن من ضربهم بكل قوة الكتيبة ضربة ماحقة. ولكن لماذا لم يخبرني مع أنه كان يعرف أن قرية قبيه تتعرض لهجوم. لست أدري. هل انه لم يكن في ذلك الوقت يعرف أو يقدر أن حجم الهجوم كان بهذه الضخامة فاستهان بالأمر. أم أنه اعتقد أن قائد الكتيبة العاشرة الذي كان مسؤولاً عن منطقة قبيه سيكون قادراً على معالجة الموقف ولا حاجة لتدخل وتأخيري عن السفر. أم أنه بهذا التصرف كان مهملأ بهذا المستوى الخطير مما دعاه لعدم الإكتراث والتقصير باتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة الموقف. هذا ما سوف اشرحه بعد قليل عندما اتطرق لتفصيلات التحقيق الذي أجريناه معه ومع الضباط الآخرين بأمر من الحكومة .

بعد مغادرتي قيادة اللواء لحقت بقوافل كتيبتي وتابعنا مسيرتنا الى عمان وخرجنا منها قبل شروق الشمس في طريقنا الى المفرق. وكان من عادتي في مثل هذه التحركات أن أتوقف في نقاط معينة لكي أراقب حركة مرور القوافل ثم الحق بها واتجاوزها لكي انتظرها في مكان آخر وهكذا. وعندما تجاوزنا عمان وبينما كنت واقفاً على جانب الطريق العام في منطقة (ماركا) ارقب سير القوافل مر بي الكولونيل (جيم هتن) مدير هيئة الاركان في قيادة الجيش وكان في طريقه الى المفرق. فتوقف وسألني عن قوافل الكتيبة فأخبرته أن سرية الطليعاً تقترب الآن من المفرق. وعندئذ قال لا أظن أنكم سوف تستطيعون البقاء لفترة التدريب وأخبرني عن كارثة قبيه التي وقعت في الليلة الماضية وان القرية قد دمرت على من فيها من السكان. فقلت له : لكنني قابلت الزعيم اشتن عند منتصف الليل وودعته بعد خروج قافلته من منطقة القدس ولم يخبرني عن شيء من هذا. فلم يعلق (هتن) على ما قلته ولكنه أخبرني ان جميع تشكيلات الجيش العربي وضعت في حالة الإنذار القصوى وأن قيادة الفرق تحركت إلى وادي الأردن وهي الآن تعسكر في منطقة الشونة الجنوبية .

كما أبلغني أن كتيبتي بنتيجة هذه التحركات أصبحت مرتبطة بقيادة اللواء الأول التي تتمركز الآن مؤقتاً جنوب قرية كفر أسد. وأنى يجب أن أتحرك رأساً الى قيادة هذا اللواء لحضور قسم الأمر الذي سيعقده قائد اللواء لتنفيذ خطة الطوارئ الجديدة. وعندئذ اتصلت باللاسلكي مع قادة سرايا الكتيبة وامرتهم ان يتوقفوا عند معسكر المفرق لفترة وجيزة لإعطاء جنودهم وجبة الغذاء ثم تتحرك السرايا بنفس الترتيب الذي حضرت به من القدس بسياراتها الى منطقة قرية كفر اسد وينتظروا تلقي تعليمات جديدة مني لاسلكياً أثناء الحركة. ثم توجهت بسرعة الى قيادة اللواء الأول .

وبعد إجتماعي مع قائد اللواء الزعيم (جيلتلي) ابلغني انه تقرر تركيز كتيبتي مبدئياً بالدفاع عن قطاع الغور الشمالي الممتد من بلدة العدسيه شمالاً حتى جسر الشيخ حسين جنوباً. وإغلاق جميع طرق الاقتراب والمعابر المؤدية من الغرب الى الشرق حيث كان متوقعاً أن تشن اسرائيل هجوماً عاماً على الأردن . ونظراً لإتساع هذا القطاع بالنسبة لقدرة كتيبة مشاه واحدة فقد وضع بإسنادنا كتيبة المدرعات الأولى بقيادة القائد (جيمز لنت) (James Lunt) الذي وصل فيما بعد الى رتبة جنرال في الجيش البريطاني .

وعندئذ عينت مواقع السرايا على الخارطة وابلغت قادتها باللاسلكي أن يتحركوا رأساً إلى هذه المواقع ويباشروا فوراً بحفر الخنادق وتحضير دفاعاتهم حسب الأصول وأنى سأقابل كل قائد سرية في موقعه الجديد. وبهذه الطريقة اختصرت الكثير من الوقت حيث تمكنت جميع سرايا الكتيبة المتمركز في مواقعها قبل الساعة العاشرة ليلاً. وبما أننا جميعاً لم ندق طعم النوم منذ يومين ومنذ غادرنا القدس ونحن مسافرون باستمرار ما عدا بعض فترات توقف قصيرة للإستراحة. وبما أنى اعتقد أن الجندي المرهق لا يكون له فعالية جيدة في المعركة مهما بلغت شجاعته وصبره. فقد أصدرت الأمر لجميع قادة السرايا لكي ينام نصف الجنود والضباط فوراً لمدة أربعة ساعات ثم ينام النصف الآخر بعدهم. وحوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تلقيت برقية عاجلة من قائد الفرقة يطلب مني أن أقابله في قيادته الأمامية بالساعة السابعة صباحاً وأن اتخذ الترتيبات اللازمة لغيابي عن الكتيبة لمدة ثلاثة أيام على الأقل .

وبعد وصولي شرح لي قائد الفرقة الموقف العام والخطة العامة لتشكيلات الفرقة بالنسبة للتطورات الجديدة. ثم ابلغني ان الحكومة شكلت هيئة تحقيق وزارية برئاسة معالي السيد أحمد طوقان وزير المعارف وعضوية معالي السيد شفيق الرشيدات وزير العبدلية والقائد صادق الشرع عضواً عسكرياً باللجنة للتحقيق في ملابسات حادثة قبيه. وابلغني أنه يترتب

علي أن أذهب الى قيادة الجيش في عمان واتصل مع هيئة التحقيق لترتيب برنامج عملنا. وبعد ذلك سلمت قيادة الكتيبة الى مساعدي الرئيس معن أبو نوار وذهبت الى عمان. وبعد إجتماعي مع هيئة التحقيق تحركنا سوية الى قرية قبيه حيث أطلعنا على آثار الدمار الرهيب الذي تعرضت له هذه القرية المنكوبة .

وسمعنا وصفاً كاملاً لكيفية سير هذه المعركة من افراد الحرس الوطني وبعض سكان القرية ومشاهداتهم خلال تنفيذ مراحل هذه الجريمة البشعة، ثم ذهبنا الى مدينة رام الله لكي نباشر التحقيق مع جميع المسؤولين واتخذنا مقرنا الثابت في بناية مركز الشرطة هناك. ولا مجال لذكر تفصيلات التحقيق هنا. ولكن بعد ان حققنا مع قائد اللواء الزعيم أشتن وركن اللواء وقائد الكتيبة العاشرة الذي كانت كتيبته مسؤولة عن منطقة قبيه وقائد المقاطعة وعدد من ضباط الشرطة وغيرهم. وجدنا بنتيجة التحقيق ان هنالك إهمالاً واضحاً من قبل عدد من الضباط المسؤولين المباشرين ولا سيما قائد الكتيبة العاشرة وقائد اللواء الذي عندما ذكرته بمقابلي له عندما كانت المعركة محتدمة ولم يخبرني عنها كما شرحت سابقاً افاد ان المعلومات لم تكن واضحة لديه. ولكننا اعتبرنا ان عذره هذا غير مقبول ولا يعفيه من المسؤولية .

وبالنتيجة وضعت هيئة التحقيق قرارها بطلب محاكمة جميع الضباط الذين ثبتت مسؤوليتهم. ولكن قائد الجيش قرر بالنهاية الاستغناء عن خدمات الزعيم أشتن قائد اللواء الثالث ووكيل القائد كامل عبد القادر قائد الكتيبة العاشرة ولا بد لي ولأمانة التاريخ أن أدون هنا نص الحديث الذي دار بيني وبين معالي الأخ المرحوم شفيق ارشيدات أثناء عودتنا الى عمان بالسيارة بعد إنتهاء التحقيق. حيث اخذنا نناقش توصياتنا التي سوف يتضمنها تقريرنا النهائي والتي كانت تدور حول مدى مسؤولية قائد اللواء الزعيم أشتن وغيره من الضباط وقد اتفقنا بالرأي على أنه رغم اقتناعنا بمسؤوليته عن الحادث فإننا لسنا مقتنعين تماماً أن الاستغناء عن خدماته وغيره من الضباط سيكون إجراءً يتناسب مع حجم الكارثة التي هزت جميع طبقات الشعب واصابتها بصدمة عنيفة وخرجت على أثرها المظاهرات العارمة في جميع مدن المملكة وهي تحمل الشعارات التي تندد بالانجليز وبقائد الجيش الفريق كلوب. فعندما تخرج الحكومة بنتيجة التحقيق بهذه القضية بطلب الاستغناء عن خدمات الزعيم أشتن سوف يعتبر الناس موقف الحكومة هزياً. وأن هذا الضابط ما هو إلا عبارة عن كبش فداء استخدم الاستغناء عنه لتخفيف نقمة الشعب على الانجليز. ولكننا اتفقنا اننا كهيئة تحقيق لا نملك سوى أن نطلب معاقبة جميع المسؤولين عن هذا الإهمال

الرهييب وهذا هو ما اوصينا به. وعندئذ تطرقنا الى فكرة أخرى جديدة لكي نحاول تجربتها ولو أنها خارجه عن صلاحيات هيئة التحقيق : وهي ان الاستغناء عن خدمات الفريق كلوب وتنحيته عن قيادة الجيش هي العملية التي سيكون لها التأثير الفعال لتخفيف نقمة الشعب التي نتجت عن كارثة قبيه التي يضع الناس اللوم والمسؤولية عن وقوعها على الانجليز وعلى عاتق الفريق كلوب بالدرجة الأولى .

ثم اتفقنا ان نكتب تقريراً نقترح فيه على الحكومة ان تتخذ هي مثل هذا القرار لكي تعرضه على جلالة الملك. وتعهدت أن أشير بهذا التقرير الى أنى وبحسب خبرتي العسكرية أستطيع ان أؤكد أنه بإمكان الضباط العرب ان يملأوا الفراغات التي ستحدث في الجيش في حالة الاستغناء عن الفريق كلوب والضباط الانجليز. ولكن الأخ شفيق ارشيدات عاد واخبرني في اليوم التالي انه لم يجد استعداداً لدى معظم زملائه الوزراء للخوض بهذا الموضوع. ولذلك أصبح لا فائدة ترجى من كتابة تقريرنا الخاص وسنكتفي بتقرير هيئة التحقيق بطلب محاكمة الضباط المسؤولين مباشرة عن الإهمال بهذا الحادث .

لقد أحببت أن أشير الى هذه الواقعة كما حصلت فعلاً لا شيء إلا لأنى اعتقد ان كارثة قبيه كانت بداية العد التنازلي لخدمة الفريق كلوب كقائد للجيش العربي ولعلاقة بريطانيا مع الأردن. حيث أن الرأي العام الاردنى والعربي حملة المسؤولية الكاملة عن وقوعها ولم يعد من السهل إيقاف تيار السخط والكراهية الذي انتشر ضده بين طبقات الشعب وقد كنا نلمس هذا بكل وضوح من حجم المظاهرات التي كانت تجوب شوارع المدن الرئيسية وتنادي بسقوط كلوب والانجليز. ومعنى ذلك أن جميع الناس كانوا يحملونه المسؤولية. ولو أنه انصف نفسه لاستقال آنذاك وانسحب لبلاده بهدوء فأراح واستراح. ولكن في تلك الأيام لم يكن متاحاً لي أن أطلع على السياسة العليا للجيش لكي اتمكن من معرفة أسباب تحمله كل هذه الحملات ضده والتنديد به شخصياً في جميع المناسبات .

إلا أنني بعد مدة ثلاثين سنة من تنحيته اطلعت على كتاب ألفه الجنرال جيمز لنت ويشير فيه الى تفسير لهذه المسألة ورد على لسان الفريق كلوب نفسه حول هذا الموضوع. وجيمز لنت هذا كان في ذلك الوقت يخدم في الجيش العربي برتبة مقدم قائداً لكتيبة المدرعات الاولى. وقد وضعت كتيبته بإسناد كتيبتي بعد حادثة قبيه. وهو يقول في كتابه عن موقف الفريق كلوب من قضية الاستغناء عن خدمات الزعيم أشتن ما يلي (١) :

(١) انظر كتاب سيرة حياة كلوب باشا - الصفحتين ١٧٩ - ١٨٠ تأليف الجنرال جيمز لنت .
Glubb Pasha - A Biography - Pages. 179 - 180 By : General James Lunt.

«وبعد عدة سنين قدم كلوب باشا تفسيراً مقنعاً لقضية طرد الزعيم أشتن على الشكل التالي : من وجهة نظر السياسيين فإن الطريق الوحيد للخروج من مسؤولية مجزرة قبيه كانت تتمثل بالقاء المسؤولية على الانجليز. ولهذا فقد قرروا فوراً طرد (تيل اشتن) وكذلك طرد قائد الكتبية العربي :

[ملحوظة : وعلى من اذن تلقى المسؤولية ما دام ان الانجليز يتولون القيادات الفعلية لجميع وحدات الجيش الكبرى والصغرى وقيادة الجيش بجميع فروعها وعلى رأسها كلوب نفسه. فهل هو يغالط نفسه بهذا التساؤل] ثم يقول كلوب : ولقد كان أمامي ثلاثة خيارات:

١ - أن أطيع أمر الحكومة .

٢ - ان استقيل من تلقاء نفسي. وكثير من الناس كانوا سوف يرحبون بهذا لكنهم كانوا يخشون طردي لئلا تقوم بريطانيا بقطع المعونة المالية. اما اذا استقلت من تلقاء نفسي فإن الحكومة البريطانية لا تستطيع لومهم .

٣ - كان يمكن أن أرفض أمر الحكومة الاردنية وبهذه الحالة سيكونون على حق بأن يطلبوا من الحكومة البريطانية عزلي. وعلى أي حال فإن الدعاية كانت دوماً تقول أنى لا أخدم الحكومة الاردنية بل اخدم الحكومة البريطانية والتي بدون شك تعطيني أوامر سرية ولهذا فلو رفضت أوامر الحكومة الاردنية فإنى سأضع نفسي والحكومة البريطانية في الخطأ. ولهذا فإنى بحسب تقديري لم يكن لدي خيار سوى تنفيذ أوامر الحكومة الاردنية .

واضح من هذا الشرح أن الفريق كلوب كان مصراً على البقاء في الجيش العربي رغم كل الظروف. وانه كان يعتقد أن الحكومة الاردنية لا تجرؤ على طرده خوفاً من قطع المعونة المالية البريطانية ولكنها بنفس الوقت كانت سترحب بإنهاء خدماته فيما لو اعطاها المبرر لذلك. كرفضه تنفيذ قرار الحكومة بطرد الزعيم أشتن أو لو أنه هو شخصياً قدم استقالته. وانه وافق على طرد الزعيم أشتن لكي لا يعطي للحكومة هذا المبرر. واطن انه بهذا الموقف لم يكن منصفاً بحق نفسه. حيث أنه لو استقال بهذه الآونة لكان ذلك أكرم له من أن يطرد بالطريقة التي طرد فيها على أثر حوادث حلف بغداد بعد ذلك بمدة سنتين تقريباً .

سبق وأشارت الى أن كارثة قبية كانت بداية العد التنازلي بالنسبة لخدمة الفريق كلوب في الجيش العربي. وكذلك بالنسبة لعلاقة بريطانيا مع الاردن. وهنا أحب أن أذكر ما يقوله الجنرال (جيمز لنت) في كتابه المشار اليه بأعلاه عن رأيه في كارثة قبيه وتأثير نتائجها على العلاقات الاردنية البريطانية نظراً لأهمية هذا الرأي الصادر عن ضابط بريطاني كان في

خدمة الجيش العربي في الوقت الذي وقعت فيه الحادثة. حيث يقول في الصفحة (١٧٧) وبعد ان شرح تفصيلات المعركة كما وردت ووصف نصف البيوت على رؤوس أصحابها (أن هذه المذبحة كانت من نوع وحجم مذبحة دير ياسين ولا شيء في الاردن سيعود كما كان) ثم نجده يقول في الصفحة (١٧٨) ما يلي :

(إن مذبحة قبيه كونت نقطة تحول في العلاقات الانجليزية الاردنية. ولو كان الاسرائيليون قصدوا عمداً تدمير هذه العلاقات فلا يمكنهم أن يخطئوا لها أفضل من ذلك) .

ولكنه في هذا المجال أحجم عن الافصاح عن حقيقة مسؤولية الحكومة البريطانية بتقصيرها المتعمد في تسليح وتجهيز وتدريب الجيش العربي منذ تأسيسه وتعمدتها ابقاءه بحجم صغير وغير متوازن بحيث لا يستطيع قيادة نفسه بدون استخدام الضباط الانجليز وخصوصاً من ذوي الرتب العليا لأنها لم تدرب أعداداً كافية من الضباط العرب ليحلوا محلهم وبهذا الشكل فإنه لا يستطيع القيام بواجباته بشكل فعال في وجه التهديد الخارجي القادم من اسرائيل وبالنتيجة سيبقى مضطراً للإعتماد على بريطانيا ومعاهدتها باستمرار. وواضح هنا أن الجنرال (لنت) يقصد من كلامه هذا أن بقاء الفريق كلوب والضباط الانجليز في الجيش العربي قد أصبح مسألة وقت بانتظار توفر الظروف المناسبة التي ستفرض تنحيته عن قيادة الجيش ومعه الضباط الانجليز كما حدث فعلاً بعد سنتين. ولقد كان تحليله هذا مستمداً مما كان يراه من غضبة الشعب الاردني ضد بريطانيا وكل من يمثلها في البلاد وبالدرجة الاولى الفريق كلوب والضباط الانجليز الذين يعتبرهم الشعب مسؤولين عن وقوع هذه المجزرة الرهيبة وما سبقها من كوارث. حيث أنه ما لبثت ان وصلت انبأؤها الى الناس حتى خرجت المظاهرات الصاخبة تجوب شوارع المدن في جميع أنحاء البلاد. وقد كانت هذه الجموع الضخمة الغاضبة على اقصى درجات العنف بحيث لم يكن من السهل السيطرة عليها وكلها كانت تندد بشدة بالانجليز وبقائد الجيش الفريق كلوب وضباطه وتتهمهم بالتواطؤ مع اليهود وتطالب بطردهم من الجيش .

وقد أصبح موقف الحكومة الاردنية في غاية الحساسية. حيث أنها من جهة لا تستطيع تجاهل غضبة الشعب على أثر هذه المجزرة البشعة المؤله. ومن جهة اخرى فإنها كانت ترى أنها لا تستطيع تحقيق مطالبه باتخاذ إجراءات عنيفة ضد الفريق كلوب والضباط الانجليز في ذلك الوقت وبسرعة وتجاه هذا الموقف الصعب قررت الحكومة الاكتفاء بطرد قائد اللواء الثالث الزعيم (تيل أشتن) واعتبرته مسؤولاً عن هذا الحادث. وكذلك قررت الاستغناء عن خدمات قائد الكتيبة العاشرة الذي كان مسؤولاً عن الدفاع عن المنطقة التي تقع قرية قبيه ضمنها .

وبنفس الوقت صدرت بعض التصريحات التطمينية عن دولة فوزي باشا الملقى رئيس الوزراء التي نشرت في الصحف المحلية وقصد منها تهدئة الرأي العام. وقد توقعت الحكومة أن تكون هذه الإجراءات كافية لتهدئة شعور الناس والتخفيف من غضبتهم ولكن دون جدوى لأن حجم الكارثة كان أكبر بكثير من أن يعالج بالتصريحات. ومتزامناً مع هذه النشاطات اتخذت الإجراءات العسكرية اللازمة لمواجهة احتمالات الخطر على الحدود ضمن الامكانيات المتاحة. فقد اعلنت حالة الطوارئ في الجيش العربي وأعيد توزيع تشكيلات الفرقة من جديد وتقرر تركيز لوائين في الضفة الغربية بدل لواء واحد كما كان الترتيب سابقاً. وذلك لأن قيادة الجيش وجدت أن توزيع لواء واحد فقط على طول خطوط الهدنة سيجعل وحداته موزعة على نقاط متباعدة وستكون مواقعها الدفاعية من مستوى الفئات والحظائر لكي تستطيع تغطية كامل المنطقة بقواتها المتوفرة. وبالتالي فإنها ستكون ضعيفة في كل مكان ولا يتمكن قادة الكتائب من الاحتفاظ بقوات احتياطية لاستخدامها بالهجوم المعاكس أو لدعم المواقع المعرضة للهجوم المعادي .

وعلى هذا الأساس تقرر سحب اللواء الثالث بكامله من الضفة الغربية الى منطقة معسكرات (خو) شرق مدينة الزرقاء للتدريب. ووضع اللواء الأول مسؤولاً عن منطقة (نابلس - جنين) واللواء الثاني مسؤولاً عن منطقة (القدس - الخليل) وبعد عودتي الى قيادتي في منطقة الغور الشمالي بعد الانتهاء من أعمال هيئة التحقيق مباشرة تلقيت برقية من قيادة الفرقة تبلغني بنقل كتيبتي الى اللواء الأول بدل الكتيبة العاشرة التي تقرر نقلها مع اللواء الثالث الى الضفة الشرقية وإن أتولى الدفاع عن المنطقة الممتدة من طريق طولكرم - نابلس حتى حدود خط الهدنة الواقعة شمال مدينة جنين ثم الى الشرق حتى تصل الى نهر الأردن. وعلي أن اتحرك لاستلام المواقع الجديدة حالاً، وبعد الاجتماع مع قائد اللواء الأول وضعت خطة توزيع سرايا الكتيبة بشكل يتناسب مع خطورة الموقف الحالي. وقد اتبعت اسلوبي السابق الذي كنت اتبعه في منطقة القدس في توزيع نقاط الدفاع والذي كان يعتمد أساساً على وجود قوة احتياطية متحركة سريعة تستطيع الوصول إلى أي مكان يتعرض للاعتداء بسرعة كافية. وكانت نظريتي التي بنيت عليها خطتي الدفاعية أنه ما دما لنا في حالة حرب فعلية فإنه بإمكاننا ان اعتمد توزيع نقاط مراقبة على المواقع المتقدمة على طول خطوط الهدنة تكون مهمتها مراقبة مناطق الحدود من جانب اليهود باستمرار وتميرير المعلومات حالاً عن كل تحرك يجري أمامها مهما كان تافهاً. وقد تمكنت من تزويد جميع هذه النقاط بأجهزة لاسلكي لتأمين الاتصال المباشر والمستمر معها. ولكي لا يكون هنالك أي مجال لأي تأخير في وصول المعلومات بأقصى سرعة الى قيادة الكتيبة التي كانت أجهزتها

وجميع مرتباتها تعمل باستمرار ليلاً ونهاراً بالتناوب ولا لزوم للخوض في تفاصيل هذه الشبكات من أجهزة الاتصال . لكن يكفي أن أشير الى أن المعلومات عن هذه التحركات في أي قطاع من جبهة الكتيبة كانت تصلني خلال مدة لا تزيد عن عشرة دقائق أيّاً كان مصدرها وأينما كنت. كما خصصت قوة احتياط متحركة في قيادة الكتيبة تستطيع استخدامها للهجوم المعاكس ضد أي قوة معادية تهاجم أي موقع في جبهة الكتيبة. كما خصصت في قيادة كل سرية قوة احتياط متحركة قوامها حظيرة على الاقل ليتمكن قائد السرية من التدخل بسرعة بأي حادث ضمن منطقته ريثما يتمكن إحتياطي الكتيبة من الوصول إذا دعت الحاجة لإرساله .

وبعد وضع كافة تفاصيل الخطة وتوزيع مراكز السرايا على الخارطة جمعت قسم الأمر في قيادة الكتيبة بالساعة السادسة مساءً. وبعد اعطاء كافة الأوامر التفصيلية والتأكد من أن كل قائد وحده قد فهم واجباته بكل وضوح تحركنا بالساعة السابعة مساءً من منطقة الغور الى مواقعنا الجديدة. وبنفس الوقت طلبت من قائد الكتيبة العاشرة الذي كان لا يزال مسؤولاً عن المنطقة التي سنستلمها ان يبلغ قادة سراياه بأنه حال وصول وحدتنا الى مواقعها ان تنسحب وحدات الكتيبة العاشرة منها الى نقاط تجمعها في الخلف بدون تأخير لأنى لا اريد إضاعة الوقت في مسألة التسليم والاستلام الروتينية التي لا أرى ضرورة لها في الظرف الحاضر. ولا أريد أن استلم منهم شيئاً من تعليماتهم وأوامرهم الثابتة في تلك المواقع لأنى وضعت تعليماتى الخاصة الشاملة التي تنطبق على الأوضاع الجديدة .

وحوالي الساعة الثامنة صباحاً كانت جميع وحدات كتيبتي في مواقعها الأمامية وكنت على اتصال دائم مع جميع السرايا من قياداتي التي وضعتها في مركز شرطة سيلة الظهر. وقد أصبحت منطقة دفاعنا تمتد من قرية شويكة الواقعة شمال طولكرم وتتجه شمالاً الى مدينة جنين ثم تنحدر شرقاً حتى قرية فقوعه ثم الى غور الاردن جنوب بيسان. ولقد كان واضحاً أن هذه المنطقة الواسعة فوق قدرات كتيبة مشاه واحده مهما كانت وسائلها للحركة والاسناد. ولذلك قررت أن استخدم كل طاقات الحرس الوطني المتواجده في منطقتي. فعمدت أولاً الى تجهيز وتعزيز تسليح جميع أفراد الحرس الوطني من سكان قرى الحدود، وزودت كل قرية بضابط صف من الكتيبة ليقود جنود الحرس الوطني في الدفاع عن قريتهم وأن يقوم بتدريب أفراد الحرس أثناء النهار تدريباً متكاملأً وخصوصاً تدريبهم على الرماية بأسلحتهم الفردية ليتقنوها بمستوى جيد .

كما نظمت هذه القرى بمجموعات حسب عدد أفراد الحرس الوطني فيها بحيث تكون كل قريتين أو ثلاثة تشكل سرية واحده وعينت لها ضابطاً يقودها .

وكل مجموعة ثلاث سرايا من حوالي خمسة قرى أو أكثر حسب عدد السكان تعتبر كتيبة. وعينت لها قائداً كذلك. وربطت جميع هذه القيادات باللاسلكي أو الهاتف مع قيادة سرية الكتيبة الثامنة المسؤولة في منطقتها. وبعد ذلك قمت بتجميع ثلاثة كتائب حرس وطني محلية من القرى الخلفية جمعتها للتدريب كل واحدة بمفردها وبشكل دوري. وهكذا أصبح لدي في منطقتي حوالي خمسة كتائب من الحرس الوطني الأمامية والخلفية اعتمدت عليها إعتماً كبيراً في الدفاع عن المنطقة طيلة وجودي فيها. وقد أثبتت هذه الخطة فعاليتها في الكثير من الحوادث حيث أصبح بمقدوري أن أجمع قوات احتياطية من سرايا الكتيبة الثامنة لمواجهة أي اعتداء يقوم به العدو ضد أي قرية ضمن منطقة مسؤوليتي .

ولقد وقعت حوادث كثيرة خلال هذه المدة ولم يتمكن العدو من الوصول الى أي قرية واحداث تفجير فيها. كما لا أذكر ان العدو حاول الاقتراب من أي قرية وتمكن من العودة سالماً دون أن نكبده الخسائر من القتلى والجرحى التي كانت تتفاوت اعدادها حسب حجم الحادث ونوعه. وقد اختلفت الصورة عندئذ واخذت شكاوي اليهود تصل الى لجنة الهدنة ضدنا كالمعتاد ولكنها بدلاً من أن تشير الى حوادث التسلل أصبحت تقول أن جنود الجيش العربي اطلقوا النار على موقع كذا وأوقعوا الإصابات بين جنودهم وهذا يعتبر خرقاً خطيراً لشروط الهدنة ... الخ .

تصعيد الحوادث على الحدود والمداخلات الدولية :

لقد تسلمت كتيبتي مهمة الدفاع عن منطقة طولكرم - جنين كما شرحت سابقاً. وبعد إتمام توزيع وحدات الكتيبة على مواقعها الجديدة بدأت بإنجاز الترتيبات الدفاعية المطلوبة للمنطقة الواقعة ضمن مسؤوليتي بالشكل الذي يضمن منع تكرار مثل مأساة قبيه مستقبلاً. كما اتخذت جميع الإجراءات التي تضمن تمكيني من إيصال قوات الكتيبة الى أي مكان يتعرض للهجوم وبالسرية اللازمة .

وبهذه الأثناء تلقيت أمراً بالتوجه إلى قيادة الجيش لكي أقوم بتقديم شرح عن الوضع الدفاعي على طول الحدود وعن تفاصيل حادثه قبيه أمام اللجنة السياسية للجامعة العربية التي اجتمعت في عمان لبحث هذا الموضوع بناء على طلب من الحكومة الاردنية. فتحررت حالاً الى عمان وباشرت بتحضير الخرائط اللازمة وكتبت الخطاب الذي سألقيه أمام اللجنة السياسية في اليوم التالي. وقد انهيت هذه الاعمال التحضيرية في المساء. ثم ذهبت لاعرضه على دولة رئيس الوزراء في مكتبه حيث وافق عليها وفي اليوم التالي حضرت إجتماع اللجنة السياسية الذي عقد في مبنى رئاسة الوزراء الذي كان في شارع السلط. (في الموقع الذي

أقيمت عليه بناية البنك المركزي الحالي) وكان الوفد الاردني برئاسة دولة رئيس الوزراء فوزي باشا الملقى وعضوية معالي وزير الخارجية الدكتور حسين فخري الخالدي .

وبعد انعقاد الجلسة وإجراء بعض المناقشات اقترح فوزي باشا على المجلس ان يسمح لي بعرض شرح كامل عن الوضعية العسكرية على الحدود الاردنية وعن تفصيلات معركة قبيه كما حدثت واقعيًا نيابة عن الوفد الاردني بصفتي مستشاراً عسكرياً للوفد فوافق المجتمعون على هذا الاقتراح. وعندئذ قمت بالقاء خطاب شامل عن توزيعات القوات الاردنية ومقارنة حجمها مع طول الحدود على امتداد خط الهدنة. وبرزت خطورة المسؤولية التي يضطلع بها الجيش الاردني بقواته المحدودة. ثم قلت ان الغاية من حديثي ليست للتبرير أو إيجاد أعذار لما حدث في قبيه ولكن لكي يكون القادة العرب على علم بحاجات الاردن العسكرية والمادية التي تمكنه من الاضطلاع بمسؤولياته لمواجهة الخطر الدائم على طول خطوط الهدنة التي تبلغ حوالي (٦٥٠) ستمائة وخمسون كيلو متراً .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى شرح تفصيلات مجزرة قبيه كما وقعت فعلاً على ضوء مشاهداتي اثناء زيارتي لها مع هيئة التحقيق والمعلومات التي عرفتني من التحقيقات التي أجريناها مع الضباط المسؤولين في حينها. وخلصت بنتيجة بعد ذلك أنه لابد من تقوية الدفاعات في القرى الامامية وتعزيز قدرات قوات الحرس الوطني. وكذلك ضرورة زيادة حجم قطعات الجيش العربي المتواجدة في الضفة الغربية. وهذا ما قمنا به حالياً ضمن امكانياتنا عندما اعدنا انتشار قواتنا بكاملها مما اضطرنا لالغاء جميع برامج التدريب لهذه القوات وهذا أمر لا يجوز استمراره مدة طويلة .

وبعد الانتهاء من خطابي أبدى رؤساء الوفود تعاطفهم مع الأردن واستعدادهم لتقديم المساعدات اللازمة. كما أيد المؤتمر وضع ميثاق الضمان الجماعي موضع التنفيذ ولكن هذه القرارات لم تسفر بالنهاية عن أي شيء عملي من الناحية العسكرية .

وقد كان هذا متوقعاً وأما من الناحية المادية فقد تقرر دفع مبلغ مليون دينار لتقوية الحرس الوطني. ولكن الحكومة الاردنية لم تتلقى بالنهاية سوى جزء منه فقط .

أما على الصعيد الدولي فقد اتخذت الحكومة الاردنية الإجراءات الآتية :

أ - تقدم الوفد الاردني في لجنة الهدنة المشتركة بشكوى عاجلة وطلب عقد جلسة طارئة لبحث جادئة الاعتداء على قرية قبيه. واجتمعت اللجنة ظهر يوم الخميس ١٥ تشرين أول ١٩٥٣ م. وعلى الرغم من فظاعة هذا الاعتداء ووضوح مسؤولية اسرائيل عن تنفيذه فإن

قرار لجنة الهدنة جاء ضعيفاً وسخيفاً في آن واحد. حيث أنه بعد شرح حيثيات الاعتداء السافر الذي قامت به القوات الاسرائيلية ودمرت معظم البيوت في قرية قبيه على رؤوس اصحابها وقتلت عدداً هائلاً منهم أطفالاً ونساءً ورجالاً فقد نص قرار لجنة الهدنة على ما يلي : «تقرر لجنة الهدنة أنه من المهم جداً أن تقوم السلطات الاسرائيلية باتخاذ اشد الإجراءات لمنع تكرار هذه الاعتداءات على الاردن ورعاياها». وعلى أي حال فما هي قيمة قرارات لجنة الهدنة حتى لو كانت أشد من هذا القرار في مثل هذه الحالات التي لا يفيد فيها سوى ردع المعتدي بقوة السلاح .

ب - طلبت الحكومة الاردنية من العراق تنفيذ معاهدة التعاون العسكري المعقودة بين البلدين.

وبهذه الفترة تقدمت دول التصريح الثلاثي (امريكا وبريطانيا وفرنسا) (١) بطلب عقد جلسة عاجلة لمجلس الامن الدولي من تلقاء نفسها وبدون تكليف من الحكومة الاردنية. ورغم ان هذه الدول استنكرت الاعتداء الاسرائيلي على قبيه إلا أن كونها نقلت القضية الى مجلس الامن فإن موقفها هذا يدعو الى الشك والارتياح حيث كانت هذه الدول تستهدف وضع العالم العربي أمام قرار يدعو الفريقين للدخول في مفاوضات مباشرة تؤدي الى عقد الصلح .

لكن الحكومة الاردنية تنبهت الى هذا المسعى واجرت اتصالات مع الدول العربية لكي تقوم هي بتقديم الشكوى الى مجلس الأمن الدولي. وقد ابلغت السفير الاردني في واشنطن ليتخذ الإجراءات اللازمة لتقديم الشكوى عن طريق مندوبي الدول العربية في الجمعية العامة وأن تحصر موضوعها في حادث الاعتداء على قرية قبيه فقط .

وقد اتضحت خطورة مبادرة دول التصريح الثلاثي التي كانت تهدف ظاهرياً الى إدانة اسرائيل ولكن باطنياً كانت تهدف الى جر الدول العربية الى مفاوضات الصلح .

وقد القى بن غوريون خطاباً أذاعته إذاعة اسرائيل يوم الإثنين ١٩ تشرين اول عام ١٩٥٣ م وأنكر فيه أن تكون القوات الاسرائيلية النظامية هي التي نفذت هذا الاعتداء. كما أكد أن اسرائيل لن توافق على أن يعيش مواطنوها بدون حماية ولا أن يستمر المتسللون في اعمالهم دون تدخل الهيئات الدولية أو حلفاء بعض الدول العربية (وهو يقصد بهذا بريطانيا وامريكا). وها هي هذه الدول ذاتها قد تقدمت بطلبها لعقد جلسة مجلس الامن بحجة الشكوى ضد اسرائيل لكي تجر الدول العربية الى مفاوضات الصلح .

(١) انظر نص التصريح الثلاثي وجواب الدول العربية عليه في الملحق رقم (٣) .

وبنفس الوقت غادر مستشار وزارة الخارجية الاسرائيلية لحضور جلسات مجلس الامن الدولي وادلى قبيل سفره بتصريحات قال فيها :

(إن الدول العربية خلقت وضعاً يتطلب تدخلاً دولياً وإن العالم يجب أن يفهم أنه لا يمكن فصل حادثة قبيه عن سلسلة الحوادث العدوانية المستمرة على حدود إسرائيل - ثم قال : إن إسرائيل ستطلب الى الأمم المتحدة إيجاد حل جذري مبني على اسس سلمية للوضع الحالي الذي لا يطاق) .

إذن أصبح واضحاً أن إسرائيل سوف تستغل مأساة قبيه التي خلقتها هي وستقلب الأوضاع بحيث تظهر بأنها هي البلد المعرض للاعتداء عليه من قبل المتسللين العرب وليست هي المدانة بارتكابها هذه الجريمة والتي تعتبر أصلاً حلقة من سلسلة الاعتداءات التي خططت لها منذ مدة وشكلت قوة خاصة لتنفيذها اطلقت عليها اسم (الوحدة - ١٠١) . وسوف تستمر بتنفيذها بحسب خطتها العامة التي ترمي الى الضغط على الدول العربية لارغامها على الدخول بمفاوضات الصلح بحسب شروط إسرائيل. ومن هنا يتضح مدى الخبث والمكر من وراء الطلب العاجل الذي تقدمت به دول التصريح الثلاثي الى مجلس الامن الدولي لعقد جلسة طارئة لبحث جريمة الاعتداء على قرية قبيه والذي مهدت لقبوله من قبل الدول العربية بإصدارها بعض تصريحات الاستنكار ضد إسرائيل لارتكابها هذه الجريمة. ولكن تنبه الدول العربية لهذه المواقف احبط غايتها وبقيت مباحثات مجلس الامن محصورة بموضوع الاعتداء على قرية قبيه فقط دون التطرق الى موضوع مفاوضات الصلح .

ثم استدعى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة كبير المراقبين الجنرال (بينيكى) الدانماركي الجنسية الى نيويورك حيث قدم الى مجلس الامن الدولي تقريراً مفصلاً عن حادث الاعتداء وفي جلسته التي عقدها يوم الجمعة ٢٠ تشرين ثانى عام ١٩٥٣م. ناقش المجلس مشروع القرار الذي قدمته دول التصريح الثلاثي وطلبت فيه توجيه اللوم الى إسرائيل ووافق المجلس على هذا القرار الا أن الدول العربية رفضته لأنه لم يتضمن إدانة هذا العدوان والطلب من إسرائيل دفع التعويضات عن الخسائر والاضرار التي تعرض لها أهالي قرية قبيه بنتيجة العدوان الاسرائيلي عليها .

وهكذا انتهت هذه القضية في مجلس الامن واسدل الستار على مأساة قبيه بحرب كلامية لا طائل من ورائها سواء كان ذلك على المستوى العربي أو الدولي، ولقد اثبتت الايام فيما بعد ان القرارات والمؤتمرات والتهريج السياسي وتنسيق التصاريح الحماسية لا تردء إسرائيل ولن توقفها عند حدها لانها لا تفهم الا منطق القوة حيث استمرت بتنفيذ سلس

متواصلة من الاعتداءات المماثلة على القرى الامامية حسب متطلبات خطتها العامة التي أشرت لها سابقاً .

وضمن هذا الإطار استمر الاسرائيليون بتنفيذ هذه الغارات على طول الجبهة الاردنية ثم امتدت بعد فترة الى الجبهتين المصرية والسورية. وكانت الذريعة التي يعلنونها دوماً كسبب لقيامهم بهذه الغارات هي انها جاءت انتقاماً للحوادث التي يرتكبها المتسللون العرب بداخل اسرائيل. ولكن الحقيقة هي انهم كانوا سينفذون هذه الاعتداءات سواء كانت هناك حوادث تسلل أو لم تكن لأنها كانت أصلاً عبارة عن حلقات متصلة من سلسلة حوادث قرروا تنفيذها ضمن إطار خطتهم العامة. فلو لم تكن هناك حوادث تسلل لاخترعوا ذريعة أخرى لاعتداءاتهم تلك لأنهم كانوا يهدفون من ورائها الضغط على العرب لجبرهم الى مفاوضات الصلح حسب شروطهم .

لقد استرسلت بعض الشيء في الحديث عن حوادث الحدود لكي أضع القارئ في الجو العام الذي كان سائداً في تلك الأيام نظراً لما نتج عنها من عواقب خطيرة وتطورات سياسية هامة شملت المنطقة العربية بأسرها. ولايضاح هذه الصورة يحسن أن أشير الى بعض الحوادث الهامة التي وقعت على الساحة الاردنية خلال تلك الفترة بشكل مجمل مع ذكر مثل آخر شبيه بحدث قبیه لتأكيد طبيعة نوايا اسرائيل فيما يلي :

أ - الهجوم على قرية نحالين :

في ليلة ٢٨/٢٩ آذار عام ١٩٥٤م اجتازت سريتان من الوحدة الخاصة رقم (١٠١) خط الهدنة وتغلغت حوالي ثلاثة كيلومترات داخل حدودنا حتى وصلت الى قرية نحالين التي كانت تنوي تدميرها كما فعلت في قرية قبیه قبلها، وعند وصولها حوالي منتصف الليل قامت بتطويقها بقوة سرية ثم دفعت السرية الاخرى الى داخل القرية لتباشر بعمليات نسف المنازل وقتل السكان كالمعتاد ولكنها اصطدمت بقوة الحرس الوطني المدافعه عن القرية وأثناء الاشتباك تكبد اليهود بعض الإصابات ولكنهم مع ذلك تمكنوا من نسف بيتين في طرف القرية وعلى إثر اتصال جندي اللاسلكي المخصص للقرية مع قيادة الكتيبة العسكرية المسئولة عن المنطقة. تحركت قوة النجدة الى نحالين عن طريق قرية حوسان ولكنها اصطدمت بلغم وضعه اليهود على هذا الطريق بالقرب من القرية فأنقلبت السيارة وقتل ثلاثة من الجنود وجرح ضابط واربعة جنود آخرين. ولكن رغم هذا فقد تمكنت بقية قوة النجدة من الوصول بالوقت المناسب والاشتباك مع اليهود. وقد استمرت المعركة حوالي ساعة وأجبرتهم على الانسحاب وفشلوا في تحقيق هدفهم بتدمير القرية وتكبدوا بعض الخسائر بالارواح .

ولولا مقاومة افراد الحرس الوطني مدة كافية ووصول قوة النجدة بالوقت المناسب لحدث في نحالين كما حدث في قبيه. هذا وقد كان مجمل الاصابات بالاضافة الى جنود الجيش مقتل خمسة من افراد الحرس الوطني ومقتل امرأة وجرح اربعة عشر شخصاً من السكان. وقد ادعى اليهود انهم نفذوا هذا الحادث انتقاماً لاعتداء المتسللين العرب على باص يهودي في مضيق وادي العقارب في منطقة النقب بتاريخ ١٧ آذار عام ١٩٥٤ م والذي اسفر عنه مقتل احد عشر شخصاً من ركابه. وكان الوفد اليهودي قد انسحب من لجنة الهدنة على إثر هذا الحادث وقاطع الاجتماعات احتجاجاً على هيئة الامم المتحدة حسب قولهم لانها لم تستطع منع حوادث التسلل. وقد كانت حجتهم هذه واهية لأن ادعاءاتهم عن حوادث التسلل كانت أصلاً مبالغ فيها عمداً ويقصد منها خلق الاعذار والتبريرات لما يقومون به هم من اعتداءات مدبره على سكان القرى الامامية ضمن إطار خطتهم العامة لخداع الرأي العام العالمي وإيهامه بأن العرب هم دوماً معتدون ويهددون أمن اسرائيل واستقرارها. وأن ما يقومون به من اعتداءات انما هو دفاع عن النفس. وأما السبب الحقيقي لمقاطعتهم اجتماعات لجنة الهدنة فهو للتملص من مسؤولية الحوادث التي ينوون تنفيذها لأن مراقبي لجنة الهدنة بهذه الحالة لا يستطيعون بحث الشكاوي حيث أن قراراتهم في غياب الوفد اليهودي ستكون من جانب واحد. وبالإضافة لذلك فإن الاسرائيليين يستطيعون انكار قيامهم بهذه الحوادث أصلاً. أو الادعاء بأن الاردنيين هم الذين اعتدوا عليهم واضطروهم للدخول معهم بمعركة او انهم فبركوا هذا الحادث لغايات سياسية .

والهدف في كل هذه الاحوال هو تضليل الرأي العام العالمي باساليب المراوغة المختلفة التي اشتهروا بها لكي ينفذوا اعمالاً اخرى لا يريدون ان يثيروا الرأي العام بها قبل الأوان .

ولقد اسهبت في شرح تفصيلات حادثة نحالين هذه لأنها تنطبق على جميع الحوادث الاخرى التي شملت العديد من القرى الامامية والتي استمر اليهود بتنفيذها بسبب وبدون سبب . كما اردت أن اعطي وصفاً لأسلوب التعامل مع هذه الحوادث من قبل قوات الجيش والحرس الوطني والذي كان تقريباً متشابهاً مع تفاوت النتائج في النجاح والفشل حسب مقتضيات الظروف ولابرز كيفية التعامل مع اليهود ضمن إطار لجنة الهدنة في تلك الأيام. ولأبين عدم جدوى التفكير بإمكانية التوصل معهم الى حل لاية قضية مهما صغر حجمها إلا إذا كانت النتائج لصالحهم ومن الطبيعي أن هذا التعامل قد ازداد صعوبة الآن مع تعاظم تفوق اسرائيل العسكري .

ب - ولإظهار حجم المشكلة وعمليات التصعيد التي كانت تقوم بها اسرائيل في تلك الآونة كجزء من مخططاتها لتحقيق اهدافها الاخرى سأذكر هنا بعض الحوادث المهمة التي وقعت خلال عام ١٩٥٤ م :

- ١ - بتاريخ ٧ نيسان - الهجوم على قرية حوسان
- ٢ - بتاريخ ٩ أيار - الهجوم على قرية نعلين
- ٣ - بتاريخ ٢٧ أيار - الهجوم على قرية جنبا
- ٤ - بتاريخ ٢٨ حزيران - الهجوم على قرية عزون
- ٥ - بتاريخ ١ آب - الهجوم على بيوت في طرف مدينة جنين
- ٦ - بتاريخ ١٣ آب - الهجوم على قرية بير مذكور
- ٧ - بتاريخ ١ أيلول - الهجوم على قرية بيت لقيا

وقد كانت جميع هذه الحوادث متشابهة في طريقة التنفيذ ولكن نتائجها كانت متفاوتة من حيث النجاح والفشل. ومع ذلك فقد أمكن صد القوات الاسرائيلية المعتدية من قبل القوات المتواجدة في القرى من الحرس الوطني والشرطة مع وصول قوة النجدة في الوقت المناسب ولم يتمكن اليهود من النجاح بإحداث تدمير وأضرار بالغة كما كانت تهدف خططهم .

وخلال هذه الفترة من التصعيد في حوادث الحدود كانت اسرائيل تقوم بتنفيذ مشروعها لتحويل مياه نهر الاردن من جنوب بحيرة الحولة الى منطقة النقب لبناء المستوطنات لاسكان عشرات الالوف بل مئات الالوف من المهاجرين اليهود فيها. فقد كانوا يمدون الانابيب الضخمة لجر مياه النهر عبر السهل الساحلي بينما كانوا بنفس الوقت يقومون بتجفيف مستنقعات الحولة لبناء المنشآت اللازمة وتركيب مولدات الكهرباء ومحركات الضخ في تلك المنطقة. وقد أكملوا هذا المشروع خلال سنتين من العمل الدؤوب وتمكنوا بالنتيجة من تحويل جميع مياه روافد الاردن الى النقب .

وبينما كانت اسرائيل تواصل حملاتها العدوانية على القرى الامامية اخذت تبني قواتها المسلحة على نطاق واسع وبمساعدة دول التصريح الثلاثي العتيدة (وبشكل خاص امريكا وفرنسا) حصلت على كميات ضخمة من الطائرات الحديثة والاسلحة الاخرى ذات الاهمية الاستراتيجية. وكثفت جهودها لبناء قوة جوية متفوقة كماً ونوعاً على جميع القوات الجوية العربية. كما قامت ببناء اسطولها البحري من قوارب الصواريخ الحديثة والمدمرات والغواصات. وبنفس الوقت بدأت بتنفيذ خطة شاملة للتصنيع الحربي لانتاج مختلف انواع

الاسلحة الخفيفة والثقيلة ومنها بعض انواع الدبابات والمدافع والطائرات الحديثة حيث حققت فيما بعد اكتفاءها الذاتي ثم اخذت تباع كميات من هذه الاسلحة الى مختلف دول العالم .

والأخطر من كل هذا ان اسرائيل تمكنت بمساعدة امريكا وفرنسا من بناء مفاعل نووي ضخم في (ديمونا) بمنطقة النقب بشكل سري واخذت تطوره مع الزمن حتى تمكنت من إنتاج القنابل الذرية واصبح لديها ترسانة كبيرة من هذا السلاح الفتاك .

لذلك رفضت التوقيع على اتفاقية حضر انتشار الاسلحة النووية. كما رفضت التفتيش على مفاعلها النووي من قبل لجنة الطاقة الدولية. وكانت امريكا طيلة الوقت تساند اسرائيل في جميع أعمالها وتصرفاتها رغم خطورتها على السلام العالمي والأمن الدولي. ولم تكن اسرائيل لتستطيع انتاج هذه القنبلة لولا حصولها على اليورانيوم والمساعدات العلمية والتقنية من امريكا وفرنسا بشكل أساسي ومن بعض الدول الاخرى مثل السويد التي زودتها بالماء الثقيل الذي يعتبر مادة أساسية في صنع القنبلة الذرية. ولم تكن اسرائيل لتتمكن من النجاح في انتاج القنبلة الذرية لولا المساعدة الفعالة التي قدمتها لها فرنسا بتزويدها بالمفاعلات واليورانيوم المخصب. ومن ثم السماح لها بإجراء تجارب التفجير في صحراء الجزائر اثناء عهد استعمارها .

وهذا بالاضافة الى المساعدات الاخرى التي قدمتها لها حكومة جنوب افريقيا العنصرية التي تعاونت معها علمياً وعملياً على نطاق واسع وقدمت لها كافة التسهيلات التي تحتاجها لإجراء مختلف التجارب والاختبارات الأساسية في اراضيها .

وبينما استمر الاسرائيليون في تطبيق مخططهم الشامل على كافة الصعد لم يكن بإمكاننا في الاردن مظاهراتهم في ميدان التسليح نظراً لمحدودية امكانياتنا المادية من جهة ولارتباطنا مع بريطانيا بالمعاهدة واعتمادنا كلياً عليها بالتسليح والتدريب وقيادة الجيش ووحداته من قبل الضباط الانجليز من جهة ثانية. وقد كانت بريطانيا حريصة على أن تبقىنا كذلك. ولهذا فإن تزويدها لنا بالسلاح كان محدوداً لأنهم كانوا يسمونه توازن التسليح الذي معناه الظاهري ان حيازة الاطراف المعنية بالصراع للأسلحة يجب أن تكون متعادلة. ولكن معناه الحقيقي والفعلي الذي كانوا يطبقونه هو ان تبقى القدرة القتالية للجيش العربية مجتمعة أقل من قدرة اسرائيل .

وبنتيجة سياسة الحكومة البريطانية هذه كان اقصى ما تمكن الاردن ان يحصل عليه منها في مطلع عقد الخمسينات من التسليح كان مقتصرأ على إعادة تنظيم الوية المشاه بحيث

يصبح لدينا فرقة مشاة واحدة مع اسلحتها الاسنادية التقليدية من المدفعية والدروع. ولكنها لم تمكننا من بناء قوة جوية من أي حجم ذات قيمة قتالية فعالة .

وقد كان موقف الحكومة البريطانية الرسمي من هذا الموضوع ان الاردن مجمي تجاه الخطر الصهيوني من اسرائيل بقوة التصريح الثلاثي الذي اتفقت عليه امريكا وبريطانيا وفرنسا واصدروه بتاريخ ٢٠ مايس عام ١٩٥٠م (انظر الملحق رقم ٣) والذي كان فحواه أن هذه الدول الثلاث تضمن الحفاظ على الحدود القائمة عند صدور هذا التصريح لجميع دول المنطقة (١) . ومن الطبيعي ان مثل هذا الكلام تجاه اطماع اسرائيل التوسعية وتفوقها العسكري الذي تحققه لها تلك الدول الثلاثة نفسها بإستمرار سيكون في وقت الجد أوهى من بيت العنكبوت لاسيما ونحن نعرف أن هذه الدول الاستعمارية لا يهملها أن تتطلع الى سلامة البلاد العربية إلا بالمقدار الذي يتفق مع مصالحها ويهيء لها التسهيلات والموارد الطبيعية التي تريدها وتحتاجها في مواجهة الاتحاد السوفياتي. وهي في هذا الاتجاه تعتبر ان اسرائيل اقرب حليف لها. ولا يمكن إذن أن توافق على تمكين الدول العربية من أن تصبح أقوى منها مهما كانت الأسباب. وأكبر دليل على هذا أن هذه الدول نفسها لم تتورع عن غزو مصر بالتحالف مع اسرائيل عام ١٩٥٦م عندما شعرت أن قوة مصر بدأت تتنامى بعدما عقد جمال عبد الناصر اتفاقية استورد بموجبها كميات ضخمة من الاسلحة الروسية الحديثة حيث اعتبرت ان هذا التسلح سيمكن مصر من تهديد اسرائيل في المستقبل. فتآمرت بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل وشنت هجوماً عاماً على مصر. ذلك الهجوم الذي صار يعرف فيما بعد بإسم العدوان الثلاثي .

(١) كتاب سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين (الجزء الثاني) تأليف الدكتور حسن صبري الخولي .

دراسة الخطة الدفاعية العامة :

بعد الانتهاء من آخر مناوره اشتركت بها على رأس كتبتي الثامنة مع قيادة الفرقة والاسلحة المساندة تقرر إعادة اللواء الثالث الى الضفة الغربية ونقل اللواء الأول الى منطقة التدريب في (خو) شرق الزرقاء. وقد خصصت الكتيبة الثامنة لاستلام منطقة القدس وهكذا عدنا إلى مواقعنا السابقة التي رحلنا عنها قبل عشرة أشهر تقريباً. وتمركزت الكتيبة الرابعة في منطقة (نابلس - جنين) والكتيبة الثانية في منطقة الخليل. بينما تمركزت قيادة اللواء في قرية الرام جنوب شرق رام الله. وبعد اتمام هذه الحركات ذهب قائد اللواء الزعيم (باري) بالإجازة الى بريطانيا لمدة شهرين وتقرر تعييني قائداً اللواء الثالث بالوكالة (علينا ان نتذكر هنا انه بهذه الأيام كان جميع قادة الألوية ومعظم الكتائب من الضباط الانجليز) وبهذه الاثناء عقدت قيادة الجيش مناوره شكلية لدراسة الخطة العامة للدفاع عن الضفة الغربية في حالة نشوب حرب مع اسرائيل. وقد وضع هذه الخطة العامة الزعيم (هتن) (HATTON) مدير هيئة الاركان في قيادة الجيش. وكانت قيادة الجيش قد أقامت هذه المناورة لكي تتمكن من شرح خططها الدفاعية الى جلالة الملك على أرض الواقع. وقد تم بناء مخيم خاص قرب بلدة سلفيت أقام فيه الملك اثناء شرح مراحل هذه المناورة من قبل قائد الجيش ومدير هيئة الاركان. وقد حضرت هذه المناورة بصفتي قائد اللواء الثالث واشتركت في جميع مراحلها مع قادة الألوية الآخرين وقادة الاسلحة الاسنادية. (الدفعية والهندسة والدروع) لقد كان التركيز اثناء الشرح الذي قدموه لنا عن هذه الخطة الدفاعية منصفاً على ابراز النقاط الفنية الرئيسية التي اعتمدت كمركزات للخطة. وأهم هذه المركزات كانت مسألة موقع الدفاعات الرئيسية التي بنيت الخطة على أساسها وهي المواقع الجبلية المسيطرة. وهذا معناه الانسحاب من العديد من القرى الامامية الواقعة في الاراضي المنخفضة على طول خطوط الهدنة لأنه لا يمكن الدفاع عنها لمدة طويلة أمام هجوم مركز من قوات آلية ومدرعة لأنها تقع في ارض منخفضة ومتباعدة عن بعضها ولا تصلح لتكوين مناطق دفاعية متكاملة بحيث تتمكن القوات المدافعة عنها ان تصمد أمام زحف قوات كبيرة تهدف الى اختراق الجبهة والتقدم لمسافة بعيدة في العمق. ومن هذا المنطلق فإن محاولة الدفاع عن كل شبر من الارض على طول خطوط الهدنة سوف يتطلب توزيع جميع قطعات الجيش الرئيسية على نقاط دفاعية صغيرة لا تكاد تصلح لأكثر من حجاب ساتر ولن يكون بإمكانها الصمود أمام هجوم مركز على أي حال لأنها ستكون ضعيفة في كل مكان .

وبهذا الأسلوب سوف نعطي الفرصة للعدو لاختراق هذه الدفاعات الضعيفة بسهولة لأنه سوف يستطيع تركيز قوة متفوقة أمام أي موقع من هذه المواقع ويتمكن من اختراقه

والتقدم بسرعة في العمق. وعندئذ سوف لا نتمكن من إيقاف زحفه عند أي موقع خلفي لعدد وجود قوات احتياطية لدينا لشن الهجوم المعاكس أو مواقع دفاعية رئيسية تستطيع منه تقدمه وتطوير هجومه على نطاق واسع بهدف احتلال الضفة الغربية بكاملها والوصول إلى عمان لأننا بهذه الحالة نكون قد خسرنا قطعات الجيش سلفاً في المواقع الصغيرة الأمامية التي نشرناها فيها مسبقاً .

بينما لو ركزنا مواقعنا الدفاعية الرئيسية في المناطق الجبلية المسيطرة على طرق الاقتراب سوف يكون بالإمكان الصمود أمام زحف القوة المعادية وإيقافها ثم صدها. أو على الأقل الاستمرار بمقاتلتها لفترة من الزمن حتى تصلنا قوات أخرى من الجيوش العربية لنجدتنا وعلى أي حال فإن الأمل في الصمود في المواقع الجبلية سيكون أكبر بكثير منه في حالة نشه القوات على طول خطوط الهدنة لا سيما وأن أول أهداف الحرب يجب أن يكون تدمير قوات العدو المسلحة كما هو متعارف عليه. ومن هذا المنطلق فإن الوقوف في الدفاع هو بالضرورة حالة مؤقتة للتحويل منها إلى الهجوم المعاكس بهدف تدمير القوة المعادية وليس البقاء في الدفاع إلى مالا نهاية وتلقي ضربات العدو واستنزاف قواتنا بشكل تدريجي ومستمر دور تأثير فعال على قواته. وإذا اعتبرنا مدى التفوق بالحجم والتسلح الذي كان يتمتع به العدو علينا سوف نتضح لنا خطورة محاولة نشر قواتنا بأحجام صغيرة على طول خطوط الهدنة والاعتماد على خط دفاعي ضعيف بدون قوات احتياطية يمكنها التصدي لأي اختراق قد ينجح العدو بتحقيقه في أية نقطة من الجبهة .

هكذا كان الايضاح لمرتكزات الخطة كما شرحوها لنا أثناء هذه المناورة. وقد يحسن هنا أن أبين الخطوط العريضة للنظريات التي كانت تبني عليها الخطط الدفاعية في تلك الأيا حيث كان تصور قائد الجيش وأركان حربه من الضباط الانجليز للعمليات الحربية للجيش العربي يستند على ثلاثة نظريات رئيسية كما يلي :

أولاً : حرب عامة تشنها اسرائيل بقصد تدمير الاردن أما بعملية مستقلة موجهة لإحتلال الضفة الغربية وأما كجزء من عملية شاملة تتضمن الهجوم على سوريا ومصر والاردن .

ثانياً : حرب استنزاف مرهقة تشنها اسرائيل على طول الحدود تأخذ طابع عمليات انتقامية عقابية قاسية ضد القرى الامامية. ومثل هذه الحرب الثانوية تتفق مع سياس اسرائيل العدوانية الانتقامية التي بدأت بتطبيقها منذ عام ١٩٥٣م، وأوضح مثالا عليها تدمير قرية قبيه .

ثالثاً : حرب عالمية بين الدول الغربية والاتحاد السوفياتي ويتمخض عنها زحف عسكري سوفياتي رئيسي في الشرق الاوسط بهدف الوصول الى قناة السويس ومناجم النفط بمنطقة الخليج العربي. وبهذه الحالة سيتعرض الاردن للهجوم عبر العراق أو سوريا.

النظرية الأولى :

وهي في حالة وقوع حرب عامة تشنها اسرائيل على الاردن والتي نحن بصدها والتي وضعت هذه المناورة لشرح خطتها عملياً أمام جلالة الملك حسين وكانت تعتمد أساساً على المناطق الدفاعية الرئيسية الواقعة على سلسلة الجبال التي تسيطر على محاور الاقتراب الرئيسية في مناطق جنين - نابلس - رام الله - القدس - الخليل .

وقد وضعت الخطة العامة للدفاع عن هذه المناطق ضمن هذا المفهوم على ثلاثة مراحل كالآتي :

أ - المرحلة الأولى :

الدفاع عن الخط المشار اليه اعلاه في المواقع الرئيسية لأطول مدة ممكنة حسب تطور المعركة وامكانية الاستمرار في الدفاع عن هذا الخط دون أن تتعرض القوة الرئيسية للتدمير من قبل قوات العدو المتفوقة. وعندما يصبح الاستمرار بالدفاع عن هذا الخط مستحيلاً من قبل قوات الجيش العربي وعدم وصول قوات عربية لتعزيزها. تنسحب قوات الجيش العربي المتبقية من هذه المواقع لتقصير الخط الدفاعي وحصر الدفاع في جبال القدس .

ب - المرحلة الثانية :

باعتبار ان منطقة القدس هي أهم هدف عسكري استراتيجي لأنها تسيطر على جميع الطرق الرئيسية التي تؤدي الى جميع انحاء فلسطين وهي بنفس الوقت تعتبر أثمن موقع فيها. من مختلف النواحي الدينية والقومية والمعنوية فإنه يجب الاحتفاظ بها لأطول مدة ممكنة. وعلى هذا الأساس فسوف تكون هي القاعدة الرئيسية التي تتمركز فيها جميع القوات المنسحبة من منطقة نابلس وجنين في الشمال ومن منطقة الخليل في الجنوب وتأخذ مواقعها الدفاعية في جبال القدس وضمن دائرة تشمل رام الله في الشمال وبيت لحم في الجنوب لكي تغلق جميع طرق الاقتراب المؤدية الى مدينة القدس من الشمال والغرب والجنوب. وبنفس الوقت تحاول الإبقاء على طريق المواصلات الرئيسية بين القدس وعمان مفتوحة .

وعند هذه النقطة برزت مشكلة الجسور الواقعة على نهر الاردن واحتمال تدميره بالقصف الجوي في بداية المعركة. واعتبرت الخطة ان هذا الاحتمال وارد منذ بداي القتال. ولذلك فإنه يجب الاستعداد لبناء جسور مؤقتة بديلة وبسرعة اثناء المعركة وابتداع وسائل اخرى لنقل مواد التزويد عبر النهر الى الضفة الغربية لضمار الاستمرار بتزويد القوات المقاتلة بحاجاتها رغم كل الصعوبات. وكذلك العمل على تكديس الذخائر الاحتياطية الكافية في المواقع الدفاعية الرئيسية لتمكينها من الاستمرار بالقتال .

ج - المرحلة الثالثة :

افترضت الخطة أنه في حالة تعرض خطوطنا الدفاعية في منطقة القدس لخطر الاجتياح وعدم امكانية صمودها في الدفاع مدة أطول أمام هجمات العدو فعندئذ سيتم سحب القوات المدافعة عنها إلى الضفة الشرقية لتأخذ مواقع دفاعية على طول سلسلة الجبال الواقعة شرقي نهر الاردن والتي تسيطر على طرق الاقتراب المؤدية شرقاً من محاور الضفة الغربية لإيقاف تقدم العدو عبر النهر نحو عمان .

النظرية الثانية :

وهذه النظرية لم تعد فرضية احتمالية حيث دخلت مرحلة التنفيذ العملي منذ عام ١٩٥٣ . وقد كانت إجراءات مواجهتها تعتمد بشكل أساسي على الخطط الدفاعية الموضعية التي تضعها الكتائب المسؤولة عن الدفاع في الضفة الغربية والتي أصبح الحرس الوطني يشكل عنصراً هاماً فيها للدفاع عن القرى الامامية بقيادة ضباط وضباط صف من الجيش العربي الأردني. وترتبط جميع هذه الوحدات بإمرة قائد الكتيبة المسؤول عن تلك المنطقة والتي تعتبر القوة الأساسية في الدفاع. وواجبها حماية جميع القرى في منطقتها من هذه الاعتداءات.

ولتأمين الدفاع عن الضفة الغربية في مثل هذه الأحوال وحماية القرى الامامية كانت قيادة الجيش تنشر فيها لواء مشاه في الأحوال العادية التي تتصف عادة بالهدوء النسبي على طول خطوط الهدنة. وكانت توزع كتائب هذا اللواء على المناطق الثلاث. فتصبح كتيبة مسؤولة عن منطقة نابلس وجنين وكتيبة عن القدس ورام الله وكتيبة عن الخليل وبيت لحم. وأما في الظروف التي كانت تتصف بالحدة وازدياد الاعتداءات الاسرائيلية على القرى الامامية وخصوصاً بعد حادث قبيه فقد أصبحت الخطة الدفاعية تتطلب نشر لوائين في

الضفة الغربية أحدهما مسؤول عن المنطقة الشمالية (نابلس - جنين) والثاني مسؤول عن المنطقة الوسطى والجنوبية (القدس - الخليل) وكانت قوات الحرس الوطني توضع بأمرة كتائب الجيش النظامية للعمليات الحربية والتدريب. ولكنها تبقى مرتبطة بإمرة قيادة الحرس الوطني العامة لأغراض الإدارة والتنظيم والاستدعاء للخدمة حسب متطلبات قانون الحرس الوطني .

النظرية الثالثة :

أما النظرية الثالثة التي كانت تفترض نشوب حرب عالمية واحتمال تعرض الاردن لهجوم بري سوفياتي عبر سوريا او العراق فقد كانت الخطة البريطانية الموضوعة لمواجهة هذا الاحتمال وبالتنسيق مع قيادة الجيش العربي بموجب المعاهدة تتطلب الإجراءات الآتية :

أولاً : تكديس الذخائر والأسلحة والمعدات بمستودعات خاصة في المملكة الاردنية الهاشمية بالكميات اللازمة لإدامة فرقة مدرعه بريطانية في بداية المعركة وتزداد حسب المتطلبات العسكرية بحيث يصبح بإمكان الجيش البريطاني أن يرسل جميع الجنود بطريق الجو الى الاردن ليتسلموا دبابتهم وذخائرهم ويشتركوا رأساً في المعركة خلال مدة ٤٨ ساعة. وقد سميت عملية التكديس هذه بالاسم الرمزي : انك بوت (INK POT) . وقد تم فعلاً تخزين كميات كبيرة من هذه الذخائر في ذلك الوقت. وبعد رحيل الانجليز عن الأردن بعد الغاء المعاهدة تم تسليم قسمًا كبيراً من هذه الذخائر والمعدات للجيش العربي حسب الاتفاق الذي تم بين الحكومتين حينئذ .

ثانياً : توفير المواقع اللازمة المناسبة لبناء بعض القواعد الجوية البريطانية عليها اثناء السلم لتسهيل استعمالها بسرعة اثناء الحرب. وقد تم بناء قاعدة المفرق الجوية على هذا الأساس. كما كانت قيادة القوة الجوية البريطانية تتمركز في مطار عمان العسكري .

ثالثاً : وضعت كتيبة دبابات بريطانية في العقبة بعد قيام اليهود باحتلال النقب الجنوبي ومنطقة ساحل إيلات عام ١٩٤٩ م. وقد استقدمت هذه الكتيبة المدرعة بناء على طلب الاردن بموجب المعاهدة لحماية تلك المنطقة ووقف اي تقدم محتمل لإحتلال العقبة .

وقد بقيت هذه الكتيبة معسكرة في العقبة بشكل دائم كجزء من الخطة البريطانية بحيث تستطيع التحرك للإنضمام لقواتها الرئيسية بسرعة. ويمكن حسب متطلبات المعركة وتوفير الامكانيات زيادة حجم هذه الكتيبة عن طريق البحر لكي تصبح لواء مدرع في حالة تطور الخطر .

رابعاً : تقديم التسهيلات اللازمة للقوات البريطانية لإستعمال طرق المواصلات البرية والجوية عبر الأردن في حالة الحرب وحسب المتطلبات الحربية. وكذلك إستعمال ميناء العقبة من قبل القوات البريطانية .

خامساً : تشترك قوات الجيش العربي في المعركة مع القوات البريطانية للدفاع عن الحدود الاردنية. ويمكن إذا اقتضت الضرورة وبموافقة الحكومة الاردنية إرسال قوات الجيش العربي للقتال خارج حدود الاردن في جبال العراق الشمالية .

سادساً : أما في حالة وقوع حرب عامة مع اسرائيل والمشار إليها في بند النظرية الاولى اعلاه. فإن الحكومة البريطانية ملتزمة بموجب المعاهدة ان تشترك في حرب دفاعية عن حدود الاردن. وفي حالة قيام اسرائيل بالهجوم واختراق هذه الحدود. وعندما تطلب الحكومة الاردنية من الحكومة البريطانية تطبيق المعاهدة بإرسال قواتها لنجدة القوات الاردنية .

وقد كانت نصوص المعاهدة هذه تشمل حدود شرقي الاردن فقط. وبمعنى آخر فإن بريطانيا كانت تعتبر انها ليست ملزمة بمساعدة الاردن عسكرياً في الدفاع عن حدود الضفة الغربية فيما لو قامت اسرائيل باجتياحها. وقد تم تعديل هذا البند فيما بعد ليشمل الضفة الغربية في هذا الضمان الوارد في صلب المعاهدة. وعلى أي حال وبصرف النظر عن الموقف الذي يمكن أن تتخذه بريطانيا فإن الخطط الدفاعية التي كانت موضوعة للدفاع عن المملكة الاردنية الهاشمية ضد هجوم عام اسرائيلي سواء كان ذلك أثناء وجود الفريق كلوب أو بعد ذهابه وحتى تاريخ الغاء المعاهدة كانت تتضمن إمكانية اشتراك القوات البريطانية في المعركة خلال مدة ٢٤ ساعة من تاريخ طلب الحكومة الاردنية تطبيق المعاهدة. وهكذا كانت تتضمن تعليمات رئاسة اركان حرب الجيش العربي الحربية رقم (١) لسنة ١٩٥٦م تاريخ ١٠ نيسان عام ١٩٥٦م التي اصدرها مدير هيئة الاركان آنذاك المقدم علي أبو نوار بعد تنحية الفريق كلوب مباشرة .

ولكن هل كانت بريطانيا ستقوم بتنفيذ هذه الالتزامات فعلاً خصوصاً بعد تنحية الفريق كلوب والضباط الانجليز فقد كان هذا في علم الغيب آنذاك. ولو أنني شخصياً لا أعتقد انهم كانوا سيحاربون الى جانبنا ضد اليهود. بل العكس كان هو الأقرب للتصديق كما اثبتت الاحداث في حرب السويس التي سوف آتى على شرحها في مكان لاحق .

أما القوات البريطانية التي كانت متواجدة في الاردن باستمرار والتي يمكنها الاشتراك في المعركة خلال مدة ٢٤ ساعة كما ورد بالتعليمات (رقم ١) المشار إليها بأعلاه فتتألف من

الوحدات الآتية. وقد احببت أن أذكرها هنا لأبين أنها ليست تلك القوات الضخمة التي يعتد بها لتغيير ميزان المعركة :

أ - القوات الجوية وتتألف من :

١ - سرب من النفاثات المقاتلة القاصفة

١ - كتيبة مقاومة الطائرات

ب - القوات البرية في العقبة

١ - كتيبة دبابات ثقيلة

١ - بطارية مقاومة الطائرات

١ - فئة مقاومة الدبابات

١ - فئة هندسة

١ - سرية حراسة

١ - مشاغل وخدمات

وقد كانت جميع هذه الإجراءات منبثقة عن بنود المعاهدة الاردنية البريطانية التي كانت سارية المفعول .

اتفاقية الدفاع المشترك :

إن هذه الاتفاقية غير اتفاقية الدفاع المشترك التي عقدت بين دول الجامعة العربية عام ١٩٥١م. وهي أيضاً ليست بديلة عنها. إذ أنها اتفاقية بادر الى عقدها الرئيس جمال عبد الناصر بين مصر وبعض الدول العربية كرد على اتفاقية حلف بغداد التي بدأت بريطانيا بعقدها بين بعض دول الشرق الاوسط غير العربية مبدئياً ثم نجحت بعد ذلك بضم العراق اليها .

ولكي نوضح كيفية تسلسل الإجراءات التي ادت الى عقد هذه الاتفاقية بين الدول العربية التي اشتركت فيها بمختلف المراحل لابد من الرجوع قليلاً في التاريخ الى عام ١٩٥٢م عندما نجحت ثورة الجيش المصري بقيادة مجموعة الضباط الاحرار وكان من أهم أهدافها إجلاء القوات البريطانية المحتلة عن أرض مصر. وعندما اخذت السلطات البريطانية تماطل في تحقيق هذا الهدف القومي اضطرت حكومة الثورة الى القيام بحركات المقاومة الشعبية المسلحة ضد القواعد العسكرية البريطانية. كما فرضت بنفس الوقت مقاطعة اقتصادية

وحصاراً على منطقة قناة السويس التي تتواجد فيها تلك القواعد ومنعت وصول المواد الغذائية الى القوات البريطانية المرابطة فيها من مصر. كما منعت العمال المصريين من الاستمرار بالعمل في تلك القواعد .

وبنتيجة هذه الضغوط المختلفة اضطرت بريطانيا للإعتراف بأن العالم قد تغير وتطور وأن الثورة المصرية قد احدثت تغييراً جذرياً في طريقة الحكم وافرزت نظاماً قومياً ثورياً لا تستطيع بريطانيا ان تتعامل معه بنفس الاساليب الاستعمارية التي كانت تتعامل بها مع النظام السابق. وباعتراف بريطانيا بهذه الحقائق كان لا بد لها من الاعتراف بالامانة القومية للشعب المصري. ولذلك فإنها لا تستطيع البقاء على الارض المصرية رغم إرادة الشعب المصري. وقد قدرت بريطانيا انه لا بد لها من إجلاء قواتها العسكرية عن الاراضي المصرية ان عاجلاً أو آجلاً. وقد اتضحت لها حقائق الأمور عندما اتصلت مع رجال الثورة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر فعرفت أنها ستتعامل مع جيل جديد من الضباط الثوريين الذين يضعون مصالح بلدهم وأمتهم فوق كل اعتبار. وأنهم لا يكتثون بأية صعوبة ولا يخشون أي تهديد ولا يلتفتون لأي اغراء في سبيل تحقيق اهدافهم القومية التي ثاروا من أجلها. وعندئذ فقط عرفت الحكومة البريطانية انها يجب ان ترحل عن ارض مصر وان هذا ارحيل يجب أن لا يتأخر كثيراً. ولذلك فإن عليها أن تبدأ بالمفاوضات الجادة مع رجال الثورة بأسرع وقت ممكن على أن تسعى بطبيعة الحال للتوصل الى افضل الشروط التي تضمن مصالحها بقدر الامكان. وبعد أشواط كثيرة من المفاوضات المضنية تم التوصل في النهاية الى عقد اتفاقية الجلاء المشهورة عام ١٩٥٤م التي بموجبها قامت القوات البريطانية بإخلاء جميع قواعدها البرية والبحرية والجوية وسلمتها الى القوات المصرية وتركت فيها العدد القليل المتفق عليه من الفنيين بملابسهم المدنية ليكونوا مسؤولين عن صيانة الاجهزة والمستودعات حسب شروط الاتفاقية. ولكن بريطانيا العجوز رغم أنها تخلت عن قواعدها في منطقة قناة السويس تحت ضغط الظروف فإنها لم تستطع فعلاً ان تتخلى عن افكاره الاستعمارية التقليدية حيث أن ساستها المخضمين وعلى رأسهم انتوني ايدن لم يستطيعوا ان يفهموا أن عهد امبراطورية بريطانيا العظمى وعصرها الاستعماري قد ولى الى غير رجعه وان عالم اليوم أصبح غير عالم الأمس. وان التعامل بين الدول صغیرها وكبیرها يجب أن يبنى على أسس الاحترام المتبادل والسيادة الوطنية والمصالح المشتركة. وان عهد الاستعمار وأساليب املاء الشروط قد انتهى . ومن منطلق تفكيرهم القديم كانوا يحاولون اختراع أساليب وأسس جديدة تضمن لهم مركز الشريك الممتاز أو السيد المتخفي بلباس الصديق .



المؤلف بجانب جلالة الملك حسين اثناء زيارة الرئيس شكري القوتلي للأردن بعد تعريب قيادة الجيش عام ١٩٥٦ م .



المؤلف يقوم بشرح خطة الدفاع عن المملكة أمام جلالة الملك حسين في معسكرات الجيش في (خو) بعد تعريب قيادة الجيش عام ١٩٥٦ م .



المؤلف يتسلم وسام الإستحقاق العسكري المصري من الدرجة الأولى من الرئيس جمال عبد الناصر أثناء مباحثات القيادة العربية المشتركة بعد تعريب قيادة الجيش عام ١٩٥٦ م .



المؤلف مع اللواء راضي عتاب واللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الجيش المصري أثناء التوقيع على اتفاقية الدفاع المشترك عام ١٩٥٦ م .

وكما ذكرت سابقاً فقد تفتتت قرائحهم عن اقتراح مشروع تأسيس قيادة مشتركة للدفاع عن الشرق الاوسط يكون مقرها في منطقة القناة وتشترك فيها بريطانيا وفرنسا ومصر وتركيا وأي دولة أخرى من دول المنطقة . وقد رفضت مصر هذا الاقتراح لأنها لا تريد ان تخرج بريطانيا من مصر من الباب لكي تعود اليها من الشباك (كما يقال) .

وبهذه الاثناء بدأت بريطانيا بوضع سيناريو حلف جديد بدل الاقتراح السابق وهو الذي سمي فيما بعد باسم (حلف بغداد). وقد بدأت منظومته باتفاق بين تركيا وباكستان ومن ثم انضمت اليهما العراق. وقد اعتبر جمال عبد الناصر انضمام العراق الى هذا الحلف خروجاً عن الاجماع العربي وطعناً للقضية العربية برمتها. ولذلك قاوم هذا الحلف وبذل جهوداً جبارة لإحباطه. ومن الاساليب التي اتبعها لمقاومته كان قيامه بعقد اتفاقية دفاع مشترك بين مصر وكل من المملكة العربية السعودية والجمهورية السورية في شهر تشرين أول عام ١٩٥٥ م .

ولنتذكر هنا أن الأردن كان بهذه الفترة يتعرض لضغوط هائلة لكي ينضم الى منظومة حلف بغداد. وكان من جملة هذه الضغوط زيارة رئيس اركان حرب القوات البريطانية الجنرال تمبلر الى عمان. تلك الزيارة التي واكبتها ثورة عارمة من المظاهرات الصاخبة والاحتجاجات التي قام بها الشعب الاردني ضد هذا الحلف الاستعماري الجديد، ولنتذكر كذلك ان الجيش العربي الاردني كان في ذلك الوقت ما يزال تحت قيادة الفريق كلوب والضباط الانجليز .

وفي هذا الصدد لا بد أن أشير الى مبادرة جلالة الملك حسين بإقالة الفريق كلوب والاستغناء عن خدمات جميع الضباط الانجليز على إثر تردي الأوضاع الامنية الداخلية وموقف الاردن السياسي في اعقاب محاولة ضمه الى حلف بغداد وقد تغير موقف الاردن بعد تلك المبادرة مباشرة حيث اصبح ينظر اليه كدولة متحررة من الاستعمار سائرة على الخط العربي الوطني بعد ان كان في نظر الرأي العام العربي لا يملك زمام أمره لأنه واقع تحت سيطرة الانجليز .

وكمحصلة لهذه التطورات المفاجئة أصبح الاردن مؤهلاً للإنضمام الى اتفاقية الدفاع المشترك. وقد رحب الرئيس جمال عبد الناصر باشتراك الاردن عضواً رابعاً بهذه الاتفاقية .

وفي مطلع شهر نيسان عام ١٩٥٦م تقرر إرسال وفد عسكري الى مصر لإجراء المباحثات الاولى بهذا الخصوص. وقد تشكل الوفد برئاسة اللواء راضي باشا عناب رئيس هيئة الاركان وعضوية العقيد الركن صادق الشرع والمقدم الركن علي ابو نوار وقد رحب

المسؤولون المصريون بوفدنا هذا ترحيباً حاراً. وأثناء هذه الزيارة استقبلنا الرئيس جمال عبد الناصر في مكتبه ومنحنا أوسمة الاستحقاق العسكري من الدرجة الأولى .

كما اجتمعنا بطبيعة الحال مع عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة وبحثنا معه الخطوط العريضة للاتفاقية العسكرية التي بحثنا تفصيلاتها بوقت لاحق مع اللواء محمد ابراهيم رئيس هيئة الأركان وتم التوقيع عليها مبدئياً بالأحرف الأولى قبل انتهاء الزيارة تمهيداً لعرضها على الحكومتين. وكان من أهم النقاط الواردة بهذه الاتفاقية ما يلي :

١ - توحيد قيادات الجيوش تحت قيادة واحدة مشتركة تتكون من ضباط ركن من الجيوش الأربعة .

٢ - يكون مقر هذه القيادة المشتركة في القاهرة ويكون القائد العام لهذه الجيوش الفريق عبد الحكيم عامر بصفته قائداً عاماً لأكبر جيش من هذه الجيوش المشتركة بالاتفاقية .

٣ - يلتحق ضابط ركن برتبة عالية من ضباط هذه القيادة المشتركة مع قيادة كل جيش كضابط ارتباط ويكون على اتصال مباشر مع القيادة المشتركة ويحق له الإطلاع والمساهمة بوضع الخطط الحربية حسب متطلباتها .



المؤلف واللواء راضي باشا عذاب مع اللواء علي عامر قائد القيادة الشرقية في سيناء أثناء مشاهدة المناورة التي اقيمت لنا في القسيمة اثناء زيارتنا الى مصر لإجراء مباحثات اتفاقية القيادة المشتركة عام ١٩٥٦ م .

وقد اتاحت لنا الفرصة أثناء المناسبات المختلفة بهذه الزيارة للتعرف على معظم رجال الثورة المصرية عن كثب. كما تضمن برنامجنا الكثير من المناسبات العامة والزيارات العسكرية ومن أهم هذه الزيارات كانت زيارتنا لإحدى القواعد الجوية الرئيسية بالقرب من القاهرة حيث اجري لنا استعراض للطائرات المقاتلة الميج ١٧ والقاذفة الاليوشن. وقد كانت هذه الاجيال من الطائرات تعتبر في ذلك الوقت من أحدث الطائرات في العالم. كما تفقدنا بعض هذه الطائرات على الارض وقدم لنا الفريق محمد صدقي محمود قائد القوات الجوية شرحاً مفصلاً عن امكانيات هذه الطائرات واعدادها من كل نوع ومدى قدرة الطيارين المصريين ومستوى تدريبهم. كما شرح لنا موجزاً عن الخطة الدفاعية الشاملة الموضوعة لحماية الأجواء المصرية سواء كان ذلك بالنسبة لقوات الدفاع الجوي من مختلف انواع الصواريخ والمدافع المضادة أو خطة التصدي التي تستطيع الطائرات المقاتلة والمعتزلة القيام بها. وكذلك خطة القوة الضاربة من القاذفات والاسراب اللازمة لحمايتها من المطاردات والمقاتلات في حالة المبادرة من جانبنا بالهجوم الجوي على مطارات العدو وقواعد الجوية .

وبما أن هذه الطائرات كانت من أصل صفقة الاسلحة التي عقدها الرئيس جمال عبد الناصر مع الاتحاد السوفياتي وسلمت الى مصر عن طريق تشيكوسلوفاكيا فقد كانت تعرف بصفقة الاسلحة التشيكية . وقد وصلت منذ مدة قصيرة. وكان التدريب عليها لا يزال غير مكتمل فقد كانوا يحتاجون الى بعض الوقت لاستيعابها .

ولكن على الرغم من كل هذا فإن ما سمعناه من الفريق صدقي محمود كان مطمئناً. وقد خرجنا بانطباع ان مصر اصبحت تمتلك قدرة جوية يعتز بها وأن اسرائيل ستفكر عشر مرات قبل ان تقدم على المبادرة بالهجوم على مصر او أي بلد عربي آخر لأن القوة الجوية المصرية اصبحت بمستوى من المنع بحيث تستطيع تكبيدها أضراراً ضخمة لا قبل لاسرائيل بتحملها .

وبعد ذلك ذهبنا الى سيناء لزيارة المواقع الدفاعية الامامية ومكثنا يوماً وليلة في منطقة القسيمة واطلعنا على الخطط الدفاعية وتجولنا في مختلف المواقع والتحصينات الهامة التي تركزت فيها هذه القوات. كما شاهدنا مناورة هامة اقيمت خصيصاً بهذه المناسبة لاطلاعنا على القدرات القتالية للقوات البرية المسؤولة عن الدفاع في تلك المنطقة. كما شاهدنا الرماية الحية التي نفذتها الدبابات التي وصلت الى مصر منذ فترة وجيزة واهمها دبابات (ت ٥٤) وجوزيف ستالين (JS. 100) وهي عبارة عن مدفع محمول مدمر للدبابات (Tank Destroyer). وقد رافقنا بهذه الزيارة اللواء علي عامر قائد المنطقة الشرقية المسؤول عن الدفاع عن



المؤلف مع اللواء فؤاد شهاب القائد العام للجيش اللبناني اثناء زيارتنا لتوقيع اتفاقية القيادة العربية المشتركة مع لبنان سنة ١٩٥٦م في بيروت بعد أن وقعناها ه مصر .

منطقة سيناء وقطاع غزة. وتولى شرح الخطة العامة الدفاعية لمنطقته. كما شرح لنا قادة الفرق خططهم كل بحسب ما يخصه من هذه الخطة العامة .

وقد خرجت بانطباع ان هذه المواقع تتوفر فيها القوات والاسلحة اللازمة التي تجعل احتلالها من قبل قوات العدو أمراً في غاية الصعوبة ان لم يكن شبه مستحيل. وان العدو لو حاول اقتحامها سيدفع ثمناً غالياً في مثل هذه العملية بمعدل لا يحتمله. ولذلك فليس من المحتمل ان يقدم على هذه المغامرة في وقت قريب .

وبعد انتهاء جولتنا في سيناء تحركنا لزيارة قطاع غزة وبدأ برنامجنا بزيارة لرئيس البلدية السيد رشدي الشوا الذي صحبنا بجولة في المدينة. حيث زرنا بعض المدارس ومخيمات اللاجئين ثم اصطحبنا بعد ذلك اللواء يوسف العجرودي لزيارة المواقع الدفاعية الامامية حول مدينة غزة. ثم تحركنا للإطلاع على الدفاعات حول منطقة العريش ومنها عدنا الى القاهرة. وقد خرجت بانطباع ان في قطاع غزة قوات من الجيش والحرس الوطني ما يكفي للدفاع عنه لفترة قتال معقولة. لكن طوبوغرافية قطاع غزة وكونها ليست جبلية تجعل موقعها الدفاعي مكشوفاً الى حد ما. وهي لذلك ستكون معرضة للخطر أكثر من غيرها وخصوصاً وان معظم ساحاتها صالحة لإستعمال الدبابات على نطاق واسع .

لقد كانت هذه الزيارة أول مناسبة يتاح لي فيها الاطلاع على القوات المصرية عن قرب منذ انتهاء حرب عام ١٩٤٨م. حيث كانت لي بعض الاتصالات المحدودة معهم في ذلك الحين. ولكن ما شاهدته خلال هذه الزيارة كان يدل دلالة واضحة على ان القوات المصرية قد تغيرت تغيراً جذرياً منذ تلك الايام السالفة. حيث اصبحت نوعية الجنود أفضل بكثير من السابق. واصبحت القطعات العسكرية بمختلف اسلحتها وتشكيلاتها تتمتع بحيوية قتالية ممتازة. ونوعية الضباط والقادة افضل بكثير من السابق وخصوصاً الضباط الذين كانوا يسمونهم (جيل الثورة) أي الضباط الشباب الذين تلقوا التدريب بعد قيام الثورة في الكليات الحربية وكليات القيادة والاركان في الداخل والخارج لاسيما في الاتحاد السوفياتي. وقد اصبحوا الآن يتسلمون القيادات حتى مستوى قيادات الفرق ووظائف الاركان العليا. وأما جيل القادة المتقدمين بالسن الذين كانوا يتسلمون القيادات العليا مثل قيادة المنطقة الشرقية وبعض القيادات الهامة الأخرى فهم العدد القليل من القادة الاكفاء من الذين استمروا في الخدمة بعد قيام الثورة مثل اللواء محمد ابراهيم واللواء علي علي عامر وغيرهما. وقد كان المظهر العام من كافة الوجوه يدل على أن هذه القوات المسلحة المصرية قد اصبحت قوة مقاتلة حديثة من مستوى رفيع سواء كان ذلك من حيث التدريب والتسليح أو المقدرة القيادية

وقد عدنا بعد هذه الزيارة الى عمان يحدونا الأمل بأن القوات المسلحة المصرية أصبحت تعتبر سنداً قوياً لنا ولجميع البلدان العربية وخصوصاً بلدان المواجهة مع اسرائيل. ولهذا فإن الواجب يقضي أن نسعى لتنمية علاقاتنا مع هذه القوات على مختلف الاصعدة. وان نوحّد خططنا وتدريبنا وربما تسليحنا في المستقبل حسب الظروف والامكانيات .

وبعد فترة وجيزة من عودتنا الى عمان ذهبنا الى بيروت لمحاولة اقناع القيادة اللبنانية لكي تنضم الى اتفاقية الدفاع المشترك. ولكن على الرغم من جميع المحاولات التي بذلناها لم تتجح مساعيها بالتوصل الى اتفاقية جوهرية معهم. وقد كان الوفد العسكري اللبناني الذي تفاوضنا معه برئاسة اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش اللبناني. وقد كانت وجهة نظره انه إذا انضم الى هذا النوع من التحالفات العسكرية فإنه سوف يعرض سلامة لبنان الى الخطر بسبب التهديد الاسرائيلي. وعندما كنا نحاول ان نشرح له قوائد انضمام الجيش اللبناني لهذه الاتفاقية من كافة وجوها لاسيما من حيث تعزيز القدرة الدفاعية عن الاراضي اللبنانية كان يصر على أن مثل هذا الاتفاق سوف يثير اسرائيل ويحفزها على التحرك ضد لبنان وبهذه الحالة لا يستطيع أن يقف في وجهها. وعندما كنا نقول له أنه إذا تحركت اسرائيل ضد لبنان فلن يترك الجيش اللبناني وحده في مواجهتها بل سيجد ان الجيوش العربية الثلاثة (السوري والاردني والمصري) تقاثل معه في الدفاع عن ارض لبنان. وعلى أي حال فإن أي تحرك من جانب اسرائيل نحو جنوب لبنان سوف يكون بحد ذاته تهديداً مباشراً وخطيراً لدمشق عبر (البقاع). وأن كون سوريا ستدخل المعركة مباشرة ضد مثل هذا التقدم فهي تقاثل ليس دفاعاً عن لبنان وحده وإنما ستدافع عن كيانها هي بدرجة رئيسية. ولكن اذا انضم لبنان الى اتفاقية الدفاع المشترك سوف يصبح بإمكان سوريا ان تضع في جنوب لبنان قوات كبيرة سلفاً للدفاع عنه، الأمر الذي سيكون بحد ذاته عملية ردع للقوات الاسرائيلية. قد تحول دون إقدام اسرائيل على أي نوع من التعرض ضد لبنان. اما اذا لم ينضم لبنان الى هذه الاتفاقية فسوف لن يكون بإمكان سوريا أو الدول العربية الاخرى أن تتدخل إلا بعد وقوع الهجوم الفعلي. وبهذه الحالة سيأتي تدخلها متأخراً. ولكن اللواء فؤاد شهاب بعد كل هذا الشرح رفض مجرد التفكير بالسماح للقوات السورية بدخول لبنان مهما كان حجمها . .

ثم عرضنا عليه ان ينضم لهذه الاتفاقية وان نضع على هذا الأساس خطة دفاعية مشتركة تركز سوريا بموجبها قوة رئيسية بشكل دائم في القسم السوري من سهل البقاع بحيث تستطيع دخول لبنان الجنوبي والتمركز في المواقع الدفاعية الرئيسية المهمة مسبقاً عند وقوع التهديد الجدي ضد لبنان من اسرائيل أو في حال وقوع هجوم اسرائيلي ضد أي من دول المواجهة العربية الاخرى. ولكنه رفض هذا الاقتراح كذلك على أساس ان هذا الإجراء

سوف لا يكون عملياً وقد يجر لبنان الى مخاطر هو في غنى عنها. وعلى أي حال فإنه يرى ان ميثاق الجامعة العربية واتفاقية الدفاع المشترك المنبثقة عنها والموقعة عام ١٩٥٠م ستكون كافية لتغطية هذه الاحتمالات ولا يرى موجباً للدخول في اتفاقيات جديدة بين دول المواجهة.

وعندما شرحنا له أهمية الاتفاقية التي نقتربها وخصوصاً في وجه المحاولات التي بدأتها بريطانيا في تكوين حلف بغداد كان موقفه يتلخص في أن لبنان ليس طرفاً فيها. وان لبنان لا ينوي أن ينضم الى ذلك الحلف. وعند هذه النقطة اقترحنا عليه ان ينضم الى اتفاقيتنا على ان يقتصر دوره في هذه المرحلة على ان نقدم له الاسلحة الضرورية لزيادة حجم الجيش اللبناني بحيث يمكنه تشكيل فرقة مشاة ولواء مدرع. فكان جوابه ان امكانياته المالية وعدد سكان لبنان لا تسمح بتوفير مثل هذا الحجم من القوة العسكرية. وأخيراً اقترحنا عليه ان يقوم بتشكيل قوة حرس وطني على غرار ما نظمناه في الاردن ليكون بإمكانه تنظيم الدفاع عن القرى الحدودية في الجنوب لتعزيز قدرة الجيش اللبناني في حالة الحرب. على ان تقدم له جميع ما يلزمه من الاسلحة لمثل هذه القوة وقد رفض اللواء شهاب هذا الاقتراح كذلك. وكانت وجهة نظره ان تركيبة الشعب اللبناني لا تسمح بتكوين قوة حرس وطني حيث ستكون هذه العملية بمثابة زرع البذر لقيام حرب أهلية في المستقبل نظراً لعمق الخلافات لطائفية وهو لا يمكنه ان يسمح بوضع مثل هذه الكميات من الاسلحة بأيدي أفراد الشعب لمندنيين. وقد كان على حق في ذلك رغم أننا لم نستطع تقبل مثل هذه النظرية في تلك الأيام .

وقد كان موقف اللواء شهاب منبثقاً عن سياسة الحكومة اللبنانية التي كان يطلعها باستمرار على سير المفاوضات. وبالنتيجة لم نتوصل مع الوفد اللبناني سوى الى الموافقة على دخول القوات السورية عبر لبنان للإشتراك في المعركة بعد قيام اسرائيل بالهجوم بدخولها الاراضي اللبنانية وبدون إشتراك لبنان رسمياً في اتفاقية الدفاع المشترك التي جئنا من أجلها. وبمعنى آخر ان تبقى علاقة لبنان محصورة فقط ضمن إطار الجامعة العربية دون الدخول بأي اتفاقيات جديدة مع دول المواجهة .

وعندما انتهت مباحثاتنا لم تكن راضين عن موقف لبنان هذا واعتبرناه نوعاً من الإصرار على التمسك بالنزعة الاقليمية. ولكن ثبت بعد مرور ثلاثين سنة على مباحثاتنا تلك وقيام اسرائيل بإجتياح لبنان مع وجود القوات السورية على اراضيها للدفاع عنها ان فؤاد شهاب كان على حق من وجهة نظر لبنانية محضة. حيث أن وجود هذه القوات السورية على ارضيه لم يستطع منع تقدم القوات الاسرائيلية الى بيروت واحتلالها رغم ان هذا الاحتلال عدت بالتعاون مع القوات اللبنانية المارونية وحزب الكتائب . كما أنه لم يحفز الدول العربية لاخرى لكي تبادر الى ارسال قواتها للقتال دفاعاً عن لبنان في وجه القوات الاسرائيلية

الغازية، في حين كانت هذه هي الفرصة الذهبية للدول العربية لضرب اسرائيل بفعالية من الخلف وبداخل فلسطين اثناء تورط قواتها في لبنان وتسوية الحسابات معها في ساحة القتال.

فهل كان فؤاد شهاب يتنبأ بما قد يحصل في المستقبل ؟ أم هل كانت لديه الحكمة الكافية ليعرف مدى تأثير السياسة الدولية على مواقف الدول العربية عن طريق تعميق التفرقه بينها ومدى تخاذل تلك الدول العربية في الدفاع عن اوطانها ؟ هذا ما سنترك الحكم عليه للتاريخ . وبعد انتهاء زيارتنا الى لبنان سافرنا الى دمشق حيث وضعنا مع القادة السوريين تفصيلات التعاون بين الجيشين الاردني والسوري ضمن إطار اتفاقية الدفاع المشترك ومن أهمها السماح بدخول القوات السورية الى الأردن للإشتراك في العمليات الحربية من داخل الاراضي الاردنية عند الضرورة. وقد دخلت في وقت لاحق مجموعة مدرعة ولواء مشاه كما سيأتي شرحه في مكان لاحق .

واجبات الاركان واعادة التنظيم :

عندما تسلمت مسؤولياتي كمدير هيئة الاركان كان يترتب علينا ان نقوم على الفور بوضع الخطط اللازمة واتخاذ جميع الترتيبات المناسبة لمواجهة احتمالات نشوب الحرب مع اسرائيل والتي كانت نذرها واضحة منذ نهاية العام المنصرم. وكان هذا الموقف يتطلب انجاز الإجراءات الآتية :

- أ - اعادة تنظيم الجيش وزيادة وحداته المقاتلة ولا سيما الاسلحة الاسنادية بقدر المستطاع.
- ب - تقوية وتدعيم دفاعاتنا على الخطوط الامامية وتوزيع قطعات الجيش بشكل متوازن على الجبهات المختلفة والاستفادة من قوات الحرس الوطني الى اقصى الحدود .
- ج - الاسراع بتطبيق اتفاقيات الدفاع المشترك ووضعها موضع التنفيذ ولاسيما بالنسبة لسوريا حيث اصبحت مسألة نقل القطعات المدرعة من سوريا الى الاردن لتكوين احتياطي ضارب لدعم الجبهة الاردنية مسألة ملحة .

وسأكتفي هنا بذكر لمحة موجزة عن الإجراءات التي اتخذناها بالنسبة لكل موضوع من هذه المواضيع قبل ان انتقل الى حرب السويس والعدوان الثلاثي كما اصطلح على تسميتها نسبة الى الدول الثلاثة التي نفذتها .

أولاً : إعادة التنظيم وإحداث توسعات في الجيش :

كانت القوة المقاتلة الرئيسية في الجيش العربي تتكون من فرقة مشاه مع اسلحتها الاسنادية التقليدية. ولم تكن هذه القوة كافية لمواجهة هجوم إسرائيلي مركز واسع النطاق على الجبهة الاردنية. وعلى الرغم من معرفتنا بأن الجيوش العربية الشقيقة سوف تخوض الحرب الى جانبنا عند وقوعها إلا أن مسألة زيادة حجم الجيش وتطوير قدراته القتالية وتحسين اسلحته أصبحت أمراً ملحاً لاسيما وأنه كان لدينا احتياطي كبير من جنود الحرس الوطني المدربين الذين يمكن الاستفادة منهم في تشكيل القطعات الجديدة. ولكن تطور الاحداث وتسارعها ومحدورية الموارد المالية حالت دون تنفيذ عملية التوسع في الجيش بسرعة. ولم نتمكن من اتخاذ القرارات النهائية بهذا الخصوص إلا بعد انتهاء معارك العدوان الثلاثي وسأتجاوز التسلسل الزمني هنا قليلاً لأشير الى ملخص هذه القرارات. حيث عقدنا في قيادة الجيش اجتماعاً عاماً بتاريخ ٣ كانون أول عام ١٩٥٦م اتخذنا خلاله عدداً من القرارات التنظيمية كان من أهمها ما يلي :

أ - تشكيل فرقة مشاه ثانية من ثلاثة ألوية على ان يتكامل تشكيلها بموعد اقصاه ٣٠ نيسان عام ١٩٥٧ م .

ب - تشكيل قيادة فيلق تتولى مسؤولية تنسيق الدفاع عن المملكة .

وبتاريخ ٢٣ كانون أول عام ١٩٥٦م قررنا تنفيذ المرحلة الاولى من القرارات السالفة وهي تشكيل لواء المشاه الرابع من ثلاثة كتائب مشاه وكتيبة مدفعية ميدان وباقي وحدات الاسناد والإدارة على أن يتم تدريبه لغاية تاريخ ١ أيار ١٩٥٧م. ولكننا لم نتمكن فيما بعد من اتمام باقي مراحل تشكيل الفرقة الثانية وقيادة الفيلق. وتوقفت عملية التوسع في الجيش عند هذا الحد .

ثانياً : الخطة الدفاعية وتوزيع الوحدات :

١ - فيما يتعلق بخطتنا الدفاعية وتوزيع القوات فقد تم تخصيص وحدات الجيش للمناطق المختلفة بموجب الخطة العامة على أن يجري الحشد على ثلاثة مراحل بحسب تطور جدية التهديد بتشوب الحرب من جهة وعلى اعتبار اشتراك الجيوش العربية معنا في القتال عند قيام إسرائيل بالهجوم على الأردن أو في حالة هجومها على احدى الدول العربية الأخرى .

٢ - كانت قوات الجيش العربي في تلك الأيام عبارة عن ثلاثة ألوية مشاه مع اسلحتها

الاسنادية. تم توزيع لوائين منها في المواقع الدفاعية على طول خطوط الهدنة. واحتفظ باللواء الثالث بالاحتياط .

٣ - كتائب الحرس الوطني المبينه توزيعاتها بهذه الخطة لا تتواجد فعلياً بمواقعها الا عند اتمام التعبئة العامة. وأما في الظروف العادية فلا يتواجد منها سوى عدد قليل من الكتائب المحلية التي تستدعى للتدريب بالإضافة الى أفراد كتائب الحدود المتواجدين في قراهم الامامية .

٤ - عندما نقرأ تفصيلات هذه الخطة الآن نجد أنها غريبة وغير عملية مقارنة بما نراه بهذه الأيام من حجم القوات وتنوع الاسلحة وهي لذلك تعتبر قديمة وبالية. ولكني رغم ذلك احسبت ان اشير اليها هنا لأبين ظآلة الامكانيات التي كانت متوفرة لنا مقارنة بخطورة موقفنا وضخامة المسؤوليات التي كنا نتحملها في مواجهة العدو الذي كان متفوقاً علينا في كافة الحقول .

ثالثاً : أما فيما يتعلق بتطبيق اتفاقية الدفاع المشترك فقد كان التنسيق العملي مستمراً منذ بداية دخولنا في المباحثات الأولية واخذنا نكثف جهودنا وننسق جميع إجراءاتنا لكي نجعل القيادة العليا المشتركة فعالة وقادرة على قيادة جميع الجيوش العربية التابعة لها بنجاح في المعركة بكفاءة واقتدار عند نشوب الحرب. وكان هدفنا ان نتجنب امكانية تكرار المأساة التي تعرضنا لها في حرب عام ١٩٤٨م. بسبب التفرقة وعدم وجود قيادة واحدة فعالة قادرة على التصرف في الميدان بموجب خطة واحدة تستخدم فيها جميع القوات العربية طبقاً للمبادئ العسكرية الصحيحة. ومن هذا المنطلق كان جميع ضباط وقادة الجيوش العربية متحمسون لفكرة إنشاء هذه القيادة المشتركة ومصممون على إنجاحها. وتحت مظلة هذه القيادة المشتركة كان تعاوننا مع القادة السوريين ناجحاً وفعالاً من كافة النواحي لا سيما وان جبهتنا متلاصقتين واتصال بلدينا برأ جعل امكانية تحريك قطعاتنا العسكرية وتساندها مع بعضها أكثر سهولة منها مع القوات المصرية التي يمكننا الاعتماد على مساندتها لنا استراتيجياً في العمليات البرية بالإضافة الى توفير الغطاء الجوي اللازم لنا سواء كان ذلك في بداية المعركة بهدف كسب السيطرة الجوية أو بالاسناد الجوي التكتيكي أثناء احتدام المعارك البرية. وعلى هذا الاساس وعندما اصبح واضحاً ان وقوع الحرب بات وشيكاً تم عقد اجتماع للقيادة المشتركة في دمشق لبحث امكانية توفير قوة من الجيش السوري لدعم الجيش الاردني وتحريكها الى الجبهة الاردنية قبل نشوب القتال. وقد حضرت هذا

الاجتماع نيابة عن الجيش الاردنى. وحضره الزعيم محمد حافظ اسماعيل نيابة عن القيادة المشتركة ومندوباً عن الفريق عبد الحكيم عامر بنفس الوقت. كما مثل الجيش السوري اللواء توفيق نظام الدين رئيس الاركان. وبنتيجة هذا الاجتماع تقرر ارسال مجموعة قتال سورية الى الاردن مكونة من لواء مشاه مع اسلحته الاسنادية المعتادة وكتيبة دبابات (ت ٣٤) روسية الصنع. وعين العقيد الركن المجاز سهيل العشي قائداً لهذه القوة. كما عين المقدم الركن احمد عبد الكريم اركان حرب لها. وعندما غادرت قاعة الاجتماع بالساعة الثالثة صباحاً في طريقي الى المطار كانت ارتال هذه القوة قد بدأت حركتها على طريق دمشق - عمان - وقد وضعنا قيادتها في معسكر اربد وتوزعت كتائبها بين اربد والاغوار الشمالية تمهيداً لنقلها الى مواقعها القتالية في الجبهة التي غالباً ما ستكون في منطقة نابلس. ولكن هذا القرار لم يكن قد تم اتخاذه بعد. واما كتيبة الدبابات فقد وضعناها مبدئياً في منطقة (خو) شرق الزرقاء .

وهنا سوف أنهي هذا الفصل من وقائع الاحداث خلال هذه المرحلة وسأنتقل الى أحداث حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ م .



General Secretary of the Arab League

(مكتب السكرتير العام للجامعة العربية)

General Secretary of the Arab League

الفصل الخامس

حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م

١ - التطورات التي أدت إلى نشوب الحرب :

لكي نستطيع ايضاح التطورات التي أدت إلى نشوب هذه الحرب يترتب علينا أولاً أن نستعرض مدى تطابق مصالح الدول الثلاثة التي قامت بهذا العدوان الغاشم ضد مصر والأمة العربية وهي بريطانيا وفرنسا واسرائيل. ونبين كيفية تقدير كل دولة من هذه الدول للفوائد والأهداف التي تريد تحقيقها من هذه الحرب العدوانية والتي تحدث فيها الرأي العام العالمي.

أولاً : بريطانيا

منذ أن عقدت بريطانيا اتفاقية الجلاء مع حكومة الثورة المصرية والتي فقدت بنتيجتها أهم قاعدة لها في المنطقة. وهي تحاول ايجاد الحل البديل الذي تستطيع بواسطته الابقاء على نفوذها في المنطقة. لا سيما وأنها خسرت الكثير من مصالحها النفطية لصالح أمريكا بعد ثورة مصدق في ايران عام ١٩٥٢م. التي أسفرت عن تأمين النفط وهروب الشاه من إيران فتدخلت أمريكا واعادت الشاه إلى عرشه بعد قمع الثورة.

وبعد ذلك تقدمت بريطانيا بعدة اقتراحات لمشاريع الأحلاف الدفاعية التي حاولت أن تضم إليها دول المنطقة بما فيها مصر والدول العربية المحيطة بإسرائيل. وكان هدفها الرئيسي الابقاء على مصالحها النفطية وممراتها البحرية وأهمها قناة السويس. ولما فشلت آخر محاولاتها في مشروع حلف بغداد حيث لم تتمكن من إقناع أي من الدول العربية بالانضمام إليه سوى العراق وعندما بدأ جمال عبد الناصر بشن حملاته الفعالة ضد هذا الحلف شعرت بريطانيا بوجود خطر حقيقي يهدد مصالحها واعتبرت أن الرئيس جمال عبد الناصر هو عدوها الأول.

وعندما تجاوز نشاط عبد الناصر ضد الاحلاف الاستعمارية حدود الدعاية وبدأ بتنفيذ خطته المضادة عملياً بعقد اتفاقيات الدفاع المشترك بين مصر والسعودية وسوريا في تشرين ثانياً عام ١٩٥٥م وتبعتهما الأردن بالانضمام لهذه الاتفاقية عام ١٩٥٦م شعرت بريطانيا

بالتهديد المباشر ضد مصالحها النفطية والسياسية في المنطقة. لا سيما وإن عبد الناصر بتبنيه الدعوة للوحدة العربية ومحاربة الاستعمار وتحرير الأمة العربية من النفوذ الأجنبي أخذ يبرز بسرعة كزعيم عربي وعالمي يستطيع تحريك الرأي العام العربي بدعوته هذه بالشكل الذي يريده دون معارضة تذكر.

وعندما سحب وزير خارجية أمريكا وعدها بتقديم المعونة المالية لتمويل بناء السد العالي في تموز عام ١٩٥٦م واضطر عبد الناصر إلى تأمين قناة السويس لشعر رئيس وزراء بريطانيا أنتوني ايدن بأنه يجب أن يحتل قناة السويس بالقوة لكي يحافظ على سيطرة بريطانيا على هذا الممر المائي الحيوي من جهة ولكي يدمر نظام جمال عبد الناصر وما يمثله من اتجاهات قومية بنفس الوقت. وقد أثبتت الأحداث خطأ سياسة ايدن هذه كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

ثانياً : فرنسا

لقد كانت فرنسا في ذلك الوقت تخوض حرب إبادة ضد الشعب الجزائري منذ مدة طويلة دون أن تستطيع قمع ثورة الجزائر الباسلة رغم سقوط مئات الآف الشهداء من السكان المدنيين الذين كانت تحصدهم أسلحة الفتك الفرنسية بلا رحمة ولا هوادة، ورغم ذلك فقد صمد الشعب الجزائري البطل واستمر بثورته يقارع قوى الاستعمار في كل مكان غير أنه بحجم الخسائر والدمار. وقد كانت فرنسا هي الأخرى ناقمة على جمال عبد الناصر لأنه كان يدعم الثورة الجزائرية في شتى الأساليب ويمدها بالأسلحة المختلفة بأقصى ما يستطيع وأصبح الفرنسيون يعتقدون أنهم إذا تمكنوا من إزاحة عبد الناصر من الطريق فإنهم سوف يستطيعون القضاء على الثورة الجزائرية بسرعة. وقد غاب عن ذهنهم أن الشعب الجزائري المناضل عاقد العزم على طرد المستعمرين من دياره مهما بلغت التضحيات. وإن ارادته هذه ليست مرتبطة بشخص زعيم واحد سواء كان عبد الناصر أو غيره. وإن ما كان يقوم به جمال عبد الناصر ما هو إلا عامل مساعد يسهل على الثورة سبل النجاح. وفوق هذا فهو واجب قومي كان جمال عبد الناصر يشعر أنه ملزم بتقديمه للجزائر مهما كلفه ذلك من جهد وتضحيات حتى لو كلفه ذلك مركزه أو حياته ذاتها. وأتى لفرنسا أن تنجح بالقضاء على ثورة يقوم بها شعب مكافح جسور كشعب الجزائر وأنى لفرنسا أن تستطيع إرغام زعيم عربي شريف كبير كعبد الناصر على تغيير مواقفه القومية والتخلف عن مساندة الشعوب العربية المناضلة ضد الاستعمار. لكنها طريقة المستعمرين واسلوب تفكيرهم، وقد التقت مصالح فرنسا مع مصالح بريطانيا عند هذه النقطة. وكلاهما اعتبرت جمال عبد الناصر

عدوها الأول ويجب القضاء عليه وعلى نظامه بأي ثمن حتى لو كلفها ذلك أن تغامر بحرب قدرة مثل حربها العدوانية التأميرية هذه التي بدأت تخطط لها سراً كما سيأتي شرحه.

ثالثاً: إسرائيل

منذ أن قام جمال عبد الناصر بكسر احتكار السلاح وعقد صفقة الأسلحة الروسية الحديثة بدأت إسرائيل تخشى من ميل ميزان القوى لصالح مصر. ولكي تستطيع تعديل هذه المسألة لصالحها لا بد من الحصول على المزيد من الأسلحة المتطورة من الدول الغربية ولا سيما فرنسا التي أخذت تزودها بكميات ضخمة من الطائرات المتطورة والدبابات وخلافها بسرعة قياسية لم يسبق لها مثيل. وعندما قام عبد الناصر بعقد اتفاقيات الدفاع المشترك مع الدول العربية رأت إسرائيل بهذه الدعوة خطراً يهدد كيائها إن عاجلاً أم آجلاً. ولذلك قررت شن حرب وقائية ضد مصر حالما تكون جاهزة لذلك وبالسرية الممكنة. ولكي تضمن النجاح الذي تتوخاه بأقل ما يمكن من الخسائر والأضرار أصبح واضحاً لديها أنه يترتب عليها أن تتعاون مع فرنسا وبريطانيا في عملية الهجوم على مصر حيث التقت مصالحها مع مصالح هاتين الدولتين للاسراع بالقضاء على نظام جمال عبد الناصر واجهاض عملية التعاون العربي التي أخذت بوادرها تثبت وجودها في الميدان. وقد توخت أن تتم هذه الحرب قبل أن تتمكن القوات المصرية من استيعاب الأسلحة الحديثة التي حصلت عليها مؤخراً.

٢ - تسلسل سيناريو الأحداث :

والآن وبعد أن شرحت كيفية التقاء مصالح دول العدوان الثلاثي بهذه المؤامرة الاستعمارية لا بد أن نتابع تسلسل الاجراءات التي قامت بها هذه الدول منذ البداية والتي أدت بالتالي إلى تنفيذ عملية الغزو حيث أصبح واضحاً أنهم جميعاً قد عقدوا العزم على القيام بعمل عسكري ضد مصر والعالم العربي. ولكنهم كانوا يسعون لإيجاد الأسباب وخلق الذرائع المناسبة لكي يتخذوها حجة لتنفيذ خطتهم بشن الحرب.

فلنتابع إذن تسلسل هذه الاحداث والذرائع فيما يلي:

أولاً : لنبدأ من نقطة التحول الكبرى بالنسبة لبريطانيا عندما نجح جمال عبد الناصر بإخراج القوات البريطانية من منطقة القناة بموجب الاتفاقية التي عقدها معهم عام ١٩٥٤م والتي جاءت نتيجة للعمليات القذائية التي نفذها الشعب المصري ضد القواعد البريطانية طيلة سنتين فرض خلالهما على تلك القوات حالة الحصار التام تقريباً مما

ألزم الحكومة البريطانية أن تدخل في مفاوضات الجلاء مع حكومة الثورة والتي كانت نيتجتها انسحاب القوات البريطانية نهائياً من أرض مصر بعد سبعين سنة من الاحتلال وبعد ذلك بدأ عبد الناصر بتطوير قواته المسلحة واعطى هذه المسألة الأولوية الأولى في موازنة الدولة. وقد حاول في بادئ الأمر أن يحصل على حاجته من الأسلحة الحديثة من الدول الغربية ولكنه لم ينجح بالحصول على شيء إلا النزر اليسير من الأسلحة العادية التي لا قيمة لها رغم المحاولات المتكررة التي بذلها في هذا السبيل. ولكنه بعد أن فقد الأمل من هذه الدول أخذ يسعى للحصول على الأسلحة الحديثة من جهات أخرى. وفي مؤتمر باندونغ الذي عقد في نيسان عام ١٩٥٥م أشار (شو إن لاي) رئيس وزراء الصين على عبد الناصر بأن السوفيات قد يكونوا على استعداد للاستجابة فوراً لأي طلب منه يتعلق بالتسليح. وهكذا وبعد عودة عبد الناصر إلى القاهرة وبنتيجة الاتصالات السرية استطاع السفير السوفياتي (دانيال سولود) أن يُعَدَّ مع عبد الناصر صفقة الأسلحة الروسية التي أعلن عنها رسمياً بتاريخ ٢٧ أيلول عام ١٩٥٥م. ونجح عبد الناصر بكسر احتكار الغرب للسلاح وأصبح لأول مرة مستقلاً عسكرياً عن الغرب ويستطيع الحصول على أية كميات من الأسلحة يحتاجها وبتسهيلات للدفع طويلة الأجل. وقد أثارت هذه العملية حفيظة الدول الغربية واسرائيل ضد عبد الناصر لأنها بحسب رأيهم قد أخلت بميزان التسليح لصالح العرب ضد اسرائيل. وقد نسيت اسرائيل وحليقاتها من الدول الغربية أنها هربت كميات ضخمة من الأسلحة عام ١٩٤٨م وخلال فترة الهدنة عن طريق الدول الشرقية وإن تشيكوسلوفاكيا نفسها كانت المزود الرئيسي لإسرائيل بهذه الأسلحة. ولم تتفضل الدول الغربية عندئذ وتقول أن ميزان التسليح قد مال لصالح اسرائيل ضد العرب. كما أنها لم تحرك ساكناً عندما قتل اليهود الوسيط الدولي الكونت برنادوت في وسط مدينة القدس عندما أراد أن يقول الحق ويوصي بشيء بسيط من العدالة للعرب في فلسطين، فلماذا إذن كل هذا الصراخ الآن على صفقة الأسلحة هذه التي عقدها عبد الناصر لكي يتمكن من حماية حدوده من العدوان الإسرائيلي والاستعمار. ولكن يجب أن لا نستغرب ذلك كله لأن هذه هي أساليب دول الاستعمار التي دجننتها الصهيونية واستخدمتها لتنفيذ مخططاتها في بلاد العرب. وفي هذا المجال يجب أن نستذكر دوماً أن الرئيس الأمريكي هاري ترومان برر اعتراف أمريكا بدولة اسرائيل عام ١٩٤٨م حتى قبل اعلان قيامها رسمياً بقوله (علي أن اتجاوب مع رغبات مئات الآلاف من المواطنين الأمريكيين الذين ينتظرون نجاح الصهيونية فليس بين الناهخين مئات الآلاف من العرب).

وعلى أي حال فإن صفقة الأسلحة الروسية قد رفعت معنويات الشعب المصري وباقي الشعوب العربية قاطبة. وعلى أثرها أخذ نجم عبد الناصر يتألق كزعيم عربي وعالمي له مكانته المرموقة والفعالة في المجتمعات العربية والدولية.

ثانياً : في عام ١٩٥٥م. بدأت عملية التمحور العربي عندما عقد جمال عبد الناصر في تشرين الثاني من ذلك العام اتفاقية الدفاع المشترك مع كل من السعودية وسوريا واليمن. وعلى أثر ذلك قامت بريطانيا بتأسيس حلف بغداد الذي أسهم بتكريس التمحور العربي بين مجموعات الدول المتحررة من الأحلاف من جهة وبين الدول التي انضمت إلى حلف بغداد أو التي في طريقها إليه من جهة ثانية.

وقد جاء التشجيع لفكرة انشاء حلف بغداد أصلاً من شركات النفط حيث كان لها أعوان أقوياء في وزارة الخارجية البريطانية وقد أخذ هؤلاء يحذرون من خطر التغلغل الشيوعي في المنطقة ويضربون مثلاً على تخوفهم هذا بحركة الدكتور مصدق في إيران وقيامه بتأميم النفط عام ١٩٥٢م عندما احجمت بريطانيا عن التدخل فيها خوفاً من تدخل روسيا في شمال إيران.

ثالثاً : وبهذا الشكل دخلت المنطقة في مرحلة صراع النفوذ بين بريطانيا ومصر. فعندما وصلت أول شحنة من الأسلحة الروسية إلى مصر قامت بريطانيا بمحاولة الإيقاع بين سلطان مسقط وبين السعودية حيث قامت بمساندة سلطان مسقط ضد السعودية في قضية واحة البريمي التي كانت مطروحة أمام محكمة العدل الدولية في جنيف وذلك عقاباً للسعودية لأنها انضمت إلى مصر باتفاقية الدفاع المشترك. وبعد شهر قام جيش سلطان مسقط (الذي يقوده ضباط بريطانيون) باحتلال واحة البريمي التي تسيطر على طرق المواصلات في المناطق الجنوبية الشرقية من السعودية. وهكذا أوقعت بريطانيا الفتنة بين الأشقاء العرب بأسلوب الوقيعة المدبرة سلفاً. وبنفس الوقت قامت الطائرات البريطانية بقصف القبائل في المناطق الداخلية لحماية عدن على بعد خمسمائة ميل إلى الداخل للايقاع بين هذه القبائل والسعودية على أساس أن طائراتها هي التي قصفت تلك القبائل. وهكذا فقد بدأت بريطانيا باستعمال القوة العسكرية في تنفيذ سياساتها في المنطقة قبل أن تخترع حججها الجديدة للتدخل عسكرياً في منطقة قناة السويس كما سيأتي شرحه.

رابعاً: وفي شهر كانون أول من عام ١٩٥٥م قامت بريطانيا بإرسال مبعوثها الجنرال تمبلر للضغط على الأردن لكي ينضم إلى حلف بغداد ولكنه فشل في مهمته وفي أعقابها قام

جلالة الملك حسين باعفاء الفريق كلوب والضابط الانجليزي من الخدمة في الجيش العربي. ثم تبع ذلك انضمام الأردن إلى اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر وبذلك أصبح الأردن خارج متناول بريطانيا عملياً على الرغم من وجود مطارين فيه ما زال في تلك الاثناء بيد القوات البريطانية وعلى الرغم من أن المعاهدة الأردنية البريطانية ما زالت قائمة. ولكن الرئيس عبد الناصر كان قد أبلغ الأردن استعداداه لتأمين دفع قيمة المعونة البريطانية إذا قامت الحكومة الأردنية بالغاء المعاهدة وتصفية ما تبقى من الوجود البريطاني في الأردن.

هكذا كانت الأوضاع السائدة في العالم العربي بشكل عام عند حلول شهر أيلول عام ١٩٥٦م.

خامساً: كانت مصر قد دخلت بمفاوضات مع أمريكا وبريطانيا والبنك الدولي للحصول على قروض مناسبة لتمويل مشروع بناء السد العالي الذي قدرت تكاليفه بحوالي ألف مليون دولار تدفع خلال مدة عشر سنوات وهي المدة المقدرة لتنفيذ المشروع. وقد استغرقت المباحثات مع هذه الأطراف المعنية مدة طويلة على الرغم من أن الروس كانوا بهذه الاثناء قد عرضوا على عبد الناصر استعدادهم للمساهمة في تمويل المشروع ولكنه على ما يظهر أثر ارجاء قبول هذا العرض لأنه استمر في مباحثاته مع البنك الدولي والأمريكيين. ورغم ذلك وبعد كل هذه المباحثات المضنية قرر الأمريكيون سحب عرضهم بالمساهمة بالمشروع وبدون سبب معقول سوى أنهم غضبوا من قيام عبد الناصر بشراء الأسلحة الروسية مع أنهم يعرفون جيداً أنه توجه إليهم أولاً بطلب شراء الأسلحة الأمريكية ولكنهم رفضوا تلبية حاجته فكان مضطراً لشراؤها من أي جهة أخرى لكي يستطيع تطوير قواته المسلحة لحماية بلده من الهجمات الاسرائيلية المتكررة والتي أخذت تتنامى بشكل يندب بالخطر. وعلى أي حال فقد قام المستر (جون فوستر دالس) وزير خارجية أمريكا باستدعاء السفير المصري لدى واشنطن السيد أحمد حسين يوم الخميس ١٩ تموز عام ١٩٥٦م وسلمه مذكرة تشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قررت سحب عرضها بالمساهمة بمبلغ ٥٦ مليون دولار في مشروع بناء السد العالي.

وفي صباح اليوم التالي قام وكيل وزارة الخارجية البريطانية بإبلاغ السفير المصري في لندن بقرار الحكومة البريطانية بسحب عرضها لتقديم ١٥ مليون دولار للمساهمة في تمويل مشروع السد العالي. وبنفس اليوم أعلن رئيس البنك الدولي السيد يوجين بلاك أنه نظراً

لقرار الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بسحب عرضيهما للمساهمة في تمويل مشروع السد العالي فإن البنك الدولي لا يستطيع اقراض مصر مبلغ ٢٠٠ مليون دولار التي كان قد وعدها به قبل اسبوع واحد فقط من صدور تلك الاعلانات. وفي معرض تبريره لموقف الولايات المتحدة هذا قال المستر دالس إن السبب يعود إلى أن مصر لم توافق على بعض التعديلات في خطة السد وإن لديه شكوكاً حول مقدرة مصر على تدبير مبلغ سبعمائة مليون دولار التي هي حصتها من مجمل التكاليف.

ومن الواضح أن هذه التبريرات ما هي إلا حجج واهية. ولكن السبب الحقيقي هو غضب دالس من حصول مصر على الأسلحة الروسية لأنه كان يرى أن روسيا قد دخلت إلى المنطقة على نطاق واسع بسبب توقيع هذه الاتفاقية ولذلك فإنه يجب أن يقاوم أية إمكانية لتواجد السوفيات في أي منطقة من الشرق الأوسط.

وبعد هذه الاجراءات لم يبق أمام جمال عبد الناصر سوى الاتصال مع الروس والموافقة على عرضهم السابق. وعلى هذا الأساس أعلن وزير خارجية الاتحاد السوفياتي المستر شيبيلوف بتاريخ ٢١ تموز أنه يسر حكومة الاتحاد السوفياتي أن تقدم أية مساعدة لمصر بأي طريقة تستطيع. ولكنه لم يشير صراحة إلى مشروع السد العالي.

وبهذه المرحلة قرر جمال عبد الناصر أن تعتمد مصر على مواردها الذاتية بشكل أساسي. ومن أهم هذه الموارد دخل قناة السويس الذي كان يذهب حتى ذلك التاريخ لصالح الدول الأجنبية وخصوصاً بريطانيا وفرنسا. ولذلك اتخذ قراره التاريخي بتأميم قناة السويس. ذلك القرار الذي اعلنه بخطابه المشهور الذي ألقاه في الاسكندرية يوم الخميس ٢٦ تموز عام ١٩٥٦م بمناسبة عيد الثورة. وبموجب الخطة التي كانت قد وضعت بشكل سري خلال الأيام السابقة وبينما كان الرئيس عبد الناصر يلقي خطابه قامت قوات الأمن المصرية بالاستيلاء على مكاتب شركة قناة السويس وأبلغت موظفيها ولا سيما الانجليز والفرنسيين أنهم إذا رفضوا الاستمرار بالعمل فإنهم سوف يكونون عرضة للحكم عليهم بالسجن لمدة تتراوح من ٣ سنوات لغاية ١٥ سنة ومنذ تلك اللحظة بدأ العد التنازلي نحو وقوع الحرب حيث حصل الحلفاء الثلاثة على الفرصة التي كانوا ينتظرونها والذريعة التي كانوا يبحثون عنها لشن حربهم العدوانية على مصر.

٣ - المؤامرة الثلاثية :

أولاً : لقد كانت فعلاً مؤامرة بكل معنى الكلمة تتم في الخفاء بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل.

لأن رؤوساء وزارات هذه الدول دخلوا في مباحثات سرية وهدفهم الأساسي القضاء على رئيس دولة أخرى عضو في هيئة الأمم المتحدة عن طريق غزو بلاده بأساليب العصور الوسطى. ولأن ما كان يدور بين هؤلاء الرؤساء الثلاثة ليس نوعاً من المباحثات الرسمية التي تجري عادة بين الدول بل كان نوعاً من التآمر يتم سراً بين هؤلاء الزعماء باشخاصهم لشن حرب على دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة وللقضاء على زعيمها لا شيء إلا لأنه استعمل حق بلاده بالسيادة على أراضيها وقام بتأميم مرفق حيوي بداخلها وكانت تستغله تلك الدول الأجنبية الاستعمارية ظلماً وعدواناً لمصلحتها. والطريف في هذا الأمر إن العديد من الكتب الأجنبية التي نشرت عن هذا الموضوع وخصوصاً الكتب الانجليزية اتفقت على تسمية هذا العمل بأنه مؤامرة (Conspiracy) ومنذ شهر حزيران كان سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا على اتصال مع (بينو) وزير خارجية فرنسا حيث كانا على اتفاق تام في عدائهما لجمال عبد الناصر. وبنفس الوقت تقريباً أصدر المسيو بينو تعليماته إلى وزارة الخارجية الفرنسية لفتح حوار مع إسرائيل لتزويدها بالأسلحة المتطورة التي تريدها لمقاومة عبد الناصر لأنه كان يعتقد أنه بانكسار عبد الناصر سوف يستطيع تسديد ضربة قاتلة لمعنويات الجزائريين وسوف يسهل عليه بالتالي قمع ثورتهم.

وبعد اعلان تأميم قناة السويس أصبح الأمر بالنسبة لهم واضحاً ولا بد من اتخاذ القرار بسرعة. وبدأت فرنسا بشحن كميات هائلة من الأسلحة إلى إسرائيل كان من أهمها خمسون طائرة مقاتلة حديثة من نوع (مستير) ومائة دبابة نوع (AMX) التي كانت من أحدث ما أنتجته مصانع فرنسا في ذلك الحين. كما أرسلت مجموعات من الطيارين والفنيين ليقوموا بتدريب الإسرائيليين وتمكينهم من استيعاب هذه الأسلحة بالسرعة اللازمة.

ثانياً: وفي يوم الجمعة بتاريخ ٢٧ تموز أي في اليوم التالي لإعلان جمال عبد الناصر عن قرار تأميم قناة السويس اتصل أنتوني ايدن هاتفياً مع (بينو) وتبادل معه الرأي حول هذه التطورات الجديدة. وبهذه المكالمة اتفقا على أنه لا بد من القيام بعمل عسكري ضد مصر وأن عبد الناصر يجب ازالته من طريقهم (١).

وهكذا فقد قرر هذين الوزيرين اقحام بلديهما بحرب ضد بلد ثالث دون أن يبحثا هذا الموضوع مع مجلس الوزراء أو البرلمان في بلديهما رغم أنهما يدعيان أن بلادهما

(١) انظر كتاب حرب السويس، صفحة ٤٣ تأليف بول جونسون.

The Suez war Page 43. By Paul Johnson.

ديمقراطية. كما أنهما لم يطلعا حلفاءهما في حلف الأطلسي مسبقاً على نواياهما هذه. وبالنسبة لبريطانيا فإن ايدن لم يطلع دول الكومنولث مع أن هذا القرار الذي اتخذته بمكالمات هاتفية قد يجر تلك البلدان الحليفة إلى حرب هي في غنى عنها ولا تعرف عنها شيئاً . ومن يدري فقد تجر الجميع إلى حرب عالمية ثالثة. ولهذا فقد اصطلح الكتاب الغربيون الذين كتبوا عن هذه الحرب اسم الحرب القذرة (Dirty War) وأي حماقة أكبر من تلك حماقة يرتكبها رجلين بمفردهما بمكالمة هاتفية. ولسوف تثبت الأحداث التالية مدى خطا وخطورة هذه السياسة وهذا النوع من القرارات الارتجالية التأميرية.

ثالثاً: وعلى أي حال فقد بدأت الحكومتان البريطانية والفرنسية بتحضير الخطط اللازمة لهذا الهجوم المنتظر. كما باشرت بتحرك القطعات العسكرية البرية والبحرية والجوية إلى مناطق الحشد في جزيرتي مالطة وقبرص وفي قواعد أخرى في جنوب فرنسا. وبهذه الاثناء كانت الحكومة الاسرائيلية قد قررت شن حرب وقائية ضد مصر قبل أن تتمكن من استيعاب الأسلحة الحديثة التي بدأت تصلها بكميات ضخمة من الاتحاد السوفياتي.

رابعاً: وعندما تصاعدت أزمة قناة السويس بعد اعلان عبد الناصر عن تأميمها كان من البديهي أن تستغل اسرائيل هذه الأزمة لصالحها وأن تصبح شريكاً فعالاً في عملية الهجوم المزمع أن تقوم به بريطانيا وفرنسا على مصر. ومن هذا المنطلق أصدر بن غوريون تعليماته إلى قيادة الجيش الاسرائيلي لوضع الخطط اللازمة للهجوم على مصر خلال عام ١٩٥٦م. وبنفس الوقت قام بتكثيف الجهود الدبلوماسية التي كانت قد بدأت فعلاً مع فرنسا للإسراع بجلب الأسلحة الحديثة منها بكميات ضخمة.

خامساً: وعندما بدأت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية بدراسة أوضاع قواتهما العسكرية وأماكن تواجداتها المتباعدة والمنتشرة في مختلف بقاع الكرة الأرضية اتضح لهما أن عملية إعادة حشد هذه القوات للقيام بعملية غزو مصر ستحتاج إلى وقت طويل لكي تصبح جاهزة للتنفيذ ولذلك لا بد من اخفائها بستر المفاوضات حول قضية تأمين القناة بالطرق الدبلوماسية لكي لا تتنبه مصر ويتنبه العالم لهذه المؤامرة في وقت مبكر قبل اتمام الاستعدادات العسكرية. ولهذا فقد استمرت حكومتا بريطانيا وفرنسا بالتظاهر بأنهما تسعيان جاهدتين للتوصل إلى حل للقضية عن طريق المفاوضات. وبنفس الوقت مضتا قدماً في استعداداتهما العسكرية لعملية الغزو بمنتهى الهمة والنشاط.

حاً أنه لا أمل للحكومة البريطانية التي كانت تملك معظم أسهم شركة كومة الفرنسية من الناحية القانونية بإلغاء قرار تأميم الشركة وذلك مسجلة في مصر تخضع للقانون المصري وإن امتيازها ينتهي في عام تالي فإن من حق الحكومة المصريه كدولة ذات سيادة أن تلغي هذا موعد انتهائه وتدفع التعويض للمساهمين. وهذا بالضبط ما تعهدت به لان التأميم. أما الاعتراضات التي أثارته بريطانيا ضد عملية التأميم يصحها بأنها اتهمت مصر بخرق الاتفاقات الدولية ولا سيما اتفاقية عام استولت على ممر مائي دولي وعطلت مصالح الدول المستفيدة منه طالب بوضع هذه القناة تحت اشراف دولي.

مصر هذه الاتهامات بشدة واستمرت بتسيير السفن عبر القناة تحت د. ويمكن الاجابة على الادعاءات البريطانية بما يلي:

م تخرق أي اتفاق دولي. فهي بموجب اتفاقية الجلاء التي عقدتها مع عام ١٩٥٤ تعهدت بالتقيد ببنود اتفاقية عام ١٨٨٨ م التي كانت تتطلب حرية الملاحة لكافة الدول في السلم والحرب. ولكن حرية الملاحة هذه لا بملكية القناة. وقد ميزت اتفاقية عام ١٨٨٨ م. بكل وضوح بين ملكية حرية الملاحة. ولذلك فإن تغيير الملكية من مالك لآخر لا يعني خرق ة طالما أن حرية الملاحة مضمونة وهذا ما تعهد به جمال عبد الناصر ، مصر بكل دقة. صحيح أن مصر قامت بمنع مرور البواخر الاسرائيلية ر التي تحمل بضائع لاسرائيل. ولكن هذا المنع تم عندما كانت القناة شركة القديمة قبل التأميم واثناء وجود القوات البريطانية في قواعدها ناة ولم تعترض بريطانيا على هذا الاجراء في حينه. وهذا يعني أن مصر رة على منع مرور السفن عملياً سواء كانت ملكية القناة معها أو مع

تعتبر بريطانيا أن قضية التأميم التي لا تتعدى كونها عبارة عن نقل اة إلى الحكومة المصرية على أنها خرق للاتفاقيات الدولية واخذت تهدد عسكرياً. وهل كان ايدن يعتقد أنه حتى لو نجح باحتلال القناة مع الإبقاء على حرية الملاحة بأمان ضد رغبة ثلاثين مليون مصري لقيام بعمليات فدائية ضدها كالسابق.

ب - القناة واقعة بأكملها داخل الأراضي المصرية. ومصر دولة مستقلة ذات سيادة وهي لن ترضى أن تتنازل عن استقلالها وسيادتها على تراب وطنها مهما واجهها من أخطار ومهما تعرضت له من تضحيات.

ولذلك فإن مطالبة بريطانيا بوضع القناة تحت إشراف دولي لا يمكن تطبيقها عملياً لأن المجتمع الدولي لن يوافق على خرق استقلال دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة لا سيما وإن هذه الدولة ملتزمة بكافة الاتفاقيات الدولية وقائمة بواجباتها من حيث ضمان حرية الملاحة عبر القناة بكفاءة تفوق ما كانت عليه الحال قبل التأميم.

ولذلك فإن مطالبة بريطانيا ما هي إلا ذر للرماد في العيون وليس لها إلا معنى واحداً وهو أن بريطانيا تهدد مصر بالحرب وبعودة الاستعمار إلى أراضيها وهذا أمر ستظهره الأحداث المقبلة.

سابعاً: وعلى الرغم من جميع التفسيرات القانونية التي تدحض ادعاءاتهم فقد استمر الانجليز والفرنسيين بالعمل على تهيئة الستار الدبلوماسي المطلوب لاختفاء استعداداتهم العسكرية للحرب.

وفي مطلع شهر آب اتضح لهم أنهم لن يحصلوا على تأييد أمريكا لهم بهذا الأسلوب حيث كانت وجهة نظر المستر دالس وزير خارجية أمريكا أن المشكلة يجب حلها بالمفاوضات وبواسطة الضغوط الدبلوماسية بينما كانت بريطانيا وفرنسا قد قررتا غزو مصر عسكرياً لاسقاط نظام جمال عبد الناصر. ولهذا كانت وجهة نظرهم تنطوي على تقديم الاقتراحات التي يعرفون سلفاً إن عبد الناصر سوف يرفضها لكي يتخذوا من رفضه ذريعة للقيام بعملية الغزو العسكري. وقد كانوا يعرفون أن عبد الناصر يعتبر أن وضع إدارة تشغيل القناة تحت إشراف دولي اعتداءً على استقلال مصر وسيادتها. ولذلك فهو لن يوافق عليه مهما كان الثمن ومن هذا المنطلق فقد وافقوا على اقتراح (دالس) بعقد اجتماع للمنتفعين من القناة. ورغم أن غاية دالس من هذا الاجتماع كانت لتقوية موقف الحلفاء في المفاوضات التي كانت بحسب رأيه يجب أن تبدأ بعد هذا المؤتمر مباشرة إلا أن البريطانيين والفرنسيين كانوا يعتبرون المؤتمر وسيلة للحصول على موافقة الأعضاء على خطة انجلو فرنسية إذا رفضتها مصر فسوف تتبعها عملية الغزو العسكري.

وهكذا وعلى الرغم من تباین غاياتهم واهدافهم قاموا بتوجيه الدعوة للدول المنتفعة من القناة لحضور مؤتمر عالمي يعقد في لندن ولكن المدعويين تم انتخايبهم بعناية بحيث يضمّنوا

تصويت الغالبية إلى جانب خطة الدول الغربية الثلاثة، ولم يكن بإمكانهم طبعاً عدم دعوة الاتحاد السوفياتي ومصر رغم أن مصر رفضت حضور المؤتمر فيما بعد ومهما كان الأمر فإن المؤتمرين لم ينجحوا بالنتيجة بالتوصل إلى اتفاق على خطة مقبولة من قبل الجميع. فالحلفاء الغربيون أصروا على اقتراح وضع القناة تحت إشراف دولي. وعندئذ تقدم المستر (كريشنا منون) وزير خارجية الهند باقتراح خطة بديله تعتمد على تأسيس هيئة استشارية دولية واتفاقية جديدة يطلب من مصر توقيعها وتكون خاضعة لهيئة الأمم المتحدة. وكان من الممكن أن توافق غالبية المؤتمرين على خطة كريشنا منون هذه وبالتالي كان من الممكن أن توافق عليها مصر. ولكن بريطانيا وفرنسا عارضتاها بشدة لأنها تفتح الطريق أمام حل الخلاف بالمفاوضات وهما لا تريدان حلاً سلمياً بل تريدان حلاً عسكرياً. وما هذا المؤتمر بالنسبة لهما سوى ستار لإخفاء نواياهما الحقيقية ووسيلة لكسب الوقت حتى تكمل استعداداتهما العسكرية للغزو. وعلى الرغم من الضغوط الانجلو أمريكية فقد رفض (كريشنا منون) سحب اقتراحه. وعند طرح المشروعين للتصويت وبتأثير (سلوين لويد) و(دالس) صوتت سبعة عشر دولة مع الخطة الغربية وصوتت روسيا والهند واندونيسيا وسيلان مع خطة كريشنا منون. وهكذا بقيت الخطوة اللاحقة وهي تقديم خطة الدول الغربية إلى مصر. وقد انتخب المؤتمر لهذه المهمة لجنة برئاسة المستر (منزيس) رئيس وزراء استراليا للذهاب إلى مصر وعرض الخطة على الرئيس جمال عبد الناصر. وهم يعرفون سلفاً أنه سوف يرفضها ولكن هذا هو الهدف الذي كانوا يرمون إليه. وقد وافقت بريطانيا وفرنسا على لجنة منزيس بشرط أن تكون هذه اللجنة مخولة فقط بمناقشة أسس الخطة وليست مخولة بتقديمها على أنها أساس للمفاوضات وعلى هذا الأساس ذهب منزيس إلى القاهرة لكي يقدم الخطة إلى الرئيس جمال عبد الناصر ويتلقى رفضه لها ثم يعود إلى لندن بعد فشله في مهمته. وهذا ما كان يريده الانجليز والفرنسيين.

وبهذه الاثناء أصبحت الاستعدادات للغزو على وشك أن تكتمل. ففي النصف الأول من شهر آب استدعت بريطانيا ٢٥ ألف جندي من الاحتياط وأخذت تحرك قواتها وطائراتها وأساطيلها من مختلف بقاع الأرض نحو قبرص. ونقلت طائرات الكاميرا من المانيا وحشدت اسطولاً ضخماً في مالطة. كما نقلت فرقة مشاة جواً إلى قبرص. أما فرنسا فقد جمعت ثلاثة فرق مشاة وفرقة مدرعة في الجزائر. وقد تم تعيين الجنرال (كيتلي) البريطاني قائداً عاماً لقوات الغزو وتعيين الاميرال (بيير بارجو) الفرنسي نائباً للقائد العام. وأصبحت القيادة الانجلو فرنسية متكاملة وتعمل من مقرها في قبرص.

وبينما كان المستر منزيس يستعد للسفر إلى القاهرة صدر تصريح إذيع من لندن

وباريس في وقت واحد كانت فحواه أنه بالنظر إلى أن فرنسا قد تحتاج لحماية رعاياها في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط فإن الحكومة البريطانية قد وافقت على تمركز القوات الفرنسية في بعض القواعد البريطانية في جزيرة قبرص.

وبما أن تحركات هذه القوات منذ بدايتها لم تكن خافية علينا جميعاً وقد كانت قيادتنا المشتركة تتابع هذه التحركات كما سيأتي شرحه فيما بعد فقد أصدر الرئيس جمال عبد الناصر تصريحاً قال فيه أن مصر ستقاوم هذا الغزو بكل امكانياتها المتاحة. كما أنه أعلن التعبئة العامة في مصر.

وأما على الصعيد الإداري فقد كان أول عمل ستقوم به بريطانيا وفرنسا هو سحب جميع المرشدين والفنيين الانجليز والفرنسيين من القناة لكي يعطلوا حركة مرور البواخر. وعندما تبدأ الحركة بالتباطؤ سيقومون بطرح قضية القناة أمام مجلس الأمن. وعندئذ حسب تصورهم سوف يقوم الاتحاد السوفياتي بتعطيل القرار باستعمال حق النقض (الفيتو) وبهذه الحالة سوف يعلنون أنه لم يبق أمامهم من سبيل سوى احتلال منطقة القناة لضمان حركة الملاحة على اعتبار أن مصر خرقت اتفاق عام ١٨٨٨م بعدم قدرتها على ضمان حرية الملاحة. ولكن حتى على هذا الصعيد فقد فوتت مصر عليهم هذه الفرصة لأنها تمكنت من استخدام أعداد كافية من المرشدين من يوغوسلافيا وغيرها من الدول الشرقية بالإضافة إلى المرشدين المصريين وتمكنت من تنظيم حركة المرور بكفاءة تعادل ما كانت عليه سابقاً أو تزيد.

وبهذه الاثناء حدث تطور طريف ومفاجى وتسبب في تغيير مجرى الأحداث ونتج عنه على الأقل تأجيل موعد الهجوم البريطاني الفرنسي. فبتاريخ ١٠ أيلول عندما كان ايدن سيلقي خطاباً في مجلس العموم على أساس الفرضية المشار إليها باعلاؤه طلع (جون فوستر دالس) باقتراح جديد لكي يثني الانجليز والفرنسيين عن فكرة الغزو العسكري الذي استنتج أنهم يهيئون له من قراءاته في الصحف عن أنباء الحشود العسكرية في قبرص. وقد كان تقدير (دالس) أنه لكي ينجح في ذلك فإنه يترتب عليه أن يقدم لهم اقتراحاً مغرياً. وعلى هذا الأساس اقترح فكرة انشاء هيئة مستخدمى قناة السويس المشهورة والتي تتلخص بأن تتجمع البلدان التي تستخدم القناة (كنادي) وتستخدم مرشديها الخاصين بها. وربما بهذه الحالة سيكون معظمهم من الإنجليز والفرنسيين. ويدفع أعضاء النادي رسوم عبور القناة إلى هيأتهم وتعتبر سفنهم القناة بترتيباتهم الخاصة. وفي حالة رفض جمال عبد الناصر التعاون مع هذه الهيئة عليهم جميعاً مقاطعة القناة وتتكفل أمريكا بهذه الحالة بدفع التكاليف الناتجة عن هذا الاجراء.

وقد قرر دالس أن عبد الناصر بعد بضعة أشهر من هذه المقاطعة سيكون مستعداً للموافقة على حل وسط.

ويظهر أن دالس لم يضع التفصيلات العملية لخطته وأبلغ خطوطها العريضة هاتفياً إلى ايدن الذي فهم منها حسب تقديره أن أمريكا تؤيده في جميع مراحل مخططاته بالنسبة للقناة، ومن منطلق هذا المفهوم ألقى ايدن خطاباً في اليوم التالي في مجلس العموم. وبعدما شرح مراحل تطورات قضية القناة بالتفصيل ذكر أن أمريكا وبريطانيا وفرنسا قررت تشكيل هيئة مستخدمي القناة. وإن هذه الهيئة سوف تتحمل مسؤولية تنسيق عبور البواخر في القناة وسوف يطلب من السلطات المصرية أن تتعاون مع هذه الهيئة في ضمان مرور أكبر حجم من القوافل. ولكنه أضاف أنه في حالة قيام المصريين بالتدخل في حرية الملاحة فإن حكومته ستعتبر أن مصر خرقت اتفاقية عام ١٨٨٨ م. وبهذه الحالة فإن الحكومة البريطانية والحكومات الأخرى المعنية سوف تتخذ الخطوات التي تراها ضرورية لضمان حرية المرور.

وفي أثناء مناقشته مع النواب عن كيفية مرور البواخر عبر القناة بدون أن تكون بيدهم السيطرة على الإدارة وأجهزة الاتصال قال ايدن (إن كل ما يهمني أننا ذاهبون إلى القناة وإن الأمريكيين ذاهبون معنا). وما أن وصلت تفصيلات خطاب ايدن إلى أمريكا حتى ثارت عاصفة رهيبية من الاستنكار ضد دالس. وفي الكونغرس طلب النواب ايضاحات عن كل ما وعد به دالس إلى ايدن. كما اتصل الرئيس (ايزنهاور) مع ايدن ليبلغه برفضه لاستعمال القوة في مسألة القناة. ثم عقد (دالس) مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أنه لا يعرف شيئاً عن فكرة عبور القناة بالقوة. وبهذا اعتبر ايدن أن دالس خدعه. وإن خطته بالنسبة لقضية القناة قد دمرت وإن القوات الضخمة التي حشدوها في قبرص ومالطة أصبحت تشكل عبئاً اقتصادياً خطيراً كما أنها بنفس الوقت أصبحت عديمة الفائدة. وقد فرضت هذه الأحداث تأجيل موعد الغزو. وعلى أثر ذلك اجتمع ايدن وسلوين لويدي (وبيينو) وقرروا تحدي معارضة أمريكا وذلك بعرض قضية القناة على مجلس الأمن الدولي. كما اعلنوا قرارهم هذا بدون استشارة دالس مسبقاً. وبناء على طلب بريطانيا وفرنسا تقرر عقد جلسة مجلس الأمن لبحث مسألة القناة بتاريخ ٢٦ أيلول ١٩٥٦ م. وبهذه الجلسة قدم الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية المصرية مقترحات جديدة اعتبرت أنها إيجابية للغاية وتحقق معظم متطلبات الدول الغربية. ولذلك تقرر أن يعقد اجتماع بين سلوين لويدي وبيينو والدكتور محمود فوزي للتوصل إلى تسوية نهائية، وهذا بالضبط ما كانت بريطانيا وفرنسا تسعى لتجنبه ولكنهما لم تستطعا رفض هذا الاقتراح. وعلى هذا الأساس تم عقد الاجتماع بتاريخ ٩ تشرين أول في نيويورك

وتم خلاله التوصل إلى اتفاق على المبادئ الستة التالية لكي تعتبر أساساً لاستخدام القناة في المستقبل^(١).

- ١ - الحرية التامة للمرور عبر القناة.
- ٢ - الاحترام الكامل للسيادة المصرية.
- ٣ - الفصل ما بين استخدام القناة والسياسة لأي بلد.
- ٤ - تقرر العائدات بموجب اتفاقية بين مصر والدول المستخدمة للقناة.
- ٥ - يخصص جزء معقول من عائدات القناة لأغراض الإصلاح والتطوير فيها.
- ٦ - يلجأ إلى التحكيم عند وجود الخلافات بين الأطراف المعنية.

وبهذا يمكن اعتبار أن قضية الخلاف على استعمال القناة قد حلت ولم يبق سوى اجتماع الأطراف الثلاثة الرئيسيين لوضع الاتفاقية التفصيلية انطلاقاً من هذه المبادئ واقترح محمود فوزي أن يعقد الاجتماع في جنيف ويترك تعيين التاريخ للانجليز والفرنسيين. ومع ذلك ولأن هاتين الدولتين لم تكونا راغبتين أصلاً بالحل السلمي فإنهما لم ترغبا بالاستفادة من هذه الفرصة واستمرتتا بمتابعة استعداداتهما العسكرية لاحتلال القناة. وللكشف عن صلف دول الحلفاء ونفاقها قامت هيئة الأمم المتحدة فيما بعد في اليوم الذي انتهى فيه موعد الإنذار الانجلو فرنسي بنشر مراسلات (فوزي - همر شولد) حول هذه الاتفاقية لكي تطلع الرأي العام العالمي على حقيقة الأمور.

وبعد انتهاء اجتماع نيويورك المشار إليه بأعلاه تسارعت الاجتماعات المحمومة بين المتآمرين الثلاثة. وكان من أهمها الاجتماعات التي كان يعقدها مندوب اسرائيل شمعون بيريز في باريس والتي أسفرت عن توقيع اتفاقية عسكرية سرية بين فرنسا واسرائيل بتاريخ ١٠ تشرين أول عام ١٩٥٦م. وبعد ذلك أصبحت فرنسا ملتزمة التزاماً كاملاً بدعم اسرائيل عسكرياً وأخذت تشجعها على القيام بهجوم كبير ضد مصر. كما زادت بنفس الوقت كميات الأسلحة التي تشحنها إلى اسرائيل وخصوصاً الطائرات المقاتلة الحديثة من نوع (مستير) حيث قررت رفع الكمية من ١٥ طائرة إلى ٦٠ طائرة كل شهر. كما أرسلت أعداداً كبيرة من الطيارين والفنيين للاسراع بتدريب الطيارين الاسرائيليين عليها.

وأما بالنسبة للحكومة البريطانية فقد أصبح الموقف في غاية الصعوبة. فمن جهة تم التوصل إلى الاتفاق على النقاط الستة لحل مشكلة القناة كما أسلفنا وأصبح الحل السلمي

(١) انظر كتاب حرب السويس، صفحة ٨٠ تأليف بول جونسون.

The Suez war Page 80. By Paul Johnson.

لهذه القضية وشيكاً. ومن جهة أخرى فقد أخذ الرأي العام يطالب الحكومة بتسريح جنود الاحتياط. كما أن التذمر أخذ يسري في صفوف الجيش الذي أصبح قوامه أربعين ألف جندي يتجمعون في قبرص ومالطة منذ مدة طويلة بدون عمل له معنى. ومما زاد في الأمر تعقيداً أن مجلس الأمن الدولي أنهى مشكلة القناة في يوم ١٤ تشرين أول عندما صوت لصالح الاقتراح الانجلو فرنسي بأغلبية تسعة أصوات ضد صوتين. واستعمل الاتحاد السوفياتي حق النقض (الفيتو) كما كان متوقعاً. وأصبح يتوجب على ايدن أن يتخذ القرار النهائي بسرعة فيما إذا كان يريد الحل على أساس المفاوضات السلمية أم يريد المضي قدماً بالاستعدادات للحرب. وقد أصبح واضحاً أنه لا يستطيع المضي بالحرب إلا إذا كانت على أساس التدخل في حرب اسرائيلية عربية لا سيما وإن هدفه من الحرب لم يكن لضمان حرية الملاحة في القناة بقدر ما كان محاولة لتوجيه ضربة لعبد الناصر شخصياً. ولذلك فإنه اختار المضي بالحرب.

وعلى هذا الأساس ذهب ومعه (سلوين لويد) إلى باريس وعقدا اجتماعاً سرياً مع (موليه) و(بينو) يوم ١٦ تشرين أول. وبعد ذلك توالى الاجتماعات والاتصالات بين باريس وتل أبيب وأخذت حلقات المؤامرة الثلاثية تتكامل. وكان من أبرز هذه الاجتماعات ذلك الاجتماع الذي عقد في باريس بين وفد اسرائيلي برئاسة غولدا مئير وزيرة الخارجية وعضوية شمعون بيريز والجنرال دايان ووفد فرنسي برئاسة كريستيان بينو وزير الخارجية وعضوية مانورى وزير الدفاع حيث تم الاتفاق على بدء التحضيرات للهجوم على مصر. وبعد ذلك توالى الاجتماعات بين الاطراف الثلاثة وكان أهمها ذلك الاجتماع الذي عقد يوم ٢١ تشرين أول في بلدة سفيرز (Severs) بالقرب من باريس بين الوفود الثلاثة التي كان تشكيلها كما يلي^(١):

أ - الوفد البريطاني : برئاسة سلوين لويد وزير الخارجية وعضوية موظف كبير من وزارة الخارجية.

ب - الوفد الفرنسي : برئاسة غي موليه رئيس الوزراء وعضوية (بينو) وزير الخارجية و(مانورى) وزير الدفاع.

ج - الوفد الاسرائيلي : برئاسة بن غوريون رئيس الوزراء وعضوية شمعون بيريز والجنرال دايان.

وبهذا الاجتماع أصر بن غوريون على أن يحصل من الحكومتين البريطانية والفرنسية على

(١) انظر كتاب الحروب العربية الاسرائيلية، صفحة ١١٤ تأليف حاييم هيرتزوغ.

The Arab - I'srael War Page. 114 By 'CHAIM HERZOG'.

كتاب خطي تتعهدان فيه بأن تقوم أسلحتهما الجوية بتدمير سلاح الجو المصري قبل بدء المعركة. وإن تزودا إسرائيل بمظلة جوية تحمي أجواءها. وأن تقدم فرنسا غطاءً جويًا فوق سيناء أثناء فترة القتال. وقد حصل على ما يريد^(١).

ومع ذلك فقد وضعت الخطة بشكل تظهر فيه تحركات القوات الاسرائيلية الأولية وكأنها عملية انتقامية محدودة وليست غزواً عاماً على مصر. وذلك لكي يسهل سحبها من سيناء بحالة عدم وفاء حلفائهم الإنجليز والفرنسيين بالتزاماتهم التي تعهدوا بها. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بينما كانت إسرائيل تركز دعايتها طيلة تلك الفترة ضد الأردن الذي كان يتصدر مسرح الأحداث ألقى بن غوريون خطاباً في الكنيسة يوم ١٧ تشرين أول وهو اليوم التالي للاجتماع السري الانجلو فرنسي الاسرائيلي في باريس. وأعلن في خطابه سياسة إسرائيل الجديدة. وذكر المستمعين أن مصر هي العدو الحقيقي لإسرائيل وتهجم على جمال عبد الناصر. ولقد كان هذا الخطاب بمثابة نهضة للرأي العام الاسرائيلي لكي يتقبل السياسة المتشددة الجديدة.

وبتاريخ ٢٥ تشرين أول أعلن الناطق الرسمي الاسرائيلي أن الفدائيين المصريين العاملين من قطاع غزة وسيناء قد جددوا نشاطهم بداخل الأراضي الاسرائيلية. وقد فهمنا طبعاً أن هذه التصريحات ليست إلا تهية للرأي العام العالمي وتبريراً للهجوم الذي أصبح وشيكاً. وفي اليوم التالي بدأت القوات الاسرائيلية بتنفيذ التعبئة العامة سراً. وفي يوم ٢٨ تشرين أول أعلنت الحكومة الاسرائيلية التعبئة الجزئية رسمياً بينما كانت معلوماتنا الاستخبارية تشير إلى أن إسرائيل بدأت باستدعاء الاحتياطي سراً قبل ذلك التاريخ بعدة أيام.

وعلى أثر ذلك ظهر رد فعل سريع من قبل بريطانيا فقد أبلغ مندوبها في تل أبيب وزير الخارجية الاسرائيلي بأن الحكومة البريطانية سوف تكون ملزمة بتطبيق شروط المعاهدة البريطانية الأردنية إذا ما قامت إسرائيل بغزو الأراضي الأردنية ولم يكن هذا التصرف سوى من قبيل التعمية ولفت الانتظار بعيداً عن الهدف الحقيقي لا سيما أننا لم نطلب من بريطانيا أن تطبق المعاهدة التي كانت ما زالت سارية المفعول. والأهم من هذا أنها كانت تعرف جيداً أن الهجوم الاسرائيلي الذي أصبح وشيكاً كان موجهاً ضد مصر لأنه كان يشكل جزءاً من خطتها الحربية التي وضعتها بالاشتراك مع إسرائيل لغزو مصر. ومن جهة أخرى فإن بريطانيا كانت تعرف جيداً أننا لم نكن نتوقع بأي حال من الأحوال أن تقاتل القوات البريطانية معنا ضد إسرائيل دفاعاً عن الأراضي الأردنية خصوصاً بهذا الوقت بالذات ونحن

(١) التقارير الاستخبارية التي حصلنا عليها من قيادة الجيش .

أصبحنا نشكل جزءاً من القيادة العربية المشتركة وقد كنا نعرف أن هجومها على مصر بات وشيكاً وهي بهذه الحالة أصبحت عدونا ونحن ملزمون بأن نقاتل ضدها لا سيما ونحن نأتمر بأمر القيادة العليا للجيش العربية وأصبح جزء مهم من القوات السورية يتواجد بداخل أراضينا ويأتمر بأمرنا. ولكل هذه الأسباب فإننا لم نكن ننظر إلى هذا التحذير البريطاني لاسرائيل سوى أنه أسلوب من أساليب الخداع والتمويه وخصوصاً بعد أن أصبحت جميع المعلومات المتوفرة تشير إلى أن الاستعدادات العسكرية التي كانت تجرى في مختلف المواقع كانت موجهة ضد مصر وليس ضد الأردن.

ثم جاءت الأنباء من واشنطن تشير إلى أن الرئيس ايزنهاور أرسل خلال اليومين الماضيين ندائين إلى بن غوريون يناشده الامتناع عن استعمال القوة. كما أنه عقد اجتماعاً طارئاً بتاريخ ٢٧ تشرين أول حضره مندوبوا دول التصريح الثلاثي دام يومين لبحث الحالة في الشرق الأوسط. ولكن مندوبي بريطانيا وفرنسا لم يصرحا له بشيء عن نوايا حكومتيهما تجاه الحرب ضد مصر.

وبهذا أصبح الانقسام بين دول حلف الأطلسي في غاية الخطورة. وبتاريخ ٢٩ تشرين أول وفي ساعات الصباح الباكر بدأت القوات المدرعة الاسرائيلية التي كانت متمركزة في النقب غربي مدينة العقبة بالتحرك بسرعة إلى داخل سيناء أمام أنظار كتيبة الدبابات البريطانية (الهوزارز - 10th Hussars) التي كانت متمركزة في العقبة بناء على طلب الحكومة الأردنية بموجب المعاهدة الأردنية البريطانية منذ عام ١٩٤٩ عندما احتلت القوات الاسرائيلية النقب آنذاك. وحوالي الساعة الخامسة من بعد ظهر نفس اليوم بدأت كتيبة مظليين اسرائيلية بالهبوط في ممرات (متلا) وهكذا بدأت حرب السويس (العدوان الثلاثي) عملياً بتنفيذ المرحلة الأولى التي كانت تتمثل بهجوم القوات الاسرائيلية على سيناء.

٤ - الموقف على الجبهة الأردنية

أولاً : لقد أوجزت في الصفحات السابقة بعض المعلومات عن أبعاد المؤامرة الاستعمارية التي وضعتها دول الاستعمار لغزو مصر بسبب تأمين قناة السويس رغم أن الهدف الحقيقي لدول العدوان الثلاثي لم يكن سوى ضرب جمال عبد الناصر والقضاء على نظامه ومنع التقارب العربي الذي أصبح يتشكل عملياً عن طريق توحيد الجيوش العربية المحيطة باسرائيل وانتظامها تحت قيادة مشتركة واحدة وبالتالي فإنهم كانوا يأملون بالقضاء على فكرة الوحدة العربية التي تبناها جمال عبد الناصر وأيده معظم

الأقطار العربية بالنظر لمواقفه المشهورة ضد الاستعمار ودعوته لتحرير الاقطار العربية والسعي لتحقيق وحدتها. الأمر الذي رأته فيه تلك الدول الاستعمارية تهديداً خطيراً لمصالحها ولقد كانت اسرائيل مستعدة وجاهزة لتكون محور تنفيذ هذا العدوان ضمن الخطة التي وضعتها بريطانيا وفرنسا لضرب مصر والأمة العربية ويجب أن لا نستغرب هذا ونحن نعرف أن دول الاستعمار هذه لم تكن لتدعم وجود اسرائيل أصلاً إلا لكي تعتمد عليها في حماية مصالحها في المنطقة وإلا لماذا أصدرت بريطانيا وعد بلفور وبذلت جهوداً جبارة طيلة ثلاثين سنة لكي تضمن قيام دولة اسرائيل في فلسطين على أنقاض سكانها العرب إن لم يكن لكي تعتمد عليها في ضرب الأمة العربية في أي مكان وزمان لضمان حماية مصالحها في المنطقة.

والآن وبعد أن أوجزت النشاطات التي كانت تقوم بها دول العدوان الثلاثي لتنفيذ مخططها لا بد من ذكر لمحة عن ما كان يجري على الساحة الأردنية والعربية خلال الأشهر الحاسمة التي سبقت نشوب الحرب.

ثانياً: ساحاول هنا ايجاز الأحداث المهمة مستقاة من المعلومات الرسمية والتقارير الاستخبارية التي كانت تصلني في حينها والتي استقيت منها معظم المعلومات التي ذكرت في الفقرة السابقة عن نشاطات بريطانيا وفرنسا واسرائيل بهذه المؤامرة. لقد كان الموقف العام مشحوناً بنذر الحرب منذ مطلع عام ١٩٥٦م حيث أخذت معظم التقارير الاستخبارية وملخصات الأنباء العالمية التي كانت تصلني من مختلف المصادر بحكم وظيفتي كمدير هيئة الأركان. وكانت تشير إلى أن اسرائيل تستعد بشكل جدي لشن حرب واسعة النطاق خلال هذا العام. وعندما كنت أقارن محتويات هذه التقارير مع تصرفات القوات الاسرائيلية على الحدود كانت جميع تقديراتي بالنتيجة تشير إلى أن الحرب أصبحت وشيكة وإن الضربة القادمة سوف تبدأ ضد الجبهة الأردنية أولاً. وكانت هذه الاستنتاجات التي توصلنا إليها مبنية على واقع الأمور قبل إعلان جمال عبد الناصر قراره بتأميم قناة السويس، وقد يكون من المفيد هنا أن أشير إلى محتويات بعض هذه التقارير الاستخبارية لكي أعطي صورة عز الأسلوب الذي كانت تتطور على أساسه تلك الأحداث وطريقة التحليلات لها في ذلك الحين :-

بتاريخ ٢٦ حزيران عام ١٩٥٦م وصلني تقرير خلاصة المعلومات الاستخبارية عن اتجاهات السياسة الاسرائيلية الجديدة واحتمال نشوب الحرب خلال الصيف خلاصته ما يلي :

١ - إن استقالة موسى شرتوك من وزارة الخارجية الاسرائيلية جاءت نتيجة للخلافات الخطيرة القائمة بين أقطاب الحكومة الاسرائيلية حول السياسة الخارجية. فبينما يرى موسى شرتوك أن جميع قضايا اسرائيل الخارجية ولا سيما علاقاتها مع الدول المجاورة يمكن أن تحل في المجالات الدولية باتباع سياسة المداينة واغتنام الفرص واستغلال العناصر الصهيونية في كافة الدول الأجنبية لمناصرة اسرائيل في حل قضاياها فإن بن غوريون يرى عكس ذلك فهو دائماً من دعاة القوة في سبيل تحقيق أي مطلب سياسي وهو من أنصار اتباع السياسة العدوانية على الحدود.

٢ - من متابعة تصريحات بن غوريون منذ توليه رئاسة الحكومة في السنة الماضية وإعلانه باستمرار أن صيف العام الحالي ١٩٥٦ م سيقدر مصير سياسة اسرائيل نهائياً. وكذلك تحذيراته المستمرة من انقلاب ميزان القوى لصالح العرب. ومن كل هذا يمكن الاستنتاج أن الحرب واقعة لا محالة. وإن أي تقرير لاحتمال وقوع الحرب يجب أن يشمل مطامع اسرائيل الاقتصادية التي ترمي للتوسع خارج حدودها وهي منحصرة حالياً في الاستيلاء على القسم الباقي من فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة). لا سيما وهي تسعى لكي تصبح قوة رئيسية في الشرق الأوسط من الناحيتين العسكرية والاقتصادية.

٣ - يمكن أن نستنتج أن اسرائيل قد تحولت أو هي في طريقها إلى التحول من سياسة الملاينة البعيدة المدى وبناء الاقتصاد إلى سياسة التشدد والعدوان العسكري استناداً إلى الظواهر الآتية:

- أ - تغلب المتطرفين ودعاة الحرب من سياسة اسرائيل على السياسة المعتدلين.
- ب - وصول اسرائيل في امكانياتها واستعداداتها العسكرية إلى مستوى رفيع مما يشجعها على العدوان.
- ج - زيادة مخصصات الدفاع في موازنة الدولة وفرض ضرائب جديدة على السكان لمقتضيات الدفاع.
- د - مصادقة البرلمان الاسرائيلي بالاجماع يوم ١٩/٦/١٩٥٦ م. على مشروع القرار القاضي بتمديد العمل بقانون الطوارئ الذي يقضي بتعبئة كافة المعدات وامكانيات الدولة للمجهود الحربي.

هـ - مصادقة البرلمان الاسرائيلي على القانون القاضي بمنع أي شخص في الخدمة العاملة أو الاحتياطية من السفر خارج اسرائيل إلا بعد الحصول على موافقة وزارة الدفاع. ويبقى العمل بهذا القانون ساري المفعول حتى ٣١ كانون أول عام ١٩٥٦ م.

و - الاحتفاظ بحوالي نصف مجموع الاحتياطي في الجيش الاسرائيلي بالخدمة العاملة بالإضافة إلى القوات النظامية.

ز - الانتهاء من بناء التحصينات الدفاعية في كافة المستعمرات الامامية وتعزيز وسائل الدفاع عنها.

ثالثاً: بعد اعلان الرئيس جمال عبد الناصر عن تأميم قناة السويس أخذت الأحداث تتسارع وأصبح الموقف في الأردن يزداد تعقيداً. فمن جهة أصبح الأردن عضواً في القيادة المشتركة. وكنا في تلك المرحلة نعمل بشكل مستمر على توحيد خططنا الدفاعية مع مصر وسوريا وأصبح جهاز القيادة العليا المشتركة يثبت فعاليته تدريجياً كقيادة عامة للجيش العربي المنتظمة تحت لوائها بموجب الاتفاقية التي أصبحت تشمل مص والأردن وسوريا والسعودية واليمن. ومن جهة أخرى كان الأردن لا يزال مرتبطاً بالمعاهدة الأردنية البريطانية على الرغم من إنها كانت عملياً معطلة وكنا نعتبر أنها أصبحت غير ذات موضوع وفي حكم المنتهية لكن الانجليز كانوا لا يزالون يحتفظون بقواعدهم الجوية في مطاري المفرق وعمان كما لا زالت كتيبة الدبابات البريطانية متمركزة في ميناء العقبة. وعلى الرغم من أننا وضعنا هذه القواعد تحت المراقبة الدقيقة إلا أنهم كانوا يتحركون بداخلها بحرية تامة ويقلقون بطائراتهم إلى خارجها كما يشاؤون.

وبعد أن أصبحت بريطانيا تعلن عن عداثها للسافر لمصر وتحشد قواتها في قبرص لغزوها فقد أصبحت من الناحية الرسمية تعتبر عدواً لنا وسنقاتلها في حالة قيامها بغزو مصر. ولكنها بنفس الوقت من الناحية النظرية تعتبر حليفة للأردن بموجب المعاهدة التي ما زالت قائمة. وعلى الرغم من أن هذا الموقف الغريب لم يدم طويلاً فقد بقي مصدر قلق وازعاج لنا لبضعة أشهر حتى تم إلغاء المعاهدة رسمياً.

رابعاً: وبعدها تطورت أزمة قناة السويس وأخذت بريطانيا وفرنسا تحشدان قواتهما في قبرص ومالطة لغزو مصر واتضح لنا أبعاد المؤامرة الثلاثية باسراهم اسرائيل في خطة الغزو بالشكل الذي شرحته سابقاً. أخذت تقارير الاستخبارات الأردنية

والسورية تشير إلى تحركات هذه القوات ووصول بعضها إلى إسرائيل وخصوصاً القوات الجوية الفرنسية. كما بدأت بعض القوات الجوية البريطانية تغادر قواعدها في الأردن إلى قبرص أو إلى الحبانية في العراق. وابين تالياً بعض الأمثلة عن ما ورد بهذه التقارير:

أ - خلال أيام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من شهر آب غادر مطار المفرق جواً حوالي ٧٨ ضابط وفني بريطاني إلى جهة غير معلومة، وقد نقلت بعض المعلومات عن حديث بعض الجنود الانجليز أن هؤلاء الضباط تابعون إلى كتيبة مقاومة الطائرات وإنهم أرسلوا إلى إسرائيل ولكن الأرجح إلى قبرص.

ب - وصل تقرير بتاريخ ١ أيلول يفيد بأن اجتماعاً عقد في مقر وكالة الغوث الدولية في عمان برئاسة المستر كلارك مدير الوكالة حضره رؤساء الفروع من الأجانب فقط لبحث الموقف العام لوكالة الغوث في حالة نشوب الحرب. وإن هذا الاجتماع قصد منه بحث احتمال وقوع الحرب بين مصر وبريطانيا.

ج - بتاريخ ٥ أيلول وصلتني خلاصة الأنباء من الصحف العالمية تشير إلى أن فرنسا قررت ارسال بعض قواتها المسلحة للتمركز في جزيرة قبرص بعد موافقة الحكومة البريطانية وإن سبب ذلك يعود إلى الحالة المضطربة في الشرق الأوسط. كما وصلني بنفس الوقت تقرير استخباري يفيد أن القوات الجوية الفرنسية التي وصلت إلى قبرص كانت عبارة عن جناح من ثلاثة أسراب من الطائرات النفاثة القاذفة والمقاتلة وعددها يتراوح بين ٤٠ - ٥٠ طائرة مع الخدمات الأرضية التابعة لها.

د - وصل تقرير يفيد بتواجد قوات جوية فرنسية في إسرائيل وإن ضباطاً فرنسيين شوهدوا يتجولون في شوارع مدينة حيفا بكثرة. وكان تقديرنا لهذا التقرير في حينه أن فرنسا أرسلت بعض الطائرات لكي تتمركز في مطارات إسرائيل تمهيداً لاشتراكها في معركة السويس المتوقعة. ولكن ظهر فيما بعد أن هذا كان جزءاً من الحقيقة فقط، وإن فرنسا كانت تزود إسرائيل بأعداد كبيرة من الطائرات الحديثة وإنها أرسلت معها أعداداً من الطيارين الفرنسيين لكي يساعدوا إسرائيل في تدريب طيارها بسرعة.

هـ - لوحظ أنه منذ مطلع شهر أيلول عام ١٩٥٦ م نشطت تحركات طائرات النقل العسكرية البريطانية من مطار المفرق إلى الغرب وربما باتجاه قبرص وخصوصاً

أثناء الليل. وهذا معناه أن بريطانيا بدأت بإخلاء معداتها المهمة من قاعدة المفرق إلى قبرص أو جهات أخرى. وقد لاحظنا أن هنالك تغييراً على خط سير هذه الطائرات حيث كانت في السابق تتحرك من الأردن إلى قبرص عبر أجواء سوريا ولبنان وذلك بعد أخذ موافقة حكوماتها. وقد أصبحت الآن تتحرك ليلاً عبر أجواء إسرائيل مباشرة ومن الطبيعي أنها كانت تنسق هذه العمليات مع إسرائيل مسبقاً.

و - وصل تقرير بتاريخ ٥ أيلول يفيد أن بريطانيا قامت قبل اسبوعين من تاريخه بنقل مجموعة فرقة مشاة من قواتها التابعة لحلف شمال الأطلسي في ألمانيا الغربية والحقتها بقواتها الموجودة في قبرص.

ز - بهذه الاثناء نصحت بريطانيا رعاياها في الدول العربية وخصوصاً مصر وسوريا والأردن بضرورة رحيلهم عنها بالسرعة الممكنة وقد باشروا فعلاً بهذا الرحيل.

ح - وصلتنا معلومات سرية تفيد أن الكتيبة المدرعة البريطانية المتمركز في العقبة سوف تنسحب منها في حالة نشوب الحرب مع مصر عن طريق ايلات بعد أن تقوم بتدمير منشأتها الثابتة ثم تنظم إلى القوات المدرعة الاسرائيلية الموجودة في النقب عند تقدمها إلى سيناء ولكن هذه الكتيبة بقيت في مكانها طيلة مدة الحرب ولم تقم بأي تحركات معادية.

هذه نبذة فقط عن خلاصة التقارير التي كانت تصلني خلال تلك الفترة الحرجة التي سبقت وقوع الحرب وأوردتها كأمثلة لتعطي فكرة عن الجو المحموم الذي كنا نعيشه في تلك الفترة.

خامساً: وبهذه الاثناء بدأنا بوضع خططنا الدفاعية لمواجهة كافة الاحتمالات ضمن إطار القيادة المشتركة. وقد كانت خططنا الدفاعية على الجبهة الأردنية تعتمد أساساً على قوات الجيش العربي الأردني التي كان قوامها فرقة مشاة ولواء مصفح وعدد كبير من كتائب الحرس الوطني.

وكان يساند الجيش العربي مجموعة من الجيش السوري قوامها لواء مشاة وكتيبة مدرعة. وقد اعتبرنا هذه المجموعة السورية كقوة احتياط يمكن استخدامها في الهجوم المعاكس في حالة وقوع الهجوم الاسرائيلي على الجبهة الأردنية أولاً. ويمكن استخدامها كجزء رئيسي من قوة التعرض التي خططنا لها في حالة وقوع الهجوم

الاسرائيلي على الجبهة المصرية أولاً. حيث تقرر بهذه الحالة أن نقوم بعمليتين رئيسيتين تنطلق احدهما من منطقة طولكرم وتخترق غرباً باتجاه الساحل لتقطع اسرائيل من الوسط وتنطلق الثانية من مرتفعات القدس الغربية بهدف تطويق المدينة وفصلها عن اسرائيل تمهيداً لاحتلالها حسب تطور المعركة وتوفير القوات اللازمة.

سادساً: خلال هذه الفترة ازداد التوتر على طول خطوط الهدنة مع اسرائيل وكثرت حوادث الاعتداءات المحدودة كما ازدادت شكاوي اسرائيل من عمليات التسلل إلى داخل مناطقهم. وقد كانت هذه الأوضاع السائدة على الحدود وما كان ينتج عنها أو يتبعها من تصريحات المسؤولين الاسرائيليين تزداد حدتها كلما ازدادت الخلافات حول مسألة قناة السويس تعقيداً. وكلما ساءت علاقات بريطانيا مع مصر كلما أصبحت الحالة على الحدود مع اسرائيل تزداد سوءاً وخطورة. وكان هذه مرتبطة بتلك.

ومن محصلة جميع ما كان يردنا من معلومات وما كنا نلاحظه من تطورات على الساحة الدولية كانت جميعها تشير إلى أن المنطقة مقبلة على حرب وشيكة لا محالة. كما أن تصريحات الساسة الاسرائيليين والتغيرات الجذرية في سياستهم العامة وخصوصاً بعد عودة بن غوريون إلى رئاسة الحكومة بعد فترة من الاعتزال وهو المعروف بسياسته العدوانية المتطرفة. كانت كلها دلالة تشير إلى أن اسرائيل عقدت العزم على شن حرب عامة. ومؤشراتها تقول أن هدف هذه الحرب سيكون احتلال الضفة الغربية وقد كنا نعرف أنها في حربها المقبلة سوف تحصل على مساعدة فعلية من فرنسا لأنها كانت في تلك الآونة تزودها بمختلف أنواع الأسلحة وخصوصاً الطائرات والخبراء.

ولكن بعد أن أخذت تصلنا معلومات عن حشد القوات البريطانية والفرنسية في جزيرة قبرص بدأنا نقدر أن احتمال اشتراكهما فعلياً في الحرب مع اسرائيل ضد مصر أصبح وارداً. وهنا أصبحنا نواجه احتمالين:

أ - إما أن اسرائيل تنوي الهجوم على الجبهة الأردنية لاحتلال الضفة الغربية وهو ما يفسر التحركات الاسرائيلية الحالية وتساعدها فرنسا بكميات هائلة من الأسلحة التي أصبحت تصبها في اسرائيل بشكل علني. وستكون بهذه العملية في حالة نجاحها قد وجهت ضربة قاتلة للقيادة المشتركة وللأمة العربية بشكل عام.

ب - وأما أن تكون اسرائيل تخطط للهجوم على مصر بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا فعلاً كما كانت تدل على هذا الاحتمال التحركات الفرنسية والانجليزية في قبرص

بهدف احتلال قناة السويس والقضاء على زعامة عبد الناصر ونظامه وكل ما يمثل على الساحة العربية. وبهذه الحالة فإن التصرفات الاسرائيلية في الجبهة الأردنية ما هي إلا من قبيل الخداع لاختفاء الوجهة الحقيقية للهجوم. ولكن مع كل ذلك فقد كنا نظن أن هذه العملية قد لا تصل إلى مرحلة الغزو الفعلي من قبل القوات البريطانية والفرنسية لمصر نظراً لحساسية توازن القوى العالمية بين الشرق والغرب وخطورة إقدام بريطانيا على مثل هذه المجازفة التي قد تؤدي إلى حرب عالمية.

ولهذا ظننا لفترة من الوقت أن بريطانيا لن تجازف بالقيام بحرب فعلية ضد الأمة العربية إلى جانب إسرائيل. ولو على الأقل للمحافظة على مصالحها في العالم العربي. خصوصاً وإنها تعتمد إلى حد كبير على النفط العربي في صناعيتها وحياتها. أما فرنسا فلم نستبعد اشتراكها مع إسرائيل بأي شكل لأنها على أي حال كانت تقاوم الشعب العربي في الجزائر منذ مدة طويلة وسيكون اشتراكها في حرب ضد مصر أكثر احتمالاً في ذلك الوقت لضرب سياسة جمال عبد الناصر في العالم العربي.

ولكن على الرغم من هذه الاحتمالات فإن الخطر المباشر كان يلوح لنا في إمكانية قيام إسرائيل بشن حرب وقائية وأنها سوف تستغل جميع الظروف التي أصبحت الآن مناسبة لها. ولكننا طبعاً لم نكن نعرف تفاصيل المؤامرة السرية التي كانت تحاك في الخفاء بين حكومات هذه الدول الثلاث في تلك الفترة الحرجة. ومن محصلة هذه الأوضاع المتردية والمتشابكة أصبح لزاماً علينا اتخاذ الاحتياطات المناسبة لمواجهة كافة الاحتمالات والأخطار التي أصبحت وشيكة.

سابعاً: كان أول انفجار كبير على الحدود يوم ١٠ تشرين أول عندما قامت قوة اسرائيلية كبيرة بشن هجوم واسع النطاق على بلدة (قلقيلية). وهو أضخم اعتداء من هذا النوع منذ الهجوم الغادر على قرية قبية.

وقد تمكنت هذه القوة المعادية من نسف مخفر الشرطة. ولكن لحسن الحظ أن قائد اللواء الهاشمي العقيد الركن صالح الشرع سبق واتخذ اجراءات احتياطية واخرج جميع العائلات من البناية إلى بيوت البلدة ولم يبق في المخفر عند بدء المعركة سوى جنود الشرطة الذين توزعوا في الخنادق حول البناية وقاوموا الهجوم فترة من الوقت ثم انسحبوا إلى موقع فئة الجيش التي كانت متمركزة في تلة صوفين الواقعة في الطرف الشرقي من بلدة قلقيلية. وقد كان مقدراً أن القوة الاسرائيلية سوف تقوم

بتطويق البلدة أولاً ومن ثم تهاجم موقع صوفين لأنه الموقع الحصين الذي يمكنه إيقاف تقدمهم. وقد واجه الهجوم الاسرائيلي مقاومة من جنود الحرس الوطني في أطراف قلقيلية ولكن قوة العدو تمكنت بالنهاية من الوصول إلى موقع فئة المشاة في تلة (صوفين). وقد صمدت هذه الفئة في مواقعها في وجه هجمات العدو عليها. وبهذه الاثناء كان قائد اللواء الهاشمي قد حرك الكتيبة التاسعة بقيادة الرائد سلامة عتيق للقيام بشن الهجوم المعاكس وفك الحصار عن قلقيلية وقد تحركت هذه الكتيبة من معسكرها بقرب قرية (جينة صافوط) عن طريق النبي الياس الواقعة شرقي قلقيلية. وكانت قوات العدو في ذلك الوقت قد أحكمت الحصار حول بلدة قلقيلية ووزعت العديد من الكمائن في سفوح التلال المشرفة على طريق النبي الياس المؤدية إلى قلقيلية لعاقة وصول قوة النجدة إليها بينما تتمكن من اقتحامها. ولكن مقاومة الفئة الموجودة في موقع صوفين ورجال الحرس الوطني المتمركزين حول المدينة منعت تقدمهم لفترة من الزمن.

وقد اضطرت الكتيبة التاسعة أثناء تقدمها أن تعالج جميع كمائن العدو في طريقها. مما أدى إلى تأخر وصولها إلى قلقيلية بعض الوقت ومكن قوة العدو من الوصول إلى المخفر الذي كان أفراد الشرطة قد انسحبوا منه وتمكنت من نسفه. ولكن سرايا الكتيبة التاسعة وصلت إلى المنطقة وأكملت عملية مطاردة قوة العدو ودحرها بعد تكبيدها خسائر فادحة قدرت بحوالي ستين قتيلاً من بينهم قائد الكتيبة المهاجمة (الذي تم تسليم جثته فيما بعد عن طريق لجنة الهدنة) بالإضافة إلى عدد كبير من الجرحى، ولكن اليهود اعترفوا في حينها بأن خسائرهم بهذه المعركة كانت ثمانية عشر قتيلاً وخمسين جريحاً ولقد اعتبر حادث الهجوم على قلقيلية في غاية الخطورة لأنه في تلك الظروف التي كنا نمر بها اعتبر بمثابة تهينة لهجوم عام قد تشنه اسرائيل في أية لحظة لاحتلال الضفة الغربية.

وعلى أثر هذا الحادث مباشرة حدث أمرين هامين، أولهما أن الحكومة العراقية أعلنت عن استعدادها لارسال فرقة من الجيش العراقي إلى الأردن لتعزيز قواته للدفاع عن أراضيها. وقد وافق الأردن على هذا العرض حالاً وبدأت طلائع هذه الفرقة حركتها نحو الحدود الأردنية العراقية. وثانيهما. وهو أمر غريب جاء من طرف بريطانيا. حيث بهذا الوقت بالذات بينما كانت قواتها محتشدة مع القوات الفرنسية في جزيرة قبرص وهي على وشك التحرك لغزو مصر بعد أيام قلائل بهدف احتلال قناة

السويس بالاشتراك مع اسرائيل تأتي بريطانيا هذه وفي اليوم التالي لهجوم القوات الاسرائيلية على قلقيلية وتوغل إلى القائم بالأعمال البريطاني في تل أبيب أن يبلغ بن غوريون أنه إذا قامت اسرائيل بأية أعمال حربية أخرى ضد الأردن فإن بريطانيا ستتدخل لمساعدة الأردن بحسب شروط المعاهدة البريطانية الأردنية كما أشرت سابقاً. وقد أجاب بن غوريون على هذا التحذير بأن اسرائيل سوف تعتبر دخول القوات العراقية إلى الأردن بمثابة اعلان حرب عليها من قبل العراق وستعتبر نفسها حرة التصرف بما تراه مناسباً. وبتاريخ ١٤ تشرين أول أعلنت اسرائيل بياناً رسمياً على شكل اذار ينص على أنه إذا اجتازت أية قوات عراقية الحدود الأردنية الشرقية فإن اسرائيل ستعتبر هذا الاجراء عملاً حربياً ضدها.

وبنفس الوقت أعلنت فرنسا احتجاجها رسمياً على دخول القوات العراقية إلى الأردن. وعند هذا الحد وبنتيجة الاتصالات الأردنية العراقية روي أنه من الأفضل ابقاء القوات العراقية على مقربة من الحدود الأردنية بداخل العراق: يلاحظ أن جميع هذه التصرفات من قبل اسرائيل وبريطانيا وفرنسا كانت تجري خلال فترة الاسبوعين الذين سبقا وقوع الهجوم الثلاثي على مصر، وقد ثبت أن كل هذه الاجراءات كانت متعمدة ومقصود بها التغطية على الهدف الحقيقي بلفت الأنظار نحو الجبهة الأردنية بينما تتم الاستعدادات النهائية ويكتمل حشد القوات لضرب الجبهة المصرية وبنفس الوقت محاولة منع دخول القوات العراقية إلى الأردن قبل بدء المعركة. وهكذا فقد كسبت اسرائيل عنصر المفاجأة التامة ضد مصر خلال الاربعة وعشرين ساعة الاولى من القتال. وكانت هذه فترة حاسمة في المعركة.

أما نحن في رئاسة الأركان فقد كنا خلال هذه الفترة منهمكون في وضع الخطط اللازمة لمواجهة الاحتمالات الخطيرة التي كانت كل الدلائل تشير إلى أنها قادمة لكي لا نفاجأ بها. ومن جهة أخرى كنا نحث الخطى لاتمام مسائل التنسيق بيننا وبين القيادة العامة المشتركة في القاهرة ومع القيادة السورية في نطاق اتفاقية الدفاع المشترك التي أصبحنا عضواً فيها. وبنفس الوقت باشرنا باستدعاء أكبر عدد ممكن من كتائب الحرس الوطني المحلية حسب الإمكانيات المتاحة لنا لكي نستخدمها في المواقع الدفاعية في الخط الأمامي لنتمكن من توفير بعض الكتائب النظامية وتجميعها في الاحتياط لاستخدامها بالأعمال الهجومية حسب الظروف وتطور المعركة.

ثامناً: أما على الصعيد الداخلي فقد كان البلد يمر بمرحلة جديدة حيث سمحت الحكومة

للأحزاب السياسية بممارسة نشاطاتها كاملة وبكل حرية واطلقت حرية الصحافة بدون قيود. وبنفس الوقت قررت الحكومة اجراء الانتخابات النيابية انطلاقاً من هذه الأوضاع الجديدة وتمشياً مع الظروف المستجدة. وعلى هذا الأساس قام كل حزب بفتح مكتب له اعتبر بمثابة مقر للحزب يجتمع فيه أعضاؤه وأخذت تنشر من هذه المكاتب الدعايات الحزبية وتوزع المنشورات لترويج مبادئ الحزب. كما كانت تعقد فيها الاجتماعات وتلقى الخطب من على شرفات هذه المكاتب على الجماهير المحتشدة بكل حرية وبدون أي تدخل من قبل قوات الأمن. ولم يشهد الأردن في السابق مثل هذا النشاط الحزبي الواسع النطاق.

وعندما كانت تخرج المظاهرات تعبيراً عن شعور جماهيرها أو للدعاية لحزب ما كنت ترى كل مظاهرة ترفع الياقطات التي تبين شعارات الحزب الذي أشرف على تنظيمها. ويهتف المتظاهرون له. وتسير منفصلة عن الآخرين. وعندما تصل إلى مقر الحزب يخرج زعيمه أو أحد الأعضاء البارزين ويلقي خطاباً بالمتظاهرين قبل انفضاض مسيرتهم.

وبهذا الجو المفعم بالأحداث تقرر حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة على أساس التعددية الحزبية، وانطلاقاً من هذه الحريات السياسية الجديدة قام دولة رئيس الوزراء السيد سعيد المفتي بحل المجلس بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٥٦م.

وقدم استقالة حكومته إلى جلالة الملك حيث قبلها وكلف دولة السيد إبراهيم هاشم بتشكيل الحكومة الانتقالية التي سوف تشرف على اجراء الانتخابات. وتم تشكيل هذه الحكومة بتاريخ ١ تموز ١٩٥٦م وحددت يوم ٢١ تشرين أول موعداً لاجراء عملية الاقتراع وهكذا فبالاضافة إلى الظروف الخطرة التي كانت تمر بها المنطقة وحالة الطوارئ والظروف الاستثنائية التي تواجهنا كان يترتب علينا أن نولي اهتماماً زائداً لقضايا الأمن الداخلي. لا سيما وإن الاستعدادات للانتخابات النيابية كانت تجري على قدم وساق خلال الفترة التي سبقت نشوب الحرب. ولا حاجة هنا لشرح ما تستلزمه عملية الانتخابات من الاستعداد من قبل قوات الأمن للسهر على السلامة العامة وتأمين الجو الهادئ المناسب لجميع المواطنين لاستعمال حقهم الانتخابي بحرية تامة. ولكي تجري المنافسة بين جميع الأحزاب المختلفة بنظام وهدوء ومساواة كاملة بين جميع المشتركين فيها.

ولما كانت قوات الشرطة والدرك في ذلك الحين ما زالت مرتبطة برئاسة أركان الجيش

فإن ذلك كان يشكل عبئاً إضافياً علينا فوق أعبائنا ومسؤولياتنا العسكرية في مواجهة الحرب التي أصبحت وشيكة الوقوع.

وللتصدي إلى كل تلك الظروف فقد تقرر فصل قوات الأمن الداخلي بكافة فروعها عن قيادة الجيش اعتباراً من تاريخ ١٤ تموز ١٩٥٦ م. وربطها بوزير الداخلية وتم تعيين الزعيم بهجت طباره مديراً للأمن العام. كما قامت الحكومة بسن قانون خاص للأمن العام.

هذا وقد جرت الانتخابات النيابية بموعدها المقرر بسهولة ويسر ولم يحدث خلالها أي مشاكل تخل بالأمن الداخلي. حيث انعدمت الأسباب التي تثير المشاكل عادة في مثل هذه المناسبات. حيث جرت عملية الانتخاب بحرية تامة دون تدخل أي طرف رسمي أو غير رسمي. وكانت المنافسة حرة ونزيهة بدافع من الشعور بالمسؤولية وواجب المواطنة الحققة من قبل الجميع مرشحين وناخبين على حد سواء. فأخذ كل ذي حق حقه كاملاً غير منقوص ودون تجاوز على حقوق الآخرين.

وبنتيجة هذه الانتخابات فاز الحزب الوطني الاشتراكي بغالبية المقاعد.

وعلى هذا الأساس كلف جلالة الملك رئيس هذا الحزب السيد سليمان النابلسي بتشكيل الحكومة الجديدة وقد تم تشكيلها يوم ٢٨ تشرين أول عام ١٩٥٦ م من كافة الأحزاب والاتجاهات السياسية المختلفة.

تاسعاً: التوقيع على اتفاقية الدفاع المشترك والاستعداد للحرب

بدعوة من جلالة الملك حسين وصل الفريق عبد الحكيم عامر على رأس وفد عسكري بزيارة رسمية للأردن للتوقيع على اتفاقية الدفاع المشترك والتوصل معنا إلى القرارات الأساسية حول تشكيل القيادة العليا المشتركة ووضع أسس عملها وتنظيم الأجهزة الإدارية التابعة لها.

كما وصل بنفس الوقت إلى عمان وفد عسكري سوري برئاسة اللواء توفيق نظام الدين رئيس أركان الجيش السوري لنفس الغرض.

وبهذه الزيارة حضر عبد الحكيم عامر معه ستة طائرات مقاتلة من نوع (فامنيار) (Vampire) من صنع انجليزي هدية من مصر إلى سلاح الجو الملكي الأردني وهبط بها الطيارون المصريون في مطار ماركسا العسكري وتم تسليمها رسمياً إلى الطيارين

الأردنيين بحضور جلالة الملك والفريق عبد الحكيم عامر وقد حضرت أنا واللواء علي أبو نوار هذه المراسم.

وفي اليوم التالي اصطحبت رؤساء الوفود الضيوف لحضور جلسة افتتاح مجلس الأمة الجديد. وقد كانت مناسبة نادرة أن يحضر قادة الجيوش العربية تحت مظلة القيادة المشتركة جلسة مجلس الأمة الأردني. تلك المناسبة التي عبر عنها عبد الحكيم عامر عندما كنا نغادر القاعة بعد انتهاء الجلسة إذ قال لي أنه يعتبرها نقطة تحول هامة في تاريخ الأمة وخطوة هائلة في طريق تحقيق الوحدة العربية. ولكن لسوء الحظ اثبتت الأيام والسنين اللاحقة أننا في تلك اللحظة كنا متفائلين أكثر من المعقول. لأن الاستعمار لن يسمح لركب الوحدة العربية أن يسير بطريقه القومي الصحيح بسهولة. وأغلب ظني أن هذه المناسبة كانت الوحيدة من نوعها في تاريخ هذه الأمة ولم تتكرر حتى الآن. ومن يدري فإنها ربما لن تتكرر لأجيال طويلة قادمة.

وفي صباح اليوم التالي عقدنا اجتماعاً رئيسياً في قيادة الجيش للوفود الثلاثة المصري والسوري والأردني. وترأس هذا الاجتماع الفريق عبد الحكيم عامر بصفته القائد العام للقيادة المشتركة. وبهذا الاجتماع الذي دام زهاء أربع ساعات اتفقنا على جميع الأسس الرئيسية لتكوين القيادة المشتركة وكيفية تسيير أعمالها الإدارية والحربية استناداً لاتفاقية الدفاع المشترك.

ويمكن تلخيص أهم النقاط التي أقرت واعتبرت أساساً لعمل هذه القيادة بما يلي:

١ - القائد العام للقوات العربية المشتركة الفريق عبد الحكيم عامر ويعاونه ضباط ركن منتخبون من الجيوش الثلاثة لهذه الغاية.

٢ - مقر القيادة العامة في القاهرة.

٣ - يفتح مكتب خاص تابع للقيادة العامة في كل من قيادة الجيش الأردني وقيادة الجيش السوري ويرأس هذا المكتب ضابط ركن يعينه القائد العام ويوضع تحت تصرفه جهاز لا سلكي يربطه مباشرة مع القيادة العامة ويكون له حق الاتصال المباشر مع القائد العام في القاهرة. ويستعمل الشيفرة الخاصة بالقيادة العامة. ويترتب عليه أن ينسق جميع أعماله مع قيادة الجيش الملحق به.

٤ - انتخب الزعيم الركن صادق الشرع سكرتيراً عاماً للقيادة المشتركة على أن يباشر هذا العمل بالإضافة لعمله الحالي كمدير هيئة الأركان في الجيش الأردني.

٥ - يتم التنسيق المباشر بين قيادة الجيش الأردني وقيادة الجيش السوري في كافة الأمور الادارية والتدريبية والحربية ويجري ابلاغ القيادة العامة بما يتم الاتفاق عليه.

٦ - التنسيق في الخطط الحربية بمختلف مراحلها بين الجبهتين الأردنية والسورية ضمن نطاق الخطط العامة للقيادة المشتركة.

٧ - التنسيق في مراحل التدريب المختلفة وعقد المناورات المشتركة.

٨ - العمل على توحيد أساليب عمل الأركان والمصطلحات العسكرية والتعليمات والأوامر الحربية. وما إلى ذلك من أعمال القيادة.

٩ - العمل على تحقيق تساند الجبهتين في الخطة الدفاعية ومحاولة بناء احتياطي رئيسي مشترك لهما حسب الظروف والامكانات المتاحة.

١٠ - تقوم هيئات الأركان الأردنية والسورية باعداد الدراسات التفصيلية لوضع هذه القرارات موضع التنفيذ واصدار التعليمات اللازمة بهذا الشأن.

وبعد الاتفاق على هذه القرارات عقد اجتماع في اليوم التالي بين هيئتي الأركان الأردنية والسورية لدراسة تفصيلات وضع المقررات موضع التنفيذ. ووضع الأسس التي سنسير عليها في خططنا المقبلة وبدأنا على ضوء ذلك بالتنفيذ العملي لكافة القرارات. وقد تم الاتفاق على أن ترسل القيادة السورية ضابط ركن ليعمل معنا في قيادة الجيش الأردني بشكل دائم كضابط ارتباط لتنسيق أعمال الأركان بين القيادتين. وقد تم تعيين المقدم الركن جودت الاتاسي لهذه المهمة. وبعد هذه الاجتماعات عاد الوفد السوري إلى دمشق لانتظار زيارة الفريق عبد الحكيم عامر لهم بعد انتهاء زيارته لعمان.

وفي يوم ٢٧ تشرين أول عقد اجتماع خاص في الديوان الملكي بمعية جلالة الملك حسين حضرة الفريق عبد الحكيم عامر كما حضرته أنا واللواء علي أبو نوار وقد قام عبد الحكيم عامر بشرح الخطوط العريضة لخطة الدفاع عن الجبهة المصرية في سيناء وبيان القوات المتبقية فيها بعد أن تم سحب أجزاء من هذه القوات إلى غرب قناة السويس لتعزيز الدفاع عنها تجاه احتمال وقوع غزو بريطاني فرنسي.

وقد ذكر أن القوات المتبقية في جبهة سيناء ستكون كافية لصد أي هجوم قد تقوم به اسرائيل وإنه عندما يتضح الموقف ويزول خطر وقوع غزو بريطاني فرنسي سيصبح بالإمكان اعادة القوة الضاربة بسرعة إلى سيناء للتعامل مع القوات الاسرائيلية حسب الموقف الذي سيصبح سائداً في ذلك الوقت.

كما قمنا بنفس الوقت بشرح موقف القوات الأردنية في الجبهة وشرحنا مجمل خطتنا الدفاعية والتعرضية المحتملة والتي سنستخدم فيها القطعات الموضوعة تحت امرتنا من القوات السورية للتعرض من منطقة طولكرم وقلقيلية لشطر اسرائيل من الوسط. وكذلك الشق الثاني من الخطة الذي يهدف بنفس الوقت تطويق مدينة القدس عبر جبالها الغربية من منطقة باب الواد واللطرون والمبنية على أساس أنه في حالة قيام اليهود بالهجوم على الجبهة الأردنية أولاً سوف نتصرف بالقوات السورية والقوات الاحتياطية الأردنية حسب تطورات المعركة الدفاعية لوقف تقدم القوات المعادية على المحاور الرئيسية بينما تتمكن القوات المصرية من التقدم شمالاً عبر النقب.

وفي حالة قيام اسرائيل بالهجوم على جبهة سيناء أولاً عندما يتضح أنهم وضعوا جهدهم الرئيسي هناك نطبق نحن خطتنا التعرضية من وسط اسرائيل وبهذا تصبح القوات الاسرائيلية في موقف خطير للغاية حيث سيكون بإمكاننا تهديد قواعدها الرئيسية وتصبح قواتها واقعة تحت ضغط الجبهتين المصرية والأردنية في آن واحد بالإضافة إلى عمليات التعرض التي تخطط لها القوات السورية من واجهتها نحو الجليل. كما أنه بنفس الوقت يبقى لدينا احتياطي آخر من الجيش العراقي الذي على الرغم من تواجده خارج الحدود الأردنية الشرقية فإنه عندما تتطور المعركة وتشترك الجيوش العربية مع الجيش الاسرائيلي بهذا العمق سوف يمكن استخدام القوة العراقية دون الالتفات لأية محاذير أو تهديدات والتي ستكون قد أصبحت غير ذات موضوع.

غادرنا عبد الحكيم عامر إلى دمشق لكي يطلع على الموقف العام هناك ويزور الجبهة السورية. ولكننا عندما ودعناه في مطار عمان لم نكن نعلم أنه حوالي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم ٢٩ تشرين أول وهو تقريباً نفس الوقت الذي كنا نودعه فيه كانت كتيبة المظليين الاسرائيلية تهبط في منطقة ممرات (متلا) في عمق سيناء وأن الحرب الثلاثية ضد مصر كانت قد بدأت فعلاً.

أما عبد الحكيم عامر فقد عاد إلى القاهرة من دمشق بعد أن بدأت الحرب في سيناء وكان الاسرائيليون كما يبدو يرصدون تحركاته لكي يسقطوا طائرته. ولكن القدر لعب دوراً حاسماً بهذه الاثناء حيث تأخرت طائرته عن الاقلاع بعض الوقت وسبقته الطائرة الثانية التي كانت تحمل الصحفيين وعدداً من الضباط أعضاء الوفد المرافق فاعترضتها الطائرات الاسرائيلية وأسقطتها في عرض البحر قبل وصولها إلى جزيرة قبرص ولم يظهر لهذه الطائرة أي أثر أما طائرة عبد الحكيم عامر فقد غيرت خط سيرها وتمكنت من الوصول إلى القاهرة عن طريق السعودية.

ولقد قمنا من جانبنا بالعمل بسرعة على بلورة كافة التفاصيل لخطط العمليات المتفق عليها استعداداً لوضعها موضع التنفيذ حسب تطور سير الحرب. ولكن بالنظر لضيق الوقت فإن القيادة المشتركة لم تتمكن من الظهور عملياً بشكلها الكامل ومن الطبيعي أنه لم يكن ممكناً لها أن تضع الخطط المشتركة المتكاملة للعمليات المتوقعة على جبهاتها الثلاثة حيث لم يكن قد مضى سوى ثلاثة أيام بعد التوقيع على اتفاقيات القيادة المشتركة حينما بدأ الهجوم الاسرائيلي يوم ٢٩ تشرين أول على سيناء. وبدأ القصف الانجلو فرنسي الجوي على القواعد الجوية والمدن الرئيسية المصرية عند فجر يوم ٣١ تشرين أول. ولذلك فقد داهمتنا الأحداث قبل أن تصبح القيادة المشتركة فعالة وفي وضع يمكنها من ادارة المعارك على الجبهات الثلاثة كقيادة مركزية موحدة. وبالنتيجة فقد كان يتحتم علينا أن نكتفي بالخطوط العامة التي أشرت إليها كأساس لخططنا التفصيلية للعمليات التي سنضعها لكل جبهة حسب تطور الأحداث ونقوم بالتنسيق مع القيادة المشتركة في القاهرة لوضع السياسة العامة للحرب والتوصل للقرارات الرئيسية فقط.

وفي صباح يوم ٣٠ تشرين أول بعدما وصلتنا المعلومات عن انزال قوة المظليين الاسرائيليين في ممرات متلا وعبر القوات الاسرائيلية الحدود إلى داخل سيناء لم يعد هنالك مجال للشك حول وجهة الهجوم. ولذلك كان علينا أن نتخذ الاجراءات الفورية لتنفيذ الخطة الموضوعية للهجوم من جبهتنا ضد اسرائيل. فقمنا أولاً باصدار التعليمات الحربية من قيادة الجيش إلى قيادة الفرقة للتحضير للهجوم الرئيسي من منطقة طولكرم باتجاه الساحل لاختراق اسرائيل من الوسط. ويقوم بهذه العملية اللواء الهاشمي بقيادة العقيد الركن صالح الشرع وبأمرته ستة كتائب من الحرس الوطني (محلية) من قطاع نابلس وتدعمه المجموعة السورية المؤلفة من (لواء مشاة وكتيبة دبابات) بقيادة العقيد الركن سهيل العشي. وكذلك يقوم لواء الملك طلال بقيادة الزعيم الركن راضي الهنداوي وبأمرته أربعة كتائب من الحرس الوطني (محلية) من قطاع القدس وتسند كتيبة دبابات بالهجوم عبر مرتفعات القدس الغربية بقصد تطويق المدينة تمهيداً لتطوير عمليات أوسع نطاقاً من هذا المعبر حسب سير المعركة وتقدم القوات العربية في الجبهة المصرية وتوفر قوات احتياطية كافية وربما بعد دخول الفرقة العراقية إلى ساحة القتال إذا سمحت الظروف بذلك.

وقد كنا نعتمد في جميع الخطط التي كنا نضعها للحصول على الغطاء الجوي اللازم لجبهتنا من السلاح الجوي المصري بالدرجة الأولى. وأما بالنسبة للسلاح الجوي السوري فقد كان حجمه محدوداً وكان المتوقع منه أن يقدم الاسناد التكتيكي المباشر للجبهة السورية والجنح الأيمن لجبهتنا.

وبعد اصدار التعليمات الأولية بدأ قائد الفرقة اللواء علي الحيارى وقادة الألوية المختصة بإجراء عمليات الاستطلاع واصدار التعليمات اللازمة لوحاداتهم بانتظار صدور الأمر النهائي لبدء تنفيذ العمليات الحربية أما بالنسبة لنا في قيادة الجيش فقد نقلنا القيادة الرئيسية من مبنها في عمان إلى منطقة المستنبت الزراعي في الجبيهة وهو المكان الذي تقوم عليه الجامعة الأردنية الآن. كما وضعنا القيادة الخلفية مع أجهزة اللاسلكي الرئيسية وبعض المستودعات الضرورية في مجموعة كهوف موجودة في وادي صقرة ((وهي تقع خلف فندق (الهوليدي إن) والذي سمي الآن فندق فيلادلفيا)). ثم بعد ذلك وضعنا القيادة الأمامية (التكتيكية). التي تشمل رئيس الأركان ومدير هيئة الأركان ومدير العمليات الحربية وبعض قادة الأسلحة الاسنادية (المدفعية، الهندسة، اللاسلكي) مع أجهزة الاتصالات اللاسلكية الأمامية في القصر القديم في الحمر الواقع على الطريق بين صويلح والفحيص حيث كان خالياً وسمح لنا بأمر من جلالة الملك باستعماله وما كدنا نتم اجراءاتنا هذه حتى بدأ القصف الجوي البريطاني الفرنسي المشترك عند فجر يوم ٣١ تشرين أول عام ١٩٥٦ على المطارات الحربية المصرية وباقي القواعد في منطقة القناة وعلى المدن الرئيسية المصرية وخصوصاً القاهرة نفسها.

وبهذه الغارات تم تدمير معظم القاذفات والمقاتلات المصرية ولم يعد بإمكان سلاح الجو المصري تقديم أي عون للجبهة الأردنية ولا للقوات المصرية المقاتلة في سيناء والتي أصبحت الآن في موقف حرج للغاية ولا سيما بعد أن تم سحب اجزاء كبيرة منها إلى غرب القناة للدفاع عنها ضد الانزال البحري البريطاني الفرنسي المتوقع قريباً. حيث بدأت الاساطيل التي تحمل قوات الغزو حركتها من قبرص ومالطة باتجاه بور سعيد يوم ١ تشرين ثاني. وعندما اتضحت هذه الصورة أصبح الموقف في سيناء صعباً للغاية حيث أن القوات المدافعة عنها سوف تنعزل تماماً عن قواعدها في القناة قريباً بعد نزول القوات الغازية هناك ولذلك فإنه لم يبق أمام هذه القوات أي خيار سوى أن تقاتل قتالاً تراجعياً بقدر الامكان ثم تنسحب إلى غرب القناة تديجياً (إذا أمكنها ذلك حسب سير المعركة). قبل أن تقع في الأسر أو تدمر.

ومع استمرار القصف الجوي وتدهور الموقف في جبهة سيناء وتقدم الاساطيل البريطانية والفرنسية حاملة قوات الغزو باتجاه بور سعيد اتضح للرئيس جمال عبد الناصر أن القوات العربية المتيسرة لا يمكنها كسب المعركة العسكرية أمام الجيوش البريطانية والفرنسية والإسرائيلية مجتمعة لا سيما وهي تملك اسلحة جوية ضخمة مزودة بأحدث الطائرات التي عرفها العالم آنذاك من القاذفات والمقاتلات النفاثة. ولذلك فإن الخيار الوحيد الباقي أمامه

هو محاولة كسب المعركة سياسياً على صعيد هيئة الأمم المتحدة وبمساعدة الدول الصديقة وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي، ولذلك فقد طلب من جلالة الملك حسين عدم القيام بعمليات هجومية في جبهتنا لأن مثل هذا الهجوم سيفشل في النهاية أمام هذه الجيوش الجرارة وقد ينتج عنه خسارة الضفة الغربية بكاملها في هذه الحالة.

وبهذه الاثناء عاد رئيس الأركان اللواء على أبو نوار بعد أن حضر جانباً من جلسة مجلس الوزراء وأبلغني بأنه تقرر إيقاف جميع الاجراءات التي وضعناها لعمليات الهجوم في الضفة الغربية على أن تبقى القوات في مواقعها الحالية في حالة الاستعداد القصوى لمواجهة أي هجوم مفاجئ قد يشنه العدو ضدنا. وبمعنى آخر أن نبقي في موقف الدفاع لنحتفظ بمواقعنا الحالية في الجبهة. كما أبلغني أن قرار الحكومة هذا قد تم اتخاذه على أثر مكالة هاتفية تلقاها جلالة الملك من الرئيس جمال عبد الناصر بهذا المعنى. وعندئذ قمت بإصدار التعليمات إلى القيادات المعنية بإيقاف جميع اجراءاتها بما يتعلق بالخطط الهجومية والثبات بمواقعها الحالية في وضعية الدفاع.

وهكذا استقرت الأحوال في جبهتنا بالنسبة للقوات الأردنية والقوات السورية المشتركة معها حتى نهاية هذه الحرب.

٥ - العمليات الحربية :

كان المحرك الرئيسي وراء هذه الحرب والمنظم لها بالاتفاق مع رئيس وزراء فرنسا ورئيس وزراء اسرائيل هو المستر انتوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا الذي كان هدفه الأساسي من وراء هذه المؤامرة هو القضاء على جمال عبد الناصر ونظامه وكل ما يمثله العالم العربي لأنه كان يعتبره العدو الأول الذي يقف في وجه التغلغل الاستعماري في البلا العربية عامة. وقد اتخذ ايدن قراره الحاسم بشن الحرب ضد مصر في اليوم التالي لإعلان جمال عبد الناصر قراره بتأميم شركة قناة السويس. يوم الخميس ٢٦ تموز ١٩٥٦ م. وذلك على إثر محادثته الهاتفية التي أجراها يوم الجمعة ٢٧ تموز ١٩٥٦ م. مع المستر (بينو) وزير خارجية فرنسا واتفاقهما على ضرورة شن حرب ضد مصر. ولم يكن قصد ايدن سوى تدمير نظام عبد الناصر عن طريق الغزو العسكري وليس حل مشكلة القناة كما كان يدعم لأن هذه المشكلة كان من الممكن حلها عن طريق المفاوضات. بل انها وصلت الى مرحلة الد فعلاً عندما وافقت مصر على جميع النقاط والمسائل التي طلبتها بريطانيا قبل بدء الحرب كما اسلفنا. ولكن ايدن لم يلتفت لهذه النتيجة لأنه في حقيقة الامر لم يكن يريد حلاً سله

لمشكلة القناة أصلاً. بل كان يريد اتخاذ هذه المشكلة ذريعة للهجوم العسكري على مصر لأن هدفه كان ضرب جمال عبد الناصر وليس ضمان حرية الملاحة في القناة كما كان يقول اثناء الإجراءات الدبلوماسية التي رتبها لتكون ستاراً يخفي وراءه التحركات العسكرية التي اتخذها وحشد لها قوات الغزو الضخمة في قبرص ومالطة .

وبما أن هذه الحرب كانت نتيجة مؤامرة بين الأطراف الثلاثة بريطانيا وفرنسا واسرائيل. وبما أن دور اسرائيل كان القيام بغزو سيناء لكي تخلق مبرراً لحليفها في غزو مصر أمام الرأي العام العالمي فإنني رأيت من المناسب أن أقسم الشرح عن سير المعارك بهذه الحرب الى قسمين :

أ - الحملة الاسرائيلية على شبه جزيرة سيناء .

ب - الحملة البريطانية الفرنسية على منطقة قناة السويس .

الحملة الاسرائيلية على سيناء

أولاً : الوصف الطبوغرافي :

منطقة سيناء عبارة عن مثلث صحراوي يقع بين مصر وفلسطين (التي أصبح جزء منها بعد حرب عام ١٩٤٨ يسمى اسرائيل). ويمتد الضلع الغربي لهذا المثلث على طول قناة السويس ويبلغ طوله من مدينة بورسعيد حتى خليج السويس ٣١ ميل وطول ضلعه الممتد على ساحل البحر الأحمر من السويس حتى العقبة ١٥٥ ميل. وأما ضلعه الممتد على ساحل البحر الأبيض المتوسط من بور سعيد حتى رفح فيبلغ طوله ١٣٤ ميل. وتشكل منطقة هذا المثلث حاجزاً طبيعياً يمكن اعتباره في حالات الحرب منطقة حشد مناسبة لقوات كلا الطرفين المتحاربين تهيئة للهجوم على الطرف الآخر وبنفس الوقت فإنها تعتبر معبر اتصال بين المنطقتين وحاجزاً طبيعياً لا بأس به .

أما طبيعة الأرض في سيناء ففي نصفها الشمالي تتكون من تلال وهضبات رملية تتخللها بعض المساحات الصغيرة المتفرقة من أشجار النخيل. وتمتد على طول امتداد ساحل البحر الاراضي المنبسطة الملحقة .

وأما مناطق وسط سيناء فتتكون من التلال التي تصل ارتفاعاتها في بعض الحالات الى نحو ٣٥٠٠ قدم. وأما القسم الجنوبي من سيناء فيتكون من منحدرات سحيقة وسلاسل جبلية تتخللها أودية عميقة جافة وهي جميعها خالية من المياه وأي نوع من الأشجار. وتكثر في سيناء التليلات الرملية المتحركة التي تتكون من تراكم الرمال الناعمة التي تسفيها الرياح وتنقلها من مكان الى آخر بمعنى أنه يمكن أن يكون تل رملي من هذه التلال موجود اليوم في مكان ما ثم يختفي بعد أيام ويصبح مكانه قاعاً مسطحاً ويتكون من رماله تل جديد في مكان آخر. وهكذا تتكرر العملية باستمرار كما لا توجد في سيناء طرق فرعية تسمح بمرور الآليات الى اعماقها الا القليل جداً وبصعوبة. وقد حددت هذه الطبيعة الصعبة لمنطقة سيناء شكل الحرب لجميع الجيوش الغازية عبر العصور حيث كانت تجبرها على التركيز على الطرق الصالحة للمرور وعلى المرتفعات الاستراتيجية المهمة التي تسيطر على هذه الطرق. وبما ان سيناء خالية من أية أنهار أو مصادر للمياه ولا توجد فيها أية أشجار او غابات فإن القتال فيها يستلزم ان تتخذ القوات المقاتلة جميع متطلبات حرب الصحراء من حيث التعبئة والسوقية والتزويد والإدارة والحركة والتستر والتمويه وما الى ذلك من أساليب القتال المختلفة. مع الأخذ بعين الاعتبار ما يصاحب هذه العمليات من صعوبات ومشقات. أما

الطرق الرئيسية التي تعبر سيناء فإنها جميعها تتجه من منطقة القناة الى الشرق. وأهمها الطرق الآتية :

أ - سكة الحديد التي تعبر من القنطرة الى العريش وغزة شرقاً ثم الى حيفا في شمال فلسطين.

ب - الطرق الاسفلتية الرئيسية التي تعبر من الاسماعيلية شرقاً إلى ابو عقيله بالقرب من الحدود مع اسرائيل .

ج - الطريق الاسفلتية التي تعبر من السويس عبر ممر متلا الى (نخل). كما تتفرع طرق موصلة من الشمال الى الجنوب بين القسمين والكونتيللا ورأس النقب بمحاذاة الحدود .

د - الطريق التي تصل من العريش الى بير الحسنة ونخل عبر وسط سيناء .

علماً بأن الحكومة المصرية هي التي بنت جميع هذه الطرق بعد عام ١٩٥٣م. ما عدا سكة الحديد والطريق الرئيسية المؤدية من الاسماعيلية الى فلسطين .

وبالإضافة الى هذه الطرق فقد بنت الحكومة المصرية شبكة مهمة من المطارات الحربية في مختلف انحاء سيناء لتستوعب السلاح الجوي المخصص لمنطقة سيناء بقصد تقصير رحلة الطيران للطائرات القاذفة والمقاتلة بحيث تقوم من قواعدها في سيناء لتضرب أهدافها في اسرائيل وتعود بأقصر مدة ممكنة من الوقت .

ثانياً : القوات المتقابلة :

١ - القوات المصرية الرئيسية المتواجدة في سيناء كانت تتألف من التشكيلات الآتية :

أ - الفرقة الثامنة : بقيادة اللواء يوسف العجرودي - وكانت هذه الفرقة مخصصة للدفاع عن قطاع غزة وموزعة على المواقع الآتية :

قيادة الفرقة - في مدينة غزة

اللواء الفلسطيني (٨٦) - في منطقة خان يونس

اللواء المصري رقم ٢٦ حرس وطني - في مدينة غزة

ب - فرقة المشاة الثالثة - بقيادة اللواء أنور القاضي

وتتمركز قطعاتها في الدفاعات الرئيسية في منطقة العريش - ابو عقيله

ج - اللواء المدرع الأول : بقيادة العقيد طلعت حسن علي

ويتمركز في منطقة بير قفقفا حتى غرب ابو عقيله لتغطية المحور الأوسط في سيناء .

د - لواء مشاه : يتمركز على المرتفعات الواقعة غرب ممر (متلا) حول منطقة ميناء السويس

هـ - قوة الحدود الآلية : وهذه القوة محمولة على سيارات الجيب المصفحة وناقلات الجنود ومهمتها ارسال الدوريات وتغطية باقي المواقع الصغيرة المتفرقة

و - وحدات أخرى صغيرة مستقلة موزعة في الدفاع عن بعض المناطق مثل الثمد ونخل.
ز - كتيبتي مشاه تسندهما مدفعية ميدان متمركزتين في الدفاع عن شرم الشيخ ورأس نصراني الواقعة في اقصى الجنوب عند تلاقي خليج السويس مع خليج العقبة الى الجنوب من جزيرة ثيران .

٢ - القوات الاسرائيلية التي احتشدت بعد إتمام عملية التعبئة العامة كانت تتكون من عشرة ألوية مع اسلحتها الاسنادية المختلفة. وبالإضافة الى المعلومات الاستخبارية التي توفرت لدينا عن هذه القوات فقد تأكدنا من تفصيلات توزيعاتها وعملياتها من بعض الوثائق والخرائط التي حصلنا عليها مع الجنرال الاسرائيلي (سمحوني) قائد المنطقة الجنوبية الذي قتل عندما سقطت طائرته اثناء سير العمليات الحربية وعثرنا عليها في المنطقة الجبلية بين الطفيلة - الشوبك . وكانت القوات الاسرائيلية الرئيسية كما يلي :

أ - ستة ألوية مشاه هي : الأول والرابع والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر وملحقاتها من الأسلحة الاسنادية والخدمات المختلفة .

ب - اللوائين الآليين السابع والعشرين والسابع والثلاثين .

ج - اللواء المدرع الرابع .

د - اللواء المظلي رقم ٢٠٢ .

ثالثاً : تفصيلات المعارك في سيناء :

للتأكيد الاعتقاد بأن الاستعدادات التي كانت تقوم بها القوات الاسرائيلية منذ اعلان التعبئة العامة انما كانت للقيام بالهجوم على الجبهة الاردنية بهدف احتلال الضفة الغربية. قامت القيادة الاسرائيلية بحشد قوة رئيسية في منطقة النقب الى الغرب من مدينة العقبة. وقد

القوة تتألف من لواء المظليين ناقص كتيبة (هي التي هبطت في ممر متلا) مع
ت من نوع (AMX) فرنسية الصنع بالإضافة الى كتيبتين من المشاة المحمولة على
سفحة وكتيبة مدفعية ميدان ٢٥ رطل وكتيبة مورتر ثقيل .

رغم من أن الفكرة السائدة كانت أن هذه الحرب قد بدأت في الواقع بهبوط المظليين
، في ممرات (متلا) بعد ظهر يوم ٢٩ تشرين أول إلا أن أول قوة دخلت الحدود
انت هذه القوة التي كانت محتشدة أمام الجبهة الأردنية مقابل مدينة العقبة من
.. حيث تحركت في الصباح الباكر يوم ٢٩ تشرين أول. وقد كانت حركة هذه القوة
، واضحة ومرئية من مواقعنا في العقبة ومن مواقع الكتيبة المدرعة البريطانية
في طرفها الشمالي والتي كان من المفروض انها موجوده هناك للدفاع عنها ضد
سراييلي المحتمل وذلك بموجب المعاهدة الاردنية البريطانية ولكن من عجائب
ت التي لا اظن ان تاريخ العلاقات بين الدول قد سجل مثلها هي ان القوات
بينما كانت تحتشد في قبرص لتبدأ هجومها الجوي على القواعد والمدن المصرية بعد
ساعة فقط من ابتداء حركة القوات الاسرائيلية عبر الحدود الى سيناء كانت القوة
الموجودة في العقبة وفي القواعد الجوية في عمان والفرق حليفة لنا ولو شكلياً
عاهدة التي ما زالت قائمة ولكنها واقعياً كانت عدوة لنا بسبب هذا الغزو الوشيك.
حليفنا وعدونا في آن واحد لاسيما ونحن في هذا الوقت كنا مشتركين مع مصر في
متركة وقد مضى على رحيل الفريق كلوب والضباط الانجليز عن الجيش أكثر من
ر. وأنا لم أسمع عن شبيه لمثل هذه الحالة التي كنا فيها في ذلك الوقت بأي مكان
أي زمان .

حال فقد بدأت حركة هذه القوة الاسرائيلية عن طريق الكونتيتلا .. الثمد - نخل
ت متلا حيث ستتصل عملياً بقوة المظليين التي ستهبط هناك بعد الظهر. وبنفس
من طريقاً برية لتزويد هذه القوة من داخل اسرائيل بعد هبوطها .

شك فيه أن القوات الاسرائيلية استطاعت أن تحقق المفاجأة التامة على القوات
لال الاربعة وعشرين ساعة الأولى من القتال حيث لم يظهر أي رد فعل سريع من
رية على الرغم من أن هذه القوة الاسرائيلية اشتبكت مع ثلاثة مواقع دفاعية
كونتيتلا والثمد ونخل قبل أن تصل الى ممرات متلا. ولا يعقل ان تكون القيادة
سيناء لم تعرف عن هذه الحركات والاشتباكات في حينها ... ولكن التفسير
لك الوقت كان أنهم ظنوا انها كانت عبارة عن حركات ثانويه قصد منها لفت

النظر عن العملية الرئيسية التي ما زالوا يظنون انها ستبدأ قريباً ضد الأردن حيث كانوا ما زالوا يعتقدون ان بريطانيا لن تجازف بشن غزو عسكري ضد مصر لأنها بهذه الحالة ستخسر جميع مصالحها الحيوية في البلاد العربية. وإن المقصود من حشودها في جزيرة قبرص هو الضغط على مصر للتوصل الى تسوية لمشكلة قناة السويس تكون لصالحهم .

وأما بالنسبة لنا فإنه لم يكن بإمكاننا حتى في ذلك الوقت المتأخر إهمال احتمال وقوع الهجوم الرئيسي ضدنا لأن جميع استعدادات اسرائيل كانت تشير نحونا ولاسيما بعد الهجوم على قلقيلية بتاريخ ١٠ تشرين أول. ومما زاد في تأكيد هذه النظرية أن بريطانيا نفسها اندرت اسرائيل بأنها ستضطر لتطبيق شروط المعاهدة في حال قيام اسرائيل بالهجوم على الأردن. وهذا بالإضافة إلى النشاطات الاسرائيلية المستمرة أمام جبهتنا وتصريحات زعماء اسرائيل في الكثير من المناسبات التي كانوا يشكون فيها من اعمال الفدائيين القادمين من الأردن ولم يكونوا يذكرّون شيئاً عن غزاه أو سيناء. وتجدر الإشارة هنا الى أن الفريق عبد الحكيم عامر كان بهذه الفترة قبيل بدء الهجوم يقوم بزيارة رسمية الى الأردن وسوريا. وكان هو ايضاً مقتنعاً بأن الهجوم سيبدأ على الجبهة الأردنية. وهذا ما دعاه الى الطلب من القيادة السورية ان تدعمنا بقوة إضافية على وجه السرعة وتم على إثر ذلك ارسال المجموعة السورية التي اشرت اليها سابقاً. وقد وضعنا جميع قواتنا في حالة الانذار القصوى واتخذنا كافة الاستعدادات المتاحة لنا لمواجهة الهجوم المتوقع. وهنا حدثت المفاجأة حيث بدأت اسرائيل زحفها على سيناء وليس على الجبهة الاردنية. ففي حوالي الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٢٩ تشرين أول هبطت كتيبة المظليين الاسرائيلية في ممرات متلا وتمركزت في التلال الواقعة في طرفها الشرقي. وقد اتضح ان المصريين لم يضعوا في هذا الموقع الحصين أية قوات رئيسية للدفاع عنه وان اقرب قوة له كانت لواء المشاة الثالث المتمركز على التلال الواقعة بين متلا والسويس. وعلى الرغم من ان هذه العملية قد تمت في ساعات النهار فإن الطيران المصري لم يعترضها وخصوصاً اثناء رحلة هذا العدد الكبير من طائرات نقل المظليين من قواعدهم في اسرائيل عبر سيناء وهي رحلة طويلة تكون فيها هذه الطائرات عادة معرضة لخطر كبير ولو اعترضتها طائرات مقاتلة لاسقطت عدداً لا يستهان به منها على الرغم من انها كانت محروسة من قبل بعض الطائرات الفرنسية والتي كان سرب آخر منها يقوم باعمال الدورية فوق سيناء لمواجهة اية طائرات مصرية قد تعترضها. ولكن هذا لا يعني انها يجب أن تترك بدون أي تدخل من جانبنا وخصوصاً وان موقع متلا كان خال من القوات البرية المصرية للدفاع عنه. ولقد كان عدم تدخل الطيران المصري بهذا الشكل أمراً غريباً لا سيما وان الغارات الجوية البريطانية والفرنسية على القواعد الجوية المصرية لم تكن قد

بدأت بعد بهذا التاريخ. ولكن هذا هو ما حصل فعلاً ولم يستطع احد تفسيره ما عدا القول ان الاهتمام المتزايد كان مركزاً على أماكن اخرى غيرها. وقد كانت هذه نقطة ضعف خطيرة دفعت القوات المصرية ثمنها غالياً. وبالإضافة الى أسراب الطائرات المقاتلة الفرنسية التي كانت تحرس سيناء فقد قامت طائرات النقل الفرنسية بدعم قوة المظليين الاسرائيلية بعد هبوطها باسقاط عدد من مدافع مقاومة الدروع ومدافع الموتر وسيارات الجيب وكميات من الذخائر بواسطة المظلات لأن اسرائيل لم يكن لديها طائرات تصلح للقيام بهذه المهمة التي كانت في غاية الاهمية والتي مكنت قوة المظليين من الصمود أمام الهجوم المعاكس الذي كان من الممكن أن يقضي عليها لولا هذا الدعم. وعلى الرغم من ان اسرائيل ظلت تنفي اشتراك أية طائرات فرنسية معها في القتال الا أن هذا الاشتراك الفعلي من قبل سلاح الجو الفرنسي قد تأكد لنا في حينه من مصادرنا الاستخبارية المختلفة والتي اشرت الى بعضها سابقاً. وقد تأكد فيما بعد بصورة لا تقبل الشك من الكتب والنشرات الاجنبية التي صدرت في جميع انحاء العالم بعد انتهاء تلك الحرب مباشرة .

ولم يمض على نزول كتيبة المظليين الاسرائيلية في منطقة ممر متلا أكثر من ٤٨ ساعة حتى بدأت القوات الجوية البريطانية والفرنسية بقصف جميع المطارات والمراكز الحيوية والمدن المصرية. وكان هدفها الأول تدمير السلاح الجوي المصري بكامله. (ويجب أن نتذكر ان هذا كان أول شرط وضعه بن غوريون على حلفائه لكي يوافق على الاشتراك معهم في حرب السويس وليقدم على غزو سيناء كمقدمة لهذه الحرب) .

وبنفس الوقت اخذت اساطيلها البحرية التي تحمل قوات الغزو الرئيسية ترافقها المدمرات وحاملات الطائرات تبحر مسرعة نحو ميناء بور سعيد لاحتلال منطقة القناة والقواعد العسكرية حولها .

وأصبح واضحاً ان تقدم القوات الاسرائيلية عبر سيناء كان جزءاً من الخطة العامة للهجوم على القناة وقد استخدم كذريعة للانجليز والفرنسيين لكي يوجهوا انذارهم المشهور الى مصر لكي تنسحب لمسافة عشرة كيلومترات غرب القناة لتسهيل على القوات البريطانية والفرنسية احتلالها بدون قتال ومن ثم عودة الاستعمار البريطاني الذي خرج لتوه من الباب لكي يعود الآن من الشباك بحجة حماية قناة السويس وضمان حرية الملاحة الدولية فيها. ورغم افتضاح ضلوع بريطانيا بهذه المؤامرة مع اسرائيل وفرنسا فقد جاءت تدعي انها انما تسعى للفصل بين القوات المتحاربة المصرية والاسرائيلية. وهو ادعاء كشفت الاحداث المقبلة زيفه كما سأشرح عنه في مكان آخر .

وخير دليل على سوء نية بريطانيا وفرنسا وتصميمهما على غزو مصر مهما كانت الأسباب هو أن القصف الجوي للقواعد المصرية بدأ قبل انتهاء موعد الانذار بمدة حوالي ساعتين. وبما ان الطائرات المغيرة كانت تقوم من قواعدها في جزيرة قبرص فيمكن القول ان هذه الطائرات بدأت تتجهز بالوقود والقنابل والاستعداد للاقلاع قبل اذاعة الانذار وإطلاق مصر عليه. فما قيمة هذا الانذار إذن طالما أن الغارة قادمة سواء قبلته مصر لو رفضته. ومهما يكن من أمر هؤلاء فإن موقف مصر اصبح في غاية الخطورة فبينما كانت قواتها في سيناء تتعرض لهجوم القوات الاسرائيلية في اربعة مواقع رئيسية خلال الأيام الأولى من القتال فإنها لا تستطيع تعزيز هذه القوات بأي قطعات ضاربة لأنها اصبحت مرغمة على الاحتفاظ بما تبقى لديها من وحدات (وخصوصاً الوحدات المدرعة) في منطقة غرب القناة للدفاع عنها ومواجهة الغزو الانجلو فرنسي الذي أصبح وشيكاً. وبنفس الوقت فإنها لا تستطيع تقديم أي نوع من الاسناد الجوي لقواتها المقاتلة في سيناء لأن سلاحها الجوي كان يتعرض للتدمير بكثافة من قبل القوات الجوية البريطانية والفرنسية التي كانت متفوقة عليه كماً ونوعاً بأضعاف مضاعفة. كما ان فرنسا قامت بتأمين الحماية الجوية لجميع مدن اسرائيل ومراكزها الحيوية وتقديم الدعم الاضافي اللازم للسيطرة الجوية فوق سيناء (منذ فترة قبل بدء المعارك) من قبل السلاح الجوي الفرنسي بالإضافة الى ما قدمته لاسرائيل من الاعداد الضخمة من الطائرات الحديثة والدبابات ودعمها بالطيارين والخبراء والفنيين ولا لزوم لأن نلثفت هنا الى ما كانت تزعمه اسرائيل من ان فرنسا لم تتدخل بسلاحها الجوي. فقد اصبحت هذه الحكاية مكشوفة ومموجه ولا فائدة من تكرارها. وأمام هذا الواقع المرير فقد اضطرت القيادة المصرية ان تترك قواتها في سيناء تخوض معاركها الدفاعية بما لديها من امكانيات لأطول مدة ممكنة ثم تنسحب تدريجياً الى غرب القناة حسب تطور تلك المعارك.

وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد امر بسحب قسم كبير من القوات من سيناء الى غرب القناة حالما بدأ القصف الجوي على القواعد والمطارات المصرية. أما المعارك في سيناء فقد دارت في خمسة مواقع رئيسية هي كما يلي :

أ - معركة ممرات متلا :

لقد هبطت كتيبة المظليين الاسرائيلية في منطقة (ممر متلا) بالساعة الخامسة بعد الظهر وتمركزت في التلال الواقعة الى الشرق منه وتم تزويدها بالاسلحة المساندة والذخائر. كما تحركت مجموعة القتال التي تتألف من بقية لواء المظليين وتدعمها كتيبة دبابات (وهي التي

كانت تحتشد في منطقة النقب غرب العقبة منذ الصباح الباكر يوم ٢٩ تشرين أول) لفتح "طريق المؤدية من اسرائيل الى ممر متلا عبر سيناء .

كان أول موقع مصري في طريق هذه المجموعة في (الكونتيللا) الواقعة بالقرب من الحدود وكانت تتمركز فيه قوة صغيرة عبارة عن فئة مشاه حوالي ثلاثين جندياً. وبعد معركة قصيرة مع طليعة المجموعة الاسرائيلية اضطرت هذه الفئة للانسحاب الى مواقع قواتها الرئيسية .

واستمرت المجموعة الاسرائيلية بتقدمها نحو موقع الثمد وكان هذا موقعاً محصناً وتحيط به الاسلاك الشائكة والالغام. ولكن القوة التي كانت متمركزة فيه كانت تتألف من سريتي مشاه فقط. ومع ذلك فإنها تمكنت من ايقاف تقدم القوة الاسرائيلية لفترة وجيزة. حيث قامت بعدها بشن هجوم تسنده الدبابات والمدفعية عند فجر يوم ٣٠ تشرين أول وتمكنت من احتلال الموقع المصري. ثم استمر زحف هذه المجموعة الاسرائيلية نحو موقع (نخل) الذي وصلته حوالي الساعة الخامسة بعد الظهر. وكانت القوة المصرية المدافعة عن هذا الموقع مؤلفة من كتيبة حدود واحدة. وقد شن العدو عليها هجوماً مركزاً بعد قصف مكثف من المدفعية وتمكن من احتلال الموقع بعد ان تكبد خسائر بالأرواح لا يستهان بها. ثم تابعت المجموعة الاسرائيلية زحفها نحو ممرات متلا التي وصلتها ليلة ٣٠ / ٣١ تشرين أول واتصلت بكتيبة المظليين التي هبطت فيها في اليوم السابق .

أما رد الفعل المصري فقد جاء في صباح يوم ٣٠ تشرين أول عندما تحرك لواء المشاه الثاني من منطقة غرب القناة لمهاجمة المظليين وطردهم من الممرات. وقد تحركت طليعة هذا اللواء المؤلفة من كتيبة المشاه الخامسة تعززها مجموعات من مدافع ضد الدروع ومدافع المورتر الثقيلة والرشاشات المتوسطة. وعلى الرغم من كثافة الغارات الجوية التي تعرضت لها اثناء تقدمها وتدمير العديد من ألياتها إلا أنها تمكنت من الوصول الى ممرات متلا والتمركز في الكهوف الكثيرة التي يتكون منها هذا الممر الضيق والذي يبلغ طوله حوالي عشرين كيلو متراً. وقد نشط الطيران المصري بهذه الفترة فوق المنطقة والحق اضراراً كبيرة بالقوات الاسرائيلية التي تمركزت الآن جميعها في المرتفعات الواقعة شرقي الممرات. ودمر العديد من ألياتها وبعض أكداس الذخيرة والوقود .

وعلى الرغم من أن القوات الاسرائيلية من مواقعها الحالية أصبحت تغلق هذا المعبر الرئيسي المؤدي من منطقة القناة وتمنع عملياً مرور أي نوع من التعزيزات والامدادات الى المواقع الامامية الرئيسية للقوات المصرية في الجبهة الا أنها عند ظهيرة يوم ٣١ تشرين أول دفعت بقوة مؤلفة من سريتين محمولتين على ناقلات جنود مدرعه وتسندهما بطارية مدفعية

ميدان ٢٥ رطل وبطارية مورتر ثقيل عيار ١٢٢ ملم وفئة دبابات لتعبر ممر متلا الضيق وتحتل طرفه الغربي الذي كانت القوة المصرية ما تزال تحتله. وقد تعرضت هذه القوة الاسرائيلية المتقدمة للنيران الكثيفة من الكتيبة المصرية وتكبدت خسائر بالغة بالارواح والآليات. وبنفس الوقت اغارت عليها الطائرات المصرية ودكتها بوابل من قنابلها وكادت ان تبيدها .

واستمرت المعركة عدة ساعات تمكن الاسرائيليون من دفع قوة جديدة لمساندة القوة الأولى والتحمت مع القوة المصرية في مواقعها بداخل الكهوف ودار قتال عنيف استعملت فيه القنابل اليدوية والسلاح الأبيض واستمر حتى منتصف الليل حيث اضطرت الكتيبة المصرية للانسحاب الى غرب القناة .

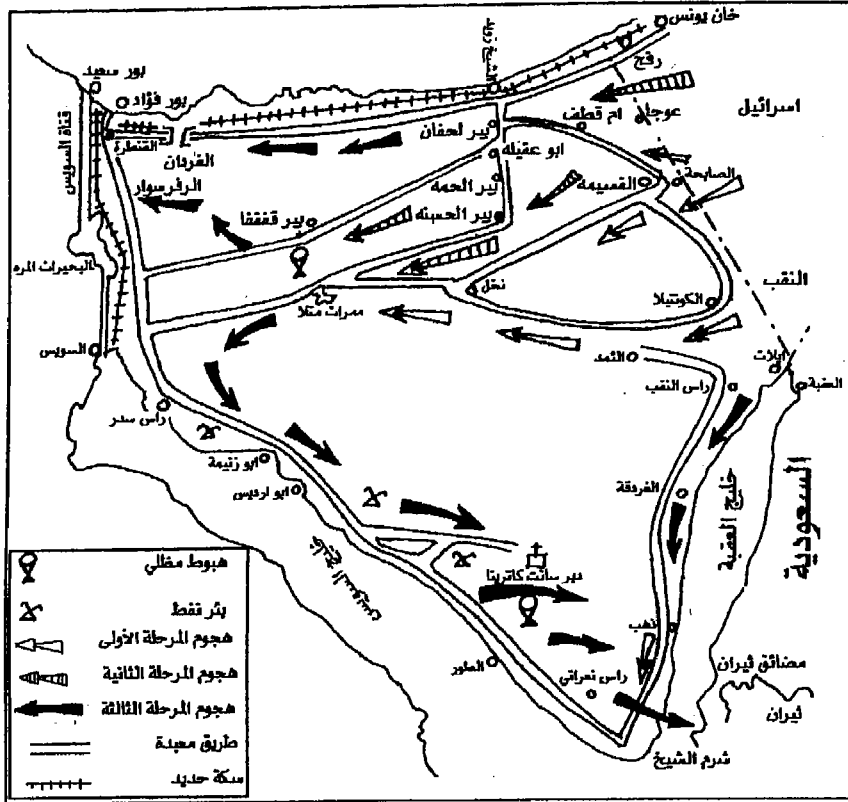
ب - معركة ابو عقيله :

كانت الفرقة المصرية الثالثة تتمركز في منطقة العريش وقد اتخذت لها مواقع دفاعية امامية في منطقة ابو عقيله وأم قطف والقسيمة. وهذه عبارة عن تلال مسيطره على الطريق الرئيسي المؤدية من الحدود الاسرائيلية عبر وسط سيناء الى مدينة الاسماعيليه. وقد تم تحويل هذه التلال الى قلاع دفاعية حصينة استخدمت فيها جميع وسائل بناء الاستحكامات من خنادق وأسلاك شائكة وحقول الغام وما اليها. وقد زرت هذه المنطقة قبل بضعة اشهر عندما قمنا بأول زيارة رسمية الى مصر لإجراء مباحثات الدفاع المشترك واقيمت لنا مناورة في هذا الموقع الدفاعي وامضينا ليلة في موقع القُسيمة. وقد ظهرت لنا هذه المواقع بهذا النوع من التحصينات وذلك الحجم من الاسلحة الثقيلة الحديثة (وخصوصاً الدبابات والمدفعية) والقوات المتواجده فيها انها تستطيع الصمود أمام أي هجوم معادي من أي حجم ولكن بعد ذلك تم تخفيض حجم القوات المدافعة عنها بسبب الغزو البريطاني الفرنسي. وقد اسندت مهمة الدفاع عن هذه المواقع الى كتيبتين من حرس الحدود زائد سرية مشاه وسرية محموله على سيارات الجيب وهذه القوة ربطت بأمره اللواء السادس المتمركز في رفح .

كان هذا الموقع الدفاعي الهام يتكون من موقعين رئيسيين تمر عبرهما الطريق في أم قطف وأبو عقيله وموقع متقدم في القسيمة. كما توجد ثلاثة مواقع امامية تقع تقريباً على خط الحدود. أحدهما منعزل الى الجنوب ويسمى الصابحه واثنين الى الشمال هما عوجا المصري وأم الصيص. ويقعان ايضاً على الطريق الرئيسية (انظر الخارطة رقم (٨)).

وبما ان هذه المنطقة الدفاعية تعتبر في غاية الاهمية حيث لو تمكن العدو من احتلالها

سوف تصبح الطريق امامه مفتوحة حتى مدينة الاسماعيليه ومنطقة القناة. ولهذا فقد حشد العدو قوة ضخمة لاحتلالها باسرع وقت ممكن. وكانت قوة العدو المهاجمة تتألف من فرقة كاملة قوامها لوائي مشاه هما اللواء الرابع والعاشر واللواء المدرع السابع وتسندها كتيبة مدفعية ميدان وكتيبة هندسة



خارطة رقم (٨)
الهجوم الاسرائيلي على سيناء أثناء العدوان الثلاثي

وقد بدأ الهجوم الاسرائيلي مساء يوم ٢٩ تشرين أول عندما تقدمت طليعة لواء المشاة الرابع عبر موقع الصابحه الذي كان خال من القوات المصرية حيث اخلي قبل الحرب لأنه يقع على خط الحدود .

ثم تقدمت قوة اللواء الاسرائيلي الى موقع القسيمة حيث شنت هجوماً مر مشاه تسندهما المدفعية عند فجر يوم ٣٠ تشرين أول. وبعد معركة عن ساعات الظهيرة واشتركت فيها مجموعة من اللواء المدرع تمكن العدو من اح توقف لاعادة التنظيم والقيام بعمليات الاستطلاع .

بدأ العدو بارسال مجموعات قتال من القوات المدرعة والمشاه المحمولة ا ابو عقيله واكتشاف نقاط الضعف فيها لتحديد المكان المناسب للهجوم. فتق الاول باتجاه الدفاعات الجنوبية للموقع حيث جوبهت بذيران قوية من ا للدروع التي دمرت عدداً من آلياتها المتقدمة فعادت على اعقابها. ثم ارسل ا قتال ثانية باتجاه الغرب لمحاولة إيجاد منفذ للالتفاف حول موقع ابو عقيله ه نجحت هذه القوة بالمرور عبر ممر ضيق اسمه (ممر دايكه) وكانت القوا نسفت الجسر الوحيد الذي يمكن المرور عنه فوق الوادي. وقد تمكن مهندس الاسرائيلي من فتح هذا المعبر للمرور حيث استطاعت مجموعة القتال ان ا الطريق مع دباباتها وآلياتها والوصول من خلف موقع ابو عقيله الى الطريق الشكل تمكنت من قطع طريق التزويد الرئيسية للقوات المصرية من منطقة ق وبنفس الوقت ارسل العدو مجموعة قتال ثالثة باتجاه جنوب غربي لاعتراض المدرعة المصرية القادمة من بئر الحسنه نحو ابو عقيله. وبهذه الاثناء تقدمت القتال الثانية لتحاول احتلال موقع دفاعي مهم يقع بين موقعي ابو عقيله وا يمكن مساندة هذين الموقعين. ولتأمين تزويد قواته حول الموقع دفع العدو بل جهة الغرب نحو موقعين صغيرين بالقرب من الحدود هما (عوجا المصري) و (ا) وبعدها احتل اللواء هذين الموقعين أصبح في مواجهة دفاعات موقع ام قطف ه هجومه الرئيسي على موقع ابو عقيله بالساعة الخامسة صباح يوم ٣١ تشرين ا دارت معارك عنيفة في جميع المواقع المحيطة به وخصوصاً موقع أم شيحان ال فيه المدفعية الثقيلة والتي أوقعت بقوات العدو خسائر ضخمة. وكذلك الد (الرويغا) الذي تمركزت فيه مجموعه مهمه من المدافع المضادة للدروع .

وبهذه الاثناء تقدم اللواء المدرع الاول المصري من (بئر قنفقا) باتجاه ابو ع في المعركة ولكنه تعرض للغارات الجوية الاسرائيلية طيلة رحلته وبالنتيجة تم ا من دباباته. ثم اصطدم بالقوة المدرعة الاسرائيلية المتقدمة باتجاه بئر الحسنه. و تقدم هذا اللواء وتم اخراجه من ساحة المعركة وانسحب الى غرب القناة .

وبنتيجة هذه المعارك الطاحنة تمكن العدو من احتلال موقع ابو عقيله ولم يبق بيد القوات المصرية سوى موقع ام قطف الذي اصبح معزولاً ومحاصراً من جميع الجهات تقريباً. ولابد هنا من الإشارة الى نقطتين هامتين كانتا السبب الرئيسي لسقوط المواقع الدفاعية المصرية بهذه السرعة والسهولة النسبية وهما :

أولاً : انه تم سحب معظم القوات الدفاعية الرئيسية من سيناء الى غرب القناة قبل بدء الهجوم وذلك استعداداً لمواجهة الغزو البريطاني الفرنسي المتوقع. وما تبقى من القوات الموزعة على مواقع متباعدة في سيناء لا تستطيع الصمود أمام هجوم مركز ضخم لمدة طويلة لاسيما وانه لم يتوفر لها احتياطي رئيسي وخصوصاً من القوات المدرعة بحيث يمكنها القيام بهجوم معاكس لكسر زخم قوات العدو المهاجمة. ولم يكن متبقياً في سيناء كلها في ذلك الوقت سوى لواء مدرع مصري واحد كاد ان يباد بفعل الغارات الجوية المتلاحقة اثناء حركته الى ابو عقيله .

ثانياً : كانت مصر بكاملها في هذه الاثناء تتعرض لقصف شديد من الطائرات البريطانية والفرنسية وقد دمرت معظم قواعدها الجوية والقسم الأكبر من طائراتها. ولذلك لم يكن بإمكان السلاح الجوي المصري تقديم اي نوع من الاسناد لقواتها البرية المقاتلة في سيناء. ولذلك فقد تركت هذه القوات لتقاتل معركة تراجعية ضمن امكانياتها المتوفرة لأطول فترة ممكنة بدون ان تتوقع اي عون .

وبعد سقوط موقع ابو عقيله اتجه اللواء المدرع الاسرائيلي لمواصلة الهجوم على موقع (سد الرويغا) في مساء يوم ٣١ تشرين اول. وقد كان هذا الموقع يحتوي على مجموعة من مدافع مقاومة الدروع مثبتة بمواقع دفاعية جيدة بالاضافة الى بطارية مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطل وعدد من مدافع عيار ٣٣ ملم، ٥٧ ملم. وقد تقدمت قوة العدو المهاجمة من موقع ابو عقيلة الذي كانت قد احتلته سابقاً. وبهذه الاثناء اطلقت المدافع المصرية بكاملها من موقع السد نيراناً كثيفة على القوات المهاجمة وتمكنت من تدمير عدد كبير من دبابتها وأحدثت الكثير من الإصابات في صفوف الاسرائيليين. ولكن رغم هذا فقد استمر العدو بمواصلة هجومه بقوات متفوقة واقتحم الموقع. ولكنه ما لبث ان تعرض لهجوم معاكس من موقع ام قطف شنته القوات المصرية المدافعة هناك تساندها القوة المتمركزة في شيجان. ولكن هذا الهجوم لم ينجح وخسر المصريون عدداً كبيراً من القتلى والجرحى كما خسروا عدداً لا يستهان به من مدافع ضد الدروع وفي اليوم التالي ١ تشرين ثاني جمع العدو قوته المدرعة المتبقية وتمكن من اغلاق طريق العريش لمنع القوة المصرية المتمركزة في أم قطف وشيجان

من الانسحاب على هذا الطريق لتلتحق بقواتها الرئيسية. وبنفس اليوم دفع العدو الاسرائيلي باللواء العاشر للهجوم على موقعي ام قطف وشيخان لاحتلالهما. ولكن هذا الهجوم فش امام كثافة نيران المدفعية المصرية والمقاومة العنيفة التي ابداهما جنودهم في وقفتهم الاخيرة هذه. ثم شن الاسرائيليون هجوماً آخر اثناء الليل ولكن المدافعين تمكنوا من صدده وتكب العدو خسائر لا يستهان بها. وفي اليوم التالي ٢ تشرين ثاني قام لواء اسرائيلي يسانده لواء مدرع بهجوم جديد ولكن القوة المصرية صمدت هذه المرة كذلك وتمكنت من صد الهجوم ثم اعاد العدو الكرة وحاول اقتحام الموقع بهجوم جديد في اليوم التالي ولكن هجومه ه فشل كذلك وتكب خسائر لا يستهان بها .

وأخيراً وعندما اصبحت هذه القوة المصرية مطوقة تقريباً بنتيجة تقدم قوات العدو مختلف المضاور صدرت لها الأوامر بالانسحاب وتمكنت من اتمام انسحابها بنجاح تد جنح الظلام في تلك الليلة والتحق بمعسكراتها الرئيسية في رفح. وهكذا نجحت قوة قطف في دفاعها ضد قوات متفوقة عليها كما نجحت في انسحابها لتواجه معارك اخر وشيكة في مواقع جديدة وانتهت بذلك معركة ابو عقيلة .

ج - معركة رفح :

كانت القوه المخصصه للدفاع عن رفح تتكون من لواء المشاة السادس وتسندته سرب دبابات وكتيبة مدفعية ميدان ٢٥ رطل . ومجموعات من مدافع ضد الدروع ١٧ رطل وه لم عديم الارتداد ومدافع مقاومة الطائرات. وكانت الدفاعات الرئيسية تتركز بشكل دائر حول مدينة رفح من الجنوب حول ملتقى طريق رفح - العريش وطريق رفح - مستعد نترانا : وقد وضعت اربعة مواقع دفاعية حول ملتقى الطرق هذا وامامها حقليين من الالاحتمائها مواقع لمدافع ضد الدروع واعشاش الرشاشات الثقيلة. ثم سلسلة من اربعة موا تمتد من منطقة ملتقى الطرق في الجنوب حتى منطقة المعسكرات الواقعة الى الشرق من مد رفح. وأخيراً حلقة المواقع الدفاعية حول المدينة نفسها مباشرة .

لقد حشد العدو للهجوم على هذه المواقع قوة مكونة من لواء مدرع مع لواء من الاسلحة الاسناديه الكامله من المدفعية وخلافها . وقد جرت هذه المعارك على الشكل الآت قبيل منتصف ليلة ٣٠ تشرين أول تقدمت كتيبة مشاه نحو حقول الالغام المد للدفاعات الجنوبية وسيطرت على طرفها. بينما تمكنت الكتيبة الاخرى المحموله على ناقا مجنزره ومعها سرية هندسة من فتح طريقها عبر حقول الالغام. وبهذه الاثناء فتحت القوا

المصرية النيران الكثيفة على هذه الكتيبة المتقدمة من المدفعية والاسلحة الاخرى. وقد تفجرت الالغام بعدد من الدبابات المتقدمة واغلقت الطريق التي فتحها المهندسون في الحقل وتوقف بالنتيجة تقدم هذه الكتيبة كلياً واضطرت للتثبت في مكانها بوضع الدفاع. ولكنها بقيت مكشوفة وتتعرض للقصف الشديد من المدفعية المصرية. وقد دام الاشتباك طوال الليل وخسرت قوات العدو الكثير من ألياتها. كما وقعت بين جنوده عدة أصابات. ولكن هذه القوات مع ذلك واصلت تقدمها ببطء شديد نحو الطريق المؤدية من رفح الى العريش .

وفي الساعة الخامسة من صباح يوم ١ تشرين ثانى شنت قوة العدو المؤلفة من كتيبتين هجوماً على المواقع الدفاعية المسيطره على مفترق الطرق واحتلتها ثم توقفت هناك بانتظار وصول اللواء المدرع المتقدم من الشمال للاتصال معها .

أما في قطاع الوسط فقد لاقت الكتائب المتقدمة من هناك مقاومة عنيفة من المواقع المسيطرة على الطريق ومن منطقة المعسكرات. وبعد قتال عنيف دام عدة ساعات دخلت قوات العدو المهاجمه منطقة المعسكرات رغم كل هذه المقاومه. وأما في الشمال فقد تقدم لواء العدو المدرع في الصباح الباكر واشتبكت معه القوه المدافعه عن التل المسيطر على الطريق الرئيسي وبعد قتال عنيف تمكن العدو من احتلال هذه المواقع ومواصلة تقدمه جنوباً نحو مفترق الطرق حيث وصله بالساعة العاشرة صباحاً واتصل مع قوته المتمركزة هناك. ثم بعد توقف قليل واصل هذا اللواء المدرع زحفه نحو مدينة العريش وتمركز خارجها طيلة الليل .

وكانت الأوامر قد صدرت ظهر يوم ١ تشرين ثانى الى الفرقة الثالثة المصرية التي اصبحت الآن متجمعة في العريش انه عليها الانسحاب الى غرب القناة باسرع وقت ممكن. وعلى هذا الأساس انسحبت جميع قوات هذه الفرقة بقيادة اللواء انور القاضي ليلة ٢ / ١ تشرين ثانى. وعندما دخلت القوات الاسرائيلية مدينة العريش صباح يوم ٢ تشرين ثانى لم تجد فيها أي قوات مصريه فاحتلت المدينة بدون قتال .

د - معركة غزه :

بعد سقوط رفح والعريش وانسحاب القوات المصرية المتبقية الى غرب القناة لم يعد بإمكان القوات المدافعه عن قطاع غزه الصمود فيه طويلاً لاسيما وانها اصبحت معزولة تماماً عن منطقة القناة ومطوقه من جميع الجهات ولايمكن أن تصلها اية امدادات او تعزيزات. ولا أمل بعودة قوات رئيسية من منطقة غرب القناة لشن هجوم معاكس ولذلك فإن مصيرها قد تقرر الآن .

كانت القوات المدافعه عن قطاع غزة قوامها الفرقة الثامنة بقيادة اللواء يوسف العجرودي وتتألف من اللواء الفلسطيني ٨٦ المتمركز في الدفاع عن مدينة خان يونس. واللواء المصري رقم ٢٦ حرس وطني المتمركز في الدفاع عن مدينته غزة. ولا زلت أذكر كيف كان اللواء العجرودي يشرح لنا اساليبه وخطته للدفاع عن قطاع غزة أثناء زيارتنا لهم خلال مباحثات الدفاع المشترك. وقد رافقنا بجولة على مواقع قواته الدفاعية، وعندما كنا نقف على تل مسيطر في طرف المدينة ومشهور بين المواقع الدفاعية باسم (تل المنطار) .

وقال لي انه على ثقة بأن مواقعه الدفاعية تستطيع الصمود ضد أي هجوم قد يشنه العدو على غزة. ورغم ان اللواء العجرودي كان في تلك اللحظة مليئاً بالثقة فلا اظنه كان يتخيل انه سيجد نفسه بعد بضعة اشهر فقط في موقف كهذا الذي اصبح فيه صباح يوم ٢ تشرين ثاني محاصراً ومطوقاً ومعزولاً تماماً عن قواعد تزويده الرئيسيه وأمله في صد الهجوم المعادي معدوماً .

وبالساعة السادسة من صباح يوم ٢ تشرين ثاني تقدمت قوات العدو المهاجمه نحو مدينة غزة من الجنوب واصطدمت مباشرة مع الموقع الدفاعي الحصين في تل المنطار المشار إليه بأعلامه. وهو موقع مسيطر على طرق الاقتراب ومحصن بشكل جيد. ولكن القوه المهاجمه اخترقت طرفه الجنوبي ولم تتوقف بل استمرت في تقدمها شمالاً حتى وصلت نقطة الحدود شمال مدينة غزة عند بلدة بيت حنون وبنفس الوقت دخلت كتيبة مشاه الى وسط المدينة وعند الظهيره وبوساطة مندوبين من مراقبي لجنة الهدنة التابعه للأمم المتحدة قرر حاكم غزة العام اللواء فؤاد الدجوي الاستسلام. واستسلمت معه القوات المصرية في المدينة وقائدها اللواء يوسف العجرودي. وقام الاسرائيليون بوضع ادارة من جانبهم لحكم المدينة. وبعد ظهر نفس اليوم تابع اللواء الاسرائيلي الذي دخل غزة زحفه نحو بلدة خان يونس حيث رفض اللواء الفلسطيني المتمركز فيها الاستسلام. واستمر القتال بين وحدات هذا اللواء والقوات الاسرائيلية المهاجمة طيلة الليل وصباح اليوم التالي حيث احضر العدو مجموعة قتال مدرعة لتعزيز القوات المهاجمه. وبهذا تمكنت القوات الاسرائيلية من التغلب على القوات الفلسطينية المدافعه واحتلت مواقعها تدريجياً وتمكنت من السيطرة على البلده بالساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

هـ - معركة شرم الشيخ :

بدأت معركة شرم الشيخ عملياً في نفس اليوم الذي بدأت فيه الحرب يوم ٢٩ تشرين أول متزامنة تقريباً مع حركة مجموعة لواء المظليين التي عبرت صباح نفس اليوم من النقب الى

الكونتيتلا باتجاه نخل. ومع عبور لواء المشاه خط الحدود من النقب متجهاً الى القسيمه. ومع هبوط كتيبة المظليين بالساعة الخامسة بعد الظهر في ممر متلا. حيث تقدمت سرية إستطلاع من لواء المشاه الاسرائيلي الذي اسندت له مهمة القيام بهذه العملية من إيلات مساء ذلك اليوم واحتلت مفترق الطرق عند رأس النقب. وبعد ازالة الالغام من الطريق احتلت مخفر الشرطة المصري وبهذا تكون قد فتحت الطريق باتجاه جنوب سيناء. ومن ثم تحركت باقي قوافل اللواء في اعقاب سرية الاستطلاع هذه ولكنها لم تتجه رأساً من إيلات الى رأس النقب بل لكي تستر وجهتها الحقيقية تحركت غرباً عبر النقب بداخل اسرائيل ثم اتجهت بعد ذلك إلى الطريق التي عبرها قبلها لواء المظليين من الكونتيتلا الى الثمد. ومن ثم تابعت مسيرتها عبر الودية السحيقة والتلال الصعبة المحاذية الى ساحل البحر الأحمر. وقد كانت طريق مرور هذه القوافل تعتبر شبه مستحيلة. ومما لاشك فيه ان هذه القوة الاسرائيلية بذلت جهداً جباراً حتى استطاعت تمرير قوافلها عبر هذه الطريق التي استغرقت في قطعها مدة خمسة أيام بلياليها قبل أن تصل الى هدفها. واستخدمت في عملياتها هذه الوحدات الهندسية والآليات المختلفة وما يلزمها لازالة عقبات الطريق .

وقد رافق هذه الحركة عملية اخرى كانت تعتبر في تلك الايام أمراً مستحيلاً حيث لم تكن لاسرائيل في خليج العقبة اية قطع بحريه مسلحة او بواخر نقل كبيره أو صغيرة لكي يستطيعوا نقل وحده من الدبابات لتتضم إلى لواء المشاه المتقدم نحو شرم الشيخ ومن ثم تزويده فيما بعد بما يلزمه من الذخائر والمؤن. وبما انه من غير الممكن الاعتماد على الطريق التي سلكها اللواء في تقدمه عبر الجبال والوديان السحيقة. قاموا بنقل عدد من القوارب محمله على شاحنات خاصة ضخمة عبر الطريق البريه الى ايلات ثم انزلوها في البحر عند الميناء وحملوا الدبابات عليها وابحرت بها جنوباً متزامنه مع حركة اللواء بحيث أمكنها الالتقاء مع هذا اللواء عند وصوله الى واحة (ذهب) الواقعة على الساحل شمال شرم الشيخ. وهناك انزلت الدبابات من القوارب والتحققت باللواء. وبعد ذلك استمرت تلك القوارب بنقل ما يحتاجه اللواء من تزويد بنفس الاسلوب. وقد اتخذ الاسرائيليون جميع هذه الاستعدادات لكي يضمنوا وجود الدعم الكافي من الدروع مع لواء المشاه قبل قيامه بشن هجومه الرئيسي على موقع شرم الشيخ الذي كانوا يعرفون انه محصن باستحكامات من الاسمنت المسلح والدشم المتساندة وحقول الالغام والاسلاك الشائكة وما الى ذلك من وسائل التحصين. وتتمركز فيه قوة مصرية مؤلفه من كتيبتين تسندهما اعداد كبيرة من قطع المدفعية من مختلف الأحجام .

وعندما وصلت طلائع اللواء الاسرائيلي الى واحة ذهب يوم ٣ تشرين ثاني اي بعد خمسة أيام من تاريخ حركتها من إيلات اصطدمت مع حظيرة من الهجانة المصرية التابعة الى حرس الحدود. وقد اوقع هؤلاء الهجانة العديد من الاصابات بين جنود لواء العدو ثم انسحبوا. وتوقف اللواء بهذا الموقع فترة ثم استأنف تقدمه في المساء. وعند مرور طليعته من وادي (كيد) الذي كان عبارة عن ممر ضيق لا يزيد عرضه عن ثلاثة أمتار. اصطدمت بدورية مصرية كانت تحرس حقل الالغام الذي وضعوه فيه كجزء من دفاعاتهم المتقدمة. وقد ناوشت هذه الدورية طليعة اللواء وأوقعت بها بعض الخسائر ثم انسحبت والتحقت بالقوه الرئيسية في شرم الشيخ. ولقد كانت هذه نقطة ضعف في الدفاعات المصرية حيث كان من الأفضل وضع قوة أكبر للدفاع عن وادي كيد لأنه كان بإمكانهم ان يوقفوا زحف هذا اللواء هناك بفعالية. ولو كانت قوتهم متوازنة في موقع وادي كيد بحيث يكون بإمكانها الصمود والقتال لفترة معقولة وليس مجرد مناوشة محدوده وانسحاب لكان باستطاعتها تدمير معظم الآليات الاسرائيلية عندما تحصرها أثناء مرورها من مضيق وادي كيد ولماكنها تكبيد العدو خسائر ضخمة بالارواح كذلك قبل وصوله الى الموقع الرئيسي في شرم الشيخ .

وعلى أي حال ونظراً لانعدام المقاومة في هذا الموقع المتقدم المهم فقد استأنف اللواء الاسرائيلي تقدمه حتى وصل الى موقع (راس نصراني) في أطراف موقع شرم الشيخ ظهر يوم ٤ تشرين ثاني فوجد ان حامية راس نصراني هذه قد انسحبت والتحقت بالقوه الرئيسية في شرم الشيخ. وذلك لأن قوة اسرائيلية اخرى من لواء المظليين كانت تتقدم من (راس سدر) على خليج السويس عبر الطور الى (راس نصراني). كما نزلت قوة أخرى بالمظلات في الطور بنفس الوقت .

وبما ان شرم الشيخ كانت معتبرة كمنطقة تزويد خلفيه رغم احتوائها على مدافع ساحليه فلم تضع القيادة المصرية فيها أية وحدات مدرعة بل كانت تحرسها قوة من المشاة فقط ولم تكن في واقع الأمر قادرة على صد هجوم مركز من قبل قوات متوازنة تسندها الدبابات. وهذه خطيئة كبرى كانت سبباً رئيسياً لسقوط هذا الموقع المهم بسهولة. وبالإضافة لهذا فإنه لم يكن بإمكان سلاح الجو المصري تقديم اي نوع من المسانده لهذا الموقع المنعزل حيث كان بهذا الوقت قد أصيب بدمار كبير من جراء الغارات الجوية البريطانية والفرنسية على قواعده وفقد معظم طائراته. واما ما بقي من الطائرات المصرية فقد كانت مشغولة في مقاومة الغزو الجوي فوق القناة والقواعد والمدن الاخرى وهكذا بدأت القوه الاسرائيلية هجومها الرئيسي على مواقع شرم الشيخ بعد ظهر يوم ٤ تشرين ثاني. وقد لاقت مقاومة عنيفة من

قبل القوات المصرية المدافعة ولاسيما من مدافع مقاومة الدروع التي كبدها خسائر ضخمة بآلياتها. وقد استمرت المعارك طيلة الليل. وفي الساعة الثالثة والنصف من صباح اليوم التالي شن العدو هجوماً جديداً على المواقع الدفاعية الغربية من منطقة شرم الشيخ ولكن القوه المصرية واجهتهم بقوة نيران كثيفة وكبدتهم خسائر كبيرة بالارواح فانسحبت الكتيبة المهاجمه تحت ستر الظلام وهي تحمل جرحاها على ناقلات الجنود المجنزره ولكن على الرغم من كل هذه المقاومة فلم تستطع القوة المصرية المدافعه ان تصمد طويلاً أمام القوات الاسرائيلية الضخمة التي تجمعت حولها بعد وصول باقي القوات المظلية والقوات البريه الاخرى التي تقدمت بمحاذاة ساحل خليج السويس لدعم الهجوم الرئيسي النهائي .

وفي الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ٥ تشرين ثاني استطاع العدو اقتحام الاجزاء المتبقية من الدفاعات الشرقية في شرم الشيخ واكمل احتلال الموقع حوالي الساعة التاسعة صباحاً. وأما القوة المصرية فقد انسحب جزء منها عن طريق البحر بالقوارب ووقع الباقون في الأسر .

وبسقوط موقع شرم الشيخ اصبحت سيناء بكاملها تحت الاحتلال الاسرائيلي واصبحت قوات العدو تتمركز على طول قناة السويس بمسافات قريه جداً من حافتها وعند ذلك توقف القتال عملياً .

وفي اليوم التالي ٦ تشرين ثاني اصبحت وقف اطلاق النار ساري المفعول رسمياً من قبل الطرفين المتحاربين استجابة لقرار هيئة الأمم المتحدة .

الحملة البريطانية الفرنسية على قناة السويس :

١ - بالساعة الرابعة بعد ظهر يوم الثلاثاء ٣٠ تشرين أول عام ١٩٥٦م استقبل وكيل وزارة الخارجية البريطانية السيد إيفون كيركبا ترك ومعه المسيو بينو وزير الخارجية الفرنسية سفيرى مصر وإسرائيل كل على انفراد. وأبلغهما صيغة الإنذار البريطانى الفرنسى الذى كان ينص أنه على الطرفين المتحاربين إيقاف إطلاق النار فوراً وأن يسحبا قواتهما بعيداً عن القناة مسافة عشرة أميال خلال مدة ١٢ ساعة من وقت تبليغهما الإنذار. وأن يوافق الطرفان على نزول القوات البريطانية والفرنسية بعد ذلك في بور سعيد والإسماعيلية والسويس لضمان حرية الملاحة في القناة. وأنه إذا لم توافق إحدى الدولتين أو كلاهما على هذا الإنذار فإن بريطانيا وفرنسا ستتخذان ما تريانه مناسباً من الاجراءات العسكرية لضمان تنفيذه.

وأغرب ما جاء بهذا الإنذار أنه عندما صدر بتاريخ ٣٠ تشرين أول كانت القوة الوحيدة من الجيش الإسرائيلي الموجودة في عمق سيناء هي كتيبة من المظليين هبطت بعد ظهر اليوم السابق في ممرات (متلا) وهذه المواقع تبعد عن القناة بمسافة ٤٥ ميل إلى الشرق. وكانت القوات الإسرائيلية الرئيسية ما تزال تقاتل القوات المصرية في مواقع القسيمة وأم قطف وأبو عقيلة بالقرب من الحدود المصرية الإسرائيلية .

ككيف إذن يطلب الإنذار منها أن تنسحب بعيداً عن القناة مسافة عشرة أميال بينما هي في واقع الأمر تبعد عنها عشرات الأميال. ثم ما علاقة إسرائيل بمدن بورسعيد والإسماعيلية والسويس لكي يطلب منها الإنذار أن توافق على نزول القوات البريطانية والفرنسية فيها وهي مدن مصرية وبداخل مصر ولم تكن القوات الإسرائيلية قد احتلتها لكي يؤخذ رأيها حول مصيرها. إنه من الواضح أن المقصود من هذا الإنذار هو أن تبتعد القوات المصرية عن قواعدها غرب القناة لكي تنزل فيها القوات الغازية وتحتلها بدون قتال. لأنهم يعرفون تماماً أن مواقع القوات الإسرائيلية ما زالت بعيدة عن القناة لا سيما وهي شريكهم في مؤامرة العدوان الثلاثي من بدايتها. وأما توجيه الإنذار للطرفين المتحاربين فإنه لا يعدو كونه مغالطة مكشوفة ومحاولة سخيفة لإيهام الرأي العام العالمي بحسن نوايا بريطانيا وفرنسا بالنسبة لقضية القناة.

والأغرب من هذا كله أن إيدن ألقى خطاباً في مجلس العموم بعد صدور الإنذار بقليل وادعى فيه أنه تلقى لتوه معلومات تفيد أن القوات الإسرائيلية دخلت سيناء ليلة أمس وأنه يريد اطلاع المجلس على الإنذار الذي وجهه للأطراف المتحاربة ... إلخ. وظهر وكأنه يريء من المؤامرة التي حاكها مع الفرنسيين واليهود منذ عدة أسابيع ووضع خطته للعدوان الثلاثي بحسب شروطها ومن يصدق بعد هذا أن إيدن لم يسمع عن دخول القوات الإسرائيلية إلى سيناء إلا في تلك اللحظة.

ولا أريد الخوض هنا في تفصيلات هذا الخطاب حيث يجد القارئ صورته في الملحق (رقم ٤) . وقد وصلتنا نسخته رسمياً في قيادة الجيش من السفير البريطاني في عمان في حينه وذلك عندما بدأنا بتحريك قوات الجيش العربي إلى مناطق حشدتها استعداداً لشن الهجوم على إسرائيل كما سبق شرحه.

وباطلاع القارئ على هذا الخطاب يمكنه أن يعرف مدى الخداع والمغالطة التي ضمنها إيدن في خطابه وأن يتبين خلل سياسة الحكومة البريطانية التي وضعت بذهنية الاستعمار القديم التي تستند على استعمال القوة الغاشمة لاذلال الشعوب. (وهنا

أستمح القارئ الكريم العذر لأنى كتبت الجملة السابقة بحسب ذهنية عقد الخمسينات عندما كنا نظن أن بعض الدول العظمى وخصوصاً أمريكا نأت بنفسها عن أساليب الاستعمار القديم وأخذت تحاول استعمار الناس حضارياً بأساليب هادئة ولكن الآن بعد حرب الخليج أثبتت أنها أكثر بشاعة وأشد همجية من الاستعمار القديم). وعلى أي حال فإننا لم نعر هذه المسألة التفاتاً في حينها لأننا فسرنا قيام السفير البريطاني بتزويدنا بنسخة خطاب إيدن في تلك المرحلة على أنها حركة تنطوي على نوع من التهديد المبطن بأسلوب استعماري خبيث.

ويبدو أن الرئيس جمال عبد الناصر لم يكن يصدق حتى في ذلك الوقت المتأخر أن بريطانيا ستقدم على غزو مصر عسكرياً لأنها بهذه الحالة سوف تخسر كل مصالحها في العالم العربي. والأخطر من هذا كله أنها ستجازف باحتمال صدام الدولتين العظميين ووقوع كارثة حرب عالمية ثالثة. وأنه كان يظن أن إيدن السياسي المخضرم صاحب الخبرة الطويلة بالسياسة العالمية وخصوصاً أثناء الحرب العالمية الثانية لن يقدم على هذا النوع من المخاطرة. وأنطلاقاً من هذا التحليل فإن الرئيس جمال عبد الناصر لم يجب على الإنذار كما فعلت إسرائيل.

ولكن. وعلى عكس هذه التوقعات وقبل انتهاء مدة الإنذار بساعتين كانت الطائرات البريطانية والفرنسية تقصف القواعد والمطارات المصرية وتلقي عليها مئات الأطنان من القنابل وتدمر طائراتها في مرابضها أو في أجوائها (إذا اتاحت لها الفرصة للتحليق). وقد دفعت بريطانيا وفرنسا بأحدث ما لديها من القاذفات والمقاتلات بأعداد هائلة تفوق ما لدى مصر من الطائرات عدة أضعاف كمّاً ونوعاً. وهكذا فقد ضمنت عدم إمكان تدخل سلاح الجو المصري في المعارك البرية في سيناء بفعالية تذكر منذ البداية وبقيت مواقعها مكشوفة أمام سلاح الجو الإسرائيلي والفرنسي الذي أخذ يفتك بالقوات البرية المصرية بلا هوادة وهي تخوض معاركها الدفاعية باستماتة وتضحية وشرف. وقد استمرت الغارات الجوية المعادية على القواعد والمطارات والمدن المصرية ليلاً ونهاراً بلا توقف لعدة أيام لكي تدمر جميع الإمكانات والبنية الأساسية للقوات المصرية تمهيداً لإنزال قوات الغزو التي تأخر وصولها بضعة أيام لأن السفن التي تحملها بدأت ابجارها من قواعدها في مالطة وقبرص يوم ١ تشرين ثانى ١٩٥٦م.

٢ - وقبل أن أدخل في تفصيلات كيفية سير عمليات هذه الحملة لا بد لي من شرح كيفية التوصل إلى توقيت البدء بها ولماذا بدأت بهذا الشكل الذي نتج عنه فيما بعد تعقيدات

دولية كانت هي السبب الرئيسي بإفشال الحملة نهائياً قبل أن تحقق أهدافها.

ولشرح هذه النقطة علينا الرجوع إلى الوراء قليلاً إلى المرحلة التي كانت تجري ف الاستعدادات لهذا العدوان الغاشم لنلاحظ بعض المسائل التي برزت خلالها ويجب أن تغيب عن تفكيرنا طيلة بحثنا في مسيرة عمليات هذا العدوان وهي كما يلي:

أ - إن الاتفاق الفرنسي البريطاني لشن الهجوم على مصر كان يهدف القضاء على نظام جمال عبد الناصر. وليس كما حاولوا أن يظهروه بأنه كان لضمان حرية الملاحة عبر قناة السويس لأن هذه القضية كانت سوف تحل عن طريق المفاوضات. و وصلت فعلاً إلى مرحلة الاتفاق النهائي قبل موعد الهجوم بقليل.

ب - إن أوضح دليل على أن الهدف كان تدمير نظام جمال عبد الناصر وليس حماة القناة هو اتفاقهم على أن تبدأ إسرائيل بالهجوم على سيناء وفي أعقاب ذلك الهجوم تدخل القوات البريطانية والفرنسية بحجة فصل القوات المتحاربة وتحتل منطقة قناة السويس والقواعد العسكرية حولها. ولو كان هدفهم فعلاً حماية القذ وضمان حرية الملاحة فيها فإن خطتهم هذه كانت أضمن أسلوب لاغلاق القذ وتعريضها للخطر (كما حصل فعلاً) وليس لتسهيل الملاحة فيها.

ج - إن خطة هؤلاء الحلفاء الثلاثة كانت مرتبطة بشكل أساسي بوقت بدء الهجوم الإسرائيلي على سيناء. والذي اتضح فيما بعد أنه كان مقرراً أن يبدأ يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦ م. ولكن بعد أن أعلنت إسرائيل بياناً رسمياً تتهم فيه مصر بالقتل عداواً ينشطون من جديد من قطاع غزة وسيناء ضد إسرائيل (كتوطا للبدء بهجومها المقرر). وبدأت في اليوم التالي بالتعبئة العامة. عندئذ قام الرئيس أيزنهاور بتوجيه نداءين إلى بن غوريون يدعو فيه إلى عدم القيام بأعمال عسكرية. فكان رد فعل بن غوريون أنه أمر فوراً بتقديم موعد الهجوم إلى ٩ تشرين أول وعندما تم إبلاغ أيدن بهذا التغيير المفاجيء كان يترتب عليه إتخاذ الإجراءات المستعجلة لتقديم موعد الهجوم بالنسبة للقوات البريطانية والفرنسية في عملياتهم التي أطلق عليها اسم موسكتير (MUSKETEEER). وعندما تم إبلاغ الجنرال كيتلي (Keightly) القائد العام لقوات الحلفاء يوم ٢٧ تشرين أول بضرورة تقديم موعد الهجوم مدة سبعة أيام لم يكن أمامه سوى أحد أمرين.

أولاً : القيام بهجوم جوي مكثف يتبعه مباشرة هبوط قوات المظليين وهذا غير معقول لأن قوات الغزو الرئيسية ما زالت في مواقع حشدتها في قبرص

ومالطة والجزائر. وهذه القوات لا تستطيع عملياً الوصول إلى منطقة القناة قبل ستة أيام من إبحارها. وهذا معناه أن قوات المظليين لو هبطت ستكون مجبرة أن تنتظر في مواقعها ستة أيام قبل أن تتمكن القوات البرية ولا سيما الدبابات من الالتحاق بها. وسوف يعني هذا التأخير إمكانية تدمير قوات المظليين هذه بسهولة.

ثانياً : القيام بغارات جوية مستمرة على كافة الأهداف الحيوية المصرية. لعدة أيام حتى تتمكن القوات البرية من الوصول. حيث يمكن بهذه الحالة انزال قوات المظليين قبل وصول القوات البرية بمدة ٢٤ ساعة.

ويظهر أن القائد العام قرر اتباع هذا الأسلوب الثاني لأن القصف الجوي العام من قبل الأسلحة الجوية البريطانية والفرنسية على جميع المطارات والقواعد الحيوية المصرية قد بدأ في ساعات الفجر الأولى من صباح يوم ٣١ تشرين أول واستمر طيلة الأيام التالية بدون توقف تقريباً. وبنفس الوقت بدأت الاساطيل التي تحمل الفرق البرية حركتها من قواعدها المختلفة نحو بورسعيد يوم ١ تشرين ثاني. وهنا لا بد أن نشير إلى عمليتين هامتين تم التخطيط لهما مسبقاً وتم تنفيذهما حالما بدأ القصف الجوي البريطاني الفرنسي على مصر وهما كما يلي.

أ - اغلاق قناة السويس بواسطة اغراق سفن خاصة كان المصريون قد جهزوها سلفاً لاغراقها بمواقع معينة في القناة عند الضرورة. وعندما بدأ القصف الجوي تم اغراق أول أربعة سفن منها في الجزء الجنوبي من القناة. واستمرت عملية اغراق السفن هذه يومياً حتى تم اغلاق القناة نهائياً خلال مدة أسبوع من ميناء السويس حتى ميناء بورسعيد. وقد كانت جميع السفن التي اغرقت تعود ملكيتها أصلاً إلى شركة قناة السويس القديمة التي تم تأميمها.

ب - نسف أنابيب النفط العراقي المارة عبر سوريا. وكانت القوات السورية قد وضعت كافة الاستعدادات اللازمة لنسف جميع محطات ضخ البترول وكذلك عدة أجزاء من الأنابيب مسبقاً بداخل سوريا. وما أن بدأ القصف الجوي على مصر حتى قامت وحدات خاصة من سلاح الهندسة السوري بتطويق محطات الضخ الثلاثة ونسفتها. وكذلك تم نسف أنابيب النفط في ثلاثة مواقع أخرى مختلفة وقدر الخبراء أنه سوف لن يكون بالإمكان اصلاح هذه المحطات بمدة أقل من سنة.

وهكذا فقد توقف ضخ النفط العراقي بكامله عبر سوريا إلى بريطانيا وأوروبا الغربية نهائياً حالما بدأت ظواهرها تقصف القواعد المصرية.

ج - وحدث آخر مهم رافق هذه الاجراءات هو أن المملكة العربية السعودية أعلنت عن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا. كما أعلنت أنها لن تبيع أية كمية من النفط السعودي إلى هاتين الدولتين. وهكذا فقد خسرت بريطانيا ثلثي وارداتها من نفط الشرق الأوسط دفعة واحدة. وهذا أوضح رد على خطط ايدن التي ادعى أنه يهدف منها المحافظة على سلامة القناة. فماذا كانت النتيجة؟ اغلاق قناة السويس بشكل نهائي. وتدمير محطات ضخ النفط العراقي في سوريا. وحرمان بريطانيا وحليفاتها فرنسا من النفط السعودي والعراقي في آن واحد. وهذا بالإضافة إلى الدمار الواسع الذي ألحقته بريطانيا بالمدن المصرية وما سببه هذا الدمار من الحقد على بريطانيا لدى الشعوب العربية وتدهور سمعتها في العالم بشكل عام.

د - ويضاف إلى كل هذا ما سببه ايدن من أضرار بالغة للاقتصاد البريطاني حيث جعل بلاده رهينة لأمريكا كما سنشرح فيما بعد عندما نبحت كيفية إجبار ايدن على الانسحاب ونهايته المساوية في مكان آخر.

هـ - وبهذه المرحلة كذلك بدأ الانشقاق يظهر علناً بين صفوف أعضاء حكومة ايدن نتيجة الموقف الصعب والغريب الذي وجدوا أنفسهم فيه بسبب سياسات رئيس الوزراء وعناده الاستبدادي. وعلى الرغم من أن عدداً من الوزراء كانوا غير موافقين على هذه السياسات فإنهم آثروا الاحتفاظ بمعارضتهم سراً والاستمرار بالمشاركة في الحكومة حفاظاً منهم على وحدة حزبهم. ورغم ذلك فقد اختار اثنين من الوزراء الخروج للعلن وقدموا استقالتهما. ففي يوم السبت ٣ تشرين ثانى صدر بيان عن مقر رئيس الوزراء وأذيع بوسائل الإعلام المختلفة يشير إلى أن المستر أنتوني ناتنج (Mr. Antony Nutting) وزير الدولة في وزارة الخارجية والمسؤول عن العلاقات مع الأمم المتحدة والشرق الأوسط قد أرسل استقالته إلى رئيس الحكومة في نفس اليوم الذي صدر فيه الإنذار البريطاني الفرنسي. وبعد استقالة (ناتنج) أعلن عن استقالة السير ادوارد بويل وزير الخزانة (Sir Edward Boyle) وقد كان من الواضح أن استقالته تعني أن هناك مشاكل - مستعصية وقع فيها الاقتصاد البريطاني. وصعوبات أخرى قادمة بسبب سياسة الحكومة

ولا يريد أن يكون مسؤولاً عنها. كما أن استقالة المستر ناتنج كانت تعني بوضوح عدم موافقته على السياسة التي كانت تنتهجها حكومته في الشرق الأوسط باشتراكها بعملية العدوان الثلاثي. وبعد هذه الاستقالات أخذ التشقق يظهر في صفوف حزب المحافظين مما أدى بعد فترة إلى إجبار ايدن على الاستقالة كما هو معروف.

٣- تطورات عملية موسكتير :

كانت المرحلة الأولى من هذه العملية تتمثل بالغارات الجوية المكثفة على القواعد المصرية والتي استمرت خمسة أيام. وقد كان الحلفاء كما يظهر يتوقعون أن هذه الغارات الجوية المدمرة متزامنة مع الحملة الإسرائيلية في سيناء وانسحاب القوات المصرية منها سوف تسبب قيام حركات معادية لجمال عبد الناصر في مصر. وأن هذه الحركات سوف تكون قادرة على إسقاط نظام حكمه وبالتالي ستؤدي إلى قيام حكومة موالية للغرب مكانه وحجتهم في هذا التحليل أن الشعب المصري سوف لا يتحمل كل هذه التضحيات ولن يستمر بتأييد حكم عبد الناصر. ومن منطلق نظرية الحلفاء هذه بدأوا بالقاء مناشير تحذيرية من الطائرات على مختلف المدن المصرية وإذاعتها بنفس الوقت من محطة اذاعة في قبرص تحذر الشعب المصري من الدمار الذي سوف يلحق به إذا استمر على المقاومة ويحرضونه صراحة ضد جمال عبد الناصر. وفيما يلي صيغة لأحد هذه المنشورات

«نحن مضطرون لقصفكم أينما كنتم: تخيلوا أن قراكم تتعرض للقصف بالقنابل تخيلوا زوجاتكم وأطفالكم وأمهاتكم وآباءكم وهم يهربون من بيوتهم تاركين أمتعتهم وممتلكاتهم وراءهم. كل هذا سوف يحدث لكم إذا اختبأتم خلف نسائكم في منازلكم. وإذا لم ترحلوا عنها فمن المؤكد أن بيوتكم وقراكم سوف تدمر. لقد ارتكبتم خطيئة كبرى عندما وضعتم ثقتكم بعبد الناصر». وإذا كان الأمر يحتاج إلى برهان فأى برهان أوضح من هذه المنشورات على أن غزوة ايدن لمصر لم تكن تهدف حماية القناة وإنما كان هدفها الأساسي محاولة القضاء على جمال عبد الناصر. ولكن العبرة بالنتائج. فالنتيجة هنا كانت عكسية تماماً، حيث كلما زادت هذه الغارات شراسة كلما زاد الشعب المصري المناضل في اصراره على المقاومة واشتد تأييده لعبد الناصر الذي برز بهذه الأثناء ليس كقائد للشعب المصري فحسب بل كزعيم عربي مخلص يحظى بتأييد منقطع النظير في كافة الأقطار العربية من المحيط إلى الخليج. كما أصبح يلقي التأييد التام من معظم دول العالم وخاصة الدول الأفريقية والآسيوية والاتحاد السوفياتي ودول الكتلة

الشرقية. وبنفس القدر الذي كانت تتزايد فيه شعبية جمال عبد الناصر ويتضاعف التأييد له بين دول العالم. كانت تتدهور سمعة بريطانيا وفرنسا ويزداد السخط على زعمائهما وخصوصاً (ايدن) و(جي موليه). وبهذا الشكل فشلت المرحلة الأولى من عملية (موسكتير) مرحلة الغارات الجوية. حيث لم تحقق شيئاً من أهدافها الحقيقية رغم أنها نجحت باحداث الكثير من التدمير وخصوصاً في سلاح الجو المصري. وعلى أثر ذلك قررت قيادة الحلفاء تنفيذ المرحلة الثانية التي تتمثل بانزال قوات المظليين عند بورسعيد تمهيداً لاحتلالها بعد وصول القوات الرئيسية التي كانت تبحر بسرعة نحوها. وعلى الرغم من المحاذير التكتيكية فإن الحلفاء قاموا بانزال القسم الأكبر من قوات المظليين البريطانية والفرنسية قبل موعد وصول القوات البرية بمدة أكثر من ٢٤ ساعة. وهذا أمر لا يكون عادة مقبولاً نظراً لأن هذه القوة ستبقى مكشوفة بدون اسناد مدة طويلة مما يعرضها لخطر التدمير. وعلى أي حال فقد بدأت قوات المظليين بالهبوط في ساعات الصباح الباكر يوم ٥ تشرين ثانياً حيث هبط بهذه الموجة الأولى ٥٠٠ مظلي بريطاني بالإضافة إلى ٥٠٠ مظلي فرنسي. كما هبط ٤٥٠ مظلي فرنسي بمجموعة ثانية بعد الظهر. وقد كان هبوط المظليين الانجليز في منطقة مطار الجميل الواقع في الطرف الجنوبي لمدينة بورسعيد. بينما كانت المنطقة المخصصة لهبوط المظليين الفرنسيين تشمل موقعين هما:

أولاً: المدخل الجنوبي لمدينة بورسعيد لاحتلال الجسور الموجودة في تلك الجهة.

ثانياً: في الطرف الجنوبي من مدينة بور فؤاد الملاصقة لها بقصد احتلال تلك المنطقة بكاملها وقد استطاعت هذه القوه أن تحتل جسر الحديد الواقع في منطقتها. وبنفس الوقت تمكنت من اغلاق جميع الطرق المؤدية من بورسعيد جنوباً ما عدا الطرق المؤدية إلى بحيرة المنزلة.

وقد بدأت المعركة بين حامية بورسعيد وهذه القوات المظلية فور هبوطها واستمرت طيلة النهار وتكبد الطرفان خسائر لا يستهان بها. ولكن المقاومة العنيدة من قبل حامية بورسعيد وسكانها استمرت باصرار وعناد عنيف. إلا أنه بهذه الاثناء حدثت واقعة غريبة حيث بادر الحاكم العسكري المصري لمدينة بورسعيد بالدخول بمفاوضات للتوصل إلى اتفاق لانهاء القتال. وطلب من قائد المظليين وقف اطلاق النار مؤقتاً حتى تنتهي المفاوضات. وقد وافق هذا بدوره على ذلك الطلب. وبدأت المفاوضات بالساعة الثالثة بعد الظهر. وقد كانت هذه المبادرة مناسبة للقوات الغازية لا سيما وأنها هبطت قبل موعد وصول قواتها الرئيسية بمدة أكثر من ٢٤ ساعة. وبما أن حجم قواتهم كان

صغيراً ولم يكن بمقدورهم احتلال المدينة ولا حتى دخول جزء منها إلا إذا توقفت المقاومة نهائياً من جانب المصريين وعليه فإنه سوف يتيسر للعدو بواسطة هذه المفاوضات استلام المدينة بدون قتال.

أما وجهة نظر الحاكم العسكري المصري (الذي عزله عبد الناصر فيما بعد)، في تبرير دخوله بمفاوضات مع البريطانيين بدون أخذ موافقة حكومته مسبقاً هي أنه كان يريد تجنيب المدينة المزيد من الدمار والضحايا. وهذه حجة واهية لأن وقف إطلاق النار بهذه المرحلة لن ينتج عنه سوى تأجيل مؤقت للمعركة الرئيسية لأن بريطانيا وفرنسا لم تحشدا كل هذه القوات وتقوما بهذه الغزوة الشريرة لكي تتوقفا عند بورسعيد. بل جاءتا لاحتلال القناة واسقاط نظام عبد الناصر. ولذلك فقد كان موقف هذا الحاكم العسكري مشبوهاً. وعندما لاحظ مدير المخابرات في بورسعيد أن الحاكم العسكري قد بدأ بمفاوضات مع الغزاة قام بالاتصال مع القاهرة وأبلغ الرئيس جمال عبد الناصر عن المفاوضات التي كان يجريها الحاكم العسكري مع الانجليز وأن البوادر تشير إلى أنهم سوف يتوصلون إلى اتفاق على وقف إطلاق النار إذا لم يتدخل الرئيس لمنعها. وعند سماع جمال عبد الناصر بهذه الأخبار أمر بترقية مدير المخابرات من رتبة عقيد إلى رتبة لواء مع اعطائه الأقدمية على الحاكم العسكري وأبلغه بأن عليه أن يحول دون التوصل إلى اتفاقية وقف إطلاق النار وكسب الوقت والاستمرار بالمقاومة لأنه بهذه الأثناء كان يتباحث مع الروس وأصبحوا على وشك التدخل علناً بالأزمة. وبينما كان الحاكم العسكري يتفاوض مع الانجليز كان مدير المخابرات يعبى فئات الشعب وينظم الشباب للمقاومة المسلحة بداخل المدينة حالما تتوقف القوات الغازية عن إطلاق النار. ومن جهة أخرى فقد استمرت المفاوضات مدة أربعة ساعات حيث تمت الموافقة على جميع الشروط بين الطرفين بتمام الساعة السابعة والنصف مساءً. إلا أن الجانب المصري رفض هذا الاتفاق بناء على أوامر من الرئيس جمال عبد الناصر عن طريق مدير المخابرات بعد ساعة من إعلان الاتفاق بين المتفاوضين. وعلى أثر ذلك استؤنف القتال مرة ثانية قبيل منتصف الليل بعد أن توقف ثمانية ساعات كانت بمثابة كسب للوقت بالنسبة للموقف المصري وضياع للوقت بالنسبة للجانب الانجليزي الفرنسي لأنها عرقلت عملياتهم العسكرية كل هذه المدة. وباستئناف القتال في بورسعيد على أثر فشل هذه المحاولة لوقف إطلاق النار إنتهت المرحلة الثانية من عملية (موسكتير) وهي مرحلة انزال المظليين ولم تحقق شيئاً بعد أن عجزت عن احتلال بورسعيد بواسطة خدعة المفاوضات. وقبل أن أوجز كيفية سير عمليات المرحلة الثالثة من القتال وهي مرحلة نزول القوات البرية في

سواحل مدينة بورسعيد صباح يوم ٦ تشرين ثاني. يحسن أن أصف هنا كيفية التدخل السوفياتي الذي حدث قبل وصول القوات الغازية إلى شواطئ بورسعيد وما تبع ذلك من اجراءات دولية وعلى صعيد الأمم المتحدة لتطويق الأزمة ثم أصف مهزلة ادعاء ايدن الذي ما زال يصير حتى بهذه المرحلة المتأخرة على أنه إنما يرسل القوات البريطانية والفرنسية للفصل بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية.

أولاً : في مساء يوم الاثنين ٥ تشرين ثاني وهي نفس الليلة التي كان فيها قائد القوات المظلية البريطانية يتفاوض مع الحاكم العسكري المصري في بورسعيد للاتفاق على وقف اطلاق النار. قام وزير الخارجية السوفياتي بتسليم مذكرة انذار من الماريشال بولغانين إلى السفير البريطاني في موسكو السير ويليام هايتر (Sir William Hayter) لينقلها بدوره إلى المستر ايدن حالاً. وبنفس الوقت أبلغت وزارة الخارجية الروسية هذه المذكرة إلى سفيرها في لندن لنفس الغرض. كما تم اعلان هذا الانذار فوراً في مؤتمر صحفي عقد في موسكو بصفة مستعجلة لهذه الغاية ونقلته معظم الاذاعات وأولها اذاعة صوت العرب وفيما يلي ترجمة هذا الإنذار الروسي الشهير الذي لعب دوراً أساسياً في إنهاء الاعتداء على مصر.

«إن حكومة الاتحاد السوفياتي تجد أنه من الضروري لفت الانتباه إلى الحرب العدوانية التي تشنها بريطانيا وفرنسا ضد مصر والتي تنطوي على أشد المخاطر على قضية السلام. فيأي موقف ستجد بريطانيا نفسها لو أنها هي التي كانت قد تعرضت لهجوم من دول أعظم منها قوة تمتلك كافة أنواع أسلحة الدمار الحديثة. وهناك الآن بلدان ليست مضطرة أن ترسل اسطولاً أو قوات جوية إلى سواحل بريطانيا لأنها تملك وسائل أخرى مثل الصواريخ. نحن مصممون تصميمًا كاملاً على سحق المعتدين واستعادة السلام إلى الشرق الأوسط بواسطة استعمال القوة. ونحن نأمل بهذه اللحظة الحرجة بأن تستعملوا الحكمة وأن تستخلصوا الاستنتاجات المناسبة من هذا؟؟»

وهكذا فقد وضع هذا الانذار العالم على أبواب حرب عالمية ثالثة. حيث في صباح اليوم التالي أعلن الرئيس آيزنهاور رفضه التام لإنذار المارشال بولغانين واقترح بدل ذلك أن تقوم أمريكا وروسيا بالتعاون والتدخل سوية لايقاف الاقتتال. كما أوضح أن أي قصف بالصواريخ للمدن البريطانية والفرنسية سوف يقابل برد صاروخي أمريكي مدمر. وبنفس الوقت أصدر الجنرال غرونثر (Gruenther) القائد

لحلف شمال الأطلسي تحذيراً موجهاً للقوات السوفياتية. كما اتخذت وزارة
ع الأمريكية إجراءات مستعجلة للطوارئ. وبدأت حاملات الطائرات والقطع
ة الأمريكية بالتحرك نحو البحر الأبيض المتوسط.

أخذت الدولتان العظميان تقتربان تدريجياً نحو الصدام المسلح. وبالساعة
رة من صباح يوم ٦ تشرين ثاني أصدرت الحكومة السويسرية رسالة
جلة إلى جميع الدول الكبرى تطلب منها عقد اجتماع طارئ لانقاذ العالم من
لحرب العالمية الثالثة التي أصبح شبحها يهدد البشرية. وأشارت الرسالة إلى
لام يمكن انقاذه ويجب انقاذه.

٢ تشرين ثاني صدر قرار مجلس الأمن الدولي بوقف اطلاق النار ووافقت
مصر بنفس اليوم كما وافقت عليه اسرائيل بتاريخ ٤ تشرين ثاني. فلو كانت
يا وفرنسا تقصدان فعلاً من غزوتهما التدخل للفصل بين القوات المتحاربة
هي مصر واسرائيل قد توقفتا عن القتال استجابة لقرار مجلس الأمن. وما
بهذا الوقت لم تكن القوات المظلية قد هبطت في بورسعيد فلماذا لم يتم
جي موليه بايقاف هذه الحملة قبل وصولها لو كان ادعاؤهما هذا صحيحاً.
بتضح من هذا التصرف أنهما لم يقصدا من هذه الحرب التي قاما بشنها
طريقة التآمرية سوى ضرب نظام جمال عبد الناصر ولا هدف لهما من
سوى هذا الهدف.

على ضلوع ايدن وجي موليه مع اسرائيل بهذه المؤامرة أنه حتى في هذه
رة بعد أن وافقت اسرائيل على وقف اطلاق النار رسمياً بتاريخ ٤ تشرين
المزيد من الوقت لكي يتاح للقوات البريطانية والفرنسية الوصول إلى
عادت اسرائيل فوجهت رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة صباح يوم ٥
تتضمن خمسة سؤالات تطلب الإيضاحات عنها وفيما يلي ترجمتها:

د موافقة مؤكدة من الحكومة المصرية على وقف اطلاق النار حيث أن جواب
ة المصرية المشار إليه في برقية الأمين العام غامض ولا يؤكد هذه المسألة لا
أن القوات المصرية لا تزال تطلق النار وهجمات الفدائيين مستمرة أيضاً.
مة مع القوات المصرية في الليلة الماضية قتل أربعة فدائيين وتم أسر اثنين.

ال مصر ملتزمة بموقفها الذي أعلنته والتزمت به طيلة السنين الماضية
شير إلى أن مصر في حالة حرب مع اسرائيل.

٣ - هل مصر مستعدة للدخول حالاً بمفاوضات مع اسرائيل بقصد التوصل إلى السلام بينهما بحسب ما ورد بالذاكرة المؤرخة في ٤ تشرين ثانى ١٩٥٦ م التي رفعتها اسرائيل إلى رئيس الدورة الخاصة للجمعية العمومية.

٤ - هل توافق مصر على إنهاء المقاطعة الاقتصادية ضد اسرائيل وعلى رفع الحصار البحري ضد السفن الاسرائيلية عبر القناة.

٥ - هل تلتزم مصر باستدعاء مجموعات الفدائيين التي تقع تحت سيطرتها من البلدان العربية الأخرى.

ومن مطالعة هذه السؤالات يتضح أنها ليست سوى استفسارات عن أمور ليس هذا مجال بحثها ولا معنى لها سوى أنها جاءت لكسب المزيد من الوقت وإعطاء الانطباع بأن الأطراف المعنية لا تزال غير موافقة نهائياً على وقف إطلاق النار. وبالتالي فإن القوات البريطانية والفرنسية التي بدأت بنفس الوقت بالنزول في منطقة بورسعيد قد نزلت فعلاً للفصل بين القوات المتحاربة وهذا هو الانطباع الذي اتخذته (ايدن) ذريعة واستند عليه للاستمرار بعمليات الغزو للأراضي المصرية كما خطط لها. متحدياً بذلك الرأي العام العالمي ومعظم دول العالم التي كانت مستهجنة هذا التصرف ومنددة بهذه الحرب التي أسماها بعضهم (الحرب القذرة) هذا وقد نزلت قوات المظليين في الصباح الباكر يوم ٥ تشرين ثانى كما أسلفنا وأثناء اشتباكها مع القوات المصرية في بورسعيد وبورفؤاد أخذت أقسام منها تتقدم جنوباً نحو الإسماعيلية تمهيداً لاحتلالها عند وصول قوات الغزو الرئيسية. ثم جاءت محاولة المفاوضات لانتهاء القتال في بورسعيد ومن ثم فشلها بعد تدخل الرئيس جمال عبد الناصر كما شرحت سابقاً. وبنفس الليلة صدر الانذار السوفياتى الذي تم ابلاغه إلى المستر ايدن ورغم كل هذا فإنه لم يوقف عملية الغزو .

وفي صباح يوم ٦ تشرين ثانى بدأت عملية الانزال في بورسعيد وكانت الموجة الأولى تتألف من كتيبتين من (كوماندو) البحرية نزلتا على جانبي منطقة (الكازينو) لتأمين منطقة انزال الدبابات والمدفعية وباقي وحدات قوة الغزو. وقد سبق هذه العملية قصف شديد من مدفعية البوارج الحربية والطائرات بشكل لم يعرف له مثيل سوى في معارك الحرب العالمية الثانية. وخلال هذه الفترة وقع معظم الدمار في مدينة بورسعيد حيث دمرت أحياء بكاملها وقتل الآلاف من السكان المدنيين خلال ساعات ذلك اليوم الذي دارت فيه المعارك العنيفة بين حامية بورسعيد والمسلحين من سكانها وبين قوات العدو المتقدمة لاحتلال مدينتهم واستمر القتال في الشوارع والمنازل. ولكن القوات الغازية تمكنت في النهاية من احتلال المدينة

بكاملها. وبهذه الاثناء أعلن الاتحاد السوفياتي بأنه سوف يسمح للمتطوعين السوفيات بالسفر إلى مصر للاشتراك في القتال ضد القوات المعتدية وقد بدأت الأعداد الكبيرة من هؤلاء المتطوعين تتجمع في القواعد الجوية تمهيداً لنقلهم إلى مصر. وبنفس الوقت أخذ الخلاف بين بريطانيا وأمريكا يظهر علناً ويشتد بسبب عملية الإنزال هذه. كما بدأ ايدن يشعر أنه على الرغم من اعلان الرئيس آيزنهاور عن رفضه لإنذار بولغانين واستعداده للدفاع عن بريطانيا وفرنسا في حالة تعرضهما للخطر. إلا أنه لا يستطيع أن يضمن دعم الرئيس آيزنهاور له على جميع سياساته حول هذه الحرب.

ورغم كل ذلك فإن ايدن ما زال يصر على أنه أرسل هذه الجيوش لغزو مصر بقصد الفصل بين القوات المتحاربة الإسرائيلية والمصرية مع أن تلك القوات قد توقفت عن القتال منذ أربعة أيام. وهل هناك دليل أكبر من هذا على أن هدف المعتدين البريطانيين والفرنسيين كان محاولة اسقاط عبد الناصر لا لشخصه فحسب بل لأنه أصبح رمزاً لدعوة الوحدة العربية التي نادى بها وما زال مصرأ على تحقيقهما مهما كلفه الثمن.

كما أن ايدن ما زال مصرأ على الاستمرار بالقتال والتقدم من بورسعيد جنوباً حتى السويس لكي يحتل منطقة القناة بكاملها لولا أنه وصل إلى موقف أصبح فيه وحيداً تقريباً وذلك عندما أظهر عدد كبير من نواب حزبه المحافظين بأنهم سوف يصوتون ضد الحكومة إذا لم يعلن عن وقف اطلاق النار حالاً. وتحت وطأة هذه الضغوط السياسية والنفسية وقف ايدن مساء يوم ٦ تشرين ثانى في مجلس العموم وأبلغ المجلس أنه تسلم رسالة من السكرتير العام للأمم المتحدة يعلمه فيها بأن مصر واسرائيل قد وافقتا على وقف اطلاق النار. ولذلك فإنه قد أصدر تعليماته بوقف العمليات الحربية ضد مصر اعتباراً من منتصف ليلة ٧/٦ تشرين ثانى ١٩٥٦ م.

وبهذا الإعلان تعتبر المرحلة الثالثة والأخيرة من عملية (موسكتير) قد فشلت كذلك لأنها لم تحقق شيئاً من أهدافها التي وضعت لها. ولم تثمر سوى الدمار الذي أوقعته قوات الغزو في بورسعيد وباقي المدن المصرية وقواعدها الجوية ومراكزها الحيوية في مختلف أنحاء البلاد. والاعداد الهائلة من القتلى والجرحى من السكان المدنيين بما فيها الكثير من النساء والأطفال الذين سقطوا شهداء في مدينة بورسعيد وغيرها من المدن المصرية بالإضافة إلى الخسائر التي تكبدتها القوات المعتدية من القتل والجرحى.

وهذه نتائج لا يستطيع (ايدن) و(جي موليه) وزملاؤهما من السياسيين والوزراء والقادة العسكريين البريطانيين والفرنسيين الذين شنوا هذه الحرب القذرة أن يفتخروا بها.

ولكن على الرغم من هذا الفشل الذريع الذي منيت به هذه الحملة العدوانية الظالمة والموقف الفاضح لسياسية ايدن والانتقادات القاسية التي كان يتعرض لها من قبل نواب المعارضة من حزب العمال في مجلس العموم البريطاني إلا أنه ظل يتلكأ في مسألة انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من منطقة القناة الذي تقرر من قبل هيئة الأمم المتحدة واستمر بمحاولاته لتأخير هذا الانسحاب بوضع بعض الشروط التي يطلب تحقيقها قبل تنفيذه حيث أعلن أن القوات البريطانية والفرنسية سوف تسلم مواقعها إلى قوات الطوارئ الدولية فقط عندما يقتنعوا بأن القوات الدولية أصبحت فعالة وكافية للقيام بهذه المهمة. كما أن القوات البريطانية والفرنسية لن تنسحب نهائياً إلا بعد إزالة العوائق من القناة وفتحها للملاحة الدولية وبعد قبول مصر بوضع القناة تحت إشراف دولي وبعد التوصل لعقد معاهدة سلام بين العرب وإسرائيل. ولم يكن من المعقول أو المقبول الموافقة على شروط ايدن هذه من قبل أي من الجهات المعنية العربية والدولية وخصوصاً مجلس الأمن والجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة أولاً والدولتين العظميين روسيا وأمريكا ثانياً، وعلى أثر هذا الموقف الذي اتخذته ايدن وأصر عليه أعلنت أمريكا أنها لن تقدم لبريطانيا أي دعم بالدولار حتى تعلن عن قبولها بقرار هيئة الأمم المتحدة بلا قيد أو شرط وتسحب جنودها من منطقة القناة بأقصى سرعة. ورغم هذا فقد أصر ايدن على موقفه بضعة أيام أخرى. ولكنه أجبر أخيراً على الرضوخ للأمر الواقع من قبل مجلس وزرائه بتاريخ ١٩ تشرين ثاني حيث اتخذوا قراراً بتنفيذ رغبة أمريكا لأن قيمة الجنيه الاسترليني تدهورت بسرعة إلى مستويات غير معقولة.

وبهذه الاثناء كانت صحة انتوني ايدن قد تدهورت تحت وطأة الأحداث وسافر إلى جمايكا باجازة للراحة والاستجمام. وبسفره هذا انطلق المارد من عقاله وهبت موجة عاصفة من الانتقادات ضده من مختلف الأوساط السياسية البريطانية حتى من بعض أعوانه. وعلى الرغم من هذه التطورات فقد حاول مجلس الوزراء البريطاني التلصق في سحب القوات التي أصبحت معزولة في مدينة بورسعيد بغير هدف واضح. وأخذت الحكومة البريطانية تحاول انقاذ ما يمكن انقاذه وأن تستخلص من أمريكا أية تنازلات مهما كانت ضئيلة تستطيع فيها مواجهة حزب المعارضة لتنقذ ماء وجهها بدون جدوى. وبتاريخ ٢٤ تشرين ثاني اتخذت الجمعية العامة قراراً آخر بأغلبية ساحقة تطلب فيه سحب القوات البريطانية والفرنسية حالاً من منطقة القناة. وقد صوتت أمريكا ضد بريطانيا بهذا القرار وهو أمر لم يسبق له مثيل ويعتبر في غاية الخطورة وبهذا فقد حانت ساعة الحسم ولم يبق أمام بريطانيا أي مجال للتأخير أو المماطلة. وفي يوم الاثنين ٣ كانون أول وقف المستر (سلوين لويدي) في مجلس العموم ليعلن أن قوات الحلفاء سوف تنسحب من مصر فوراً.

وهكذا أسدل الستار على هذه المسرحية المأساوية الإجرامية التي كان الممثلين الرئيسيين فيها هما الدولتين الكبيرتين اللتين كانتا تمثلان مع أمريكا مجموعة الدول الملتزمة بالتصريح الثلاثي الذي وقعوا عليها عام ١٩٥٠ م. والذي التزموا بموجبه بالمحافظة على الحدود الراهنة لدول المنطقة وضمان سيادتها واستقلالها والحفاظ على السلام في منطقة الشرق الأوسط سواء كان ذلك ضمن نطاق هيئة الأمم المتحدة أو خارجه. وسواء كانت اسرائيل هي المعتدية أو الدول العربية. ولو أن بريطانيا وفرنسا سلكتا السلوك الذي يليق بالدول التي تحافظ على التزاماتها الدولية. وبدلاً من حشد جيوشهما ضد مصر التي لم تكن أصلاً هي المعتدية قامتا بالاتصال مع شريكهما الثالث بالتصريح وهو أمريكا لتنفيذ الالتزامات التي يفرضها عليهم التصريح الثلاثي لما وقعت هذه الحرب. ولكن بريطانيا وفرنسا قامتا بسمعتهم الدولية وانجرفتا وراء الحقد الأسود الذي كان يكنه رئيسا حكومتيهما لعبد الناصر شخصياً وشجعتا اسرائيل على الهجوم على مصر تحت اسناد المظلة الجوية الفرنسية وبحمائية أساطيلهما في البحر الأبيض المتوسط ثم تبعتهما جيوشهما المتحالفة بغزو أرض مصر لاحتلال قناة السويس بهذا الشكل المشين الذي لم ينتج عنه إلا الخسائر الكبرى لجميع الأطراف بلا طائل وبلا هدف معقول سوى أن ايدن يريد العودة بالاستعمار إلى مصر.

وبانتهاء هذه المأساة انتهت الحياة العملية السياسية للمستمر ايدن حيث ما لبث أن قدم استقالته تحت ضغط زملائه بالحزب والحكومة وانزوى في الظل ليقضي بقية حياته معزولاً يجتر مرارة الهزيمة التي جرّها على بلده وعلى نفسه. ثم خلفه في منصب رئيس الوزراء السيد مكميلان الذي كان وزيراً للخزانة في حكومة ايدن. وكما انتهى ايدن بسبب حرب السويس كذلك انتهى (جي موليه) رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيته وبقيّة زملائهما بتغيير الحكومة الفرنسية بكاملها.

وقد كانت اسرائيل هي الرابع الوحيد نسبياً من هذه الحرب على حساب سمعة بريطانيا وفرنسا ومصداقيتهما. وساحاول تفنيد الخسائر التي لحقت بجميع أطراف النزاع بالخلاصة التالية:

الخلاصة:

استناداً لما تقدم احب أن اوجز هنا الأسباب الرئيسية لهذه الحرب التي يمكن أن نسميها بحق (حرب ايدن) وأبين خلاصة الأضرار التي لحقت بجميع المشتركين فيها على جميع الأصعدة السياسية والعسكرية والمعنوية والمادية.

وبنظرة متفحصة لواقع الأحوال في منطقة الشرق الأوسط يتبين بوضوح أن السبب الظاهر لهذه الحرب كان قيام الولايات المتحدة وتبعتها بريطانيا والبنك الدولي بالغاء مساهمتهم في تمويل السد العالي. الأمر الذي دفع الرئيس جمال عبد الناصر لإعلان تأميم قناة السويس لتوفير التمويل اللازم لهذا المشروع الحيوي الذي تعتمد عليه حياة الشعب المصري لأجيال قادمة. ومن ثم أخذ (ايدن) يحيك المؤامرة المشهورة مع فرنسا واسرائيل بهدف القضاء على جمال عبد الناصر كما كان يتصور. ولكن هل هذه هي كل الأسباب الأساسية التي أدت إلى اشعال نار هذه الحرب الاستعمارية الغاشمة. لا أظن ذلك بل إنى أرى أن هنالك أسباباً أخرى هامة وخطيرة ربما تجاهلها معظم الذين كتبوا تاريخ هذه الحرب وأوجزها بما يلي.

١ - القومية العربية :

مع ظهور زعامة جمال عبد الناصر بعد الثورة المصرية وتبنيه الدعوة للوحدة العربية مهما كلفه الثمن ومهما بلغت التضحيات، أخذ زخم حركة القومية العربية يندفع بقوة هائلة ويعم جميع الأقطار العربية. ولما كان من أهم انجازات تلك الثورة نجاحها في إجلاء بريطانيا عن قواعدها في قناة السويس ومن ثم التصدي بزعامة جمال عبد الناصر لجميع مخططات الأتحاف الاستعمارية التي أخذت بريطانيا تبتدعها لكي تسترد بواسطتها ما خسرت من قواعد استراتيجية في المنطقة والتي كان آخرها وربما أهمها حلف بغداد والذي تصدى له جمال عبد الناصر بكل ثقله وكان السبب الرئيسي بافشاله. ولذلك فقد وجد الاستعمار في حركة القومية العربية خطراً مباشراً على جميع مخططاته ومصالحه في البلاد العربية من المحيط إلى الخليج. وبما أن جمال عبد الناصر أصبح ينظر إليه كرمز لكفاح هذه الأمة من أجل تحقيق وحدتها فلا بد لدول الاستعمار وعلى رأسها بريطانيا من القضاء عليه لمحاولة إيقاف زحف حركة القومية العربية والإجهاز عليها في مهدها فيقضوا بذلك على آمال شعوبها لأجيال طويلة. أو هكذا كانوا يأملون.

٢ - الخطر الفلسطيني :

بنتيجة خلق كيان اسرائيلي على أرض فلسطين واقتلاع سكانها العرب من ديارهم وتشريدهم أصبح ما يزيد عن مليون عربي فلسطيني يعيشون لاجئين في المخيمات المنتشرة في مختلف الأقطار العربية بعد أن فقدوا جميع ممتلكاتهم ووسائل معيشتهم وتحولوا قسراً إلى مجتمع ناقم ثائر يتحين الفرص للانتقام ممن تسببوا في تشريده وسلبه وطنه ودياره.

فأصبح هذا المجتمع يمثل قنبلة موقوتة ستدمر كل شيء حولها عندما يحين وقت انفجارها، ولنتذكر هنا أننا نكتب عن هذه الظاهرة في سنة ١٩٥٦ م. أي بعد ثمانية سنوات فقط من وقوع كارثة فلسطين الأولى. ونحن نعرف الآن أن هذه المأساة قد تضاعفت حجماً وخطراً أضعافاً كثيرة منذ ذلك التاريخ. لكنها كانت حينذاك من أهم العوامل المؤثرة في المنطقة التي جعلتها مهية للإنفجار بأي وقت تتوفر فيه الأسباب. مما يشكل خطراً مستقبلياً ماثلاً أبداً لتهديد كيان إسرائيل. وبالتالي فإن الدول الاستعمارية يهملها أن تمنع تعاظم هذا الخطر بضرب أية امكانية لتزويده بأسباب المنعة عن طريق الدول العربية التقدمية بالمستقبل المنظور.

٣ - خطر التسلح العربي :

إن وجود إسرائيل في قلب الوطن العربي وتعاظم قواتها المسلحة باستمرار يشكل بحد ذاته خطراً دائماً يهدد الأقطار العربية جميعها بلا استثناء. لا سيما وأن إسرائيل أخذت تضاعف عدد سكانها عن طريق التسارع باستقدام مئات الآلاف من المهاجرين اليهود من مختلف أقطار العالم. مما سوف يعني بالضرورة أن الرقعة التي تحتلها إسرائيل من فلسطين سوف تضيق بها ولن يبقى أمامها سوى التوسع على حساب البلدان العربية المجاورة. وهذا يعني وقوع الحرب لا محالة إن عاجلاً أم آجلاً. وأمام هذا الواقع ليس لدى البلدان العربية أي خيار سوى الاستعداد لهذه المواجهة المنتظرة بتسليح جيوشها وتجهيزها بالأسلحة الحديثة التي تضاهي ما لدى إسرائيل كمّاً ونوعاً. ولكي تكون قادرة على خوض حرب ناجحة بهذه الجيوش ضد إسرائيل يتحتم على الدول العربية أن تتحد فيما بينها بتنظيم مناسب يضمن تجميع قدراتها الاقتصادية والمادية والبشرية في جهد واحد منظم تحت تصرف قيادة واحدة تدير معركتها المصيرية مع العدو ما دامت الأنظمة العربية غير قادرة على تحقيق وحدتها الشاملة وهذا أضعف الإيمان. ولما كان الاستعمار الغربي ممثلاً ببريطانيا وفرنسا وأمريكا قد أخذ على عاتقه حماية إسرائيل وتقويتها باستمرار لتحمي مصالحه في هذه الرقعة من العالم فإنه يعتبر أن أي تسلح للعالم العربي يشكل خطراً على إسرائيل ولذلك فإنه أخذ على عاتقه إزالة هذا الخطر باستمرار وذلك بمنع وصول أي نوع من الأسلحة الحديثة المهمة لأي جيش عربي من أي مصدر وإجهاض أي محاولة للوحدة بين قطرين أو أكثر من الأقطار العربية بأي وسيلة بما فيها استعمال القوة المسلحة. وهنا أحب أن اذكر القارئ الكريم بأن هذا الكلام قيل عن أوضاعنا في عام ١٩٥٦ م وقه ثبت أنه ما زال ينطبق على حالنا حتى الآن وسيبقى كذلك في المستقبل.

وفي هذا الصدد نشير إلى أنه عندما فشلت جميع محاولات جمال عبد الناصر للحصول على الأسلحة الحديثة التي يريدها من أمريكا وبريطانيا اتجه إلى الاتحاد السوفياتي وعقد صفقة الأسلحة المشهورة باسم صفقة الأسلحة التشيكية لأنها زودت له عن طريق تشيكوسلوفاكيا. ثم بعد ذلك تبعته سوريا وحصلت على كميات من الأسلحة الشرقية حسب حاجتها. وقد ساهمت صفقات الأسلحة هذه في خلق موجة جديدة من نفقة الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا على جمال عبد الناصر لأنه تسبب بإدخال الأسلحة الشيوعية إلى منطقة الشرق الأوسط لأنهم لا يريدون أن تبقى الدول العربية متخلفة علمياً واقتصادياً فحسب بل يريدونها أن تبقى عزلاء من السلاح كذلك لكي تبقى لقمة سائغة لإسرائيل والاستعمار ليلبتلعوها متى شاءوا، وهذا حافز آخر يحفزهم على التصميم لازاحة عبد الناصر من الطريق والحيلولة دون تسليح البلاد العربية بشكل يهدد إسرائيل يوماً ما.

٤ - النفط :

من المعروف أن بريطانيا ومعظم بلدان أوروبا تعتمد اعتماداً رئيسياً على النفط العربي سواء كان لتشغيل مصانعها أو لاستعمالاتها العسكرية والمنزلية وخلافها. كما أنه من المعروف أيضاً أن الفوائد التي تجنيها البلاد العربية التي يستخرج هذا النفط من أراضيها لا تتعدى نسبة ضئيلة مما تحصل عليه تلك الدول الأوروبية وأمريكا التي تستغله. ولا يعقل أن تبقى الشعوب العربية مغمضة العين عن هذه الحقائق سواء كانت من البلدان التي لديها النفط أو تلك البلدان العربية الأخرى التي رغم أنها لا تملك النفط لكنها بحسب منطق الأشياء تعتبر أن من حقها أن تستثمر عائدات هذا النفط في أراضيها. وبالتالي فإنها جميعاً لا تستطيع أن تبقى إلى مالا نهاية صامته وهي ترى النفط العربي يسهم بشكل رئيسي في رفع مستوى معيشة الشعوب الأوروبية ويضاعف ثروات أصحاب الملايين في أمريكا وأوروبا دون أن تحصل هذه الشعوب العربية نفسها على حصة عادلة من عائدات هذا النفط العربي الذي ينبع من أرض العرب.

ولما كان معظم هذا النفط يمر إلى أوروبا عبر قناة السويس أو بواسطة الأنابيب عبر سوريا والأردن فإن بريطانيا لم تكن مستعدة أن تفهم أن الطريق الوحيد لضمان سلامة مرور هذا النفط هو طريق التفاهم مع الشعوب العربية وتحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية لها وضمان حقوقها المشروعة في بلادها ولكنها على العكس من ذلك أصرت على أنها يجب أن تحمي هذا النفط بقوة السلاح وباخضاع الشعوب العربية بالقنابل والصواريخ.

وقد أثبتت الأحداث أن فلسفة أيدين باستعمال القبضة الحديدية لم تجلب له سوى الفشل والدمار. وخلال أسبوع واحد من الحرب اغلقت القناة ونسفت أنابيب النفط ودمر اقتصاد بريطانيا وخسر أيدين وظيفته. وما أشبه اليوم بالأمس فما هي حرب الخليج أكدت نفس النظرية.

٥ - ثورة الجزائر :

كان الشعب الجزائري البطل منذ سنين يقارع الاستعمار الفرنسي ويتكبد ألوف الضحايا دفاعاً عن وطنه واستقلاله وحرية. وقد كان من الطبيعي أن يكون جمال عبد الناصر في الطليعة في دعم هذه الثورة الوطنية العتيدة ومدّها بالسلاح والعتاد وجميع الامكانيات التي يستطيع تقديمها. ولذلك فقد أصبح في نظر الحكومة الفرنسية الهدف الأول الذي يجب القضاء عليه لكي تستطيع حسب رأيها كسب الحرب في الجزائر. وقد نسيت فرنسا جميع تجاربها الماضية مع مختلف شعوب العالم التي استعمرتها والتي ثارت عليها وقتلتها وطردتها من بلادها، ولم ترد فرنسا أن تفهم أن ثورة الجزائر هي ثورة الشعب الجزائري وأنها لا تستطيع قمع هذا الشعب الحر بقوة السلاح إلى الأبد وأنها لا تستطيع أن تقمع هذه الثورة حتى لو زال عبد الناصر من الوجود وحتى لو زال معه عشرات القادة لأن الشعب الجزائري لن يزول وسيبقى يقارعها السنين الطوال حتى يحقق أهدافه القومية ويطرد المستعمرين ويسترد حريته بسواعد ابنائه وتضحياتهم. وقد أثبتت الايام هذه الحقيقة وطردت فرنسا من الجزائر وانهار جيوش الاستعمار المسلح أمام إرادة الشعب الجزائري البطل وتصميمه وإصراره على استرداد حريته وتحقيق استقلاله. ولكن فرنسا (جي موليه) وطغمته كانت تضع ثورة الجزائر في مقدمة الأسباب التي حفزتها على الاشتراك في حرب العدوان الثلاثي على مصر للقضاء على جمال عبد الناصر لتتمكن بعد ذلك من قمع هذه الثورة المجيدة. وقد خاب ظن (جي موليه) وأشياعه وسحقته حماقتهم ومجازفتهم الفاشلة أمام تصميم وتضحيات شعب الجزائر .

٦ - عقدة الاستعمار :

رغم تطور العالم وتقدم العلم والحضارة الانسانية وما تمخضت عنه سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية من زوال عهد الاستعمار وما نتج عن هذا التحول الهائل من تطور في علاقات الدول وما اسفر عنه من نيل معظم شعوب العالم التي رزحت تحت نير الاستعمار أجيالاً طويلة استقلالها. ورغم الكثير من الأمثلة العملية في مختلف بقاع الأرض التي اثبتت

ان الاستعمار لا يستطيع الاستمرار في فرض ارادته على الشعوب بقوة السـ
وجود هيئة الأمم المتحدة التي جاءت في اعقاب دمار الحرب العالمية الشامل لكي تد
العالم عن طريق التفاوض والتفاهم ولتحفي الدول الصغيرة من جبروت وتعد
الكبرى ولتكون بمثابة صمام الامان للحيلولة دون تصادم الدول الكبرى وتضمن
وقوع حرب عالمية جديدة قد تكون فيها نهاية العالم .

وعن طريق التوسط في حل المشاكل التي تسبب الاحتكاك بين الدول تضمن بقـ
تجنب النزاعات المسلحة والحروب الموضعية وتسهم بذلك في تثبيت التعايش الـ
الأمم ويتحقق بذلك استمرار السلم العالمي. ورغم كل هذه الاحوال التي سا
ونجحت الى حد كبير في تلافي الصدام إلا أن بعض قادة الاستعمار من أمثال ا
موليه وغيرهما من الساسة البريطانيين والفرنسيين ما زال يسيطر عليهم الحنين
الذوالي عندما كانت بريطانيا العظمى وفرنسا تمليان شروطهما على شعوب الا
السلح. فوجدوا أنه من الصعب عليهم ان يصدقوا أن جيوشهم الجرارة بأسلحتهم
واساطيلها البحرية والجوية ستعجز عن اخضاع مصر وارغام عبد الناصر على
لارادتهم. وبسبب هذه العقدة النفسية وبسبب ما شعروا به من احباط على اثر
الناصر بتأميم القناة وتشغيلها بكفاءة أفضل مما كانت عليه سابقاً. وبنتيجة فـ
مخططات فرنسا واساليبها القمعية وبطشها الشرس لاختضاع شعب الجزائر الـ
وانهاء ثورته. اتفق ايدن وجي موليه على ان يتبعا طريق الحرب لحل مشكلتهما
عبد الناصر. متعاميان تماماً عن حقيقة انهما يقودان بلديهما الى متاهة رهيبة فـ
الشعوب والولوغ في دمائهما. واتخذ هذان الزعيمان قرارهما وهما يعلمان أن مـ
السويس قد وصلت الى نهايتها واصبح الاتفاق على حلها بالتفاوض وشيكا حـ
مصر على جميع النقاط التي طلبوها تقريباً وتقرر عقد الاجتماع الذي كان سيوصله
الحل النهائي في جنيف وتحدد موعده يوم ٢٩ تشرين اول. ولكن بدلاً من الـ
الاجتماع بدأوا بتنفيذ مؤامرتهم الثلاثية بهذا اليوم بالذات بقيام اسرائيل بالـ
المرحلة الاولى من العدوان بانزال قوة من المظليين في ممرات (متلا) في عمق سيناء.
كانت جميع هذه الحالات السابقة والمؤهله للتسبب في وقوع الانفجار موجودة
الشرق الاوسط وبانتظار من يشعل فتيلها لتحرق الاخضر واليابس بعد ذلك .

ولسوء حظ المستر ايدن هذا السياسي المخضرم صاحب التاريخ الحافل ،
وخصوصاً خلال الحرب العالمية الثانية ان يكون هو المحرك الرئيسي لهذه الحر،
التي حرقت اصابعه ويديه وكادت ان تحرق العالم معه .

هذه الحرب التي لم تثمر سوى الخسائر لجميع الاطراف المشتركة فيها. فلنوجز إذن
مجل هذه الخسائر التي لحقت بكل دولة فيما يلي :

مجل الخسائر :

أولاً : مصر

لقد كانت افدح خسارة منيت بها مصر هي فقدانها اجزاء عزيزه ومهمة من الوطن
العربي وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلي وهي قطاع غزه وسيناء بكاملها وما صاحب ذلك
من تدمير في المنشآت الحيوية والبنية الأساسية في تلك المناطق. وفوق هذا فقد سقط الألوف
من الشباب المصري والفلسطيني شهداء وجرحى في مختلف المعارك. كما وقع الوف غيرهم
في الأسر. بالإضافة الى الاعداد الهائلة من الشهداء والجرحى الذين سقطوا في مدينة بور
سعيد والمدن الاخرى بنتجة المعارك والغارات الجوية البريطانية والفرنسية عليها محدثة
دماراً هائلاً في ابنيها وخصوصاً مدينة بور سعيد التي دمرت معظم احيائها .

كما خسرت مصر معظم اسلحتها الحديثة المهمة. فقد دمرت الغارات الجوية البريطانية
الفرنسية أكثر من ثلاثة أرباع الطائرات القاذفة والمقاتلة المصرية في قواعدها واعطبت معظم
منشآت واجهزة هذه القواعد والمطارات. وبالإضافة لذلك فقد خسرت مصر اعداداً كبيرة من
الدبابات الحديثة والمدافع في سيناء واستولى الجيش الاسرائيلي على كميات ضخمة من أكذاس
الذخائر واللوازم الاخرى في مختلف المعسكرات. ولكن هل كسبت مصر شيئاً مقابل هذه
الخسائر والتضحيات ؟ والجواب نعم. لقد كسبت مصر ارادتها وحريتها في وجه الاستعمار
الشرس ودافعت عن كرامتها وكرامة امتها. كما كسبت مصر ومعها العالم العربي بأسره
تعاطف ودعم معظم دول العالم وخصوصاً بعض الدول العظمى. وقد اشرت سابقاً الى ان
تهديد الاتحاد السوفياتى لبريطانيا وتدخل امريكا قد ساهم الى حد كبير في ارغام بريطانيا
وفرنسا على سحب قواتهما من بور سعيد ومنطقة القناة .

كما ان تهديد الرئيس ايزنهاور كان عاملاً حاسماً في إجبار اسرائيل على سحب قواتها من
سيناء وقطاع غزه في وقت لاحق .

وبعكس ما قصده ايدن فقد خرج عبد الناصر من هذه الحرب الظالمه الزعيم الاقوى على
الساحة العربية والعالمية. وبدل ان ينجح ايدن باساطيله بتدمير عبد الناصر فقد نجح عبد
الناصر بايمانه بالله وبتفانيه في الدفاع عن وطنه وبإصراره على الثبات على مبادئه وقضية
امته بدحر قوى الاستعمار وازاحة ايدن وجي موليه واعوانهما عن الساحة السياسية في
بلديهما الى غير رجعه .

ثانياً : بريطانيا

إن أهم الأضرار التي لحقت ببريطانيا بنتيجة هذه الحرب هي خسائرها المعنوية بالدرجة الأولى. حيث خرجت من هذه الحرب موصومة بانها دولة معتدية ومتآمرة. وقد خسرت مصداقيتها بين دول العالم. كما خسرت معظم حلفائها واصدقائها وأصبحت ينظر اليها كدولة منبوذة لا يمكن الثقة بها .

وبالإضافة لهذا فقد خسرت مصالحها الحيوية في كافة الاقطار العربية وقد لا تستطيع استعادة موقعها الذي كان مؤثراً في هذه البلاد لمدة طويلة قادمة. أما من الناحية المادية فقد اصبح اقتصادها مشلولاً وشبه منهار واصبحت اسيرة لامريكا في هذا المجال لكي تستطيع انقاذ مركزها الاقتصادي الذي أوشك على الانهيار والاستمرار بالتعايش مع هذه الضائقة التي سببتها لنفسها. وليس هنا مجال الاحصائيات المالية لكن من المؤكد أن خسائر بريطانيا بنتيجة فقدانها جميع مستورداتها من نفط الشرق الأوسط بسبب اغلاق قناة السويس ونسف الانابيب ومحطات الضخ في سوريا تقدر بمئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية علاوة على الضائقة التي الزمتها بتقنين استهلاك النفط حتى على الصناعات الحيوية التي كانت دعامة اساسية في صادراتها. هذا بالإضافة الى الاموال الطائلة التي خسرتها بنتيجة تأمين البنوك والشركات البريطانية في مصر بسبب هذا العدوان .

ثالثاً : فرنسا

رغم أن فرنسا لم تكن تعباً كثيراً بالمصادقية والقيم ولا سيما في تعاملها مع الشعوب التي كانت تستعمرها. وأوضح مثال على ذلك تلك الوحشية التي كانت تعامل بها شعب الجزائر من قصف القرى والمدن بالطائرات وهدمها على رؤوس سكانها. إلى الفضائع التي كانت ترتكبها في سجونها مع المعتقلين وغير ذلك من المعاملات الهمجية. إلا أن موقفها السيء هذا ازداد سوءاً بعد هذه الحرب القذرة. وهي الأخرى أصبحت كبريطانيا ينظر لها في الأوساط العالمية كدولة متآمرة ومعتدية فقدت مصداقيتها ولا يمكن الثقة بها. والأهم من هذا أنها خسرت أي أمل كانت تعقده على هذه الحرب لاختضاع شعب الجزائر. فبعد هزيمتها مع شريكها بريطانيا في حرب السويس أصبحت أيامها في الجزائر معدودة. وتردت أحوال قواتها المقاتلة هناك حتى اضطر ديغول بعد توليه رئاسة الجمهورية إلى اعلان عزمه على الانسحاب من الجزائر والتفاوض مع قادة الثورة كما هو معروف.

وأما من الناحية المادية فقد خسرت هي الأخرى أموالاً طائلة بسبب قطع مواردها من

نقط الشرق الأوسط لمدة طويلة. كما خسرت ملايين كثيرة بنتيجة تأمين الشركات والمصالح الفرنسية في مصر.

رابعاً : اسرائيل

لم تخسر اسرائيل شيئاً يذكر في هذه الحرب مقارنة باطراف النزاع الأخرى. فخسائرها بالقتلى من جنودها ومعداتنا التي دمرت بالقتال لا تعتبر شيئاً يذكر إذا ما قورنت بخسائر مصر. وأسباب ذلك واضحة حيث لم يتح لمصر أن تقاتل اسرائيل وحدها. ولكن الفوائد التي حصلت عليها اسرائيل من هذا العدوان كانت ضخمة.

وفي الواقع فإن اسرائيل كانت هي المستفيد الوحيد بالنتيجة. وكأن بريطانيا وفرنسا قد خاضتا هذه الحرب لحسابها. وقد كانت أهم هذه الفوائد أنها ضمنت حرية الملاحة لسفنها عبر البحر الأحمر مروراً بمضائق ثيران حيث كان أحد شروطها للانسحاب من سيناء وضع هذه المنطقة تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة. صحيح أن اسرائيل أجبرت على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة بنتيجة الضغط الأمريكي بالدرجة الأولى ولكنها بمقابل ذلك ضمنت وجود قوات الطوارئ الدولية على طول حدودها مع سيناء لعدة سنين قادمة. وأما من الناحية المادية فلم تخسر اسرائيل سوى تكاليف جيشها خلال فترة التعبئة العامة التي لم تدم أكثر من شهرين.

ولكنها بالمقابل كسبت كميات هائلة من الأسلحة الحديثة التي حصلت عليها من فرنسا قبل نشوب الحرب وخصوصاً الطائرات المقاتلة والقاذفة المتطورة والدبابات وناقلات الجنود المدرعة وغيرها وكميات ضخمة من مختلف التجهيزات والاعتدة والذخائر. وبالإضافة لكل هذا فقد استولت في سيناء بنتيجة انسحاب القوات المصرية على كميات ضخمة من الأسلحة الحديثة ولا سيما الدبابات والمدافع وأكاداس الذخائر الضخمة التي يقدر ثمنها بمئات الملايين من الدولارات كسبتها كغنائم حرب.

ولهذا كله فإن اسرائيل تعتبر هي الرابع الوحيد من مؤامرة هذا العدوان الثلاثي.

الأحداث الهامة التي أعقبت هذه الحرب :

أود هنا أن أشير إلى الحوادث الهامة التي وقعت خلال السنوات التي تلت هذه الحرب دون التطرق إلى التفاصيل حيث سيرد ذكرها في كتاب مذكراتي عند نشره مستقبلاً إن شاء الله.

أولاً - بتاريخ ١٣ شباط ١٩٥٧ تم التوقيع رسمياً على محضر إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية وقد كنت عضواً في الوفد المفاوض.

ثانياً - بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٥٧م وقعت حوادث التمرد في معسكرات الزرقاء وقد اعتقل عدد من الضباط المشتركين فيها. ولجأ اللواء علي أبو نوار إلى سوريا وتبعه اللواء علي الحيارى. وبعدئذ تم تعيين اللواء حابس المجالي رئيساً للأركان وبقيت أنا مديراً لهيئة الأركان.

ثالثاً - بدأت المباحثات الرسمية في عمان بين جلالة الملك حسين و جلالة الملك فيصل لتأسيس الاتحاد بين العراق والأردن. وقد كنت عضواً في الوفد الأردني. وفي صباح يوم الجمعة ١٤ شباط ١٩٥٨م أعلن قيام الاتحاد العربي الهاشمي.

رابعاً - نتيجة الاتحاد تم الاتفاق على توحيد الجيشين العراقي والأردني بقيادة واحدة. وقد اتفق على اجراء التعيينات الآتية اعتباراً من ٩ حزيران ١٩٥٨م.

الفريق الركن رفيق عارف - قائداً عاماً لجيش الاتحاد.

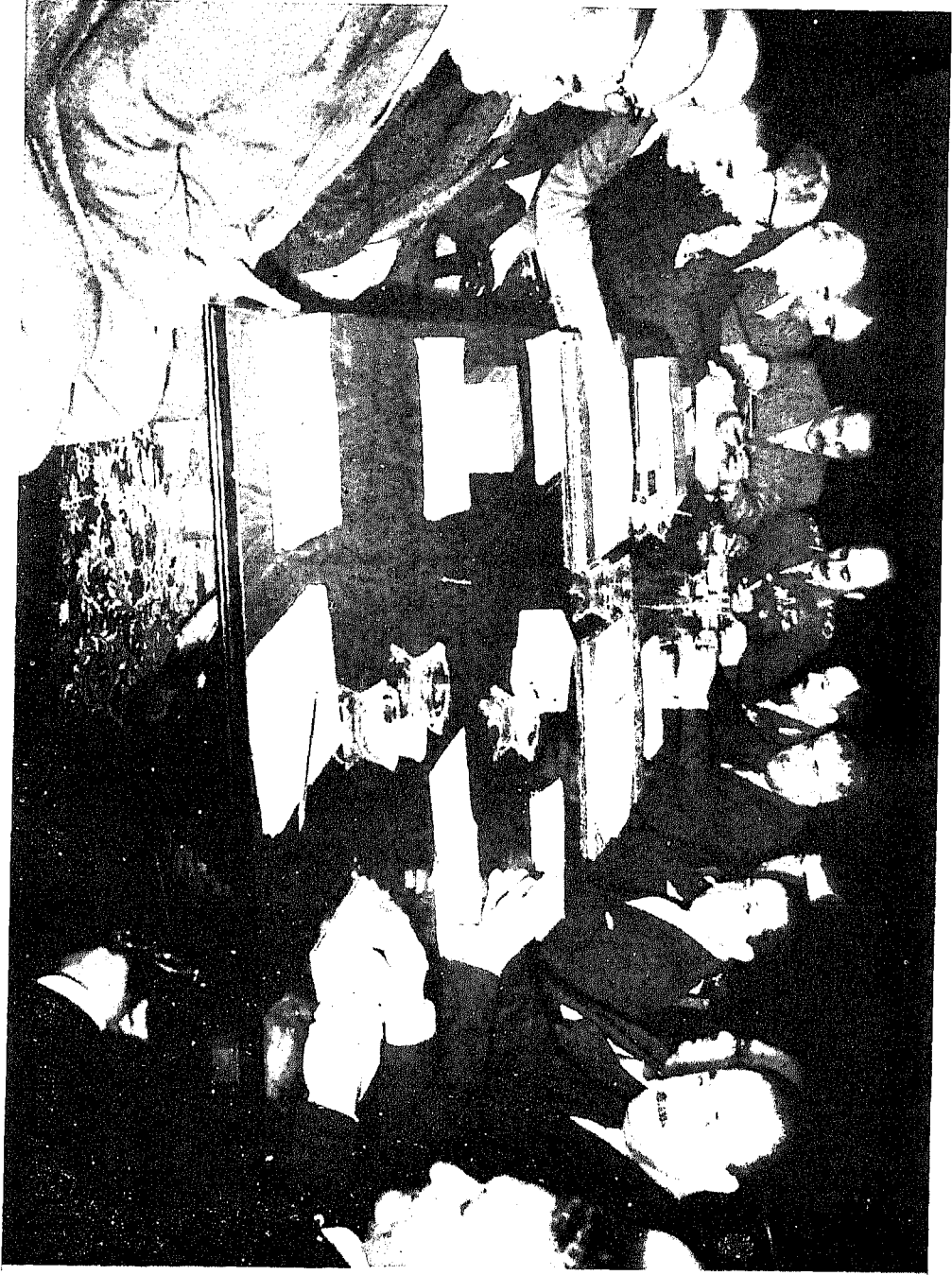
اللواء الركن صادق الشرع - نائباً للقائد العام لجيش الاتحاد.

الفريق حابس المجالي - قائداً للجبهة الغربية.

الزعيم الركن أحمد محمد محيي - مدير هيئة الأركان للجبهة الغربية.

خامساً- بتاريخ ١٤ تموز ١٩٥٨م وأثناء وجودي في بغداد وقع الانقلاب العسكري وإلغى الاتحاد وعدت إلى عملي السابق في الجيش العربي الأردني.

سادساً- بتاريخ ٢١ مايس ١٩٥٩م تم اعتقالى ومحاكمتي بتهمة محاولة القيام بانقلاب وحكم علي بالإعدام وأمضيت خمسة سنوات في السجن وخرجت بعدها وعملت في الكويت سبع سنوات. ومن هنا سأنقل إلى أحداث الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة عام ١٩٦٧م.



الاجتماع التاريخي الذي عقد في قصر بسمان العامر ليلة ويوم الجمعة بتاريخ ١٤/٢/١٩٥٨م لوضع أسس الاتحاد العربي بين المملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العراقية.



المؤلف يقف بجانب جلالة الملك حسين و جلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق - أخذت في يوم الأحد الموافق ١٢/٤/١٩٥٨ بمناسبة عيد الاستقلال. جرى الاستعراض في (خو) شرق مدينة الزرقاء واشترك فيه قطعات اللواء العراقي الذي كان معسكراً في المفرق بعد قيام الاتحاد العربي الهاشمي .



بعد توقيع الاتحاد العربي الهاشمي وتعيني نائباً للقائد العام لجيش الاتحاد سنة ١٩٥٨ ويظهر معنا في الصورة اللواء خليل جميل والعقيد تاجي طالب والعقيد شكري محمود نديم من الجيش العراقي .



مع الفريق رفيق عارف والوفد العراقي أثناء زيارتنا الى الخطوط الامامية سنة ١٩٥٨ بعد قيام الاتحاد الهاشمي وتعييني نائباً للقائد العام لجيش الاتحاد وهذا الموقع في جبل الزيتون في القدس .



المؤلف مع جلالة الملك حسين و جلالة الملك سعود بن عبد العزيز في معسكر المفرق عندما زارا اللواء السعودي المرابط في الاردن سنة ١٩٥٨ م .



مع جلالة الملك حسين في حفلة تخريج دورة المرشحين سنة ١٩٥٧م عندما كنت مدير هيئة الاركان للجيش العربي .



اثناء زيارتي الى جزيرة كيموي وهي موقع الدفاع الرئيسي التابع الى جزيرة فرموزا في سنة ١٩٥٨ ويرافقني قائد الفرقة الصينية المدافعة عنها .

الفصل السادس

مطالعات عن الحرب العربية - الاسرائيلية

الثالثة عام ١٩٦٧م

المقدمة :

على الرغم من أنى لم أشارك عملياً بهذه الحرب كسابقاتها فإن صلتى بها كانت مستمرة عن طريق مطالعاتى ومتابعاتى للتطورات العالمية والتحركات والأحداث التي أدت بالنهاية إلى وقوعها. وبالتالي فإن علاقتى بهذه الحرب هي علاقة غير مباشرة ولها أسباب ومنطلقات أوجزها بما يلي:

أولاً - لأنى قمت بدور رئيسي في تصميم الخطط الدفاعية عن الضفة الغربية قبل وبعد حرب العدوان الثلاثي. وكانت هذه الخطط تعتمد بدرجة أساسية على القوات الأردنية بمراحلها الأولى ومن ثم باشتراك القوات العربية وخصوصاً الجيش السوري وسلاح الجو المصري (عندما كنا جزءاً من القيادة العربية المشتركة) والجيش العراقي بمرحلة لاحقة وذلك بصفتي مدير هيئة الأركان للجيش العربي الأردني خلال النصف الثاني من عقد الخمسينات.

ثانياً - إن اسرائيل بدأت بالتخطيط لهذه الحرب كما اعتقد منذ انتهاء حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م والتي لم تستطع بنتيجتها أن تحتفظ بما احتلته من الأراضي المصرية وقطاع غزة. كما أنها لم تتمكن من احتلال الضفة الغربية كما كانت ترغب بسبب الضغط الأمريكي عليها وعلى بريطانيا الذي كان مرجعه بدرجة أساسية تلك المؤامرة التي اشتركت فيها الدول الثلاثة التي نفذت تلك الحرب.

ثالثاً - لقد تابعت أحداث هذه الحرب التي نحن بصدها منذ بدايتها عبر وسائل الاعلام وقرأت الكثير من التشرارات والتقارير التي كانت تنشر في حينها كما قرأت عدة مراجع عن تفصيلات معاركها ومنها مراجع أمريكية واسرائيلية كما اطلعت على الكثير من التفاصيل الدقيقة من بعض المصادر حول الدعم الأمريكي لاسرائيل لتمكينها من تحقيق النصر السريع على الجيوش العربية مجتمعة.

لكل هذه الأسباب أرى أنه يتحتم علي من قبيل الوفاء للتاريخ أن أسجل معلوماتي وتعليقاتي على مجريات هذه الحرب التي اعتقد أنها انتهت قبل أن تبدأ كما ساشرح ذلك في مكان لاحق معتمداً على معلوماتي التي جمعتها وذهبراتي السابقة في هذا المجال. لا سيما وأنى غطيت معارك الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ م والثانية عام ١٩٥٦ م بشيء من التفصيل من وجهة نظري كشاهد عيان لمعظم الأحداث فيهما.

تطور الأحداث :

قد يكون من المفيد أن أشير هنا بإيجاز إلى الأحداث التي طرأت على الساحة العربية خلال السنوات الثلاث التي سبقت نشوب هذه الحرب بما يلي:

١ - في عام ١٩٦٤ م. عقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة. وقد كان موضوع الدعوة لهذا المؤتمر بحث الاجراءات الواجب اتخاذها من قبل الدول العربية عندما بدأت اسرائيل بضخ مياه نهر الأردن إلى النقب، ولمواجهة هذا الاعتداء الصارخ على المياه العربية اتخذ الزعماء العرب بهذا المؤتمر قراراً بالمباشرة فوراً بتحويل مياه نهر الأردن من منابعه الأساسية وإيصالها إلى نهر اليرموك. وبهذه الطريقة سيصبح بالإمكان الاستفادة من نسبة ٦٠ بالمائة من مياهه لمصلحة البلدان العربية وذلك عن طريق حفر قناة لتحويل نهر الحاصباني في لبنان وبانياس في سوريا ونقل المياه بواسطتها إلى نهر اليرموك. كما قرروا تخصيص مبلغ أربعمائة مليون جنيه استرليني لتمويل هذه العملية.

ولا بد أن أشير هنا إلى أن مشروع جونسون كان قد خصص نفس هذه النسبة (٦٠ بالمائة) من المياه إلى سوريا ولبنان والأردن ونسبة (٤٠ بالمائة) إلى اسرائيل. ولكن العرب رفضوا هذا المشروع فقامت اسرائيل بتحويل جميع المياه من جنوب بحيرة الحولة دون أن تترك للعرب شيئاً منها واخيراً جاء مؤتمر القمة العربي هذا يتبنى نفس المشروع بطريقة أخرى لكي يحصل على نسبة ٦٠ بالمائة الأصلية. وسنرى أن اسرائيل ستمنعهم من تحقيق ذلك بالقوة. وستكون هذه المسألة أحد الأسباب الرئيسية لنشوب هذه الحرب.

وبنفس هذا المؤتمر قرر الزعماء العرب الموافقة على الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالأستاذ أحمد الشقيري رئيساً لها. واستناداً إلى هذا القرار بدأ الشقيري بتأسيس الجيش الفلسطيني وعين اللواء وجيه المدني قائداً له. وفي مطلع عام ١٩٦٥ م تم تدشين تأسيس منظمة التحرير رسمياً في الاجتماع العام الذي عقده الزعماء

الفلسطينيون في القدس ووضعوا من خلاله الميثاق الوطني الفلسطيني الذي أصبح بمثابة الدستور الثابت الذي تجري ضمن اطاره جميع الاجراءات السياسية والقانونية والعسكرية التي تحكم مسيرة التحرير الفلسطيني في كافة المجالات والمحافل العربية والدولية وفي مواجهة العدو الاسرائيلي على أرض فلسطين وخارجها. وأما منظمة التحرير فهي في الواقع عبارة عن مظلة تحوي ضمن اطارها عدداً من المنظمات أو حركات التحرير الفلسطينية المختلفة ومن أكبر هذه المنظمات حركة التحرير الفلسطيني (فتح) وهي الحركة التي تأسست عام ١٩٥٧م وبقيت تعمل كمنظمة سرية حتى عام ١٩٦٥م عندما تمكنت هذه الحركة من السيطرة على منظمة التحرير الفلسطيني وبعد فترة من الزمن تم انتخاب السيد ياسر عرفات رئيساً لها.

وأثناء مؤتمر القمة المشار إليه اتخذ الزعماء العرب قراراً آخر في غاية الأهمية كان من شأنه أن يغير الموقف العسكري العام تغييراً جذرياً في مواجهة الجيش الإسرائيلي كما أنه كان سيؤدي حتماً إلى نقلة نوعية هامة نحو تحقيق الوحدة العربية لو أنه نجح وذلك هو قرار تأسيس القيادة العربية الموحدة التي سبتولى قيادة جيوش دول المواجهة بقيادة الفريق علي عامر من الجيش المصري. كما تطلب القرار المباشرة بتنفيذ تنظيمات هذه القيادة فوراً ووضع الخطط اللازمة لحماية مشاريع تحويل المياه العربية المشار إليها وكذلك وضع الخطط الحربية اللازمة للرد على إسرائيل في حالة قيامها بالاعتداء على أية دولة من دول المواجهة وذلك باستخدام كامل قطعات الجيوش العربية الواقعة تحت امرتها وتعيين واجباتها لتحقيق هذا الهدف.

ولقد بدأ لأول وهلة وكأن هذه القيادة سوف تحقق الغاية المتوخاة من تأسيسها وأنها سوف تنجح في التنسيق والتعاون بين الجيوش العربية بشكل جاد وفعال هذه المرة لكي تتجنب تجارب الماضي المريعة عندما كانت الجيوش العربية تحارب إسرائيل فرادى وتخسر المعركة منذ بدايتها.

ولكن لسوء الحظ فإنه لم يقدر لهذه التوقعات أن تتحقق وثبت مع الزمن أن الدول العربية لم تكن بمستوى الخطر وأنها ليست على استعداد لطرح خلافاتها جانباً

وتفضيل المصلحة القومية على المصلحة القطرية والتضحية بالمصالح اا وحدة الأمة. وبسبب هذه العوائق فشلت القيادة العربية الموحدة في م تجني الجيوش العربية من هذه التجربة أية فائدة أو تتعلم أي در عبرة للمستقبل.

٢ - وبعد البدء بتنفيذ مشروع تحويل الحاصباني والبانياس والمباشرة بحا أخذت القوات الإسرائيلية تقصف مواقع العمل بنيران المدفعية والدب قامت طائراتها في شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٤م بقصف مواقع ال مدى نيران المدفعية. وقد أدت اجراءات العدو هذه بالنهاية إلى وقف ا لأن الاستمرار به تحت كثافة هذا القصف كان مستحيلاً. كما أن الد مستعدة للدخول بحرب شاملة مع اسرائيل بسبب المياه. وهكذا است مياه الأردن بكاملها لأرواء مستعمراتها في النقب بدون أن يستفيد العر

٣ - بعد ذلك استمرت المصادمات المتفرقة على الحدود السورية حيث كاذ الأممية تطلق النار من مواقعها على الاسرائيليين الذين كانوا يحاولو الواقعة في المناطق الحرام وعلى قوارب الصيد التي كانت تتجاوز خ في بحيرة طبريا. كما كانت المدفعية السورية في هضبة الجولان ؛ الاسرائيلية بين الحين والآخر كرد فعل على قصف المدفعية الإسرائيلي السورية. وقد أدى هذا الأمر إلى استمرار حالة التوتر الشديد على طوا

٤ - وبنفس الوقت كانت مجموعات من الفدائيين الفلسطينيين تعبر ال مواقع مختلفة إلى الأراضي المحتلة للقيام ببعض الغارات على ا الإسرائيلية وقد كانت القوات الإسرائيلية تتمكن من السيطرة ع الفدائية في الكثير من الحالات وتقتل عدداً من أفرادها وتعتقل الآخرين وفي واقع الأمر فإنه لم يكن لهذه الدوريات الفدائية فعالية مهمة ضد ولم تكن عملياتها أكثر من عمليات ازعاجية.

وعلى أي حال فقد ثبت أن اسرائيل لديها مخطط سوف تنقذه سو التسلل أو توقفت. لأنها وعلى الرغم من توقف عمليات الدوريات القذائية : فقد مضت قدماً في تنفيذ مخططاتها التي كانت ستؤدي في نهاية المطاف العربية الإسرائيلية الثالثة.

وبحجة أن الدوريات الفدائية تنطلق من الأراضي الأردنية فقد قامت القوات الإسرائيلية بتاريخ ١٣ تشرين ثانی عام ١٩٦٦م بشن هجوم ضخم على قرية السموع الواقعة في أقصى جنوب منطقة الخليل وعلى مسافة أربعة كيلومترات داخل خط الهدنة. وقد انتخب الإسرائيليون هذه القرية بالذات لأنها تقع في أقصى مناطقنا الجنوبية وهي قريبة من مواقعهم العسكرية وهذا يسهل عليهم تنفيذ العملية والعودة إلى منطقتهم بسرعة وبمنفس الوقت فإن هذه القرية بعيدة عن معسكرات الجيش الأردني الرئيسية. ولذلك فإن وصول النجدة إليها سوف يستغرق وقتاً طويلاً ومن الممكن أن تنتهي المعركة قبل وصولها. وقد استعملت القوات الإسرائيلية المهاجمة الدبابات والطائرات لاسناد عملياتها هذه وتمكنت بالنتيجة من تدمير الكثير من منازل القرية وقتل وجرح عدد كبير من سكانها. كما قامت أثناء سير العملية بطرد السكان من منازلهم ثم نسفتها بالديناميت. وقد تم إرسال قوة من الجيش العربي من منطقة الخليل لنجدة هذه القرية المنكوبة ولكن هذه القوة اصطدمت بكمين وضعه الإسرائيليون شمال القرية كما انفجرت الألغام التي زرعوها على الطريق بالسيارات التي كانت تقل جنود النجدة. وبنتيجة هذا الاشتباك قتل واحد وعشرين جندياً وجرح سبعة وثلاثون من جنود الجيش العربي.

ولقد كان لمعركة السموع هذه وقع شديد على الحكومة الأردنية كما وجهت لها انتقادات مريرة من البلدان العربية على أساس أنها قصرت ولم تقم باتخاذ اجراءات فعالة لنجدة السموع وإن ما أرسلته من القوات أثناء المعركة كان قليلاً وجاء متأخراً بحيث لم يكن له تأثير فعال على سير المعركة. ولم يذكر أحد من المنتقدين تلك الخسائر الضخمة من القتلى والجرحى التي تكبدتها قوة النجدة التي أرسلها الجيش العربي لهذه القرية. كما لم يذكر أحد أن هذه المعركة التي خاضتها قوة النجدة في موقع الكمين كانت هي السبب في تأخر وصولها للقرية. ولم يكن هذا التأخر بسبب التقاعس في إرسالها. كما أن بعض البلدان العربية انتقدت الحكومة الأردنية بشدة لأنها لم تقم بشن هجوم انتقامي ضد إسرائيل على أثر معركة السموع مباشرة: ولما كنت اعتقد أن هذه الانتقادات غير منصفة فإنني كنت أتصدى للقائلين بها في مختلف المناسبات أثناء وجودي في الكويت. حيث كنت مقيماً فيها منذ عام ١٩٦٤م على أثر خروجي من السجن بعد أن حكم علي بالإعدام لمحاولة القيام بانقلاب عسكري كما هو معروف وقضيت بالسجن ما مجموعه خمسة سنوات كاملة غادرت الأردن بعدها للعمل في الكويت كما سيرد تفصيلاته في كتاب مذكراتي الذي سيصدر مستقبلاً إن شاء الله.

ولقد كانت تلك الانتقادات تتردد في أوساط الأردنيين والعرب الآخرين من مختلف الطبقات. لا سيما وأنه كانت تتواجد في الكويت مجموعات كثيرة من المثقفين ورجال الفكر والسياسيين المعارضين ورجال الأحزاب المختلفة وقد كنت أقف مدافعاً عن الأردن بهذه القضية لأنني كنت أعتقد جازماً أن العسكريين الأردنيين من الضباط والجنود قد عملوا كل ما في وسعهم لنجدة هذه القرية بحسب الإمكانيات المتاحة لهم في تلك المنطقة وتكبدوا في سبيل ذلك عشرات القتلى والجرحى. وإن المسؤولية الرئيسية في هذا الحادث وغيره يجب أن تلقى على عاتق القيادة العربية الموحدة التي شكلها الزعماء العرب في مؤتمر القمة الأول عام ١٩٦٤م. وقرروا بنفس الوقت تقديم الدعم المادي للأردن لتمكينه من تعزيز قواته المسلحة، ولكن هذه القيادة الموحدة ومنذ تأسيسها قبل سنتين من وقوع الاعتداء على قرية السموع لم تقم بأي عمل جدي لتأمين الدفاع الفعال عن حدود دول المواجهة مع إسرائيل والذي هو من صميم مسؤولياتها ومبرر وجودها أصلاً.

كما أنها لم تنجح في إعادة توزيع القوات العربية على مختلف الجبهات العربية بالشكل الذي يضمن تأمين الحماية الفعالة ضد مثل هذه العمليات والاعتداءات التي تقوم بها القوات الإسرائيلية على القرى الحدودية العربية. وخصوصاً وهي تعرف عدم كفاية القوات الأردنية لحماية حدودها مع إسرائيل والتي يبلغ طولها حوالي ستمائة وخمسون كيلومتر. وتعرف أن إسرائيل تملك زمام المبادرة في مثل هذه الظروف ويمكنها اختيار الهدف الذي تريد مهاجمته بعيداً عن مواقع الجيش الأردني. ولا سيما وأن هذا الجيش لا يستطيع توزيع قواته على جميع القرى الحدودية لأنه بهذا الاجراء سوف يفقد قيمته كقوة مقاتلة رئيسية للدفاع ضد هجوم رئيسي في حالة الحرب الشاملة مع إسرائيل.

ولكي يستطيع مواجهة هذه الحالة لا بد من دعمه لكي يستطيع زيادة حجمه وقدرته ليصبح بإمكانه تركيز قوات كافية مركزية بمختلف القطاعات تمكنه من نجدة قرى الحدود وبنفس الوقت تستطيع التصدي لأي هجوم محتمل في حالة وقوع حرب شاملة ولقد كان الكثيرون من الأخوة العرب يستغربون موقفني هذا حيث كانوا يعتقدون أنني ما دمت في الصف المعارض للدولة الأردنية في تلك الأيام كان يجب أن انضم إلى منتقديها. وخصوصاً في مثل هذا الظرف. وقد كنت أجيبهم على هذا بأنني ما دمت رجل مبادئ فإنني يجب أن أقف مع الحق وليس مع الناس بصرف النظر عن ميولهم. وأني بهذه القضية بالذات اعتقد أن اللوم الأساسي يجب أن يوجه إلى القيادة العربية الموحدة أكثر منه إلى الدولة الأردنية. خصوصاً وإن الجيش العربي الأردني لم يتقاعس عن نجدة قرية السموع بل أرسل كل

القوة التي كانت متيسرة في منطقة الخليل على الفور للاشتراك في المعركة ولكنها وقعت في كمين نصبه العدو على طريق مرورها فاشتبكت معه وخسرت خمسين ونيف من أفرادها بين قتل وجريح. ومهما كان الأمر فإن قضية معركة السموع أخذت أبعاداً كبيرة على مسرح الأحداث في الساحة العربية وزادت من عزلة الأردن وأصبح هدفاً للهجوم عليه من مختلف الأوساط العربية الرسمية والشعبية خلال تلك المرحلة الخطيرة التي سبقت نشوب الحرب. وبنفس الوقت وقعت قلاقل داخلية في الأردن وازدادت حدة الانتقادات العلنية ضد الحكومة وخرجت المظاهرات في مختلف المدن تطالب بالانتقام لهذا الهجوم البربري الذي شنته القوات الإسرائيلية على قرية السموع. وأصبح الوضع الداخلي مليء بالندى وتدخلت قوات الأمن والجيش لقمع المظاهرات والسيطرة على الوضع الأمني في البلد.

وبهذه الاثناء كانت العلاقات بين الأردن ومصر قد وصلت إلى أدنى مستوى عرفته حتى الآن واشتدت الحملات الإذاعية المتبادلة وازدادت سوءاً بشكل لا يتناسب مع الأخطار التي تواجه الأمة العربية بهذه المرحلة. وكان لا بد من أحداث تغيير بالخط العام للسياسة الأردنية ومحاولة رأب الصدع وإيجاد نوع من المهادنة مع مصر.

وهذه الحالة تنقلنا إلى نهاية عام ١٩٦٦م. حيث أخذت الأوضاع على الجبهة السورية تزداد سخونة كل يوم.

مقدمات الحرب :

١ - لقد صدرت كتب كثيرة عن هذه الحرب تناول مؤلفوها تحليل أسبابها ونتائجها ولكن معظمهم إن لم يكن جميعهم قد تبنا وجهات نظر متشابهة تشير إلى أن أعمال التسلل التي كان يقوم بها الفدائيون العرب إلى داخل إسرائيل وتكرار القصف المدفعي السوري من هضبة الجولان على المستعمرات الإسرائيلية والمزارعين اليهود الذين يعملون بداخل المنطقة الحرام شرقي بحيرة طبريا هي المسؤولة عن نشوب هذه الحرب. وأنه لولا هذه الأعمال ولولا قيام جمال عبد الناصر بحشد قواته في سيناء وإغلاق مضائق ثيران لما وقعت هذه الحرب. وهذه هي بالضبط وجهة النظر التي اخترعتها إسرائيل واستمرت بترويجها عبر وسائل الإعلام في مختلف أنحاء العالم وعملت المستحيل لإقناع الرأي العام العالمي بها ولحمل المتنفذين في حكومات تلك البلدان على تبنيها وتكييف سياساتهم لتتلاءم مع وجهات النظر هذه. أما مسألة أطماع إسرائيل في قلب الوطن العربي وعزمها على التوسع المستمر على حساب الاقطار العربية فلم يتطرق لها أحد. والسبب عائد إلى

عجز الاعلام العربي عن الانتشار المؤثر في العالم وضعف الدول العربية بسبب تفرقها وتششت قواها الأمر الذي يؤدي إلى خسرانها الحروب مع اسرائيل. وبالتالي فإن الرأي العام العالمي يصبح ميالاً للأخذ بوجهة نظر من يكسب الحرب وليس من يخسرها حتى وإن كان هذا الخاسر صاحب حق في الأصل. وهذه طبيعة البشر. والحق في عرفهم دوماً للقوى ولا حق للضعيف.

وعلى الرغم من كل ما قيل وكل ما كتب فإنني سوف أطلع برأي مخالف حول هذا الموضوع وسوف أحلل الأسباب الحقيقية لهذه الحرب عندما أشرح مجملًا للعمليات الحربية ونتائجها لاحقاً.

٢- أما الآن فإنني سوف آتي على ذكر تسلسل الحوادث التي وقعت خلال الأشهر التي سبقت نشوب الحرب والتي اتخذتها اسرائيل ذريعة لشن هجومها وكرستها بالتالي على أنها هي فقط كانت الأسباب التي أدت إلى نشوب هذه الحرب. وبناءً على ذلك فإن العرب بشكل عام وجمال عبد الناصر بشكل خاص هم المسؤولون عن التسبب بوقوعها، وأما اسرائيل فإنما كانت تدافع عن نفسها عندما اضطرها العرب للقيام بهذه الضربة الوقائية قبل أن يقوموا هم بتدميرها أولاً لو أنها بقيت تنتظر تطور الأحداث حسب ادعائها.

٣- ولنبدأ من أواخر عام ١٩٦٦م عندما عقد جمال عبد الناصر معاهدة دفاع مشترك مع سوريا بتاريخ ٧ تشرين ثاني عام ١٩٦٦م وكان يقصد من وراء ذلك اظهار دعمه لسوريا في وجه المخططات الإسرائيلية التي باتت تنذر بالخطر. وإبراز المزيد من التضامن العربي في وجه السياسة الأمريكية التي تقدم الدعم الكامل لإسرائيل لتحقيق مخططاتها وبنفس الوقت لتأكيد عزم الأمة العربية على الصمود أمام الضغوط الأمريكية في مختلف المجالات والتي كانت دوماً تحاول اقناع الدول العربية بأن اسرائيل أصبحت حقيقة واقعة وأنها وجدت لتبقى متناسية إنها لولا الدعم الأمريكي اللامحدود لما استطاعت اسرائيل البقاء في قلب العالم العربي ولما أمكنها أن تستمر في عريبتها في المنطقة تنهب من الأراضي العربية ما تريد وتشن الحروب ضدها متى تريد وتكسب هذه الحروب بقوة التفرق العربي أولاً والسلاح والمال الأمريكي ثانياً.

أجل لقد أراد جمال عبد الناصر أن يشد من عزم سوريا في هذه المرحلة لكي يمكنها الصمود في وجه الأخطار الإسرائيلية التي أخذت تتسارع نحو الانفجار وهو يعلم ما تعنيه هذه الخطوة من التزامات تترتب عليه عند وقوع هذا الانفجار لا سيما وأن جزءاً كبيراً من قواته المسلحة كانت ما تزال تقاتل في اليمن منذ خمسة سنوات وأن القسم

الأعظم من القوات المتبقية في مصر يتكون من جنود الاحتياط. ولكن عبد الناصر ليس الرجل الذي يتردد عندما تدق ساعة الخطر أو يتأخر عن دعم بني قومه عندما يتطلب الموقف منه التضحيات الجسام. وخلال الأشهر الأولى من عام ١٩٦٧م دأبت إسرائيل على إرسال مزارعيها إلى داخل المنطقة الحرام المقابلة للمواقع السورية شرقي بحيرة طبريا لزراعة تلك الأراضي التي يمنع عليهم دخولها بموجب اتفاقية الهدنة. ناهيك عن استغلالها وزراعتها. الأمر الذي يعني أنهم سوف يستولون عليها ويضموها إلى مناطقهم لو سكت السوريون على هذه النشاطات وسمحوا باستمرارها. ولنع هذه التعديات كان السوريون يطلقون النار على هؤلاء المزارعين لردعهم عن تلك التجاوزات. وعندما تكررت حوادث إطلاق النار ووقعت بعض الاصابات بين المزارعين اليهود أرسل الجيش الاسرائيلي قوة من الدبابات إلى داخل المنطقة الحرام لحمايتهم. وكان هذا العمل يعتبر انتهاكاً صارخاً لاتفاقيات الهدنة الموقعة بين سوريا واسرائيل.

ولم يكتف الاسرائيليون بهذا التحدي بل قاموا بإبلاغ السوريين بأن استمرارهم بإطلاق النار على المزارعين اليهود لمنعهم من زراعة أراضي المنطقة الحرام سوف يؤدي بإسرائيل إلى شن هجوم عام واحتلال هضبة الجولان بكاملها.

لم يهمل السوريون هذا التهديد الخطير لا سيما وأن التوتر على طول خطوطهم الأمامية قد وصل مرحلة تنذر بانفجار وشيك فقاموا بوضع قواتهم المسلحة في حالة الإنذار وأعلنوا حالة الطوارئ في البلاد ثم طلبوا من مصر تطبيق معاهدة الدفاع المشترك وتقديم المساعدات اللازمة لهم. وقد وعدهم الرئيس جمال عبد الناصر بذلك وأعلن أن السوريين لن يتركوا وحدهم في مواجهة التهديدات الإسرائيلية ومع ذلك فقد استمرت حالة التوتر طيلة أشهر الشتاء. ولكن اليهود لم يتراجعوا عن استفزازاتهم مما يدل على أنهم كانوا مصممين على دفع المنطقة إلى حالة الحرب. ففي صباح يوم ٧ نيسان ١٩٦٧م أرسلوا مجموعة من المزارعين تحت حراسة من الدبابات وبدأوا يحرقون قطعة أرض بداخل سوريا هذه المرة .

وهكذا لم تعد المسألة تتعلق بخلاف على استغلال المنطقة الحرام التي من المفروض أن حقوق الطرفين المتقابلين فيها متساوية ومحظور عليهما استعمالها. ولهذا قامت سوريا بمحاولة منع اليهود من استغلالها لوحدهم. ولكن القضية الآن أصبحت تتمثل بخرق سيادة سوريا وذلك بدخول القوات الاسرائيلية والمزارعين اليهود إلى داخل الأراضي السورية والاستيلاء عليها عنوة. وقد كان هذا العمل متعمداً لأن اليهود يعرفون سلفاً

أنه لن يبق أمام سوريا أي خيار سوى الاشتباك معهم بمعركة لطردهم من داخل حدودها.

وقد اضطر السوريون لاطلاق نيران المورتر والمدفعية الثقيلة على هؤلاء الإسرائيليين حال دخولهم إلى تلك المنطقة. ومما يدل على أن هذه العملية كانت مبيتة ومخطط لها سلفاً إنه حالما بدأت المدافع السورية باطلاق نيرانها وصلت الطائرات الإسرائيلية خلال دقائق وبدأت تقصف مواقع المدافع السورية وتدمرها. وعندما تطورت المعركة بهذا الشكل خرجت الطائرات السورية لمواجهة الطائرات الإسرائيلية ودارت معركة جوية فوق المنطقة تمكن الإسرائيليون خلالها من اسقاط ستة طائرات سورية (ميج ٢١) التي كانت أحدث ما لديهم من الطائرات. وبعد انتهاء هذه المعركة أصدر الجنرال رابين رئيس أركان الجيش الإسرائيلي تصريحاً تحذيرياً إلى سوريا مفاده أنه إذا استمر السوريون بأعمالهم الاستفزازية فإن إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي وأن رد فعلها سوف يكون من الشدة بحيث يهدد بقاء النظام الحاكم في دمشق من أساسه. وعلى أثر هذه التهديدات ولخشية السوريين من أن إسرائيل قد تستغل الضعف الواضح الذي ظهر على سلاح الجو السوري بنتيجة هذه المعركة الجوية وواقع الخلافات العربية القائمة حالياً فتتخذ تهديدها بغزو سوريا، ذهبوا إلى جمال عبد الناصر يطلبون مساعدته الفعالة فوراً حيث أصبح واضحاً أن القادة الإسرائيليين يخططون لشن حرب واسعة النطاق لأن الطرف كان مناسباً جداً للقيام بمثل هذه الحرب حيث أن الخلافات العربية ما زالت في أوجها والحملات الإذاعية الموجهة والمتبادلة بين الأردن ومصر ما زالت مستمرة ولم تظهر أية بوادر لايقافها. كما أن الخلاف بين مصر والسعودية كان مريباً بسبب حرب اليمن التي ما زالت مستعرة وما زالت معظم القوات المسلحة المصرية مشتبكة في جبال اليمن مع قوات الامام البدر. وخلاصة القول إن الإسرائيليين لن يجدوا أنسب من هذا الوقت لشن الحرب. ولكنهم يريدون أن يضعوا العرب بموقف المعتدي والمتسبب بالحرب. وإن إسرائيل عندما تقوم بالهجوم على البلاد العربية فهي في الواقع تشن حرباً وقائية لتدافع عن نفسها. وذلك لكي تكسب الرأي العام العالمي بشكل عام والأمريكي بشكل خاص لجانبها فتضمن بذلك استمرار تدفق المساعدات المالية والعسكرية والدعم السياسي حتى وهي تشن حربها العدوانية على الأمة العربية في عقر دارها وبعمق أقطارها.

وعلى أثر تلك المعركة الجوية ثارت ردود فعل عنيفة في كافة العواصم العربية تندد بالعدوان الإسرائيلي وتدعوا إلى نجدة سوريا. وهكذا اتجهت كل الأنظار والأفكار نحو

الجبهة السورية. وظهر الموقف وكأن الخطر الماحق موجه نحوها وحدها وهذا بالضبط هو ما كان الإسرائيليون يتمنون حدوثه ويخططون له لأنهم أساساً يريدون تجنب الدخول في معركة مع سوريا ومصر في آن واحد. بل يريدون ضرب مصر أولاً ثم تليها سوريا بشكل متتابع ويعتقدون أن بإمكانهم تنفيذ هذه الخطة بسرعة. ولذلك فإن توجه الرأي العام نحو سوريا كان متناسقاً مع خطط الإسرائيليين التي كانوا قد وضعوها سلفاً.

٤ - ورغم وضوح نوايا إسرائيل العدوانية ضد سوريا لدفعها نحو سلوك طريق الحرب بواسطة التجاوزات الخطيرة على مصادر مياهها وعلى مختلف مصالحها الحيوية وباعتداءاتها المتكررة على مواقعها الأمامية وقراها الحدودية فقد بقيت الدول العربية تكرر خلافاتها وتتفنن بأساليب الشتم والتجريح ضد بعضها وكأن المسؤولين فيها يعيشون في عالم آخر بعيد عن إسرائيل والصهيونية.

وعلى أي حال فقد أخذت الأوضاع على الحدود عامة تتردى بشكل سريع. ففي الجبهة السورية فسر السوريون أن الدبابات التي تقدمت لحماية المزارعين اليهود شرقي بحيرة طبريا على أنها بداية الحشد الإسرائيلي لشن هجوم كبير يستهدف احتلال الجولان وقد تأيد تحليلهم هذا بالتصريحات الرسمية التي كانت تتسم بلهجة التهديد والتي صدرت عن رئيس أركان الجيش الإسرائيلي والتي لا يستطيع إصدارها بمثل هذا الطرف الخطر بدون موافقة حكومته والتي يمكن اعتبارها جزءاً من خطة الخداع والتعمية الإسرائيلية وقد أيد الروس هذه النظرية بشدة ودعموا تأييدهم هذا بأن نقلوا إلى الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة وفدهم الذي كان يزور القاهرة بتاريخ ١٣ أيار ١٩٦٧ م. معلومات تفيد بأن إسرائيل قد حشدت فعلاً قوة مؤلفة من أحد عشر لواء مقابل الجبهة السورية وقد كان لهذه المعلومات والمطلب السوري للمساعدة العاجلة من جمال عبد الناصر التأثير الحاسم لاتخاذ القرار بحشد القوات المصرية الرئيسية في سيناء. ولقد كان هذا القرار مجازفة كبرى أقدم عليها عبد الناصر بهذا الطرف بالذات عندما كانت معظم القوات المصرية النظامية ما زالت تقاتل في اليمن. والعلاقات المصرية السعودية في أسوأ حالاتها الأمر الذي من شأنه أن يجعل امكانية التوصل إلى تسوية سلمية في اليمن مستحيلة في وقت قريب على الأقل. ومعنى هذا أن النزيف الهائل في القوى العربية سوف يبقى مستمراً رغم اقتراب وقوع الحرب مع إسرائيل. وقد ساد مصر والأقطار العربية الأخرى بهذه الأثناء جو من هستيريا الحرب التي أصبحت تهدد سوريا تهديداً جدياً وأصبح

مركز جمال عبد الناصر في العالم العربي في كفة الميزان. وأخذت جميع الشعوب العربية ترقب بحماس شديد اجراءات عبد الناصر في مواجهة هذا الموقف. ولذلك لم يبق أمامه سوى الاقدام على عمل عسكري مناسب. فأعلن حالة الطوارئ وأمر بارسال فرقتين إلى سيناء. وقد بدأت هذه القوة تعبر القناة إلى مواقعها الامامية بتاريخ ١٥ أيار عام ١٩٦٧م. وبهذا الاجراء تأزمت الأوضاع بشكل خطير وأصبحت تنذر بالانفجار بأية لحظة.

وفي اليوم التالي بتاريخ ١٦ أيار طلبت القيادة المصرية من الجنرال الهندي ريكي (General Rhikhy) قائد قوات الطوارئ الدولية أن يسحب قواته من جميع نقاط المراقبة الامامية على طول الحدود مع اسرائيل لتجنبها الوقوع في الخطر عند تقدم القوات المصرية. وبالطبع فإنه لم يكن من صلاحيات الجنرال ريكي الموافقة أو الرفض. فاتصل مع السيد يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة الذي لم يوافق على هذا الطلب. وكان رده إن هذه القوة إما أن تبقى بكاملها أو تذهب بكاملها. وإنه لا يوافق على أي حل جزئي. وهكذا أصبح موقف عبد الناصر حرجاً. فهو من جهة لا يستطيع التراجع عن قراره بهذا الظرف الصعب ومن جهة أخرى لا يستطيع قبول إبقاء قوات الطوارئ بكاملها في مواقعها الحالية لا سيما وإن بعض الدول العربية كانت تتهمه علانية باذاعاتها بأنه يختبئ وراء القوات الدولية وأنه غير جاد في محاربة اسرائيل. فكيف الآن وقد أعلن حالة الطوارئ وبدأ بحشد قواته في سيناء لمساعدة سوريا يستطيع أن يتصرف مع هذه القوات الدولية. فلو وافق على بقائها تحتل نقاط المراقبة الامامية على الحدود فإن الحملات ضده سوف تزداد حدتها وستنال حتماً من مصداقيته في العالم العربي وتظهره بأنه غير جاد في تحركاته، وبنفس الوقت فإنه لو أخرج قوات الطوارئ هذه من جميع النقاط الامامية على طول الحدود فإن عليه أن يحتل مواقعها بقوات مصرية. وهذا معناه احتلال مراكز قوات الطوارئ الدولية في شرم الشيخ. وهذا معناه حتمية وقوع الحرب لأن اسرائيل كانت تعلن باستمرار أنها تعتبر اغلاق مضائق ثيران بمثابة اعلان حرب عليها وكمحصلة لجميع هذه الاحتمالات فقد أمر جمال عبد الناصر بدفع المزيد من القوات إلى سيناء حيث تكامل مجموعها بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٦٧م إلى سبعة فرق وألف دبابة.

وبتاريخ ١٨ أيار ١٩٦٧م طلب من (يوثانت) سحب قوات الطوارئ الدولية بكاملها من الأراضي المصرية، وبتاريخ ٢٢ أيار ١٩٦٧م أعلن جمال عبد الناصر قراره باغلاق

مضائق ثيران بعد أن وضع فيها قوات مصرية للدفاع عنها. وكان يوثانت عندما أبلغ بطلب عبد الناصر وإصراره على سحب قوات الطوارئ قد قرر الذهاب إلى مصر لاقتناعه بالعدول عن هذا القرار. وعندما وصل إلى القاهرة بتاريخ ٢٣ أيار وجد أن مضائق ثيران قد أغلقت في اليوم السابق. وقد أبلغه عبد الناصر أنه فضل اعلان هذا القرار قبل وصول يوثانت لأن الإعلان بعد وصوله سوف يفسر بأنه إهانة للسكرتير العام. وهكذا أصبحت مسألة انسحاب قوات الطوارئ الدولية في حكم المنتهية. ولم يكن بمقدور يوثانت عمل أي شيء للتأثير في مجريات الأحداث. إلا أنه قال لعبد الناصر إن هذا معناه وقوع الحرب لا محالة.

٥ - بهذه المرحلة كانت مواقف جميع الأطراف قد وصلت نقطة اللاعودة وأخذت الأحداث تتسارع نحو الصدام. ولكن الموقف على الساحة العربية كان لا يبشر بالخير رغم الحماس الجياش الذي اعترى جميع أوساط الشعوب العربية بمختلف أقطارها. فالعلاقات بين مصر والأردن تسير من سيء إلى أسوأ. وكذلك كانت علاقة الأردن مع سوريا في غاية الخطورة حيث وصلت إلى درجة من السوء بأن وضعت المخابرات السورية متفجرات في حافلة للركاب الأردنيين وانفجرت عند نقطة الحدود في مدينة الرمثا وقتل عدد كبير من ركابها في يوم ٢١ أيار عام ١٩٦٧م. أي قبل أن يعلن عبد الناصر عن اغلاق مضائق ثيران بيوم واحد. فكيف إذن يمكن للعالم العربي الذي وصلت العلاقات بين حكوماته إلى هذا المستوى من التردّي أن يخوض حرباً ضد إسرائيل وتتوفر له أية فرصة للنجاح هذا على الصعيد السياسي. أما على الصعيد العسكري فإن القيادة العربية الموحدة التي تم تشكيلها في مؤتمر القمة الأول عام ١٩٦٤م كانت ما تزال قائمة لكنها لم تكن فعالة لأنها لم تتمكن خلال السنوات الثلاث الماضية من عمل أي شيء أكثر من وضع الخطط الاحتمالية للحرب القادمة على الورق فقط. وأما التدريب والتسليح والتنسيق الجدي والعملي والاستعداد الصحيح للحرب فهذه أمور لم يتطرق لها أحد من المسؤولين بهذه القيادة أو في القيادات المختلفة في الدول العربية الأعضاء فيها بسبب الخلافات المزمّة والحادة بين هذه الدول.

ومع ذلك ورغم كل هذه السيئات فإن جمال عبد الناصر الذي أصبح في وضع لا يحسد عليه لم يعد بإمكانه أن يتراجع عن موقف التقرب من المعركة الذي وجد نفسه فيه والذي دفعته له تطورات الأحداث على الجبهة السورية والتزامه بتقديم العون لها في وجه التهديدات الاسرائيلية. ولم يتراجع عن موقفه هذا لأنه كان يعتبر أن الأمن القومي

العربي واحد لا يتجزأ وإن الالتزام هو التزام قومي وقضية شرف يجب التضحية في سبيلها بكل شيء حتى النهاية. ومن هنا كان اصرار عبد الناصر على المضي قدماً في هذا السبيل حتى ولو كان لوحده وحتى لو كانت معظم قواته النظامية لا تزال تقاتل في اليمن دفاعاً عن ثورتها الوطنية. تلك القوات التي كانت غايته من ارسالها أصلاً لكي تساهم في انهاء النفوذ الاستعماري من الجزيرة العربية باعتبار أن ثورة اليمن قامت لتحقيق هذا الهدف وتوحيد جنوب اليمن (عدن) مع شماله. فأصبح التزامه التزاماً قومياً لا يملك حق التراجع عنه أو التقصير في تنفيذه لأن هذا الحق هو للجماهير العربية في سائر أقطارها التي وضعت ثقتها المطلقة بقيادة جمال عبد الناصر على رأس نضالها وكفاحها في سبيل التحرير والوحدة. فكيف إذن يستطيع أن يخذلها.

٦ - وأما على الجبهة المقابلة في اسرائيل فإننا نجد أنها قررت خوض الحرب منذ مدة طويلة على أن تبدأ بتوجيه الضربة الأولى إلى القوات المصرية في هذه المرحلة بالذات ما دامت العلاقات العربية على أسوأ حالاتها وليس بإمكان القوات العربية أن تقاتل مجتمعة بموجب خطة واحدة بسبب هذه الخلافات المستمرة. وقد بدأت فعلاً بالاستعدادات التنفيذية لهذه الحرب منذ مدة واستدعت قواتها الاحتياطية وأخذت تُصعد الأحداث على الخطوط الامامية لإيصال الموقف إلى الوضع الذي تريده للقيام بضربتها ضد الجيوش العربية الواحد تلو الآخر كما أسلفت.

ولم تكن أعمالها الاستفزازية ضد الجبهة السورية التي سبق شرحها سوى جزء من خطة التعمية والخداع المكتملة لخطة العسكرية العامة.

وعندما اقتربت ساعة الصدام قام رئيس الحكومة الإسرائيلية (ليفي اشكول) بإعادة تشكيل حكومته بحيث تصبح حكومة ائتلاف وطني. وأدخل فيها الجنرال دايان وزيراً للدفاع كما أدخل رئيس حزب المعارضة مناحيم بيغن وزيراً بلا وزارة. وكان هذا الاجراء مؤشراً واضحاً على عزم اسرائيل على شن الهجوم الذي أصبح وشيكاً بسبب تطورات الأحداث وتسارعها بالشكل الذي يتطابق مع جميع متطلبات الخطط الحربية الإسرائيلية. وبهذه المرحلة حدث تطور هام على الساحة العربية حيث قام الملك حسين يوم ٣٠ مارس بزيارة مفاجئة للقاهرة وبنتيجة اجتماعاته مع جمال عبد الناصر تمت تصفية الخلافات القائمة بينهما واعيد جو الوفاق والأخوة العربية. وقد كانت هذه الخطوة في غاية الأهمية عشية الحرب المدمرة التي أصبحت على الأبواب. لأنها على الأقل أظهرت نوعاً من التضامن العربي في وجه اسرائيل والرأي العام العالمي. ولو أنه ثبت

فيما بعد أن النتيجة بالنسبة لإسرائيل واحدة. وعلى أي حال فالمهم هنا أن الزعيمين اتفقا على تنسيق خططهما وتوحيد جهودهما في وجه الخطر القادم. وبنتيجة محادثتهما تم التوقيع على معاهدة دفاع مشترك بين الأردن ومصر على غرار المعاهدة التي وقعت بين مصر وسوريا خارج نطاق القيادة العربية الموحدة التي قررها مؤتمر القمة عام ١٩٦٤م.

وقد نصت هذه المعاهدة على أنه في حالة بدء العمليات العسكرية يتولى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة قيادة العمليات في الدولتين. كما تم الاتفاق على تعيين الفريق عبد المنعم رياض من الجيش المصري قائداً عاماً للجبهة الأردنية بالإضافة إلى كونه قائد المركز المتقدم للقيادة المشتركة على أن يكون تحت إشراف الفريق محمد فوزي رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة. كما سويت الخلافات بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وعاد رئيس المنظمة السيد أحمد الشقيري إلى عمان برفقة جلالة الملك حسين لدى عودته. وبعد ثلاثة أيام وصل الفريق عبد المنعم رياض مع ضباط أركانه إلى عمان وباشروا مسؤولياته قبل بدء القتال بمدة يومين فقط. وأما النتائج الحتمية فقد أصبحت معروفة لكل الناس وسوف اتطرق لها باختصار عند شرح موجز سير العمليات وما نجم عنها من تناقضات ومفاجئات وتقصير ومخالفات للاعراف والفنون الحربية مع استخلاص بعض الدروس المستفادة والعبر من هذه الحرب الكارثة.

٧ - نشوب الحرب :

وأخيراً وقعت الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة صباح يوم الاثنين ٥ حزيران عام ١٩٦٧م عندما بدأ السلاح الجوي الإسرائيلي غاراته المكثفة على جميع القواعد والمطارات المصرية بالساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين صباحاً. واستمرت هذه الغارات بشكل متواصل لمدة ثلاث ساعات تم خلالها تدمير السلاح الجوي المصري بكامله تقريباً وطائراته جاثمة على الأرض.

هكذا كانت الصورة الحقيقية خلال المرحلة الأولى من هذه الحرب. ولكن قبل أن أبدأ بوصف تفصيلات المعارك أحب أن أوجز الصورة كما نقلتها لنا أجهزة الإعلام المصرية. وهي الصورة التي صدقتها الشعوب العربية في كل مكان طيلة اليوم الأول من الحرب. والأخطر من هذا كله أن معظم القادة العرب صدقوها كذلك وتصرفوا بإجراءاتهم وقراراتهم بإدارة المعارك في جيبهاتهم على ضوءها. ومصيبة المصائب إن جمال عبد

الناصر نفسه لم يكن يعرف الحقيقة طيلة ساعات الصباح كما سمعنا في حينه لأن القيادة العامة اخفتها عنه (والله أعلم). ولذلك كان هو الآخر كما يظهر يتصرف على أساس أن المعلومات التي كانت تذاع من صوت العرب هي المعلومات الحقيقية. وعليه فليس من الصعب أن نتصور مدى الذهول الذي أصاب الأمة العربية بكافة أقطارها بما فيها القادة والمسؤولين عندما تكشفت لهم الحقائق المريرة في نهاية ذلك اليوم (يوم الكارثة).

٨ - لقد كنت في الكويت أتتبع جميع التطورات والاجراءات التي كانت تحدث في الأردن ومصر وسوريا خلال الأسابيع التي سبقت الحرب عن طريق وسائل الإعلام المختلفة شأني في ذلك شأن الكثيرين من الإخوة العرب المتواجدين في الكويت من مختلف الأقطار العربية. ولما كانت لي علاقات وصدقات مع كثيرين منهم فقد كان من الطبيعي أن نجتمع باستمرار ونتباحث بما سمعناه أو نقل إلينا من بيانات وتصريحات وتبادل الآراء حول ما ورد فيها. وقد كنا بطبيعة الحال نتتبع بكل اهتمام وجدية جميع خطابات وتصريحات جمال عبد الناصر. وكنا في تلك الأيام نؤمن بأنه لا يمكن أن يتخذ مثل تلك الاستعدادات والاجراءات لو لم يكن متأكداً من أنه في هذه المرة سيتمكن من تلقين اسرائيل درساً لن تنساه. وكنا دوماً نتفاعل عندما نسمع تصريحاً جديداً أو تحركاً سياسياً مهماً أو استعداداً عسكرياً يشير إلى توجهه نحو الحرب. ولم يكن هذا الإحساس مقتصرأ على الأردنيين وحدهم بل كان جميع الإخوة العرب يشاركوننا نفس الشعور. ولم يكن حماس الشعب الكويتي والمسؤولين الكويتيين يقل عن حماسنا نحن. ولقد اعتاد الكثيرون من الأصدقاء العرب عندما يسمعون معلومة أو خبراً عن تطور جديد يسارعون للاتصال معي أو زيارتي لاستطلاع آرائي حول تلك المعلومات ولمعرفة وجهة نظري من الناحية العسكرية ومدى تأثيرها على التطورات المحتملة.

وعندما كانت تتأزم الأوضاع في إحدى الجبهات أو يقع اعتداء اسرائيلي خطير مثل الهجوم على قرية السموع كنا نجلس عدة ساعات نناقش مختلف الاحتمالات ونخوض في خطط عسكرية وانعكاسات سياسية طويلة عريضة ونخرج بنتائج عندما كنا نرجع إليها بعد فترة نجد أنها أصبحت غير معقولة وتجاوزتها الأحداث. وفي غالب الحالات كنا نعترف بأنها أصلاً كانت غير واقعية، والسبب في ذلك واضح وهو أننا كنا نبني نقاشنا على معلومات نسمعها أو نقرأها في وسائل الإعلام وهي لم تكن حقيقية أو دقيقة بشكل كامل لأنها ليست هي المعلومات الرسمية الصحيحة بل هي الصيغة التي كانت الأجهزة

الرسمية في كل دولة تسمح بنشرها تمثيلاً مع ما كانت ترى أنه بمصلحتها. لكن على أي حال فإن هذه كانت مصادرنا الوحيدة للمعلومات حيث أننا لسنا في مواقع المسؤولية وكل ما كنا نقوم به هو من قبيل ابداء الشعور والتأييد لما نعتقد أنه سوف يكون في مصلحة الأمة العربية وهذا على ما أظن هو شأن السياسيين المبعدين عن بلدانهم في كل مكان يحاربون معاركهم بعقولهم وشعورهم وحماسهم ولكن بدون أن تتوفر لهم الوسائل اللازمة والمعلومات الصحيحة. ولذلك فإنهم يصبحون مبعدين فكرياً وجسماً في آن واحد. ويصبح عزائهم الوحيد هو أنهم متصلون ببلدانهم روحياً وعاطفياً لأن هذه الصلة لا يستطيع أحد أن ينزعها منهم. وهكذا كان حالنا عندما بدأت الحرب. وجرياً على عاداتنا في مثل هذه الظروف أذكر أنني في صبيحة ذلك اليوم الاثنين الخامس من حزيران ١٩٦٧م تلقيت أول مكالمة هاتفية من الأخ علي الخصاونة مدير شركة ناقلات النفط الكويتية آنذاك وبادرني بقوله هل سمعت الأخبار فقلت له لا لم أسمعها لأنني غادرت البيت مبكراً. فقال علي الفور لقد بدأت الحرب وها أنا أتابع أخبارها من إذاعة صوت العرب. وكان يبدو لي أنه متفائل من الأخبار التي يسمعها ثم دعاني إلى مكتبه لكي نتابع الأخبار سوياً فذهبت بسرعة وما أن جلست حتى سمعت صوت المذيع أحمد سعيد يهدر كعادته بهذه الكلمات الحماسية الملتهبة التي اعتدنا أن نسمعها من إذاعة صوت العرب طيلة السنين الماضية. ولقد أصغيت بهدوء حوالي ربع ساعة وأنا أسمع أحمد سعيد وهو يقول أن طائرات إسرائيل تتساقط كالذباب فوق الدلتا وفوق سيناء وإن طائرات سلاح الجو المصري تدك الآن مدينة تل أبيب. وتلحق بالصهاينة الدمار في كل مكان. وكان الأخ علي الخصاونة يصغي مثلي بصمت ثم بعد فترة سألتني ما رأيك. فقلت له في الحقيقة أنا محتار لأن هذا الكلام غير متوازن ويبدو لي أنه غير معقول. أنا لم أسمع أحمد سعيد يعترف بسقوط أي طائرة مصرية حتى الآن مع أنه يقول إن طائرات سلاح الجو المصري تدك الآن تل أبيب وهذا لا يتم عادة إلا بواسطة غارة جوية ضخمة جداً تخترق الأجواء الإسرائيلية ودفاعاتها الجوية التي نعرف أنها قوية. فهل من المعقول أن سلاحنا الجوي يدمر كل هذه الطائرات وينفذ غارة ضخمة على تل أبيب ولا يخسر شيئاً ولو طائرة واحدة على الأقل. ثم إن كانت هنالك خسائر بالطائرات العربية فإنه شيء عادي جداً في الحروب أن تقع مثل هذه الخسائر عند الطرفين فلماذا يخفيها أحمد سعيد. ثم هو لم يذكر شيئاً عن المعركة البرية بشكل واضح لأن كل ما يقوله هو أن انتصاراتنا تتلاحق باستمرار فما معنى هذا الكلام العائم. أنا لا أعجبني أسلوب أحمد سعيد هذا. لأنه في العادة يجب أن تعطى التفاصيل

الصحيحة الواقعية عن المعارك ببيانات عسكرية تصدر عن قيادة القوات المسلحة. وما دام أن مثل هذه البيانات لم تصدر رسمياً سوف يبقى هذا الكلام غير معتمد. وقد مكثت مع الأخ علي الخصاونة حوالي ساعة ولكن نوعية الأخبار لم تتغير. وبقي أحمد سعيد مصرأ على أن الطائرات الاسرائيلية تتساقط كالذباب. وعدت إلى مكثتي واحسائي الداخلي يقول لي أن هناك شيئاً خطيراً قد حدث وأن أحمد سعيد بهدير صوته يحاول اخفائه عن الرأي العام المصري والعربي. ولكن ماذا يمكن أن يكون هذا الشيء. لم يكن ممكناً لنا أن نتكهن به في ذلك الوقت. وقد كنت أستطيع أن أتخيل الكثير من الاحتمالات واستخلص بعض النتائج المحتملة. ولكن كان من المستحيل علي أن أتخيل أو أصدق أن تكون مصر قد خسرت سلاحها الجوي خلال ساعتين وبنفس الوقت أسمع صوت أحمد سعيد يهدر من إذاعة صوت العرب من القاهرة ليخدع الأمة العربية بكاملها وهو يصف الطائرات الإسرائيلية وهي تتساقط كالذباب. ولكننا على أي حال بدأنا نسمع بعض المعلومات الأولية من مصادر خارجية عن طريق الاذاعات الأجنبية عن الكارثة التي وقعت في الصباح ودمر بنتيجتها سلاح الجو المصري بكامله. وكان أول عمل قمته به في هذه اللحظات "عصية أن كتبت برقية موجهة إلى جلالة الملك حسين أعربت له فيها عن تأييدي التام لمواقفه الشجاعة في تلك الظروف الخطرة التي يمر بها وطننا العزيز وعرضت عليه استعدادي للتطوع في صفوف قواتنا المسلحة لعلني أستطيع الاسهام في خدمة الوطن الغالي ضمن امكانياتي بهذه الظروف المساوية. ولما لم أتلق جواباً بالقبول أو الرفض فهمت أن هذه البرقية لم تعرض على جلالة الملك أو أن بعض المسؤولين حال دون ذلك. ومهما كان الأمر فقد أنتهت الحرب بسرعة مذهلة ولم يعد مجال لمثل هذا التطوع.

٩ - وبما أني لم أشارك مشاركة فعلية في هذه الحرب فإنني سوف لا أخوض في شرح تفصيلي موسع لكيفية سير المعارك المختلفة التي جرت على الجبهات العربية الثلاثة لأن مثل هذا الشرح سوف لا يكون مستنداً إلى مشاهد ، وتجربتي الفعلية والإعلامي المباشر ليها. ولذلك ، في سرد الوصف العام لها ، تعليقاتي الخاصة بها اسسنا إلى ما كنت أستخلصه من المعلومات الكثيرة التي كانت تذاع وتكتب أثناء سير المعارك منقولة مباشرة بواسطة المراسلين الحربيين الذين كانوا يرافقون الجيوش المتحاربة في الجانبين العربي والإسرائيلي وتنقلها وسائل الإعلام الأجنبية والتي كانت تعطي وصفاً دقيقاً ومتتابعاً لتطور هذه المعارك. ومع الأخذ بعين الاعتبار ما كانت تحذفه الرقابة العسكرية في البلد المعني فإن ما كان يذاع كان يعطينا صورة واضحة عن

كيفية سير هذه المعارك بشكل عام وبأقرب ما يكون للوصف الصحيح. تلك المعارك التي تحولت بسرعة قياسية إلى كارثة ماحقة حلت بالجيش العربي. وأعطتنا مؤشراً واضحاً يبين لنا ضخامة المسؤولية التي تحملها عدد من القادة العرب. وفداحة الدمار المادي والمعنوي الذي حل بأممتنا. بالنتيجة. كما أتى قرأت بعض الكتب التي صدرت عن هذه الحرب خلال السنوات التي أعقبتها. هذا على أن معظم هذه الكتب كانت لمؤلفين غير عرب ومن ضمنهم يهود مدنيين وعسكريين. وتمكنت من أخذ الكثير مما ورد فيها من تفصيلات معارك هذه الحرب كمراجع موثوقة، ولكنني لم أعثر على كتاب موثق بنفس الدقة صادر عن مؤلف عربي من الذين اشتركوا بهذه الحرب. أو تاريخ رسمي صادر عن قيادات الجيوش العربية التي خاضت معاركها. أو عن القيادة المشتركة لجيوش المواجهة أو حتى عن الجامعة العربية التي لديها سكرتارية عسكرية. يعطي شرحاً دقيقاً صحيحاً لتلك المعارك التي وقعت في جميع الجبهات العربية بحيث يمكن الاعتماد عليه كمرجع مدروس لوقائع هذه الحرب. ربما لأنني لم أبحث كثيراً في جميع البلدان العربية. لكن هذا هو الاستنتاج الذي توصلت إليه بحسب امكانياتي المتواضعة.

وعلى الرغم من أن حروبنا السابقة مع اسرائيل كانت جميعها بالنتيجة خاسره فإن هذا لا يمنع من أن نكتب عنها المؤلفات اللازمة ونستخلص منها الدروس المستفادة ونستنتج العبر لكي ندرسها لضباطنا في كليتنا العسكرية كما تفعل جيوش العالم لكي يفهموا أسباب خساراتنا في الماضي ويتجنبوها في المستقبل. وأنا أعتبر أن هذه المسؤولية تخص جميع القادة العسكريين العرب الذين اشتركوا في هذه الحروب وأنا واحد منهم.

وعلى أي حال فإنني أعتقد أنه لا يزال بإمكان العديد من الباحثين العرب أن يتصدوا لهذا الموضوع ويبدأوا بكتابة هذه الأبحاث والدراسات ليستفيد منها من سيأتي بعدنا في تحمل المسؤولية.

وعلى الرغم من أنني لا أستطيع الادعاء بأن ما جاء بمطالعاتي هذه يرقى إلى مستوى البحث الموثق ولم أقصد منها أن تكون كذلك. فإنني سمحت لنفسني أن أكتب موجزاً عاماً عن سير تلك المعارك التي لم أشارك فيها عملياً مستنداً إلى ما توفر لدي من معلومات بالأساليب التي أشرت لها لكي استخلص من هذا الشرح بعض الدروس وأدون بعض الآراء التي قد تصبح ذات فائدة للقارئ الذي يهتم بالاطلاع عليها. ولكي أكمل بذلك ما سبق أن شرحتة عن الحربين السابقتين اللتين اشتركت بهما.

المدخل العملي للحرب :

١ - بعد أن شرحت في الفقرة السابقة تطورات الأحداث التي أدت إلى نشوب الحرب وبصرف النظر عن الجهة التي تسببت في تطورها فإنني أعتقد أن إسرائيل هي التي أوجدتها لأنها كانت أصلاً تخطط لشن هذه الحرب بهذا الوقت بالذات أو على الأقل هذا ما كان يدعو إليه القادة العسكريون في قواتها المسلحة. وسوف أبين ما لدي من معلومات تثبت هذه النظرية في فصل لاحق. هذا بالإضافة إلى أن العرب قد اندفعوا بتصرفاتهم إلى سلوك الطريق الذي هيأته إسرائيل لهم ضمن خطة الخداع التي كانت تمثل جزءاً هاماً من خطتها العامة. وبالتالي فقد خلقوا الظرف الملائم لها لكي تتمكن من ضرب الجيوش العربية منفردة الواحد تلو الآخر. والآن أحب أن أشرح الاجراءات والاستعدادات الحربية التي تمت على هذه الساحات خلال الفترة التي سبقت بدء القتال. وقد يكون من الأنسب أن أبدأ بالجانب الاسرائيلي وذلك لسببين :

أولاً : لأن جميع الاجراءات والاستعدادات التي قامت بها إسرائيل في هذا المجال تعتبر متجانسة ومتكاملة وتشمل جميع الجبهات العربية في جميع المراحل على اعتبار أن القوات الإسرائيلية تشكل وحدة قتالية واحدة متكاملة تقودها قيادة واحدة وتقاتل ضمن إطار خطة عامة واحدة.

ثانياً: لأن إسرائيل كانت تملك زمام المبادرة منذ البداية حتى النهاية. بالإضافة إلى أنها هي التي بدأت بالهجوم العام على القوات العربية في جميع الجبهات وبحسب توقيت خطتها العامة تلك.

٢ - ويحسن هنا أن نشير إلى الأهداف الرئيسية التي كانت إسرائيل تود تحقيقها من هذه الحرب والتعليق عليها. وحول هذا الموضوع فإنني لاحظت من جميع الكتب التي قرأتها عن هذه الحرب أنها كانت تشير إلى أن الهدف الرئيسي الأول لإسرائيل كان احتلال سيناء والاحتفاظ بها كمنطقة عازلة بينها وبين القوات المصرية. ومن ثم فتح قناة السويس للملاحة الإسرائيلية وفتح مضائق ثيران بعد اخراج القوات المصرية من شرم الشيخ لتضمن حرية الملاحة عبر البحر الأحمر إلى ميناء ايلات.

وأما الهدف الثاني فقد كان احتلال موطىء قدم على مرتفعات الجولان لتأمين الحماية الكافية لمستعمراتها في منطقة بحيرة طبريا. وقد أجمعوا كلهم تقريباً على أن احتلال الضفة الغربية لم يكن ضمن خطة إسرائيل الأولية. وجميعهم صدقوا مزاعم إسرائيل بأن رئيس وزرائها أرسل رسالة إلى الملك حسين عن طريق رئيس لجنة الهدنة الجنرال

اود بول (General Odd Bull) تفيد بأنهم سوف لن يهاجموا الضفة الغربية إذا بقي الأردن خارج الحرب. ومع احترامي لأصحاب هذه الآراء فإنني أخالفها جميعاً. لأنه على الرغم من أهمية فتح قناة السويس وشرم الشيخ بالنسبة لإسرائيل فإنها تعتبر هدفاً ثانوياً من الممكن أن تحصل عليه بدون حرب في أي تسوية سياسية مستقبلاً.

وعلى أي حال فإن إسرائيل تستطيع تزويد نفسها وتأمين صادراتها بدون فتح قناة السويس لملاحقتها أو حتى بدون فتح مضائق ثيران ولدة طويلة ريثما تستطيع حل هذه المسائل سياسياً. ولكن احتلال الضفة الغربية والقدس بالنسبة لإسرائيل يعتبر أهم هدف ما زالت تسعى لتحقيقه منذ تأسيسها وهي تعرف جيداً أنها لن تستطيع الحصول على القدس بكاملها والوصول إلى منطقة الحرم الشريف والسعي إلى بناء الهيكل الثالث مكانه بدون حرب. وأما حكاية قولهم بأنهم لن يهاجموا الضفة الغربية إذا بقي الأردن خارج الحرب ما هي إلا خدعة يراد منها محاولة إبقاء الجيش الأردني خارج المعركة بضعة أيام فقط حتى تتمكن القوات الإسرائيلية من حسم المعركة مع الجيش المصري والجيش السوري لصالحها ثم تتحول بعد ذلك مباشرة إلى الجبهة الأردنية حيث ستصبح مكشوفة أمامها لأن الجيش الأردني لا يستطيع لوحده التغلب على القوات الإسرائيلية خصوصاً مع تفوقها الجوي الواضح. وبالتالي فإن إسرائيل كانت تريد أن تقوم بمنازلة الجيوش العربية الثلاثة كل على حده وأن لا تضطر لمقاتلتها مجتمعة وفي آن واحد.

ومن جهة أخرى فإن كل من يفكر قليلاً في طبيعة تكوين إسرائيل يعرف أنها تعتمد في بقائها على استمرار هجرة اليهود إليها من مختلف أقطار المعمورة وخصوصاً تلك العناصر الفعالة علمياً وجسماً ومالياً.

كما أنه أصبح واضحاً أن الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل ضمن حدودها الحالية لم تعد كافية لاستيعاب هذا التدفق السكاني الهائل من الخارج وأنه لا بد لها أن تتوصل في يوم ما إلى الاستيلاء على المزيد من الأراضي العربية وإخراج سكانها منها لكي يحل المستعمرون الجدد مكانهم. ولتحقيق هذه الغاية تصبح الأولوية الأولى هي احتلال الضفة الغربية لأن إسرائيل تعرف أنها لن تستطيع الحصول على المزيد من الأراضي العربية عن طريق المفاوضات والتسويات السلمية فلا بد إذن من احتلال هذه الأراضي بقوة السلاح. وبعد ذلك فليأت العرب المهزومون في ساحة القتال ليفاوضوا إسرائيل المنتصرة التي أصبحت مسيطرة على المنطقة بكاملها. وعندئذ فإنها هي التي سوف تملي

شروطها وتحصل على كل ما تريد. ومن هذا المنطلق فإنني أصنف أهداف إسرائيل بهذه الحرب كما يلي مرتبة بحسب ضرورة تحقيقها عملياً في المعركة وليس بحسب تسلسل أهميتها:

أولاً - تدمير القوات المسلحة المصرية وبالنتيجة الاستيلاء على سيناء وفتح مضائق ثيران وقناة السويس للملاحة الاسرائيلية.

ثانياً- بعد تدمير القوات المسلحة المصرية وهي أضخم قوة عربية في الساحة تصبح الطريق أمامها مفتوحة لتحقيق الهدف الرئيسي الذي طالما سعت إليه منذ تأسيسها وهو احتلال القدس والضفة الغربية وفي هذا الصدد كان أهم عامل تسعى للتغلب عليه هو عامل الوقت فهي تعرف أنها لا بد وأن تضطر لوقف القتال بأوامر من مجلس الأمن الدولي في إحدى المراحل. ولذلك فإن ههما الأول يجب أن يكون احتلال مدينة القدس بكاملها قبل أن يتدخل مجلس الأمن. ورغم أنها تستطيع الاعتماد على دعم أمريكا اللامحدود لها فإن من مصلحتها أن تنجز هذه المهمة بسرعة وهذا ما ضمنته لها أمريكا عن طريق مندوبها لدى مجلس الأمن الذي استمر بتعطيل اتخاذ القرار النهائي لعدة أيام حتى تمكنت إسرائيل من تحقيق جميع أهدافها والاستيلاء على جميع الأراضي العربية التي كانت تخطط للاستيلاء عليها ضمن خططها الأساسية.

ثالثاً- أما الهدف الثالث والأخير فهو احتلال مرتفعات الجولان. وهذا يأتي في آخر سلم الأولويات لأنها على الرغم من أهميتها فإنه من الممكن احتلال الأجزاء الأمامية منها قبل صدور أوامر وقف إطلاق النار أو حتى من الممكن أن تستمر بعض الوقت في معالجة تلك المنطقة أثناء مرحلة النقاش في مجلس الأمن. حيث أن هذا الهدف لا يعتبر بنفس الأهمية التي تعطيها إسرائيل للهدفين الأولين ولو تعثر تحقيقه قليلاً سوف لا يؤثر على النتيجة طالما أنها استطاعت احتلال القدس والضفة الغربية وسيناء.

ولقد رأينا أن أهداف إسرائيل كلها تحققت كما خططت لها وأن تلك سوريا في مساندة الأردن حالما تعرض للهجوم وعدم اشتراكها فعلياً بالقتال منذ البداية لم يعد على سوريا بأية فائدة. كما أنه لم يغير كثيراً في نتيجة الحرب بالنسبة لها لأن الاسرائيليين تمكنوا من اجتياح الضفة الغربية بسرعة ثم سحبوا قواتهم منها ومن سيناء واقتحموا بها مرتفعات الجولان بزخم فعال. وبمعنى آخر فإن هذه الجيوش العربية الثلاثة بسبب الضعف في المستوى

القيادي أو الإهمال من قبل بعض القيادات العليا وخصوصاً بالنسبة لسلاح الجو المصري تعرضت لضربات قاصمة كان من الممكن تجنب معظم تأثيرها لو كانت حالة تلك القيادات أفضل وبمستوى قيادي أكفأ مما ظهر أثناء هذه المعركة. لا بل أحب أن أشير هنا بوضوح أكثر إلى أنه كان من الممكن تجنب وقوع كارثة سلاح الجو المصري خلال الساعات الثلاثة الأولى من صباح ذلك اليوم المشؤوم أو على الأقل تخفيف حجمها لو أن قائد سلاح الجو المصري آنذاك كان على مستوى أعلى من الكفاءة والنباهة القيادية ولم تقع قيادته ضحية الإهمال القاتل الذي ظهرت أبعاده بنتيجة الحرب. وبسبب هذا كله وعلى الرغم من وجود بعض قادة التشكيلات والقيادات الدنيا الذين أظهروا مقدرة وشجاعة وثباتاً وحنكة في تسيير معاركهم المحدودة فإن تضحياتهم وصمودهم ذهب هباء ولم تستطع تغيير النتائج المحتومة كما سنرى من سياق الحديث.

معالم الخطة الإسرائيلية :

اتضح أن الخطة الاسرائيلية العامة كانت ترتكز على الأركان الآتية:

- أولاً - تدمير سلاح الجو المصري في قواعده بضربة حاسمة وسريعة تكسبها السيطرة الجوية التامة على الأجواء المصرية والعربية منذ البداية .
- ثانياً- هجوم بري خاطف بـ (Blitzkriege) يخترق سيناء بسرعة للوصول إلى قناة السويس.
- ثالثاً- تدمير الجيش الأردني واحتلال القدس والضفة الغربية بعد أن تصبح السيطرة الجوية الكاملة بيد سلاح الجو الإسرائيلي.
- رابعاً- تركيز معظم القوات البرية والجوية بعد فراغها من الجبهتين المصرية والأردنية لاحتلال الجولان بأقصى سرعة.

مقارنة القوات عند بدء الحرب :

مصر	سوريا	الأردن	العراق	اسرائيل	
٢١٠٠٠٠	٦٣٠٠٠	٥٥٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	عدد الجنود
١٣٠٠	٧٥٠	٢٨٨	---	١٠٠٠	عدد الدبابات
٣٨٥	٧٦	٢١	١٥٦	١٩٧	عدد الطائرات

حشد القوات الاسرائيلية :

استدعت اسرائيل قواتها الاحتياطية قبل عدة أسابيع من بدء الهجوم ووزعت تشكيلاتها على الجبهات كما يلي^(١) :

١ - ثلاثة فرق مسندة بامرة قيادة المنطقة الجنوبية تجمعت في منطقة النقب للهجوم على سيناء.

٢ - ثلاثة ألوية بامرة القيادة الوسطى بمواجهة الجبهة الأردنية موزعة كالآتي:

أ - اللواء ١٦ - في مدينة القدس.

ب - لواء مشاة - في منطقة مدينة اللد.

ج - لواء مشاة - في منطقة ناثانيا - في الاحتياط

٣ - أربعة ألوية بامرة القيادة الشمالية متمركزة مقابل الجبهات اللبنانية والسورية والأردنية كالآتي:

أ - لواء مقابل الحدود اللبنانية.

ب - لوائين في الجليل الشرقي بمواجهة الجبهة السورية.

ج - لواء في الناصرة بمواجهة الجبهة الأردنية من الشمال.

٤ - لواء مدرع وضع في الاحتياط لاستخدامه في الجبهة السورية.

٥ - فرقة مدرعة مكونة من لوائين مدرعين وضعت في الاحتياط في منطقة الجليل الأوسط.

٦ - لواء آلي وضع في الاحتياط الرئيسي.

٧ - لواء مظلي بقي في الاحتياط مخصص لاستخدامه في سيناء^(١).

حشد القوات العربية :

أولاً - الجبهة المصرية :

كانت القوات المصرية في سيناء تتألف من خمسة فرق مشاة وفرقتين مدرعتين وقد تمركزت هذه القوات في المواقع الأمامية على المحاور الرئيسية كالآتي:

(١) انظر كتاب الحروب العربية الاسرائيلية، تأليف حاييم هيرتزوغ.

The Arab - Israel Wars By 'CHAIM HERZOG'.

- ١ - الفرقة الفلسطينية العشرين - في قطاع غزة.
- ٢ - فرقة المشاة السابعة - مسؤولة عن الدفاع عن منطقة رفح والعريش.
- ٣ - فرقة المشاة الثانية - مسؤولة عن منطقة القسيمة - أبو عقيلة - أم قطف.
- ٤ - فرقة المشاة الثالثة - مسؤولة عن منطقة بير حسنة - جبل لبنه لتأمين العمق اللازم للمواقع الأمامية.
- ٥ - الفرقة الآلية السادسة - تعمل على محور الكونتيتلا - الثمد - نخل.
- ٦ - الفرقة المدرعة الرابعة - متجمعة بين بير قفقفا وبير الثمد.
- ٧ - المجموعة المدرعة الثانية - بقرب الحدود بين القسيمة والكونتيتلا.

ثانياً - الجبهة الأردنية :

- ١ - كانت الأردن مقسمة إلى جبهتين كالآتي:
- أ - الجبهة الغربية - قيادتها في منطقة رام الله ومسؤوليتها الدفاع عن الضفة الغربية :
٧ ألوية مشاة ولوائين مدرعين - بقيادة اللواء الركن محمد أحمد مسلم.
- ب - الجبهة الشرقية - لوائين مشاة - بقيادة العميد الركن مشهور حديثة الجازي.
- ٢ - وعندما بدأت الحرب كانت القوات في الضفة الغربية موزعة في الدفاع عن جميع المناطق كالآتي:
- ٢ لواء مشاة - للدفاع عن منطقتي جنين ونابلس.
- ٢ لواء مشاة - للدفاع عن منطقتي رام الله والقدس.
- ١ لواء مشاة - للدفاع عن منطقة الخليل.
- ١ لواء مشاة - في الاحتياط في منطقة الخان الأحمر.
- ١ لواء مشاة في الاحتياط في قطاع الوادي - بمنطقة أريحا.
- اللواء المدرع (٤٠) - في منطقة داميا لاسناد المنطقة الشمالية من الضفة الغربية.
- اللواء المدرع (٦٠) - في منطقة أريحا لاسناد منطقة القدس^(١).

(١) انظر كتاب حرب حزيران ١٩٦٧، تأليف اللواء الركن المتقاعد يوسف كعوش .

ثالثاً - الجبهة السورية :

كانت القوات السورية مشكلة من ثلاثة مجموعات فرق مكونة من ثمانية ألوية مختلفة ولدى كل لواء مشاة كتيبة دبابات وبعض المدافع المحمولة لاسناده وكانت موزعة للدفاع عن هضبة الجولان. منها ثلاثة ألوية في الدفاعات الأمامية وثلاثة ألوية في المواقع الخلفية لدعمها. كما تم تركيز لوائين مدرعين بين القنيطرة وجسر بنات يعقوب في الاحتياط. كما كان لدى القوات السورية أربعة ألوية (احتياط مشاة) موزعة في المواقع الخلفية كقوات احتياطية.

وصف موجز للمعارك :

لقد بدأت الحرب بالضربة الجوية الرئيسية على القواعد الجوية المصرية حيث قام سلاح الجو الإسرائيلي بكامله بتنفيذ هجمة كبرى بغارات مكثفة على جميع القواعد الجوية المصرية في مناطق سيناء ودلتا النيل ووادي النيل والقاهرة بتمام الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح يوم الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧ م. وقد غطت الغارة الرئيسية تسعة عشر قاعدة جوية. واقتربت الطائرات المغيرة إلى أهدافها على ارتفاع منخفض بحيث لم تتمكن شبكة الرادار المصرية من اكتشافها. وقد انتخب الإسرائيليون هذا الوقت من الصباح للهجوم لأنهم قدروا أن الطيارين المصريين سوف يكونوا عائدين لتوهم من منازلهم بعد الافطار وسيكونوا لا يزالون في طريقهم إلى قواعدهم عندما يبدأ القصف الفعلي عليها وقد ثبت مع الأسف الشديد أن هذا التقدير كان صحيحاً. وكما يظهر فإن الإسرائيليون قد بنوا تقديرهم هذا على رصد تحركات الطيارين المصريين التي اعتادوها كل يوم وكانت تصلهم عن طريق عملاء لهم في مصر. وقد كثرت الأقوال والاشاعات بعد الحرب عن وجود جواسيس للعدو كما كثرت التراشق بالاتهامات من مختلف الجهات.

ولست معنياً هنا بالخوض بهذه المواضيع لأنها لا تفيد أحداً ولن تصلح ما كسر. كما أنى لا أملك المعلومات التي تثبت صحتها. ولكن المهم هنا أن نبين ان سلاح الجو الإسرائيلي استطاع ان يخترق الدفاعات الجوية وشبكات الرادار المصرية بسهولة وأن ينفذ حوالي خمسمائة رحلة جوية (500 Sorties) خلال مدة تقل قليلاً عن ثلاثة ساعات، وقالت بعض المصادر أن المدة كانت (١٧٠ دقيقة) تمكن خلالها من تدمير ما مجموعه ثلثمائة طائرة تقريباً من مختلف الأنواع وهي جائمة على الأرض في قواعدها. وبانتهاء هذه الضربة القاتلة لم يبق لدى مصر سوى حوالي ٣٠ طائرة صالحة للعمل.

ويجب أن نلاحظ هنا أنه عندما بدأت الحرب صبيحة ذلك اليوم كانت المعلومات التي

تنقل إلى الأردن وسوريا عبر الوسائل الرسمية وما كان يذاع منها من إذاعة صوت العرب تعطي صورة مختلفة تماماً عن هذا الواقع الأليم حيث كانت جميع هذه المعلومات تشير إلى أن الطائرات الإسرائيلية هي التي كانت تسقط بالعشرات وأن سلاح الجو المصري يسيطر على أجواء المعركة وقد ظهر فيما بعد أن الطائرات الإسرائيلية كانت مزودة بخزانات إضافية للوقود لكي تعطيهما وقت طيران أطول وأن الطيارين كانوا يتخلصون من هذه الخزانات عندما تفرغ فتسقط على الأرض وربما أن المراقبين المصريين الذين كانوا يرصدونها اعتقدوا أنها طائرات إسرائيلية تسقط بعد اصابتها. ولكن المؤلم حقاً أن بعض المصادر افادت أن جمال عبد الناصر نفسه لم يكن يعرف حقيقة ما حل بسلاحه الجوي حتى الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم حيث أخفت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية هذه الحقيقة المريرة عنه. فإن صحت هذه المعلومات فإنه ليس من المعروف لماذا أخفيت عنه هذه المعلومات الخطيرة وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية وصاحب القرار النهائي في الحرب. ومهما كان الأمر فإن نتيجة المعركة الجوية الحاسمة هي التي قررت مصير المعارك البرية بالنسبة للقوات المصرية وبالنسبة إلى باقي القوات العربية الأخرى فيما بعد. كما أئى أعتقد أنها قررت مصير زعامة الرئيس جمال عبد الناصر وكانت بداية النهاية بالنسبة لمركزه في مصر والعالم العربي، وفي ساعات الصباح عندما كانت القيادات العربية في الأردن وسوريا ما تزال تحت تأثير هذا الانطباع المشجع عن سير المعارك الجوية في مصر قامت الأسلحة الجوية العربية الأخرى ببعض الغارات على القواعد الجوية والأهداف الحيوية الإسرائيلية المختلفة كما يلي:

أولاً - قامت الطائرات الأردنية بقصف مطار حربي بقرب مستعمرة كفار سيركين.

ثانياً - أغارت الطائرات العراقية من قاعدتها في الاتش ثري (H3) على مدينة نهاريا على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

ثالثاً - قصفت القاذفات السورية مصافي البترول في مدينة حيفا ومطاراً عسكرياً في مجدو (Megiddo).

ولما كان سلاح الجو الإسرائيلي في واقع الأمر قد فرغ لتوه من تدمير سلاح الجو المصري بكامله فقد نقل كامل جهده لمواجهة هذه الأسلحة الجوية العربية المتبقية. ورغم أنه خسر بعض الطائرات في المواجهات الجوية المختلفة إلا أنه بحلول مساء ذلك اليوم كان قد تمكن من تدمير جميع طائرات سلاح الجو الأردني ومعظم طائرات سلاح الجو السوري وعدداً كبيراً من الطائرات العراقية التي كانت متواجدة في قاعدة الاتش ثري (H3) وقد كان مجموع

الطائرات العربية التي دمرت في ذلك اليوم (٤١٦) طائرة منها (٣٩٣) طائرة دمرت على الأرض و(٢٣) طائرة سقطت في المواجهات الجوية. كما كان مجموع ما خسرته سلاح الجو الإسرائيلي (٢٦) طائرة فقط وبنتيجة هذه الضربة الجوية الرئيسية التي دمرت السلاح الجوي المصري بكامله أصبحت السيطرة الجوية التامة (Air SUPRIMECY) بيد العدو بحيث أمكنه نقل ثقل قواته الجوية بكاملها لمواجهة ما تبقى لدى العرب من الطائرات في الأردن والعراق وسوريا وتمكن من تدمير معظمها كما شرحت آنفاً. وعندئذ أصبحت جميع الأجواء العربية مفتوحة لطائرات العدو كما أصبحت قواتها البرية تخوض أشد المعارك شراسة وهي بنفس الوقت تشكل أهدافاً سهلة ومكشوفة للطائرات المعادية المغيرة. وليس لديها من وسائل الدفاع الفعالة ضد الجو ما تستطيع به تأمين الحماية المعقولة لقطعاتها في المعركة. وهكذا فقد وجدت الجيوش العربية البرية نفسها في ظروف خطيرة منذ الساعات الأولى من القتال. وأمام التفوق الجوي الساحق لدى إسرائيل أصبح ليس لدى هذه الجيوش أي أمل معقول لكسب المعركة.

المعارك البرية :

أولاً - الجبهة المصرية :

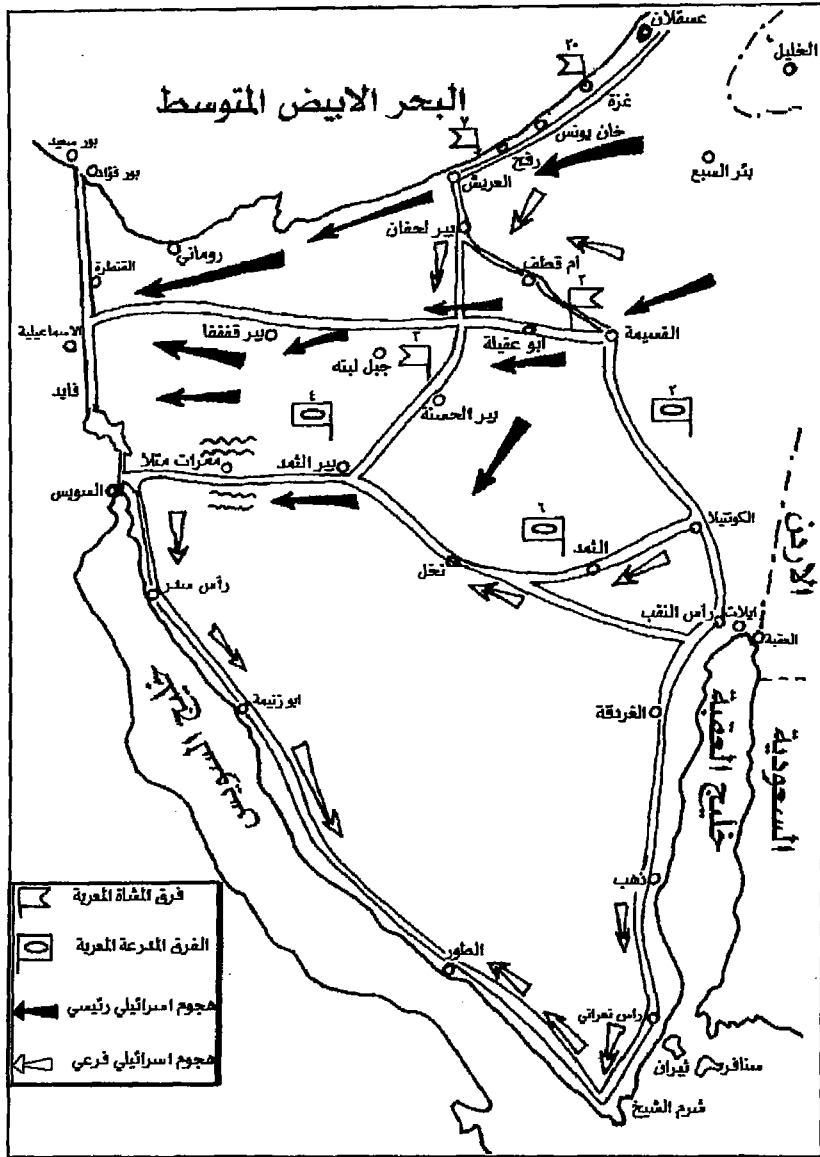
كانت الخطة الاستراتيجية العامة للجيش الإسرائيلي بهذه الجبهة تستند على عملية اختراق من ثلاث شعب تنفذ على ثلاثة مراحل كالاتى (انظر الخارطة رقم (٩)).

١ - المرحلة الأولى: وتقتضي فتح المحور الشمالي المحاذي للساحل من خان يونس إلى العريش وفتح المحور الأوسط من نتسانا إلى أم قطف وأبو عقيلة.

٢ - المرحلة الثانية : وتقتضي التقدم في عمق صحراء سيناء.

٣ - المرحلة الثالثة: وتقتضي الاستيلاء على الممرين الجبليين في منطقة (متلا) الذين يسيطران على الطرق المؤدية إلى قناة السويس.

وكما يظهر فإن القيادة المصرية لم تتوقع أن تبدأ الحرب بهجوم أمامي واسع على جميع المحاور واقتحام الدفاعات مواجهة واختراقها ثم التقدم عبرها بسرعة في العمق بل توقعت أن تكرر القوات الاسرائيلية نفس الاستراتيجية التي أتبعتها في الحرب السابقة عام ١٩٥٦ م أي بالتقدم عبر الجناح الأيسر من الجبهة. ولذلك فإنها وضعت الفرقة المدرعة الثانية في مواقع متقدمة بالقرب من الحدود بين مواقع القسيمة والكونتيل لكي تتمكن من التقدم فوراً لداخل



خارطة رقم (٩)
مواقع المعارك الرئيسية في سيناء من ٥-٨ حزيران ١٩٦٧ م.

اسرائيل عند نشوب الحرب. ولذلك فقد فوجئ المصريون بزخم الهجوم العام الإسرائيلي على المحاور الرئيسية الثلاثة عندما بدأت المعركة بعملية الاختراق على المحور الشمالي بالساعة الثامنة من صباح يوم الاثنين ٥ حزيران حيث استطاع اللواء الإسرائيلي المدرع أن يخترق المواقع الدفاعية المصرية عند خط الحدود بين مواقع الفرقة العشرين والفرقة السابعة في منطقة رفح. وبعد معركة عنيفة من قبل المشاة والدبابات دامت طيلة ذلك اليوم سقطت مدينة رفح. ومتزامناً مع هذه العملية قام لواء مظلي اسرائيلي تدعمه كتيبة دبابات بحركة التفاف واسعة حول رفح من الجهة الجنوبية عبر ساحات الرمال التي كان المصريون يعتبرون أنها تشكل مانعاً لا يمكن عبوره. وقد ثبت أن تقديرهم هذا كان خاطئاً حيث استطاع اللواء الاسرائيلي اختراقها ومفاجأة مواقع تجمعات المدفعية المصرية وقواعدها الخلفية وأخذ يحتلها الواحدة تلو الأخرى.

وبهذه الأثناء تقدم لواء مدرع اسرائيلي غرباً نحو الموقع الدفاعي المصري في منطقة الشيخ زويد الذي كان يدافع عنه لواء مشاة مصري تسنده كتيبة دبابات (ت٣٤) وقد استخدم اللواء الاسرائيلي كتيبة دبابات سنتوريون لمشاغلة الدبابات المصرية بينما أرسل كتيبتين من دبابات الباتون بحركة التفاف حول المواقع المصرية.

وقد كانت الدبابات الإسرائيلية متفوقة على الدبابات المصرية. وبنتيجة المعركة التي دامت عدة ساعات تمكن الاسرائيليون من الاستيلاء على هذه المواقع. ثم تقدمت قواتهم نحو العريش فوصلتها ليلة ٦/٥ حزيران واحتلتها. وفي اليوم التالي تقدم قسم من القوات الإسرائيلية على المحور الشمالي نحو القنطرة على قناة السويس. وقسم آخر تقدم نحو مطار العريش وتمكن من احتلاله بعد معركة بالدبابات وفتح الطريق إلى بير لحفان. وبهذا يكون قد فتح الطريق الشرقية. المؤدية إلى أبو عقيلة والطريق الغربية المؤدية إلى جبل لبنى بنفس الوقت. وفي القطاع الأوسط تقدمت فرقة اسرائيلية على محور مستعمرة (نتسانا) - (الاسماعيلية) ويعتبر هذا المحور حيوياً لأنه ملتقى جميع الطرق المؤدية إلى العريش في الشمال وإلى (نخل) في الجنوب. ونظراً لأهمية هذا المحور فقد بنى المصريون مجعاً من التحصينات المتساندة المبنية بالاسمنت المسلح وحقول الألغام وجميع متطلبات التحصين المعروفة. وكان هذا المجمع يرتكز على سلسلة من المواقع الدفاعية المتساندة والتي تمتد من ام قطف إلى أبو عقيلة في الغرب وإلى أم شيحان في الجنوب. ويقع أمامها حزام خارجي من الدفاعات الامامية المتقدمة بالقرب من الحدود مع اسرائيل عند (أم تربة) (وأم بسيس). وقد كانت فرقة المشاة الثانية المصرية مسؤولة عن الدفاع عن هذه المواقع وبدأ تقدم القوات

الإسرائيلية المهاجمة على هذا المحور عند الغسق يوم ٥ حزيران. وقد افتتحت المعركة بقصف مدفعي مركز واسع النطاق. وبنفس الوقت انزل الاسرائيليون كتيبة مظليين محمولة بطائرات هيليكوبتر خلف المواقع المصرية لتقوم بتدمير المدافع المصرية. ثم تقدمت الدبابات بمرافقة كتائب المشاة لاقتحام الخنادق الأمامية. وعندما وصلت هذه القوات المهاجمة إلى الطريق من الشمال قامت كتيبة الدبابات المصرية التي كانت تغلق الطريق الرئيسي بشن هجوم معاكس على القوات المهاجمة من الخلف. وقد احتدمت المعركة في وسط المنطقة بين قوات الدروع والمشاة من الطرفين طوال الليل وقد اعتبرت هذه المعركة من أعقد وأشد المعارك التي جرت خلال هذه الحرب وسابقاتها ولكن على الرغم من ضراوة المعركة وشدة المقاومة التي أبدتها القطعات المصرية والتضحيات الضخمة إلا أن القوات الإسرائيلية استطاعت أن تسيطر على طريق أم قطف - أبو عقيلة بالساعة السادسة من صباح اليوم التالي. وعندما كانت المعارك محتدمة على المحورين الشمالي والأوسط تقدمت فرقة اسرائيلية ثالثة عبر المنطقة الرملية بين المحورين والتي كان المصريون يعتبرون خطأ أنه لا يمكن اجتيازها من قبل الدبابات ولكن هذه القوة تمكنت من التقدم من خلالها بعمق ثلاثين ميلاً بمدة عشرة ساعات. وفي مساء اليوم التالي وصلت ملتقى الطرق عند بير لحفان الذي تلتقي عنده طرق جبل لبنى وأبو عقيلة والقسيمة إلى العريش. وبهذا تمكنوا من منع التحركات الجانبية للقوات المصرية بين المحورين ومنع وصول التعزيزات من القوات الآلية المصرية المكونة من لواء مدرع ولواء آلي والتي كانت تتقدم في ذلك الوقت من الاسماعيلية باتجاه جبل لبنى. وقد كان لواء اسرائيلي مدرع يكمن عند منطقة ملتقى الطرق عند بير لحفان بشكل دفاعي بانتظار هذه القوة المصرية. وقد اشتبكت القوتان بمعركة عنيفة استمرت عدة ساعات خسرت القوة المصرية بنتيجتها الكثير من مدرعاتها وانسحب ما تبقى منها تاركة الطريق مفتوحة أمام تقدم القوة الاسرائيلية.

ولما كانت منطقة جبل لبنى عبارة عن منطقة تزويد ضخمة تتكون من مجموعة كبيرة من المعسكرات فقد وضع المصريون فرقة المشاة الثالثة وبأسنادها عدد من كتائب الدبابات للدفاع عنها. ولكن هذه المنطقة أصبحت بعد انتهاء معركة بير لحفان معرضة لهجوم من الشمال والشرق من قبل فرقتين اسرائيليتين أصبحتا متفرغتين لها.

وبعد قتال عنيف سقطت معظم تلك المعسكرات بيد القوات الإسرائيلية وبعد ذلك تقدمت فرقة اسرائيلية جنوباً نحو بير حسنة. وفرقة أخرى استمرت بتصفية المواقع المصرية في منطقة أم قطف ثم تابعت تقدمها جنوباً باتجاه نخل للاشتباك مع الفرقة المدرعة المصرية بين

القسيمة والكونتيلا وبنتيجة هذه المعارك المختلفة في نهاية اليوم الثاني للقتال سقطت معظم المواقع الدفاعية المصرية التي كانت تشمل ثلاثة فرق. وأصبحت القوات الإسرائيلية تتقدم في أعماق سيناء باتجاه آخر تجمع للتشكيلات المدرعة المصرية في وسط سيناء وهو آخر موقع رئيسي في طريق الزحف الإسرائيلي نحو القناة.

وبتاريخ ٧ حزيران تقدمت القوة الاسرائيلية على المحور الشمالي بسرعة باتجاه القنطرة ولم تصطدم بأي مقاومة تذكر حتى وصلت إلى مسافة عشرة كيلومترات من القنطرة عندما اصطدمت بكمين من بعض الدبابات المصرية والمدافع المضادة للدروع. ودارت معركة محدودة خسرت فيها القوة الاسرائيلية بعض دروعها ولكنها تمكنت من مواصلة تقدمها. وبعد ذلك تعرضت لهجوم معاكس شنته القوة المدرعة المصرية المتمركزة في القنطرة ولكن على الرغم من هذه المعارك المعترضة فقد تمكنت القوة الاسرائيلية هذه من الوصول إلى قناة السويس عبر مدينة القنطرة بتاريخ ٨ حزيران ١٩٦٧م.

وبهذه المرحلة قام الجيش الاسرائيلي باعادة تنظيم قواته لضرب المجموعة المدرعة المصرية المتبقية والمتمركزة في وسط سيناء. فدفع بقوة فرقة مسندة غرباً باتجاه بير قفقفا وفرقة أخرى اتجهت جنوباً نحو بير الحسنة وبير الثمد. ومن هناك تقدمت غرباً نحو ممر متلا. وبنفس الوقت تقدمت الفرقة الاسرائيلية التي كانت تعمل ضد أم قطف جنوباً باتجاه (نخل). وبهذه الحركة أجبرت المجموعة المدرعة المصرية على الانسحاب باتجاه الفخ الخطر الذي نصبته الفرق المدرعة الاسرائيلية لها في منطقة ممر متلا.

وقد دارت عدة معارك مختلفة خلال الأيام الأخيرة للقتال في تلك المنطقة اسفرت عن استيلاء القوات الاسرائيلية على معظم المواقع الحيوية بما فيها ممرات متلا ووصلت إلى قناة السويس في ذلك القطاع من الجبهة. وأثناء سير تلك المعارك تقدمت قوة اسرائيلية أخرى باتجاه خليج السويس عند رأس سدر وبمساعدة قوة من المظليين الذين انزلوا بالقرب من تلك المواقع تمكنت من الاستيلاء عليها ثم تقدمت نحو شرم الشيخ. وهناك اتصلت مع قوة بحرية من قوارب الطوربيد التي كانت قد ارسلت كجزء من خطة الهجوم. وعند وصول هذه القوات إلى شرم الشيخ يوم ٧ حزيران وجدت أن القوات المصرية قد أخلتها كلياً وأن الحصار البحري الذي كان مفروضاً على مضائق ثيران قد انتهى فعلياً.

وبنفس الوقت الذي كانت فيه المعارك تدور في عمق سيناء كان القتال على أشده في قطاع غزة حيث تقدم لواء مظلي تدعمه الدبابات بمحاذاة الساحل باتجاه مدينة غزة عندما اخترق الجيش الاسرائيلي منطقة خان يونس. وقد نشبت معارك ضارية في القرى والمخيمات في

مختلف أرجاء القطاع. وقد خاضت الفرقة العشرين الفلسطينية معارك طاحنة ضد القوات المهاجمة طيلة الأيام الثلاثة الأولى من الحرب. كما اشترك باسناد هذه الفرقة اعداد كبيرة من المناضلين الفلسطينيين في القتال. وأثناء هذه المعارك شن الجيش الاسرائيلي هجوماً آخر على مدينة غزة من داخل الحدود الاسرائيلية من جهة الغرب وبالقرب من المواقع المصرية الامامية عند تلة (المنطار). وفي المساء تمكنت القوة الاسرائيلية المتقدمة من خان يونس من احتلال تلة المنطار من جهة الجنوب.. وفي اليوم التالي دارت المعارك الطاحنة بداخل مدينتي خان يونس وغزة طيلة ذلك اليوم ولكن رغم كل التضحيات والخسائر التي تكبدتها القوات العربية المدافعة عنهما تمكن الاسرائيليون من احتلال هاتين المدينتين في مساء اليوم الثالث من القتال. وبسقوطهما سيطروا على قطاع غزة بكامله. وقد كانت خسائر القوات المصرية والفلسطينية في معارك سيناء وقطاع غزة مذهلة. ومن خلاصة ما اطلعت عليه من مختلف المصادر وجدت أن التقديرات الميينة تالياً هي أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

١ - الخسائر البشرية :

أ - حوالي عشرة آلاف شهيد وجريح.

ب - حوالي خمسة آلاف أسير من ضمنهم خمسمائة ضابط.

٢ - الخسائر بالاسلحة والمعدات :

استولى الاسرائيليون عليها ومعظمها صالحة للعمل.

أ - ثمانمائة دبابة - منها حوالي ستمائة كانت قد دمرت بالقتال.

ب - حوالي أربعمائة مدفع من أنواع مختلفة معظمها مدافع ميدان ومدافع محمولة ذاتياً.

ج - حوالي عشرة آلاف سيارة من مختلف الأنواع والاحجام.

٣ - قدرت خسائر الاسرائيليين بحوالي ثلثمائة قتيل وحوالي ألف جريح فقط.

ثانياً - الجبهة الأردنية :

(انظر الخارطة رقم (١٠))

بدأت الحرب على الجبهة الأردنية حوالي الساعة الحادية عشرة صباح يوم الاثنين ٥ حزيران عام ١٩٦٧م. والتوقيت هنا مهم جداً لأنه بهذا الوقت كان سلاح الجو المصري قد تم تدميره نهائياً وبدأ سلاح الجو الاسرائيلي بتحويل جهده بكامله إلى الجبهتين الأردنية والسورية. كما أن القوات البرية الاسرائيلية كانت بهذا الوقت قد اخترقت الدفاعات المصرية

الرئيسية المتقدمة في سيناء على ثلاثة محاور وبدأت تعمل على توسيع الاختراق والتغلغل في عمق سيناء. ولكن هذه الصورة المأساوية لم تكن قد نقلت بعد على حقيقتها إلى القيادة الأردنية. بل حدث العكس تماماً حيث تلقت هذه القيادة حوالي الساعة العاشرة صباحاً برقية من المشير عبد الحكيم عامر تفيد بأن الطائرات الاسرائيلية قد أغارت على القواعد الجوية المصرية وأنه تم تدمير أو إعطاب أعداد كبيرة من الطائرات الاسرائيلية وقد تحول سلاح الجو المصري إلى الهجوم المعاكس. وهو الآن يلاحق طائرات العدو فوق سيناء. كما أن القوات المسلحة المصرية البرية اشتبكت مع القوات الاسرائيلية وقد بدأت بعملياتها الهجومية بداخل اسرائيل. ولهذا فإن المشير عبد الحكيم عامر قد أعطى تعليماته إلى القائد العام للقوات المشتركة في الجبهة الأردنية بأن يبدأ بالعمليات الهجومية ضد اسرائيل. ولم تكن هذه المعلومات تقرب من الحقيقة بشيء بل كانت على عكسها تماماً لأن عبد الحكيم عامر كان يعرف بهذا الوقت أن سلاحه الجوي قد دمر معظمه على الأرض في جميع قواعده الرئيسية وإن الأعداد القليلة الباقية من الطائرات التي لم تدمر كانت لا تزال تتعرض للقصف الشديد ويتم تدميرها تدريجياً لأن الغارات الجوية المعادية كانت في مرحلتها النهائية. والشئ الوحيد الصحيح في برقية عبد الحكيم عامر هو القول بأن معظم الطائرات قد دمرت ولكنها كانت الطائرات المصرية هي التي دمرت. ولقد قيل في معرض الدفاع عن موقف عبد الحكيم عامر الغريب هذا أن اسرائيل كانت تملك أجهزة متطورة تستطيع التقاط البرقيات المرسلة من القيادة المصرية وتحدث بها بعض التغييرات أثناء ارسالها لكي تصبح صيغتها تعطي معنى عكس المعنى الذي قصده مرسلها ثم تمررها إلى المرسل إليه خلال مدة ثوان قليلة.

فلو فرضنا جدلاً أن هذا القول كان صحيحاً وأن برقية عبد الحكيم عامر الأصلية كانت تنص على أن معظم طائرات سلاح الجو المصري قد دمرت وأن الأجهزة الالكترونية بدلت كلمة (المصري) بكلمة (الاسرائيلي) فلماذا تركت باقي البرقية التي تقول أنه الآن يلاحق طائرات العدو فوق سيناء إلخ. ولكن لماذا يرسل عبد الحكيم عامر هذه البرقية إلى القيادة الأردنية بالساعة العاشرة صباحاً وهو يعلم في ذلك الوقت أن سلاحه الجوي قد دمر تماماً. ثم لماذا أخفى هذه الحقيقة عن جمال عبد الناصر الذي كان يتخذ قراراته الخطيرة بإدارة الحرب وهو لا يعلم أن سلاحه الجوي قد تم تدميره في الصباح ولم يعرف الحقيقة. سوى بالساعة الرابعة بعد الظهر كما قيل في عدة مصادر في حينها. هذا وقد بحثت كثيراً في جميع المراجع التي قرأتها عن هذه الحرب ولم أعثر على جواب مقنع لهذه التساؤلات. وأخشى أن يكون عبد الحكيم عامر قد أخفى سراً خطيراً أخذه معه إلى قبره ولن تعرف الحقيقة من بعده. رحمه الله وأحسن إليه.

ولكن مهما كانت الأسباب والتأويلات فإن المعلومات الرسمية التي تضمنتها برقية عبد الحكيم عامر إلى القائد العام في الجبهة الأردنية قد قدر لها أن تؤدي إلى كارثة أخرى ستحل قريباً في الضفة الغربية. لأن هذه المعلومات لم تكن تنطبق على أي شيء مما كان يحدث على الجبهة المصرية. ولا تتوافق سوى مع ما كان يذاع من محطة صوت العرب من المغالطات التي كنا نسمعها نحن في الكويت كما كان يسمعها كل العرب في مختلف أقطارهم. ولسوء الحظ أننا كنا حتى تلك الآونة نصدقها وصدقونها. ولنا عذرنا ولهم عذرهم. وسواء صدقناها نحن المواطنين أو لم نصدقها فلن يغير هذا شيئاً من النتائج ولن يكون له أي تأثير على واقع الأحداث. ولكن المسؤولين في القيادات العربية عندما تعطى لهم هذه المعلومات الخاطئة وصدقونها ويتخذوا قراراتهم بموجبها فإن هذا لن يعني سوى الكارثة المؤكدة. وأما ما هو العذر لهم. ومن هو المسؤول. فإن هذا ما سأحاول الإجابة عليه بمكان آخر رغم أنه لن يفيدنا باصلاح ما دمر ولكن ربما يفيدنا كدرس للمستقبل إذا تمكنا من استيعابه والإفادة منه.

وأما الآن فلنعد إلى شرح سير المعارك التي دارت على الجبهة الأردنية. فقد سبق أن ذكرت أن الفريق عبد المنعم رياض تسلم مهام منصبه الجديد كقائد عام للقوات العربية في الجبهة الأردنية قبل أيام قلائل من نشوب الحرب. ولم تتح له الفرصة لزيارة الجبهة والاطلاع على طبيعة الأرض ودراسة المواقع الدفاعية لكي يستطيع تقدير امكانيات صمودها في وجه هجوم مركز على نطاق واسع.

كما أنه لم تتح له الفرصة لدراسة قدرات القطعات العسكرية وتوزيعاتها على المواقع الدفاعية لكي يستطيع أن يقدر إذا كانت هذه التوزيعات تحقق الحشد الصحيح في وجه الخطر القادم. وهل بإمكان هذه القطعات بتوزيعاتها الراهنة أن تخوض معاركها بشكل متساند صحيح وأن تصمد أمام زخم الهجوم. أم هل بالإمكان التصرف بها بطريقة أفضل. وهل كان وضع القوات الاحتياطية الرئيسية خصوصاً الألوية المدرعة في منطقة الأغوار مقبولاً أم أنها يجب أن تنتقل إلى مواقع أفضل لتستطيع مساندة القطعات المتقدمة مع وجود السيطرة الجوية التامة بيد العدو. وهل قيادة الجبهة الغربية لديها الجهاز الكافي من ضباط الركن ووسائل إدارة المعركة والقدرة القيادية بحيث تستطيع قيادة القوات الموضوعة بامرتها في حرب فعلية أم أنها بحاجة إلى تعديل وتوسيع ودعم. وغير هذه من الاستفسارات التي كان من الواجب التدقيق عليها والتأكد من صحتها قبل نشوب القتال.

لقد كان الفريق عبد المنعم رياض رحمه الله من خيرة الضباط المصريين ومن أكثرهم

كفاءة وخبرة. ولكني أعتقد أنه ظلم نفسه عندما قبل تحمل مسؤولية هذه القيادة التي أسندت إليه قبيل نشوب القتال ببضعة أيام فقط في جبهة لا يعرف جغرافيتها جيداً وجيش لم يطلع على قدراته ومعلوماته عن قادة هذا الجيش وضباطه محدودة ولم يتوفر لديه الوقت الكافي لدراسة هذه الأمور والاطلاع عليها بشكل دقيق ودراستها بالتفصيل واصلاح نقاط الضعف واكمال نواقصها قبل بدء المعركة. صحيح أن القائد معرض للنقل من قيادة إلى أخرى أثناء المعركة ومن الممكن أن يتولى مسؤولية قيادة جديدة بدل قائد آخر خلال فترة وجيزة خصوصاً أثناء القتال لسبب أو لآخر ويتحمل المسؤولية وينجح فيها. ولكن هذا الاجراء يتم عادة ضمن جيشه الذي يعرفه وفي جبهته التي يقاتل فيها. ولا أظن هذا الاجراء ينطبق على حالة عبد المنعم رياض بهذا النقل لا سيما وأن الجيوش العربية رغم أنها وضعت شكلياً بامرة قيادة موحدة فهي لا زالت جيوشاً مستقلة وجبهاتها منفصلة عن بعضها عملياً رغم أنها اعتبرت كأنها جبهة واحدة بالاتفاقيات التي وقعت على عجل. ولكن ربما أن عبد المنعم رياض تلقى أمراً مباشراً من الرئيس جمال عبد الناصر أو أنه تسلم مهمة قيادة الجبهة الأردنية بصفته كان قائد الجبهة في القيادة المشتركة ولم يكن لديه خيار سوى قبول هذه المسؤولية. ومهما كانت الأحوال فقد كان عبد المنعم رياض في موضع الاتهام والنقد الشديد لكيفية ادارته للحركات الحربية من قبل القادة الأردنيين وعزي إليه الكثير من أسباب فشل المعارك ونتائجها. ولعله وضع نفسه في موقع مناسب ليصبح فيما بعد كبش الفداء ليتحمل نتائج أخطاء الآخرين بالإضافة إلى أخطائه هو ولا سيما أخطاء رؤسائه في القاهرة الذين كانوا يمررون له المعلومات الخاطئة عن سير المعارك في الجبهة المصرية ويعطونه الأوامر لتنفيذ عمليات لا تتناسب مع الواقع المرير الذي كان يتطور بسرعة في الجبهة الأردنية ويقوم هو بتنفيذ هذه الأوامر على علاتها.

ومع ذلك فإنني لا أبريء عبد المنعم رياض كلياً من المسؤولية حيث كان من أهم واجباته أن يأخذ بعين الاعتبار الخطط الحربية الأردنية الموضوعة لاحتمالات الحرب وأن لا يقدم على إلغائها بهذه البساطة لجرد أن وصلته برقية من عبد الحكيم عامر تفيد بأن القوات المصرية تحولت إلى الهجوم وأن عليه أن يأمر القوات الأردنية للقيام بعمليات هجومية في جبهتها. وكان من واجبه أن يأخذ بعين الاعتبار آراء القادة الأردنيين الذين وضعوا الخطط الدفاعية المناسبة لجبهتهم وعاشوا معها أجيالاً. ولا يحق له أن ينفرد برأيه وينفذ تعليمات القيادة العامة بالقاهرة قبل أن يطلعها على آراء القادة الأردنيين حول هذه الأمور المصرية. حيث من المرجح أن تلك القيادة لو اطلعت عليها لكان موقفها مؤيداً لرأي القادة الأردنيين لأنه ينطبق على واقع القوات الأردنية وجبهتها بشكل أفضل. هذا إذا كانت الانتقادات التي

سمعناها على لسان الكثيرين من القادة الأردنيين كلها كانت تنطبق على واقع الحال بالنسبة لإدارة عبد المنعم رياض للمعركة. وليس لدي ما يثبت عكسها. ومهما يكن الأمر فإن الأحداث أخذت تفرض نفسها وتتطور إلى عكس مسارها الصحيح. وبهذا الصدد يظهر أن من أول الاجراءات التي اتخذها الفريق عبد المنعم رياض أنه أصدر أمراً إلى قائد الجبهة الغربية لاحتلال جبل المكبر جنوب القدس ومنطقة جبل سكوبس الذي تقع عليه هداسا والجامعة العبرية شمالها. ولكن الاتجاه تركّز بالنتيجة على احتلال جبل المكبر فقط. وقد فتحت المعركة حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً عندما بدأت المدفعية الأردنية بقصف مدينة القدس وغيرها من الأهداف الإسرائيلية الأخرى التي تقع ضمن مرمها. ثم تحركت كتيبة واحتلت جبل المكبر بينما تركت منطقة (سكوبس) بيد العدو واكتفى بقصفها بالمدفعية. ولقد كان هذا الاجراء خطأ فادحاً. لأن منطقة جبل المكبر ليست لها قيمة حيوية للتأثير المباشر على معركة مدينة القدس مثل منطقة جبل سكوبس وامتداده إلى جبل الزيتون والتي تعتبر هي المنطقة الحيوية المسيطرة والتي يمكن منها تطويق مدينة القدس من الشرق والشمال. وإذا احكم الجيش الأردني سيطرته على تلك المنطقة يمكنه أن يثبت الاتصال من الشمال والغرب مع مرتفعات النبي صموئيل - باب الواد - اللطرون. وبالتالي ستصبح امكانية سيطرته على مدينة القدس بكاملها واردة لو تمكن من حشد القوات الكافية لذلك أو على الأقل ضمان الدفاع عن مواقعه الحالية فيها ضد الهجوم الاسرائيلي المتوقع بشكل أفضل والصمود فيها لمدة أطول. وهنا يمكن القول أن الدافع الذي جعل الفريق عبد المنعم رياض أن يركّز على احتلال جبل المكبر أولاً ومنذ بدء القتال وترك جبل سكوبس بيد العدو ربما كان نابعاً من أنه كان حتى تلك اللحظة يعتقد أن القوات المصرية كانت تتقدم عبر صحراء النقب باتجاه الخليل استناداً إلى المعلومات التي كانت تصله من القيادة العامة في القاهرة. أو أنه كان يعرف أن القوات المصرية كانت منسحبة ولم يفصح عن ذلك ولكنه أراد أن ينفذ عمليات معينة في الجبهة الأردنية من شأنها أن تخفف الضغط عن جبهة سيناء. وفي كلتا الحالتين فإنه أراد أن يحتل جبل المكبر كخطوة أولى للتقدم بقوات أكبر من خلالها إلى الجنوب للاتصال بالقوات المصرية. وبصرف النظر عن أن تلك القوات كانت بهذه الاثناء تخوض معركة اعاقه وانسحاب باتجاه قناة السويس. وعلى الرغم من أن عبد المنعم رياض ربما لم يكن يعرف هذه الحقيقة آنئذ فإن الأهمية الاستراتيجية لمنطقة جبل سكوبس كانت واضحة بلا جدال. والأهم من هذا كله هو أن منطقة القدس هي مفتاح الدفاع عن الضفة الغربية وليس العكس لأنها تسيطر على عقدة المواصلات الممتدة إلى جميع أنحاء فلسطين من جميع الجهات. وبالإضافة إلى هذا فإن أهميتها الدينية تجعل منها أثمن هدف استراتيجي

وحيوي في فلسطين. ولذلك فقد كان من الواجب تركيز معظم جهد القوات المسلحة للدفاع عن هذه المدينة والاحتفاظ بمواقعنا فيها على الأقل إن لم نتمكن من احتلالها بكاملها. ولهذا فإنه لا يجوز أن نبذل الجهد في محاولة احتلال أهداف ثانوية لا تؤثر تأثيراً مباشراً على تحقيق الهدف الأساسي. ونظراً لأهمية مدينة القدس الاستراتيجية والدينية فقد كانت الخطط الدفاعية للجيش العربي عبر السنين تستند أساساً على اعتبار منطقة القدس هي الموقع النهائي الذي لا يجوز التخلي عنه بأي حال من الأحوال وفيه تتجمع القوات التي تضطر للانسحاب تحت ضغط المعركة من المناطق الأخرى وتنتظم في دفاعاته مع قواته الأساسية. وفيه تكون الوقفة الأخيرة في القتال لآخر طلقة وآخر رجل. ولتحقيق السيطرة في تلك المنطقة الدفاعية سبق أن وضعنا خطة لاحتلال منطقة جبل سكوبس (هداسا) حالاً عند نشوب الحرب مع إسرائيل وبقيت هذه الخطة ثابتة لدى الجيش العربي الأردني يتسلم مسؤوليتها دوماً اللواء الذي يكون مسؤولاً عن الدفاع عن القدس ويسلمها لمن يخلفه عند نقله. ولا أظن أن قيادة الجيش قد ألغت هذه الخطة حتى النهاية. وإذا كانت هذه الخطة ما زالت معتمدة عند نشوب الحرب فإنه لأمر مؤسف أن يصرف النظر عن تطبيقها ويوجه لواء حطين لاحتلال منطقة جبل المكبر (دار الحكومة) وتترك منطقة جبل سكوبس بيد العدو لتقوم بدور فعال في إسناد القوات الإسرائيلية التي تقدمت لاحتلال مدينة القدس في اليوم التالي. والآنكى من هذا أن كتيبة لواء حطين لم تتمكن من الاحتفاظ بجبل المكبر لأكثر من بضعة ساعات حيث شنت القوات الاسرائيلية هجوماً معاكساً عليها قبل أن تتمكن من التثبيت في الدفاع وأخرجتها من النقطة نهائياً.

والأمر الثانى الذي أصدره الفريق عبد المنعم رياض بالساعة الثانية عشرة ظهر نفس اليوم كان يقضي بتحريك اللواء المدرع (٦٠) من منطقة حشده في أريحا إلى مدينة الخليل ومنها إلى بئر السبع للاتصال مع القوات المصرية التي كان من المفروض أنها تتقدم شمالاً عبر النقب.

وحوالي الساعة الواحدة ظهراً أصدر أمراً آخر إلى اللواء المدرع (٤٠) ليتحرك من منطقة داميا إلى أريحا ليحل محل اللواء المدرع (٦٠) وبناء على هذه الأوامر فسوف تتم هذه التحركات أثناء النهار. وعندما نعرف أن سلاح الجو الاسرائيلي كان بهذا الوقت قد حول جهده بكامله إلى الجبهة الأردنية وأن طائراته كانت تقصف عمان والمطارات الحربية في الضفة الشرقية ومعظم الأهداف العسكرية المهمة في الضفة الغربية سيتضح لنا مدى المجازفة التي أقدم عليها عبد المنعم رياض بإعطائه هذه الأوامر والخطر المهلك الذي ستعرض له دبابات وآليات هذه الألوية أثناء تحركاتها.

وبتنفيذ هذه الأوامر فقد تعرض اللواء المدرع (٤٠) لخطر جسيمة لأنه تحرك بكامل قطعاته نهراً فاثارت حركة دباباته سحب الغبار المعتادة في مثل هذه التحركات مما جلب انتباه الطائرات الاسرائيلية التي ركزت قصفها على قوافله بشكل متواصل فاعطبت ودمرت عدداً لا يستهان به من دباباته كما تعطلت أعداد أخرى بسبب شدة الحرارة. وما أن وصل هذا اللواء إلى موقعه الجديدة حتى تلقى قائده أمراً بالعودة ثانية إلى موقعه السابقة في منطقة داميا وبعد أن أضع عدة ساعات ثمينة من الوقت ما لبث أن تلقى أمراً آخر بالحركة إلى منطقة جنين لاعتراض تقدم القوات المدرعة الاسرائيلية المتقدمة من طوباس. وخلال هذه الحركة الأخيرة قامت الطائرات الاسرائيلية بقصف قوافله باستمرار ودمرت معظم الدبابات والآليات الأخرى. أما اللواء المدرع (٦٠) فقد تحرك قائده مع قسم الكشف إلى الخليل بعد أن أصدر أوامره إلى اللواء ليلحق به فيما بعد. وعندما وصل إلى مدينة الخليل وجد أن المعلومات عن تقدم القوات المصرية عبر النقب غير صحيحة ولذلك عاد ادراجه إلى لوائه الذي كان قد تحرك فعلاً إلى الخليل وخسر أعداداً من دباباته بفعل الغارات الجوية. وما لبث هذا اللواء أيضاً أن تلقى أمراً بالعودة من طريق الخليل إلى موقعه السابقة ثم الذهاب إلى القدس لاسناد القوات التي كانت تخوض معارك طاحنه بداخل المدينة. وقد تعرض للغارات الجوية المتواصلة ودمرت بالنتيجة معظم آلياته وعند انتهاء المعارك لم يبق من هذا اللواء سوى (٤٠) دبابة هي التي استطاع قائد اللواء سحبها إلى شرقي نهر الأردن.

هذا هو موجز تقريري عن الاجراءات الرئيسية التي قامت بها القوات الأردنية خلال اليوم الأول من القتال والتي وجدت أنها أقرب ما أوردته المصادر التي اطلعت عليها تطابقاً مع الواقع.

ولكي نستطيع استكمال وصف المعارك التي خاضتها القوات الأردنية لا بد أن أشرح موجزاً عن العمليات الهجومية التي قامت بها القوات الاسرائيلية مبتدئاً من منطقة القدس (الهدف الرئيسي للمعركة).

معركة القدس :

افتتح الجيش الاسرائيلي هذه المعركة بقصف شديد ومركز على جميع انحاء مدينة القدس في نفس الوقت الذي بدأت فيه كتيبة مشاه من لواء حطين بالهجوم على جبل المكبر. ولكنها ما ان اكملت احتلالها حتى تعرضت لهجوم معاكس شنه عليها لواء مشاه اسرائيلي. وبنتيجه هذه المعركة انسحبت هذه الكتيبة من جبل المكبر نهائياً. وعلى إثر ذلك تحرك اللواء الاسرائيلي

نحو بلدة صور باهر واحتلها وتمكن من قطع الطريق المؤدية جنوباً الى مدينة الخليل والتي اصبحت شبه معزولة. ولم يبق للجيش العربي طرق مواصلات مفتوحة لتزويد مدينة الخليل أو ارسال التعزيزات اليها سوى بعض الطرق الوعره عبر المرتفعات الشرقية .

ومتزامناً مع هذه الحركات بدأ الجيش الاسرائيلي بتطبيق خطته العامة لاحتلال الضفة الغربية بكاملها. وقد كان هدفه الأول والرئيسي مدينة القدس. وقد كانت المرحلة الاولى لهذه العملية تتمثل بتطويق مدينة القدس من الغرب والشمال. وذلك باختراق مواقع الجيش العربي في المرتفعات المسيطرة على طريق تل ابيب - القدس عند باب الواد من منطقة مستعمرة الخمسه ومن ثم التقدم لقطع الطريق المؤدي من القدس الى رام الله وتجدر الإشارة هنا الى ان هذه هي الخطة التي كان الجيش الاسرائيلي يحاول تطبيقها في جميع عملياته خلال حرب عام ١٩٤٨م كما شرحت ذلك سابقاً .

وقد تقدم لواء اسرائيلي بعد ظهر يوم ٥ حزيران من منطقة الساحل عبر الطريق الرئيسي متجهاً الى الشرق وعندما وصل الى المنطقة المواجهة لمواقع الجيش العربي بين منطقة الرادار وقرية بيت اكسا انحرف شمالاً وتقدم بهجومه بثلاثة ارتال عبر محاور التلال المؤدية الى تل الرادار والشيخ عبد العزيز وبيت اكسا. وقد التحمت قواته المدرعة مع مواقع الجيش العربي واخذت الدبابات تدمر الخنادق والاستحكامات بضربات مباشرة من مدافعها من مسافات قريبة وتتبعها قوات المشاة والهندسة لإكمال احتلال تلك المواقع. وقد دارت معارك عنيفة دامت عدة ساعات بذل جنود الجيش العربي المدافعون عنها جهوداً جبارة وابدوا بطولات نادره. وقد قاتل معظمهم حتى النهاية ونالوا الشهادة رغم تفوق القوات المهاجمة ولاسيما بالدبابات. ومع وجود السيطرة الجوية الكاملة بيد الاسرائيليين وعدم توفر وسائل دفاع جوي فعالة لدى جنود الجيش العربي وعدم امكان وصول النجادات اليهم لم يكن أمامهم إلا أن يقاتلوا حتى النهاية بما لديهم من اسلحة وذخائر. ولكن على الرغم من كل تضحيات هؤلاء الجنود البواسل فقد تمكنت القوات الاسرائيلية من اجتياح مواقعهم عند منتصف الليل واستمرت في تقدمها عبر طريق اللطرون - رام الله التي اصبحت تحت سيطرتها. وفي صباح اليوم التالي ٦ حزيران احتلت القوات الاسرائيلية منطقة المرتفعات شمال قرية بيت حنينا المقابلة لمنطقة تل الفول ومعسكر النبي يعقوب الواقع شمال مدينة القدس وسيطرت على طريق القدس - رام الله ومنطقة المرتفعات المحيطة بها وفصلتها عن نابلس وهذه المنطقة تعتبر مفتاح السيطرة على مدينة القدس وطرق الاقتراب المؤدية اليها من الشمال والشرق. وقد كانت دوماً هدف الجيوش التي تقدمت لاحتلال المدينة في مختلف حقب التاريخ. كما

انها عندما امكن تحصين دفاعاتها تحولت الى قلعة منيعه يصعب اقتحامها. حيث يمكن لقوات محدوده تتمركز في جبالها ان تصد هجوم قوات كبيرة حيث تسهل اقامة الحواجز والكمائن والمفاجآت ويصعب على الجيوش المهاجمة ان تقوم بمناورات كبيرة وتحركات واسعة. وقد ارتد عنها المهاجمون الآشوريون والرومان وغيرهم. كما اثبت الجيش العربي الاردني صحة هذه النظرية عندما صمد في الدفاع عن جبال القدس والطورون عام ١٩٤٨ م وصمد جميع الهجمات التي شنتها القوات الاسرائيلية المتفوقة عليه عدداً وعده ومنع سقوط القدس بأيديهم واحتفظ بالمناطق الجبلية الغربية واستمر باغلاق طريق تل أبيب - القدس حتى النهاية. أما بهذه المعركة فقد كان مفتاح تحول المعركة لصالح الجيش الاسرائيلي بسرعة مذهلة هو التفوق الجوي الساحق الذي توفر لديه بعد تدمير السلاح الجوي المصري على الارض خلال اول ساعتين من بدء الحرب وبمفاجأة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحرب الحديثة. وعدم توفر أي نوع من الحماية الجوية لدى الجيش العربي الاردني تمكنه من الصمود في المعركة التي اصبحت غير متكافئة بأي نسبة معقولة سواء كان ذلك بالنسبة للقوات البرية أو الدفاع الجوي مما ادى الى عدم تمكن الجيش الاردني من الصمود والقتال بمعركة دفاعية معقولة لفترة من الزمن .

وقد كانت آخر الحملات التي سبقتنا في التاريخ الحديث هي حملة الجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي (General Lord Allenby) اثناء الحرب العالمية الأولى عندما دفع بقواته من منطقة بئر السبع لاحتلال القدس. وقد كان الجيش السابع التركي المدافع عن جبال القدس قد انهكت المعارك السابقة فلم يتمكن من الصمود طويلاً بهذه المرتفعات مما مكن القوات البريطانية من احتلالها ثم الاندفاع الى الشمال الشرقي لاحتلال بلدة البيرة وقطع طريق القدس - نابلس. وعندئذ سارعت القوات التركية الى الانسحاب من مدينة القدس واخلاؤها بدون قتال تقريباً .

وقد جمعتني الصدفة مع الجنرال شي (General J.S.M.Shee) قائد الفرقة الستين التي قلمت بالجزء الأكبر من عملية الهجوم على المرتفعات الغربية وتطويق القدس اثناء تلك الحرب. حيث حضر الى القدس كسائح في عام ١٩٥٣ م عندما كنت قائداً للكتيبة الثامنة في معسكر النبي يعقوب. واتصل مع متصرف القدس آنذاك المرحوم السيد حسن الكاتب ليطلب منه ان يسهل له امكانية زيارته للمواقع التي كانت مسرح عمليات فرقته في مرتفعات القدس الغربية عام ١٩١٧ م. فاتصل معي السيد حسن لكي يعرف اذا كان ممكناً ان نسمح له بهذه الزيارة فاجبته بأننا سنسمح له ونكرمه كضيف من المحاربين القدماء واني اعتبر هذه المناسبة فرصة نادرة لاتحدث معه عن تلك الحقبة من التاريخ العسكري لاسيما وان الاحياء

من ابناء جيله ندرة قليلة. وقد استضفت الرجل في معسكري واقمت له حفل عشاء دعوت له عدداً من المسؤولين الحكوميين وضباط الجيش وقد قدير الجنرال (شي) هذا التكريم تقديراً عظيماً. وقد اصطحبته معي بجولة على جميع المواقع التي كانت اهدافاً لهجوم فرقته وقد شرح لي تفاصيل خططهم على الارض واني اجد الكثير من خطة القوات الاسرائيلية بهذه الحرب تشبه عملية هجوم القوات البريطانية من حيث عدم توفر القوات الكافية للدفاع عن جبال القدس وتحويلها الى قلعة دفاعية حصينة بحيث تستطيع قواتنا ان تصمد فيها وتصد القوات المهاجمة. وعندما تمكن العدو من اخراج قواتنا من هذه الجبال استطاع اقتحام مدينة القدس واحتلالها بسهولة .

وفي هذا الصدد فقد شرح لي الجنرال (شي) انه عندما وصلت طلائع القوات البريطانية الى البيره ورام الله تقدم هو بفرقته لتطويق القدس من الشمال والشرق واحتل منطقة تل الفول وجبل سكوبس (الذي بنى عليه فيما بعد مستشفى هداسا والجامعة العبرية) ثم تقدم الى جبل الزيتون حيث واجه مقاومة عنيفة تمكن من التغلب عليها بهجوم بالاسلح الأبيض. ثم وجد ان الجيش التركي قد اخلى المدينة نهائياً. ثم جاء رئيس بلدية القدس وسلمه مفاتيح المدينة بعد ظهر يوم ٩ كانون اول عام ١٩١٧م. وبتاريخ ١١ كانون اول دخل الجنرال اللنبي الى مدينة القدس رسمياً. وقد قلت الى الجنرال (شي) أثناء هذا الحديث انه عليه ان يعيد مفاتيح القدس الى الآن بصفتي مسؤولاً عن الدفاع عنها فاجابني ضاحكاً بانه سلمها الى الجنرال اللنبي يوم دخوله القدس .

لقد ذكرت هذه القصة الطريفة لأن لها علاقة بالقدس التي خسرناها بسبب التخاذل والتفرق والضياع الذي لازم الدول العربية على مر الزمان وليس بسبب تقصير جنودنا وضباطنا في القتال او عدم اقدامهم على اقتحام الاهوال للدفاع عنها وعن أي جزء من الوطن العربي. ولا لأن الجيش الاسرائيلي اسطورة لا يقهر. فلو قارناه جندياً بجندي لتفوقنا عليه باستمرار. ولكن عجزنا عن تحقيق وحدة امتنا وعن تكتيل قدراتها وجهودها وحشدها مجتمعة في المعركة. وتقصيرنا بتوفير احدث ما تتطلبه آلة الحرب من الاسلحة المتطورة التي تضاهي ما بحوزة عدونا هي الأسباب الحقيقية لهزائمنا المتلاحقة في جميع الحروب التي خضناها حتى الآن مع اسرائيل .

والآن لنعد الى استكمال قصة احتلال مدينة القدس. ففي نفس الوقت الذي تقدمت فيه القوات الاسرائيلية لمهاجمة مرتفعات الرادار وباب الواد تقدم لواء مشاه آخر من منطقة اللد واحتل مواقع الجيش العربي في اللطرون. وبهذا اصبحت طريق اللد - اللطرون الى رام الله

بكاملها تحت سيطرة الجيش الاسرائيلي. وهنا يجب ان نتذكر انه عندما كانت المعارك محتدمة في القدس وحولها خلال اليوم الاول من الحرب كانت الطائرات الاردنية تقوم ببعض الهجمات على الاهداف الاسرائيلية وتواجه وحدها سلاح الجو الاسرائيلي الذي اصبح الآن يمتلك السيطرة الجوية التامة وقد تمكن في نهاية هذا اليوم من تدمير جميع الطائرات الاردنية وعددها (٢١) طائرة ثم حول جهده الى الاهداف العسكرية الاخرى واهمها ارتال القوات المتقدمة على طريق اريحا - القدس حيث كان اللواء المدرع (٦٠) قد اعيد من رحلته الى الخليل وامر أن يتحرك الى منطقة الخان الاحمر شرق القدس لمساندة القوات المقاتلة فيها والتي كانت تتعرض الى ضغط شديد من القوات الاسرائيلية المتفوقة عليها والتي اخذت تحيط بالمدينة وتحتل المواقع الحيوية الاستراتيجية حولها وقد خسر هذا اللواء بنتيجة هذه الغارات عدداً كبيراً من دباباته .

كما يجب ان نتذكر انه بهذه الاثناء كان اللواء المدرع (٤٠) قد اعيد من رحلته الى اريحا وأمر ان يذهب الى منطقة جنين لايقاف تقدم الدبابات الاسرائيلية عبر ذلك المحور. وقد كان هذا اللواء ايضاً يتعرض لقصف جوي عنيف وخسر الكثير من آلياته ودباباته. وبهذه الاثناء كذلك قام العدو بتكثيف قصفه الجوي على قيادة الجبهة الغربية التي اخذت كما يظهر تفقد السيطرة على ادارة القتال في مختلف القطاعات نظراً لضعف جهازها وعدم كفاية فروع القيادة اللازمة لحجم القوات التي وضعت بامرتها وهي سبعة ألوية وتزيد وهذه تعادل فرقتين كاملتين ولذلك فهي تحتاج الى قيادة تعادل قيادة فيلق لكي تستطيع إدارة هذه المعارك بشكل فعال. وبسبب فقدان السيطرة الفعلية من قبل قيادة الجبهة الغربية اخذ قادة الألوية يديرون معاركهم بشكل مستقل ويتخذون قراراتهم لوحدهم. وفي احيان كثيرة كانت تصدر لهم الاوامر والتعليمات من القيادة العامة مباشرة. وهذا معناه ان دور قيادة الجبهة الغربية قد تضعضع منذ اليوم الاول من القتال وبقي هكذا حتى صدرت لها الاوامر من القيادة العامة بالانسحاب الى الضفة الشرقية في اليوم الثاني من القتال كما ورد في مصادر معلوماتي التي اطلعت عليها ولم اعثر على ما يثبت عكسها. بأي مصدر موثوق. وكما يبدو فإن أوامر الانسحاب التي كانت تصدر من القيادة العامة كانت تلغى في بعض الحالات بعد صدورها والبدء في تنفيذها استناداً الى اعلان قرارات مجلس الامن الدولي التي كانت تقضي بوقف اطلاق النار وتعاد ثانية الى مواقعها ثم عندما يظهر أن العدو لم يتقيد بوقف اطلاق النار تضطر القيادة العامة الى الغاء اوامرها السابقة وتأمّر القطاعات المختصة بها ان تنسحب من جديد لان بقاءها في مواقعها السابقة مع استمرار القتال يصبح مستحيلاً وفي بعض الحالات كانت القطاعات المعنية بهذه الاوامر تضطر الى العودة من الطريق لأنها تكون قد

بدأت فعلاً بالانسحاب بعد صدور الامر الأول. وقد كانت هذه الحالة مصدراً رئيسياً لفقدان السيطرة وإشاعة البلبلة بين الوحدات مما زاد في تعقيد مهمة هذه القوات المنسحبة بشكل يجعلها تفقد السيطرة على قطعاتها وخصوصاً بالنسبة لقيادات الألوية. وقد تسبب هذا الوضع بانعكاسات خطيرة على سير المعارك وشكل ضربة قاسية لمعنويات الجنود في اخطر مرحلة من مراحل القتال .

أما لماذا لم تطبق خطتنا القديمة التي كانت تتطلب تركيز القوات في الدفاع حول القدس كآخر مرحلة لاجوز التراجع عنها مهما كان الثمن فهذا أمر ربما وجد القادة المسؤولون تفسيراً له .

ولكن بهذه الاثناء عندما كانت المعارك محتدمة في مرتفعات باب الواد بعد ظهر اليوم الاول من القتال فقد كانت قطعات الجيش العربي الاخرى في القدس والخليل موزعة كما يلي:

- ١ - لواء المشاة (٢٧) - يتولى الدفاع عن مدينة القدس في الداخل
- ٢ - اللواء الهاشمي - يتولى الدفاع عن الضواحي الشمالية لمدينة القدس وقرية شعفاط ومعسكر النبي يعقوب
- ٣ - كتيبة دبابات - في الاحتياط شرقي مدينة القدس
- ٤ - لواء حطين - للدفاع عن منطقة بيت لحم والخليل. وقد قامت قطعات هذا اللواء باحتلال جبل المكبر بعد ظهر ذلك اليوم ولكنها خسرت بنتيجة هجوم العدو المعاكس

خلال هذه الفترة طلب قائد اللواء ٢٧ من القيادة العامة ارسال قوات إضافية لنجدة القدس وتم تحريك لواء مشاه مع بعض الوحدات المدرعة عن طريق اريحا - الخان الأحمر ولكن هذه القوة تعرضت لغارات جوية متواصلة وخسرت الكثير من ألياتها ولم تتمكن من الوصول الى مدينة القدس بالوقت المناسب .

وبعد ظهر ذلك اليوم حرك الاسرائيليون لواء مظلي للقيام بالهجوم الرئيسي على مدينة القدس في الوقت الذي كانت قواتهم تحاول اختراق دفاعات الجيش العربي في منطقة باب الواد. وقد تجمع هذا اللواء المظلي في منطقة مشيرم وسنهادرية غربي حي الشيخ جراح استعداداً للهجوم. وقبل منتصف ليلة ٦/٥ حزيران بدأت القوات الاسرائيلية بقصف المدينة بنيران كثيفة من المدفعية الثقيلة مستعينة بانوار الكشافات القوية التي كانت قد وضعتها مسبقاً في منطقة جبل سكوبس (هداسا والجامعة العبرية) التي كانت من المفروض أن يحتلها

الجيش العربي عند بدء الحرب بدلاً من تبديد الجهد في احتلال جبل المكبر جنوب القدس بدون فائدة جوهرية. وقد كانت هذه الكشافات تضيء جميع الاهداف المهمة في الاحياء العربية مما ساعد الى حد كبير ضباط ملاحظة المدفعية الاسرائيلية على تحقيق الاصابات المباشرة في مواقعنا بكل دقة .

وفي تمام الساعة الثانية صباحاً يوم ٦ حزيران اجتازت القوات الاسرائيلية خط الهدنة في المنطقة الواقعة بين بوابة (مندلبوم) ومركز بوليس الشيخ جراح تتقدمها الدبابات وتزحف خلف ستار كثيف من نيران المدفعية بمختلف الاحجام. وكانت قوة الهجوم هذه تتقدم بكتيبتين في الامام أحدهما هاجمت مركز البوليس والاخرى تقدمت عبر حي الشيخ جراح. وتقدمت الكتيبة الثالثة خلفهما. وقد احتدم قتال عنيف استمر عدة ساعات استنسل خلالها جنود الجيش العربي وقاتلوا بشجاعة منقطعة النظير من خندق الى خندق ومن غرفة الى غرفة وبالسلاح الابيض في معظم الاحيان ولم يتخلوا عن موقع واحد بدون قتال عنيف وقد اوقعوا بالقوات الاسرائيلية خسائر كبيرة ولكن الاسرائيليين قاموا عند الفجر بدفع كتيبة جديدة تسندها الدبابات عبر الطرف الجنوبي من حي الشيخ جراح باتجاه بناية المتحف وبمواجهة الاسوار عند باب العمود .

وعند الظهيرة تمكنوا من احتلال المنطقة الواقعة بين البلدة القديمة ومنطقة جبل سكوبس (هداسا والجامعه العبريه). وقد تركزت قواتهم على تلال (سكوبس) والاوغستا فكتوريا. ثم في منطقة وادي الجوز والشيخ جراح. وبهذا الشكل اصبحت قوات الجيش العربي المدافعه عن المدينة موزعة في ثلاثة جيوب منفصلة عن بعضها. قسم منها في البلدة القديمة داخل الاسوار وقسم في تلة شعقاط في الطرف الشمالي من المدينة والقسم الثالث في منطقة الاوغستا فكتوريا .

وبهذه الاثناء بدأ الجيش الاسرائيلي بتنفيذ المرحلة النهائية لاحتلال القدس القديمة وكانت الخطوة الاولى من هذه المرحلة تتمثل باحتلال باقي تلال الاوغستا فكتوريا وجبل الزيتون المقابله لجبل سكوبس مباشرة من جهة الجنوب. وهنا تظهر فداحة الخطأ الذي ارتكبه القيادة العامة في بداية المعركة في اليوم السابق عندما تركت منطقة سكوبس بيد اليهود ووجهت لواء حطين لاحتلال جبل المكبر كما اسلفنا . وعندما وجد قائد اللواء ٢٧ ان النجدة التي طلبها تعرضت أثناء حركتها الى غارات جوية مدمره ولم يعد بإمكانها ان تصل الى القدس واتضح له ان موقفه اصبح ميئوساً منه قرر الانسحاب من المدينة وتمكن من سحب معظم قواته قبل ان يتمكن العدو من اغلاق جميع المنافذ وطرق الانسحاب نهائياً .

وفي الساعة الثامنة من صباح يوم الاربعاء ٧ حزيران بدأ العدو هجومه النهائي بثلاثة كتائب يدعمها قصف مدفعي وجوي كثيف على محورين. فتوجهت كتيبتين تدعمهما الدبابات لاحتلال منطقة (الاوغستا فكتوريا) قادمة من منطقة هداسا (جبل سكوبس) وتوجهت كتيبة من منطقة المتحف بمحاذاة السور لتدخل المدينة القديمة من باب الاسباط. وبعد معركة محدودة تمكن العدو من احتلال (الاوغستا فكتوريا) وجبل الزيتون ثم دخلت كتائبه المدينة القديمة. وبتمام الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء بتاريخ ٧ حزيران عام ١٩٦٧م دخلت القوات الاسرائيلية الى منطقة الحرم والصخره المشرفة ثم أكملت بعد ذلك احتلال القدس .

وبعد احتلال المدينة القديمة استمرت قوات العدو بالتقدم جنوباً نحو مار الياس واحتلت مدينتي بيت لحم والخليل .

وبهذا المشهد المحزن اسدل الستار على معركة القدس نهائياً .

معارك جنين ونابلس :

كانت قوات الجيش العربي بهذه المنطقة موزعة على النحو الآتي :

١ - اللواء الخامس والعشرين مع كتيبة دبابات : - في منطقة جنين ومسؤوليته الدفاع عن منطقة جنين وحماية طرق الاقتراب المؤدية منها جنوباً وإلى منطقة نهر الأردن من طوباس شمالاً.

٢ - لواء الأميرة عالية مع كتيبة دبابات : - في منطقة نابلس ومسؤوليته الدفاع عن مدينة طولكرم وقلقيلية وحماية طرق الاقتراب المؤدية من منطقة الساحل نحو الشرق.

٣ - اللواء المدرع الأربعين : - في الاحتياط الرئيسي بمنطقة جسر داميا.

في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الاثنين ٥ حزيران وهو اليوم الأول للقتال بدأت القوات الاسرائيلية بعبور خط الهدنة مقابل مدينة جنين وكانت تتألف من لواء مدرع ولواء مشاة وتقدمت على محورين كالآتي.

أ - المحور الأول: - باتجاه بلدة يعبد الواقعة جنوب غرب مدينة جنين.

ب - المحور الثاني: - باتجاه مدينة جنين ذاتها.

وبنفس الوقت شن العدو هجوماً ثانوياً باتجاه الجنوب لتهديد منطقة جسر داميا وكانت

خطة العدو تركزت أساساً على حركة التفاف واسعة حول مدينة جنين بهدف الاستيلاء على التلال المسيطرة عليها من جهة الجنوب. وضمن هذه الحركة وصلت قوته المدرعة بسرعة إلى مواقع المدفعية الأردنية. وبعد معركة محدودة تمكنت من التغلب عليها. ثم تقدم الرتل المدرع الاسرائيلي نحو قباطية . وبهذا الاجراء تمكن من عزل مدينة جنين عن مدينة نابلس. وفي منطقة سد قباطية دارت معركة دبابات عنيفة بين الطرفين حاولت الدبابات الأردنية أثناءها القيام بعملية تطويق مزدوج (Double envelopment) ضد الرتل المدرع الإسرائيلي. ودارت هناك معركة دبابات عنيفة أثناء الليل ثم شن الرتل الاسرائيلي هجوماً معاكساً ضد عملية التطويق المزدوج الأردنية وتمكن بالنتيجة من تفريقها وكسر الطوق. وبعد ذلك عاود تقدمه نحو جنين. ولكنه اصطدم أثناء تقدمه بمنطقة تجمع مدافع أردنية ضد الدروع تدعمها سرية دبابات وبهذه المنطقة خسر العدو عدداً من دباباته وبنفس الوقت شنت دباباتنا هجوماً معاكساً آخر ضد القوة الاسرائيلية المتقدمة وقد أبدى جنودنا بسالة فائقة أثناء هذه العمليات في وجه القوات الاسرائيلية التي كانت متفوقة عليها.

وبعد هذه المعركة تحرك قسم من القوات الاسرائيلية لاحتلال التلال الواقعة جنوب شرقي مدينة جنين بينما كانت قوة أخرى تهاجم التلال الواقعة جنوب غربي المدينة. وبهذه الاثناء كانت قوة متقدمة قد وصلت إلى مركز بوليس جنين الواقع في الطرف الغربي من المدينة.

ولما كان اللواء المدرع الأربعين قد تحرك من جسر داميا باتجاه جنين تحركت القوة الاسرائيلية المدرعة من جنين مرة ثانية باتجاه قباطية لاعتراض هذا اللواء بينما استمر لواء المشاة الاسرائيلي الآخر باستكمال احتلال مدينة جنين نفسها. وفي منطقة قباطية دارت معركة بين دروع اللواء الأربعين واللواء المدرع الاسرائيلي وأثناء هذه المعركة تمكنت قواتنا من تطويق كتيبة استطلاع اللواء الاسرائيلي بكاملها. وقد صدت دروعنا عدة هجمات معاكسة اسرائيلية طيلة النهار. ثم استمر القتال طوال الليل حيث تمكنت كتيبة مدرعة اسرائيلية من الالتفاف حول الطوق الذي كونه دروعنا وبعد قتال عنيف تمكنت من فتح ثغرة في تلك المواقع خرجت منها الكتيبة الاسرائيلية المطوقة والتحقت مع قواتها الرئيسية. ولكن معركة الدروع هذه استمرت في تلك المنطقة عدة ساعات تمكن اللواء الاسرائيلي بنتيجتها من اختراق دفاعاتنا وتقدم باتجاه مدينة نابلس.

وبينما كان القتال على أشده في منطقة جنين تقدم لواء مدرع اسرائيلي آخر من شرق جنين عبر طريق جنين - طوباس لمهاجمة نابلس من جهة الشرق وأثناء هذه الحركة اشتبك مع

دروعا طيلة النهار وكان أعنف هذه الاشتباكات ذلك الذي وقع في منطقة الزبابة حيث كانت مواقعنا الدفاعية تحتل الأراضي المرتفعة المسيطرة على الطريق والوادي المحاذي لها. وقد دارت المعركة الحاسمة أثناء الليل حيث أرسل الإسرائيليون وحدة صغيرة من الدبابات لكي تشاغل دباباتنا بالنيران لكي تكشف مواقعها بوساطة ومضات قذائفها وعندئذ تقوم الطائرات الإسرائيلية بقصفها.

وهكذا وبعد حلول الظلام قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف سرية. الدبابات الأردنية وأصاب عددًا منها ودمرتها. وعندئذ شن الإسرائيليون هجومًا معاكسًا على مواقعنا وتمكنوا من الوصول إلى قرية (عكابا) ثم تقدم لواءهم المدرع واحتل مدينة طوباس. وبعد ذلك ركزوا معظم دباباتهم على الطريق المؤدي إلى جسر دامية وتقدموا بالباقي نحو مدينة نابلس، وعندما وصلت قوتهم المدرعة إلى مشارف نابلس من الشرق لم تواجه في تلك الدفاعات سوى وحدات المشاة لأن دروعنا المخصصة لتلك المنطقة كانت كلها منتشرة على طرق الاقتراب غرب المدينة وحوالي طولكرم ربما على افتراض أن الدروع الإسرائيلية التي ستهاجم نابلس سوف تأتي من تلك الجهة وربما لأسباب أخرى. ولكن على أي حال فإن ترك منطقة الاقتراب من جهة الشرق إلى مدينة نابلس بدون قوة مدرعة أو حماية فعالة ضد الدروع كان خطأ فاحشاً لأن القوات الإسرائيلية المتقدمة من الشمال والشرق تمكنت من الوصول إلى مدينة نابلس بسهولة نسبية. والأمر المذهل أنه عندما دخلت الدروع الإسرائيلية إلى مدينة نابلس اعتقد السكان أنها دبابات عراقية لأن الجنود اليهود كما يظهر كانوا يرتدون لباس راس يشبه اللباس العراقي فاصطفوا في الشوارع وأخذوا يصفقون لتحية الجنود العراقيين. ولكنهم عندما اكتشفوا الحقيقة حاولوا المقاومة بالأسلحة الخفيفة المتيسرة لديهم. واستمر إطلاق النار حوالي ستة ساعات وجرت اشتباكات محدودة بمختلف أرجاء المدينة. كما اشتبكت دباباتنا المتواجدة في مداخل نابلس الغربية مع الدبابات الإسرائيلية. وبهذه الأثناء أدخل الإسرائيليون لواء مشاة آخر إلى مدينة نابلس حيث تمكن من اتمام احتلالها مساء يوم ٦ حزيران ١٩٦٧م.

العمليات في منطقة وادي الأردن :

على الرغم من أن الجيش الإسرائيلي احتل مدينة نابلس مساء يوم ٦ حزيران إلا أن اللواء المدرع الأربعين ولواء المشاة الخامس والعشرين المتواجدين في منطقة قباطية استمرا بالقتال. وفي صباح يوم ٧ حزيران شن الإسرائيليون هجومًا مضاداً تسنده موجات متلاحقة من الطائرات التي كانت تغير باستمرار على تلك المنطقة وبنفس الوقت تقدم لواء إسرائيلي من

قليلية باتجاه نابلس. وهكذا أصبحت قوات الجيش العربي المتواجدة في منطقة قباطية مهددة من الشمال والجنوب. وعندئذ بدأت تنسحب شرقاً نحو جسر داميا. ولكن بهذه الأثناء وبينما كانت القوات الإسرائيلية التي احتلت رام الله تزحف شمالاً باتجاه نابلس تقدمت قوة مدرعة أخرى من منطقة نابلس واحتلت منطقة جسر داميا. بينما كانت قوات مدرعة إسرائيلية أخرى قد تقدمت من منطقة القدس ودخلت أريحا واحتلت جسر الملك حسين وبهذا أصبح الجيش الإسرائيلي يسيطر على الجسور الثلاثة على نهر الأردن وأحكم سيطرته على الضفة الغربية بكاملها. وبما أن هذه الجسور كانت قد دمرت نهائياً من قبل سلاح الجو الإسرائيلي لم يكن بالإمكان سحب معظم الدبابات والآليات الأردنية التي لم تدمر بالمعركة.

وهنا أحب أن أشير إلى أن اللواء الثامن الآلي من القوات العراقية دخل الحدود الأردنية في الساعات الأولى من صباح يوم ٤ حزيران عند محطة الاجفاف للاشتراك في الحرب. ولدى مراجعة قائده العقيد الركن حسن النقيب مركز القيادة المتقدم تلقي أمراً أن يواصل سيره على طريق المفرق - جرش - جسر داميا إلى موقع حوارة في منطقة نابلس. وعندما وصل هذا اللواء إلى منطقة وادي الأردن صدرت إليه تعليمات جديدة لاحتلال مواقع دفاعية في منطقة مثلث المخروق لمنع اختراق العدو على محور طوباس داميا. وقد تعرض لقصف جوي شديد ولكنه تمكن من اسقاط أربع طائرات للعدو وإصابة اثنتين.

وبهذه الأثناء كانت الجمهورية العراقية تدفع بتشكيلات من قواتها البرية باتجاه الجبهة الأردنية على الطريق بين بغداد والمفرق. وفي الساعة ١٧٠٠ يوم ٦ حزيران وصل جحفل لواء المشاة الأول إلى الاجفور وخلفه كل من جحفل لواء المشاة السابع والعشرين واللواء المدرع السادس.

وبالساعة ١٨٣٠ يوم ٦ حزيران وصل لواء سعودي ناقصاً فوج إلى منطقة المدورة ولكن الحرب انتهت عند هذا الحد دون أن تشترك هذه القوات فيها^(١).

وهكذا أسدل الستار على هذه المأساة في الجبهة الأردنية في تمام الساعة الثامنة مساء يوم الأربعاء ٧ حزيران عام ١٩٦٧م عندما وافقت كل من الأردن وإسرائيل على قبول وقف إطلاق النار الذي صدر عن مجلس الأمن الدولي في تلك الليلة. وقد قدرت خسائر الأردن بهذه الحرب كما يلي:

(١) انظر الصفحات : ٢٦، ٧٢، ٧٩، من كتاب حرب حزيران ١٩٦٧م تأليف اللواء الركن المتقاعد يوسف كعوش .

شهداء	جرحى	أسرى حرب	مفقودين
٥٨٠	٣٥١	٥٣٠	حوالي (٢٠٠٠) وهم من الضفة الغربية ذهبوا

إلى قراهم كما خسر الجيش الأردني معظم دباباته وآلياته المختلفة ومدافعه الثقيلة وأكاداساً كبيرة من الذخائر.

بينما قدرت اسرائيل خسائرها رسمياً في الجبهة الأردنية ٢٨٥ قتيل من أصل ٧٦٤ قتيل هم مجموع خسائرها في هذه الحرب في جميع الجبهات. ولم أعثّر على معلومات تدحض هذه التقديرات من قبل الأطراف المتحاربة.

الجبهة السورية :

من الغريب أن سوريا لم تشتبك في المعارك البرية على نطاق واسع طيلة الأيام الأربعة الأولى عندما كانت القوات الاسرائيلية في أعماق سيناء وتقوم باحتلال الضفة الغربية وكانت القوات الأردنية والمصرية تخوض معارك يائسة في مختلف مواقعها. وقد اقتصر التدخل السوري على غارة جوية على مصافي النفط في حيفا في اليوم الأول والتي على أثرها تمكن سلاح الجو الإسرائيلي من تدمير معظم الطائرات السورية.

وقد يصعب على المرء تفسير معنى بقاء القوات السورية ساكنة دون أن تقدم الدعم الفعلي للقوات الأردنية التي كانت تخوض معارك شرسة مع القوات الإسرائيلية المتفوقة عليها تفوقاً واضحاً بالعدد والعدة رغم أن سوريا كانت عضواً في القيادة المشتركة مع مصر والأردن. وقد اقتصرّت مساعدة سوريا على تحريك لواء المشاة (١٧) الذي وصلت طلائعه إلى الحدود عند الرمثا يوم ٧ حزيران بعد أن كانت الضفة الغربية قد احتلت بكاملها ثم وصل هذا اللواء إلى البقعة شمال صويلح يوم ٨ حزيران ثم ما لبثت القيادة السورية أن أمرته بالعودة إلى سوريا دون أن يشترك بأي قتال^(١).

طبعاً أنا لا أدعي أن العون العسكري السوري كان سيتمكن من صد القوات الإسرائيلية المهاجمة لأن المعركة على أي حال كانت قد حسمت لصالح اسرائيل منذ صباح اليوم الأول بعد أن نجح سلاحها الجوي بتدمير السلاج الجوي المصري بكامله. ولكنه ربما كان يمكن أن يساعد على تركيز الوضع العام في الجبهة لو أحسن استغلاله لكسب المزيد من الوقت قبل أن يستولي الجيش الإسرائيلي على الضفة الغربية بكاملها. ولكن المهم هنا أن نعرف أن

(١) انظر صفحة ٧٨، من كتاب حرب حزيران ١٩٦٧م تأليف اللواء الركن المتقاعد يوسف كعوش .

الجبهة السورية بقيت ساكنة حتى يوم ٩ حزيران بعد أن أصبح وقف إطلاق النار على الجبهتين الأردنية والمصرية ساري المفعول. وعندما بدأت إسرائيل هجومها على مرتفعات الجولان وعلى أي أي حال ومهما كانت تفسيرات وأراء المحللين السياسيين والعسكريين فإن القوات الإسرائيلية لم تبدأ الهجوم على سوريا إلا بعد أن تأكدت من خروج القوات الأردنية والمصرية نهائياً من الصراع. لأن خطتهم الأساسية كانت قد وضعت على أساس ضرب الجيوش العربية الثلاثة كل بمفرده الواحد تلو الآخر وقد نجحوا في تطبيقها نجاحاً تاماً.

أما توزيعات القوات السورية فقد كانت ثلاثة ألوية مشاة في الخطوط الأمامية وثلاثة ألوية أخرى في المواقع الخلفية. وكان كل لواء مشاة يضم كتيبة دبابات ومجموعة من المدافع المحمولة ذاتياً بالإضافة إلى كتائب المشاة.

أما الألوية المدرعة فكان يتمركز قسم منها بين القنيطرة وجسر بنات يعقوب والقسم الآخر في منطقة القنيطرة نفسها.

وفي صباح يوم الجمعة ٩ حزيران بدأت القوات الإسرائيلية هجومها على منطقة هضبة الجولان تسبقها الغارات الجوية المكثفة التي كان يشنها سلاح الجو الإسرائيلي على جميع المواقع السورية. وقد كان الهجوم الرئيسي موجهاً ضد الجزء الشمالي من الهضبة في منطقة تل العزيزات بهدف فتح الطريق عبر بانياس ومنحدرات جبل الشيخ التي تؤدي بدورها إلى طريق مسعدة - القنيطرة من الشمال. وبنفس الوقت قام الاسرائيليون بشن عدة هجمات ثانوية على المواقع السورية في منطقة (دردرة - تل هلال - الدرباشية) شمال جسر بنات يعقوب. وهنا لا بد من الإشارة إلى قوة المواقع الدفاعية والتحصينات السورية التي تم بناؤها في هذه الجبهة من الأسمنت المسلح وحفرت بداخل الجبال الصخرية بحيث تتسع لتركيز الأسلحة الثقيلة والمدفعية بداخل الاستحكامات والكهوف والسراديب الجبلية وقد بذل السوريون جهوداً جبارة في بناء هذه التحصينات على مر السنين وتحويل هضبة الجولان إلى قلعة دفاعية حصينة. وكان الاعتقاد السائد في تلك الأيام أنه يكاد يكون من المستحيل على أي عدو اختراقها. كما صرف السوريون مبالغ طائلة في عملية بنائها تزيد عن عشرين مليون دولار في تلك الأيام. وقد تم تصميم هذه الاستحكامات بحيث تكون متساندة ومتعاضدة بحماية متبادلة من مختلف أنواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة. وإذا ما أضفنا إلى عامل قوة التحصينات عامل وعورة المنحدرات الجبلية وقلّة طرق المواصلات فيها وخصوصاً شدة انحدارها من جهة الغرب نحو بحيرة طبريا بحيث لا يمكن للأليات أن تجتازها بدون جهد هندسي ضخم وتحضير مسبق. وهذا أمر ليس من السهل القيام به أثناء

عملية الهجوم. ومع ذلك فقد حشد الاسرائيليون جهداً هندسياً ضخماً وعدداً كبيراً من الجرافات المجنزرة وتمكنوا من التغلب على هذه الصعوبة. وعلى الرغم من أن القوات السورية المدافعة عنها صمدت في مواقعها وقاومت الهجوم الاسرائيلي مقاومة عنيدة إلا أنها انسحبت بسرعة بعد أن شعرت باحتمال وصول القوات الاسرائيلية إلى القنيطرة لكي تتجنب احتمال تطويقها في مواقعها الأمامية. وقد كان هذا الاعتقاد خاطئاً وخطيراً. حيث كان مبنياً على اشاعة ترددت فجأة كان مفادها أن القوات الاسرائيلية قد وصلت إلى القنيطرة وثبت أنها اشاعة كاذبة ولكن بعد فوات الأوان حيث أن القوات السورية كانت بذلك الوقت قد انسحبت من مواقعها الحصينة في الجولان وبهذا الانسحاب أصبحت الطريق أمام القوات الاسرائيلية مفتوحة إلى دمشق إذ لم يبق أمامها سوى السهول المنبسطة الخالية من أية مواقع دفاعية مهمة. بينما لو صمدت القوات في مواقعها الأمامية الحصينة في هضبة الجولان فإنه سيكون بإمكانها إيقاف زخم الهجوم الاسرائيلي من ذلك المحور عند تلك المواقع ولو لفترة معقولة. أما في المنطقة الشمالية من الجولان فقد كانت عقدة الدفاعات في منطقة تل العزيزات التي كانت جميع تحصيناتها مبنية من الأسمنت المسلح ومنها تسيطر بالنيران على جميع أنحاء المنطقة الشمالية الشرقية لوادي الحولة. ولكي يتمكن المهاجم من احتلالها يترتب عليه أن يقوم بحركة التفاف طويلة حولها لكي يستطيع احتلال الدفاعات الواقعة خلفها أولاً ثم يهاجمها من الخلف بعد ذلك. ولكي يضمن المهاجم النجاح بهذه الحركة يترتب عليه أن يحتل موقع (تل الفاخر) الذي كان محصناً تحصيناً قوياً ومحمياً بحقول الألغام والأسلاك الشائكة والاستحكامات القوية. كما كانت تحيط به مواقع المدافع المضادة للدروع والرشاشات الثقيلة.

وعندما بدأت القوات الاسرائيلية هجومها على هذا الموقع واجهتها القوات السورية بنيران فتاكة ودارت معركة شرسة خسر الإسرائيليون خلالها خسائر ضخمة واشتبك الطرفان بالسلح الأبيض. وبالنتيجة أيدت معظم القوة الإسرائيلية التي هاجمت الموقع الأول. وعند الهجوم على الموقع الثاني خسرت القوة الاسرائيلية المهاجمة عدداً كبيراً من جنودها وضباطها. ولكن رغم هذه الخسائر فقد واصل اللواء الاسرائيلي هجومه على موقع تل الفاخر وأحضر قوات إضافية من الدروع وكتيبة استطلاع آلية. واستمر القتال العنيف حول هذا الموقع طيلة النهار. وفي الساعة السادسة مساء تمكن اللواء الاسرائيلي من احتلال تل الفاخر بعد معركة تعتبر من أشد المعارك عنفاً. ثم استمر هذا اللواء بعد أن انضمت إليه تعزيزات إضافية من المشاة والدبابات بالهجوم على تل العزيزات من الخلف. واستمر القتال في هذا

الموقع حتى حلول الظلام حيث تمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال تل العزيزات ثم واصلت تقدمها باتجاه بانياس.

وبهذه الاثناء كان لواء اسرائيلي مدرع آخر يتقدم باتجاه (قالا) و(الزاعورة) تتقدمه الجرافات المدرعة ووحدات الهندسة وأخذ يصعد المرتفعات الحادة. وتحت وابل كثيف من نيران المدفعية السورية استمر بتقدمه. ورغم أنه قد تم تدمير جميع الجرافات وعدد كبير من الدبابات المرافقة للمشاة فقد استمر العدو بتقدمه ودامت الاشتباكات العنيفة عدة ساعات. وتشبث السوريون بمواقعهم وثبتوا تحت ضغط الغارات الجوية المكثفة والقصف المدفعي الشديد وكبدوا القوات الإسرائيلية خسائر فادحة. ولكن الاسرائيليين أعادوا تنظيم قواتهم بسرعة وعززوها بوحدات مدرعة جديدة. وقاموا بشن هجوم مركز جديد. وعندئذ انسحبت القوات السورية تحت ضغط هذا الهجوم. وبحلول المساء كان الاسرائيليون يسيطرون على قمم المرتفعات في الجولان الشمالي أما في الجنوب فقد تقدمت قوة اسرائيلية مؤلفة من لوائي مشاة وعبرت نهر الأردن من منطقة مستعمرة (مشارها ياردن) واحتلت قرى الاربشية وجلبينا ودردره وبهذه الحركة فتحت الطريق أمام اللواء المدرع الذي عبر من هذا المحور إلى المرتفعات المقابلة واحتل قرية (الروية). وبنفس الوقت تقدمت كتيبة من المظليين واحتلت باقي المواقع السورية الصغيرة حول قرية (الدربشية). وبهذا أصبحت الطريق المؤدية من جسر بنات يعقوب مفتوحة أمام القوات المدرعة الإضافية التي بدأت الزحف حول هذا المحور لاحتلال القنيطرة. وفي صباح اليوم التالي ١٠ حزيران هاجم الاسرائيليون بقوة قوامها لواء مدرع ولواء مشاة منطقة بلدة بانياس. وبعد احتلالها استمروا في تقدمهم واحتلوا قريتي عين فيت ومسعدة الواقعتين على المنحدرات الجنوبية لجبل الشيخ. وبنفس الوقت زحف لواء مدرع آخر من قالا إلى القنيطرة. كما تقدم لواء مشاة واحتل كفرنافخ وواصل هجومه كذلك باتجاه القنيطرة. وهكذا أخذت جميع الألوية الاسرائيلية المدرعة والمشاة المتواجدة في القسم الشمالي من هضبة الجولان تزحف نحو القنيطرة. وعند الظهر وصلت معلومات إلى القوات السورية الأمامية تفيد أن القنيطرة قد سقطت بيد القوات الاسرائيلية بينما كانت جميع تلك القوات لا تزال بعيدة عن القنيطرة وفي حالة اشتباك. ورغم ذلك فعندما وصلت هذه المعلومات إلى القوات السورية بادرت بالتقهقر السريع باتجاه الشرق. وعندئذ كثف الاسرائيليون غاراتهم الجوية وأخذوا يقصفون القوات المتقهقرة بشكل مستمر ومكثف ويكبدوها خسائر فادحة. وقد عمت حالة من الفوضى جميع أنحاء الجبهة وتمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال القنيطرة بسهولة ظهر يوم السبت ١٠ حزيران ١٩٦٧م. وبنفس الوقت أنزل الاسرائيليون قوة محمولة بطائرات الهيلوكبتر واحتلت المواقع السورية الحصينة

على قمة جبل الشيخ - وعندما كانت المعارك محتدمة في منطقة القنيطرة زحفت قوات اسرائيلية كبيرة من المشاة والدروع صباح يوم ١٠ حزيران للهجوم على القسم الجنوبي من مرتفعات الجولان المجاذية لبحيرة طبريا من الشرق في منطقة (التوافيق). وبعد قصف عنيف من المدفعية والطائرات تمكنت من احتلال بلدة التوافيق ومن ثم نزلت قوات مظليين بطائرات الهيلوكبتر واحتلت بلدتي (فيق) و(علعال). ثم تحركت شرقاً واحتلت قريتي (البطمية) و(الرفيد). وبهذا أصبحت جميع مرتفعات الجولان التي تطل على سهول دمشق من (مسعدة) في الشمال حتى القنيطرة والرفيد في الجنوب إلى ملتقى نهر الأردن واليرموك بيد الجيش الاسرائيلي وعندئذ تم الاتفاق على وقف اطلاق النار بالساعة الثامنة والنصف مساء يوم ١٠ حزيران ١٩٦٧م وانتهت معركة الجولان.

تعليقات على هذه الحرب :

لقد صدر الكثير من المؤلفات عن هذه الحرب وهي في معظمها لمؤلفين غير عرب وكثير منهم يهود. وأما المؤلفون العرب الذين كتبوا عن هذه الحرب أو سابقتها فقد كانوا قلة ومؤلفاتهم لم تغطي الكثير من الجوانب الهامة للحرب سواء كانت العسكرية أو السياسية. وهي في غالبيتها لا تدخل في التفصيلات الدقيقة والأسرار واستخلاص الدروس من نتائجها. وتجدر الإشارة هنا أن نلاحظ أن معظم المؤلفين وخصوصاً غير العرب قد ركزوا في بيان أسباب نشوب هذه الحرب على الاجراءات التي قام بها الرئيس جمال عبد الناصر عندما حشد القوات المصرية المسلحة في سيناء وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة سحب قوات الطوارئ من الأراضي المصرية ثم إعلانه عن اغلاق مضائق ثيران في وجه الملاحه الإسرائيلية. ومعظم المؤلفين يقولون أنه لولا هذه الأعمال التي قام بها عبد الناصر لما وقعت الحرب. ومنهم من ذهب إلى القول بأن سوريا كانت هي المسبب الرئيسي للحرب لأنها دفعت عبد الناصر لاتخاذ تلك الاجراءات التي اتخذها عندما ألحت عليه بطلب المساعدة وتطبيق اتفاقية التعاون المشترك لأن اسرائيل تستعد لشن هجوم رئيسي عليها وقد حشدت قوات كبيرة مؤلفة من أحد عشر لواء في مواجهة الجبهة السورية استعداداً لهذا الهجوم، وقد نقلت هذه المعلومات عن تلك الحشودات إلى الحكومة السورية عن طريق الاتحاد السوفياتي الذي أكدها بدوره إلى الحكومة المصرية على الرغم من أن اسرائيل نفت تلك المعلومات نفياً قاطعاً وطلبت من السفير السوفياتي أن يزور الخطوط الامامية الاسرائيلية مقابل الجبهة السورية ليتأكد بنفسه من عدم وجود حشد للقوات بهذا الحجم ولكنه اعتذر عن القيام بهذه الزيارة.

ومن هذا المنطلق حاول بعض المؤلفين اتخاذ هذه الواقعة كدليل على حسن نية اسرائيل وإنها لم تكن تنوي شن الحرب ضد الدول العربية أو على الأقل لن تكون هي البائدة بالحرب. ولذلك فهم يعتقدون أنه كان بإمكان جمال عبد الناصر تجنب وقوع هذه الحرب لو أنه التزم الهدوء وأبقى قواته وراء قناة السويس وأبقى قوات الطوارئ على الحدود مع اسرائيل ومضائق ثيران مفتوحة.

وذهب بعض المؤلفين إلى لوم الملك حسين على اشتراكه في الحرب التي كان من نتيجتها قيام اسرائيل باحتلال الضفة الغربية بكاملها. ويزعمون كذلك أنه هو الآخر لو وافق على الرسالة التي يقولون أن ليفي اشكول أرسلها له عن طريق كبير المراقبين الدوليين الجنرال (أود بول) يطلب من الملك أن لا يشترك بالحرب وبالمقابل فإن اسرائيل لن تهاجم قواته في الضفة الغربية وأن رفض الملك الموافقة على هذا الطلب كان السبب في قيام اسرائيل بهجومها الواسع على الأردن. مع أنه بقليل من التفكير يتضح أن هذه الرسالة المزعومة لو صح وجودها فإنها لم تكن سوى خدعه لكسب الوقت ومن المستحيل أن تؤخذ على محمل الجد والثقة. فكيف يمكن أن يتوقعوا من الملك حسين أن يبقى خارج الحرب وبلده يقع على أطول خطوط المواجهة مع اسرائيل. وهو قد وقع لتوه على اتفاقية دفاع مشترك مع جمال عبد الناصر عشية وقوع الحرب فكيف يمكن أن يقف الآن متفرجاً بينما تتعرض مصر للهجوم الاسرائيلي ويكون عذره الوحيد أنه تلقى وعداً من اسرائيل بأنها لن تهاجم بلاده إذا بقي خارج الحرب. وعلى أي حال فإن لهؤلاء المؤلفين عذرهم لأنهم ليسو عرباً وهم يكتبون من وجهة نظرهم وما يتفق مع مجتمعاتهم وسياسة بلدانهم ومن الصعب عليهم أن يفهموا وجهة النظر العربية حول الصراع مع اسرائيل أو ما هي أهمية التضامن العربي والنخوة العربية التي لن يتخلى عنها العربي حتى لو كلفه ذلك حياته.

ومهما تكن وجهات نظر المؤلفين الأجانب والمحليين الذين كتبوا عن هذا الموضوع فإنني أحب أن أبين بعض الحقائق التي تدحض هذه الأفكار والتي تثبت أن اسرائيل كانت تنوي شن حرب وقائية ضد الجيوش العربية وخصوصاً قبل أن تستطيع مصر استيعاب الأسلحة الحديثة التي حصلت عليها من الاتحاد السوفياتي حديثاً. ولم تكن الاجراءات التي اتخذها جمال عبد الناصر سوى ردود فعل لأوضاع معينة خلقتها اسرائيل خصيصاً لكي تجره إلى هذا الموقف ولتظهر أمام الرأي العام الأمريكي والعالمي أنها ليست معتدية وإنما هي تشن حرباً وقائية أرغمت عليها ارغاماً للدفاع عن كيانها الذي أصبح مهدداً بشكل خطير من قبل الجيوش العربية كما أنها بنفس الوقت سوف تحاول بحرب خاطفة احتلال المزيد من الأراضي العربية التي تمكنها من بناء المزيد من المستعمرات واستيعاب أعداد كبيرة من

المهاجرين اليهود. ولكي يصبح لديها موقف مساومة قوي يمكنها من إجبار العرب على الجلوس معها على طاولة المفاوضات بحسب شروطها هي؛ ولقد أشرت سابقاً إلى أن سياسة التوسع عن طريق الحروب المتتالية هي دستور اسرائيل الثابت منذ تأسيسها. ولتعزيز إثبات هذه النظرية فإنني أحب أن أشير إلى تقرير صدر في شهر آذار عام ١٩٤٨ م عن رئاسة هيئة الأركان المشتركة للقوات الأمريكية في صدد دراستهم للمتطلبات العسكرية في فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني جاء فيه ما يلي^(١) :

«إن الاستراتيجية الصهيونية سوف تسعى لتوريط الولايات المتحدة الأمريكية في سلسلة من العمليات الحربية المستمرة التي تهدف إلى تحقيق أقصى الأهداف الصهيونية التي لخصها التقرير بالنقاط الآتية:

- ١ - قبول الدول العظمى بحق اليهود بالهجرة غير المحدودة إلى فلسطين.
 - ٢ - تحقيق السيادة اليهودية على فلسطين بكاملها.
 - ٣ - توسيع مساحة أرض اسرائيل لتشمل شرق الأردن وأجزاء من سوريا ولبنان.
 - ٤ - تأسيس دور قيادي يهودي عسكري واقتصادي في جميع بلدان الشرق الأوسط.
- ويضيف التقرير أن هذه الأهداف تعتبر أهدافاً مقدسة لدى القادة اليهود بدرجة متساوية وأن هؤلاء القادة كانوا يجهرن بها علانية ولا يحاولون اخفاءها. وأن الوكالة اليهودية كانت تطلع بعض الرسميين الأمريكيين عليها بطريقة خاصة» انتهى التقرير.
- ونحن نعلم أن هذه الأهداف الاستراتيجية الصهيونية كانت موضوعة منذ القدم. وقد كانت الحكومة الأمريكية تعرف الشيء الكثير عنها قبل انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين. ومنذ حرب عام ١٩٤٨ م حتى الآن استطاع اليهود تحقيق الهدفين الأول والثاني بكاملهما كما حققوا جزءاً من الهدف الثالث. وقد تسعى اسرائيل لخلق المناخ المناسب سياسياً وعسكرياً لتحقيق ما تبقى من هذه الأهداف. وسوف تنجح بذلك بكل تأكيد إذا استمر العرب على حالتهم المريعة من التفرق والتناحر والعجز عن تحقيق وحدتهم التي هي سلاحهم الوحيد الفعال في وجه هذه المخططات الخطيرة.

وعندما نعرف أن هذه هي الأهداف الاستراتيجية الصهيونية الثابتة والتي تحقق حتى الآن معظمها فلن يبقى معنى للقول بأنه لولا اجراءات جمال عبد الناصر لما وقعت حرب عام

(١) كتاب العلاقات السرية الامريكية مع اسرائيل - تأليف ستيفن غرين .

Taking Sides. America's Secret Relations with a Militant Israel 1948 - 1967.
By Stephen Green

١٩٦٧م.. أو لولا رفض الملك حسين قبول اقتراح (اشكول) بعدم دخوله الحرب لما خسر الضفة الغربية. لأن إسرائيل تعمل ضمن خطة استراتيجية ثنائية تطبقها على مراحل ولا مكان عندها لأية نظرة عاطفية أو إنسانية. ولن يحصل العرب على حقوقهم إلا إذا أصبحوا أقوياء وتمكنوا من أخذها بأنفسهم وليس باستجدائها من أحد. ولن يصبح العرب أقوياء إلا عندما يتمكنوا من التغلب على خلافاتهم وأحقادهم وينجحوا في تحقيق وحدتهم الكاملة الشاملة مهما كان هذا الهدف يبدو بعيداً الآن.

ولن يكون للوحدة العربية قوة روحية خلاقة إلا إذا تمسك العرب بمبادئ الإسلام الحنيف الذي لن يعز العرب إلا بعزته وهم لم يذلوا إلا عندما ابتعدوا عنه وتنكروا لقيمه. ومع تمسك العرب بمبادئ دينهم الحنيف عليهم الابتعاد عن التعصب الأعمى وأن لا يسيئوا بتصرفاتهم لسمعة الإسلام ومعتقداته وليعلموا أن أمتنا معرضة لهجمة عنصرية تهدد كيائها من أساسه ولن تستطيع التصدي لها بفعالية إلا إذا أصبحت أمة عربية واحدة تدعو إلى نشر الحق والعدالة وتذود عن مقدساتها وديارها بقوة الإيمان وطلب الشهادة في الجهاد الحق في سبيل اعلاء كلمة الله والذود عن حياص الوطن والتصدي للعدوان بقوة واقتدار مستمدين من جوهر ديننا الحنيف الذي جاء لخير البشرية جمعاء: ومن هنا يجب أن ينطلق نداء الوحدة العربية لتوحيد شعوب هذه الأمة وجمع كلمتها لتمضي قدماً تحت راية الإسلام في طريق النصر أو الشهادة. ولقد أثبتت تجاربنا خلال ما يزيد عن أربعين سنة أن هزائمنا في جميع الحروب التي خضناها مع إسرائيل كانت دوماً تعود لهذه الأسباب التي آلت بنا إلى هذه الحال. وليس لأن إسرائيل قوة خارقة لا يمكن قهرها بل لأننا نصر بكل عناد على تكريس فرقتنا وتشيت قوانا وتبذير مصادر ثرواتنا الهائلة في كل ما هو غير نافع لنا وضار بمصالح أجيالنا القادمة.

وهذه الحرب الثالثة التي نحن بصدها كانت أوضح دليل على الأذى المالحق الذي لحق بأمتنا بسبب تفرق شعوبها وتشيتها وتضارب أهدافها.

وقد وضع جمال عبد الناصر نفسه بموقف المتسبب بنشوب هذه الحرب لأنه أراد أن يخف لنجدة سوريا عندما تعرضت للخطر ومكن إسرائيل بسبب ذلك أن تجره تدريجياً لاتخاذ اجراءات معينة كان المقصود منها أن تؤدي إلى اعطائها المبرر الذي تريده وبالوقت الذي يناسبها لكي تشن هذه الحرب عندما كانت العلاقات العربية في أسوأ حالاتها. فتمكنت من ضرب مصر أولاً والأردن ثانياً وسورياً ثالثاً. لأن الأمة العربية لم تتمكن من الاستعداد الكامل لها وتوحيد جهودها بشكل سليم لكي تقاتل بكفاءة عالية ومقدرة تامة ضمن خطة متكاملة وقيادة واحدة فعالة.

ولعلي أرى من المناسب هنا أن اتطرق إلى استكمال شرح الأسباب الحقيقية التي أدت إلى نشوب هذه الحرب وما هو الدور السياسي والعسكري الذي لعبته الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة إسرائيل لتمكينها من الوصول بهذه الحرب إلى النتائج التي وصلت إليها. ومن هذا المنطلق فإنني أرى أن إسرائيل قد بدأت تستعد لشن حرب عام ١٩٦٧م بعد انتهاء حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م مباشرة لأنها شعرت أنها لم تحقق الكثير من أهدافها الرئيسية التي أشرت إليها سابقاً بنتيجة تلك الحرب. ولا سيما عندما أرغمت على الانسحاب من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة بنتيجة الضغط الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة الرئيس أيزنهاور عليها. رغم أن هذا الضغط لم يكن من منطلق الغيرة على مصلحة البلدان العربية بل كان الهدف الحقيقي منه إحلال النفوذ الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط محل النفوذ البريطاني والفرنسي.

ولقد ركزت إسرائيل جهودها كلها على الاستعداد لهذه الحرب في الميادين الآتية :

أولاً : الميدان العسكري

ويتمثل في إعادة تنظيم قواتها المسلحة واستيعاب أحدث أنواع الأسلحة المتطورة التي كانت تحصل عليها من أمريكا بسهولة ويسر. ولا سيما أحدث أنواع الطائرات والدبابات وجميع ما يتعلق بها من وسائل التكنولوجيا المعقدة.

ثانياً : الميدان السياسي

وذلك عن طريق توثيق العلاقات الأمريكية الإسرائيلية بشكل يجعل من أمريكا شريكاً فعلياً في أي حرب ستقوم بها إسرائيل في المستقبل.

وقد تطور هذا الأسلوب بعد الحرب حتى أصبح في عقد السبعينيات تحالفاً استراتيجياً رسمياً يلزم أمريكا كشريك بكل ما يتطلبه التحالف من دعم وحماية لإسرائيل ومن المساهمة الفعالة في تطوير الصناعات الحربية الإسرائيلية وتزويدها بالخبرات والمواد الخام والمال. وخصوصاً في صناعات الطائرات الحربية والصواريخ والقنابل النووية في جميع الأحوال والظروف بحيث أصبحت أمريكا تعامل إسرائيل في هذا المجال وفي المجال المالي والاقتصادي بشكل عام بأفضل مما تعامل أقرب حلفائها مثل بريطانيا.

ثالثاً : الميدان الاستخباري

وذلك بالسعي لخلق المؤامرات والعمل على تشجيع الفرقة والخلاف بين الدول العربية

بشكل مستمر وضمن عدم امكان تحقيق اتحاد هذه الدول لمواجهة اسرائيل كقوة واحدة. وبنفس الوقت القيام ببيت الجواسيس في جميع البلدان العربية لكي لا تفاجأ اسرائيل بأي وقت من الأوقات بعمل عربي كبير وفعال ضدها. وعلى الرغم من أن اسرائيل استمرت باستعداداتها ضمن برامج ثابتة تقوم بتنفيذ مراحلها تدريجياً. إلا أن التطورات أخذت تتسارع حوالي عام ١٩٦٥ حيث أصبح احتمال وقوع الحرب الثالثة بين العرب واسرائيل أمراً حتمياً ولذلك فقد أخذت الأجهزة الأمريكية ترقب جميع التحركات والاجراءات في منطقة الشرق الأوسط وتضع الدراسات وتنظم التقارير المطولة لكي تضمن أن لا تكون اسرائيل في موقف الضعف ولكي تكون دوماً متفوقة عسكرياً على جميع الجيوش العربية مجتمعة.

وبهذا الصدد أحب أن اشير هنا إلى بعض المعلومات التي اقتبستها من مصادرها المختلفة والتي توضح مدى دعم أمريكا المستمر لاسرائيل وبلا حدود وأجزها بما يلي:

١ - يقول ملخص تقرير وكالة الاستخبارات المركزية لشهر حزيران عام ١٩٦٤ م (١) ما يلي:

«إن تقديراتنا تؤكد أن اسرائيل سوف تستمر بالاحتفاظ بتفوقها العسكري الحالي على العرب لعدة سنوات قادمة. وعلى الرغم من ادعاءات اسرائيل المبالغ فيها فإن قدرات الجمهورية العربية المتحدة في حقل الصواريخ سوف تبقى بشكل رئيسي ضمن نطاق التهديد النفسي فقط، في المستقبل المنظور. وإن امكانياتها في التسليح الذري تعتبر لا شيء».

٢ - في مايس ١٩٦٥ تقدم سفير اسرائيل في واشنطن (أبراهام هارمن) بطلب إلى وزارة الخارجية الأمريكية لتقديم موعد تسليم طلبية اسرائيل من دبابات (م٤٨). وبهذا الوقت بالذات كانت اسرائيل تخرق اتفاقيات الهدنة يومياً في الجبهة السورية وتدفع بدباباتها إلى داخل المنطقة المجردة من السلاح بين اسرائيل وسوريا. كما كانت تطلق النار باستمرار على العمال السوريين الذين كانوا يعملون في مشاريع الري السورية في محاولة لجر سوريا إلى الحرب. وعلى الرغم من معارضة بعض موظفي وزارة الخارجية فقد حصلت اسرائيل على طلبيتها من الدبابات.

٣ - وفي شهر حزيران ١٩٦٥ م طلب السفير الإسرائيلي في واشنطن من وزارة الخارجية تفويضاً لاسرائيل بشراء طائرات الفانتوم (F4) التي كانت في ذلك الوقت أكثر تطوراً من أية طائرة يملكها الاتحاد السوفياتي وكانت هذه الطائرة قد دخلت الخدمة الفعلية في

(١) كتاب العلاقات السرية الامريكية مع اسرائيل - تأليف ستيفن غرين .

America's Secret Relations with a Militant Israel 1948 - 1967. By Stephen Green

سلاح الجو الأمريكي منذ أقل من سنة فقط. وقد حصلت اسرائيل على هذه الطائرات كما حصلت على الطيارين الأمريكيين اللازمين لها لتستخدمهم مدة كافية حتى تتمكن من تدريب العدد الكافي من الطيارين الاسرائيليين على هذا النوع من الطائرات.

٤ - خلال عام ١٩٦٦م كان البيت الأبيض يرقب بكل دقة موقف الأمن الاسرائيلي. وقد قدمت له في هذا الموضوع عدة تحليلات استخبارية كانت جميعها تظهر أن قدرات اسرائيل التسليحية ستبقى متفوقة على قدرات كافة الدول العربية مجتمعة. وفي شهر نيسان ١٩٦٧ وصلت قوة اسرائيل العسكرية إلى مستوى يمكنها من التغلب على جميع الجيوش العربية بسهولة. وعلى الرغم من هذه الحقيقة فقد كانت اسرائيل تبذل قصارى جهدها لاقناع أمريكا بأن العرب يستعدون لشن الحرب ضدها. وفي هذا المجال ورد في أحد التقارير أنه في الأسبوع الأخير من شهر مايس عام ١٩٦٧م قام رئيس جهاز الاستخبارات الاسرائيلية (الموساد) بمقابلة رئيس محطة الاستخبارات المركزية (C I A) في تل أبيب وأخبره عن وجود تحشدات عسكرية عربية هائلة بالقرب من حدود اسرائيل. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المقابلة تمت قبل أن يقوم جمال عبد الناصر بحشد قوات الجيش المصري في سيناء. وتأكيداً لعدم صحة هذا الادعاء الاسرائيلي فإن الاستطلاعات الجوية الأمريكية لم تعثر على أي دليل يثبت وجود هذه التحشدات العربية المزعومة. وعلى أثر ذلك كتب رئيس محطة الاستخبارات المركزية في تل أبيب إلى الرئيس جونسون يقول له. (يظهر أن اسرائيل تحاول دفع الولايات المتحدة لكي تأخذ موقفاً منحازاً لجانبها).

٥ - بتاريخ ٢٥ أيار ذهب وزير خارجية اسرائيل (أبا اييان) بزيارة إلى واشنطن ولدى اجتماعه مع (دين راسك) وزير خارجية أمريكا أبلغه بأن لديه معلومات عن وجود استعدادات أكيدة لهجوم مزدوج ستقوم به مصر وسوريا ضد اسرائيل. وحول هذه النقطة كتب راسك ملحوظة إلى الرئيس جونسون يقول فيها. (إن استخباراتنا تنفي هذه الادعاءات الاسرائيلية). وهنا يجب أن نتذكر أن اسرائيل هي التي كانت تستعد للهجوم على البلاد العربية بهذه الفترة وقد قام (دين راسك) بابلاغ الرئيس جونسون حول هذا الموضوع بما يلي:

إنه في الوقت الذي تقوم به اسرائيل باستعداداتها للحرب كما يظهر فإن الادارة أمامها خيارين:

أ - أن نترك الاسرائيليين ليقرروا بأنفسهم أفضل الطرق لحماية مصالحهم القومية أي (نقلت لهم الزمام).

ب - أن نتحرك بفعالية للتوسط في حل المشكلة القائمة ونمنع جيوش الطرفين من الاشتباك.

وقد أوصى (راسك) باتباع الخيار الثاني. وأضاف قائلاً :

«إن قيام إسرائيل بضربة وقائية سوف يخلق مصاعب كبيرة للولايات المتحدة» وبالنسبة لتركزنا في قيادة العالم فإن الشعب الأمريكي سوف يقوم بما يجب عمله إذا حدث الخطأ من الجانب الآخر. ولا يوجد أمامنا بديل. ولذلك فإن المسؤولية في التسبب في وقوع الحرب تشكل مشكلة كبيرة بالنسبة لنا: (ولكن على الرغم مما كتبه (راسك) فإنه كما يظهر كان هنالك خيار آخر وهو التظاهر بالتوسط لحل النزاع سلمياً وبنفس الوقت وبطريقة تآمرية اطلاق العنان للاسرائيليين لشن الحرب. وهذا ما حصل فعلاً). وبمعنى آخر فقد كان الرئيس جونسون راغباً في ترك إسرائيل تشن الحرب شريطة أن لا تظهر أنها هي التي تسببت في وقوعها. ولذلك فقد كتب رسالة إلى رئيس وزراء إسرائيل ليفي اشكول جاء فيها.

«يجب أن أؤكد على ضرورة أن لا تجعل إسرائيل نفسها مسؤولة عن البدء في القتال. ولن تبقى إسرائيل وحدها إلا إذا قررت هي أن تمضي لوحدها. ولا أتصور أنها سوف تتخذ مثل هذا القرار»، وهذا معناه أن الولايات المتحدة الأمريكية على لسان رئيسها تقول لإسرائيل أن بإمكانها شن الحرب ضد الدول العربية وسوف تتلقى الدعم والحماية اللازمين شريطة أن تتأكد بأن لا تظهر أمام الرأي العام أنها كانت البادئة بالحرب. وهذا ما حصل فعلاً.

وعندما أرسل والت روستو (Walt Rostow) المسودة النهائية من الكتاب الموجه إلى ليفي اشكول لتوقيعها من الرئيس جونسون أضاف ملحوظة أرفقها مع الكتاب موجهة للرئيس جاء فيها ما يلي:

إذا أفلتتنا الزمام للاسرائيليين سنكون بهذا قد خلقنا فرصة ذهبية لتحقيق عدد من أهداف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بضربة واحدة أهمها ما يلي:

١ - احراج السوفييات في الشرق الأوسط عن طريق تحطيم جيوش الدول التي قاموا بتسليحها بكثافة لمدة أربع سنوات مضت.

٢ - تدمير غالبية التجهيزات والأسلحة السوفياتية التي أرسلوها إلى الشرق الأوسط وأثناء ذلك فحص فعالية الأسلحة الأمريكية وغيرها من الأسلحة ضد مثيلاتها من الأسلحة السوفياتية.

٣ - إضعاف مركز جمال عبد الناصر وربما الاطاحة بنظام حكمه.

٤ - تمكن الاسرائيليين من احتلال اراضي اضافية يتمكنون بواسطتها من إجبار دول المواجهة العربية على الجلوس معهم على طاولة المفاوضات بشكل جدي للتوصل إلى حل نهائي للمشاكل القائمة بينهم منذ تسعة عشر عاماً وإنهاء النزاع في الشرق الأوسط.

على أن هنالك شرط أساسي واحد يجعل تحقيق جميع هذه الاهداف ممكناً وهو الانتصار الاسرائيلي السريع على العرب في ميدان القتال: (انتهت الملحوظة). وهذا بالضبط هو ما سعى الرئيس الأمريكي جونسون لتحقيقه وتأكد من نجاحه. حيث دأب على ملاحقة مدير وكالة المخابرات المركزية لأعطائه التقديرات الدقيقة عن قدرة القوات الاسرائيلية على الصمود في وجه هجوم عام تقوم به الجيوش العربية مجتمعة وكان دوماً يتلقى الجواب بأن اسرائيل تستطيع كسب الحرب ضد أي جيش عربي أو ضد جميع الجيوش العربية مجتمعة بمدة لا تتجاوز أسبوع. ومع ذلك فقد عاد وطلب من وكالة المخابرات المركزية ومن مجلس الأمن القومي اعادة تحديث دراساتهم للتأكد من أن اسرائيل سوف يكون بمقدورها التغلب على جميع الدول العربية إذا وقعت الحرب. وبتاريخ ٢٦ أيار ١٩٦٧م قدمت هذه الوكالات تقاريرها المفصلة إلى الرئيس والتي لم تأت مؤيدة لتقاريرها السابقة فحسب بل تضمنت تفاصيل حول كيفية تحقيق هذا الانتصار الاسرائيلي والتي تتلخص بالقيام بضربة جوية ضخمة ضد السلاح الجوي العربي يصاحبها اختراق مدرع خاطف عبر سيناء نحو قناة السويس وعندما استفسر جونسون فيما إذا كان هنالك أي احتمال بأن تكون نتيجة الحرب في صالح العرب وهل ستتعرض اسرائيل لأية مخاطر كان الجواب بالنفي القاطع. وعندئذ فقط ارتاح ضمير جونسون واطمأن إلى أن باستطاعته السماح لاسرائيل بتنفيذ خطتها بالسلاح الأمريكي الذي حصلت عليه بلا حساب وأن يضمن نجاحها بسهولة في ساحة القتال.

ورغم كل هذه المعلومات فقد ظلت أمريكا تنكر دوماً علمها بأن اسرائيل كانت تخطط لشن حرب ضد العرب وتدعى أن جمال عبد الناصر هو الذي تسبب بوقوع هذه الحرب ولولا أنه حشد قواته في سيناء وأغلق مضائق ثيران لما اضطرت اسرائيل للقيام بهذا الهجوم الذي ادعى جميع المسؤولين الأمريكيين أنهم لم يكونوا على علم مسبق بما كان يعمله الاسرائيليون من استعدادات لتنفيذه. كما نفى الأمريكيون أن يكونوا قد قدموا لاسرائيل أية مساعدات فعلية في الحرب أو أن قواتهم قد اشتركت عملياً فيها. مع أن كل هذه الادعاءات كانت غير صحيحة. وسوف أدحضها ببيان ملخص عن المساعدات الهامة التي تلقتها اسرائيل من أمريكا قبيل وأثناء الحرب بالاضافة إلى الكميات الهائلة من أحدث أنواع الأسلحة المتطورة التي زودتها بها بلا حساب وبأثمان تدفعها من مساعداتها المالية. فتكون

النتيجة أن أمريكا تشتري سلاحاً أمريكياً بأموال أمريكية لتعطيه لإسرائيل لكي تقاتل به العرب الذين تدعي أمريكا أنها صديقة لهم ولا سيما دول النفط. وباسم هذه الصداقة تأخذ بترولهم بثمن بخس ومن هذا البترول تعوض تمويل صفقات الأسلحة التي تعطيها لإسرائيل لتذبح بها أبناء أمة العرب ومنهم أصحاب البترول. أي أن بترول العرب يستعمل كأداة لقتل أبناء العرب. فهل فكرنا نحن العرب بهذه المعادلة التي يشترك بعض بني قومنا بطريقة غير مباشرة وربما عن جهل في تنفيذها. والتي يجري تنفيذ فصولها على أرضنا وفي عقر دارنا. لا أظن ذلك، لأن من يملكون ثروة البترول من العرب مشغولون بجمع الثروات وبشؤونهم القطرية والخاصة. ومن لا يملكون تلك الثروة يركضون أبد الدهر وراء رغيف الخبز لابنائهم ولا يكادون يحصلون عليه.

والاسرائيليون يرقبوننا ويضحكون استهزاءً وشماتة بأمة المتناقضات العربية. أمتنا الماجدة التي نسيت تاريخها فنسيها التاريخ.

وأما الآن فسوف أبين تالياً بعض هذه المساعدات التي قدمتها أمريكا لإسرائيل بهذه الحرب لكي تضمن فوزها على كل العرب.

أولاً : بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٦٧م وافق الرئيس جونسون على إرسال شحنة طائرة منقولة جواً إلى إسرائيل وتتكون من ناقلات جنود مدرعة وقطع غيار للدبابات وقطع غيار لصواريخ (هوك) للدفاع الجوي وفيوزات لقنابل الطائرات وكميات من ذخائر المدفعية وكمادات الغاز وغيرها من اللوازم المهمة الأخرى. وقد تم شحن هذه المواد قبل ٥ حزيران لتكون جاهزة لاستعمالها في الحرب عند بدئها.

وقد اتخذ الرئيس جونسون هذه الإجراءات بنفس الوقت الذي أعلن فيه عن منع إرسال أية أسلحة أو مواد حربية لأية دولة من دول الشرق الأوسط بحسب نص قراره وهذا يعني طبعاً الدول العربية فقط. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف يمكن أن تسير سياسة دولة عظمى مثل أمريكا بهذا الأسلوب المتحيز؟

وتأكيداً لامعان الإدارة الأمريكية في التحيز لإسرائيل ففي يوم ٥ حزيران وعندما كانت الطائرات الاسرائيلية قد أكملت تدمير سلاح الجو المصري جاء آرثر كريم (Arhter Krim) أحد زعماء الصهيونية وقابل جونسون لكي يخبره أن إحدى شحنات الأسلحة المرسلة لإسرائيل قد طرأ عليها تأخير وطلب تبديلها بشحنة أخرى بسرعة وتم له ذلك على الفور.

ثانياً : كان الاسرائيليون يريدون التأكد من أن الروس لن يتدخلوا في الحرب ولذلك أرسل اشكول رئيس وزراء اسرائيل صباح يوم ٥ حزيران بعد بدء الهجوم رسالة إلى الرئيس جونسون يطلب فيها بالتحديد أن تقوم أمريكا بحماية اسرائيل إذا تدخلت روسيا في الحرب. وقد نفذ جونسون هذه الحماية يوم ١٠ حزيران عندما كانت اسرائيل تنفذ هجومها على سوريا وبعد أن كان الرئيس جمال عبد الناصر قد وافق على وقف إطلاق النار باسم الجمهورية العربية المتحدة والذي كانت سوريا في ذلك الحين تعتبر مشمولة فيه باعتبارها عضواً في القيادة المشتركة. وعندما اتصل رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي الكسي كوسيجين مع الرئيس جونسون ليبلغه أن اسرائيل قد تجاوزت حدودها وأن روسيا سوف تتدخل قام جونسون على الفور بارسال الأسطول السادس بكامله إلى شرق البحر الأبيض المتوسط للتصدي لمثل هذا الاحتمال.

ثالثاً : كانت اسرائيل بحاجة إلى المزيد من الوقت لكي تتمكن من احتلال جميع الأراضي التي خططت لاحتلالها بهذه الحرب. لا سيما وأن قرار وقف إطلاق النار كان قد صدر عن مجلس الأمن مساء يوم ٦ حزيران وأخذت الدول المعنية تطالب بتنفيذه فوراً. ولكن مندوب الولايات المتحدة آرثر غولديبرغ (Arthur Goldberg) عارض مشروع القرار لأنه كان يتضمن نقطتين :

أ - إنه يدمغ اسرائيل كدولة معتدية.

ب - إنه يتضمن الطلب إلى القوات المتحاربة أن تنسحب إلى خطوطها التي كانت تقف عندها بتاريخ ٤ حزيران (أي قبل الحرب) وعلى الرغم من أن الادارة الأمريكية برئاسة الرئيس جونسون كانت تعرف حق المعرفة بأن اسرائيل قامت بهجوم جوي غادر وتمكنت من تدمير حوالي ٣٠٠ طائرة مصرية خلال الساعات الثلاثة الأولى من الحرب فإنها لا تريد أن توافق على قرار هيئة الأمم المتحدة لأنه يصف اسرائيل كدولة معتدية. فما هو اذن الوصف الذي يمكن أن ينطبق عليها. وكان من الطبيعي أن لا يوافق العرب على هذا القرار إذا لم يكن يتضمن هاتين النقطتين لأن ذلك معناه الطلب منهم أن يوافقوا على شرعية هجوم اسرائيل عليهم ويعترفوا بالأمر الواقع بالنسبة للأراضي التي احتلتها من جديد.

وبينما استمر المندوب الأمريكي غولديبرغ بمناقشاته مع المندوب السوفياتي (نيكولاي فدرينكو) تمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال المزيد من الأراضي في

الضفة الغربية وسيناء من الجيوش العربية التي كانت تقاتل في ظروف في غاية الصعوبة نظراً لوجود السيطرة الجوية الكاملة بيد الاسرائيليين وبالنتيجة فقد خسرت معظم أسلحتها الثقيلة التي دمرت بفعل الغارات الجوية المتلاحقة وعدم توفر حماية لديها ضد الطائرات المغيرة.

ولسوء الحظ فقد خضع المندوب السوفياتي بالنهاية ووافق على الصيغة الأمريكية للقرار التي قدمها (غولدبرغ) للمجلس يوم ٨ حزيران والتي تنص بشكل رئيسي على دعوة الأطراف المتنازعة للدخول بمفاوضات لحل المسائل السياسية المتعلقة بينها والتي كانت سبباً لاذكاء نار الحرب طيلة العقود الماضية. وكان أسوأ ما جاء بهذا القرار هو أنه دعى لهذه المفاوضات على أساس الحدود الجديدة التي نتجت عن هذه الحرب ولم يكن بمقدور العرب الذين خسروا الحرب إلا أن يوافقوا على وقف اطلاق النار على هذا الأساس.. وهكذا تمكن (غولدبرغ) من كسب الوقت الكافي الذي طلبته اسرائيل لكي تتمكن من اتمام احتلال باقي الأراضي العربية في الضفة الغربية ومرتفعات الجولان قبل أن توافق على وقف اطلاق النار.

رابعاً : أما المساعدات الفعلية التي قدمتها القوات المسلحة الأمريكية لإسرائيل فيمكن إيجازها بما يلي^(١) :

أ - عملية الاستطلاع والتصوير الجوي :

وقد بدأت هذه العملية عند فجر يوم ٣ حزيران ١٩٦٧م أي قبل يومين من بدء الهجوم الاسرائيلي (وهذا أوضح دليل على تواطؤ أمريكا مع اسرائيل في تدبير هذا العدوان الغاشم) وذلك عندما تم ابلاغ الطيارين من سرب الاستطلاع التكتيكي (رقم ٣٨) من الجناح (رقم ٢٦) في قاعدة رامستن (Ramstein) في ألمانيا الغربية بأن عليهم أن يطيروا إلى قاعدة مورون (Moron) في أسبانيا للاشتراك بمناورة لحلف الأطلسي (NATO) وقد كانت طائرات هذا السرب من نوع (RF-4C) وهي من أحدث أنواع طائرات الاستطلاع المعروفة في تلك الأيام ومجهزة بآلات تصوير ذات أبعاد مختلفة. كما كانت مزودة برادار (SLR) يستطيع النظر للأمام والجوانب لتأمين الكشف على الارتفاعات العالية والمنخفضة. وباستعمال الرادار مع مجسات الأشعة تحت الحمراء التي تستطيع اعطاء خارطة حرارية للمنطقة

(١) كتاب العلاقات السرية الأمريكية مع اسرائيل - تأليف ستيفن غرين .

America's Secret Relations with a Militant Israel 1948 - 1967. By Stephen Green

المراد تصويرها. وتستطيع هذه الطائرات العمل ليلاً ونهاراً وهي تحمل أحدث أنواع أجهزة التوجيه وقياس الارتفاعات. كما أنها مزودة بجهاز لا سلكي بدبذبات عالية تستطيع بواسطته الاتصال مع قاعدتها من أي نقطة في منطقة عملياتها. وقد تحركت أربعة طائرات من هذا النوع عند فجر ذلك اليوم في طريقها إلى القاعدة الجوية في مورون (MORON) بأسبانيا. وفي صباح ذلك اليوم تحركت طائرة شحن ضخمة من نوع (C141) وهي تحمل على متنها جهاز تصوير استطلاع متكامل من نوع (WS - 430 - A) بالإضافة إلى تسعة صناديق ضخمة تحتوي على أجهزة لتحريض الأفلام ومحولات كهرباء وجميع لوازم وأشرطة التصوير ومعها تسعة فنيين للتصوير من سرب الاستطلاع رقم ١٧ المتمركز بالقرب من أوكسفورد في بريطانيا وعندما وصلت هذه الطائرات إلى قاعدة مورون بأسبانيا وضعت في مكان ناء في المطار ثم أعطيت للطيارين تعليماتهم النهائية وكان ملخصها ما يلي:

«إن عليهم التوجه إلى مكان بعيد في طرف صحراء النقب في اسرائيل لاسناد جيش الدفاع الاسرائيلي بأعمال الاستطلاع الجوي التكتيكي ضد العرب. وإن مهمتهم هذه سوف تكون سرية جداً».

وقد صرف للطيارين والفنيين جوازات سفر مدنية كما صرف لهم كراسات خاصة مطبوعة من قبل المؤسسة الفنية للطيران لتكون ستاراً لإخفاء طبيعة مهمتهم. وفي حالة اكتشافهم سوف يدعون أنهم مدنيون أمريكيون تعاقبت معهم حكومة اسرائيل لهذه المهمة.

وفي مساء ذلك اليوم ٤ حزيران تحركت هذه الطائرات من أسبانيا وهبطت في القاعدة الجوية الاسرائيلية في بئر السبع جنوب شرق قاعدة ديمونا الذرية، وفي صباح اليوم التالي ٥ حزيران عندما بدأت موجات الطائرات الاسرائيلية تقصف القواعد الجوية المصرية بدأت طائرات الاستطلاع الامريكية هذه تقوم برحلاتها للتصوير الجوي والاستطلاع. وكانت عندما تعود من كل رحلة يقوم الفنيون بصيانة الطائرات وتجهيزها للرحلة الثانية. وأما قراءة الصور فقد كانت مسندة للفنيين الاسرائيليين الذين اشترك منهم حوال ستين فنياً انضموا إل الطيارين الأمريكيين لهذه الغاية.

وقد تطورت مهمة الاستطلاع والتصوير هذه مع تطور العمليات الاسرائيلية في المعركة. ففي الساعات الاولى من القتال ركزت الطائرات الاسرائيلية جهودها

لتدمير أكبر عدد ممكن من الطائرات والمطارات العربية تاركة الجيوش العربية مكشوفة تقابل الطائرات الاسرائيلية بدباباتها وعلى هذا الأساس فقد ركزت الطائرات الاستطلاع الأمريكية جهودها بهذه المرحلة لتصوير الدمار الذي أحدثت الطائرات الاسرائيلية في غاراتها على القواعد الجوية العربية.

وبعد أن تم تدمير الأسلحة الجوية العربية اضطرت جيوشها البرية أن تتحركاتها في الجبهة على ساعات الليل لكي تقلل من خطر تعرضها للغارات الجوية الاسرائيلية التي لم يعد بمقدورها مقاومتها في الجو. ولهذا فقد عكست الطائرات الأمريكية نشاطها بهذه المرحلة وركزت جهودها على عمليات الاستدلال ليكشف تحركات الجيوش العربية وتمكين الطائرات الاسرائيلية من الاقتراب عليها واصابتها بدقة. هذا وقد تمكن الاستطلاع الليلي الأمريكي في ليلتي ٨ و٩ حزيران القادة الاسرائيليين من تقدير حجم ما تبقى من القوات المصرية والأردنية بكل دقة وبالتالي سهل عليهم اتخاذ القرارات بتعيين نوع وحجم وحداتهم التي يستطيعون سحبها من هاتين الجبهتين لارسالها شمالاً إلى الجبهة السورية وتعيين الوقت الذي يستطيعون سحبها فيه بكل دقة.

وعندما بدأت المعركة في الجبهة السورية غيرت الطائرات الأمريكية مهمتها أخرى. وركزت جهودها على عمليات الاستطلاع التكتيكي للمواقع السورية منطقة مرتفعات الجولان.

وأخيراً وبتاريخ ١٢ حزيران عندما توقف إطلاق النار نهائياً حملت الطائرات الأمريكية تجهيزاتها وفنييها وصناديق الصور التي التقطتها بعد أن تركت نسختها للإسرائيليين وعادت إلى قاعدة مورون في أسبانيا وأسدل الستار على العملية السرية التي دأبت السلطات الأمريكية المختصة على إنكارها باستمرار.

ب - الخطط الاحتياطية لحماية إسرائيل :

وفي صدد الاستعدادات الاحتياطية التي وضعتها أمريكا لمساعدة إسرائيل في - تعرضها للخطر في هذه الحرب فقد قال (ميخائيل بارزوهار) (١) إن هيئة رؤساء الأركان المشتركة الأمريكية قد وضعت في أواخر شهر أيار ١٩٦٧ م خطة احتياطية للتدخل السريع في الحرب المتوقعة فيما لو خسر الاسرائيليون فوجاً وكانت هذه الخطة تتركز على احتمالين :

(١) كتاب سفارات في الازمة - تأليف ميخائيل بار زوهار .

١ - عملية انزال ضخمة لقوات المظليين الأمريكيين في سيناء يرافقها قصف مدفعي من الأسطول.

٢ - ارسال قوات أمريكية محمولة جواً إلى إسرائيل مباشرة لتشكيل حاجزاً حول التجمعات السكانية الاسرائيلية التي تكون قد تجمعت في وسط البلاد.

ولكن هذه الخطط الغيت عندما تأكد رؤساء الأركان بما لا يقبل الشك بأن العرب سوف لن يكسبوا الحرب.

ومن المحتمل طبعاً أن عملية طائرات الاستطلاع المشار إليها سابقاً كانت جزءاً من هذه الخطط الاحتياطية ولكن عندما تقرر إلغاء تلك الخطط تقرر الاستمرار بعملية الاسناد الاستطلاعي من قبل هذه الطائرات للقوات الاسرائيلية.

نتائج الحرب :

١ - خسائر العرب :

بالإضافة إلى الخسائر الفادحة التي تكبدتها الجيوش العربية بالأرواح والمعدات فقد كانت أفدح خسارة منيت بها الأمة العربية على وجه الخصوص والعالم الإسلامي على وجه العموم هي استيلاء الإسرائيليين على القدس الشريف واحتلال الضفة الغربية بكاملها. فقد اجتمعت هذه الخسارة القومية والروحية مع الخسارة الاستراتيجية العسكرية. ومن المستحيل تعويض هذه الخسائر إلا باستعادة كامل الأراضي العربية المحتلة وفي طليعتها القدس الشريف. ويأتى بعدها في الأهمية احتلال العدو لشبه جزيرة سيناء، وتثبيت دفاعاته الأمامية على حافة قناة السويس. وهذا معناه أن مصر قد لا يصبح بمقدورها السيطرة على الملاحة في قناة السويس وإغلاقها في وجه الملاحة الاسرائيلية مستقبلاً عندما يعاد فتحها. لأن قوات إسرائيل أصبحت تسيطر على طول القناة من الجانب الشرقي. هذا بالإضافة إلى أن مصر خسرت في سيناء كميات لا بأس بها من النفط والموارد الطبيعية الأخرى. وأما من الناحية العسكرية فقد خسرت مصر العمق الاستراتيجي الذي كان يعطيها ميزة سوقية ممتازة في حربها ضد إسرائيل.

ويأتى بالدرجة الثالثة من الأهمية خسارة سوريا لمرتفعات الجولان الاستراتيجية التي كانت تعطي سوريا سيطرة ممتازة على جميع طرق الاقتراب إلى الجليل بالإضافة إلى سيطرتها على مناطق بحيرة طبريا والحولة والمستعمرات اليهودية بينهما. وبخسارة مرتفعات الجولان خسرت سوريا السيطرة التي كانت بيدها على منابع نهر الأردن عند

بانياس وإمكانية التأثير على مواقع تحويل مياه النهر إلى النقب التي كانت من أهم الأسباب التي زادت في حدة التوتر على الحدود وصعدت احتمالات نشوب الحرب. وهذا بالإضافة إلى احتلال الاسرائيليين مواقع مهمة على قمة جبل الشيخ ووضعهم مراكز مراقبة الكترونية فيها تستطيع منها السيطرة على جميع البلدان العربية المجاورة لاسرائيل أو القريبة منها.

٢ - مكاسب اسرائيل :

لقد تغيرت الاستراتيجية الاسرائيلية من أساسها بنتيجة هذه الحرب. فلأول مرة منذ تأسيس اسرائيل أصبح لديها امكانية الدفاع في العمق ففي الجنوب أصبح بيدها صحراء سيناء بكاملها تستخدمها كحجاب حاجز في وجه أي هجوم مصري محتمل. وفي الشرق مكنها احتلالها للضفة الغربية بكاملها من تأسيس خطها الدفاعي على طول نهر الأردن. وقد أبعد هذا الواقع الجديد عنها خطر الهجوم المباشر من الشرق على وسط اسرائيل وحول مدينة القدس. وبهذا أصبح لديها حاجزاً ممتازاً كواقي الصدمة ضد أي خطر محتمل يهددها. هذا بالإضافة إلى أنه في حالة شن هجوم من الضفة الشرقية ضد اسرائيل يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ليس فقط ضرورة القيام بعملية اجتياز النهر قبل شن الهجوم بل أصبح يترتب على القوات المهاجمة أن تصعد جبال الضفة الغربية بعد اجتيازها النهر تحت النيران الكثيفة وتقاتل العدو المتمركز في تلك المناطق الوعرة قبل أن تستطيع احتلال موطيء قدم تنطلق منه إلى المعركة الرئيسية. وهذه مهمة أصبحت في غاية الصعوبة بعد أن أصبحت المواقع الدفاعية الرئيسية في الضفة الغربية بيد الجيش الإسرائيلي. وأما في الشمال فباحتلال اسرائيل لهضبة الجولان بكاملها أصبحت دروعها المتمركزة في تلك المنطقة تشكل تهديداً مباشراً باتجاه مدينة دمشق وسهولها بعد أن كانت المدفعية السورية من مواقعها في الهضبة تهدد جميع المستعمرات الاسرائيلية في منطقة الجليل وغور الأردن. وأما من الناحية المعنوية فإن الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية قد أصابت القوات الإسرائيلية وقادتها بنوع من مركب العظمة وأخذوا يتصرفون بعجرفة وخيلاء ويتفاخرون بأنهم هزموا جميع الجيوش العربية خلال فترة وجيزة لم يسبق لها مثيل. ونسوا أن هزيمة الجيوش العربية لم يكن سببها أن الجيش الاسرائيلي هذا كان اسطورة لا يقهر كما ارادوا أن يصوره في ذلك الحين. بل كان سببها الأساسي هو تفرق العرب وعدم تمكنهم من توحيد صفوفهم وحشد قواتهم ومواردهم بالأسلوب الصحيح وتجهيز هذه القوات بالأسلحة الحديثة المتطورة والاستعداد لمواجهة القوات الإسرائيلية بفعالية وكفاءة. وقد ثبت صحة هذه النظرية إلى حد معقول في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة عام ١٩٧٣م كما سنرى فيما بعد.

الفصل السابع

حرب الاستنزاف

والاستعداد للجولة القادمة والمشاكل الداخلية

١ - لقد كان وقع الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية بهذه الحرب مريعاً على جميع المستويات وقد عم الشعوب العربية في تلك الأيام السوداء جو من الذهول والأسى والحنق. حيث لم يكن من السهل على المرء أن يصدق أن الهزيمة التي حلت بنا كان من الممكن أن تقع بهذه السرعة وأن ذلك الانهيار التام الذي تبعها في الجبهات العربية كان يمكن أن يحدث بهذا العمق. فالجيوش الأردنية والمصرية والسورية فقدت جميع أسلحتها الثقيلة ومعداتها وتكبدت آلاف الجرحى والقتلى في الميدان. كما أن حدود هذه البلدان الثلاثة مع إسرائيل أصبحت مكشوفة تقريباً حيث لم يبق لدى القوات التي انسحبت من الجبهات والتي اعتمد عليها في الدفاع سوى أسلحتها الفردية وكميات قليلة من الأسلحة الاسنادية والدبابات. وحتى تتيسر إعادة تسليح هذه الجيوش فإن امكانية الدفاع عن الحدود أمام هجوم جديد ستبقى غير مضمونة من الناحية العملية. وسيبقى اعتمادها الرئيسي على استمرار تطبيق قرار وقف اطلاق النار الذي صدر عن مجلس الأمن الدولي.

ولكن على الرغم من أن الجيوش العربية فقدت أسلحتها فإنها لم تفقد الأمل وإرادة القتال. واذن فقد أصبحت الأولوية الأولى للأمة العربية هي المحافظة على ارادة القتال لدى الجندي العربي في كافة الجيوش والتي حاول العدو الصهيوني كسرها من خلال التدمير الواسع الذي تمكن من إحداثه في القوات البرية العربية بعد أن نجح في ضرب القواعد الجوية وتدمير معظم الطائرات العربية وقد كان يقصد بالدرجة الأولى زرع الرهبة في نفوس الجنود العرب وإقناعهم بأنه لا أمل لهم في التغلب على الجيش الإسرائيلي. وبالتالي فإنه لا فائدة من استمرار الحرب وأن الواقع المفروض في الميدان أصبح يحتم على الأمة العربية أن تقبل بالصلح الذي تفرض إسرائيل شروطه عليها من مركز القوة.

ولمواجهة هذا التحدي الخطير كان لا بد من إشباع ارادة القتال لدى الجنود وإحياء الأمل بالمستقبل لرفع الروح المعنوية التي تأثرت بنتيجة الهزيمة وذلك عن طريق الاستمرار بمناوشة العدو على طول الجبهات واعتبار أن الحرب ما زالت مستمرة. وبنفس الوقت العمل

على إعادة بناء الجيوش وتزويدها بالأسلحة الحديثة بدل الأسلحة التي فقدتها وبالسعة الممكنة. ومن الأهمية بمكان في هذا المجال أن تكون الأسلحة الجديدة أفضل من تلك التي فقدت كمّاً ونوعاً لكي يشعر الجنود أن قدراتهم القتالية أصبحت أعلى مما كانت عليه قبل الحرب التي خسروها. وبهذا تقوى ثقتهم بسلّاحهم وينبعث أملهم في النصر من جديد استعداداً للجولة القادمة. ومن هنا نشأت فكرة حرب الاستنزاف التي تبناها جمال عبد الناصر وبدأ بتنفيذها على طول الجبهة المصرية واستمرت قرابة ثلاث سنوات من أول تموز عام ١٩٦٧م عندما وقع أول اشتباك بين سرية مدرعة إسرائيلية ودورية مصرية عند منطقة رأس العش شرقي قناة السويس وعلى بعد حوالي عشرة كيلومترات جنوب بورسعيد وحتى شهر آب عام ١٩٧٠م عندما أعلن وقف إطلاق النار من جديد. كما تبني الأردن نفس النظرية وبدأ بتنفيذها كذلك ولقد فرضت حرب الاستنزاف على القوات الإسرائيلية موقفاً جديداً لم تألفه من قبل في جميع حروبها السابقة وذلك بإجبارها على خوض حرب دفاعية طويلة الأمد تجبرها على القتال من وراء مواقع دفاعية ثابتة معرضة للقصف المدفعي والجوي المستمر بدلاً من اتباع أسلوب الحركة والمرونة والاختراق السريع في العمق الذي كانت قد تدربت عليه واختبرت جميع جوانبه في المعارك السابقة. وهذا معناه أنه على القوات الإسرائيلية أن تتكبد الخسائر في الأرواح التي تفرضها حرب الاستنزاف على نطاق واسع ومستمر وهو ما كانت إسرائيل تحاول تجنبه في حروبها السابقة باستخدام تفوقها الجوي والتكنولوجيا الذين كانا دوماً يمكنانها من الاحتفاظ بزمام المبادرة وشن الحرب الخاطفة بالوقت الذي تعينه. وأما في حرب الاستنزاف هذه فقد أصبح يتعين عليها أن تتخلى عن زمام المبادرة وتقع خلف خط دفاعي ثابت لمدة طويلة قد تدوم أشهراً وربما سنين كما ثبت فعلياً في واقع الحال.

هذا وقد استمرت المناوشات عبر قناة السويس بين القوات المصرية والإسرائيلية تأخذ طابع الدوريات المقاتلة أحياناً وتكبر تدريجياً لتتطور وتصل إلى قوة بحجم سرية تحاول عبور القناة إلى الضفة الشرقية بقوارب مطاطية وأحياناً أخرى بتبادل نيران المدفعية والدبابات عبر القناة وتطورت أخيراً لتشمل اشتراك القوات البحرية كما حدث عند سواحل سيناء مقابل موقع الرومانى حيث اشتبكت قوارب الطوربيد المصرية مع المدمرة الإسرائيلية إيلات ومعها قوارب طوربيد إسرائيلية وقد خسرت البحرية المصرية بنتيجة هذا الاشتباك اثنين من قواربها.

وبتاريخ ١١ تموز وافقت كل من مصر وإسرائيل على وقف إطلاق النار ووضع نقاط مراقبة من هيئة الأمم المتحدة على جانبي قناة السويس. ولكن إسرائيل حاولت استغلال هذا

الموقف لصالحها وتفسير وقف إطلاق النار بأنه يعني وجود خط يفصل بين الطرفين يمر عبر منتصف القناة. وعلى هذا الأساس فإنه يحق للقوات الاسرائيلية استخدام الجانب الموالي لها من القناة وقد قامت بانزال بعض القوارب المطاطية إلى القناة جنوب القنطرة لكي تكتشف رد الفعل على هذه الحركة من قبل المصريين وفيما إذا كانوا سوف يقبلون بهذا الوضع الجديد. ولكن القوات المصرية قامت بإطلاق النار على هذه القوارب الاسرائيلية فور نزولها إلى الماء وأصاب معظمها وقد قتل بالنتيجة الكثيرون من جنودها وقدرت الاصابات بحوالي ستين شخصاً.

وقد تطورت المعركة واشتركت بها المدفعية والطائرات من الطرفين. وبعد هذا الاشتباك توقف إطلاق النار من جديد وساد الهدوء على طول الجبهة ولو بشكل مؤقت. ولكن الاسرائيليين لم يعيدوا محاولتهم بالنزول إلى القناة مرة أخرى.

وأما على الصعيد السياسي العام فقد عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمر قمة في الخرطوم بتاريخ ١ أيلول ١٩٦٧م للتوصل إلى سياسة موحدة لمواجهة اسرائيل ومعالجة نتائج الحرب. وقد كان من أبرز قرارات هذا المؤتمر ما عرف فيما بعد باللائات الثلاثة وهي:

لا اعتراف بدولة اسرائيل.

لا مفاوضات مع اسرائيل.

لا سلام مع اسرائيل.

وقد التزمت جميع الدول العربية بتطبيق هذا القرار بحذافيره. وفي أعقاب مؤتمر الخرطوم ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً بالجماهيم المحتشدة في القاهرة وأعلن فيه أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. وقد أصبحت هذه المقولة شعاراً مطروحاً يتردد باستمرار لسنين طويلة في مختلف الأوساط العربية الرسمية والشعبية وقد أضاف في خطابه هذا (لا) رابعة إلى لاءات مؤتمر القمة هي :

لا تنازلات في الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

كما أعلن في هذا الخطاب أن السياسة الحربية المصرية تستند على ثلاثة مراحل هي:

أولاً- مرحلة بناء القدرة الدفاعية.

ثانياً- مرحلة الدفاع التعرضي.

ثالثاً- مرحلة التحرير.

واستناداً إلى هذه السياسة اتخذت الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذه المراحل على النحو التالي:

أولاً : بناء القدرة الدفاعية

خلال هذه المرحلة التي استمرت سنة كاملة تمكنت القوات المصرية من تعويض جميع أسلحتها التي فقدتها في الحرب بأسلحة أحدث منها وأكثر تطوراً. كما أكملت إعادة بناء وحداتها المقاتلة واستيعاب الأسلحة الجديدة ضمن فترة زمنية قياسية. وباتمام هذه المرحلة أصبحت القوات المصرية أقوى مما كانت عليه قبل نشوب الحرب. ولم يكن كل هذا ممكناً لولا المساعدات السخية التي قدمها الاتحاد السوفياتي إلى مصر وخصوصاً في مجال تسليمها جميع ما طلبته من تلك الأسلحة وب نماذج أحدث من تلك التي فقدتها وبسرعة فائقة. فمثلاً حصلت مصر على طائرات الميج ٢١ بد الميج ١٧ ، ١٩ التي فقدتها في الحرب. كما حصلت على دبابات (ت٥٤ وت٥٥) بدل دبابات (ت٣٤). وكذلك الحال بالنسبة للمدفعات التي حصلت على كميات ضخمة منها. وصواريخ (سام) المضادة للطائرات والتي أصبحت هي العامل الحاسم في بناء الدفاعات الجوية على طول جبهة القناة: صحيح أن الروس استفادوا سياسياً من تعزيز تواجدهم في مصر التي أصبحت دولة صديقة لهم ومغلقة في وجه النفوذ الأمريكي بشكل خاص والنفوذ الغربي بشكل عام. ولكن مصر استفادت عسكرياً لأنه لم يكن ممكناً لها أن تعيد بناء قواتها وتسلحها بالأسلحة الحديثة وتتم تدريبها وتستوعب جميع هذه الأسلحة بهذه السرعة لولا تلك المساعدات الضخمة بتزويد الأسلحة وتقديم الخبراء والمدربين اللازمين لتدريب القوات المصرية عليها.

ومن منطلق الالتزام بمقررات مؤتمر الخرطوم وللإبقاء على حيوية الجبهة والمحافظة على معنويات الجيش عالية كان لا بد من استمرار حرب الاستنزاف. وعلى هذا الأساس أعيدت الاشتباكات من جديد اعتباراً من منتصف أيلول ١٩٦٧ م. وقد بدأ أول إطلاق نار عند الجزيرة الخضراء شمال خليج السويس وما لبث حتى امتد على طول جبهة القناة وتطورت المعركة حتى شملت تبادل القصف بالمدفعية الثقيلة وأصبحت مدن القناة من القنطرة حتى الاسماعيلية والسويس معرضة للقصف المستمر الأمر الذي أجبر الألوف من سكانها على النزوح منها. ومع الوقت اضطرت الحكومة المصرية إلى إجلاء حوالي ثلاثة أرباع مليون نسمة من سكان هذه المدن بعيداً عن الخطر وأسكنتهم في مخيمات مؤقتة.

وليس من الممكن أن أستعرض هنا جميع الاشتباكات المهمة التي وقعت أثناء هذه المرحلة الأولى على جبهة القناة لكنه لا بد من الإشارة إلى أهم هذه الحوادث جميعها وهو اغراق المدمرة الاسرائيلية (ايلات) من قبل قوارب الطوربيد المصرية. حيث بتاريخ ٢١ تشرين أول ١٩٦٧ م بينما كانت المدمرة ايلات والتي كانت بنفس الوقت هي سفينة القيادة للاسطول

الاسرائيلي تقوم بأعمال الدورية مقابل ميناء بورسعيد وتبعد حوالي خمسة عشر ميلاً عن الميناء تصدى لها أحد قوارب الصواريخ المصرية من نوع (كومار) وأطلق عليها صاروخاً من نوع (ستايكس) وقد أصابها إصابة مباشرة في منطقة الغلايات وقتل عدداً من الضباط والجنود وقطع التيار الكهربائي فيها. وبعد دقيقتين أطلق صاروخاً آخر عليها وأحدث أضراراً بالغة فيها، وعلى أثر ذلك بدأت تفرق. وبعد ساعتين أطلق عليها الصاروخ الثالث والأخير. ف وقعت عدة انفجارات في جسمها وشبت فيها الحرائق وبعد ذلك غرقت نهائياً.

وقد كانت الاصابات في طاقم هذه المدمرة بالغة جداً حيث قدر الاسرائيليون أن من بين أفراد طاقمها البالغ عددهم (١٩٩) فرداً قتل ٤٧ وجرح ٩٠ من مختلف الرتب. وقد كان لهذا الحادث أبلغ الأثر على الاسرائيليين حيث قاموا على الفور بفتح نيران مدفعيتهم الثقيلة على مصافي النفط ومصنع البتروكيماويات في مدينة السويس واشتعلت فيهما النيران وقد كانت الخسائر المادية ضخمة حيث بلغت حوالي ٣٦ مليون جنيه. كما كان لاغراق المدمرة الاسرائيلية وقع عالمي من حيث أنه لأول مرة في التاريخ يتم اغراق بارجة حربية بنيران صاروخ يطلق من ظهر قارب. وبهذا الحادث بدأ عصر حرب الصواريخ البحرية التي تطورت كثيراً عبر السنين حتى وصلت إلى المستوى المتقدم الذي نعرفه اليوم.

ثانياً : الدفاع التعرضي

وعندما اكتمل تمركز القوات المصرية التي أكملت تسليحها وتدريبها على جبهة القناة وأصبح قوامها حوالي (١٥٠٠٠٠) مائة وخمسون ألف جندي بدأت مرحلة الدفاع التعرضي في مطلع شهر أيلول ١٩٦٨ م.

وبهذا الوقت قررت القيادة المصرية أن الوقت قد حان للقيام بعمل تعرضي كبير على الجبهة. وقد وضعت خطة قصف مدفعي شامل لهذه الغاية تغطي جميع مواقع الجيش الإسرائيلي على طول الجبهة التي بلغت ٦٥ ميلاً. وعندما حانت ساعة الصفر يوم ٨ أيلول انطلقت نيران المدفعية الثقيلة من حوالي ألف مدفع في آن واحد على جميع الأهداف في المواقع الاسرائيلية شرق القناة. وقد كان هذا القصف المفاجيء مؤثراً للغاية وتكبد العدو بنتيجته خسائر فادحة بالأرواح والمعدات. وبالمقابل فقد أجابت المدفعية الاسرائيلية بقصف مماثل على المواقع المصرية وأوقعت بها خسائر كبيرة كذلك.

وبعد أسبوعين كررت المدفعية المصرية هذا القصف التعرضي على نطاق واسع وكبدت العدو خسائر فادحة كذلك. ولما كان واضحاً أن المدفعية المصرية متفوقة على المدفعية

الاسرائيلية لجأ الاسرائيليون إلى أسلوب الرد غير المباشر حيث أرسلوا قوة محمولة على طائرات الهيليكوبتر وتسلمت في ليلة ٣١ تشرين أول إلى نجع حمادي التي تقع على بعد حوالي ثلثمائة كيلومتر جنوب القاهرة وتمكنت من نسف جسر ومحطة كهرباء ثم عادت إلى قواعدها. وقد اتضح للحكومة المصرية أثر هذا الحادث أن هنالك الكثير من الأهداف المماثلة في أعماق مصر أصبحت مكشوفة لمثل هذه العمليات التخريبية وعلى هذا الأساس أصدر جمال عبد الناصر مرسوماً بتشكيل الميليشيا الشعبية التي انيطت بها مهمة حماية النقاط الحيوية في جميع أنحاء البلاد وبهذه الأثناء أوقفت القوات المصرية نشاطها المدفعي مؤقتاً وساد الهدوء النسبي جميع أنحاء الجبهة.

وقد اغتتم الاسرائيليون هذه الفرصة لبناء خط دفاعي يتكون من سلسلة من المواقع الحصينة التي يمكنها السيطرة على قناة السويس وبنفس الوقت توفير الحماية الكافية لجنودهم ضد هذا النوع من القصف المدفعي الثقيل الذي مارسه المصريون وقد عرف هذا الخط فيما بعد باسم (خط بارليف) نسبة إلى رئيس أركان الجيش الاسرائيلي في ذلك الوقت الجنرال (حاييم بارليف) والذي كان صاحب فكرة بنائه بالشكل الذي بني فيه. وقد كان بناء هذا الخط الدفاعي أضخم عمل هندسي قامت به اسرائيل في مجال بناء الاستحكامات الدفاعية في تاريخها. وقد كلفها مبالغ طائلة من الأموال وجهوداً ضخمة في العمل لكي تضمن الحماية الكافية لجنودها ضد أثقل أنواع القصف المدفعي. وبنفس الوقت لكي تحول دون امكانية عبور القوات المصرية قناة السويس إلى الشرق في أي حرب قادمة.

ولتحقيق هذين الهدفين في آن واحد اعتمد المخططون الاسرائيليون أن يتكون هذا الخط الدفاعي الضخم من سلسلة من القلاع الحصينة التي يتم بناؤها بحيث يمكنها أن تصمد تحت أي قصف مدفعي ثقيل مهما كان حجمه وبحيث تستطيع المجموعات القتالية المتمركزة فيها السيطرة على جميع النقاط التي يمكن أن تعبر منها القوات المصرية. وبنفس الوقت توفر المراقبة المباشرة أثناء النهار والمراقبة الالكترونية أثناء الليل من هذه المواقع على طول قناة السويس. ويتم تسيير الدوريات المدرعة بينها. مع وجود مواقع المدفعية في الخلف لتسترها. كما تتمركز تجمعات القوات المدرعة في العمق في الخلف بحيث يمكنها التقدم فوراً لصد أي هجوم عبر القناة قد تقوم به القوات المصرية عندما يكون في مراحله الأولية.

ومن جملة الأجهزة التي اضيفت لضمان كفاءة هذه التحصينات أجهزة خاصة يمكنها أن تضخ كميات كبيرة من النفط فوق مياه القناة ويتم حرقها اوتوماتيكياً بحيث تغطي القناة بستار من اللهب يمنع اجتيازها من قبل القوات المهاجمة. ويمكن تشغيل هذه الأجهزة من

داخل التحصينات كما قاموا بردم ملايين الأطنان من التراب أمام خط التحصينات حيث تكون منها حائط هائل يمتد على طول القناة كحاجز سائر لحماية مواقع التحصينات الرئيسية وبنفس الوقت لمنع مراقبتها من قبل القوات المصرية من الضفة الغربية للقناة.

وقد كان المقصود من هذا الخط منع القوات المصرية من عبور القناة أو اعاققتها وإيقافها ريثما تتقدم القوات المدرعة الاسرائيلية من الخلف لتدميرها. وقد انتهى العمل في بناء هذا الخط بتاريخ ١٥ آذار ١٩٦٩ وقد ثبت في عام ١٩٧٣ م عكس تلك النظرية تماماً وإن القوات المصرية عندما توفرت لها الامكانيات تمكنت من اجتياز هذا الخط بسرعة هائلة وقلبت النظرية الدفاعية الاسرائيلية رأساً على عقب.

وفي منتصف آذار عام ١٩٦٩ عاودت القوات المصرية القصف المدفعي الثقيل على المواقع الاسرائيلية من جديد. وأثناء هذا القصف المدفعي المتبادل استشهد الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب الجيش المصري آنذاك وعدد من ضباط الأركان عندما كان في المواقع الامامية بمنطقة الاسماعيلية. وهكذا تجددت حرب الاستنزاف بعد فترة من الهدوء واستمرت بعد ذلك بدون انقطاع مدة سنة ونصف تقريباً حتى شهر آب ١٩٧٠.

وبهذه الأثناء أعلن جمال عبد الناصر ابتداء المرحلة الثالثة والأخيرة وهي مرحلة التحرير والتي كانت تتمثل بعبور القناة وشن الحرب على إسرائيل بهدف تحرير الأراضي العربية المحتلة. وقد كان من المقرر تنفيذ هذه الخطة بعد ثلاثة أشهر من انتهاء المرحلة الثانية في ٨ آب ١٩٧٠ وقد صادق الرئيس جمال عبد الناصر على الخطة النهائية لهذه الحرب وبدأ العد التنازلي نحو ساعة الصفر. ولكن القدر كان له بالمرصاد فتوفي عبد الناصر بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٧٠ م وبوفاته تغير مجرى الأحداث وتأجلت الحرب وتغيرت القرارات عندما ظهر أنور السادات على المسرح كما هو معروف. وخلال الفترة الأخيرة من حرب الاستنزاف دفع الاسرائيليون بكامل سلاحهم الجوي إلى المعركة واستخدموا الطائرات كمدفعية في الجو ضد الأهداف المصرية. وقد دفع هذا التطور المصريين إلى طلب المزيد من الصواريخ المضادة للطائرات من الاتحاد السوفياتي. وقد قام الروس بتزويدهم بما يكفي من هذه الصواريخ لبناء تجمع متكامل من الدفاعات الجوية بعمق ١٨ ميلاً ويقع أبعد صاروخ عند نقطة تبعد ٣٠ ميلاً شرق القاهرة ويقع أقرب صاروخ على بعد ١٢ ميلاً من القناة ويعتمد على أحدث أنواع الرادارات وصواريخ سام ٣ وسام ٦ وجميع ما يلزم لهذه الصواريخ من الأجهزة الحديثة. كما زودوهم بحاجتهم من الفنيين والخبراء لادارتها وتدريب المصريين عليها. وبعد انجاز بناء هذا التجمع كانت الخطوة التالية تتمثل في تقريب الصواريخ مسافة أكثر نحو

القناة. وبهذا الشكل تصبح هذه الصواريخ فعالة في حماية الجبهة وبنفس الوقت تكون خارج نطاق مرمى المدفعية الاسرائيلية وهكذا أصبح بإمكانها أن تحد من فعالية الغارات الجوية المعادية ضد مواقع المدفعية المصرية، وبالإضافة إلى سياسة مصر التي تهدف إلى الحصول على التعادل الجوي مع إسرائيل فإن القدرة الصاروخية المصرية في منطقة القناة أصبحت عاملاً حاسماً في تطوير الاستراتيجية الهجومية للقوات المصرية. كما أن زيادة المدى الذي يمكن أن تصله هذه الصواريخ وضعت أجواء الخطوط الامامية الاسرائيلية ضمن نطاق فعاليتها وبهذا تصبح الأوضاع مهيئة على الأقل بالنسبة للحماية الصاروخية ضد الجو لعبور القوات المصرية قناة السويس كما حدث فعلاً في حرب رمضان عام ١٩٧٣ م.

وأما على الجبهة الأردنية فقد استمرت المناوشات بين القوات الأردنية والقوات الإسرائيلية طيلة مدة حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية ومتزامنة معها. وقد كانت هذه المناوشات في معظمها تأخذ طابع اطلاق النيران من الأسلحة الخفيفة أو القصف المدفعي ضد الدوريات والمواقع الاسرائيلية أو لمنع التحرشات التي كانت تقوم بها القوات الاسرائيلية بالقرب من الحدود. وفي بعض الحالات كان القصف المدفعي الاسرائيلي في العمق ضد التجمعات السكانية الأردنية حيث كانوا يقصفون مدينة أربد وعدد من القرى الواقعة إلى الشمال والغرب ويحدثون بعض الاصابات بين السكان.

وأما عمليات عبور نهر الأردن إلى داخل الضفة الغربية فقد كان يقوم بها الفدائيون فلسطينيون بالتنسيق مع القوات المسلحة الأردنية التي كانت تغطي عبورهم بقصف مدفعي مركز على المواقع الاسرائيلية قبيل عبورهم. وبهذه الطريقة كانوا يعبرون النهر في معظم الحالات دون أن تكتشفهم الدوريات الاسرائيلية وينفذون مأموريتهم المخطط لها. ولقد كانت هذه العمليات مستمرة يومياً تقريباً رغم أن الاسرائيليين كانوا يكتشفون بعض هذه الدوريات ويدمروها. ومما لا شك فيه أنها كانت مؤثرة على الموقف العام الاسرائيلي على طول الجبهة وكانت تكبدهم خسائر لا بأس بها وخصوصاً عمليات القصف المدفعي المكثف الذي كان يجري يومياً تقريباً. وكذلك كان الاسرائيليون يوقعون الخسائر في الجبهة الأردنية بنتيجة القصف المدفعي الذي كانوا يردون به على القصف الأردني أو العكس. وكذلك بنتيجة الغارات الجوية التي كانوا يقومون بها على مواقع الجيش الأردني ومواقع الجيش العراقي والسوري المتواجدة في الجبهة الأردنية. بالإضافة إلى القصف الموجه ضد المدن والقرى الأردنية التي تكبدت هي الأخرى أضراراً لا بأس بها.

أما الحادث الكبير الذي وقع خلال فترة حرب الاستنزاف على الجبهة الأردنية فقد كان

الهجوم الرئيسي الضخم الذي شنته القوات الاسرائيلية على منطقة الكرامة في الغور الأوسط وصاحبه هجوم فرعي على غور الصافي جنوب البحر الميت وقد كانت بلدة الكرامة تستخدم كقاعدة للفدائيين الفلسطينيين وكانت من أكبر قواعدهم التي تواجدون فيها بأعداد كبيرة. ومع تزايد حوادث عبور دوريات الفدائيين إلى فلسطين المحتلة وتطور أعمالهم هناك ضد المستعمرات والقواعد الاسرائيلية قرر الاسرائيليون توجيه ضربة قاصمة لهذه القاعدة الفدائية أو على الأقل هذا هو الهدف الذي أعلنته اسرائيل في حينها. رغم أنه كان من المتوقع أنهم لو لم يواجهوا بتلك المقاومة العنيفة التي واجهوها من قبل قوات الجيش الأردني ولو تمكنوا من احتلال المرتفعات الشرقية والتثبت فيها لكان هدفهم المعلن قد تغير ولحاولوا البقاء في تلك المواقع وفرض واقع جديد قد لا يكون من السهل تصوره. ومهما يكن الحال فقد شن الاسرائيليون هجومهم هذا عند فجر يوم ٢١ آذار عام ١٩٦٨. ولقد اقتبست المعلومات التالية من النشرة التي أصدرتها دائرة التوجيه المعنوي في قيادة الجيش العربي ونشرتها جريدة الرأي في عدد الأحد ٢١/٣/١٩٩٣ م وأوجزها بما يلي للمحافظة على تسلسل وقائع الأحداث ومتابعة تعليقاتي العامة فيما بعد.

أولاً : كانت قوات العدو تتألف من الوحدات الآتية:

اللواء المدرع رقم (٧) ، خمسة كتائب مدفعية ، أربعة أسراب طائرات مقاتلة نوع (ميراج ومستير)، طائرات هيلوكبتر تكفي لنقل كتيبتي مظليين.

ثانياً : كانت قواتنا تتألف من الوحدات الآتية:

فرقة مشاة من أربعة ألوية، لواء مدرع، كتيبة دبابات مستقلة، أسلحة إسناد.

ثالثاً : تقدمت القوات الاسرائيلية على ثلاثة محاور رئيسية ومحور فرعي كالآتي:

أ - محور العارضة (جسر الأمير محمد):

تقدمت القوات الاسرائيلية عبر هذا المصور تحت ستار كثيف من نيران المدفعية والدبابات واصطدمت مع قوات الحجاب المتمركزة شرق الجسر ودارت معركة عنيفة أجبرت تلك القوات على التوقف والانتشار مما مكن مدفيعتنا من التأثير عليها وقد دمرت قواتنا العديد من الدبابات الاسرائيلية. وقد حاول العدو خلال هذه الفترة إقامة جسرين إضافيين ولكنه فشل بذلك. كما حاول بعد إعادة التنظيم أن يدفع قواته للوصول إلى المرتفعات الشرقية ولكنه لم ينجح بهذه المحاولة كذلك وبقي في مواقعه حتى صدور أمر الانسحاب.

ب - محور وادي شعيب (جسر الملك حسين) :

كان هجوم العدو الرئيسي عبر هذا المحور باتجاه بلدة الشونة الجنوبية حيث اندفع بقوة لوائين مسندين. ورغم تصدي قوة الحجاب المتمركزة شرق الجسر لهذا الهجوم إلا أن العدو تمكن من الوصول إلى مشارف الكرامة من الجهة الجنوبية والغربية ولكنه وصل متأخراً عن الوقت المقرر بسبب كثافة النيران التي تعرض لها مما سهل إفشال وتدمير الموجة الأولى من القوات المحمولة جواً والتي انزلت شرقي بلدة الكرامة مما دفع العدو إلى انزال موجة أخرى فتمكن من دخول البلدة وتدمير عدد من منازلها. ولكن القوات الأردنية شنت هجوماً معاكساً داخل بلدة الكرامة كان له تأثير كبير في الضغط على العدو وإرباكه وتكبيده خسائر كثيرة.

ج - محور ناعور / سويمة (جسر الأمير عبدالله) :

فشل العدو في عبور النهر على هذا المحور بعد أن دمرت معظم معدات التجسير والآليات التي حاول استخدامها بفعل النيران الكثيفة. ولمعالجة هذا الموقف حاول العدو فصل مجموعة قتال من قواته العاملة على محور وادي شعيب ودفعها إلى خلف قوة الحجاب ليحاصرها. إلا أن قوة العدو هذه تعرضت إلى قصف شديد أدى إلى تدمير عدد كبير من ألياتها. وبذلك انتهت المعركة على هذا المحور بانسحاب مرتبك لقوات العدو.

د - محور غور الصافي :

كان هدف العدو من الهجوم على هذا المحور تشتيت جهد القوات الأردنية وإرهاب سكان المنطقة وتدمير بعض المنشآت فيها. وقد اندفع العدو برتل من دباباته ومشاته وقد مهد لاندفاعه هذا بحملة اعلامية بالقاء المنشورات على السكان من الطائرات تدعوهم إلى الاستسلام. كما قام بعمليات قصف جوي على مواقع قواتنا. ولقد أخذت المعارك في تلك المنطقة طابع القتال المتحرك. وفي كل موقع كان العدو يواجه بمقاومة عنيفة ويتكبد خسائر فادحة. وهكذا فقد فشل العدو بهذه المعركة دون أن يحقق أيّاً من أهدافه على جميع المحاور: وفي نهاية المطاف وبنتيجة الخسائر الجسيمة التي تكبدها العدو فقد قرر الانسحاب بسرعة إلى غرب النهر.

ملحوظة :

هذا الوصف المبين بأعلاه يعطي الجواب على أهداف العدو الأخرى خارج بلدة الكرامة والتي كما يظهر أن العدو لم يتمكن من تحقيقها.

أما بالنسبة لقوات الفدائيين التي كانت متواجدة في قاعدتها هناك فإن هذه المعركة تعتبر نقطة تحول رئيسية. حيث أن هذه القوات بعد أن نجح العدو بتدمير قاعدتها في بلدة الكرامة اضطرت إلى الانتقال إلى مواقع جديدة في جبال السلط والتي أصبحت بعد ذلك عرضة للغارات الجوية الاسرائيلية التي كانت تقصفها باستمرار. وبالنتيجة أخذت قوات الفدائيين تترك مواقعها في الجبال وتنتقل إلى المدن الرئيسية وتنشئ قواعد جديدة لها في الأحياء السكنية الأمر الذي كانت له عواقب سيئة فيما بعد وأدى بالنهاية إلى اصطدامها مع قوات الجيش العربي في أواخر عام ١٩٧٠م.

النشاطات السياسية :

بعد انتهاء العمليات الحربية أصدر مجلس الأمن الدولي بتاريخ ٢٢ تشرين ثاني ١٩٦٧م. قرار رقم (٢٤٢). انظر صيغته الكاملة في (الملحق رقم ٥) وطالب بتحقيق السلام الدائم والعدل في الشرق الأوسط ضمن الشروط الآتية:

- ١ - انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في هذه الحرب.
- ٢ - انتهاء حالة الحرب واحترام استقلال وحدود جميع الدول في المنطقة ضمن حدود أمانة ومعترف بها : وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصيغة التي أقرت نهائياً لهذا القرار جاءت في الفقرة الأولى خالية من (ال) التعريف قبل كلمة الأراضي التي احتلتها فأصبحت تقرأ بدلاً من (انسحاب القوات من الأراضي التي احتلتها إلخ) وهذا معناه من جميع الأراضي فقد أصبحت بالصيغة الانجليزية تقرأ (انسحاب القوات من أراض احتلتها إلخ) وهذا معناه من جزء من الأراضي فقط. وقد جاء هذا النص بنتيجة الضغط الأمريكي على المندوبين في مجلس الأمن الدولي. وهذا معناه أن اسرائيل يمكنها أن تفسر القرار بأنه لا يلزمها بالانسحاب سوى من بعض الأراضي التي احتلتها وليس منها جميعاً. وهذا هو ما ارادته أمريكا وتمسكت به اسرائيل في جميع مناقشاتها ومباحثاتها طوال السنين الماضية وحتى الآن. وليس غريباً أن تكون أمريكا هي التي تصر على صياغة القرار بهذا الشكل لكي تساعد اسرائيل على ابتلاع المزيد من الأراضي العربية ولكي تضع بيدها سلاحاً اضافياً للمفاوضة وفي هذا الصدد أحب أن أشير إلى ما ذكرته في مكان سابق عندما شرحت ما

جاء في مذكرة (والت روستو) التي قدمها للرئيس جونسون أثناء زيارة (آبا ايبان) لأمريكا قبيل نشوب الحرب وهي كما يلي :

«تمكين الإسرائيليين من احتلال أراض يتمكنون بواسطتها من إجبار دول المواجهة العربية على الجلوس معهم على طاولة المفاوضات بشكل جدي للتوصل إلى حل نهائي للمشاكل القائمة بينهم».

وما دام أن أمريكا كانت تخطط قبل نشوب الحرب لتحقيق هذا الهدف وقد زودت إسرائيل بكل ما يلزم من الدعم العسكري والمادي والسياسي لتحقيقه في ساحة القتال فمن باب أولى أنها تصر الآن في مجلس الأمن الدولي على وضع صيغ القرارات بالشكل الذي يضمن استمرار احتفاظ إسرائيل بهذه المكاسب وهذا ما يحصل فعلاً عند تطوير صياغة أي قرار آخر لأن هذه هي سياسة أمريكا الثابتة منذ قيام دولة إسرائيل والتي تركز أصلاً على دعمها بكل الوسائل وبلا حدود. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الصياغة الأصلية للقرار رقم (٢٤٢) كانت من وضع اللورد كرادون الذي كان مندوب بريطانيا في مجلس الأمن الدولي في ذلك الحين وقد كانت الصيغة الأولى من القرار إذا وافق عليها مجلس الأمن كما وضعت بدون تحريف سوف تصبح أساساً قوياً لاسترداد الضفة الغربية بكاملها كما كانت قبل وقوع حرب عام ١٩٦٧.

وقد زارني اللورد كرادون عندما كنت وزير دولة للشؤون الخارجية عام ١٩٧٥ حيث كان يقوم بزيارة للأردن. وقد تطرق بحديثه معي إلى الطريقة التي وضع فيها الصيغة الأولية للقرار رقم (٢٤٢) قبل عرضها على مجلس الأمن رسمياً وقال أنه كان يعتقد في ذلك الحين بأن القرار سينال موافقة المجلس بدون تعديل وأنه سيصبح بالإمكان استعادة الضفة الغربية على أساسه.

وعلى الرغم من أن قرار مجلس الأمن هذا بعد التعديلات التي أجريت عليه أصبح مشوهاً فإن مجلس الأمن الدولي عندما وافق على صيغته النهائية أعطى تعليماته إلى السكرتير العام للأمم المتحدة لكي يعين ممثلاً خاصاً له ليعمل على تنفيذ بنود هذا القرار. وبناء على هذا التكليف عين السكرتير العام لهذه المهمة الدبلوماسي السويدي السفير غونار يارنغ (Gunnar Jarring). وقد بدأ جولاته بين عواصم بلدان الشرق الأوسط بمحاولة للتوصل إلى اتفاق بين الدول المعنية لتنفيذ بنود القرار (٢٤٢) المذكور. وعلى الرغم من أن هذا المندوب بذل جهوداً مضنية في هذا السبيل واستمرت جولاته واتصالاته مدة سنتين تقريباً إلا أنه فشل في مهمته في نهاية المطاف وقرر الاستقالة من هذه المهمة الشاقة.

وأما القرار (٢٤٢) نفسه فقد بقي ساري المفعول ولكن بدون تطبيق عملي على الرغم من أن كلاً من مصر والأردن وإسرائيل كانت قد وافقت عليه في ذلك الحين.

وبعد فشل مهمة السفير (غونار يارنغ) وفي أواخر حرب الاستنزاف تقدم وزير خارجية أمريكا وليام روجرز (William Rogers) في شهر كانون أول عام ١٩٦٩م بخطة جديدة للسلام عرفت باسم (مشروع روجرز).

وقد كانت هذه الخطة شبيهة بما ورد في القرار رقم (٢٤٢) وهي تنص على انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي المحتلة تقريباً مقابل السلام وقد تركت هذه الخطة موضوع قطاع غزة وشرم الشيخ مفتوحة للتفاوض ولكن قبول هذه الخطة من قبل الأطراف المعنية كان يتطلب الموافقة على وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر. وكانت تدعو إلى التفاوض غير المباشر بين مصر والأردن وإسرائيل تحت إشراف كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي. وقد رفض الاتحاد السوفياتي الانضمام لهذه المبادرة فقام وليام روجرز بارسالها إلى الأطراف المعنية في شهر تشرين أول عام ١٩٦٩ ولكن الدول العربية رفضت هذه المبادرة بعد الاتصالات المكثفة التي قامت بها الولايات المتحدة على أساسها.

وفي شهر تموز عام ١٩٧٠ قام جمال عبد الناصر بزيارة إلى الاتحاد السوفياتي قيل أنها كانت للعلاج. وعلى الرغم من أن المرض الذي كان يعاني منه منذ مدة أخذ يظهر تأثيره عليه بوضوح فإنه وجد أن لا بد من الوصول إلى موقف يمكنه من البدء بتنفيذ خطة الهجوم عبر قناة السويس والتي كان قد وافق على تفصيلاتها الأولية وبدأت الاستعدادات لها تجري بسرية تامة. ولكن حرب الاستنزاف التي ما زالت مستمرة منذ قرابة ثلاث سنوات كانت تعرقل الكثير من تلك الاستعدادات وعلى الأخص مسألة استكمال بناء شبكة الصواريخ ضد الجو على طول القناة حيث لم تتمكن القوات المصرية من إكمال تقريب هذه الصواريخ إلى القناة ما دام إطلاق النار مستمراً وخصوصاً النشاط الجوي الإسرائيلي الذي كانت له فعالية قوية على طول الجبهة.

ومن محصلة هذه الأمور جميعها ولتحقيق هدفه الأساسي بعبور قناة السويس وجد أنه من الأفضل أن يوافق على مشروع روجرز الثاني الذي تقدم به بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٧٠م والذي كان ينص على وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر على أن تتم خلالها مفاوضات غير مباشرة بين مصر والأردن وإسرائيل. وقد كان عبد الناصر يريد أن يستغل فترة الثلاثة أشهر من الهدوء على الجبهة لاكمال بناء شبكة الصواريخ بشكل متكامل بحيث يصبح بإمكانها تحييد سلاح الجو الإسرائيلي فوق القناة. وبعد موافقة مصر على مشروع روجرز

هذا وافقت عليه الحكومة الأردنية بتاريخ ٣١ تموز عام ١٩٧٠م. وبعد ذلك وافقت عليه إسرائيل رغم أنها كانت تصر على إجراء مفاوضات مباشرة مع الدول العربية. وأصبح وقف إطلاق النار ساري المفعول اعتباراً من منتصف الليل يوم ٨ آب ١٩٧٠م ومهما كانت الأسباب فقد بدأت عملية تحريك الصواريخ إلى الأمام على نطاق واسع قبل وقف إطلاق النار وأثناء فترة سريانها. وهكذا تمكنت القوات المصرية من اتمام تركيز نظام متكامل من شبكات الصواريخ وقد اضيفت إليه صواريخ (سام ٦) المتطورة والتي كانت انظمتها محمية ضد معظم الأنظمة الالكترونية المجهزة بها الطائرات الإسرائيلية.

وعلى الرغم من أن جمال عبد الناصر كان يريد أن يدوم وقف إطلاق النار مدة ثلاثة أشهر فقط ينطلق بعدها لتنفيذ خطته بالهجوم عبر قناة السويس إلا أن وفاته المفاجئة يوم ٢٨ أيلول ١٩٧٠م وضعت حداً لهذه التقديرات وتلك الآمال وقدر لوقف إطلاق النار هذا أن يستمر لمدة ثلاثة سنوات بدل ثلاثة أشهر كما كان مقرراً في الأصل. وبذلك انتهت حرب الاستنزاف التي رغم الخسائر الكبيرة التي منيت بها الجبهات العربية على الصعيدين المدني والعسكري كانت دافعاً أساسياً لرفع معنويات الشعوب والجيوش العربية بعدما عانته من مرارة الهزيمة في تلك الحرب.

وأما بالنسبة للدول الكبرى فإن حرب الاستنزاف هذه اعطتها فرصة ذهبية لاجراء جميع أنواع الاختبارات والتجارب على مختلف أنواع الأسلحة التي كانت تزود بها الطرفين المتحاربين وقد حصلت بالنتيجة على خبرات ومعلومات كان من المستحيل الحصول عليها بدون تجربتها في القتال. وقد كانت هذه المعلومات أثمن بكثير من الأموال التي تباع بها هذه الأسلحة . وفي معظم الحالات فقد حصلت على الأثنين معاً (المال والخبرة).

وأخيراً وعلى هامش موافقة جمال عبد الناصر على مشروع (روجرز) فإنني أود أن أشير إلى أن هذه الموافقة كانت في حينها مفاجأة مستغربة من قبل الكثيرين في الأوساط العربية المختلفة وقد وصل هذا الاستغراب إلى درجة الاستنكار والشجب والخروج بالمظاهرات الاحتجاجية تعبيراً عن رفضهم لهذه الموافقة. وفي هذا الصدد فإنني أحب أن أشير إلى ما شاهدته عندما حضرت إلى عمان من الكويت بزيارة سريعة في أواخر شهر آب. وبينما كنت أسير في شارع السلط واجهتني مظاهرة ضخمة وكانت هتافات المتظاهرين تندد بجمال عبد الناصر لأنه وافق على مبادرة روجرز. ومما زاد في استغرابي أن عدداً كبيراً من الفدائيين الفلسطينيين كانوا مع هذه المسيرة ومع الهتافين ضد عبد الناصر الرجل الذي قضى حياته مدافعاً عن قضية فلسطين وكان من أكثر الزعماء العرب حماساً لنصرة الفدائيين

الفلسطينيين. ولكن من أين لهم أن يعرفوا في تلك الايام أن عبد الناصر إنما وافق على مشروع (روجرز) كجزء من خطة وضعها لعبور قناة السويس وشن الحرب ضد اسرائيل. ومن أين لنا جميعاً أن نعرف أن جمال عبد الناصر سوف يموت بعد ذلك بمدة لا تزيد عن شهر واحد قبل أن يتمكن من تحقيق ذلك الأمل الذي كان يستعد لتحقيقه طيلة السنوات الثلاثة التي تلت تلك الحرب المأساة.

وقفت فترة على ناصية الشارع انظر إلى هذه المسيرة الغريبة وأحاول فهم دوافعها الحقيقية فلم أهتدي إلى تفسير مقنع فتركت المكان بصمت حزين وعدت في اليوم التالي إلى الكويت.

لقد ذكرت في مكان سابق أن نشاط الفدائيين ضد اسرائيل انطلقاً من الجبهة الأردنية كان مستمراً طيلة سنوات حرب الاستنزاف وكانت مجموعاتهم تعبر الحدود تحت ستار من نيران قطعات الجيش الأردني المتمركزة في الخطوط الأمامية. وخلال هذه المرحلة كانت قد تشكلت منهم عدة منظمات لكل منها قيادتها المنفصلة عن الأخرى وفي معظم الأحيان كانوا يقومون بعملياتهم بشكل مستقل عن بعضهم. ورغم أنه كان بينهم نوع من التنسيق لكنه كان ضعيفاً. وقد كانت الخلافات بين هذه المنظمات كثيرة وخطيرة وفي بعض الحالات كانت تنتج عنها مصادمات بالسلاح ويوقعون بين صفوف بعضهم العديد من القتلى والجرحى. ثم تبدأ المساعي الحميدة من قيادة منظمة التحرير أو جهات أخرى وتحل الخلاف وينتهي الأمر إلى عودة الصفاء بينهم لفترة محدودة وهكذا. لكن المهم هنا ليس وجود الخلافات بين المنظمات لأن هذا أمر طبيعي ولا بد من حصوله في مثل هذه الظروف التي وجد الفدائيون أنفسهم فيها بعد أن خسروا ما تبقى من وطنهم فلسطين في هذه الحرب وتوزعوا هم على جميع الأقطار العربية. وكنتيجة طبيعية لهذا التوزيع اعتمدت كل منظمة منها على حكومة ذلك القطر العربي الذي تواجدت فيه واعتمدت عليه قيادتها. وقد أثر هذا الاعتماد على مسلك تلك المنظمة المعنية من حيث أنها صارت ملزمة إلى حد بعيد أن تتبنى وجهة نظر الدول المضيفة لكي تضمن استمرار دعمها لها. وبهذا انعكست الخلافات المتأصلة بين الحكومات العربية على مسيرة المنظمات الفدائية فتاهت في دوامتها. ولكن الخطر يكمن في أن تندفع المنظمات الفدائية نفسها في هذا التيار وتتورط في الشؤون الداخلية للبلد الذي تتواجد فيه والوصول بهذا الاندفاع إلى درجة الحرب السافرة كما حدث فعلاً في الأردن بأواخر عام ١٩٧٠م وبعدها في لبنان.

وكنتيجة حتمية لهذه الصدامات المؤسفة خسر الفدائيون والبلدان العربية المعنية الكثير

من الضحايا واسرائيل ترقب مآسينا عن بعد بغبطة وسرور دون أن يمسه أي أذى من هذه القوى العربية المتناحرة لانشغالها عن العدو بخلافاتها المريعة.

لقد كان العمل الفدائي ضد اسرائيل ضرورة قومية أفرزتها حتمية الصراع العربي الاسرائيلي على مر السنين. ومنذ أن بدأ التفكير الجاد بتكوين هذا الجهد تنادى له شباب فلسطين وانخرطوا في سلك قوات النضال الفلسطيني حتى عندما كان لا يزال تنظيماً سرياً في المهد ولم يتوانوا عن التضحية بأرواحهم فداءً للوطن في كافة الظروف. ولما أن تأتى الأهواء السياسية لتلعب بمصائر هؤلاء الشباب الشجعان وتهدر دماءهم خارج نطاق المعركة مع العدو فهو أمر لا يقره أي عاقل يغار على مصلحة فلسطين ومصير شعبها.

ولقد كان يتواجد في الكويت العديد من قادة الفدائيين على مختلف المستويات. وكان النشاط لدعم ومساعدة العمل الفدائي قائماً على أشده طيلة سنوات حرب الاستنزاف. ولكن مع ذلك لم يكن باستطاعتي مساعدتهم بشكل عملي سوى بتقديم بعض النصائح والمشورة التي كنت أقدمها بشكل فردي للأصدقاء الذين كانوا يستشيرونى منهم. وهذا لم يكن بمستوى ما كنت أصبو إليه في هذا المجال. ولكنه كان أضعف الإيمان.

تطورات مختلفة :

ومرت الأيام متثاقلة ودخلت الأوضاع العامة على جميع الجبهات العربية في مرحلة من السكون الطويل الذي لم يكن يعرف مصيره وحتى على الصعيد السياسي لم يعد هنالك أي، اهتمام من قبل الدول الكبرى بقضية فلسطين أو بقضايا الشرق الأوسط بشكل عام حيث أصبح موقعها متدنياً جداً في سلم الأولويات في سياستهم العالمية.

وأما في فلسطين ذاتها فقد أخذ الاسرائيليون يسنون القوانين ويضعون الترتيبات الادارية بالشكل الذي يمكنهم من الاستمرار باحتلالها إلى أجل غير مسمى ثم هضمها مع الزمن بتهويدها واستعمارها. وتنفيذاً لهذه السياسة التي ترمي إلى فرض الأمر الواقع على الأرض أخذوا يبنون المستعمرات في جميع أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ويسكنون فيها المستوطنين والقادمين الجدد من مختلف أنحاء العالم. كما فتحو أبواب العمل في مصانعهم ومزارعهم للعرب من سكان الأراضي المحتلة لكي يشجعوهم على إهمال أراضيهم وتركها بدون زراعة ليسهل على اليهود استملاكها أو شراءها بطرق غير مباشرة وبأساليب ملتوية حسب الظروف. وبهذا الشكل سوف يصبح السكان العرب غرباء في وطنهم ويتحولون إلى مجموعات من العمال في خدمة اليهود. وبنفس الوقت اتخذت الحكومة

الاسرائيلية مختلف الاجراءات لربط كافة النشاطات الاقتصادية والخدمات والمياه والمواصلات وما إليها مع هيكل الاقتصاد الاسرائيلي لكي يصبح عرب فلسطين عبارة عن مواطنين مقيمين في بلد غريب وبشكل مؤقت ولا يملكون أي حق من حقوق السيادة في وطنهم لكي يسهل مع الزمن تفرغه منهم نهائياً.

كما فرض اليهود على السكان العرب مختلف أنواع الضرائب التي لا قبل لهم بدفعها وأخذوا يحصلونها منهم بالقوة ولو اقتضى الأمر بيع أمتعتهم وأثاث بيوتهم لكي يسددوا تلك الضرائب وذلك لكي يضمّنوا بقاء العرب تحت خط الفقر المدقع بحيث يضطرون تحت ضغط الحاجة والعوز لهجر بلدهم والسفر إلى الخارج في طلب العمل الأفضل وتأمين أسباب معيشتهم.

وبهذه الأثناء ساد المنطقة العربية بكاملها حالة من الانتظار والترقب يشوبها نوع من الشعور بالاحباط واللامبالاة.

ورغم هذه الحالة المزرية التي آلت إليها البلدان العربية بنتيجة تلك الحرب واستمرار اليهود باستيعاب وهضم ما احتلوه فقد انصرفت جميع انظار العرب عن موضوع الاستعداد الفعال للحرب المقبلة التي لا بد منها إن كانوا يريدون استرداد أوطانهم السليبة. وقد فترت الهمم واستفحلت الخلافات بين القيادات العربية بمختلف أقطارها كالمعتاد. واستمرت اسرائيل بهضم ما احتلته وبالاستعداد للحرب القادمة والتوسع الجديد.

الفصل الثامن

مطالعات عن الحرب العربية - الاسرائيلية

الرابعة عام ١٩٧٣م

عندما وقعت هذه الحرب كنت أعمل محافظاً لمنطقة إربد والتي كانت تمتد من الحدود العراقية شرقاً حتى نهر الأردن غرباً ومن الحدود السورية شمالاً حتى سيل الزرقاء جنوباً. ولقد فوجئنا بهذه الحرب التي عرفت باسم حرب رمضان وكان اسمها الرمزي (بدر) وذلك لأن الحكومة الأردنية لم تكن مطلعة عليها منذ بداية التخطيط لها وحتى وقوعها. ومع ذلك فقد تحولت جميع جهودنا لمتابعة أحداثها عن كثب من خلال غرفة عمليات المحافظة التي كانت تضم فريقاً برئاستي وعضوية مدراء الدوائر الحكومية بالمحافظة ومدير الشرطة ومدير الدفاع المدني ومندوبين عن قادة الفرق العسكرية والمخابرات العامة والاستخبارات العسكرية. وقد كان هذا الفريق بحالة اجتماع دائم منذ أول يوم لنشوب الحرب ليلاً ونهاراً. ومن خلاله كنت كذلك أدير عمليات الدفاع المدني والاجراءات الأمنية الأخرى المتعلقة بمختلف مصالح المواطنين في مثل هذه الظروف.

وعلى الرغم من أن الأردن لم يكن مشتركاً عملياً بهذه الحرب منذ بدايتها فإننا على أي حال كنا نشعر أننا جزءاً منها ونتوقع أنها سوف تتطور وتشترك جميع الجيوش العربية بخوض معاركها ونأمل أن يتحقق النصر لأمتنا بالنهاية. لا سيما وأن هذه الحرب تختلف عن جميع الحروب التي سبقتها من حيث أن العرب بهذه الحرب كانوا هم البادئون بالهجوم عبر قناة السويس وفي مرتفعات الجولان. وليس من المعقول أن يبادروا إلى شن هذا الهجوم الضخم دون أن يكونوا قد درسوا جميع احتمالاته ومتطلباته بكل دقة وتأكدوا من نجاحه. وقد كنا نحن المراقبون عن بعد شبه متأكدين أن الحرب سوف تنجح هذه المرة لا سيما وأن الجيوش المصرية والسورية قد حققت المفاجأة التامة على القوات الاسرائيلية. ولكن بما أن الخطة العامة لهذا الهجوم قد وضعت من قبل مصر وسوريا وحدهما ودون اطلاق القيادات العربية عليها مسبقاً فإنني أرى أن استثناء الأردن وعدم اشراكه بهذه الحرب منذ بدايتها كان خطأً فاحشاً نتج عنه تأثيرات سلبية كثيرة في الجبهة العربية للأسباب التي سوف أشرحها فيما بعد. ولكنني ساحاول هنا إعطاء لمحة موجزة عن كيفية سير معارك هذه الحرب

منذ بدايتها وتطور وقائعها ومن ثم استخلاص العبر من نتائجها وما أحدثته من نكسات وخسائر في الجبهات العربية على الصعيد العسكري وما أدت إليه من تطورات سياسية كان لها أعمق الأثر على مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي بشكل عام وعلى مصير القضية الفلسطينية بشكل خاص وربما لأجيال عديدة قادمة.

وقبل الخوض في تفصيلات المعارك قد يحسن أن نشير هنا إلى الاجراءات التحضيرية التي تم اتخاذها استعداداً لشن هذه الحرب. ولا بد أن نذكر في هذا المجال أن الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية في حرب حزيران عام ١٩٦٧م كانت في الواقع هي السبب الرئيسي الذي أدى إلى نشوب هذه الحرب الجديدة.

ولا بد أن نذكر أيضاً أن مرارة تلك الهزيمة هي التي غرست في نفوس الجنود والضباط العرب روح التحدي واحيت فيهم العزيمة والتصميم على الانتقام لكرامتهم في ميدان القتال. ولا بد أن نذكر كذلك أنه لهذه الأسباب جميعها جاءت حرب الاستنزاف واستمرت زهاء ثلاث سنوات كما جاء شرحها سابقاً.

ولا بد أن نذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد خطط لهذه الحرب الجديدة وأخذ يستعد لها من خلال حرب الاستنزاف وأثناءها. ومن هنا جاء الدعم الرئيسي بمختلف أنواع الأسلحة المتطورة التي قدمها الاتحاد السوفياتي لمصر أولاً ثم لسوريا ثانياً. ومن أهم أنواع هذه الأسلحة كانت طائرات (الميج ٢٣) وصواريخ سام بأنواعها والتي تم نشر جدار ضخمة من قواعدها على مساحات واسعة على طول جبهة القناة بحيث أخذت تلغي تدريجياً حدة فعالية طائرات سلاح الجو الاسرائيلي. وهذا بالإضافة إلى الكميات الضخمة من الدبابات الحديثة من نوع ت ٦٢ (T62) ومدافع الميدان الثقيلة وصواريخ أرض/أرض. وصواريخ متطورة ضد الدروع. وعشرات الأنواع الأخرى من التجهيزات الحديثة ووسائل النقل والاتصال. كما لا بد أن نشير هنا إلى أن القوات المسلحة المصرية عبرت قناة السويس إلى سيناء وخاضت معاركها بالسلاح الروسي وليس بالسلاح الأمريكي. على الرغم من أن الرئيس أنور السادات كان قد استغنى عن الخبراء الروس وأخذ يعتمد في سياسته على الولايات المتحدة الأمريكية قبل بدء هذه الحرب. كما يجب أن نستذكر كذلك أن فكرة عبور القناة وشن الحرب كانت في الأصل فكرة جمال عبد الناصر الذي وقع على الخطط التي وضعت لهذه الحرب قبل وفاته بفترة وجيزة على أن يبدأ الهجوم بعد ذلك التاريخ بمدة ثلاثة أشهر. ولكن القدر المحتوم لم يمهل تلك الفترة وغادر هذه الدنيا قبل أن يتمكن من تحقيق هدفه الكبير بإزالة آثار العدوان. ذلك الهدف الذي عمل من أجل تحقيقه حتى آخر

يوم في حياته التي انتهت مع انتهاء آخر اجتماع لمؤتمر القمة الذي دعى لعقده في القاهرة لوضع حل لمشكلة الحرب الأهلية التي نشبت في الأردن بين قوات الجيش العربي الأردني والمنظمات الفدائية كما هو معروف.

وبسبب وفاة جمال عبد الناصر المفاجئة توقفت جميع اجراءات الاستعداد للحرب التي كان من المفروض أن تبدأ بعد ثلاثة أشهر وأصبح عليها أن تنتظر مدة ثلاث سنوات. ولكن لكي تحقق هدفاً سياسياً جديداً غير الهدف الذي وضع لها في الأصل وبأسلوب مختلف.

وكما اتضح فيما بعد فإن الرئيس أنور السادات بعد توليه الحكم قام بوضع استراتيجية جديدة تهدف إلى محاولة استرداد سيناء بواسطة العمل السياسي يدعمه عمل عسكري.

واستناداً إلى ذلك أخذ يغير الاتجاه العام لسياسة مصر التي كانت في عهد جمال عبد الناصر تعتمد بشكل أساسي على صداقة الاتحاد السوفياتي ودعمه وعلى مقاومة الدول الاستعمارية وفي طليعتها أمريكا نظراً لانحيازها المستمر والكامل لاسرائيل بتأثير الصهيونية العالمية. ويظهر أن السادات كان مقتنعاً بأنه لو تمكن من كسب صداقة أمريكا بدل صداقة الاتحاد السوفياتي فإنه سوف يحصل على نتائج أفضل في إطار استراتيجيته الجديدة باعتبار أن أمريكا وحدها هي التي يمكنها التأثير على اسرائيل للحصول منها على تنازلات معقولة للتوصل إلى حل سلمي مناسب لمشاكل المنطقة ضمن أسلوب المنهج السياسي.

واستناداً إلى هذه النظرية فقد بدأ بالتقرب من أمريكا والابتعاد التدريجي عن الاتحاد السوفياتي. حتى أدى به الأمر إلى طرد جميع الخبراء السوفيات من مصر في شهر تموز عام ١٩٧٢م. وضمن إطار هذه الاستراتيجية كان لا بد من الاستمرار بالاستعدادات العسكرية حتى يصبح بالإمكان شن حرب محدودة تدعم العمل السياسي وتؤدي بالتالي إلى مفاوضات جادة ينتج عنها استرداد سيناء والأراضي المحتلة. ولذلك فإننا كنا نسمع التصريحات المتتالية تصدر عن الرئيس أنور السادات يعين فيها (سنة الحسم). وقد حدد سنة الحسم هذه أكثر من مرة وربما كان السبب في ذلك أن توقيت الحرب المحدودة المنوي شنها كان يجب أن يتمشى مع الأجواء السياسية المناسبة. وبما أن هذه الأجواء كانت دوماً قابلة للتغيير فإن توقيت بدء الحرب يجب أن يكون هو الآخر قابلاً للتغيير. وكل هذه التحليلات تصبح معقولة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن التفرق العربي حالة مرضية دائمة لا يمكن الشفاء منها. وإن العرب بسببها لا يستطيعون حشد الجهد الكافي الموحد للتغلب على اسرائيل عسكرياً. ولذلك يصبح ليس أمامهم سوى العمل السياسي لاستعطاف أمريكا لعلها تستطیع اقناع اسرائيل لاعادة بعض حقوقهم عن طريق المفاوضات. ولكن حتى لو سلمنا جدلاً إن تلك الاستراتيجية

التي أعلن عنها الرئيس السادات في إحدى خطبه بعد الحرب كانت تهدف من معركة العبور تحريك القضية الفلسطينية التي اعتراها الركود والإهمال. أي بمعنى أنه كان يقصد فعلاً أن تكون حرباً محدودة لدعم التحرك السياسي الذي يهدف إلى استرداد الأراضي المحتلة فلماذا إذن استثنى الأردن من المشاركة بالتخطيط لهذه الحرب والاستعداد والاشتراك بها منذ بدايتها لا سيما وإن الجبهة الأردنية هي أخطر الجبهات العربية وأهما لأن فيها القدس والضفة الغربية. ومما لا شك فيه أنها تعتبر من الناحية القومية والعسكرية أهم من سيناء والجولان بكثير. ولكني في الحقيقة لا أجد لهذا التساؤل سوى تفسير واحد. وهو أن اشتراك الأردن في الحرب سوف يطور الصراع إلى مدى أبعد بكثير مما كان مخططاً له أصلاً لأن عملية اقتحام الضفة الغربية سوف تنقل الخطر إلى قلب إسرائيل مباشرة بزخم أسرع بكثير من المعارك في سيناء أو الجولان. ومن المؤكد أنها سوف تؤدي إلى اشتراك الجيش العراقي وباقي جيوش المشرق العربي. وبالتالي سوف تتطور المعركة إلى أبعاد أوسع مما كان مخططاً لها. وبهذه الحالة ربما تنوه السياسة المرسومة عن أهدافها المحدودة.

التخطيط لهذه الحرب :

وأما في مجال التخطيط الفعلي للمعركة فقد برزت عدة مشاكل رئيسية كان لا بد من إيجاد الحلول الصحيحة لها قبل بدء المعركة لكي يصبح النجاح فيها ممكناً ضمن الإمكانيات المتاحة. ولقد تعلم العسكريون المصريون والعرب من دروس حرب عام ١٩٦٧م بأنه يتعين عليهم التوصل إلى تحقيق السيطرة الجوية أو على الأقل التفوق الجوي قبل أن يقدموا على شن الحرب على إسرائيل إذ أنه بدون هذا التفوق الجوي سوف لن تتوفر لهم الفرصة للتغلب على القوات البرية الإسرائيلية ما دامت تقاتل بحماية قوات جوية متفوقة. ولكي تتمكن القوات العربية من الحصول على التفوق الجوي فإنه يترتب عليها أن تحصل على الأعداد الكافية من الطائرات القاذفة المتوسطة والقاذفة المقاتلة القادرة على قصف المطارات الإسرائيلية وتدمير سلاحها الجوي أو تحييده على الأقل مثل طائرات (الميج ٢٣) أو (الجاكوار) أو (الفانتوم) وما يلزمها من الوسائل المتطورة مثل الرادارات ووسائل الخدمات الأرضية السريعة وخلافها. وللحصول على هذه الأعداد من الطائرات والتدريب عليها سيحتاجون إلى وقت قد يصل إلى ثلاثة أو أربعة سنوات أخرى. ولما كانت الشعوب العربية قد عشت من طول الانتظار وسئمت من كثرة ترديد مواعيد (سنة الحسم) وخلافها من الوعود. لم يعد بالإمكان الانتظار طيلة هذه السنين الأخرى دون عمل حاسم. وإزاء هذا الموقف اتجه السادات إلى الاتحاد السوفياتي لإيجاد حل لهذه المشكلة. ولم يكن في ذلك

الوقت قد أقدم على طرد الخبراء السوفيات من مصر. ورحب الاتحاد السوفياتي بهذا الطلب واقترحوا كحل سريع لمواجهة الطيران الاسرائيلي في حالة الحرب وتحييده أن يقوموا باكمال بناء جدار الصواريخ (أرض - جو) الذي كانوا قد بنوه أصلاً أثناء حرب الاستنزاف لكي يصبح بكثافة عالية للغاية وقد أصبح بعد إكماله أقوى جدار صاروخي في العالم ويستند أساساً على صواريخ (سام ٢، ٣، ٦) . وقد أكمل السوفيات تركيب مائة وخمسون بطارية من هذه الصواريخ في مصر كان منها خمسون بطارية في منطقة القناة قبل بداية الحرب وتتكون كل بطارية (سام ٢، ٣) من ستة قاذفات صواريخ. وأما بطاريات سام ٦ فتتكون كل بطارية من ١٢ صاروخ جاهزة للاطلاق مركبة على أربعة دبابات.

وأما صاروخ (سام ٦) المتحرك فيبلغ مداه المؤثر (٢٤٠٠٠) ياردة ويدخل ضمن شبكة (سام ٢) الثابت والذي يبلغ مداه (٥٥٠٠٠) ياردة (وسام ٣) المتحرك الذي يبلغ مداه (٣٣٠٠٠) ياردة. وكل نوع من هذه الصواريخ مجهز بجهاز توجيه الكتروني مختلف عن الآخر مما يجعل مهمة استخدام اجراءات مضادة لهذه الصواريخ من قبل الطائرات المغيرة في غاية الصعوبة والتعقيد.

ومن أهم مميزات صاروخ سام ٦ أنه متحرك. فهو مركب على شاصي دبابة ويمكن نقله من مكان إلى آخر بسرعة أثناء الاشتباك حيث أنه لا يحتاج سوى إلى بضعة دقائق لجمعه قبل حركته إلى موقع بديل ثم يجهز للاطلاق من جديد خلال برهة قصيرة كذلك. ولكي تتمكن الطائرات المغيرة من الوصول إلى صاروخ (سام ٦) فإنها سوف تقع أولاً ضمن مدى صاروخ (سام ٢) الذي يستطيع اصطيادها على بعد (٥٥٠٠٠) ياردة وإذا أضفنا إلى هذه الشبكات الصاروخية المنيعة المئات من صواريخ (سام ٧) المحمولة وصواريخ ستريل التي يحملها جنود المشاة بالإضافة إلى الأعداد الهائلة من المدافع التقليدية المضادة للطائرات وخصوصاً المدافع متعددة السبطانات نوع (23 - ZSU). فإنه يتضح أن القوات المصرية المقاتلة أصبحت تتوفر لديها الحماية التامة أثناء المعركة ضد الغارات الجوية بشكل فعال.

وأما المعضلة الثانية التي تطرق لها المخططون المصريون استناداً إلى تجارب حرب عام ١٩٦٧ فهي حقيقة إن سلاح الجو الاسرائيلي كان يستطيع أن يغير على أهداف في أعماق مصر لمسافات بعيدة وقد كان اقتراح السوفيات لمواجهة هذه المشكلة هو أن يزودوا مصر بصواريخ سكود (SCUD) أرض - أرض التي يبلغ مداها ١٨٠ ميل ويمكنها تهديد مواقع التجمعات السكانية الاسرائيلية في عمق اسرائيل. وكان رأيهم أن وجود هذا الصاروخ بيد مصر سيكون رادعاً قوياً لمنع اسرائيل من الاغارة على أهداف في العمق المصري. وقد بدأت هذه الصواريخ تصل إلى مصر في نيسان عام ١٩٧٣.

أما التخطيط المشترك بين مصر وسوريا لهذه الحرب فقد بدأ في كانون الثاني ١٩٧٣م. وبعد وصول صواريخ سكود (SCUD) إلى مصر وضع السوفييات برنامجاً مكثفاً لتزويد سوريا بشبكة صواريخ (سام) حيث تم تركيب خمسين بطارية من هذه الصواريخ لحماية ممرات الاقتراب الجوية المؤدية إلى دمشق.

وأما المشكلة الثالثة التي برزت للمخططين من تجارب حرب عام ١٩٦٧م فهي مسألة قدرات السلاح المدرع الاسرائيلي وضخامته. وقد وجدوا أن الحل الجذري لهذه المسألة يكمن في توفير أعدادا ضخمة من الأسلحة المضادة للدروع لدى قطعات المشاة ابتداءً من الصاروخ الخفيف (آر بي جي) (R P G) والذي يصرف إلى مستوى فئة المشاة إلى صاروخ (ساغر) (SAGGER) الذي يبلغ مداه (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف ياردة. وإلى حاملة الصواريخ المدرعة نوع (B R D M) (بي. آر. دي. أم) والتي تصرف إلى مستوى الكتيبة واللواء. كما وضعت خططاً تفصيلية لمقاومة الدروع الاسرائيلية تستند إلى هذه الأسلحة بالإضافة إلى الفرق المدرعة.

وأما المشكلة الرابعة فقد كانت مسألة التعبئة العامة للقوات الإسرائيلية والتي تتم عادة بسرعة فائقة وبمدة لا تزيد عن ٤٨ ساعة والتي تمكن اسرائيل أن تحشد في الميدان جيشاً يزيد قوامه عن ستمائة ألف جندي ضمن هذه المدة وقد وجد المخططون أن حل هذه المشكلة يكمن في تحقيق المفاجأة التامة في بدء الهجوم. وقد تحققت هذه المفاجأة على الجبهتين المصرية والسورية بفضل خطة التمويه الرائعة التي طبقتها مصر منذ فترة ما قبل الحرب. وقد كانت خطة علمية مدروسة بكل دقة وأثبتت نجاحاً منقطع النظير وقد شهد العديد من الخبراء العسكريين المشهورين في العالم أن خطة التمويه المصرية وعملية عبور قواتها الضخمة قناة السويس إلى سيناء خلال بضع ساعات تصنف من بين أعظم الانجازات العسكرية الناجحة في تاريخ الحروب الحديثة.

خطة التمويه والخداع :

لا يمكنني طبعاً أن أدخل في تفصيلات هذه الخطة هنا حتى لو توفرت لدي صيغتها لأنها ستحتاج إلى كتاب خاص بها حيث أن مثل هذه الخطة تتضمن عادة شروحات كثيرة للأساليب المستعملة في وضع وتطبيق مراحلها وأهمها الأساليب الاستخبارية والعلمية والصحفية والاجتماعية والسياسية. وجميعها بالنهاية تهدف إلى التوصل إلى جذب أنظار العدو بعيداً عن الهدف الحقيقي الذي نسعى لتنفيذه. وبمعنى آخر تعميته عن الإجراءات التي نقوم بها والاستعدادات التي ننفذها في جبهة القتال لكي لا يكتشف هدفنا الحقيقي أو

يعرف مكان الضربة التي ستقوم بها قواتنا المحتشدة في الجبهة. وبالتالي لا يستطيع اتخاذ احتياطاته الوقائية المسبقة لمواجهة قواتنا قبل فوات الأوان. وبالنتيجة نستطيع مباغتته وهو في أضعف حالات استعداداته ونحقق بذلك المفاجأة التامة وننتقل إلى هدفنا بأسرع وقت ممكن وبأقل الخسائر .. وهذا في الواقع هو ما هدفت إليه خطة الخداع المصرية وحققته بنجاح تام. على أنى سأذكر هنا بعض الوقائع والأحداث البارزة التي استخدمت بهذه الخطة والتي لم تكن سرّاً بل برزت معظمها في وسائل الاعلام المختلفة المحلية والعالمية في حينها وكانت ركائز مهمة في انجاح الخطة والوصول إلى الغاية المطلوبة رغم أن الاسرائيليين في مختلف مستوياتهم لم ينتبهوا لها أو أنهم لاحظوها وأهملوها وذلك بتأثير مركب العظمة الذي كانوا يعانون منه والذي أصيبوا به بنتيجة حرب عام ١٩٦٧م وأصبح بالنسبة لهم حالة مرضية واستمروا يعانون منه على مر السنين وبسببه كانوا غير مستعدين أن يصدقوا أن مصر سوف تكون قادرة على مهاجمتهم قبل أن تتوفر لها شروط معينة ومن أهمها التفوق الجوي. وهذا برأيهم سيحتاج إلى عدة سنين وبالتالي فإنها لا تشكل خطراً عليهم لمدة طويلة. كما أنهم كانوا مقتنعين أن سوريا والأردن لن تجرؤا على مهاجمة اسرائيل لوحدهما بدون مصر. ولذلك فإن تقديراتهم كانت أن الحرب غير محتملة الوقوع في وقت قريب.

وهنا أحب أن أشير إلى حقيقة هامة وهي أن الأمة العربية أو على الأقل الدول المحيطة باسرائيل بما فيها العراق والسعودية لو استطاعت في ذلك الوقت أن توحد قواتها العسكرية بكاملها بامرة قيادة واحدة ولو أنها اشتركت في التخطيط لهذه الحرب منذ البداية واشتركت بعملية الهجوم بكل قدراتها ضمن الخطة العامة لاستطاعت أن تحقق نصراً حقيقياً على اسرائيل ولتمكنت من خلاله أن تسترد أراضيها المحتلة أو على الأقل التوصل إلى نتائج أفضل بكثير مما توصلت إليه مصر وسوريا بنتيجة هذه الحرب التي خاضتها في البداية بشكل مستقل وفي معزل عن باقي الجيوش العربية رغم أن هذه الجيوش ولا سيما الأردنية والعراقي قد سارعت لنجدة سوريا في المراحل الأخيرة من القتال عندما أصبحت القوات الاسرائيلية تطرق أبواب دمشق.

إن مركب العظمة والشعور بالتفوق جعلت قادة اسرائيل يميلون باستمرار إلى عدم تصديق المعلومات التي كانت تصلهم عن احتمالات وقوع الحرب وأصبح سهلاً عليهم أن يقبلوا التحليلات الاستخبارية التي تقلل من شأن كفاءة القوات المسلحة المصرية والعربية والتي تؤكد أن هذه القوات ما زالت دون المستوى القتالي المطلوب. ولذلك فإنهم يستنتجون أن الحرب ليست وشيكة. وقد استغل المصريون هذه الحالة النفسية السائدة لدى قادة اسرائيل وأخذوا يشنون حملة واسعة من ترويع المعلومات المغلوطة عبر وسائل الاعلام

المحلية والعالمية تؤكد صحة المعلومات التي كانت تتردد على ألسنة بعض القادة الاسرائيليين من أن القوات المصرية ما زالت غير مكتملة التدريب والتسليح والاستعداد للحرب. وقد نجحت حملة المعلومات المغلوطة هذه نجاحاً ممتازاً. وتناولت الصحف الاسرائيلية هذه المعلومات وتوسعت في نشرها. الأمر الذي ساعد كثيراً في تصديقها وبالتالي الركون إلى الهدوء الروتيني على أساس أن الحرب ليست وشيكة. وعلى الرغم من بروز الكثير من الظواهر التي تشير إلى قرب وقوع الحرب من الاستعدادات التي كانت تتم في الجبهتين المصرية والسورية والحشود الضخمة للقوات خلف الخطوط الأمامية فإن الاسرائيليين كانوا يفسرونها بمختلف التفسيرات الأخرى التي تستبعد احتمال وقوع هجوم وشيك.

فمثلاً عندما قررت القيادة المصرية شن الهجوم خلال شهر أيار ١٩٧٣ م استطاعت الاستخبارات الاسرائيلية تأكيد هذه المعلومات. وعلى ضوء ذلك قاموا باعلان التعبئة الجزئية. ولكن هذا الهجوم لم يقع لأن القيادة المصرية كانت قد قررت فعلاً تأجيل مواعده حتى الفترة القادمة (للمد) الملائم في قناة السويس خلال أشهر الخريف. ولذلك فإنه عندما لم يقع الهجوم المنتظر تأكد الاسرائيليون أن معلومات استخباراتهم وتحليلاتها غير صحيحة وأن الحرب ليست وشيكة وأن التحركات على الجبهة لا تعدو كونها نوعاً من أعمال التصعيد المعتادة التي تكرر مثلها الكثير خلال السنوات الماضية.

ففي سنة ١٩٧١ م التي كانت (سنة الحسم) جرت استعدادات من قبل مصر لتوجيه ضربة جوية على منطقة شرم الشيخ وأعلنت اسرائيل حالة الطوارئ ولم يحدث شيء. وفي سنة ١٩٧٢ م قرر السادات انزال لواء مظليين لاحتلال قسم من سيناء ثم السعي لتدخل هيئة الأمم المتحدة في حل الخلاف من جذوره. وعلى أثر ذلك أعلنت اسرائيل التعبئة ولم يحدث شيء. وكذلك في أيار ١٩٧٣ أعلنت اسرائيل التعبئة لتوقعها وقوع هجوم من قبل مصر ولكن لم يحدث شيء. ولذلك فإن جميع التحركات التي كانت تجري في الجبهة المصرية في ذلك الوقت اعتبرها الاسرائيليون كسابقاتها ولا تعدو كونها عبارة عن مناورات موسمية واسعة لا تلبث أن تتلاشى. وللتأكيد على هذه النظرية ولإنجاحها فقد عمدت القيادة المصرية إلى القيام بمناورة كبرى في منطقة القناة اشتركت فيها جميع الفرق التي ستقوم بالهجوم الفعلي. وقد رتبت اجراءات المناورة بشكل يتيح لهذه الفرق أن تصل إلى مواقعها القتالية المخصصة لها في الخطوط الأمامية عند انتهاء المناورة وبموعد قريب من توقيت الهجوم. وقد طبقت السرية التامة إلى أقصى الحدود في جميع الاجراءات والتعليمات والأوامر الحربية التي كانت تصدر بشأنها بحيث أن معظم القادة والضباط لم يكونوا يعرفون أن هذه المناورات كانت في حقيقة الأمر ستتحول إلى معركة كبرى حقيقية. ولم يطلعوا على خطة

الهجوم إلا صباح يوم ٦ تشرين أول. أي قبل بضع ساعات فقط من موعد البدء بالمعركة. ولم يكن أحد يعلم بموعد الهجوم قبل ذلك سوى عدد محدود جداً من القادة الكبار فقط. وبنفس الوقت استمر تصرف الجنود المتواجدين في الخطوط الأمامية عادياً كما كان عليه طيلة الأشهر السابقة حيث كانوا يتجولون في العراء أمام المواقع الدفاعية الأمامية بدون أن يعتصموا الخوذ الفولاذية. كما كانوا ينزلون إلى حافة القناة لصيد السمك. وكذلك استمر السكان المدنيون والمزارعون يمارسون أعمالهم اليومية المعتادة.

ولقد ساهمت هذه التصرفات جميعها في عملية خداع الاسرائيليين وجعلتهم يقتنعون أن الأمور عادية ولا يوجد ما يوجب الشك والتحسب من وقوع الحرب قريباً وبهذه الأثناء وقع حادثين مهمين ساهما إلى حد كبير في انجاح خطة الخداع الكبرى. ففي منتصف شهر أيلول وقع صدام جوي كبير بين الطائرات السورية والطائرات الاسرائيلية فوق البحر الأبيض المتوسط. مقابل السواحل السورية اللبنانية وقد خسر السوريون بهذه المعركة الجوية حوالي ١٢ طائرة ولذلك فإنه عندما بدأت القوات البرية السورية تحتشد في مواقعها المتقدمة مقابل جبهة الجولان كان الاسرائيليون يفسرون هذه الحشودات على أنها عبارة عن اجراءات احتياطية يقوم بها السوريون كرد فعل على نتائج تلك المعركة الجوية وتحسباً من أن تكون اسرائيل تخطط للقيام بالهجوم على سوريا. ولذلك كان من المعقول أن يعتبر الاسرائيليون أن الاجراءات السورية اجراءات دفاعية محضة وليس المقصود منها شن هجوم سوري على مرتفعات الجولان. ولذلك فعلى الرغم من أن هذه المعركة الجوية قد وقعت صدفة ولم يكن ممكناً أن تكون قد أخذت في الاعتبار كجزء من خطة الخداع الأصلية إلا أن حدوثها في ذلك الوقت بالذات قد خدم الخطة وساهم في انجاحها إلى حد كبير.

أما الحادث الآخر الذي يمكن اعتباره جزءاً من خطة الخداع فقد حدث بعيداً عن المناطق العربية وفي النمسا بالذات عندما قامت مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين بتاريخ ٢٩ أيلول بالاستيلاء على قطار للركاب في منطقة الحدود بين النمسا وتشيكوسلوفاكيا كان محملاً باليهود السوفييات القادمين من موسكو إلى معسكر التجمع في فينا للسفر فيما بعد إلى اسرائيل. وقد احتجز الفدائيون الفلسطينيون خمسة من اليهود وأحد موظفي الجمارك النمساويين كرهائن وطلبوا تحضير طائرة لنقلهم مع الرهائن إلى أي بلد عربي. وقد تدخل الرئيس برونو كرايسكي (Bruno Kreisky) رئيس جمهورية النمسا (وهو يهودي) في المفاوضات وعرض على الفدائيين أنه سيقوم بإغلاق المعسكر المعد لاستقبال المهاجرين اليهود في شوناو (Schonau) بالقرب من فيينا مقابل اطلاق سراح الرهائن وبناء على هذا التعهد تم الافراج عن الرهائن ثم ترك الفدائيون أحراراً ليسافروا إلى أي مكان يريدون.

وقد انتشرت أنباء هذا الحادث وملأت الصحف والمجلات ومختلف وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم. وقد ثارت ثائرة إسرائيل وانشغلت حكومتها كلياً بهذا الحادث وملأت الدنيا احتجاجات على النمسا وعلى رئيسها كرايسكي (اليهودي). وقد سافرت رئيسة وزراء إسرائيل (غولدامائير) لتجتمع مع كرايسكي لكي تقنعه بالعدول عن قراره وتعهده القاضي باغلاق معسكر (شوناو). والمهم هنا أن هذا الحادث تسبب بانشغال جميع المسؤولين في الحكومة الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلي في مسألة حادث النمسا واغلاق معسكر استقبال المهاجرين اليهود طيلة الايام التي سبقت الهجوم الكبير وكانت تلك الايام حاسمة لأن جميع الاجراءات النهائية والاستعدادات الأخيرة للهجوم كانت تتم خلالها ليلاً ونهاراً بانتظار ساعة الصفر. والقادة الاسرائيليون منصرفون عن التفكير في الحرب ومنهمكون في مسألة عزم (كرايسكي) على اغلاق معسكر (شوناو).

ومن السهل اعتبار هذا الحادث أنه كان مدبراً خصيصاً ليكون جزءاً من خطة الخداع الرئيسية. خصوصاً وأن مجموعة الفدائيين التي نفذته كانت تنتمي إلى منظمة الصاعقة التي ترتبط مع الجيش السوري. وسواء كان هذا الحادث مرتباً سلفاً كجزء من الخطة أو أنه حدث خارج اطارها فإن وقوعه في ذلك الوقت بالذات قد لعب دوراً مهماً في انجاح خطة الخداع وتمكين القوات العربية في الجبهتين من اتمام تحضيراتها النهائية قبيل المعركة. وأن تحقق المفاجأة التامة على القوات الاسرائيلية وأن تأخذها على حين غرة وتحقق نصراً ساحقاً في بداية الحرب.

أما كيف تطورت العمليات الحربية بعد هذا النجاح الأولي ثم تدهورت بسرعة وتحولت إلى هزيمة في نهاية الأمر فهو ما سحاول شرحه ضمن نطاق تفصيلات المعارك الرئيسية التي دارت على الجبهتين من البداية حتى النهاية المحزنة التي آلت إليها بعد المعارك المريعة التي استمرت زهاء ثلاثة أسابيع كما كنا نتابعها خلالها دقيقة بدقيقة عن بعد في غرفة عمليات المحافظة في مدينة إربد.

ولقد سطر ألوف الشهداء من شباب العرب بدماهم الزكية ملحمة هذه الحرب التي أثبتت للعالم أجمع أن الجيوش العربية تستطيع أن تقاوم بكفاءة وشجاعة منقطعة النظير وتستطيع أن تنتصر إذا ما اتاحت لها الوسائل الضرورية للمعركة الحديثة. كما أثبتت هذه الحرب فعلاً أن الجيوش العربية وقادتها قد تعلموا درس حرب عام ١٩٦٧ م جيداً واستخلصوا منها العبر وتمكنوا بالمتابعة والتضحية من الوصول إلى المستوى القتالي الرفيع الذي أثبتوه عملياً منذ بداية المعركة حتى نهايتها ولكن هذه التضحيات الهائلة ذهبت

بالنتيجة هباء لأن مصر وسوريا انفردتا بالقرار ولم تشركا معهما بقية البلدان العربية المحيطة بإسرائيل والقريبة منها وخصوصاً الأردن والعراق. وهما اللتان أرسلتا قواتهما في أواخر الحرب على وجه السرعة لتساعد بقدر الإمكان في عملية إيقاف الزحف الاسرائيلي على دمشق. ولقد وقعت أخطاء في وضع الاستراتيجية العليا لهذه الحرب كذلك. حيث بدأت كحرب سياسية هدفها تحريك قضية الشرق الأوسط دولياً وفشلت عسكرياً كحرب حقيقية في ساحة القتال بسبب تلك الأخطاء الاستراتيجية وأخرى تكتيكية في توجيه سير المعارك تسببت بانهاؤها لصالح إسرائيل.

العمليات الحربية :

لقد استقيت المعلومات الواردة بهذا الفصل من عدة كتب ومصادر مختلفة أجنبية وعربية وهي على ما أظن أقرب ما تكون للواقع :

أولاً : الجبهة المصرية

- ١ - كانت القوات المصرية التي اشتركت بهذه المعارك تتكون من التشكيلات الآتية:
 - أ - خمسة فرق مشاة تتألف كل فرقة من ثلاثة ألوية مشاة قوام كل لواء ثلاثة كتائب مشاة وكتيبة دبابات. أي أن كل فرقة مشاة كان لديها ١٢٠ مائة وعشرون دبابة ضمن ملاكها.
 - ب - ثلاثة فرق آلية تتكون كل فرقة من لوائين آليين ولواء دروع أي بمجموع ١٦٠ مائة وستون دبابة لكل فرقة.
 - ج - فرقتين مدرعتين تتكون كل فرقة من لوائين مدرعين ولواء آلي أي بمجموع ٢٥٠ مائتين وخمسون دبابة لكل فرقة.
 - د - ثمانية وعشرون كتيبة صاعقة.
 - هـ - لوائين مظليين.
 - و - لواء مشاة بحرية (برمائي).
 - ز - ثلاثة ألوية دبابات مستقلة.

٢ - نظمت التشكيلات التي ستقوم بعملية اقتحام القناة ضمن جيشين هما :

- أ - الجيش الثاني: وبأمرته ثلاثة فرق مشاة وتولى مسؤولية الجزء الشمالي من جبهة القناة من بورسعيد شمالاً حتى الدفرسوار والبحيرات المرة جنوباً. كما وزعت مسؤوليات الفرق ضمن جبهة هذا الجيش كالآتي:

- فرقة المشاة الثامنة عشرة: من بور سعيد شمالاً حتى القنطرة ودير البلح جنوباً.
- فرقة المشاة الثانية: من دير البلح شمالاً حتى بحيرة التمساح جنوباً.
- فرقة المشاة السادسة عشر: من بحيرة التمساح حتى الدفرسوار على الطرف الشمالي للبحيرات المرة الكبرى.

ب - الجيش الثالث: وبامرته فرقتي مشاة وتتولى مسؤولياتها في الجزء الجنوبي من الجبهة كالآتي.

- فرقة المشاة السابعة: تتولى مسؤولياتها عن المنطقة من البحيرات المرة حتى منتصف المسافة إلى مدينة السويس.
- فرقة المشاة التاسعة عشر: تتولى المسؤولية في القسم الجنوبي من القناة وتشمل مدينة السويس.

٣ - الخط الفاصل بين منطقتي هذين الجيشين يمر من منتصف البحيرات المرة.

٤ - اعطي لكل فرقة مشاة من فرق الاقتحام لاسنادها في مرحلة الهجوم فقط لواء مدرع كامل تم سحبها من الفرق المدرعة والفرق الآلية لهذه الغاية.

٥ - لقد تم تدريب فرق المشاة على عمليات الاقتحام بكل تفصيلاتها وقامت باجراء التجارب الكاملة عليها في المناورات التي كانت تقوم بها خلال الفترة التي سبقت الهجوم وطبقت عملياً كافة التفصيلات لعملية الاقتحام التي ستقوم بها في المعركة الحقيقية من مستوى أصغر وحدة من وحداتها حتى مستوى التشكيل الكامل ولم تترك أي احتمال للخطأ مهما كان صغيراً.

٦ - كان لسلح الهندسة دوراً أساسياً وحاسماً في نجاح المعركة ولا سيما في مراحلها الأولية في عملية عبور القناة واقتحام المراكز الدفاعية الحصينة في خط بارليف الذي بناد الاسرائيليون على طول الضفة الشرقية للقناة.

ومن أهم الواجبات الهندسية الكبرى التي نفذها هذا السلاح بالإضافة إلى عشرات الواجبات الأخرى من أعمال هندسة الميدان المعروفة ما يلي :

أ - تركيب عشرة جسور ضخمة فوق القناة خلال الليلة الأولى في المواقع المذكورة تالياً لعبور فرق المشاة والدبابات بحيث تمكنت خمسة فرق بكامل اسلحتها من عبور القناة إلى ضفتها الشرقية خلال مدة ٢٤ ساعة فقط.

- ثلاثة جسور في منطقة القنطرة.

- ثلاثة جسور في منطقة الاسماعيلية - الدفرسوار.

- أربعة جسور في منطقة جنيفا - السوس.

ب - نجاح سلاح الهندسة بفتح ثغرات كبيرة في الحائط الترابي الذي بناه الاسرائيليون على طول الضفة الشرقية للقناة كجزء من مواقعهم الدفاعية. وذلك باستعمال مضخات ماء ضخمة ذات قوة دفع هائلة مما سهل مرور الدبابات من خلالها بسرعة بعد أن كان الاسرائيليون يعتبرونه مانعاً للدبابات يصعب اجتيازه أو يكاد يكون مستحيلاً.

ج - تحضير ممرات العبور في مختلف الأماكن خلال فترة وجيزة قبيل المعركة لتسهيل نزول المشاة إلى قواربهم ومرور الدبابات إلى حافة الجسور التي ستعبر من فوقها وكل ما يتعلق بذلك من التسهيلات التحضيرية اللازمة لعملية عبور الوحدات المختلفة.

٧ - لقد كانت خطة العبور تتلخص بأن تعبر كل فرقة في جبهة عرضها أربعة أميال بحيث تكون مهمة الموجة الأولى من القوات احتلال مواقع على الساتر الترابي وعندما تصلهم قطعات الموجة الثانية يتقدم جنود الموجة الأولى من مواقعهم التي احتلوها إلى الأمام مسافة حوالي ٢٠٠ ياردة ويتمركزوا في الانتظار حتى تصل الموجتين الثالثة والرابعة ثم تتقدم جميع القطعات شرقاً إلى عمق حوالي ثلاثة أميال وتتمركز بالعمق. وبعد ذلك تصل وحدات المشاة الخاصة من خلال مواقعهم وتقتحم المراكز الاسرائيلية المحصنة.

بدء الهجوم :

١ - بدأت القوات المصرية هجومها الكبير بالساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت ٦ تشرين أول عام ١٩٧٣ م. وقد انتخب هذا اليوم لبدء الهجوم لسببين هما:

أ - أنه يوم عيد كبير عند اليهود ولذلك سيكون معظم الضباط والجنود بالإجازات وسيكون جميع المسؤولين بالدولة في منازلهم يستمتعون بالعيد. ولهذا فسوف تكون حالة الاستعداد للحرب في أضعف مستوياتها.

ب - إن هذه الفترة هي فترة المد المناسب في قناة السويس.

٢ - وقد افتتحت المعركة بغارة جوية ضخمة قوامها حوالي ٢٥٠ طائرة أغارت على جميع الأهداف الاسرائيلية المهمة ومنها المطارات العسكرية الثلاثة في سيناء وقواعد الصواريخ

أرض - جو (هوك) ومواقع القيادات الرئيسية، مناطق الإدارة والتزويد، محطات الرادار، ومواقع المدفعية الثقيلة والمتوسطة.

وبنفس الوقت ومتزامناً مع هذه الغارة وبتمام الساعة الثانية بعد الظهر (ساعة الصفر) فتحت المدافع الثقيلة والمتوسطة ومجموعها حوالي (٢٠٠٠) ألفي مدفع نيرانها على جميع المواقع الدفاعية الاسرائيلية شرقي القناة. ومع بداية هذا القصف صعدت الدبابات المصرية على الحاجز الترابي الذي بنته القوات المصرية غرب القناة كستار حاجز وسلطت نيران مدافعها المباشرة على المراكز الاسرائيلية ضمن خط بارليف شرق القناة وقد أصبحت جميع المواقع الاسرائيلية تتعرض إلى جحيم من المتفجرات حيث سقط عليها خلال فترة أقل من ساعة حوالي ثلاثة آلاف طن من المتفجرات أطلقت من مختلف أنواع الأسلحة. وفي تمام الساعة الثانية والرابع وخلف ستار المدفعية الثقيلة تقدمت الموجة الأولى من وحدات الاقتحام المكونة من حوالي ثمانية آلاف جندي من المشاة على القوارب العائمة. وسرعان ما صعدوا على الجدار الحاجز وتجاوزوا المواقع الدفاعية في خط (بارليف) وواصلوا تقدمهم شرقاً وبنفس الوقت تقدمت وحدات (الكوماندو) وفرق تدمير الدبابات وزرعت ألغاماً على محاور اقتراب الدبابات الاسرائيلية وتمركزت هناك بانتظار وصولها عند قيامها بالهجوم المعاكس لكي تتمكن من تدميرها.

وقد كانت مقاومة المدافعين الاسرائيليين في خط بارليف مختلفة ومتفاوتة. ففي بعض المواقع كانت مقاومتهم عنيفة للغاية وفي بعضها الآخر كانت ضعيفة ولكنها بالنهاية سقطت جميعها بيد القوات المصرية المهاجمة.

وبطول مساء اليوم التالي ٧ تشرين أول كانت القوات المصرية قد أكملت عبور القناة وأخذت تنتظم في مواقعها الدفاعية استعداداً لأي هجوم معاكس قد يشنه العدو وبنفس الوقت أخذت تعمق رأس الجسر الذي احتلته في سيناء لمسافة حوالي خمسة أميال. وفي مساء يوم ٨ تشرين أول كانت جميع فرق المشاة بما فيها اللواء المدرع الملحق بكل فرقة قد اكملت تمركزها بكامل قواتها شرقي القناة. وأخذت تنتشر لكي تلتقي ببعضها بخطوط متصلة وتعمق رأس الجسر لمسافة تتراوح بين ستة وثمانية أميال. وبعد ذلك بدأت المرحلة التالية التي كانت مكرسة لتقوية المواقع الدفاعية على طول الجبهة وإيقاع أكبر حجم ممكن من الخسائر بقوات العدو أثناء قيامها بعمليات الهجوم المعاكس. وقد انتهت هذه المرحلة صباح الخميس ١١ تشرين أول. وقد كانت القيادة العليا المصرية قد خططت للاندفاع عبر سيناء شرقاً نحو منطقة المضائق في الفترة الواقعة بين تاريخ ١١

تشرين أول حتى ١٥ منه وقد خصص لهذه العملية الفرقة المدرعة الرابعة والفرقة الواحدة والعشرين المدرعة والتي كان عليها أن تتقدم عبر رأس الجسر لتشن هجوماً رئيسياً يهدف إلى احتلال مواقع ممرات متلا الحيوية وتتم هذه العملية على شكل كماشة يتكون ذراعها الجنوبي بتقدم الفرقة المدرعة الرابعة ومعها اللواء المدرع الخامس والعشرين من منطقة ممر الجدي عن طريق (الحزة) إلى بير قفقفا. بينما يتكون ذراعها الشمالي بتقدم الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين من منطقة الاسماعيلية عبر (الدفرسوار) إلى بير قفقفا.

كما تنفذ عمليات ثانوية في مواقع أخرى لتعزيد هذا الهجوم.

٣ - الهجوم المعاكس الأول : -

لقد شن الاسرائيليون هجومهم المعاكس الأول صباح يوم ٨ تشرين أول بقوة قوامها فرقة مدرعة ضد مواقع الجيش المصري الثاني. حيث كانت هذه القوة محتشدة بمحاذات الطريق الرئيسية من البالوطة إلى تاسا. وقد دفع العدو أول لواء من ألويته بمحاذات القناة من الشمال إلى الجنوب بالجهة الغربية من الطريق الثانوية للهجوم على المواقع المصرية مقابل جسر الفردان والاسماعيلية. بينما تقدم لواء آخر على الجناح الأيسر اللواء السابق باتجاه التحصينات الواقعة مقابل الاسماعيلية كما تقدم اللواء الثالث بمحاذات هذين اللوائين جنوباً باتجاه مواقع قرب الدفرسوار على الطرف الشمالي من البحيرات المرة. وقد كان واضحاً من طريقة تحرك هذه القوات أنها تنوي الهجوم على مواقع القوات المصرية من الشمال إلى الجنوب وبتسلسل تدريجي. أي هجوم جانبي بدلاً من هجوم مواجهة ولكن ارتالها أثناء حركتها ليلاً أخذت تبتعد تدريجياً وتنحرف نحو الشرق ولم تتمكن من تصحيح هذا الخطأ في الوقت المناسب وكانت النتيجة أنها بدلاً من أن تتمكن من مهاجمة المواقع المصرية من الشمال إلى الجنوب (أي من الجهة التي لم يتوقعوها). وجدت نفسها تتجه من الشرق إلى الغرب وبالتالي أصبحت في مواجهة المواقع الرئيسية المصرية من الأمام والتي كانت بانتظارهم. وعندئذ قام الاسرائيليون بشن هجومهم بقوة لوائين في ساعات بعد الظهر. ولكنهم وجدوا أنفسهم محاطون بالالاف من الجنود المصريين الذين أوقعوا بهم خسائر فادحة ودمروا عدداً كبيراً من دباباتهم . وقد كان الخطأ الأساسي الذي ارتكبه الاسرائيليون بهذا الهجوم هو أنهم لم يرفقوا هذه الأولوية المدرعة بأية قطعات من المشاة المحمولة أو المشاة الآلية أثناء الهجوم لتوفير الحماية الضرورية لها.

وبهذه الأثناء شنت القوات المصرية هجوماً معاكسين ضد الفرقة المدرعة الاسرائيلية قوام كل هجوم منها لواء مدرع ولواء آلي. انطلق الهجوم الأول من منطقة جسر الغردان وانطلق الهجوم الثاني من الجنوب باتجاه طريق الاسماعيلية. واستمرت المعارك حتى المساء ورغم أن زخم هذا الهجوم المعاكس توقف إلا أن قطعات الفرقة المدرعة الإسرائيلية اضطرت بالنتيجة إلى الانسحاب وقد تكبدت خسائر فادحة في معارك ذلك اليوم.

٤ - بهذه الأثناء بدأت تظهر بعض الخلافات في القيادة العليا المصرية حول كيفية توجيه الحرب حيث كانت القوات المدرعة الرئيسية وقوامها فرقتين مدرعتين وفرقتين آليتين ولوائين مدرعين مستقلين. ومجموع ملاكها حوالي (٩٠٠) تسعمائة دبابة ما زالت في مناطق تجمعها غرب القناة في الاحتياط الرئيسي. وقد كان الرئيس أنور السادات يريد دفع هذه الفرق المدرعة إلى شرق القناة للهجوم باتجاه ممرات (متلا). ولكن قادة القوات المسلحة كانوا يعارضون هذا الاجراء لأنهم يرون أن إرسال هذه الأرتال الضخمة من الدبابات إلى عمق سيناء بعيداً عن حماية مظلة الصواريخ سوف يعرضها إلى خطر التدمير من قبل سلاح الجو الاسرائيلي الذي كان يملك السيطرة الجوية المحلية في تلك المناطق. كما كانت القوات الاسرائيلية قد أكملت التعبئة العامة خلال الأيام الأولى من القتال وحشدت وحداتها الجديدة في مواقعها المخصصة لها في سيناء والجولان استعداداً للقيام بالهجوم المعاكس على نطاق واسع كما كان متوقعاً. ولذلك فإنهم كانوا يريدون تأجيل دفع هذه القوات المدرعة إلى شرق القناة لبيئنا يتمكنوا من نقل الصواريخ لحمايتها وبنفس الوقت فإن الاسرائيليين وبنتيجه الهجومات المعاكسة المحلية التي نفذوها خلال الأيام الماضية على مواقع الجيش المصري اتضح لهم أنهم لا يستطيعون التوصل إلى نتيجة حاسمة وفرض تحول جذري لصالحهم في المعركة إلا إذا تمكنوا من العبور إلى غرب القناة وتهديد القواعد الخلفية للقوات المصرية المتمركزة في رأس الجسر شرقي القناة وتدمير شبكة الصواريخ (أرض - جو) لتوفير الحرية للطيران الاسرائيلي للعمل فوق الجبهة بفعالية. وبما أن هذه العملية لن يكون لها أمل في النجاح إلا إذا تحركت القوات المدرعة الرئيسية المصرية من غرب القناة شرقاً إلى عمق سيناء وتورطت هناك في معركة واسعة وعندئذ تصبح مناطق غرب القناة مفتوحة أمام الدروع الاسرائيلية عندما تعبر القناة إلى الغرب في الوقت الذي تكون فيه الدروع المصرية تخوض معركة ثابتة في عمق سيناء وتكون بنفس الوقت خارج مظلة الصواريخ المصرية. وبذلك تصبح هدفاً سهلاً للطائرات الإسرائيلية ولا تستطيع التقدم بفعالية نحو أي هدف رئيسي

ولا تشكل تهديداً إلى عمق إسرائيل. ولتحقيق هذه الوضعية كان لا بد من اتخاذ الإجراءات المناسبة لجر القوات المدرعة الرئيسية المصرية من غرب القناة للاشتراك في معركة تطورها القوات الاسرائيلية أمام راس الجسر المصري شرق القناة لهذه الغاية وخصوصاً في القطاع الجنوبي من الجبهة ولسوء الحظ فقد تطابق هذا التخطيط الاسرائيلي مع ما كانت القيادة السياسية المصرية تنوي عمله فعلاً في تلك المرحلة عن غفلة أو جهل. وكأنها كانت تخطط لتنفيذ ما كان يتمنى الاسرائيليون تحقيقه دون أن يعلم أحدهم عن الآخر. ولكن كان من المفروض أن تتنبه القيادة العليا المصرية إلى هذه الاحتمالات الاستراتيجية الخطرة والتي كانت كما يظهر واضحة في ذهن الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان القوات المسلحة المصرية وقادة الجيوش وكانت السبب في معارضتهم لتحريك القوات الاحتياطية الرئيسية إلى شرق القناة خارج حماية مظلة الصواريخ رغم إصرار الرئيس السادات على هذه الحركة (١).

كما كان واضحاً كذلك أنه من الخطأ استعمال التشكيلات المدرعة مجزأة بارتال متباعدة لتحقيق أهداف متفرقة. بل كان من الأصح بعد أن نجحت القوات المصرية في تكوين راس جسر شرق القناة أن تتوقف قليلاً بوضعية الدفاع المؤقت لكي تحصن دفاعاتها على طول الجبهة بحيث تستطيع الصمود أمام أي هجوم معاكس قد يشنه العدو لا سيما وأنه أصبح من الواضح بعد أن أكمل العدو التعبئة العامة وحشد قواته الرئيسية في سيناء أن الخيار الواضح أمامه لكي يحسم المعركة لصالحه هو القيام بهجوم معاكس ضخم يؤدي إلى عبوره إلى غرب القناة بقوة كبيرة لتهديد الجيشين المصريين الثاني والثالث من الخلف وعزلهما عن قواعدهما الرئيسية ومن ثم السعي لتدميرهما تدريجياً. ولذلك كان من المفروض أن تتنبه القيادة السياسية المصرية لهذا الخطر وأن لا تبدأ بالتحول إلى مرحلة الهجوم في عمق سيناء ونقل القوات المدرعة الرئيسية إلى شرق القناة قبل أن تقوم بنقل قواعد الصواريخ إلى الشرق ونصب جدار جديد منها شرق القناة بشكل يمكنها من حماية التشكيلات المدرعة المتقدمة في سيناء من الغارات الجوية الاسرائيلية إلى أقصى مدى ممكن طالما أن العدو يملك التفوق الجوي فوق سيناء وطالما أن القوات المصرية اعتمدت أسلوب حماية الصواريخ كبديل عن الطائرات في السيطرة الجوية التي كان الحصول على الأعداد الكافية منها سيحتاج إلى وقت طويل فليس أمامهم إذن في هذه المرحلة سوى التصرف ضمن هذا المنطق الاستراتيجي وتأمين حماية قواتهم في كل مرحلة من مراحل تقدمها اعتماداً على مظلة الصواريخ. وبعبارة ذلك

(١) كتاب حرب أكتوبر - تأليف الفريق سعد الدين الشاذلي .

سوف يعرضونها للفشل والتدمير. ومن الواضح أن القيادة العسكرية كانت متنبهة لهذا الخطر وتعارض تنفيذ هذه العملية بالشكل الذي ارادته القيادة السياسية ومن هنا على ما أظن كان الخلاف بين الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة وبين الرئيس أنور السادات مما أدى إلى اعفائه من منصبه في النهاية. وكما يظهر فإن القيادة السياسية المصرية كانت تخوض حرباً سياسية لتحقيق هدف محدود يؤدي إلى المفاوضات السياسية مع إسرائيل ولذلك فإن الحماية البديلة للجبهات ضمن هذا المنطق سوف تعتمد على هيئة الأمم المتحدة حيث كانوا يتوقعون أنها سوف تفرض وقف إطلاق النار بالوقت المناسب عندما تكون القوات العربية قد احتلت أجزاء من سيناء والجولان وأصبحت بموقف تفاوضي جيد وستؤدي هذه الحالة إلى سلام دائم ومشرف يسترد العرب بنتيجته أراضيهم التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م. ومن هذا المنطلق فقد كان الرئيس السادات يصر على دفع جميع قواته المسلحة شرقاً إلى سيناء لكي تستطيع احتلال أكبر مساحة ممكنة منها قبل موعد وقف إطلاق النار. ومن الناحية النظرية فإن هذه التوقعات تبدو معقولة ما دام التخطيط لهذه الحرب قد وضع على أساس أنها ستؤدي إلى حل سلمي مع إسرائيل. أما من الناحية العملية فإن النتيجة ستكون عكس ذلك تماماً لسببين :

أولاً : إن إسرائيل سوف لن تترك القوات العربية تحتل هذه الأراضي وتحتفظ بها لتصبح هي بموقف تفاوضي ضعيف. لأنها إنما أرادت من احتلالها أصلاً عام ١٩٦٧م بالإضافة إلى أنها تريد التوسع وضم مساحات جديدة من الأراضي العربية فهي كانت تريدها ورقة بيدها لتستعملها في المفاوضات لفرض السلام بشروطها. وقد ساعدتها الولايات المتحدة الأمريكية دوماً على تحقيق هذا الهدف. بل كانت هذه المسألة تشكل أحد الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة نفسها عندما شجعت إسرائيل على شن تلك الحرب عام ١٩٦٧م. وليس من المعقول إذن أن توافق الولايات المتحدة الآن أن تخسر إسرائيل هذه الورقة التفاوضية الهامة. بل بالعكس فإنها ستعمل المستحيل لكي تبقى إسرائيل في مركز القوة. ناهيك عن أن فلسفة وجود إسرائيل ترتكز أصلاً على التوسع على حساب أراضي البلدان العربية. فهل يعقل أن تنسحب من الأراضي التي احتلتها بالحرب وتسلمها لنا بدون قتال أو ثمن سياسي مهم.

ثانياً : إن إسرائيل كانت في تلك المرحلة من القتال تخطط لهجوم معاكس رئيسي بهدف

اجتياز القناة غرباً وإنها كانت غير راغبة في البدء بهذا الهجوم قبل أن تتمكن من استدراج القوات المدرعة الرئيسية المصرية إلى شرق القناة لكي تضمن عدم وجود قوات مهمة تقف في وجهها أثناء تنفيذ عملية العبور لأن فشلها عندئذ سيكون مؤكداً. ولذلك فإن قرار القيادة المصرية العليا بدفع هذه القوات شرقاً في ذلك الوقت بالذات جاء محققاً لتمنيات القيادة الاسرائيلية ومشجعاً لها للتعجيل بهجومها المعاكس الكبير لأنها كانت تضمن تدمير تلك القوات المدرعة المصرية من قبل سلاحها الجوي عندما تخرج من نطاق مظلة الصواريخ ولو أن القيادة المصرية تركت هذه القوات الاحتياطية الرئيسية بمواقعها غرب القناة مؤقتاً واهتمت بشكل أساسي بتقوية مواقعها الدفاعية ضمن نطاق راس الجسر شرق القناة بحيث تستطيع الصمود أمام الهجمات المعاكسة الاسرائيلية وبعد ذلك قامت بتوسيع نطاق مواقعها إلى الشرق على جبهة عريضة بشكل تدريجي ثم نقلت جدار الصواريخ ضمن نطاق مواقعها الدفاعية المتقدمة لكي توسع مدى فعالية مظلة الصواريخ إلى أبعد مسافة ممكنة في عمق سيناء ثم استخدمت قواتها المدرعة بضربة رئيسية قوية ومكثفة بدلاً من استخدامها بارتال متفرقة ومتباعدة لتمكنت من الحصول على نتائج ايجابية في المعركة مضمونة ومؤكدة أكثر ولبقي موقعها العسكري سليماً إلى حد بعيد ريثما يأتي موعد قرار هيئة الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار ما دام أن الرئيس أنور السادات قصد أصلاً من شن هذه الحرب تحريك قضية الشرق الأوسط سياسياً وليس للتغلب على اسرائيل عسكرياً لتحرير الأراضي العربية المحتلة بالحرب كما كان يصرح في ذلك الحين. حيث كان يعتقد أنه سوف يتمكن بهذا الأسلوب وعن طريق المفاوضات من استرداد سيناء وباقي الأراضي العربية المحتلة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن نقطة التحول الرئيسية التي أدت إلى التدهور الشامل في الجبهة المصرية كانت ترتكز على أمرين هامين:

أولاً : إقدام القيادة المصرية على دفع احتياطياتها الرئيسية بكامله تقريباً من غرب القناة إلى عمق سيناء بارتال متباعدة على جبهة واسعة خارج نطاق مظلة الصواريخ مما أدى إلى تدمير أعداد كبيرة من دباباتها وردها على أعقابها إلى المواقع التي بدأت منها.

ثانياً : عجز القيادة المصرية عن تقدير الحجم الحقيقي لقوات العدو التي قامت بالهجوم

المعاكس وفتح الثغرة في الجبهة المصرية وعبور القناة غرباً وعدم اتخاذ الاجراءات الوقائية اللازمة بوقت مبكر لمنع قوات العدو من التثبيت غرب القناة بعد عبورها حيث بقيت القيادة المصرية مدة طويلة وهي تجهل حجم هذا الاختراق أو تستهين به على الأقل. وعندما اكتشفته أخذت تذيب البيانات التي تقلل من شأنه وتؤكد أن العدو نجح بادخال سبعة دبابات فقط إلى غرب القناة. ثم فيما بعد وصفوها على أنها مجموعة محدودة من الدبابات وإن القوات المصرية في المنطقة تقوم حالياً بتدميرها.

وهكذا استمرت لهجة البيانات المصرية التي كنا نسمعها باستغراب شديد ونحن في غرفة العمليات في المحافظة ولم نستطع تفسير عدم قدرة القوات المصرية على تدمير هذه الدبابات السبعة أو المجموعة المحدودة كما وصفوها واستمروا بوصفها هكذا لبضعة أيام حتى نجح العدو بالنهاية بتطويق الجيش المصري الثالث بكامله من الخلف وقطعه عن قواعده الرئيسية. وخلال فترة وجيزة أصبحت قوات العدو غرب القناة تتألف من فرقتين مدرعتين ثم نجحت بتدمير معظم بطاريات الصواريخ المصرية بحيث تمكن السلاح الجوي الإسرائيلي من استعادة السيطرة الجوية من جديد فوق الجبهة بكاملها. ومن ثم تغلغت قواتهم غرباً في العمق حتى أصبحت تهدد القاهرة نفسها.

أما بالنسبة لاختلاف وجهات النظر في القيادة المصرية حول مسألة دفع القوات الاحتياطية المدرعة إلى شرق القناة لشن هجوم رئيسي باتجاه ممرات (متلا) وإصرار الرئيس أنور السادات على تنفيذ هذا الهجوم رغم معارضة رئيس أركان القوات المسلحة لهذه الحركة كما أسلفنا فقد قالوا فيما بعد أن الدافع لهذا الموقف جاء من الجبهة السورية حيث كانت وضعية القوات السورية في تلك الأثناء حرجية وصعبة ولذلك فإن السوريين كانوا يلحون على الرئيس السادات لكي يقوم بعمل هجومي واسع النطاق ومؤثر في الجبهة المصرية كي يضطر الاسرائيليون أن يسحبوا بعض تشكيلاتهم المهمة من الجبهة السورية لمواجهة الهجوم المصري فيخفف الضغط على القوات السورية. ومن جهة أخرى فقد كان الرئيس السادات سيلقي بياناً أمام مجلس الشعب المصري عن كيفية سير القتال وكان يريد بهذه المناسبة أن يتمكن من إبراز عمل عسكري مهم في خطابه أكثر من قوله أن القوات المسلحة قد تمكنت من عبور القناة وإنها متمركزة في رأس جسر عمقه أربعة أميال ومضى على بقائها هناك في وضعية الدفاع حوالي عشرة أيام. ولذلك أراد أن يبدأ الهجوم الكبير على مضائق ثيران وفي عمق سيناء قبل موعد خطابه الذي كان مقرراً بتاريخ ١٦ تشرين أول. ولذلك فقد أصدر أمراً مباشراً بأن يبدأ

هذا الهجوم يوم ١٤ تشرين أول. وكانت الفرقة المدرعة ٢١ والفرقة المدرعة الرابعة قد عبرتا القناة في اليوم السابق وتجمعتا في راس الجسر استعداداً لهذا الهجوم.

وتتلخص الخطة بحركة واسعة على شكل كامشة متباعدة الفكين لاحتلال منطقة ممرات متلا الحيوية. وتتألف القوة المهاجمة من فرقة مدرعة تتقدم من منطقة تقاطع الطرق عند ممر (جدي) عبر (محزة) إلى بير قفقفا على الجناح الجنوبي. وفرقة مدرعة أخرى تتقدم من منطقة الاسماعيليلية الدفرسوار إلى بير قفقفا على الجناح الشمالي.

وقد بدأت عملية الهجوم بالساعة السادسة صباح يوم ١٤ تشرين أول في القطاع الشمالي بقيام فرقة المشاة الثامنة عشر يسندها لواء مدرع بالهجوم من منطقة القنطرة بهدف الوصول إلى منطقة (رومانى) ومتزامناً مع هذا الهجوم نقلت وحدات من (الكوماندو) بطائرات الهيلوكبتر إلى مناطق الملاحات لدعم الهجوم.

وفي القطاع الأوسط تجمعت الفرقة المدرعة ٢١ وانضم إليها لواء مدرع من الفرقة الآلية ٢٣ وبنفس الوقت أندفعت هذه الفرقة من راس الجسر عبر الطريق الرئيسية المؤدية من الاسماعيليلية إلى بير قفقفا.

وأما في القطاع الجنوبي فقد تقدمت الفرقة المدرعة الرابعة على محاور ممر (متلا) وممر (الجدي) لتقوم بحركة التفاف واسعة نحو الجنوب ثم تنحرف شمالاً لكي تصل إلى ممر متلا من جهة الجنوب. ولكنها اصطدمت مع فرقة مدرعة اسرائيلية وقوات من المظليين والتي كانت بانتظار مثل هذه الحركة ودارت معركة واسعة على جميع المحاور اعتبرت من أعنف معارك الدبابات التي عرفت حتى ذلك التاريخ. حيث اشتبكت حوالي (٢٠٠٠) ألفي دبابة من الجانبين على مختلف المحاور على طول الجبهة وقد وقعت معارك تدميرية رهيبه في ذلك اليوم ولكن النتيجة كانت في غير صالح القوات المصرية لأن وحداتها المدرعة عندما تغلغت في عمق سيناء خارج نطاق مظلة الصواريخ أصبحت مكشوفة للطيران الاسرائيلي دون أن تتوفر لها الحماية اللازمة سواء كان ذلك من سلاح الجو المصري أو من الصواريخ وبالنتيجة فقد خسرت القوات المدرعة المصرية أكثر من ربع دباباتها في مختلف القطاعات. والأهم من هذا أن القوات الاسرائيلية تمكنت من دحر هذا الهجوم وردت الفرق المصرية على أعقابها إلى الخط الذي بدأت منه في راس الجسر.

وبفشل هذا الهجوم أصبحت الفرصة مهيأة للقيادة الاسرائيلية لكي تبدأ بتنفيذ خطة الهجوم المعاكس التي كانت قد وضعتها واجلت تنفيذها بانتظار عبور الفرق المدرعة المصرية الاحتياطية إلى شرق القناة وتدمير معظم دروعها هناك كما حصل فعلاً خلال

هذه المعارك الأخيرة. صحيح أن تقدم الفرق المدرعة المصرية في عمق سيناء خارج فعالية مظلة الصواريخ كان سبباً رئيسياً في إحباط هجومها وتعرضها إلى خسائر كبيرة في دباباتها ولكن هذا لا يعني أنه كان من المستحيل على هذه الفرق أن تحقق نتائج أفضل في القتال حتى ولو كانت خارج مظلة الصواريخ لو تم استخدامها بطريقة أصح عسكرياً في عملية الهجوم ذاتها ما دامت أجبرت على العمل خارج حمايتها الجوية. حيث أن الطريقة التي نفذت بها الهجوم على شكل أرتال متباعدة في جبهة يبلغ عرضها حوالي مائة ميل كانت من أهم أسباب ضعفها وبعثرة قدراتها القتالية وإلغاء فعاليتها في المعركة. ومما زاد في حدة هذا التأثير السلبي هو عدم تزويد هذه الفرق المدرعة بما يلزمها من وحدات المشاة المحمولة والتي تعتبر عاملاً ضرورياً وأساسياً لمساندة الوحدات المدرعة في مثل هذا الهجوم. وعلى الرغم من الظروف التي حدثت بالقيادة المصرية إلى الاسراع بتنفيذ هذا الهجوم فقد كانت أمامها فرصة جيدة لتحقيق نتائج أفضل لو أنها قامت بتجميع هذه الأعداد الضخمة من الدبابات في كتلة مكثفة لتندفع بقوة وسرعة على جبهة ضيقة لأمكنها أن تحقق هدفها باحتلال ممرات متلا والجدي أو أحدهما وبخسائر أقل بكثير مما تعرضت له فعلاً بالطريقة التي تم بها الهجوم المتباعد هذا وهي تقاتل لمدة طويلة في تلك المساحات الشاسعة من الصحراء دون أن تتمكن من الاقتراب من أهدافها. وبالإضافة إلى ذلك فمن استقراء أساليب التعامل القتالي خلال المعركة وردود الفعل المختلفة فإنه يبدو لي أن القيادة المصرية كانت في ذلك الطرف تعاني من نقص في المعلومات عن العدو ومواقعه الرئيسية التي تركز فيها بعمق سيناء مما أدى إلى وقوع أرتال الهجوم في المصائد التي رتبها العدو سلفاً للايقاع بها. ولقد فوجئت القطعات المصرية بهذه المصائد التي لم تكن لديها معلومات مسبقة عنها وتعرضت بالنتيجة لخسائر كبيرة بالدبابات والآليات ولا سيما بالنسبة للارتال التي تقدمت على الجناح الجنوبي. ولقد كانت هذه المعركة الضخمة نقطة تحول خطيرة في حملة سيناء برمتها أدت بالنتيجة إلى انهيار واسع في الجبهة المصرية بعد تطويق الجيش الثالث وتغلغل الفرق المدرعة الاسرائيلية إلى غرب القناة وتدمير قواعد الصواريخ مما مكن سلاح الجو الاسرائيلي أن يستعيد السيطرة الجوية على الجبهة بكاملها وتقرر بالنتيجة مصير هذه الحرب.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القوات الاسرائيلية كانت قد خسرت خلال الأيام الأولى من الحرب أعداداً كبيرة من طائراتها ودباباتها. وعندئذ سارعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إقامة جسر جوي لنقل الدبابات والذخائر جواً من قواعدها في أوروبا إلى اسرائيل

بحيث أن الدبابات كانت مجهزة للاشتراك بالقتال رأساً فور نزولها من الطائرة كما أرسلت أسراباً من الطائرات لتحل محل الطائرات التي دمرت. وهذا هو الذي مكن إسرائيل من استعادة قدراتها القتالية فوراً وأصبحت تملك كميات من الأسلحة أكثر مما كان لديها قبل نشوب الحرب وبعضها أكثر تطوراً. وبهذا استطاعت التحول من الدفاع إلى الهجوم فور اتمامها استدعاء الاحتياط.

٥ - الهجوم المعاكس الاسرائيلي : بعد فشل الهجوم المصري في عمق سيناء أصبح الطريق مفتوحاً أمام الجيش الاسرائيلي لبدء هجومه المعاكس ويعبر بقواته إلى غرب القناة بعد أن عبرت التشكيلات المصرية المدرعة الرئيسية إلى شرق القناة وأصبحت مناطق غرب القناة خالية من أية قوات مدرعة مهمة في الاحتياط يمكنها أن تتصدى للقوات المهاجمة بفعالية ولهذا فقد بدأ العدو هجومه في اليوم التالي بدون تردد. وقد كانت خطته لهذا الهجوم تتلخص بما يلي^(١) :

أ - تقود عملية الهجوم فرقة مشاة ولواء مدرع وتكون مهمة هذه القوة عبور القناة إلى الغرب من منطقة الدفرسوار ويرتكز جناحها الأيسر على البحيرات المرة. على أن تحتل رأس جسر غرب القناة بعرض ثلاثة أميال إلى الشمال من شاطئ البحيرة لكي تبعد مدى مدافع المورتر والصواريخ المضادة للدروع المصرية عن الموقع الذي سيوضع فيه الجسر الجاهز والذي ستعبر عنه الدبابات بسرعة وتبدأ بمهاجمة وتدمير مواقع الصواريخ المصرية المضادة للطائرات غرب القناة.

ب - فرقة مدرعة توضع في الاستعداد لكي تعبر القناة في أعقاب فرقة الطليعة بعد عبورها.

ج - فرقة مدرعة توضع في الاستعداد الدائم وتبقى جاهزة لتعبر القناة عندما يصدر لها الأمر بذلك.

د - يبدأ الاقتحام بعبور لواء المظليين على قوارب مطاطية ومعه عشرة دبابات تنقل على عوامات. وحال وصول هذه القوة إلى الضفة الغربية للقناة تقوم بتأسيس رأس الجسر. وعندما يتم عبور قوات أخرى تتحرك جنوباً. وحال عبور قوة الاقتحام بكاملها يتم تركيب جسرين أحدهما عائم (بونتون Ponton) والآخر مسبق التجميع (Prefabricated). وعندما يتم تركيب هذين الجسرين تعبر الفرقة المدرعة الأولى في

(١) كتاب الحروب العربية الاسرائيلية، تأليف حاييم هيرزوغ .

أعقاب قوة الاقتحام. وبعد تكامل عبورها تنطلق جنوباً وتتبعها الفرقة المدرعة الثانية التي عليها أن تقوم بتدمير قواعد الصواريخ المصرية في المنطقة لكي يتمكن سلاح الجو الاسرائيلي من استعادة السيطرة الجوية ثم يتم تطوير عمليات حشد القوات غرب القناة وتوسيع منطقة عملياتها بهدف تطويق الجيش المصري الثالث وتدميره.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول معلومات سمعناها من البيانات المصرية عن هذه العملية الضخمة كانت عندما أذيع بيان يفيد بأن دورية اسرائيلية صغيرة قوامها سبعة دبابات تمكنت من العبور إلى غرب القناة وأن قواتنا تقوم بتدميرها. ولا بد أن نذكر هنا أنه بهذه الاثناء كانت الاشتباكات تدور على نطاق واسع بين قوات الجيش الثالث المصري في راس الجسر وبين الفرقة الاسرائيلية التي كانت تتولى مهمة توسيع ممر العبور وحماية باقي القوات التي كانت تستعد للعبور إلى غرب القناة حالما يتم تركيب الجسور. وبنفس الوقت كانت الالوية الاسرائيلية المتمركزة في القطاع الشمالي من الجبهة قد فتحت نيرانها بكثافة على قطعات الجيش الثاني في ذلك القطاع على نطاق واسع لكي تثبتتها وتمنعها من التدخل ضد القوات التي كانت تنفذ عملية عبور القناة في الجنوب وكذلك لكي تجذب انتباه القيادة المصرية نحو القطاع الشمالي من الجبهة وتوهمها أن الخطر الفعلي واقع هناك فلا تعطي الاهتمام اللازم لما كان يجري في الجنوب. وقد نجحت بهذه المهمة إلى حد بعيد حيث لم تقم القيادة المصرية بأية اجراءات ذات قيمة ضد عملية العبور إلا بعد فوات الأوان. وعندئذ لم يعد بمقدورها منع هذه العملية أو حتى إيقافها عند حد محدود. وقد كانت البيانات الرسمية المصرية التي كنا نسمعها فور اصدارها تقلل من أهمية هذه العملية ومن حجمها الحقيقي بشكل يدل على أن تلك القيادة كانت تجهل تماماً ماهية عملية العدو في مراحلها الأولى بشكل يلفت النظر ويصعب فهمه أو تفسيره وكما اتضح فيما بعد فإن الاسرائيليين كانوا قد خططوا لعملية العبور إلى غرب القناة منذ عدة سنوات عندما احتلوا منطقة سيناء عام ١٩٦٧م وقد اتخذوا بعض الاجراءات التحضيرية لهذه الخطة حيث قاموا بتعبيد عدة طرق في منطقة الدفرسوار تؤدي إلى حافة القناة بطريقة تجعلها مناسبة لتمرير الجسور الجامزة التي يمكن سحبها على بكرات خاصة وإيصالها إلى مواقعها المنتخبة على القناة حيث يمكن تثبيتها وتجهيزها للاستعمال بسرعة. كما جهزوا المنطقة المقابلة للنقطة المعينة للعبور في الدفرسوار كمنطقة حشد للقوات المخصصة للقيام بالعملية وبنوا حولها جداراً ترابياً مرتفعاً بحيث أصبح لديهم بهذه الطريقة ساحة ضخمة محمية من جميع الجهات تستطيع القوات المتقدمة أن تستخدمها لاعادة التنظيم واستكمال ترتيباتها النهائية قبل البدء بالاقحام.

ولهذا فإنه يفترض أن القوات الاسرائيلية كانت تنوي عبور القناة بعد احتلالها سيناء عام ١٩٦٧م ما دامت أنها قامت بتنفيذ جميع هذه الاجراءات التحضيرية أو أنها خططت لمثل هذه العملية لاستعمالها في المستقبل عند الحاجة أو كمرحلة مكملة لبناء خط بارليف كنوع من الدفاع المتحرك لمواجهة احتمالات المستقبل. ومهما كانت الأفكار التي أدت إلى عمل هذه التحضيرات فإنها جاءت الآن كعامل فعال وحاسم في انجاح عملية عبور القوات الاسرائيلية إلى غرب القناة بهذه المعركة التي نحن بصدها الآن.

هذا وقد بدأت الفرقة الاسرائيلية المخصصة للعبور في الموجة الأولى عملياتها بهجوم تثبيتي قوامه لواء مدرع ضد الجناح الجنوبي للجيش الثاني المصري بينما تقدم لواء مدرع آخر بحركة التفاف واسعة على الجناح الجنوبي للجبهة عبر الكثبان الرملية للوصول إلى القناة عند نقطة التقائها مع البحيرة المرة الكبرى. وبنفس الوقت قامت قوة باقتحام المواقع المصرية حول الطريق الأوسط بينما هاجمت قوة أخرى المواقع المصرية في الجهة الشمالية لتوسيع عرض الممر الرئيسي (المعبر) الذي ستمر منه القوات المتقدمة نحو القناة.

وبعد تقدم هذه الألوية تحرك لواء مظلي ولواء مدرع آخر لكي يلتحقا باللواء الأول في حركة الالتفاف من الجنوب حيثما ستبدأ عملية عبور القناة، ومن المدهش أن حركة هذه الألوية كانت تتم على نطاق واسع وتتخللها صدامات موضعية متعددة حول منطقة العبور ومن السهل على أي قائد بمستوى معقول من الفطنة أن يفسر مغزى هذه التحركات الضخمة ويقدر هدفها ومع ذلك رأينا أن القيادة المصرية لم تكتثر بها طيلة الساعات الأولى ولا حتى خلال اليومين الأولين من بدء تنفيذ هذه العملية الواسعة وبقيت تذيع بياناتها التي كنا نستمع إليها مباشرة باستمرار في غرفة عمليات المحافظة أثناء بثها وقد كانت هذه البيانات تحدد القوة الاسرائيلية غرب القناة بأنها عبارة عن أربعة دبابات ثم أصبحت سبعة ثم وصفتها البيانات بأنها مجموعة صغيرة وهكذا. الأمر الذي مكن القوات الاسرائيلية من استكمال تحشدها ونقل جسورها إلى حافة القناة ثم تمكنت بعد ذلك من تثبيت القوات المصرية في مناطق راس الجسر شرق القناة وتحبيدها ومنعها من التدخل في العملية. الأمر الذي مكنها من أن تعبر إلى غرب القناة بسرعة وسهولة نسبية. وعندما تنبّهت القيادة المصرية إلى خطورة هذه العمليات وضخامة حجم القوات المشتركة فيها كان قد فات الأوان. وعلى أي حال فإنه لا مجال هنا لذكر تفاصيل المعارك المتعددة التي دارت في تلك الأيام على جانبي القناة لكنني سوف أحاول وصف تطور الاشتباكات الرئيسية بشكل موجز مستنداً إلى البيانات الرسمية التي كنا نطلع عليها ونتابعها في حينها والتي أدت بالنتيجة إلى تطويق الجيش الثالث المصري ثم إلى وقف إطلاق النار بقرار من هيئة الأمم المتحدة بعد أن كانت

القوات الاسرائيلية قد وصلت إلى أبواب الاسماعيلية ودخلت مدينة السويس وقطعت الطريق المؤدي إلى القاهرة.

فعندما بدأت القوات الاسرائيلية تقدمها نحو نقطة العبور التي انتخبته في منطقة الحدود بين الجيشين المصريين الثانى والثالث على اعتبار أنها أضعف نقطة في الخط الدفاعي حاولت أن تثبتها أمام الدفاعات المصرية وتوسعها لمسافة تضمن لها حماية قواتها التي سوف تتقدم من خلال هذا الممر لكي تعبر القناة إلى الغرب. وقد دفع العدو لواء مدرعاً للقيام بهذه العملية بعد ظهر يوم ١٥ تشرين أول حيث اشتبكت كتائبه مع المواقع المصرية حالاً ودارت معارك عنيفة طيلة تلك الليلة. وعلى الرغم من أن اللواء الاسرائيلي خسر فيها أكثر من نصف دباباته إلا أنه حقق بعض النتائج المهمة في اليوم التالي. حيث تمكن من الاستيلاء على مفترق الطرق المهم في تلك المنطقة. وبهذه الاثناء تقدم لواء اسرائيلي جديد من منطقة ممرات (متلا) لكي يعبر القناة من خلال منطقة اللواء السابق الذي أخذ يعيد تنظيم وحداته. وقد اشتبك هذا اللواء في طريقه مع الدفاعات المصرية طوال تلك الليلة ولكنه تمكن بالنهاية صباح اليوم التالي ١٦ تشرين أول من تمرير أول مجموعة من قواته عبر قناة السويس إلى الغرب تحت ستار كثيف من نيران المدفعية. وبحلول الساعة الثامنة صباحاً كانت قيادة هذا اللواء قد عبرت القناة. وعندئذ تمكن الاسرائيليون من تأسيس راس جسر دفاعي هناك أمتد عمقه حوالي ثلاثة أميال. وبعد ذلك توالى عبور القوات الاسرائيلية إلى الغرب رغم أنها لم تتمكن بعد من بناء جسر ثابت على القناة يمكنها من تمرير قوات مدرعة كبيرة. ولكن بالمقابل لم تهتم القوات المصرية في تلك الفترة كثيراً بهذه القوات الاسرائيلية التي عبرت إلى الغرب وبقي انتباهها مشدوداً إلى المعارك التي كانت محتدمة في الشمال بمنطقة راس الجسر المصري شرق القناة بينما انطلق الاسرائيليون بالدبابات التي استطاعوا تمريرها إلى غرب القناة نحو مواقع بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات وبدأوا بتدميرها الواحدة بعد الأخرى. وبنفس الوقت أخذوا يمررون المزيد من القوات إلى الغرب بينما يقوم سلاح الهندسة بسحب الجسر الجاهز نحو حافة القناة بواسطة الدبابات ببطء شديد حيث استغرقت تلك العملية حوالي ٤٨ ساعة ولكنهم تمكنوا بالنهاية من تركيبه رغم الخسائر الفادحة التي تكبدوها بضباط وجنود وحدات سلاح الهندسة الذين كانوا يقومون بتركيب هذا الجسر وقد كان سبب اصرار الاسرائيليين على توسيع منطقة المعبر وتكرار عمليات الهجوم على مختلف المراكز الدفاعية حولها هو أنهم يريدون الاحتفاظ بطرق كافية لتزويد قواتهم الرئيسية التي ستقوم بالهجوم إلى غرب القناة والتي قدرت بفرقتين مدرعتين وفرقة مشاة آلية. وعلى الرغم من أن هذه الاحتمالات كانت واضحة وأن الجواب الصحيح عليها كان يكمن في وجود احتياطي رئيسي

غرب القناة يستطيع مواجهة الهجوم المعادي المحتمل بهذا الحجم. فإن القيادة المصرية كانت قد استخدمت قواتها الاحتياطية بكاملها في عمليات الهجوم شرق القناة ووجدت نفسها الآن بهذه الفترة الحرجة تقف في مواجهة العدو غرب القناة بدون قوات احتياطية تتمكن من التصدي لقواته وردّها على أعقابها. وبهذه الأثناء وبعد فشل هجوم القوات المصرية على ممرات (متلا) واضطرابها للانسحاب أخطأت القيادة المصرية مرة ثانية بأنها أمرت هذه القوات المنسحبة أن تتمركز في رأس الجسر شرق القناة حيث أصبح دورها ثانوياً لا يعدو كونه إضافة للدفاع عن رأس الجسر مع القوات الأصلية المدافعة عنه. بينما كانت المعركة الخطرة تدور الآن غرب القناة. وقد كان من الأفضل والأصح لو أن هذه القوات (ولا سيما الفرقتين المدرعتين الرابعة والواحدة والعشرين) انسحبت إلى مواقعها السابقة غرب القناة لكي تعيد تنظيمها وتصبح جاهزة كاحتياطي رئيسي للتصدي لهجوم العدو الذي أصبح وشيكاً. وبهذه الحالة كان من الممكن أن تحول دون تثبيت قوات العدو في رأس جسر غربي القناة منذ البداية. ولأمكن تغيير مجرى الأحداث بعد ذلك لصالح مصر لا سيما وأن الاسرائيليين بهذه الحالة سوف لن يتمكنوا من تدمير قواعد الصواريخ وبالتالي لن يكون بمقدورهم استعادة السيطرة الجوية على الجبهة بهذه السهولة لا سيما وأن انسحاب الفرقتين المدرعتين (بعد فشل الهجوم على ممرات متلا) إلى غرب القناة من خلال رأس الجسر كان في ذلك الوقت لا يزال ممكناً لأن جميع الجسور التي نصبها القوات المصرية على القناة في اليوم الأول كانت لا تزال قائمة وجاهزة للاستعمال. ولكن السبب الذي أعطوه في ذلك الحين لعدم الموافقة على إعادة الفرق المدرعة إلى غرب القناة هو أن الرئيس السادات رفض عودتها خوفاً من تأثير ذلك على معنويات الجنود في الوحدات المتمركزة في رأس الجسر شرق القناة. وإن صحت هذه المعلومة فإن هذا القرار يعتبر خطيئة كبرى تسببت بالتضحية باستراتيجية المعركة بكاملها من أجل فرضية احتمالية وهي الخوف من التأثير على معنويات الجنود شرق القناة لاسيما وأنه من السهل أن يفهم هؤلاء الجنود أن حركة الفرق المدرعة إلى غرب القناة هي جزء من حركة تعرضية رغم أن هذه الفرق كانت منسحبة من منطقة ممرات متلا وهي الآن في طريقها إلى غرب القناة لمواجهة احتمال تقدم العدو إلى تلك المنطقة ومع إعادة التنظيم لجميع القوات استعداداً للعمليات القادمة.

وأما الخطأ الثاني الذي ارتكبه القيادة المصرية فيتمثل في عدم اكتراثها بعمليات العبور الاسرائيلية منذ بدايتها والتقليل من أهميتها مما مكن الاسرائيليين من التغلغل بسرعة إلى المواقع التي تضمنتها خططهم للهجوم المعاكس ولم تتعرض قواتهم في البداية سوى إلى ردود فعل ضعيفة. بينما كان من الواجب أن يضع المصريون ثقل قواتهم لغلاق منطقة مرور

القوات الاسرائيلية بين الجيشين الثاني والثالث ومنعها من التثبيت في أي موطئ قدم هناك. ولكن الذي حصل فعلاً هو أن القيادة المصرية استهانت بالقوة الاسرائيلية التي عبرت القناة بالطليعة ووصفتها في بياناتها العسكرية التي كنا نسمعها في حينها بأن هذه العملية محدودة ولا تعدو كونها عملية دعائية قام بها الاسرائيليون لرفع معنويات جنودهم. وأن القوات المصرية تعمل على تدميرها وبقيت هذه الفكرة سائدة حتى يوم ١٧ تشرين أول عندما قررت القيادة المصرية أن تقوم بهجوم معاكس في منطقة شرق القناة ولكن هذا الاجراء جاء متأخراً لأن القوات الاسرائيلية كانت قد تعاظمت في تلك المنطقة وبدأت بتنفيذ هجوم رئيسي عبر القناة. وهنا يمكن أن يعزى موقف القيادة المصرية وتصرفها بهذا الشكل إلى النقص في تمرير المعلومات من الوحدات الأمامية وعن عجز في أجهزتها أو ضعف في التقدير من قبل القادة الصغار في الوحدات الأمامية. ولكن بالنتيجة فقد فشل الهجوم المعاكس الذي شنته القوات المصرية والذي خسرت فيه الكثير من دباباتها ، وبعد ذلك دارت عدة معارك موضعية عنيفة شرق القناة وخسر الاسرائيليون كذلك أعداداً كبيرة من دباباتهم وآلياتهم ولكن المعركة كانت قد حسمت لصالحهم قبل ٤٨ ساعة عندما نجحوا بتأسيس وتثبيت راس جسر غرب القناة ومن ثم مروروا إليه قوات مدرعة كبيرة انطلقت منه شمالاً وجنوباً مهددة بذلك مؤخرة الجيشين المصريين المتمركزين شرق القناة بشكل خطير.

وعندما لاحظت القيادة المصرية خطورة هذا الوضع قررت القيام بهجوم رئيسي من قبل الجيشين الثاني والثالث على المعبر الذي استولت عليه القوات الاسرائيلية شرق القناة (الكوريديور) لاجلأغلقه وعزل تلك القوات الاسرائيلية التي عبرت القناة من الخلف. وعلى هذا الأساس قامت الفرقة المدرعة (٢١) ولواء المشاة (١٦) من الجيش الثاني بالهجوم مساء يوم ١٧ تشرين أول من الشمال إلى الجنوب وبنفس الوقت قام اللواء المدرع (٢٥) من الجيش الثالث بالهجوم من الجنوب إلى الشمال للالتقاء مع قوات الجيش الثاني وإتمام العملية، ولكن على الرغم من المعارك العنيفة التي خاضتها القوات المصرية أثناء هذا الهجوم الرئيسي فإنها لم تنجح في مهمتها واضطرت للانسحاب. وقد خسرت الكثير من دباباتها ولا سيما اللواء المدرع (٢٥) الذي تم تدمير معظمه.

وبينما كانت هذه المعارك محتدمة على أشدها كان الاسرائيليون قد أكملوا بناء جسر عائم بالإضافة إلى الجسر الجاهز الذي سحبوه إلى نقطة العبور وأكملوا تثبيته مساء يوم ١٨ تشرين أول وبدأوا بنقل كتائبهم المدرعة عبر هذه الجسور إلى غرب القناة. حيث تمكنوا من نقل أربعة ألوية مدرعة خلال مدة ٢٤ ساعة. وفي صباح ذلك اليوم تقدمت الفرقة المدرعة الاسرائيلية من راس الجسر غرب القناة باتجاه الجنوب واحتلت مطار فايد لكي تستخدمه

كرأس جسر جوي لتزويد قواتهم المتقدمة وانطلقت فرقة أخرى عبر خطوطها إلى الغرب للاستيلاء على طريق السويس؛ الاسماعيلية بينما أستولت الفرقة المدرعة الأولى على تلال جنيفا شمال مدينة السويس. وبتاريخ ٢٠ تشرين أول كان الموقف في غاية الخطورة ولا سيما بالنسبة إلى الجيش الثالث الذي أصبح معزولاً عن قواعد تزويده وبهذه الأثناء قام الاتحاد السوفياتي بدعوة هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي لزيارة موسكو بتاريخ ٢١ تشرين أول. وبنتيجة المباحثات تم الاتفاق على وقف إطلاق النار فوراً. ولكن كيسنجر أصر على أن يكون هذا مرتبطاً بالبداية بمباحثات السلام وبعدئذ طار من موسكو الى تل أبيب واتفق مع الاسرائيليين على وقف إطلاق النار وعلى أثر هذه الاتصالات اجتمع مجلس الأمن الدولي بناء على طلب الدولتين العظميين وأصدر قراره رقم (٣٣٨) بوقف إطلاق النار خلال مدة ١٢ ساعة. وعلى أي حال غير متأخر عن الساعة ١٨,٥٠ من مساء يوم ٢٢ تشرين أول. (انظر الملحق رقم ٦)

ولكن القوات الاسرائيلية كانت غير قانعة بما حققته من انتصارات غربي قناة السويس حيث كانت تريد الوصول إلى أهداف أخرى بداخل الأراضي المصرية لكي تستعملها كوسيلة للضغط في المفاوضات المقبلة. ولذلك فإنها لم تتقيد بموعد وقف إطلاق النار واستمرت في تنفيذ عملياتها بمختلف الجبهات مستغلة الساعات المتبقية عن موعد وقف إطلاق النار وتمكنت بالنتيجة من عزل قوات الجيش الثالث عن قواعدنها نهائياً وأصبحت تطوق مدينة السويس ثم انطلقت غرباً على طريق القاهرة. كما واصلت قطعاتها تقدمها إلى الشمال الغربي فوصلت إلى الاسماعيلية ثم اتجهت نحو دمياط لكي تقطع الجيش الثاني من الخلف:

وأما على طريق السويس - القاهرة فقد وصلت إلى الكيلو (١٠١) الذي اشتهر فيما بعد بالمباحثات التي جرت عنده بين العسكريين المصريين والاسرائيليين لبحث تفاصيل فك الاشتباك والتي أدت فيما بعد إلى انسحاب القوات الاسرائيلية من غرب القناة. ولكن الاسرائيليين لم يتقيدوا بقرار وقف إطلاق النار بموعده المقرر بل استمروا بالقتال في مختلف المواقع حيث هاجموا مدينة السويس ولكن الحامية المصرية فيها صمدت ببسالة وتمكنت من صد الهجوم وأوقعت بالعدو خسائر بالغة.

وبهذه الأثناء كان سلاح الجو الاسرائيلي قد استعاد السيطرة على أجواء المعركة بسبب تدمير قواعد الصواريخ من قبل القوات البرية الاسرائيلية فركز قصفه على ما تبقى لدى الجيش الثالث من الجسور أو وسائل العبور الأخرى فدمرها تدميراً كاملاً بحيث أصبح هذا الجيش معزولاً تماماً بكامل قطعاته شرقي القناة وأخذ يستعد للوقوف الأخيرة في مواقعه

الدفاعية وقد أصبح الآن مهدداً بالتدمير لأنه لم يبق لديه أية إمكانية للانسحاب غرباً أو وسيلة لايصال الامدادات إليه من قواعده الخلفية بعد تدمير الجسور ولا سيما الذخيرة والمواد الغذائية.

وأصبحت القوات الاسرائيلية تقف على أبواب الاسماعيلية وتهدد طرق اتصالها مع القاهرة وتحتل ما مساحته ألف ميل مربع من الأراضي المصرية غربي القناة.

وفي يوم ٢٤ تشرين أول وبنتيجة الاتصالات بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية اتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً جديداً بوقف اطلاق النار وأصبح نافذ المفعول هذه المرة يوم ٢٤ تشرين أول ١٩٧٣ م.

ثانياً : الجبهة السورية :

١ - كانت القوات السورية عند نشوب الحرب تتكون من التشكيلات الآتية بحسب توزيعاتها على الجبهة:

أ - ثلاثة فرق مشاة يشمل ملاك كل فرقة لواء مدرع بالإضافة إلى ألوية المشاة الثلاثة المعتادة. وكانت هذه الفرق موزعة في الدفاع عن الخطوط الأمامية في هضبة الجولان كما يلي :

١ - فرقة المشاة السابعة (ملحقاً معها كتيبة مغربية).
مسؤولة عن الدفاع في القطاع الشمالي.

٢ - فرقة المشاة التاسعة:

مسؤولة عن الدفاع في القطاع الأوسط.

٣ - فرقة المشاة الخامسة:

مسؤولة عن الدفاع في القطاع الجنوبي.

ب - فرقتين مدرعتين هما قوام القوة الضاربة الرئيسية متمركزتين في المواقع الآتية:

١ - الفرقة المدرعة الثالثة - في منطقة قطنة.

٢ - الفرقة المدرعة الأولى - في منطقة الكسوة.

٢ - كانت الخطة السورية تهدف إلى احتلال منطقة الجولان بكاملها بهجوم سريع على الشكل الآتي:

أ - هجوم فرعي في القطاع الشمالي تقوم به فرقة المشاة السابعة يدعمها لواء مدرع من الفرقة المدرعة الثالثة.

ب - هجوم رئيسي في القطاع الجنوبي عند معبر (الرفيد) تنفذه قوة الاقتحام المؤلفة من فرقتي المشاة التاسعة والخامسة تدعمهما الفرقة المدرعة الأولى والفرقة المدرعة الثالثة تنقص لواء.

وفي ساعة الصفر المحددة في خطة العمليات المشتركة للحرب (عملية بدر) متزامناً مع الهجوم على جبهة قناة السويس بتمام الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت ٦ تشرين الأول ١٩٧٣م افتتحت القوات السورية معركتها بقصف مدفعي شديد ومركز من حوالي ألف مدفع ميدان غطى جميع المواقع الاسرائيلية الامامية واستمر لمدة خمسين دقيقة. وتحت ستار هذا القصف المركز تقدمت الدروع السورية واقتحمت خطوط الدفاعات الامامية وسرعان ما تجاوزتها وتغلغت في عمق المواقع التي تحتلها القوات الاسرائيلية.

وبنفس الليلة هبطت قوة من المغاوير (الكوماندوز) محمولة بطائرات الهيلوكبتر على موقع المراقبة الذي بناه الاسرائيليون منذ عام ١٩٦٧م على قمة جبل الشيخ واحتلته بهجوم صاعق رغم مناعة تحصيناته التي بنيت بحيث تستطيع الصمود تحت أي قصف مدفعي أو جوي وتثبت في وجه أي هجوم حيث قدروا أن قوة صغيرة من المشاة تستطيع من داخل هذه التحصينات أن تصد أي هجوم يوجه ضدها من أي حجم. ولكن ما حصل فعلاً أثبت خطأ هذه التقديرات حيث تمكنت قوة صغيرة من المغاوير محمولة على ثلاثة طائرات هيلوكبتر من احتلال هذا الموقع خلال فترة وجيزة. وكان الاسرائيليون قد ركبوا بهذا الموقع أجهزة رادار واتصالات وأجهزة تصنت الكترونية متطورة تغطي كامل المنطقة ويصل مداها إلى داخل الاتحاد السوفياتي كذلك. وقد تم تفكيكها ونقلها إلى دمشق فوراً عند احتلال الموقع.

٣ - وهنا لا بد من الإشارة إلى أن جبهة الجولان هذه تختلف اختلافاً جوهرياً عن جبهة قناة السويس وخصوصاً في النواحي الآتية:

أ - إن طبيعة الأرض فيها جبلية وملئية بالمنحدرات والتلال وخصوصاً في الجزء الشمالي منها مما يجعل مهمة الدفاع عنها أسهل بكثير منها في الأرض الصحراوية في سيناء. وبنفس الوقت يجعل مهمة الهجوم أكثر صعوبة وأقل امكانية للمناورة وخصوصاً بالنسبة لحركة التشكيلات المدرعة الكبيرة رغم أنها تعطي امكانية أكثر للحماية ضد الغارات الجوية إذا أحسن استخدام أساليب المناورة فيها بشكل جيد.

ب - إن عملية الهجوم على منطقة الجولان بأي حجم من القوات تصبح عملية بسيطة إذا ما قورنت بعملية الهجوم على سيناء لأن القوات المهاجمة هنا لا تضطر للقيام بعملية عبور حاجز مائي كبير مثل قناة السويس ثم اقتحام خط دفاعي حصين مثل خط بارليف قبل الالتحام مع القوات الرئيسية للعدو. ولهذا فإن القوات السورية التي بدأت الهجوم في الجولان استطاعت الوصول إلى مواقع العدو الرئيسية وهي ما زالت باوج قوتها ولم يستهلك من طاقاتها الرئيسية شيئاً يذكر وخصوصاً بالنسبة للدبابات التي استطاعت أن تجتاح خطوط العدو الأمامية بسرعة قياسية.

ج - لا يوجد في جبهة الجولان عمق استراتيجي مقارناً مع سيناء. فالمسافة بين خط البدء ومواقع العدو الخلفية لا تكاد تتجاوز عشرين ميلاً. ولذلك فإن مجال المناورة للتشكيلات المدرعة الكبيرة محدوداً وقصير المدى. الأمر الذي من شأنه أن يحقق ميزة جيدة للقوات المهاجمة من حيث أنها عندما تستطيع أحداث خرق في الدفاعات الأمامية فإنها سوف تصل إلى المناطق الخلفية بسرعة مناسبة رغم أن التقدم سيكون في كثير من المناطق الجبلية محصوراً في المعابر والطرق فقط لأن الانتشار خارجها يكون صعباً في أغلب الحالات.

٤ - وقد بدأ هجوم القوات السورية في المنطقتين الشمالية والجنوبية في آن واحد. ففي الجنوب تقدمت الفرقتين الخامسة والتاسعة تسندهما الفرقة المدرعة الأولى على محور طريق (خط التابلاين) واجتاحت المواقع الاسرائيلية المتقدمة بسرعة ثم التحمت مع كتائب اللواء الاسرائيلي المدرع الذي تصدى لها في تلك المنطقة. وقد استمرت المعارك في مختلف المواقع طيلة الليل. وما أن انتصف اليوم التالي الأحد ٧ تشرين أول حتى كان اللواء المدرع الاسرائيلي رقم ١٨٨ قد تم تدميره نهائياً ولم ينج أحد من ضباطه وأفراده سوى العدد القليل من الجرحى. كما دمرت كافة آلياته ودباباته تقريباً. هذا بالإضافة إلى القوات الأخرى التي تم تدميرها في المواقع الدفاعية المختلفة وفي ذلك اليوم كانت القوات السورية قد احتلت النصف الجنوبي من مرتفعات الجولان ووصلت إلى مشارف نهر الأردن وبحيرة طبريا من الشرق. كما دخلت معسكر (كفرنافخ) حيث تعسكر قيادة الفرقة الاسرائيلية المسؤولة عن تلك المنطقة. ولكن قائد الفرقة الجنرال (ولترايتان) تمكن من الهرب بأخر لحظة عندما بدأت طلائع القوات السورية تدخل المعسكر. هذا وإنى لا زلت أذكر صوت قائد إحدى الدبابات السورية (وكننت أسمع على جهاز التصنت في غرفة عمليات المحافظة) وهو يبلغ قيادة سريته أنه دخل مستعمرة يهودية وهو يتمركز الآن في وسطها.

وأما في المنطقة الشمالية فقد تقدمت الفرقة السورية السابعة تسندها وحدات من الفرقة المدرعة الثالثة بين مسعدة والقنيطرة. واصطدمت مع لواء اسرائيلي مدرع. وقد احتدمت المعركة في هذه المنطقة طيلة ثلاثة أيام بلياليها تمكنت القوات السورية بعدها من اختراق الخطوط الدفاعية الاسرائيلية كما تم تدمير اللواء المدرع الاسرائيلي بكامله ولم يبق من دباباته سوى عدد صغير انسحبت إلى المناطق الخلفية.

وبهذه الآونة وبصفتي كنت محافظاً لمنطقة إربد فقد كان متيسراً لي أن أخرج مع ضباط وحدات الجيش الأردني المتواجدة مقابل الجولان إلى نقطة المراقبة التي تقع شمال قرية عقربة ومنها كنا نراقب تقدم القوات السورية في القطاع الجنوبي من هضبة الجولان وكلنا اعتزاز وأمل. ومن موقع المراقبة هذا كنا نرى الجنود الاسرائيليين وهم يخلون خنادقهم ومراكز مراقبتهم الأمامية في التلال المشرفة على منطقة (الجمة) على عجل قبل أن تصلهم الطلائع السورية. وكما كانت تلك لحظات عز وآمال كبيرة طالما انتظرناها طويلاً وما نحن نراها الآن نتحقق على أرض المعركة. ولقد كانت كل الشواهد في ذلك الوقت تقنعنا أن تلك كانت ساعة النصر. فها هي القوات السورية المدرعة قد اجتاحت الجولان ووصلت إلى حافة بحيرة طبريا وهي الآن سوف تبقى فيها إلى الأبد. ولن يستطيع الاسرائيليون إخراجها منها أبداً لأن السوريين يجب أن يكونوا قد استوعبوا دروس حرب عام ١٩٦٧ م. وهم لذلك لن ينسحبوا من هذه المنطقة تحت أي ظرف. ومما كان يؤكد اعتقادنا هذا منظر الطائرات الاسرائيلية وهي تمر من فوقنا مغيرة باتجاه دمشق وبعد لحظات كنا نرى الصواريخ السورية من نوع (سام) تلاحقها وهي تحاول الهرب عائدة إلى الغرب. ولكن الكثير منها كانت تسقط أثناء ذلك. وكان منظراً رهيباً عندما كنا نرقب الصاروخ وهو يلحق بتلك الطائرة الهاربة ويصطدم بها وخلال لحظة نراها تنفجر وتهوي مشتعلة إلى الأرض. وما زلت أذكر منظر إحدى هذه الطائرات وهي تحاول الهرب من الصاروخ وقد غيرت خط سيرها من الغرب إلى الشرق واتجهت نحو مدينة المفرق قادمة من الحدود السورية وكان الصاروخ يلاحقها بسرعة هائلة واصطدم بمؤخرتها وسقطت مشتعلة. هكذا كان شعورنا خلال الأيام الأربعة الأولى من المعركة حيث كنت أخرج كل يوم لاقضي بعض الوقت في نقطة المراقبة قرب نهر اليرموك نراقب منها تحركات القوات السورية في المنطقة الجنوبية من الجولان ثم أعود إلى غرفة عمليات المحافظة في مدينة إربد حيث نقضي طيلة الليل بمتابعة أخبار المعارك التي كانت تدور في جبهتي سيناء والجولان بواسطة أجهزة اللاسلكي وما كان يردنا من برقيات عن طريق الجيش ووزارة الداخلية والدوائر الأخرى المختصة بالإضافة إلى البيانات العسكرية التي كانت تصدر عن القيادة المصرية والسورية عن أخبار تطور المعارك في هاتين الجبهتين.

كما كنت أقضي بعض الوقت في متابعة إجراءات الدفاع المدني والإسعاف والتفتيش على فرق المتطوعين من الأهالي التي عملت على تنظيمها في المحافظة للقيام بهذه الأعمال فيما لو تعرضنا للغارات الجوية أو إذا اشترك الأردن في الحرب كما كنا نتوقع في مرحلة من المراحل.

ولكن بهجتنا لسوء الحظ لم تدم طويلاً حيث أخذت آمالنا تتلاشى بعد فترة وجيزة من تحقيق تلك الانتصارات الأولية التي حققتها القوات المصرية في سيناء والقوات السورية في الجولان بعد أن أكمل الاسرائيليون التعبئة العامة وبدأوا بتنفيذ عمليات الهجوم المعاكس على الجبهتين.

٥ - الهجوم المعاكس الاسرائيلي في الجولان :

بدأ الهجوم الاسرائيلي في القسم الجنوبي من الجولان ليلة الأحد ٧ تشرين أول. أي بعد مرور ٣٦ ساعة فقط على بدء الهجوم السوري حيث تقدمت فرقة مدرعة اسرائيلية كانت في الاحتياط العام لتهاجم فرقة المشاة التاسعة السورية عن طريق قرية (علعال) المؤدي إلى قرية الرفيد. كما تقدمت فرقة أخرى على يسارها عن طريق مستعمرة (اليهودية) حيث استردت معسكر (كفرنافخ) وتقدمت نحو معسكرات (الخشنية). وبعد ظهر يوم الاثنين كان أحد ألوية الفرقة المدرعة على الجناح الأيمن قد وصل إلى تل فارس غربي قرية الرفيد. ولكن القوات السورية في هذا القاطع أبدت مقاومة عنيفة وتمكنت من إيقاف هذا الهجوم. وقد استمر القتال حتى يوم الثلاثاء ٩ تشرين أول حيث تكبد اللواء المدرع الاسرائيلي خسائر فادحة وأصبح موقفه مهدداً بالخطر.

أما في الشمال فقد كانت الفرقة المدرعة الأولى السورية تواجه موقفاً صعباً حيث كانت تتعرض لهجمات متكررة من قبل فرقة مدرعة اسرائيلية والتي كبدت أحد ألويتها خسائر كبيرة. وبالنتيجة أصبحت هذه الفرقة السورية مهددة بالتطويق من قبل القوات الاسرائيلية المدرعة المتقدمة والتي بدأت تشكل فكي كماشة حولها من الشمال والجنوب. وبهذه المرحلة من المعركة بدأت الطائرات الاسرائيلية تظهر من جديد بفعالية في سماء الجبهة بعد أن استطاعت التغلب على قسم كبير من جدار الصواريخ السورية وأخذت تقصف الوحدات المتواجدة في معسكرات الخشنية بفعالية كبيرة.

وبمحاولة لكسر حدة الهجوم الاسرائيلي حول جناحي الفرقة المدرعة السورية قام قائدها بدفع قواته المتمركزة في جيب الخشنية باتجاه الشرق للضغط على جناح القوات الاسرائيلية الأيمن لكسر محاولة التطويق من تلك الجهة وبهذه الحركة أصبحت بعض

قطعات الفرقة الاسرائيلية تتعرض للضغط عليها من جهتين من قبل الوحدات السورية المتقدمة. وعندئذ قام لواء مدرع اسرائيلي من وسط الجبهة بالهجوم شرقاً وتمكن من احتلال موقع (تل فارس) وهو عبارة عن نقطة مراقبة مدفعية في غاية الأهمية تسيطر على جميع أنحاء المنطقة المحيطة. وبنفس الوقت تقدم لواء مدرع من الفرقة السورية الثالثة من الشمال لفك الحصار عن قوات جيب الخشنية التي تمكنت بالنتيجة من الخروج من الجيب والانسحاب شرقاً. وفي صباح يوم الأربعاء ١٠ تشرين أول بدأت الألوية المدرعة الاسرائيلية في تلك المنطقة هجومها باتجاه الشرق وانسحبت باقي القطعات السورية إلى شرق خط الهدنة الذي بدأت هجومها منه عند بدء القتال قبل أربعة أيام.

وقد ذهبنا عندما بدأنا نشاهد من نقطة المراقبة الدبابات السورية أو ما تبقى منها وهي تنسحب شرقاً ولا نكاد نصدق ما تراه أعيننا حيث لم نكن نعرف في تلك الساعات الحرجة مدى الدمار الذي حل بالدبابات السورية أثناء المعارك التي دارت خلال تلك الأيام الأربعة الأولى من القتال. وكما اتضح فيما بعد فإن المعارك التي دارت في جيب الخشنية وحده أسفرت عن تدمير معظم دبابات لوائين سوريين كانا يقاتلان هناك وكانت هذه المعركة بمثابة نقطة تحول خطيرة في تلك الجبهة حيث تحولت القوات السورية بعدها إلى تنفيذ معارك إعاقه وإنسحابات مستمرة إلى الشرق.

وفي صباح يوم ١١ تشرين أول بدأت القوات الاسرائيلية بتنفيذ هجوم رئيسي بداخل الأراضي السورية من أقصى القطاع الشمالي باتجاه دمشق التي كانت تبعد عن نقطة الهجوم مسافة لا تزيد عن ٣٠ ميل. وبنفس الوقت رافق هذا الهجوم هجومين آخرين من المنطقة الوسطى والجنوبية وقد كانت القوات الاسرائيلية التي تنفذ هذه العمليات تتألف من ثلاثة فرق مدرعة مع عدد من ألوية المشاة المحمولة وتسندها طائرات سلاح الجو الاسرائيلي الذي تمكن بهذه المرحلة من استعادة السيطرة الجوية بعد أن نجح في تحييد فعالية قواعد الصواريخ (سام) السورية أو تدميرها. وأخذت طائراته تغير باستمرار على جميع القواعد الجوية السورية وتعطل مطاراتها. كما بدأت تقصف مدينة دمشق نفسها حتى أنها تمكنت في إحدى الغارات من إصابة مبنى رئاسة أركان الجيش السوري إصابة مباشرة وأحدثت به أضراراً بالغة. وهكذا فقد أصبح الموقف على الجبهة السورية في غاية الخطورة.

بدأ الهجوم الاسرائيلي في القطاع الشمالي صباح يوم ١١ تشرين أول عندما تقدمت قوة

مؤلفة من لواء مشاة ولواء مدرع واصطدمت مع الكتيبة المغربية التي كانت تدعمها كتيبة دبابات سورية بمنطقة مزرعة (بيت جن) ولواء مشاة سوري متمركز إلى الجنوب منها. وبعد معارك عنيفة تمكن العدو من احتلال مزرعة (بيت جن) مساء اليوم التالي رغم قيام القوات السورية بشن هجوم معاكس بقوة مدرعة يدعمها سلاح الجو السوري وقد خسرت قوات العدو الكثير من دباباتها في المراحل الأولى للهجوم. ولكن القوة السورية اضطرت للانسحاب بالنتيجة. وفي اليوم التالي هاجمت القوات الاسرائيلية موقع (تل شمس) وهو موقع مهم ومسيطر على المنطقة المحيطة به. وعلى الرغم من وعورة الارض فقد تمكنت الدبابات الاسرائيلية من الوصول إلى سفح التل العلوي حيث كانت المواقع السورية مزودة بعدد من المدافع المضادة للدروع فتمكنت من مفاجأة دبابات العدو وقتل معظم أفراد القوة المهاجمة وتدمير عدد كبير من الدبابات وصد ذلك الهجوم نهائياً.

وبعد ذلك عاود العدو تكرار الهجوم لاحتلال هذا الموقع ولكنه لم يفلح. وقد استمرت الاشتباكات في اليوم التالي وتكبد العدو الكثير من الخسائر وتمكنت القوات السورية من الصمود بهذا الموقع الحصين حالياً.

وفي مساء يوم ١٣ تشرين أول تقدمت قوات من المظليين بهجوم ليلي على هذا الموقع. وبعد معركة دامية تمكنت من احتلاله. وانسحبت القوة السورية منه إلى الشرق وفي المنطقة الوسطى احتلت القوات الاسرائيلية منطقة خان أرنبه وتل الشعار وهو تل مسيطر على السهول البركانية المحيطة بالطرق المؤدية إلى دمشق ثم تقدمت نحو موقع (كناكر) لكي تعزل القوات السورية الموجودة في سعسع وتتصل بطريق دمشق الرئيسية. وقد شنت القوات السورية هجوماً معاكساً بهذه المنطقة ووافقت تقدم العدو بهذا القاطع. واستمرت المعارك طيلة يومين بلياليهما وتكبد العدو خلالها خسائر كبيرة ولكن قطعاته الأمامية أصبحت على مقربة من موقع (كناكر) جنوب شرقي سعسع. وأما في القطاع الجنوبي فقد تمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال (تل عنتر) ومنه أصبحت تهدد طريق دمشق - درعا بين الكسوة والصنمين. كما تقدمت شمالاً إلى بلدة (ناسج) حيث أصبح بإمكانها أن تقصف مدينة دمشق بمدفعية الميدان.

٦ - اشترك الجيوش العربية في القتال :

بهذه المرحلة النهائية من القتال أصبح موقف القوات السورية في منتهى الخطورة حيث فقدت معظم دباباتها. بينما أصبح الطيران الاسرائيلي يسيطر على كافة الأجواء السورية

بعد تدمير قواعد الصواريخ أو تحييدها بأساليب تكنولوجية جديدة زودتها أمريكا لإسرائيل حديثاً مع شحنات الأسلحة الضخمة التي نقلتها بالبحر الجوي الذي أقامته لهذه الغاية. وبدأت الطائرات الإسرائيلية تستخدمها لتضليل الصواريخ ونجحت بهذا نجاحاً جيداً. وأخذت تقصف الأهداف الاستراتيجية الهامة في جميع أنحاء سوريا. وعندئذ بدأت الحكومة السورية تطلب المساعدة العاجلة من أشقائها العرب. كما طلبت من مصر أن تقوم بعمليات كبرى في جبهة سيناء لكي تجتذب جزءاً من القوات الإسرائيلية العاملة في جبهة الجولان لتخفيف الضغط عن القوات السورية التي أصبحت تنزف في مختلف مواقع القتال. وهذا كما قيل كان سبب قيام الرئيس أنور السادات بدفع جميع قواته المدرعة الاحتياطية إلى شرق القناة للهجوم على ممرات متلا والجدي في عمق سيناء يوم ١٤ تشرين أول لتخفيف الضغط على جبهة الجولان. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه الجبهة ومنطقة قناة السويس هما في الواقع مسرح عمليات واحد فإن هذا القرار يصبح معقولاً من حيث أنه يجب توحيد العمليات الحربية بحيث تساند كل جبهة منهما الجبهة الأخرى ضد العدو.

على الرغم مما كان يشكله هذا القرار من خطورة على الجبهة المصرية مما أدى إلى تسهيل مهمة العدو في شن هجومه المعاكس الكبير والعبور إلى غرب القناة. وبصرف النظر عن كل الاحتمالات التي أتاحتها ذلك القرار للعدو والانتقادات التي وجهت للقيادة المصرية بسبب اتخاذها فإن الخطأ لم يكن في اتخاذ القرار فقط والذي ربما لأنه جاء كضرورة ملحة أملت بها أوضاع الجبهة السورية. ولكن الأمر الذي ضاعف خطورته هو كيفية التطبيق ولا سيما طريقة استخدام القوات المدرعة بارتال متباعدة على مسافات شاسعة كما شرحت سابقاً.

وبنفس الوقت فإنه كما يظهر كان هنالك قدراً من ضعف التنسيق في إدارة العمليات والتوجيه بين القيادتين في الميدان وعدم اتخاذ الاحتياطات الكافية لجميع الاحتمالات المستقبلية حسب تطور المعركة. وأوضح مثال لتأكيد هذه النظرية هو عدم التنبؤ مسبقاً عن احتمال محاولة العدو للعبور إلى غرب القناة والتسرع في زج القوات الاحتياطية إلى شرق القناة قبل التحضير الصحيح لمثل هذا الهجوم بنقل جدار الصواريخ أو جزءاً منه شرقاً لحماية الفرق المدرعة عند تقدمها باتجاه ممرات (متلا). وكذلك حجز هذه الفرق ضمن رأس الجسر بعد فشل هجومها بدل إعادة ما تبقى منها إلى غرب القناة فوراً لحماية القواعد الخلفية بما فيها الصواريخ لتأمين مؤخرة الجيشين المقاتلين في رأس الجسر وعلى ضوء تردي الأحوال في الجبهة السورية ووصول قواتها إلى موقف في

غاية الخطورة سارعت الأردن والعراق إلى إرسال بعض التشكيلات المدرعة لمساعدة القوات السورية في القتال ووقف الزحف الاسرائيلي بداخل سوريا باتجاه دمشق. وهنا لا بد أن نتصور لو أن الأردن والعراق كانا مشتركين بهذه الحرب منذ البداية ولو وضعت كافة قواتهما المسلحة بالخطة الأساسية لكان بالإمكان وضع ثقلهما كاملاً في الجبهة الأردنية السورية ولما تمكن العدو من احتلال الجولان بسهولة. على الأقل لأنه سوف لن يستطيع تخصيص القوات الكافية لها ما دام أنه سيقاقل في الجبهة الأردنية كذلك. هذا إذا لم نكن نهدف إلى تحرير الضفة الغربية. رغم أنى أعتقد أنه لو وحد العرب جهودهم بهذه الحرب لكان هدف التحرير ممكناً أو على الأقل لكانت النتائج أفضل بكثير. ولكن على أي حال فقد أرسل الأردن اللواء المدرع الأربعين بسرعة فائقة واشترك فور وصوله في المعركة. وأما العراق فقد حرك الفرقة المدرعة الثالثة إلى سوريا وقد وصل أول لوائين منها يوم الخميس ١١ تشرين أول إلى سهل اللجاء جنوب شرقي دمشق. وفي فجر يوم الجمعة ١٢ تشرين أول تقدمت تلك القوة مباشرة للاشتراك بالمعركة باتجاه الجناح الجنوبي للقوات الاسرائيلية المدرعة التي كانت تتحرك باتجاه (كناكر) مهددة المعسكرات السورية في (الكسوة) غربي دمشق.

وأما اللواء المدرع الأردني فقد عبر الحدود السورية عن طريق درعا بتاريخ ١٣ تشرين أول (١) وتوجه رأساً إلى ميدان المعركة بين مواقع الجيش السوري والقوة العراقية مقابل الجناح الجنوبي للقوات الاسرائيلية بمنطقة تقع بين (تل المشحرة) و(تل المال) حيث باشر بالهجوم على مواقع اللواء المدرع الاسرائيلي الذي كان متمركزاً على منحدرات تل المال. ولكن هذا الهجوم كان كما يبدو قد تم تنظيمه على عجل ولم تتخذ له الترتيبات اللازمة والاستعدادات الكافية والكشف الدقيق على مواقع العدو وتنظيم مراحل الهجوم وتأمين نيران الاسناد اللازمة من المدفعية والطيران بدرجة كافية وغير ذلك من الاستعدادات الأولية الضرورية. وهذا بالإضافة إلى أن التنسيق مع القوات العراقية والسورية المجاورة كان ضعيفاً. وعندما تقدمت وحدات هذا اللواء وبدأت تصعد سفوح (تل المال) واجهتها القوات الاسرائيلية المتمركزة هناك بنيران كثيفة من الدبابات والمدافع المضادة للدروع من نوع ثو (THOW) من مسافات قريبة فدمرت عدداً من الدبابات الأردنية بهذه المصادمة الأولى ولم تستطع القوة الأردنية المهاجمة التغلب على مواقع العدو الحصينة على هذا التل فاضطرت للانسحاب إلى مواقع خلفية لاعادة التنظيم.

(١) مقابلة مع اللواء الركن المتقاعد خالد هجوع المجالي الذي كان يقود هذا اللواء ..

وبهذه الاثناء تقدمت قوات الفرقة المدرعة الثالثة العراقية للهجوم من خلال الفجوة بين ناسج والمشجرة. وكانت الألوية الاسرائيلية المدرعة قد توزعت بمواقع على شكل صندوق حيث تمركز لواء منها على طول الطريق عند طرف تل الشعار وتمركز لواء آخر على طول خط يبدأ من طرف مواقع اللواء السابق في الشمال ثم يمتد جنوباً حتى موقع ناسج. وانتشر لواء ثالث من تلك النقطة حتى الطريق المؤدي إلى ناسج. وتمركز اللواء الرابع من المشجرة إلى ناسج.

وكما يظهر فإن القوات العراقية لم تكن تعرف تفصيلات مواقع العدو هذه بدقة كافية أو حجم القوات المتمركزة فيها. لأنها عندما تقدمت للهجوم دخلت رأساً إلى منتصف هذا الصندوق الذي كوّنته القوات الاسرائيلية بنتيجة تمركزها في دفاعاتها المشار إليها وأصبحت بمثابة مضيدة لكي توقع فيها الارتال العراقية المتقدمة.

وبتمام الساعة الثالثة من صباح يوم ١٣ تشرين أول بدأت الفرقة المدرعة العراقية هجومها الرئيسي ولكنها فوجئت بنيران دبابات العدو تطلق عليها من كل جانب من مسافات قريبة وقد خسرت القوة العراقية أعداداً لا يستهان بها من دباباتها بهذه المصادمة الأولى وعلى أثر ذلك بادرت بالانسحاب بسرعة إلى الخلف لاعادة التنظيم ثم اعادة الكرة بهجوم جديد. وبهذه الاثناء تقدم لواء اسرائيلي واحتل موقعي (تل عنتر) و(تل العلاكية) وهما مرتفعين مسيطرين على المنطقة ويقعان إلى الشمال من المواقع التي تجمعت فيها الفرقة العراقية.

وبتاريخ ١٦ تشرين أول كرر اللواء المدرع الأربعين الأردني هجومه على مواقع العدو في منطقة تل المشجرة ورغم أنه تمكن من ايقاع خسائر بالدبابات الاسرائيلية لكنه لم يتمكن من احتلال مواقعها لأنه كان في واقع الأمر يهاجم مواقع فرقة مدرعة اسرائيلية كاملة كانت متمركزة في تلك المنطقة. وليس من المعقول أن يتمكن هذا اللواء من التغلب على تلك الفرقة المدرعة التي تتفوق عليه بثلاثة أمثال حجمه.

وبعد احتلال العدو لمنطقة (تل عنتر) و(تل العلاكية) تقدمت الفرقة المدرعة العراقية من منطقة تجمعها في (تل شمس) للهجوم على قوات العدو وإخراجها من هذين الموقعين المهمين. وقد استمرت هذه المعركة عدة ساعات ولكن الألوية الاسرائيلية ثبتت في مواقعها رغم الخسائر الكبيرة التي تكبدتها. وبعد ذلك استمرت القوات الأردنية والعراقية بشن عمليات هجوم مشتركة على مواقع العدو بمساندة الطائرات العراقية والسورية طيلة الأيام التالية إلا أن التنسيق بين هذه القوات لم يكن دقيقاً ولكن على الرغم من ذلك فقد

استمرت عملياتهم المشتركة بقدر الإمكان. وفي أثناء الهجوم العراقي السابق استمرت المعركة عدة ساعات وتمكنت القوات العراقية من تثبيت لوائين للعدو في مواقعهما ولكن أحد هذين اللوائين استطاع تحت زخم النيران أن ينسحب من المعركة ويتحرك بسرعة إلى الجنوب بحركة التفاف واسعة لكي يهدد الجناح الجنوبي للقوة العراقية وقد تسببت هذه الحركة في الواقع بتوقف الهجوم العراقي الأول في الصباح الباكر وفي الساعة العاشرة صباحاً بدأت القوات العراقية هجومها الثاني على المواقع الاسرائيلية واشترك معها اللواء المدرع (٤٠) الأردني كجزء من هذا الهجوم فتحرك إلى منطقة (تل الحرة) لكي يهدد الجناح الغربي للفرقة الاسرائيلية المتمركزة بمنطقة تل المال وتل المشحرة. ولكن التنسيق بين هذين الهجومين كما يظهر لم يكن دقيقاً وقد وصلت القوة الأردنية المتقدمة إلى تل المشحرة عند الظهيرة وحالما بدأت تصعد سفوح تل المشحرة واجهتها نيران كثيفة من دبابات العدو ومدافعه المضادة وقد دامت المعركة عدة ساعات اضطرت قوة الهجوم الأردنية أن تنسحب تحت ضغط المقاومة الدفاعية حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر وقد خسرت عدداً من دباباتها بهذا الهجوم. ولكنها بنفس الوقت كبدت العدو كذلك خسائر لا يستهان بها.

وبهذه الأثناء بدأ الهجوم العراقي الثالث والأخير على المواقع الاسرائيلية وقد كان هذا الهجوم مركزاً بشكل دقيق حيث كانت موجات الدبابات تتلاحق على مواقع العدو بتصميم عنيف وتم بنتيجته تدمير الغالبية العظمى من دبابات اللواء الاسرائيلي. وقد اختلطت الدبابات العراقية المهاجمة بالدبابات الاسرائيلية. وفي كثير من الحالات كانت تطلق النار من مسافة قريبة جداً. ولكن العدو كما يبدو تمكن من احضار وحدات مدرعة جديدة قامت بالالتفاف من خلف القطعات العراقية المهاجمة واضطرتها للانسحاب من تل عنتر وتل العليقة. وعلى الرغم من أن عمليات الهجوم المختلفة التي شنتها القوات العربية الأردنية والعراقية لم تنجح في اخراج القوات الاسرائيلية من المواقع المتقدمة التي احتلتها إلا أنها على أي حال نجحت في ايقاف تقدمها في العمق السوري وتمكنت بذلك من تثبيت الجبهة عند هذا الحد في وقت كان موقف القوات السورية قد وصل إلى مرحلة في غاية الخطورة.

وبينما كانت المعارك على أشدها في هذا القطاع قام العدو بالساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢١ تشرين أول بانزال قوة من المظليين محمولة على طائرات الهيلوكبتر تسندها الطائرات المقاتلة بالقرب من المواقع السورية على قمة جبل الشيخ. كما أرسلت كتيبة من المشاة بوقت سابق لتدعيمهم في عملية الهجوم على تلك المواقع. وبعد معركة دامت طيلة الليل

وباسناد مكثف من المدفعية والطائرات تمكنت القوة الاسرائيلية المهاجمة بالساعة الثانية والنصف من صباح يوم ٢٢ تشرين أول من احتلال مواقع المراقبة تلك التي سبق أن احتلها السوريون قبل اسبوعين بتاريخ ٧ تشرين أول عندما بدأت الحرب. وقد نجح العدو بهذا الهجوم بعد أن أصيب مركز القيادة السورية لهذا الموقع بقذيفة مدفعية إصابة مباشرة قتلت جميع الضباط والمسؤولين فيه وقطعت جميع الاتصالات. ولم يبق بعد ذلك من يدير المعركة بشكل سليم. وباحتلال هذه المراكز استعاد العدو سيطرته على قمة جبل الشيخ بكاملها من جديد.

وفي مساء ذلك اليوم ٢٢ تشرين أول وافقت سوريا على قرار وقف اطلاق النار الذي اتخذته مجلس الأمن الدولي.

هذا وأنى لن أنسى تلك اللحظات الحزينة التي قضيناها بصمت أليم في غرفة العمليات حيث كنا من خلال شاشة جهاز التلفاز نشاهد الرئيس حافظ الأسد وهو يرتدي البزة العسكرية وقد هزه الأسى والألم وأرهقه عظم المسؤولية وهو يلقي خطابه الذي أعلن فيه على الشعب السوري والأمة العربية نبأ قبوله بقرار مجلس الأمن الدولي بوقف اطلاق النار. وقد كنا نستمع إلى هذا الخطاب والألم يعتصر قلوبنا والحنق يعصف بكياننا على ما آلت إليه هذه الحرب التي كدنا نظير فرحاً عندما سمعنا نبأ نشوبها قبل اسبوعين فقط وقد ظننا وقتئذ أن ساعة النصر قد دقت وأن الأمة العربية سوف تسترد كرامتها في ميادين القتال وتستعيد أراضيها السليبة وفي مقدمتها القدس الشريف. ولكن الآن وقد انتهت هذه الحرب على عكس ما كنا نأمل ونتوقع وأصبح الموقف العربي أسوأ بكثير مما كان عليه قبل نشوبها رغم الانتصارات المذهلة التي حققتها الجيوش العربية خلال الأيام الأولى من القتال. تلك الانتصارات التي فاجأت اسرائيل وافقدتها توازنها كما فاجأت العالم الخارجي الذي كان بعد حرب عام ١٩٦٧ م يسوده الاعتقاد بأن العرب غير مؤهلين لخوض أي حرب مع اسرائيل. وها قد أثبت العرب خلال الأيام الأولى من هذه الحرب أنهم ليسوا فقط قادرين على خوض الحرب ضد اسرائيل. بل أنهم قادرون على مفاجأتها والتغلب عليها وتحطيم الكثير من تشكيلاتها المدرعة واسقاط معظم طائراتها الحديثة التي كانت تعتبرها أمنع من أن تصاب. ولكن ها نحن الآن نرى أن جيوشنا التي انتصرت في بداية المعركة أيما انتصار وقد خسرت كل تلك الانتصارات وخسرت معها معظم دباباتها وصواريخها وأسلحتها الأخرى وستحتاج إلى سنوات عديدة لتعويضها. وليس هذا فقط بل أنها تراجعت إلى خلف الخطوط التي بدأت منها هجومها الأول. ففي الجبهة السورية استرد اليهود جميع أراضي الجولان التي كانوا قد

احتلوها عام ١٩٦٧م وزادوا عليها بأن تقدمت قواتهم بداخل الأراضي السورية إلى عمق خمسة عشر ميلاً تقريباً على طول الجبهة وأصبحوا على مشارف دمشق بحيث أصبح بإمكانهم قصفها بمدافع الميدان. كما استرد الاسرائيليون جميع مواقع المراقبة على قمة جبل الشيخ بما فيها المواقع التي كانت لدى القوات السورية قبل الحرب. أما في الجبهة المصرية فعلى الرغم من أن القوات المصرية احتفظت برأس جسر شرقي قناة السويس فإن قواتها المتواجدة فيه أصبحت في موقف حرج عند وقف إطلاق النار وخصوصاً بالنسبة للجيش الثالث الذي أصبح محاصراً تماماً من قبل القوات الاسرائيلية ولا يمكن ايصال أي نوع من التزويد إليه ولا حتى عن طريق الجو لا سيما وأن سلاح الجو الاسرائيلي قد استرد السيطرة الجوية في جميع مناطق الجبهة بعد أن تمكنت قواتهم المدرعة من تدمير معظم قواعد الصواريخ (أرض - جو) غربي القناة وبالمقابل فقد تمكن الاسرائيليون من ادخال ثلاثة فرق مدرعة إلى غرب القناة وأصبحت طلائعها تطل على الاسماعيلية وتطوق مدينة السويس وتسيطر على طريق القاهرة. وكان مجموع المساحة التي تحتلها القوات الاسرائيلية غربي القناة عند وقف إطلاق النار حوالي ألف ميل مربع. والأخطر من هذا كله أن قناة السويس لم تعد تحت السيطرة الكاملة للقوات المصرية. بل أصبحت القوات الاسرائيلية تسيطر على جزء كبير منها كما أنها تمكنت من السيطرة على ميناء السويس في الجنوب بالإضافة إلى أنها كانت أصلاً تهدد ميناء بورسعيد في الشمال من جهة سيناء. وقد ألغى هذا الموقف القيمة الاستراتيجية لعملية عبور القوات المصرية إلى شرق القناة. ولم يعد لها أي تأثير على الموقف في سيناء كأحد أهداف هذه الحرب. ولقد أصبح الموقف المصري بنتيجة هذه الحرب أكثر خطورة منه قبلها لأن القوات الاسرائيلية لم تكن قد عبرت إلى غرب القناة رغم أنها كانت تحتل طرفها الشرقي. ولكن لماذا خسرت الجيوش العربية هذه الحرب التي بدأتها بتحقيق انتصارات ممتازة. هذا ما سوف أحاول الاجابة عليه بالملاحظات التالية:

٧ - ملاحظات وآراء عن هذه الحرب :

من استعراض كيفية ادارة هذه الحرب وتطور معاركها التي دارت في مختلف المراحل يمكنني أن استخلص الآراء والدروس الآتية:

أ - الأهداف الاستراتيجية العامة :

من الواضح أن أهداف هذه الحرب كانت محدودة قصد منها تحقيق أهداف سياسية معينة وهذا ما أكده الرئيس السادات في تصريحاته المتكررة من أنه كان ينوي تحريك قضية

الشرق الأوسط التي أصابها الجمود ولم تعد تحتل مركزاً متقدماً في أولويات الدول العظمى ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية. ومن هذا المنطلق كان الهدف الاستراتيجي الذي حدده لهذه الحرب هو زعزعة أمن إسرائيل بتنفيذ عملية عسكرية كبرى يمكنها تكبيد القوات الاسرائيلية خسائر ضخمة في الأرواح والمعدات الأمر الذي سوف يؤثر تأثيراً مباشراً على معنويات الشعب الإسرائيلي وأما الهدف السياسي بالنسبة لسوريا ومصر فهو توجيه ضربتين كبيرتين ضد إسرائيل بقصد اقتناع الدولتين العظميين بضرورة ممارسة الضغط على إسرائيل لكي تنسحب من الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧م وإزالة الجمود عن قضية الشرق الأوسط لاستئناف المساعي السلمية. وهذا هو الهدف الذي تابعه الرئيس السادات والذي أوصله فيما بعد إلى الاتفاقية المرحلية في سيناء التي عقدت بعد اتفاقية فك الاشتباك وأدى به إلى زيارة القدس وعقد اتفاقيات (كامب ديفيد) بوقت لاحق. وتحت مظلة هذا الهدف السياسي فإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت المستفيد الأكبر من هذه الحرب حيث أصبح بيدها وحدها مفتاح وقف إطلاق النار كما أنها كانت توجه جميع إجراءات مجلس الأمن بهذا الخصوص. وهذا ما حمل الاتحاد السوفياتي عندما تأزم الموقف العربي في القتال على توجيه الدعوة إلى وزير خارجية أمريكا هنري كيسنجر لزيارة موسكو بتاريخ ٢١ تشرين أول للاتفاق معه على شروط وقف إطلاق النار. وبعد اتفائه مع السوفيات على هذه الشروط قام مجلس الأمن الدولي بإصدار قراره الرسمي بوقف إطلاق النار على جميع الجبهات والذي كان سيصبح نافذ المفعول اعتباراً من الساعة ١٨٠٠ مساء يوم ٢٢ تشرين أول. ولكن الاسرائيليين لم يتقيدوا بهذا الموعد الذي اتفق كيسنجر معهم عليه قبل صدوره من مجلس الأمن لأنهم أرادوا تحقيق أهداف إضافية غربي القناة واستمروا في عملياتهم حتى حققوها وبعد ذلك أضطر مجلس الأمن لإصدار قرار آخر يوم ٢٤ تشرين أول وأصبح وقف إطلاق النار ساري المفعول بعد ذلك.

وعلى هذا بدأ الرئيس السادات يرتب اتصالاته المباشرة مع واشنطن من منطلق اقتناعه بأنها قادرة على الضغط على إسرائيل للتوصل معها إلى حل سلمي. وكثمن لقيام الولايات المتحدة بهذا الضغط فقد فتح المجال أمامها لتعزيز وجودها في مصر على حساب مصالح الاتحاد السوفياتي. وبشكل تدريجي أصبحت أمريكا صاحبة اليد الطولي في مصر بمختلف المجالات كما هو معروف. وانطلاقاً من هذا الموقف قام هنري كيسنجر بالحصول على بعض التنازلات من إسرائيل. منها وقف إطلاق النار غربي قناة السويس وفتح طريق التزويد للجيش الثالث المحاصر عبر الخطوط الاسرائيلية. ثم فك الاشتباك مع القوات الاسرائيلية من نديي القناة إلى شريقها دون إجبار القوات المصرية المتواجدة شرقي القناة على التنازل عن أي

جزء من المناطق التي كانت تحت سيطرتها. وقد كانت هذه الاجراءات كمقدمات للتطورات التي حدثت خلال السنين اللاحقة وأدت بالتالي إلى وضع مصر في مكان خاص ومتميز ضمن الخطط الاستراتيجية الأمريكية للشرق الأوسط وإخراجها نهائياً من المواجهة الحربية العربية مع اسرائيل.

ب - أما الأهداف الاستراتيجية العسكرية المباشرة للقوات العربية فيمكن تلخيصها بما يلي:

١ - إبطال فعالية القوات الجوية الاسرائيلية بواسطة بناء حزام فعال من صواريخ (أرض - جو) يستطيع تحقيق ذلك.

٢ - إلغاء الميزة التي تتمتع بها اسرائيل في القتال من الخطوط الداخلية (Interior Lines) وذلك بالهجوم عليها من الجبهتين المصرية والسورية في آن واحد.

٣ - مفاجأة القوات الإسرائيلية واصابتها بحالة من عدم التوازن وذلك عن طريق احتلال مناطق محددة في الجبهتين وتكبيدها خسائر ضخمة في الأرواح والمعدات خلال أقصر فترة ممكنة من الوقت.

ج - وكما نلاحظ فإن هذه الأهداف جميعها سواء كانت عسكرية أو سياسية كانت محدودة وقاصرة عن هدف التحرير والسعي للتغلب على اسرائيل عسكرياً واسترداد الضفة الغربية وقطاع غزة.

ولهذا فإن التخطيط لهذه الحرب كان مقتصرأً على جبهتي سيناء والجولان فقط واستثني الأردن من هذه الخطة مع أنه أكثر دولة معنية بمصير الضفة الغربية والسعي لتحريرها.

وربما كان السبب الرئيسي الكامن وراء هذا الاستثناء هو أن المخططين لهذه الحرب أرادوا فعلاً أن لا تشمل منطقة الضفة الغربية لكي لا تتحول من حرب محدودة إلى حرب شاملة تتجاوز الأهداف السياسية التي وضعوها لها. وهذا يفسر كذلك عدم اطلاق باقي الدول العربية على هذه الخطط قبل نشوب الحرب ولا سيما العراق والأردن اللتين دفعتا بقواتهما المدرعة لايقاف الزحف الاسرائيلي نحو دمشق عندما تردت أحوال الجبهة السورية بعد المرحلة الأولى من القتال.

د - ومع الأخذ بعين الاعتبار محدودية أهداف هذه الحرب فإننا نرى رغم ذلك أن القوات العربية حققت نتائج باهرة في بداية القتال أهمها ما يلي :

١ - المفاجأة الاستراتيجية والتكتيكية التي حققتها القوات العربية بفضل خطة التمويه

والخداع المتطورة التي نفذتها القوات المصرية والسورية والتي نجحت بواسطتها في خداع القوات الإسرائيلية بحيث اقتنعت بأن التحركات العسكرية المكثفة التي كانت تقوم بها القوات المصرية غربي القناة خلال الأشهر التي سبقت الحرب لم تكن سوى عمليات تدريب ومناورات عادية. وإن التحشيدات التي كانت تجري على الجبهة السورية لم تكن سوى إجراءات احتياطية ضد احتمالات قيام إسرائيل بالهجوم على سوريا على أثر قيام الطيران الإسرائيلي بإسقاط الطائرات السورية فوق البحر الأبيض المتوسط أثناء الاشتباك الذي وقع قبل نشوب الحرب. ومما لا شك فيه أن خطة الخداع والتمويه هذه تعتبر من أنجح الخطط المماثلة التي استخدمت في الحروب الحديثة.

٢ - إن نجاح القوات المصرية بعبور قناة السويس على الرغم من وجود تحصينات خط بارليف التي بناها الإسرائيليون لمنع أية محاولة لعبور القناة من الجانب المصري. واستطاعتها تمرير خمسة فرق عسكرية كاملة عبر القناة في آن واحد خلال مدة ٢٤ ساعة فقط وأثناء الاشتباك مع قوات العدو يعتبر انجازاً عسكرياً عظيماً لهذه القوات سواء كان ذلك من حيث التخطيط والتنفيذ أو القدرة الفنية والتنظيمية التي مكنتها من تركيب ثمانية جسور لمرور الدبابات وأربعة جسور خفيفة لمرور المشاة فوق القناة. وإتمام بناء وتشغيل (٣١) معدية خلال ٢٤ ساعة. ومما لا شك فيه أن هذا الانجاز يعتبر خير دليل على كفاءة القوات المصرية. وإن عملية العبور التي نفذتها بنجاح تام تعتبر من بين أهم عمليات عبور الحواجز المائية المماثلة في تاريخ الحروب الحديثة والتي يحق للقوات المسلحة المصرية الافتخار بها وبمنجزاتها.

هـ - يمكن القول أن تقديرات القيادتين المصرية والسورية لتحقيق أهداف هذه الحرب المحدودة كانت تستند إلى المرتكزات الآتية :

١ - إن هجوم الجيش المصري والسوري في آن واحد سوف يثبت القوات الإسرائيلية في هاتين الجبهتين بدون أن تستطيع إسرائيل استخدام قواتها الجوية بفعالية بسبب وجود الصواريخ المضادة للطائرات بكثافة مؤثرة.

٢ - أن تقوم القوات المصرية بعبور القناة وتحتل رأس جسر على طول ضفتها الشرقية. ثم تقوم قواتها المزودة بأعداد هائلة من الصواريخ المضادة للدروع بالتصدي للهجوم المعاكس الذي لا بد وأن تقوم به القوات الإسرائيلية في أعقاب عملية العبور وتدمير معظم الدبابات الإسرائيلية المهاجمة. ومن ثم تقوم القوات المدرعة الاحتياطية

بالهجوم على ممرات (متلا) بعد أن تكون قد نقلت الأسلحة المضادة للطائرات ولا سيما بطاريات صواريخ (سام) بمختلف أنواعها إلى شرقي القناة لتوفير الحماية اللازمة لقوات الهجوم.

٣ - أن تقوم القوات السورية بهجوم مدرع ضخم بهدف احتلال مرتفعات الجولان بكاملها خلال فترة لا تتجاوز مدة ثلاثة أيام ثم تتمركز في الدفاع على طول خط نهر الأردن وبحيرة طبريا ثم تنقل بطاريات الصواريخ (أرض - جو) إلى المواقع الدفاعية الأمامية وتستعد لمواجهة الهجوم الاسرائيلي المعاكس.

٤ - وبنتيجة هذه العمليات ستتحرك الدول الكبرى لتفرض وقف إطلاق النار بين القوات المتحاربة بالمواقع التي وصلت إليها وتحفظ مصر وسوريا بالمكاسب التي حققتها ثم تبدأ عملية مفاوضات السلام على ضوء قرارات هيئة الأمم المتحدة.

و - هذا هو التصور المنطقي الذي كونته عن التخطيط لهذه الحرب. وقد نجحت القوات المصرية بعبور القناة واحتلال رأس جسر على طول ضفتها الشرقية خلال الأيام الثلاثة الأولى من القتال. كما نجحت القوات السورية باحتلال هضبة الجولان بكاملها تقريباً. ووصلت طلائعها إلى مشارف بحيرة طبريا خلال نفس المدة. ولكن لماذا انقلبت الأوضاع في الجبهتين رأساً على عقب وتحول الانتصار الأولي إلى تهقير وانكسار هذا ما سحاول إيضاح أسبابه بالنقاط الآتية :

١ - إن ما حصل على الجبهتين بعد هذه الانتصارات الأولية يدعو إلى الدهشة. ففي جبهة الجولان لم تستطع القوات السورية الاحتفاظ بمكاسبها التي حققتها. حيث ما لبث الاسرائيليون أن تمكنوا من إيقاف تقدم القوات السورية بعد اليوم الثاني من القتال عند خط نهر الأردن - بحيرة طبريا. ثم بدأوا مباشرة بالهجوم المعاكس بقوة مؤلفة من ثلاثة فرق مدرعة ونجحوا بدفع القوات السورية إلى الخلف تدريجياً وعلى الرغم من صعوبة تقدمهم صعوداً على مرتفعات الجولان من جهة الغرب ورغم الخسائر الكبيرة التي تكبدتها قواتهم المدرعة في مختلف المعارك إلا أنهم تمكنوا من استرداد زمام المبادرة والاستمرار بالتقدم في هضبة الجولان تدريجياً على مختلف المحاور وبنفس الوقت نجحوا بتدمير معظم الدبابات السورية ثم استرداد هضبة الجولان بكاملها ومن ثم التقدم في عمق الأراضي السورية حتى وصلوا إلى مشارف دمشق. وبهذه المرحلة الأخيرة أمكن المساعدة لاتخاذ الموقف بحشد القوات المدرعة الأردنية والعراقية على محاور تقدم القوات الاسرائيلية حيث

تمكنت من إيقاف تقدمها وتثبيت الجبهة عند هذا الحد. كما أن وجود الفرقة المدرعة الثالثة السورية في الاحتياط كان عاملاً حاسماً في المعركة في القطاع الشمالي حيث نجحت هذه الفرقة بإيقاف تقدم القوات الاسرائيلية قبل وصولها إلى معسكرات الكسوة غربي مدينة دمشق.

ومن تتب مجريات هذه الحرب أرى أن عدم وجود احتياطي رئيسي بتصرف القيادة السورية يستطیع التصدي للهجوم المعاكس الاسرائيلي كان قد أسهم بشكل أساسي في خسارتها. كما أن هنالك بعض الأخطاء الجوهرية ظهرت في المعارك الدفاعية أدت إلى عدم صمودها أمام العدو مدة كافية والانسحاب منها مبكراً أسهمت كذلك في خسران تلك المعارك.

٢- إن دفع الفرق المدرعة المصرية التي كانت تشكل الاحتياطي الاستراتيجي من غرب القناة إلى عمق سيناء باتجاه ممرات متلا يوم ١٤ تشرين أول وذلك قبل أن يصبح بالإمكان نقل قواعد الصواريخ المضادة للطائرات إلى الشرق لتأمين الحماية الكافية لهذه الفرق المدرعة أثناء هجومها الواسع في الصحراء تسبب في تدمير أعداد كبيرة من دباباتها وفشل هجومها وردّها إلى حيث بدأت كما أن حركة هذه الفرق إلى شرق القناة وترك مناطق غرب القناة خالية من أي قوات احتياطية كانت السبب الرئيسي في خسارة هذه الحرب على الجبهة المصرية برمتها. وعلى الرغم من التبريرات التي أعطيت لهذه الحركة من أنها كانت ضرورية لتخفيف الضغط عن الجبهة السورية التي تردت الأوضاع فيها وأصبح الخطر المباشر يهدد دمشق. وإنها جاءت استجابة لطلب القيادة السورية. فإنها على أي حال قد أعطت إشارة البدء بالنسبة للقوات الاسرائيلية للمباشرة بتنفيذ عملية الهجوم المعاكس وبعبرها إلى غرب قناة السويس. حيث كان الاسرائيليون يترددون في المبادرة بهذا الهجوم قبل أن يتمكنوا من استدراج القوات المدرعة المصرية الاحتياطية إلى شرق القناة لكي يضمنوا خلو المناطق الغربية من أية قوات مدرعة رئيسية تستطیع التصدي لهم وإفشال عبور قواتهم إلى غرب القناة. وعندما نجح الاسرائيليون بتأسيس رأس جسر غربي القناة تمكنوا بعد ذلك من نقل ثلاثة فرق مدرعة إلى داخله ومن ثم الانتشار بسرعة من خلاله إلى الغرب. ونجحوا بعد ذلك بتطويق الجيش الثالث المصري وتهديد المناطق الخلفية للجيش الثاني لعدم توفر قوات احتياطية رئيسية في تلك المناطق تستطیع التصدي لهم. وعند هذا الحد تقرر مصير الجبهة المصرية. ومع انهيار جبهة

الـجولان تقرـر مصـير الحـرب برمتها. واضطرت مصر لطلب وقف اطلاق النار أولاً ثم تبعتها سوريا. وبهذه النتيجة حققت اسرائيل هدفها الاستراتيجي من هذه الحرب وهو إزالة أي مكاسب أو ميزات عسكرية أحرزتها القوات العربية في جميع الجبهات.

وهكذا أسدل الستار من جديد على هذه الحرب التي ابتدأت بانتصارات باهرة للقوات العربية وانتهت بانتصارات ضائعة دخلت التاريخ بهذه الصفة. وانتقل العالم العربي إلى مرحلة جديدة من المباحكات السياسية والخلافات الاقليمية التي ساهمت إلى حد كبير في تعميق التفرقة وتكريس التشتت والضياع.

الملاحق

رقم	الموضوع	رقم
٥٨٣	نص وعد بلفور وصك الانتداب	١
٥٨٨	اتفاقية جبل سكوبس (هداسا)	٢
٥٩٠	نص التصريح الثلاثي ورد الدول العربية عليه	٣
	خطاب انتوني ايدن في مجلس العموم البريطاني بعد	٤
٥٩٣	صدور الانذار الموجه الى مصر واسرائيل	
	صيغة القرار رقم (٢٤٢) الذي صدر عن مجلس الأمن	٥
٥٩٦	الدولي بتاريخ ١٢ تشرين ثاني ١٩٦٧ م	
	صيغة القرار رقم (٣٣٨) الذي صدر عن مجلس الأمن	٦
٥٩٨	الدولي بتاريخ ٢٢ تشرين اول ١٩٧٣ م	
٥٩٩	المراجع	٧
٦٠١	الخرائط	٨
٦٠٢	معلومات عن المؤلف	٩

نص وعد بلفور وصك الانتداب

١- وعد بلفور

فيما يلي ترجمة الكتاب الذي تضمن هذا الإعلان والذي كان موقعاً من قبل وزير الخارجية البريطاني اللورد بلفور موجّهاً إلى اللورد روتشيلد أحد زعماء الصهيونية في بريطانيا :

عزيزي لورد روتشيلد،

إنه ليسعدني أن أنقل إليك نيابة عن حكومة جلالتة الإعلان التالي عن التعاطف مع الطموحات اليهودية الصهيونية والتي قدمت إلى مجلس الوزراء ووافق عليها.

«إن حكومة جلالتة تنظر بعين العطف لتأسيس وطن قومي للطائفة اليهودية في فلسطين. وستبذل أقصى جهودها لتسهيل تحقيق هذا الهدف. على أن يكون مفهوماً بكل وضوح أنه لن ينفذ أي عمل يمكن أن يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة حالياً في فلسطين أو بالحقوق والأوضاع السياسية لليهود في أي بلد آخر».

المخلص

آرثر جيمس بلفور

1- Text of Declaration ⁽¹⁾

Dear Lord Rothschild ,

I have much pleasure in conveying to you on behalf of his Majesty's Government , the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations, which has been submitted to and approved by the cabinet.

His Majesty's government view with favour the establishment in Palestine of a notional home for the Jewish people , and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which might prejudice the civil and religious rights of existing non - Jewish communities in Palestine or the rights and political status enjoyed by jews in any other country .

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Yours Sincerely

Arthur James Balfor

(1) The Palstine question By. AKRAM ZU'AITER

الانتداب على فلسطين

قامت بريطانيا بصياغة مسودة صك الانتداب على فلسطين وقدمتها إلى مجلس عصبة الأمم بتاريخ ٢٤ تموز عام ١٩٢٢ م. وقد كانت هذه المسودة مطابقة إلى حد كبير للمشروع الذي سبق أن وضعته المنظمة الصهيونية لهذا الغرض .

صيغة صك الانتداب (١)

- أبين تالياً بعض المواد ذات الأهمية الخاصة والتي لها علاقة مباشرة بالموضوع.
- ١- ستكون للسلطة المنتدبة كامل الصلاحيات التشريعية والإدارية ما عدا تلك التي حددتها شروط هذا الانتداب.
 - ٢- ستكون السلطة المنتدبة مسئولة عن وضع البلد في ظروف سياسية وإدارية واقتصادية مناسبة لكي تؤدي إلى تأسيس وطن قومي لليهود كما هو مبين بالملحق الخاص. وتطوير مؤسسات الحكم الذاتي لهم. وكذلك لحماية الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بصرف النظر عن الجنس والدين.
 - ٣- تؤسس وكالة يهودية ويعترف بها كهيئة عامة لإبداء المشورة والتعاون مع الإدارة في فلسطين في الأمور الاقتصادية والاجتماعية وغيرها مما يخص السكان اليهود في فلسطين. وستكون خاضعة لسيطرة الإدارة لكي تساهم وتساعد في تطوير البلد.

(١) اكرم زعير ، كتاب المسألة الفلسطينية.

- ٤- على الإدارة في فلسطين، مع مراعاة حقوق وأوضاع باقي فئات السكان الآخرين، أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين ضمن شروط مناسبة، وعليها أن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية على تأمين إستيطان اليهود في الأراضي الحكومية والأراضي الخلاء التي لا تلزم للخدمات العامة .
- ٥- ستكون الإدارة في فلسطين مسؤولة عن سن قانون الجنسية على أن يتضمن هذا القانون نصوص تسهل الحصول على الجنسية الفلسطينية من قبل اليهود الذين يقيمون إقامة دائمة في فلسطين .

THE PALESTINE MANDATE

Britain drew up a draft for the Palestine mandate and submitted it to the council of the League of Nations on July 24, 1922 . This draft was almost an exact copy of the scheme drawn up by the Zionist Organization .

TEXT OF MANDATE ⁽¹⁾

Following are the relevant articles only

1-The Mandatory shall have full powers of legislation and of administration , save as they may be limited by the terms of this mandate.

(1) The Palestine question By. AKRAM ZU'AITER

- 2-The Mandatory shall be responsible for placing the country under such political administrative and economic conditions as will secure the establishment of the Jewish National Home, as laid down in the preamble , and the development of self governing institutions , and also for safeguarding the civil and religious rights of all the inhabitants of Palestine, irrespective of race and religion.*
- 3-An appropriate Jewish Agency shall be recognized as a public body for the purpose of advising and co-operating with the Administration of Palestine in such economic , social and other matters of the Jewish population in Palestine, and , subject always to the control of the Administration, to assist and take part in the development of the country.*
- 4-The Administration of Palestine , while ensuring that the rights and position of other sections of the population are not prejudiced , shall facilitate Jewish immigration under suitable conditions and shall encourage, in co-operation with the Jewish Agency, close settlement by Jews on the land including state lands and waste lands not required for public purposes.*
- 5-The Administration of Palestine shall be responsible for enacting a nationality law. There shall be included in this law provisions framed so as to facilitate the acquisition of Palestinian citizen ship by jews who take up their permanent residence in Palestine.*

اتفاقية جبل سكوبس (هداسا)

٧ تموز (يوليو) ١٩٤٨ م

عقدت بين القادة العرب واليهود في منطقة القدس من أجل نزع سلاح منطقة جبل سكوبس

واتفق فيها على ما يلي :

١- أن تكون حماية المنطقة المحددة على الخريطة المرفقة من اختصاص الأمم المتحدة حتى تنتهي الأعمال العدوانية، وتعد اتفاقية جديدة.

وتشمل هذه المنطقة الأماكن المعروفة باسم مستشفى هداسا والجامعة العبرية واوغستا فكتوريا وقرية العيساوية. وتقبل الامم المتحدة الاشتراك في توقيع هذه الوثيقة بالإنابة عن طريق كبير المراقبين في منطقة القدس ورئيس لجنة الهدنة. وعلى ذلك فهي تقبل مسؤولية ضمان سلامة هذه المنطقة كما هو مبين هنا.

٢- تنشأ منطقة حرام تمتد حوالي ٢٠٠ ياردة على طول الطريق الرئيسية بين مباني اوغستا فكتوريا والجامعة العبرية بما يلائمها من مراكز التفتيش على طرفي الطريق. وتنشأ مراكز أخرى للتفتيش حول المنطقة المحمية ويوافق الجميع على أن يكون دخول المنطقة من الطريق الرئيسية عن طريق مراكز التفتيش التي يُنشئها مراقب الامم المتحدة. وتعتبر جميع المحاولات الأخرى لدخول المنطقة غزواً غير مشروع.

٣- يتولى البوليس المدني العربي واليهودي الحراسة كل في منطقته تحت اشراف مندوب الامم المتحدة ويرفع علم الامم المتحدة على المباني الرئيسية وينسحب اليوم جميع أفراد القوات المسلحة من الطرفين مع عتادهم وكل ما لا يحتاج إليه مراقب الأمم المتحدة.

٤- تؤمن الأمم المتحدة وصول ما يكفي الجانبين من مؤن وماء. ويحدد مراقب الأمم المتحدة مواعيد تغيير من تدعو الحاجة الى تغييره ممن يقيمون على جبل سكوبس.

ويضع المراقب الدولي بالتشاور مع الفريقين تدابير زيارات الأشخاص المعتمدين للمنطقة. وتتعهد الرقابة الدولية بان تقصر سكان جبل سكوبس على الأفراد الذين تحتاج اليهم إدارته فضلاً عن السكان الحاليين لقرية العيساوية. ولا يضاف أحد إلى سكان القرية إلا باتفاق الفريقين. ولا يزيد عدد أفراد القوة المبدئية للبوليس المدني في المنطقة اليهودية على ٨٥ شخصاً وعدد الموظفين المدنيين الملحقين بهم على ٢٣ شخصاً. ولا يزيد عدد أفراد البوليس العربي في منطقة اوغستا فكتوريا على ٤٠ شخصاً.

٥- يوافق الجانبان على عدم استخدام المنطقة قاعدة للعمليات الحربية وأن لا تهاجم أو يدخلها أحد بطريقة غير مشروعة.

٦- في حالة انسحاب الجيش العربي من المنطقة يجب أن يتلقى مراقب الامم المتحدة تبليغاً خطياً يسبق الإنسحاب بمدة كافية لوضع تدابير لتنظيم اتفاق جديد بدلاً من هذا البروتوكول.

التوقيع عن الأردن : الزعيم نورمان لاش

التوقيع عن اليهود: الكولونيل شالتيل

التوقيع عن لجنة الهدنة : جان منبوفينيوز

كبير المراقبين الدوليين: نيلر برانسون

تصريح الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا
عن سياسة الدول الغربية إزاء الشرق الاوسط
في ٢٠ مايس سنة ١٩٥٠م
(التصريح الثلاثي)

أتاحت لحكومات المملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة الفرصة أثناء الاجتماع الذي عقده أخيراً وزراء خارجيتها في لندن لبحث بعض المسائل المتعلقة بالسلم والاستقرار في الدول العربية ودولة إسرائيل وخاصة إرسال أسلحة ومواد حربية إلى هذه الدول .

وقد قررت الحكومات الثلاث إصدار التصريح التالي :

١- تقرر الحكومات الثلاث بأن الدول العربية ودولة إسرائيل في حاجة إلى الإحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة لتضمن أمنها الداخلي ودفاعها الشرعي وتتمكن من الإضطلاع بالدور الملقى على عاتقها في الدفاع عن المنطقة جمعاء .

وجميع الطلبات المقدمة من هذه البلاد لتوريد أسلحة ومواد حربية، إليها سينظر فيها على ضوء هذه المبادئ .

وتود الحكومات الثلاث أيضاً أن تذكر وتؤكد أحكام التصريح الصادر من مندوبيها في مجلس الأمن يوم ٤ اغسطس ١٩٤٩م وقد أكدت فيه لسباق التسلح بين الدول العربية وإسرائيل .

٢- وتعلن الحكومات الثلاث أنها تلقت من جميع الدول المنتفعة من إرسال أسلحة إليها ضماناً بأن الدول المشترية لا تعتزم القيام بأي عمل عدواني إزاء أي دولة أخرى. وسيطلب مثل هذا الضمان من أية دولة أخرى في هذه المنطقة يؤذن بتزويدها بالأسلحة في المستقبل.

٣- وتنتهز الحكومات الثلاث هذه الفرصة لتعلن ما تعلقه على هذه المسألة من اهتمام بالغ مع رغبتها في المساعدة على إعادة توطيد أركان السلم والمحافظة على السلام والاستقرار في هذه المنطقة معارضة لن تتحول عنها.

ولن تني الحكومات الثلاث إذا هي علمت أن إحدى هذه الدول تستعد للإعتداء على الحدود أو خطوط الهدنة لدولة أخرى، عن اتخاذ الإجراءات سواء في نطاق هيئة الأمم المتحدة أو خارجه طبقاً لالتزاماتها باعتبارها أعضاء في هيئة الأمم المتحدة لمنع هذا الاعتداء.

رد الدول العربية

على البيان الثلاثي المشترك

١- إن الدول العربية تهتم باستكمال تسليحها لشعورها العميق بمسئوليتها عن حفظ الأمن الدولي في هذه المنطقة، ذلك الواجب الذي يقع أولاً وبالذات عليها وعلى جامعة الدول العربية. باعتبارها منظمة إقليمية ينطبق عليها حكم المادة الثانية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة.

٢- إن مستوى القوات التي تحتفظ بها كل دولة لأغراض الدفاع وحفظ الأمن الدولي أمر يرجع تقديره إلى هذه الدول نفسها ويخضع لاعتبارات كثيرة أهمها عدد السكان ومساحة البلاد وترامي حدودها.

٣- يهتم الدول العربية أن تسجل التأكيدات التي تلقتها بأن الدول الثلاث لم تقصد من تصريحاتها محاباة إسرائيل أو الضغط على الدول العربية لتدخل في مفاوضات مع إسرائيل أو المساس بالتسوية النهائية للقضية الفلسطينية أو المحافظة على الوضع الراهن، بل قصدت إظهار معارضتها للإلتجاء إلى القوة أو الإعتداء على خطوط الهدنة.

٤- تعلن الدول العربية أن أفضل الطرق لصيانة السلام في الشرق الأوسط حل قضاياها على أساس الحق وإعادة حالة الوفاق التي كانت سائدة فيه والمبادرة إلى تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة الخاص بعودة اللاجئين وتعويضهم عن أملاكهم.

٥- كذلك يهتم الدول العربية أن تسجل التأكيدات التي تلقتها بأن تصريح الدول الثلاث وطريقة تقديمه وما نص عليه بشأن تلقي التعهدات من الدول المشتركة للأسلحة لا تعني مطلقاً تقسيم هذه المنطقة إلى مناطق نفوذ أو الإعتداء بأية صورة على استقلال الدول العربية وسيادتها.

Text of the British Prime Minister's

Statement in the House of Commons on October 30th 1956

Sir ,,,

with your permission and that of the House I will make a statement. As the House will know for some time past the tension on the frontiers of Israel has been increasing . The growing military strength of Egypt has given rise to renewed apprehension which the statements and actions of the Egyptian government have further aggravated. The establishment of a joint military Command between Egypt, Jordan and Syria, The renewed raids by guerillas culminating in The incursion of Egyptian Commandos on Sunday night has all produced a very dangerous situation. Five days ago news was received that the Israeli government was taking certain measures of mobilization . H M government at once instructed H.M. Ambassador at Tel Aviv to make inquiries of the Israeli minister for Foreign Affairs and to urge restraint .

Meanwhile , President Eisenhower called for an immediate tripartite discussion between representatives of the United Kingdom, France and the United states . A meeting was held on October 28th in Washington and a second meeting took place on October 29th.while these discussions were proceeding, news was received last night that Israeli forces had crossed the frontier and had Penetrated deep into

Egyptian territory . Later further reports were received indicating that paratroops had been dropped. It appeared that the Israel spearhead was not far from the banks of the Suez canal. From recent reports it also appears that air forces are in action in the neighbourhood of the canal . During the last few weeks H.M. government have thought it their duty, having regard to their obligations under the Anglo - Jordan treaty, to give assurances both public and private of their intention to honour these obligations .H.M. Ambassador in Tel Aviv late last night received and assurance that Israel would not attack Jordan.

My right honourable and learned friend the Foreign Secretary discussed the situation with the US Ambassador early this morning .

The French Prime Minister and Foreign Minister have come over to London at short notice at the invitation of H.M. Government to deliberate with us on these events. I must tell the House that very grave issues are at stake, and unless hostilities can quickly be stopped , free passage through the canal will be jeopardized . Moreover any fighting on the banks of the canal would endanger the ships actually in passage . The number of crews and passengers involved totals many hundreds and the value of the ships which are likely to be on passage is about 50 millions , excluding the value of the cargoes. H.M government and the French government have accordingly agreed that everything possible should be done to bring hostilities to an end as soon as possible . Their representatives in New York therefore have been instructed to Join the United State representative in seeking an immediate meeting of the Security Council.

This began at 4 p.m. In the meantime , as a result of the consultations held in London today, The United Kingdom and French governments have now addressed urgent communications to the governments of Egypt and Israel .

In these we have called upon both sides to stop all warlike action by land , sea and air forthwith and to withdraw their military forces to a distance of 10 miles from the canal . Further, in order to separate the belligerents and to guarantee freedom of transit through the canal by the ships of all motions , we have asked the Egyptian government to agree that Anglo - French forces should move temporarily into Key positions of Port said, Ismailia and Suez .

The governments of Egypt and Israel have been asked to answer this communication within 12 hours, It has been made clear to them that if at the expiration of that time one or both have not undertaken to comply with these requirements, the British and French forces , will intervene in what ever strength may be necessary to secure compliance. I will continue to keep the House informed of the situation.

United Nations Security Council

Resolution (242) November 12, 1967

The Security Council

Expressing its continuing concern with the grave situation in the Middle East emphasizing the inadmissibility of the acquisition of territory by war and the need to work for a just and lasting peace in which every state in the area can live in security.

Emphasizing further that all member states in their acceptance of the charter of the united Nations have Undertaken to act in accordance with article 2 of the charter .

1. Affirms that the fulfillment of charter principles requires the establishment of just and lasting peace in the Middle East which should include the application of both the following principles,

I . withdrawal of Israeli armed forces from territories occupied in the recent conflict.

II .Termination of all claims or states of belligerency and respect for and acknowledgment of the sovereignty, territorial integrity and political independence of every state in the area and their right to live in peace within secure and recognized boundaries free from threats o acts of force.

2-Affirms further the necessity

(a) For guaranteeing freedom of navigation through international ways , in the area.

(b) For achieving a just settlement of the refugee problem .

(c) For guaranteeing the territorial inviolability and political independence of every state in the area , through measures including the establishment of demilitarized zones.

3-Requests the secretary general to designate a special representative to proceed to the Middle East to establish and maintain contacts with states concerned in order to promote agreement and assist efforts to achieve a peaceful and accepted settlement in accordance with the provisions and principles of this resolution .

4-Requests the secretary general to report to the security council on the progress of the efforts of the special representative as soon as possible.

United Nations Security Council

Resolution (338) October 21-22 , 1973

The Security Council

- 1-Calls upon all parties to the present fighting to cease all firing and terminate all military activity immediately , no later than 12 hours after the moment of the adoption of this decision, in the positions they now occupy.*
- 2-Calls upon the parties concerned to start immediately after the cease fire the implementation of security council resolution (242) 1967 in all of its parts.*
- 3-decides that immediately and concurrently with the cease - fire negotiations start between the parties concerned under appropriate auspices aimed at establishing a just and durable peace in the Middle East.*

المراجع

1. *The Palestine Campaigns*

By Field Marshal Earl Wavell

2. *The Second world war, volume two*

By sir Winston S. Churchill

3. *A Soldier with the Arabs*

By Lt. general , sir John Bagot Glubb

4. *Arab and Jew*

Wounded spirit in a promised land

By: David K. Shipler

5. *Makers of modern strategy*

By Edward Mead Earl

6. *Glubb Pasha - A Biography*

BY: general James lunt

7. *Taking sides*

America's Secret Relations with a Militant Israel 1948-1967

By: Stephen Green.

معلومات عن المؤلف

١- سجل الخدمة العسكرية :

١٩٤٢/٧/٣٠	- انتسب للجيش برتبة مرشح -
١٩٤٣/٧/١٠	- رفع الى رتبة ملازم ثاني -
١٩٤٤/٥/١٦	- رفع الى رتبة ملازم أول -
١٩٤٦/٣/٣١	- رفع الى رتبة رئيس -
١٩٤٨/٨/٢٦	- رفع الى رتبة وكيل قائد -
١٩٥٣/٤/٢٣	- رفع الى رتبة قائد -
١٩٥٥/١٠/٣١	- رفع الى رتبة عقيد -
١٩٥٦/٥/٢٦	- رفع الى رتبة زعيم -
١٩٥٨/٢/٥	- رفع الى رتبة امير لواء -

٢- الدورات العسكرية في مدارس الجيش البريطاني

١٩٤٣/٧/١٧	- دورة مرشحين ضباط -	معسكر سدني سميث -
١٩٤٤/٨/٢٥	- القيادة العظام -	معسكر دير سنيد -
١٩٤٤/١١/٢٨	- الحركات الحربية -	معسكر فايد (مصر) -
١٩٤٥/٩/٢٤	- أسلحة المشاة -	معسكر دير سنيد -
١٩٤٦/١٠/١٧	- كلية الأركان التحضيرية -	معسكر الكرمل (حيفا) -
١٩٤٩-١٩٤٨	- كلية القيادة والأركان -	كمبرلي - إنجلترا

٣- الأوسمة الاردنية :

١٩٤٣	وسام الاستقلال من الدرجة الرابعة
١٩٤٥/٢/١٥	شارة ذكرى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥
١٩٤٦/٣/٢	وسام الخدمة العامة بفلسطين
١٩٤٨/١/٢٦	وسام النهضة من الدرجة الثالثة
١٩٥٧/٨/٨	وسام الكوكب الاردني من الدرجة الثانية
١٩٥٨	وسام الاستقلال من الدرجة الاولى
١٩٧٤	وسام الكوكب الاردني من الدرجة الاولى

٤- الأوسمة العربية

١٩٥٣/٦/٨	وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية
١٩٥٦/٩/٢٦	وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى
١٩٥٦/٦/١٥	وسام الاستحقاق المصري من الدرجة الاولى

٥- الوظائف التي شغلها

١٩٤٤/٣/١٨-١٩٤٣/٣/٢٥	قائد فئة وضابط تدريب
١٩٤٥/١١/١-١٩٤٤/٣/١١	اركان حرب مركز تدريب الجيش في صرغند
١٩٤٨/٤/١-١٩٤٥/١١/١	ركن عسكري في قيادة اللواء المسلح
١٩٥١/٥/١٠-١٩٤٨/٤/١	ركن عمليات حربية في قيادة الفرقة
١٩٥٢/٦/١٠-١٩٥١/٥/١٠	ركن عسكري قيادة اللواء الثالث
١٩٥٥/٥/٢٣-١٩٥٢/٦/١٠	قائد كتيبة المشاة الثامنة
١٩٥٦/٥/٢٣-١٩٥٥/٥/٢٤	قائد عام الحرس الوطني
١٩٥٨/٦/٨-٥٦/٥/٢٤	مدير هيئة الاركان للجيش العربي
١٩٥٨/٧/٣١-٥٨/٦/١٩	نائب القائد العام لجيش الاتحاد العربي الهاشمي
١٩٥٩/٥/١٥-٥٨/٨/١	مدير هيئة الأركان للجيش العربي

بعد ان تقاعد من الخدمة العسكرية عمل بعد عدة سنوات

في بعض الوظائف الحكومية وهي الآتي :

أ- مديراً للجوازات والأحوال المدنية.

ب- محافظاً اللواء الشمال.

ج- وزيراً للتموين.

د- وزير دولة للشئون الخارجية.

المحتويات

٧	المقدمة
٩	توطئة تاريخية
الفصل الأول	
الحرب غير النظامية في فلسطين	
١٧	تمهيد
٣١	وقائع الأحداث
الفصل الثاني	
الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨	
٥٤	مرحلة الاستعداد
٦٧	الخطة العامة
٧٠	ملخص العمليات التي دارت قبيل دخولنا الحرب
٧٥	المرحلة الأولى من القتال
٩٤	كيفية تنفيذ معركة الشيخ جراح
١٠٣	أولاً : هجوم الكتيبة الثالثة في القدس الجديدة
١١٠	ثانياً : معركة القدس القديمة
١١٦	ثالثاً : العمليات في منطقة اللطرون وباب الواد
١٣٣	العمليات في منطقة اللد والرملة
١٣٧	حركات الجيوش العربية
١٣٧	أولاً : القوات العراقية
١٣٩	ثانياً : القوات المصرية
١٤٢	ثالثاً : القوات السورية
١٤٣	رابعاً : القوات اللبنانية

١٤٤	الهدنة الأولى
١٤٩	الإجراءات أثناء الهدنة
١٦٣	فترة القتال الثانية
١٧١	معركة اللد والرملة
١٨٠	إعادة التنظيم في الجبهة
١٨٣	العمليات الحربية التي شنها العدو استعداداً لاحتلال اللطرون وباب الواد
١٨٤	أولاً : معركة يالو
١٨٩	ثانياً : الهجوم المعاكس على قرية قوله
١٨٩	ثالثاً : الهجوم على قرية البرج
١٩٦	رابعاً : نقل الكتيبة الأولى إلى جبهة دير قديس - بيت سيرا و عملياتها
١٩٨	خامساً : الهجوم الرابع والأخير على اللطرون وباب الواد
٢٠٠	سادساً : عمليات الكتيبة الخامسة
٢٠٢	سابعاً : العمليات في مدينة القدس
٢٠٨	حركات يوم ١٦ تموز عام ١٩٤٨ م
٢١٢	أولاً : جبهة الجيش المصري
٢١٤	ثانياً : جبهة الجيش العراقي
٢١٥	ثالثاً : جبهة الجيش السوري
٢١٦	رابعاً : جبهة الجيش اللبناني وجيش الإنقاذ
٢١٧	الهدنة الثانية
٢٢١	الاستعداد لتطبيق الهدنة
٢٣٥	تجدد القتال في الجبهة المصرية
٢٤٣	ردود الفعل العربية
٢٤٧	الحالة العامة على الجبهات قبل الهجوم على الجليل
٢٥٠	الهجوم الثاني في منطقة الجليل
٢٥٣	المرحلة الثانية من العمليات الحربية على الجبهة المصرية

الفصل الثالث

الأخطاء والدروس المستفادة من هذه الحرب

٢٦٣	١- الإستراتيجية
٢٦٧	٢- مبادئ الحرب
٢٧٧	الخلاصة

الفصل الرابع

مرحلة ما بعد الحرب

٢٨٩	إعادة تنظيم الجيش العربي الأردني
٢٩٢	تطورات في قيادة الفرقة
٢٩٦	تأسيس الحرس الوطني
٣٠٤	الحرس الوطني في الخطة الدفاعية
٣٠٥	حوادث الحدود
٣٠٦	المواصلات والتوزيع
٣٠٧	أساليب اليهود في الهجوم على القرى الأمامية
٣١١	تطورات الأوضاع على الحدود
٣٣٤	تصعيد الحوادث على الحدود والمداخلات الدولية
٣٤٣	دراسة الخطة الدفاعية العامة
٣٤٩	إتفاقية الدفاع المشترك
٣٦٠	واجبات الأركان وإعادة التنظيم

الفصل الخامس

حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦

٣٦٤	١- التطورات التي أدت إلى نشوب الحرب
٣٦٤	أولاً: بريطانيا
٣٦٥	ثانياً: فرنسا
٣٦٦	ثالثاً: إسرائيل
٣٦٦	٢- تسلسل سيناريو الأحداث

٣٧٠	٣- المؤامرة الثلاثية
٣٨١	٤- الموقف على الجبهة الأردنية
٣٩٨	٥- العمليات الحربية
٤٠٠	الحملة الاسرائيلية على سيناء
٤١٧	الحملة البريطانية الفرنسية على قناة السويس
٤٣٢	الأسباب الأساسية لإشعال الحرب العدوانية
٤٣٧	مجمال الخسائر
٤٣٩	الأحداث الهامة التي أعقبت هذه الحرب

الفصل السادس

مطالعات عن الحرب العربية - الإسرائيلية الثالثة عام ١٩٦٧ م

٤٥١	مقدمات الحرب
٤٦٧	معالم الخطة الإسرائيلية
٤٦٧	مقارنة القوات عند بدء الحرب
٤٦٨	حشد القوات الإسرائيلية
٤٦٨	حشد القوات العربية
٤٧٠	وصف موجز للمعارك
٤٧٢	المعارك البرية
٤٧٢	أولاً: الجبهة المصرية
٤٧٧	ثانياً: الجبهة الأردنية
٤٨٤	معركة القدس
٤٩١	معارك جنين ونابلس
٤٩٣	العمليات في منطقة وادي الأردن
٤٩٥	ثالثاً: الجبهة السورية
٤٩٩	تعليقات على هذه الحرب
٥٠٣	إستعدادات إسرائيل لهذه الحرب
٥٠٣	أولاً: الميدان العسكري

٥٠٣ ثانياً: الميدان السياسي
٥٠٣ ثالثاً: الميدان الاستخباري
٥٠٨ المساعدات التي قدمتها أمريكا لإسرائيل في هذه الحرب
٥١٣ نتائج الحرب
٥١٣ ١- خسائر العرب
٥١٤ ٢- مكاسب إسرائيل

الفصل السابع

حرب الإستنزاف والاستعداد للجولة القادمة والمشاكل الداخلية

٥١٨ أولاً: بناء القدرة الدفاعية
٥١٩ ثانياً: الدفاع التعرضي
٥٢٥ النشاطات السياسية
٥٣٠ تطورات مختلفة

الفصل الثامن

مطالبات عن الحرب العربية - الإسرائيلية الرابعة عام ١٩٧٣ م

٥٣٥ التخطيط لهذه الحرب
٥٣٧ خطة التمويه والخداع
٥٤٢ العمليات الحربية
٥٤٢ أولاً: الجبهة المصرية
٥٤٤ بدء الهجوم
٥٦١ ثانياً: الجبهة السورية
٥٧٣ ملاحظات وآراء عن هذه الحرب
٥٨١ الملاحق
٦٠٧ المحتويات



General Command of the Alexandria
Library (GAL)

General Command of the Alexandria Library



صادق الشرع

* انتسب للخدمة في الجيش العربي برتبة
مرشح ضابط سنة ١٩٤٢ .

* تدرج بالرتب العسكرية حسب تسلسلها حتى
رتبة لواء ركن سنة ١٩٥٨ ..

* حضر عدداً كبيراً من الدورات العسكرية
المختلفة وكان آخرها كلية القيادة والأركان
في بريطانيا سنة ١٩٤٩ .

* عين قائداً عاماً للحرس الوطني سنة
١٩٥٥ م.

* تولى القيادات العسكرية المختلفة ومراكز
الأركان المهمة حتى عين مدير هيئة الأركان
للجيش العربي سنة ١٩٥٦ .

* نال العديد من الأوسمة الأردنية والعربية
الرفيعة.

* عين نائباً للقائد العام لجيش الاتحاد
العربي الهاشمي سنة ١٩٥٨ .

* بعد التقاعد عين في عدة مراكز مدنية منها:
محافظاً للواء الشمالي

وزيراً للتموين

وزير دولة للشؤون الخارجية

الغلاف

الشروق للدعاية والاعلان
قسم الخدمات المطبعية

الناشر

دار الشروق للنشر والتوزيع عمان - الاردن
دار الشروق للنشر والتوزيع رام الله - فلسطين